

شخصيات من الحرمين الشريفين

مجموعة من الباحثين

بسم الله الرحمن الرحیم

شخصيات من الحرمين الشريفين: مجموعه من الباحثين

كاتب:

مركز تحقيقات حج

نشرت فى الطباعة:

مشعر

رقمی الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

الفهرس ----- ۵

شخصيات من الحرمين الشريفين: مجموعه من الباحثين ----- ۲۲

اشاره ----- ۲۲

اشاره ----- ۲۲

مقدمه ----- ۲۶

(۱) عثمان بن مظعون ----- ۲۸

اشاره ----- ۲۸

إسمه ونسبه وصفته ----- ۳۱

ولادته ----- ۳۲

تحريمه الخمر فى الجاهليّه ----- ۳۲

التسميه بعثمان ----- ۳۳

اُسرته ----- ۳۴

إسلامه ----- ۳۴

الآيات النازله فى عثمان ----- ۳۵

وصف أميرالمؤمنين (ع) لعثمان ----- ۳۷

تعذيب قريش لعثمان وهجرته وزهده ----- ۳۸

مؤاخاته واشتراكه فى بدر ----- ۴۴

عثمان والروايه ----- ۴۵

عبادته واجتهاده واعتزاله النساء وحياؤه ----- ۴۵

الرهبانيه والسياحه والتبتّل ----- ۴۶

شعره ----- ۴۸

وفاته ----- ۴۹

المراجع: ----- ۵۵

وراجع أيضاً من مصادر ترجمته ممّا لم ننقل عنها: ----- ۵۸

(۲) عبدالله بن مسعود و رحله الإیمان المبارکه ---- ۶۱
(۳) مقداد بن الأسود الکندی إیمان، مواقف ---- ۷۹
اشاره ---- ۷۹
ومما قاله رسول الله (ص) وما سمعته منه: فیّ ---- ۸۸
وممّا سمعه منه (ص) ---- ۸۸
من أحادیثی ---- ۹۰
عدتُ فیما کتبت إلی ما تیسّر لی من مصادر وهی ---- ۹۱
(۴) حمزه بن عبدالمطلب ---- ۹۲
اشاره ---- ۹۲
إسمه ونسبه وکنیته ---- ۹۳
معنی حمزه فی اللغه ---- ۹۴
ولادته و وفاته ---- ۹۵
نشأه سیدنا حمزه بن عبد المطلب الأولی ---- ۹۵
العلاقه بن حمزه ومحمّد(ص) ---- ۹۶
إسلام حمزه فی المیزان ---- ۹۷
ملازمه حمزه للرسول وعدم هجرته إلی الحبشه ---- ۹۸
حمزه والهجره إلی المدینه ---- ۹۸
شخصیه حمزه العسکریه ---- ۹۹
مشارکه حمزه فی الغزوات الأولی ---- ۱۰۰
سریه حمزه بن عبد المطلب ---- ۱۰۱
مقتل حمزه بن عبد المطلب ---- ۱۰۲
تاریخ قتل حمزه بن عبد المطلب ---- ۱۰۳
بکاء النبی(ص) علی حمزه بن عبد المطلب ---- ۱۰۳
ذکر غسل الملائکه حمزه ---- ۱۰۴
ذکر وصیته ---- ۱۰۴
حمزه یطلب من الرسول(ص) أن یشرّفه الله برؤیه جبریل ---- ۱۰۴

ذكر أنه أسد الله ورسوله ---------- ۱۰۵

ذكر أنه خير أعمام النبی(ص) ---------- ۱۰۵

ذكر أنه سيد الشهداء ---------- ۱۰۵

شهاده النبی(ص) له بالجنه ---------- ۱۰۵

حمزه أحد نجباء الرسول(ص) ---------- ۱۰۶

اعتزاز علی بن أبی طالب(ع) بعمّه حمزه ---------- ۱۰۶

علی (ع) لا يفارق ذكر حمزه ---------- ۱۰۶

حديث الرسول(ص) علی قبر حمزه ---------- ۱۰۷

حمزه فی عالم الشعراء ---------- ۱۰۷

فی ذكر أوصافه ---------- ۱۰۷

(۵) عبدالله بن عباس ---------- ۱۱۱

اشاره ---------- ۱۱۱

صفته ---------- ۱۱۲

من دعاء رسول الله(ص) له ---------- ۱۱۲

قالوا فيه ---------- ۱۱۳

من أقواله فی نفسه ---------- ۱۱۳

من حكمه وأقواله ---------- ۱۱۳

ومن طريف أقواله ---------- ۱۱۴

ماقيل فيه من شعر ---------- ۱۱۶

من وصاياه ---------- ۱۱۸

حياته ---------- ۱۱۸

دقته العلميه ---------- ۱۲۵

ابن عباس مفسراً ---------- ۱۲۵

ابن عباس والوضاعون ---------- ۱۲۹

ابن عباس وبيت مال البصره ---------- ۱۳۲

التهم الموجهه لابن عباس ---------- ۱۳۴

الكشی وابن عباس -- ۱۴۰
وفاته -- ۱۴۲
المصادر -- ۱۴۲
(۶) جعفر الطیّار -- ۱۴۶
اشاره -- ۱۴۶
نسبه ولقبه وکناه -- ۱۴۷
إخوته -- ۱۴۹
زوجته وأولاده -- ۱۴۹
إسلامه -- ۱۴۹
صفاته -- ۱۵۱
الهجره -- ۱۵۲
أما لما ذا جعفر؟! -- ۱۵۷
أمّا لما ذا الحبشه؟! -- ۱۶۰
شجاعته واستشهاده -- ۱۶۱
عمره -- ۱۶۴
صلاه جعفر -- ۱۶۵
قالوا فیه -- ۱۶۶
(۷) أمّ المؤمنین خدیجه (علیها السلام) -- ۱۷۵
اشاره -- ۱۷۵
عمرُ خدیجه -- ۱۷۶
الزواج المبارک -- ۱۸۱
إسلامها -- ۱۸۶
فی شعب أبی طالب -- ۱۸۸
مکانتها فی قلب الرسول (ص) -- ۱۸۹
أما ما ورد فیها عن رسول الله (ص) -- ۱۹۱
عام الحزن -- ۱۹۲

(۸) عمار بن یاسر ----- ۱۹۳
اشاره ----- ۱۹۳
صفاته ----- ۱۹۵
إسلامه ----- ۱۹۶
أقوال النبی (ص) فی آل یاسر ----- ۱۹۷
عمار وآیات قرآنیه ----- ۱۹۹
صفحات أخری من حیاته المبارکه ----- ۲۰۵
مرویاته ----- ۲۰۸
من دعائه وأقواله الأخری ----- ۲۰۹
البشاره والشهاده ----- ۲۱۱
(۹) اُمُّ سلمه ----- ۲۱۹
اشاره ----- ۲۱۹
فی بیت کریم ----- ۲۲۱
رحیل «أبو سلمه» ----- ۲۲۹
الزواج المبارک ----- ۲۳۰
حبّها للجهاد ----- ۲۳۳
منزلها مهبط الوحی ----- ۲۳۳
أبو لبابه الأنصاری ----- ۲۳۵
الرشیده الشفیعه الحازمه ----- ۲۳۷
الفتنه ----- ۲۳۹
علمها وروایتها ----- ۲۴۲
ومن روایتها ----- ۲۴۲
وفاتها ----- ۲۴۵
(۱۰) أبوذر الغفاری ----- ۲۴۷
اشاره ----- ۲۴۷
إسلامه ----- ۲۴۹

سیرته ---------- ۲۵۱
علمه ---------- ۲۵۴
روایاته ---------- ۲۵۵
دعاء الرسول (ص) له و وصایاه ---------- ۲۵۶
أما من وصایاه(ص) الأخری ---------- ۲۵۸
و من أقواله ووصایاه التی تتسم بالحکمه ---------- ۲۵۸
مواکبه رسول الله(ص) له ---------- ۲۶۰
کرمه ---------- ۲۶۱
مواقفه ---------- ۲۶۲
و من تلک المواقف ---------- ۲۶۵
المقاطعه ---------- ۲۶۶
المنفی الأخیر «الزبده» ---------- ۲۶۹
(۱۱) أبو أیّوب الأنصاری ---------- ۲۷۳
اشاره ---------- ۲۷۳
دعوها إنّها مأموره! ---------- ۲۷۵
مع روایه الطبری ---------- ۲۷۶
من روایاته ---------- ۲۷۹
مکانته ---------- ۲۸۰
موقفه من معاویه ---------- ۲۸۱
دوره فی فتنه الخوارج ---------- ۲۸۳
مواقف اُخری ---------- ۲۸۵
(۱۲) خبّاب بن الأرَتّ ---------- ۲۹۱
اشاره ---------- ۲۹۱
خبّاب، الأرت، لغهً ---------- ۲۹۴
نسبه و کنیته ---------- ۲۹۵
خباب یصنع السیوف ---------- ۲۹۷

إسلامه ----- ۲۹۸
إنّه لمن المعذِّبين! ----- ۲۹۹
آیات ترعاهم ----- ۳۰۱
علمه ----- ۳۰۶
ممّارواه و قاله ----- ۳۰۶
موقفٌ خالدٌ ----- ۳۰۷
الکوفه ----- ۳۰۸
بعض ماقاله فیه علماء الرجال ----- ۳۰۹
وفاته رضوان الله علیه ----- ۳۰۹
الإمام علی (ع) مؤبّناً ----- ۳۱۰
(۱۳) بلال ----- ۳۱۳
اشاره ----- ۳۱۳
صفاته ----- ۳۱۵
بلال و اُمیّه ----- ۳۱۶
المؤاخاه ----- ۳۱۸
الثلّه المعذَّبه وآیات قرآنیه ----- ۳۱۹
ومن الآیات التی نزلت فیهم ----- ۳۲۱
مکانته عند رسول الله(ص) و المؤمنین ----- ۳۲۵
رحمتها رحمکَ الله ----- ۳۲۷
ذرنی أذهب إلی الله ----- ۳۲۷
بلال المؤذّن و أجره العظیم ----- ۳۲۸
من صفاته الجمیله: الصدق و التواضع ----- ۳۲۹
مواقف تغیضهم ----- ۳۳۰
الجزاء العادل ----- ۳۳۱
بلال والفاجعه الکبری ----- ۳۳۳
بلال عند علماء الرجال والحدیث ----- ۳۳۵

و ختاماً ----- ۳۴۰
(۱۴) أبوطالب ----- ۳۴۲
اشاره ----- ۳۴۲
بنوهاشم ----- ۳۴۲
أبوطالب والنور اليتيم ----- ۳۴۳
اسمه ----- ۳۴۵
ألقابه ----- ۳۴۵
كنيته ----- ۳۴۵
صفاته ----- ۳۴۶
أبوه ----- ۳۴۶
اُمّه ----- ۳۴۹
زوجته ----- ۳۴۹
أولاده ----- ۳۵۱
أبوطالب و رسول الله (ص) ----- ۳۵۱
فإنّه يحسّ بشرف! ----- ۳۵۳
الكفاله المُباركه ----- ۳۵۳
و صحبه! ----- ۳۵۵
ماأجمل كلامک يا أباطالب و أعظمه! ----- ۳۵۶
إظهار الدين الجديد ----- ۳۵۷
وفود قريش ----- ۳۵۸
وفد قريش الأوّل ----- ۳۵۸
وفد قريش الثانى ----- ۳۵۸
وفد قريش الثالث ----- ۳۵۹
أبوطالب والموقف القرشى ----- ۳۵۹
أبوطالب والحصار فى الشعب ----- ۳۶۰
الصحيفه و ماآلت إليه ----- ۳۶۰

أبوطالب يستحث قومه ----- ۳۶۵
الوصیه الأخیره ----- ۳۶۵
وفاه أبی طالب ----- ۳۶۸
أبا طالب عصمه المستجیر ----- ۳۷۰
ممّا قالوا ----- ۳۷۲
أبوطالب ضحیّه مؤامره قذره! ----- ۳۷۳
بدایتها: ----- ۳۷۳
إنَّ هذا لشی عجاب ----- ۳۷۷
إذ یتنازعون بینهم أمرهم ----- ۳۷۸
وإن تعجب فعجب قولهم ----- ۳۷۹
أین تقف روایه ابن سعد؟! ----- ۳۸۰
إذن ----- ۳۸۰
و ختاماً ----- ۳۸۱
الکتب العربیه المطبوعه : ----- ۳۸۱
ومن الکتب العربیه المخطوطه : ----- ۳۸۴
(۱۵) سعد بن معاذ ----- ۳۹۳
اشاره ----- ۳۹۳
قصّه إسلامه (رجل أسلم فأسلم معه قومه) ----- ۳۹۵
مناقب و صفات ----- ۳۹۷
سعد وحبّه لأهل البیت: ----- ۳۹۹
ابن معاذ ، موضع مشوره النبیّ (ص) ----- ۴۰۱
موقفه الواعی من أسری بدر ----- ۴۰۳
سعد و معرکه اُحد ----- ۴۰۴
سعد و الأحزاب ----- ۴۰۶
دعاء مستجاب ----- ۴۰۷
الجزاء العادل ----- ۴۰۸

خيانتهم ----- ۴۱۰

رحيله رضوان الله عليه ----- ۴۱۳

(۱۶) جابر بن عبدالله الأنصاری ----- ۴۲۲

اشاره ----- ۴۲۲

بيعته ----- ۴۲۴

معركه الخندق فی أحاديثه ----- ۴۲۷

شاه و مُدٌّ من شعير ----- ۴۲۷

من دعاء رسول الله (ص) يوم الأحزاب ----- ۴۳۱

آيات قرآنيه ----- ۴۳۲

ستُدرِک رجلاً...! ----- ۴۳۳

يأتيه يتعلّم منه ----- ۴۳۵

جابر و علماء الرجال ----- ۴۳۷

و عن ولائه لأهل البيت: قال بعض علماء الرجال ----- ۴۳۸

فی أسباب النزول ----- ۴۳۸

ممّا علّمه رسول الله (ص) ----- ۴۴۱

علمه ----- ۴۴۲

بعض مارواه ----- ۴۴۳

أحاديث الشفاعه عند أهل السنّه ----- ۴۴۴

فی المتعه ----- ۴۴۵

و عن حرمه القتال فی الشهر الحرام ----- ۴۴۵

و فی قتل الحر والعبد ----- ۴۴۶

ممّا قاله ورواه أيضاً ----- ۴۴۶

من مواقفه ----- ۴۴۷

ولاؤه لعلیّ و لأهل البيت: ----- ۴۴۸

أوّل زائر ----- ۴۴۸

وفاته رضوان الله عليه ----- ۴۵۱

(۱۷) عبدالله بن رواحه ---- ۴۵۳
اشاره ---- ۴۵۳
إسلامه ---- ۴۵۵
و مّاقاله رسول الله (ص) فيه ---- ۴۵۸
ابن رواحه و آيات قرآنيه ---- ۴۵۹
ابن رواحه ثالث ثلاثه شعراء ---- ۴۶۱
هذا لعمرى من معاريض الكلام... ---- ۴۶۶
ابن رواحه فى عمره القضاء ---- ۴۷۰
من حكمه رضوان الله عليه ---- ۴۷۴
موقفان لابن رواحه مع يهود خيبر ---- ۴۷۵
ابن رواحه ثالث ثلاثه أمراء! ---- ۴۷۶
«هى إن شاء الله الشهاده!» ---- ۴۷۶
(۱۸) خزيمه بن ثابت الأنصارى، ذو الشهادتين ---- ۴۹۳
اشاره ---- ۴۹۳
نسبه ---- ۴۹۴
ذو الشهادتين! ---- ۴۹۶
وافتخر الأنصار! ---- ۴۹۸
رؤيا خزيمه! ---- ۵۰۰
جمع القرآن ---- ۵۰۱
مما رواه ---- ۵۰۲
ولاؤه للإمام على (ع) ولأهل البيت (عليهم السلام) ---- ۵۰۳
روايته لحديث الثقلين ---- ۵۰۳
هم الأئمه ---- ۵۰۴
أذكر علياً وآله ---- ۵۰۵
من أوائل المبايعين ---- ۵۰۶
فى معركه الجمل ---- ۵۰۸

ذو الشهادتين وابن الحنفيه ۵۰۸
شعره يوم الجمل ۵۰۹
ذو الشهادتين وأم المؤمنين ۵۱۱
فی معرکه صفين ۵۱۱
الإمام علی (ع) يندب إخوانه ويطری عليهم ومنهم ذو الشهادتين ۵۱۸
ذو الشهادتين فی کتب علماء الرجال ۵۲۰
وختاماً ۵۲۲
(۱۹) حذيفه بن اليمان ۵۲۴
اشاره ۵۲۴
نسبه ۵۲۴
اليمان ۵۲۵
إسلام حذيفه ۵۲۵
المؤاخاه الواعيه ۵۲۶
جهاد ومواقف واعيه ۵۲۷
لم يشهد بدراً! ۵۲۸
شهد معرکه أحد ۵۲۸
و شهد حذيفه معرکه الأحزاب ۵۳۰
معرکه نهاوند وفتوحاته الأخری ۵۳۶
فراسته ۵۳۷
حذيفه ودرس الصدقات ۵۳۸
ولاؤه و حبه لأهل البيت: ۵۳۸
مماروٰه ۵۴۰
ومما قاله ۵۴۴
اختياره الکوفه! ۵۴۵
ولايته علی المدائن ۵۴۶
کلمات من نور ۵۴۸

(۲۰) سلمان الفارسی ---------- ۵۵۴
اشاره ---------- ۵۵۴
اسمه ونسبه ---------- ۵۵۶
قصّه إسلامه ---------- ۵۵۶
زوجته ---------- ۵۶۳
أولاده: ---------- ۵۶۴
سیرته وفضائله ---------- ۵۶۵
أخلاقه ---------- ۵۷۱
مواعظه وحکمه ---------- ۵۷۲
شعره ---------- ۵۷۴
خطبه ---------- ۵۷۴
مانزل فیه من القرآن ---------- ۵۷۹
مالقیه من أذی الآخرین ---------- ۵۸۱
وفاته ومدفنه ---------- ۵۸۴
(۲۱) أسماء بنت عمیس ---------- ۵۸۶
اشاره ---------- ۵۸۶
نسبها ---------- ۵۸۷
زواجها ---------- ۵۸۸
أسماء ، فی بلاد الهجره الأولی ---------- ۵۸۹
هجرتها الثانیه ---------- ۵۹۱
هی و الخلیفه الثانی ---------- ۵۹۱
الامتحان الکبیر ---------- ۵۹۳
وفاؤها لفاطمه الزهراء (علیها السلام) ---------- ۵۹۶
تذکیر مهم ---------- ۵۹۷
مع الإمامه ---------- ۶۰۰
(۲۲) مصعب بن عمیر ---------- ۶۰۳

اشاره ---------- ۶۰۳
يقولون عنه ---------- ۶۰۴
مصعب وأمه ---------- ۶۰۶
أجابته غاضبه ---------- ۶۰۷
هجرته ---------- ۶۰۸
سفير الرسول والرساله ---------- ۶۱۲
إمامه مصعب لصلاه الجمعه ---------- ۶۱۷
الموسم التالى ---------- ۶۱۸
المؤاخاه ---------- ۶۲۰
معركه بدر ---------- ۶۲۰
موقفه من أخيه ---------- ۶۲۱
غزوه أحد ---------- ۶۲۲
وختمت فتوته بالشهاده ---------- ۶۲۳
(۲۳) أبوسعيد الخدرى ---------- ۶۲۸
اشاره ---------- ۶۲۸
ممن شهد بيعه الرضوان ---------- ۶۲۹
يوم أحد ---------- ۶۳۰
ابن الشهيد! ---------- ۶۳۰
عفته وطاعته!! ---------- ۶۳۳
جرأته فى الحق!! ---------- ۶۳۴
ما حدث له فى واقعه الحره ---------- ۶۳۶
مما قاله علماء الرجال فى توثيقه وعلمه واستقامته ---------- ۶۳۷
ملاحظه مهمه ---------- ۶۳۹
حبه وولاؤه لأئمه أهل البيت النبوى: ---------- ۶۴۱
نأتى الآن إلى أحاديث أخرى ---------- ۶۴۵
حديث الثقلين ---------- ۶۴۵

آیه التطهیر و حدیث الکساء ----- ۶۴۶
حدیث المنزله ----- ۶۴۷
سفینه نوح ----- ۶۴۷
معرفه المنافقین ----- ۶۴۸
خاصف النعل ----- ۶۴۸
یوم الغدیر ----- ۶۴۹
الرایه ----- ۶۵۰
ولایه علی (ع) ----- ۶۵۲
حمل الحدیث ----- ۶۵۲
ثواب صلاه الجماعه ----- ۶۵۳
المرأه تسأل ----- ۶۵۵
وفاته ----- ۶۵۶
(۲۴) اُبیّ بن کعب ----- ۶۵۷
اشاره ----- ۶۵۷
«لیَهْنِکَ العِلْمَ أبا المنذر» حدیث شریف ----- ۶۵۷
إسلامه ----- ۶۵۸
المؤاخاه ----- ۶۵۹
أبی مجاهداً ----- ۶۶۰
اُبَیّ قرآنیاً ----- ۶۶۰
أبیّ کاتباً ----- ۶۶۳
أبیّ جامعاً للقرآن ----- ۶۶۴
أبیّ قارئاً ----- ۶۶۵
أبیّ مفسراً ----- ۶۶۵
هل کان أبیّ حبراً؟ ----- ۶۶۶
منهجه فی التفسیر ----- ۶۶۷
نماذج من تفسیره: ----- ۶۶۸

تفسير القرآن بالقرآن ---------- ۶۶۸
آيات ذات موضوع واحد ---------- ۶۶۸
التفسير بالمأثور ---------- ۶۶۹
التفسير بالاجتهاد ---------- ۶۷۰
معرفه أبىّ بالقراءات ---------- ۶۷۰
معرفه أبىّ بأسباب النزول ---------- ۶۷۱
ولأبىّ بن كعب أيضاً ---------- ۶۷۱
أبىّ عالماً ---------- ۶۷۲
قصه الخضر وموسى ---------- ۶۷۳
أبىّ فى كتب الرجال ---------- ۶۷۵
رجال الطوسى ---------- ۶۷۵
معجم رجال الحديث ---------- ۶۷۶
ولاؤه لأهل البيت: ---------- ۶۷۷
من روى عنه ---------- ۶۷۸
من مروياته ---------- ۶۷۹
زهده و ورعه و تقواه ---------- ۶۷۹
وقعه الجابيه ---------- ۶۸۱
أقواله و وصاياه ---------- ۶۸۲
رافقته الحمى! ---------- ۶۸۳
سأل أبىّ الرسول (ص) جزاء الحمَّى؟ ---------- ۶۸۴
وفاته رضوان الله تعالى عليه ---------- ۶۸۵
(۲۵) أبو رافع، مولى رسول الله۹ ---------- ۶۸۶
اشاره ---------- ۶۸۶
تمهيد ---------- ۶۸۶
حبه وولاؤه للإمام على (ع) ---------- ۶۸۸
هاجر الهجرتين ---------- ۶۹۰

وضحک النبی (ص) ---------- ۶۹۰
معاناته ---------- ۶۹۱
أبو رافع وعلماء الرجال ---------- ۶۹۲
آثاره العلميه ومروياته ---------- ۶۹۶
و من مروياته ---------- ۶۹۶
أمّ الفضل و أبيلهب ---------- ۷۰۰
أبولهب يموت كمداً! ---------- ۷۰۰
الذراع ---------- ۷۰۱
أنت أول من ---------- ۷۰۲
عن خيبر ---------- ۷۰۳
إلا كان له من أمته ---------- ۷۰۳
استحباب التأذين ---------- ۷۰۴
وفاته ---------- ۷۰۴
تعريف مركز ---------- ۷۰۵

شخصیات من الحرمین الشریفین: مجموعه من الباحثین

اشاره

عنوان و نام پدیدآور : شخصیات من الحرمین الشریفین: مجموعه من الباحثین/ گردآورنده مرکز تحقیقات حج.

مشخصات نشر : تهران: نشر مشعر، ۱۳۹۰.

مشخصات ظاهری : ۶۳۹ ص.

شابک : ۹۷۸-۹۶۴-۵۴۰-۳۴۰-۷

وضعیت فهرست نویسی : فیپا

یادداشت : کتابنامه به صورت زیرنویس.

موضوع : صحابه -- سرگذشتنامه

موضوع : مسلمانان -- عربستان سعودی-- سرگذشتنامه

موضوع : اسلام -- سرگذشتنامه

موضوع : شیعه -- سرگذشتنامه

شناسه افزوده : حوزه نمایندگی ولی فقیه در امور حج و زیارت. مرکز تحقیقات حج

رده بندی کنگره : BP۲۸/۶/ش۳ ۱۳۹۰

رده بندی دیویی : ۲۹۷/۹۴

شماره کتابشناسی ملی : ۲۵۰۸۸۴۳

ص: ۱

اشاره

مقدمه

ظـاهره الحـجّ من أعظم مظاهر الحياه الاجتماعيه للمسـلمين، يغبطهم عليها مَن سواهم، وهى ظاهره وإن بـدأت من البُعـد العبادى والعرفانى فى علاقه الإنسان بربّه وخالقه، لكنّها لم تقف عند هذا الحدّ، بل راحت تواصل طريقها - بقوّه واسـتحكام - لتلج عمق الحياه السياسيه والاجتماعيّه والثقافيّه والفكريّه للمسلمين، فتشكّل نتيجه ذلك ظاهرهً فاعلهً فى الحياه الإسلاميه.

من هنـا، يجب على البـاحثين والمفكّرين وعلماء الـدين ورجال الإصـلاح الاجتماعى فى بلاد المسـلمين أن يحلّلوا هـذه الظاهره دوماً ويدرسوها بعمق وعلميه، بغيه توظيف هذه الفريضه الإلهيه لما فيه الخير والأحسن والأصلح للمسلمين جميعاً.

وفى هـذا السـياق، جـاءت مجلّه «ميقـات الحـجّ» لبنهً فى هـذا السبيـل؛ ليُساهم فيها العلماء والمفكرون والكتّاب، فتتظافر أفكارهم وأقلامهم لرفـد مسـيرتها، وتكـون منتـدًى للحـوار والتـدارس، ومسـرحاً للبحث والتحقيق، متعـاليهً عن الطـائفيه البغيضه، والحقد الأعمى، معتمدهً المنطق العلمى الرصين فى نشر دعوه الإسلام ورساله الحجّ وشعار مكّه.

ولكى تسـتكمل «ميقـات الحـج» طريقهـا، تزفّ إلى قرائهـا سلسـله «كتـاب مجلهميقات الحـج» ، تجمع فيه ما تمحور من مقالاتها وبحوثها على شىءٍ واحد، ليكون مادهً هامّهً، ومصدراً مُيسّراًللمراجعين والقرّاء.

وعلى هذا الأساس، وببركات الحج والحرمين الشريفين، انطلقت الحلقه الأولى منها

مختصةً بالمجال التراثی، تحت عنوان: «معجم ما ألّف فی الحجّ» للکاتب المعروف الدکتور عبدالجبار الرفاعی.

فالحلقه الثانیه جاءت بتأملات ورؤی فی مناسک الحج والعمره، وهی: «فی ضیافه الرحمن» لسماحه آیه الله الشیخ مهدی الآصفی.

والحلقه الثالثه منها حظیت بالمجال المعنوی والعرفانی للحج والزیاره، وکان عنوانها: «الحج رموز وحِکم» لسماحه آیه الله الشیخ عبدالله جوادی آملی.

وها هی الحلقه الرابعه، وقد انفردت ب- «شخصیّات من الحرمین الشریفین» ؛ تقدمها مجلّه میقات الحجّ لقارئها الکریم، وهی تأمل منه دوماً أن یمدّها بما تجود به أفکاره، ویسطّره یراعه، وأن یتحفها بملاحظاته النقدیه المفیده والبنّاءه. . ومن الله نستمدّ العون إنّه خیر ناصر ومعین.

مجله «میقات الحج»

(۱) عثمان بن مظعون

اشاره

فارس تبریزیان الحسّون (قدس سره)

إنّ الـذی حرّضـنی علی انتخاب هـذا الموضوع والکتابه عنه جهات عدیده، أهمّها شُـبههٌ وُجّهت - ولا تزال توجّه - إلی الشـیعه: بأنّهم لا یحترمون صـحابه رسول الله (ص) ، ویقعون فیهم سبّاً وطعناً. وهذه الشبهه لا أساس لها من الصحه، فإنّ الشیعه تضع وافر احترامها فی صـحابه رسول الله (ص) وتعظّمهم، وتقتـدی بهم، وتجعلهم مناراً تسـتنیر به، أولئک الذین لم یرتدّوا ولـم یبدّلوا ولم یبدعوا فی الدین وبقوا علی منهج النبیّ (ص)

فالشـیعه تجری قواعـد الجرح والتعـدیل علی الجمیع حتّی الصـحابه، فمن کان منهم علی دین محمّد (ص) ومات وهو علی یقین من أمره، ولم یشک فی دینه، فتجعله فی أعلی القمم، وتقتدی به، ومن أبدع وشکّ فی نبیّه ودینه وبدّل وغیّر، فالشـیعه وکلّ حرّ جعل العقل امامه، یرفضه وینبذه ولایقتدی به، لأنه إذا اقتدی به اقتدی ببدعته وضلاله وشکّه.

وأمّا ما روی من أحادیث عن النبی (ص) أصـحابی کالنجوم بأیّهم اقتدیتم اهتدیتم، واحفظونی فی أصحابی، ولا تسبّوا أصحابی. و. . . فهی أحادیث ضعیفه السند، غیر قابله للاعتماد علیها، ومع فرض صحّه سندها، فإنّها محموله علی الأصحاب الذین بقوا علی

الدين، والتزموا بشرائط الصحبه، لا أولئک الذين بدّلوا وغيّروا وأبدعوا. . . ، وحاشا لرسول الله (ص) أن يأمر أمّته باتباع مَن أبدع وغيّر، وشکّ فی دينه، لمجرّد أنه صحابی.

والقرآن والحديث شاهدان على هذا المطلب، وهو ليس کلّ صحابی وکلّ من له صحبه مع الرسول (ص) يجب الاقتداء به واحترامه:

قال تعالى: إِنَّ الَّذِينَ يُبايِعُونَکَ إِنَّما يُبايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَکَثَ فَإِنَّما يَنْکُثُ عَلى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفى بِما عاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً . (١)

وقال تعالى: . . . وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَهِ مَرَدُوا عَلَى النِّفاقِ لا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلى عَذابٍ عَظِيمٍ . (٢)

وقال تعالى: إِذا جاءَکَ الْمُنافِقُونَ قالُوا نَشْهَدُ إِنَّکَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّکَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنافِقِينَ لَکاذِبُونَ * اتَّخَذُوا أَيْمانَهُمْ جُنَّهً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ ساءَ ما کانُوا يَعْمَلُونَ * ذلِکَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ کَفَرُوا فَطُبِعَ عَلى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَفْقَهُونَ . (٣)

إلى غير ذلک من الآيات الکريمه، الداله على أنّ فی الأصحاب منافقين وغير مؤمنين بالله ولابرسوله.

وأما الأحاديث فکثيره جدّاً، منها:

قوله (ص) فی خطبه حجّه الوداع:

«فلا ترجعوا بعدی کفاراً يضرب بعضکم رقاب بعض» . (۴)

وقوله (ص) :

«أنا فرطکم على الحوض، ليرفعن إلیّ رجال منکم، حتّى إذا أهويتُ لأناولهم اختلجوا دونی، فأقول: أی ربی أصحابی! يقول: لا تدری ما أحدثوا بعدک» . (۵)

وقوله (ص) :

«إنّی أيّها الناس فرطکم على الحوض، فإذا جئت قام رجال، فقال هذا:

١- الفتح ۴٨:١٠.

٢- التوبه ٩:١٠١.

٣- المنافقون ۶٣:١ - ٣.

۴- صحیح البخاری، ۹:۹۱، کتاب الفتن، وذکر أحادیث کثیره بهذا المعنی.

۵- المصدر نفسه، ۹:۸۷

يارسول الله أنا فلان، وقال هذا: يا رسول الله أنا فلان، وقال هذا: يا رسول الله أنا فلان، فأقول: قد عرفتكم، ولكنّكم أحدثتم بعدى ورجعتم القهقرى» . (١)

وقوله (ص) لشهداء أحد:

«هؤلاء أشهد عليهم، فقال أبو بكر: ألسنا يا رسول الله إخوانهم، أسلمنا كما أسلموا وجاهدنا كما جاهدوا؟ ! فقال رسول الله (ص) : بلى، ولكن لاأدرى ما تحدثون بع

دى! ! !» . (٢)

فالشيعه تقتدى بالصحابه الصلحاء المتّقين، الذين آمنوا بالله ورسوله وماتوا وهم على يقين مما هم عليه، كعثمان بن مظعون الذى عقدنا لأجله هذه الرساله الوجيزه، حتّى نتعرّف على جوانب من حياته، ونجعلها قدوه نقتدى بها.

فإنّ الشيعه مطبقه على عدالته ووثاقته، وجعله فى أعلى مرتبه الصالحين والمتقين، ومن الذين أبلوا بلاءً حسناً فى صدر الإسلام، وجاهدوا بكلّ ما لديهم من قوّه لأجل إعلاء كلمه الإسلام، حتى قال الشيخ المامقانى: فالرجل فوق مرتبه الوثاقه والعداله. (٣)

وحاولت فى هذه الرساله أن أعتمد على مصادر الفريقين، ليخرج البحث متكاملاً.

إسمه ونسبه وصفته

عثمان بن مظعون - بالظاء المعجمه - بن حبيب بن وهب بن حذافه بن جمح بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤى بن غالب، الجُمحى القرشى، ويكنّى أبا السائب. (۴)

وكان شديد الأدمه، ليس بالقصير ولا بالطويل، كبير اللحيه، عريضها. (۵)

١- المستدرك، ۴:٧۴ - ٧۵، وقال بعد ذكره للحديث: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

٢- الموطّأ، ٢:۴۶٢، كتاب الجهاد، الحديث ٣٢.

٣- تنقيح المقال، ٢:٢۴٩.

۴- أسد الغابه، ٣:۵٩٨ - الإصابه، ٢:۴۶۴ - الاستيعاب، ٣:١٠۵٣ - العقد الثمين، ۶:۴٩ - تهذيب الأسماء واللغات، ١:٣٢۶ - معجم الشعراء: ٢۵۴ - المعرفه والتاريخ، ١:٢٧٢ - التاريخ الكبير، ۶:٢١٠ - سير أعلام النبلاء، ١:١۵٣ - المنتظم، ٣:١٩٠.

۵- سير أعلام النبلاء، ١:١۶٠ - الطبقات، ٣:۴٠٠.

وقیل: کان عثمان بن مظعون أخا النبی (ص) من الرضاعه. (۱)

ولادته

ولد فی عصر ملؤه الجهل وانحطاط القیم الإنسانیّه، فی عصر کان یسوده الظلم والجور، وعدم مراعاه حقوق الإنسان، لکنه - رضوان الله علیه - لم ینخرط فی سلک أهل عصره، بل جعل عقله قائده وراشده، وسلک فی حیاته مسلک العقلاء والحکماء، حتّی قیل: إنه کان من حکماء العرب فی الجاهلیه. (۲)

تحریمه الخمر فی الجاهلیّه

وممّا یدلّ علی حکمته قبل الإسلام، وسموّ عقله، ما اتفق علیه أصحاب السیر والتاریخ من أنه حرّم الخمر علی نفسه فی الجاهلیه وقال:

لا أشرب شراباً یذهب عقلی، ویضحک بی مَن هو أدنی منّی، ویحملنی علی أن أنکح کریمتی، أو: ویحملنی علی أن أُنکح کریمتی مَن لاأرید.

وقیل: إنه لمّا حرّمت الخمر، أتی وهو بالعوالی، فقیل له: یا عثمان قد حرّمت الخمر، فقال: تبّاً لها، قد کان بصری فیها ثاقباً. (۳)

وتنظّر البعض فی ذیل الکلام، وهو: وقیل إنه لمّا حرّمت الخمر أتی وهو بالعوالی. . . ، وذکروا وجه النظر بأنّ آیه التحریم نزلت بعد وفاه عثمان.

وأقول: عند أکثر أهل السنه أنّ الآیه الثالثه فی تحریم الخمر تدلّ علی التحریم، والآیه الأولی والثانیه لایستفاد منهما التحریم، وعند الشیعه أنّ الآیه الأولی تدل علی التحریم، والثانیه والثالثه مؤکدتان للحکم، فلعلّ القول بأنه لما حرّمت الخمر قیل لعثمان: یاعثمان

۱- تنقیح المقال، ۲:۲۴۹، نقلا عن المولی الوحید.

۲- الأعلام، ۴:۲۱۴.

۳- أسد الغابه، ۳:۵۹۹ - العقد الثمین، ۶:۴۹ - تهذیب الأسماء واللغات، ۱:۳۲۶؛ سیر أعلام النبلاء، ۱:۱۵۵ - الطبقات، ۳:۳۹۳ - ۳۹۴ - غربال الزمان: ۱۳ - شذرات الذهب، ۱:۹ - الاستیعاب، ۳:۱۰۵۴ - المنتظم، ۳:۱۹۰.

قد حرّمت الخمر فقال: . . . ، ناظر إلى الآيه الأولى، والله العالم.

ومع اتفاق كلّ المصادر على أنّ عثمان بن مظعون حرّم على نفسه الخمر فى الجاهليه، فقد أخرج ابن المنذر، عن سعيد ابن جبير قال: لمّا نزلت: يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِما إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنافِعُ لِلنَّاسِ. . . شربها قوم لقوله: وَمَنافِعُ لِلنَّاسِ ، وتركها قوم لقوله: إِثْمٌ كَبِيرٌ ، منهم: عثمان بن مظعون. . . وهذا افتراء صريح على هذا الصحابى الجليل، فإنه متى شربها حتّى تركها؟ (١)

وهذا – أيضاً – يدلّ على أنّ أول آيه فى الخمر – وهى: يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ – نزلت فى حياه عثمان، وهى دالّه على التحريم فى نظر الشيعه.

التسميه بعثمان

ولسموّ مرتبه عثمان بن مظعون وقربه من الله – تعالى – ونبيّه (ص) ، ومكانته العاليه فى قلوب المؤمنين، سمّى الكثير من الأولياء والصلحاء أولادهم ب– (عثمان) ; لشدّه تعلّقهم بعثمان بن مظعون ومحبتهم له وإحياءً لذكراه.

ذكر الثقفى فى تاريخه، عن هبيره بن مريم، قال: كنّا جلوساً عند على (ع) ، فدعا ابنه عثمان، فقال له: يا عثمان، ثمّ قال: إنى لم اسمّه باسم عثمان. . . ، إنّما سمّيته باسم عثمان بن مظعون. (٢)

وفى زياره الناحيه المقدسه: السلام على عثمان ابن أمير المؤمنين سميّ عثمان بن مظعون. (٣)

وروى – أيضاً – عن عليّ (ع) أنّه قال: إنّما سمّيته باسم أخى عثمان بن مظعون. (۴)

١– راجع: الغدير، ۶:٢۵٣.

٢– تقريب المعارف: ۵٢، نقلا عن تاريخ الثقفى.

٣– البحار، ١٠١:٢٧٠، نقلا عن الاقبال ومزار المفيد والسيّد.

۴– مقاتل الطالبيين: ۵٨ – وعنه فى البحار، ۴۵:٣٨.

اُسرته

أمّه: سُخيله بنت العنبس بن وهبان - أهبان - بن وهب بن حذافه بن جمح.

وإخوته: عبد الله بن مظعون، توفى سنه ۳۰ه، وقدامه بن مظعون، مات سنه ۳۶ه.

وأولاده: السائب، وعبد الرحمن، أمّهما خوله بنت حكيم.

وزوجته: خوله بنت حكيم بن أميه بن حارثه الأوقص السُّلميّه، ويقال لها: خُوَيلَه.

وهی الّتی قالت لرسول الله (ص) بعد وفاه خدیجه: یا رسول الله، ألا تتزوّج؟ قال: مَن؟ قالت: إن شئت بکراً، وإن شئت ثیباً، قال: فمن البکر؟ قالت: بنت أبی بکر، قال: ومَن الثیب؟ قالت: سوده بنت زمعه، قد آمنت بک واتبعتک علی ما تقول. . . قال: فاذهبی فاذکریهما علیّ، فذهبت إلی أبویهما وخطبتهما، فقبلا وتزوّجهما. (۱)

وروت خوله عدّه أحادیث عن رسول الله (ص) (۲)وذکر أنها إحدی خالات النبی (ص) (۳)

إسلامه

وأسلم عثمان بن مظعون بعد ثلاثه عشر رجلاً انطلق هو وجماعه حتّی أتوا رسول الله (ص) ، فعرض علیهم الإسلام وأنبأهم بشرائعه، فأسلموا جمیعاً، وذلک قبل دخول رسول الله (ص) دار الأرقم وقبل أن یدعو فیها. (۴)

وروی أنّ عثمان بن مظعون قال: نزلت آیه: إِنَّ اللَّهَ یَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسانِ علی النبیّ (ص) وأنا عنده، وذکر أنّه شاهد رسول الله (ص) علی غیر حالته الطبیعیه، فلمّا سأله: یارسول الله (ص) ما رأیتک فعلت الّذی فعلت الیوم، ما حالک؟ قال رسول الله (ص) : ولقد

۱- الطبقات، ۳۹۳:۳ و ۴۰۰ - ۴۰۲ - الاستیعاب، ۱۰۵۳:۳ - اسد الغابه، ۵۹۸:۳ - المنتقی فی مولود المصطفی للکازرونی: ۶۵ - وعنه فی البحار، ۲۳:۱۹ - مسند أحمد، ۲۱۰:۶ - ۲۱۱.

۲- مسند احمد، ۴۰۹:۶ - ۴۱۰.

۳- المصدر نفسه، ۴۰۹:۶.

۴- أسد الغابه، ۵۹۸:۳ - الإصابه، ۴۶۴:۲ - الاستیعاب، ۱۰۵۳:۳ - سیر أعلام النبلاء، ۱۵۵:۱ - الطبقات، ۳۹۳:۳ - تهذیب الأسماء واللغات، ۳۲۶:۱ - العقد الثمین، ۴۹:۶.

رأیتَه؟ فأجابه عثمان: نعم، قال رسول الله: ذاک جبرئیل لم یکن لی همّه غیره، ثم تلا علیه رسول الله (ص) ما أنزل علیه.

قـال عثمـان: فقمت من عنـد رسول الله (ص) معجباًبالّـذی رأیت، فـأتیت أبا طالب وقرأتُ ما أوحی إلی النبیّ، فعجب أبو طالب، وقال: یا آل غالب اتبعوه ترشدوا وتفلحوا، فو الله مایدعو إلاّ إلی مکارم الأخلاق. . .

وروی أیضـاً: أنّ عثمان قال: کان أول إسـلامی حبّاً من رسول الله (ص) ، ثمّ تحقق ذلک الیوم لمّا شاهـدت الوحی إلیه، واسـتقرّ الإیمان فی قلبی. (۱)

الآیات النازله فی عثمان

۱ - وَاسْتَعِینُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاهِ وَإِنَّها لَکَبِیرَهٌ إِلاَّ عَلَی الْخاشِعِینَ * الَّذِینَ یَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَیْهِ راجِعُونَ . (۲)

قوله تعـالی: الَّذِینَ یَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَیْهِ راجِعُونَ نزلت فی علی (ع) وعثمان بن مظعون وعمار بن یاسـر وأصـحاب لهم. (۳)

۲ - یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا لا تُحَرِّمُوا طَیِّباتِ ما أَحَلَّ اللَّهُ لَکُمْ. . . . (۴)

نزلت فی عدّه من الصحابه، منهم: عثمان بن مظعون وعمّار بن یاسر وسلمان، حرّموا علی أنفسهم الشهوات وهمّوا بالإخصاء. (۵)

وروی: أنّ. . . وعثمان بن مظعون ونفراً من أصحاب رسول الله (ص) تعاقدوا أن یصوموا

۱- مسـند أحمد، ۱:۳۱۸ - سـعد السعود: ۱۲۲ - ۱۳۳ - وعنه فی البحـار، ۱۸:۲۶۸ - ۲۷۰ - ونقله فی البحـار أیضاً، ۲۲:۱۱۲ عن قصص الأنبیاء - المنتظم، ۳:۱۹۰.

۲- البقره، ۲:۴۵ - ۴۶.

۳- تفسیر الحبری: ۲۳۹ - شواهد التنزیل: ۱۱۵ - المناقب لابن شـهر آشوب، ۲:۹، وقـال فیه: رواه الفلکی فی إبانه ما فی التنزیل عن الکلبی عن أبی صالح عن ابن عباس.

۴- المائده، ۵:۸۷.

۵- شواهد التنزیل: ۲۳۹ و ۲۵۹ - تفسیر فرات الکوفی: ۱۳۱ - ۱۳۲ - تفسیر الحبری: ۲۶۴.

النهار، وی

قوموا اللیل، ولا یأتوا النساء، ولایأکلوا اللحم، فبلغ ذلک رسول الله، فأنزل الله تعالی: . . . (۱)

وروی عن أبی عبد الله (ع) : نزلت فی. . . . وبلال وعثمان بن مظعون، فأمّا. . . فإنّه حلف أن لا ینام باللیل أبداً إلاّ ما شاء الله، وأمّا بلال فإنه حلف أن لا یفطر بالنهار أبداً، وأمّا عثمان بن مظعون فانه حلف أن لا ینکح أبداً. . .

ولمّا أخبر النبی (ص) نادی الصلاه جامعه، فاجتمع الناس، فصعد المنبر فحمد الله وأثنی علیه ثمّ قال: ما بال أقوام یحرّمون علی أنفسهم الطیبات، ألا أنّی أنام باللیل وأنکح وأفطر بالنهار، فمن رغب عن سنّتی فلیس منّی، فقام هؤلاء فقالوا: یا رسول الله فقد حلفنا علی ذلک، فأنزل الله: لا یُؤاخِذُکُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِی أَیْمانِکُمْ وَلکِنْ یُؤاخِذُکُمْ بِما عَقَّدْتُمُ الأَیْمانَ فَکَفَّارَتُهُ إِطْعامُ عَشَرَهِ مَساکِینَ مِنْ أَوْسَطِ ما تُطْعِمُونَ أَهْلِیکُمْ أَوْ کِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِیرُ رَقَبَهٍ فَمَنْ لَمْ یَجِدْ فَصِیامُ ثَلاثَهِ أَیَّامٍ ذلِکَ کَفَّارَهُ أَیْمانِکُمْ إِذا حَلَفْتُمْ. . . . (۲)ورویت أحادیث کثیره بهذا المعنی (۳)، نکتفی منها بهذا المقدار.

۳ - لَیْسَ عَلَی الَّذِینَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ جُناحٌ فِیما طَعِمُوا إِذا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ یُحِبُّ الْمُحْسِنِینَ . (۴)

نزلت فی عدّه منهم عثمان بن مظعون، وکان عثمان قد همّ بطلاق زوجته وأن یختصی ویحرم اللحم والطیب، فردّ علیه النبی وأُنزل فی ذلک: . . . (۵)

۴ - وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَیْنِ أَحَدُهُما أَبْکَمُ لا یَقْدِرُ عَلی شَیْءٍ وَهُوَ کَلٌّ عَلی مَوْلاهُ أَیْنَما

۱- شواهد التنزیل: ۲۶۰ - کشف الغمه، ۳۱۹:۱.

۲- المائده، ۸۹:۵ - وانظر المناقب لابن شهر آشوب، ۱۰۰:۲ - ۱۰۱ - تفسیر علی بن إبراهیم القمی: ۱۶۶ - وعنه فی البحار، ۱۱۶:۷۰ - ۱۱۷ - تفسیر مجمع البیان، ۲۳۶:۳ - وعنه فی البحار، ۱۱۳:۶۵ - وراجع البحار أیضاً، ۱۱۲:۶۵ و ۱۱۳ و ۱۱۴.

۳- راجع: تفسیر البرهان، ۴۹۴:۱ - والدرّ المنثور، ۳۰۱:۲ و ۳۰۷ و ۳۰۸ و ۳۰۹ و ۳۱۰ - وتفسیر الطبری، ۷:۷ و ۸ و ۹ - ومسند أحمد، ۱۰۶:۶ و ۲۲۶.

۴- المائده، ۹۳:۵.

۵- الاستیعاب، ۱۰۵۴:۳ - العقد الثمین، ۴۹:۶.

يُوَجِّهْهُ لا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ . (۱)

قال الشيخ الطبرسی: . . . وقيل إنّ الأبكم أبی بن خلف، ومن يأمر بالعدل حمزه وعثمان بن مظعون، عن عطاء. (۲)

وصف أميرالمؤمنين (ع) لعثمان

قال أمير المؤمنين علیّ بن أبی طالب (ع) :

«كان لی فيما مضى أخ فی الله، وكان يُعظمه فی عينی صِغرُ الدنيا فی عينه، وكان خارجاً من سلطان بطنه، فلا يشتهی ما لايجد، ولايكثر إذا وجد، وكان أكثر دهره صامتاً، فإن قال بدّ القائلين ونقع غليل السائلين، وكان ضعيفاً مستضعفاً، فإن جاءَ الجِدّ فهو ليثُ غاب وصِلُّ واد، لا يدلی بحجّه حتّی يأتی قاضياً، وكان لا يلومُ أحداً على ما يجد العذر فی مثله حتّی يسمع اعتذارَه، وكان لا يشكو وجعاً إلّا عند برئه، وكان يفعل ما يقول ولايقول ما لا يفعل، وكان إذا غلب على الكلام لم يغلب على السكوت، وكان على ما يسمع أحرص منه على أن يتكلّم، وكان إذا بدهه أمران نظر أيّهما أقرب إلى الهوى فخالفه; فعليكم بهذه الأخلاق فالزموها وتنافسُوا فيها، فإن لم تستطيعوها فاعلموا أنّ أخذ القليل خيرٌ من ترك الكثير» . (۳)

والمشار إليه ب- (كان لی فيما مضى أخ فی الله) عثمان بن مظعون على أحد الأقوال، وقيل: أبوذر، وقيل: غيرهما. (۴)

ويدلّ على أنّ المراد بالأخ هنا عثمان بن مظعون ما ورد من وصف أميرالمؤمنين لعثمان بالأخ، كقوله (ع) فی وجه تسميه ولده بعثمان: إنّما سمّيته باسم أخی عثمان بن مظعون. (۵)

وكان عثمان بن مظعون من الملازمين لأميرالمؤمنين (ع) ، حتّی نشاهد أنّ اكثر الآيات

۱- النحل، ۷۶:۱۶.

۲- مجمع البيان، ۵۷۸:۶، وعنه فی البحار.

۳- نهج البلاغه، شرح محمد عبده، ۶۹:۴ - ۷۰.

۴- شرح نهج البلاغه لكمال الدين ميثم بن علی بن ميثم البحرانی، ۳۹۰:۵.

۵- مقاتل الطالبيين: ۵۸ - وعنه فی البحار، ۳۸:۴۵.

النازله فی حقّ عثمان هی فی حقّ علیّ (ع) وسائر أصحابه.

ولو کان من المقدّر أن یبقی عثمان بعد وفاه رسول الله (ص) لکنت تراه یقف موقف سلمان وأبی ذر وعمار والمقداد فی قِبال الأحداث، ولشاهدته من حواری أمیرالمؤمنین (ع)

تعذیب قریش لعثمان وهجرته وزهده

وبعد أن أسلم عثمان (قدّس الله روحه) وأعلن إسلامه، واجهته قریش بالأذی والسطوه، کما هو دیدنها مع رسول الله (ص) وأصحابه. وکانت بنو جُمح تؤذی عثمان وتضربه وهو فیهم ذو سطوه وقَدْر. (۱)

ولمّا اشتدّ أذی المشرکین علی الذین أسلموا، وفتن منهم من فتن، أذن الله سبحانه لهم بالهجره الأولی إلی أرض الحبشه، التی کانت متجراً لقریش یجدون فیها رفقاً من الرزق وأماناً. فخرجوا متسلّلین سرّاً، وأمیرهم عثمان بن مظعون، فیسّر الله لهم ساعه وصولهم إلی الساحل سفینتین للتجار، فحملوهم فیها إلی أرض الحبشه، وخرجت قریش فی أثرهم، ولمّا وصلوا البحر لم یدرکوا منهم أحداً.

ومکث عثمان بن مظعون وأصحابه فی الحبشه، حتّی بلغهم أنّ قریشاً قد أسلمت، فأقبلوا نحو مکه، وما إن اقتربوا منها حتّی عرفوا أنّ قریشاً لم تسلم، وأنها ما زالت علی عدائها لرسول الله (ص) فثقل علیهم أن یرجعوا، وتخوّفوا أن یدخلوا مکه بغیر جوار من بعض أهل مکه، فمکثوا مکانهم حتّی دخل کلّ رجل منهم بجوار من بعض أهل مکه، ودخل عثمان بن مظعون مکه بجوار الولید بن المغیره.

ولمّا رأی عثمان ما یلقی رسول الله (ص) وأصحابه من الأذی والبلاء، وهو یغدو ویروح بأمان الولید بن المغیره، قال: والله، إنّ غدوّی ورواحی آمناً بجوار رجل من أهل الشرک، وأصحابی وأهل دینی یلقون من الأذی والبلاء فی الله ما لا یصیبنی، لنقصٌ کبیر فی نفسی.

۱- شرح نهج البلاغه، ۱۳:۲۶۸.

فمضـی إلی الولیـد بن المغیره، فقال له: یا أبا عبـد شـمس، وفَت ذمّتک، وقـد کنتُ فی جوارک، وقد أحببت أن أخرج منه إلی رسول الله (ص) ، فلی به وأصحابه أسوه.

فقال الولید: فلعلک یا بن أخی أوذیتَ أو انتهکتَ؟

قال عثمان: لا، ولکن أرضی بجوار الله ولا أرید أن أستجیر بغیره.

قال: فانطلق إلی المسجد فاردد علیّ جواری علانیه کما أجرتُک علانیه.

فانطلقا، حتّی أتیا المسجد.

فقال لهم الولیـد: هـذا عثمان قد جاء یرد علیّ جواری، فقال عثمان: قد صدق، قد وجدته وفیاً کریم الجوار، ولکنی أحببت أن لا أستجیر بغیرالله، فقد رددت علیه جواره. (۱)

ومرّ عثمان بن مظعون بمجلس من قریش، ولبید بن ربیعه بن مالک بن کلاب القیسی ینشدهم: «ألا کلّ شیء ما خلا الله باطل» .

فقال عثمان: صدقت.

فقال لبید: «وکلُّ نعیم لا محاله زائلُ» .

فقال عثمان: کذبت، نعیم الجنه لا یزول أبداً.

فقال لبید: یا معشر قریش، والله ما کان یؤذی جلیسکم، فمتی حدث هذا فیکم؟

فقال رجل: إنّ هذا سفیه من سفهائنا قد فارق دیننا، فلا تجدن فی نفسک من قوله.

فردّ علیه عثمان، فقام إلیه ذلک الرجل، فلطم عینه فخضرها.

فقال الولید بن المغیره لعثمان: إن کانت عینک لغنیه عمّا أصابها، لِمَ رددت جواری؟

فقال عثمان: بل والله إنّ عینی الصحیحه لفقیره لمثل ما أصاب أختها فی الله، لا حاجه لی فی جوارک.

وفی بعض المصادر:

فقال الولید: هل لک فی جواری؟

۱- معجم الشعراء: ۲۵۴ - سير أعلام النبلاء، ۱:۱۵۵ - الطبقات، ۳:۳۹۳ - حليه الأولياء، ۱:۱۰۳ - ۱۰۵ - الإصابه، ۲:۴۶۴ - أسد الغابه، ۳:۵۹۸ - زاد المعاد، ۳:۲۳ - ۲۶ - تفسير مجمع البيان، ۳:۲۳۳ - ۲۳۴ وعنه فى البحار.

فقال عثمان: لا أرَبَ لی فی جوار أحد إلّا فی جوار الله. (۱)

ثم قال عثمان بن مظعون فیما أصیب من عینه:

فإن تک عینی فی رضا الربّ نالها

یدا ملحد فی الدین لیس بمهتد

فقد عوض الرحمن منها ثوابه

ومن یرضه الرحمن یا قوم یسعد

فإنّی وإن قلتم غویّ مضلّل

سفیه علی دین الرسول محمد

أرید بذاک الله والحقّ دیننا

علی رغم مَن یبغی علینا ویعتدی (۲)

وقال أبو طالب وقد غضب لعثمان بن مظعون حین عذّبته قریش ونالت منه :

أمَّن تذكّر دهر غیر مأمون

أصبحت مکتئباً تبکی کمحزون

أمَّن تذكّر أقوام ذوی سفه

یغشون بالظلم مَن یدعو إلی الدین

ألا ترون أذلّ الله جمعکم

أنّا غضبنا لعثمان بن مظعونِ

ونمنع الضیمَ مَن یبغی مضامتنا

بکلّ مطرد فی الکفّ مسنونِ

ومرهقات كأنّ الملح خالطها

يشفى بها الدّاء من هام المجانين

حتّى تقرّ رجال لا حلوم لها

بعد الصعوبه بالإسماح واللين

أو تؤمنوا بكتاب منزل، عجب

على نبيّ كموسى أو كذى النونِ (٣)

وذكر مثل هـذه الأبيات أبو نعيم الأصـفهانى، منسوبه إلى أميرالمؤمنين على بن أبى طالب (ع)، قالها فيما أصاب من عين عثمان بن مظعون:

أمن تذكر دهر غير مأمون

أصبحت مكتئباً تبكى كمحزون

أمن تذكر أقوام ذوى سفه

يغشون بالظلم مَن يدعو إلى الدين

لا ينتهون عن الفحشاء ما سلموا

والغدر فيهم سبيل غير مأمون

١- راجع: خزانه الأدب، ٢:٢٥٥ - ٢٥٦ - الإصابه، ٢:٤٦٤ - غربال الزمان: ١٣ - شذرات الذهب، ١:١٠ - حليه الأولياء، ١:١٠٣ - ١٠٤ - أسد الغابه، ٣:٥٩٨.

٢- حليه الأولياء، ١:١٠٤.

٣- شرح نهج البلاغه، ١٤:٧٣.

ألا ترون أقلّ الله خيرهم

أنّا غضبنا لعثمان بن مظعونِ

إذ يلطمون ولا يخشون مقلته

طعناً دراكاً وضرباً غير مأفونِ

فسوف يجزيهم إن لم يمت عجلاً

كيلاً بكيل جزاءً غير مغبونِ (١)

واشتدّ البلاء من قريش على من قدم من مهاجرى الحبشه وغيرهم، وسطت بهم عشائرهم، ولقوا منها تعنيفاً شديداً، وصعب عليها ما بلغها عن النجاشى من حسن جواره لهم، فأذن لهم رسول الله بالخروج مرّةً ثانيه إلى أرض الحبشه.

وهل خرج معهم عثمان بن مظعون؟

صرّح بهجرته - مرّه ثانيه - إلى أرض الحبشه ابن سعد بالاعتماد على روايه محمد بن إسحاق، ومحمد بن عمر، والنووى. (٢)

وفيه نظر، لأن الذين هاجروا الهجره الأولى رجعوا إلى مكه قبل الهجره النبويه، والذين هاجروا الهجره الثانيه رجعوا عام خيبر، أى بعد وفاه عثمان بن مظعون الّذى اشترك فى حرب بدر، وهى قبل خيبر. ولعل منشأ الاشتباه تصريح البعض بمهاجره عثمان الهجرتين (٣)، فحملوه على الأولى والثانيه للحبشه، والظاهر أنّ الأولى إلى الحبشه، والثانيه إلى المدينه.

وصرّح ابن الأثير الجزرى: أنّ عثمان بن مظعون هاجر إلى الحبشه هو وابنه السائب الهجرةَ الأولى مع جماعه من المسلمين، وذكر كيفيه رجوعه وما جرى له مع لبيد وقال: ثمّ هاجر عثمان إلى المدينه وشهد بدراً. (۴)

وقال البعض: قد ذكر فى هذه الهجره الثانيه جماعه ممّن شهد بدراً، فإمّا أن يكون هذا وهماً، وإمّا أن يكون لهم قدمه أخرى قبل بدر، فتكون لهم ثلاث قدمات: قدمه قبل الهجره، وقدمه قبل بدر، وقدمه عام خيبر، ولذلك قال ابن سعد وغيره: إنهم لمّا سمعوا

١- حليه الأولياء، ١:١٠۴. وذكرت الأبيات مع زياده فى الديوان المنسوب لأمير المؤمنين صفحه ٢۵۶ من المخطوطه.

٢- الطبقات، ٣:٣٩٣ - تهذيب الأسماء واللغات، ١:٣٣۶.

٣- سير أعلام النبلاء، ١:١۵۵.

۴- أسد الغابه، ٣:۵٩٨.

هجره رسول الله (ص) إلى المـدينه رجع منهم ثلاـثه وثلاـثون رجلاًـ ومن النسـاء ثمـان نسوه، فمات منهم رجلان بمكه، وحبس بمكه سبعه، وشهد بدراً منهم أربعه وعشرون رجلًا. (۱)

وعلى أيّ حال، فهجره عثمان بن مظعون من مكه إلى المـدينه أمرٌ مقطوع به، فقـد هاجر هو وأخواه قدامه وعبد الله وابنه السائب إلى المدينه، ونزلوا على عبدالله بن سلمه العجلانى، وقيل: على خذام بن وديعه. (۲)

قال الواقدى: آل مظعون ممن أوعب فى الخروج إلى الهجره رجالهم ونساؤهم، وغلقت بيوتهم بمكه. (۳)

وروى عن أمّ العلاـء، قـالت: نزل رسـول الله (ص) والمهـاجرون معه المـدينه فى الهجره، فتشـاحت الأنصـار فيهم أن ينزلوهم فى منازلهم، حتّى اقترعوا عليهم، فطار لنا عثمان بن مظعون على القرعه، تعنى: وقع فى سهمنا. (۴)

وأما زهده وقناعته بالشـىء القليل وتركه الدنيا فيدل عليه: ما روى من أنّه دخل يوماً المسجد، وعليه نمره قد تخلّلت فرقّعها بقطعه من فروه، فرقّ له رسول الله (ص) ، ورقّ أصـحابه لرقته، فقـال: كيف أنتم يغـدو أحـدكم فى حلّه ويروح فى أخرى، وتوضع بين يـديه قصـعه وترفع أخرى، وسترتم البيوت كمـا تستر الكعبه؟ قالوا: وددنا أنّ ذلك قـد كان يا رسول الله فأصـبنا الرخاء والعيش، قال: فإنّ ذلك لكائن، وأنتم اليوم خير من اُولئك. (۵)

مؤاخاته واشتراكه فى بدر

آخى رسول الله (ص) بين عثمان بن مظعون وبين أبى الهيثم بن التّيهان الأنصارى. (۶)

۱- زاد المعاد، ۳:۲۵ - ۲۶.

۲- سير أعلام النبلاء، ۱:۱۵۸ - تهذيب الأسماء واللغات، ۱:۳۲۶ - الطبقات، ۳:۳۹۵ - ۳۹۶.

۳- سير أعلام النبلاء، ۱:۱۵۸ - الطبقات، ۳:۳۹۵ - ۳۹۶.

۴- الطبقات، ۳:۳۹۶ - صحيح البخارى، ۲:۷۱.

۵- حليه الأولياء، ۱:۱۰۵.

۶- الطبقات، ۳:۳۹۶ - تهذيب الأسماء واللغات، ۱:۳۲۶.

وشـهد عثمان بن مظعون بدراً باتفاق المؤرخين. (۱)وأُسـر حنظله بن قبيصه بن حـذافه على يد عثمان بن مظعون. (۲)وقُتل أوس بن المغيره بن لوذان على يد عليّ (ع) وعثمان بن مظعون. (۳)

عثمان والروايه

كـان عثمان بن مظعون من الأوائل الّذين أسـلموا، ومن الأوائل الّـذين لبّوا نـداء ربّهم، وتوفى فى حياه رسول الله (ص) فى بادئ الإسـلام، ونال درجه عاليه بعـد وفاته بصـلاه رسول الله (ص) عليه، ولم يروِ عن رسول الله (ص) إلّا قليلًا، وذلک لعدم درکه من زمان الإسلام إلّا أوائله.

فيروى عثمان بن مظعون عن رسول الله (ص) (۴)، ورواياته عن رسول الله قليله جدّاً.

ويروى عن عثمان بن مظعون: عبدالله بن جابر (۵)، وسعد بن مسعود الکنانى (الکندى) (۶)

عبادته واجتهاده واعتزاله النساء وحياؤه

کان عثمان – رضوان الله عليه – من أشدّ الناس اجتهاداً فى العباده، يصوم النهار ويقوم الليل. ووصل به الجدّ فى العباده أنه ترک وتجنّب الشـهوات بالمره، واعتزل النساء. (۷)حتّى روى: أنّ زوجته دخلت على نسـاء النبى (ص) فرأينها سـيئه الهيئه، فقلن لها: ما لکِ؟ فما فى قريش أغنى من بعلک! قالت: ما لنا منه شىء، أمّا ليله فقائم، وأمّا نهاره فصائم. فدخل

۱– أسـد الغابه، ۳:۵۹۸ – تهـذيب الأسـماء واللغات، ۱:۳۲۶ – الطبقـات، ۳:۳۹۶ – التاريـخ الصـغير، ۱:۴۶ – المنتظـم، ۳:۱۹۰ – ومصادر أخرى کثيره جدّاً.

۲– شرح نهج البلاغه، ۱۴:۲۰۴.

۳– المصدر نفسه، ۱۴:۲۱۲.

۴– ربيع الأبرار، ۲:۲۶۵ – تهذيب الأحکام، ۴:۱۹۰، الحديث ۵۴۱.

۵– تهذيب الأحکام، ۴:۱۹۰، الحديث ۵۴۱.

۶– المصدر نفسه، ۶:۱۲۲، الحديث ۲۱۰.

۷– الاستيعاب، ۳:۱۰۵۴ – تهذيب الأسماء واللغات، ۱:۳۲۶ – أسد الغابه، ۳:۵۹۹ – العقد الثمين، ۶:۴۹ – المنتظم، ۳:۱۹۰.

النبیُّ (ص) ، فذکرن ذلک له، فلقیه النبیّ (ص) ، فقال: أمالک بی أسوه؟ قال: بأبی وأمّی وما ذاک؟ قال: تصوم النهار وتقوم اللیل؟ قال: إنّی لأفعل، قال: لا تفعل، إنّ لعینیک علیک حقّاً، وإنّ لجسدک حقّاً، وإنّ لأهلک حقّاً، فصلِّ ونمْ وصم وافطر.

وفی روایه أخری: یا عثمان لم یرسلنی الله بالرهبانیه، ولکن بعثنی بالحنیفیه السهله السمحه، أصوم وأصلی وألمس أهلی، فمن أحبّ فطرتی فلیستنّ بسنّتی، ومن سنّتی النکاح.

وفی روایه أخری قال النبیّ (ص) : إنّی آتی النساء وأفطر بالنهار وأنام اللیل، فمن رغب عن سنّتی فلیس منی، وأنزل الله - تعالی -: یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا لا تُحَرِّمُوا طَیِّباتِ ما أَحَلَّ اللَّهُ لَکُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا یُحِبُّ الْمُعْتَدِینَ * وَکُلُوا مِمَّا رَزَقَکُمُ اللَّهُ حَلالاً طَیِّباً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِی أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ (۱).

فأتتهن زوجه عثمان بعد ذلک عطرهً کأنّها عروس، فقلن لها: مه؟ قالت: أصابنا ما أصاب الناس. (۲)

وروی: أنّ عثمان قال: یا رسول الله (ص) ! لا ـ أحبّ أن تری امرأتی عورتی، قال: ولِمَ؟ قال: استحیی من ذلک، قال: إنّ الله قد جعلهالک لباساً، وجعلک لباساً لها. . . ، فلمّا أدبر قال رسول الله (ص) : إنّ ابن مظعون لحییّ ستیر. (۳)

الرهبانیه والسیاحه والتبتّل

خلق الله - سبحانه وتعالی - الإنسان لیکون نواه صالحه، وکائناً عاملاً فی کلّ نواحی الحیاه الإنسانیه، ولیس من حکمه خلق الله للإنسان أن یترهّب ویعتزل المجتمع، ویعیش

۱- المائده: ۸۷ - ۸۸.

۲- الطبقات، ۳:۳۹۴ - ۳۹۵ - سیر أعلام النبلاء، ۱:۱۵۷ - ۱۵۸ - حلیه الأولیاء، ۱:۱۰۶ - تهذیب الأسماء واللغات، ۱:۳۲۶ - مسند أحمد، ۶:۱۰۶ و ۲۲۶ - سنن الدارمی، ۲:۱۷۹، الحدیث ۲۱۶۹ - تفسیر علی بن إبراهیم القمی: ۱۶۶ - وعنه فی البحار، ۷۰:۱۱۶ - ۱۱۷ - الکافی للکلینی، ۲:۵۶ و ۵۷ - وعنه فی البحار، ۲۲:۲۶۴ - تنقیح المقال، ۲:۲۴۹.

۳- الطبقات، ۳:۳۹۴ - سیر أعلام النبلاء، ۱:۱۵۷ - تهذیب الأسماء واللغات، ۱:۳۲۶ - بحار الأنوار،۹۳:۷۳.

لوحده يعبد ربّه.

وفى بادئ الإسلام كانت فكره الرهبانيه، وترك المجتمع والملذّات الدنيويه، تدور فى خُلد بعض المتديّنين، وذلك لشدّه تديّنهم وحرصهم على العباده وترك الدنيا.

ومن الأوائل الذين فكّروا بالرهبانيه والسياحه عثمان بن مظعون - رضوان الله عليه - فإنّه أول ما أقدم عليه من عمل هو: أنه كان يقوم الليل ويصوم النهار، وترك زوجته بالمرّه، وبعدها استأذن رسول الله (ص) فى الرهبانيه والسياحه والتبتّل وطلاق زوجته والخصاء، فنهاه عن ذلك وردّه عليه. (۱)

فعن ابن شهاب: أنّ عثمان بن مظعون أراد أن يختصى ويسيح فى الأرض، فقال له رسول الله (ص) : أَليس لك فىّ أسوه حسنه؟ فأنا آتى النساء وآكل اللحم وأصوم وأفطر، إنّ خصاء أمّتى الصيام، وليس من أمّتى من خصى أو اختصى. (۲)

وروى أيضاً عن عثمان أنه قال: قلت لرسول الله (ص) : يا رسول الله! أردت أن أسألك عن أشياء، فقال: وما هى يا عثمان؟ قال: قلت: إنّى أردتُ أن أترهب، قال: لا تفعل ياعثمان، فانّ ترهّب أمّتى القعود فى المساجد، وانتظار الصلاه بعد الصلاه.

قال: فإنى أردت يا رسول الله! أن أختصى، قال (ص) : لا تفعل يا عثمان، فإنّ اختصاء أمّتى الصيام. (۳)

وروى أيضاً أنه قال لرسول الله (ص) : إنّ نفسى تحدّثنى بالسياحه وأن ألحق الجبال، قال: يا عثمان لا تفعل، فإنّ سياحه أمّتى الغزو والجهاد. (۴)

۱- أسد الغابه، ۵۹۹:۳ - الاستيعاب، ۱۵۴:۳ - سير أعلام النبلاء، ۱۵۵:۱ - الاصابه، ۴۶۴:۲ - الطبقات، ۳۹۴:۳ - مسند أحمد، ۱۷۵:۱ و ۱۷۶ و ۱۸۳ - صحيح البخارى، ۱۱۸:۶ و ۱۱۹ - سنن ابن ماجه، ۵۹۳:۱، الحديث ۱۸۴۸ - صحيح مسلم، ۱۷۶:۹ - ۱۷۷ - سنن الترمذى، ۳۹۴:۳، الحديث ۱۰۸۳ - سنن النسائى، ۵۸:۶ - سنن الدارمى، ۱۷۸:۲، الحديث ۲۱۶۷.

۲- الطبقات، ۳۹۴:۳ - سير اعلام النبلاء، ۱۵۷:۱.

۳- تهذيب الأحكام، ۱۹۰:۴ - ۱۹۱، الحديث ۵۴۱، وروى المقطع الأول فى مشكاه الأنوار: ۲۶۲ - وعنه فى البحار، ۳۸۲:۸۳.

۴- تهذيب الأحكام، ۱۲۲:۶، حديث ۲۱۰.

وروى: أنّه اتخذ بيتاً يتعبّد فيه، فأتاه النبى (ص) ، فأخذ بعضادتى البيت وقال: يا عثمان، إنّ الله لم يبعثنى بالرهبانيه – مرّتين أو ثلاثاً –، وإن خير الدين عند الله الحنيفيه السمحه. (۱)

وروى عنه – أيضاً – أنّه قال: يا رسول الله! إنى رجل تشقّ علىّ العزبه فى المغازى، أفتأذن لى فى الخصاء؟ قال: لا، ولكن عليك بالصوم، فإنه مجْفَر (محصن) (۲).

وروى عنه – أيضاً –: أنه همّ بطلاق زوجته، وأن يختصى ويحرم اللحم والطيب، فردّعليه النبى (ص) ، وأُنزل فى ذلك: لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ جُناحٌ فِيما طَعِمُوا إِذا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ . (۳)

وروى أيضاً: أنه توفى ابن لعثمان بن مظعون، فاشتدّ حزنه عليه، حتّى اتخذ داره مسجداً يتعبّد فيه، فبلغ ذلک رسول الله، فأتاه، فقال له: يا عثمان، إنّ الله تبارک وتعالى لم يكتب علينا الرهبانيّه، إنّما رهبانيه أمتى الجهاد فى سبيل الله، يا عثمان بن مظعون! للجنه ثمانيه أبواب، وللنار سبعه أبواب، فما يسرّک أن لا تأتى باباً منها إلاّ وجدت ابنک إلى جنبک آخذاً بحجزتک يشفع لک إلى ربک، قال: بلى. . . (۴)

شعره

ولم يكن عثمان من الشعراء المعروفين، لكنه كان قادراً على نظم الشعر، والذى وصل إلينا شىء منه.

وقد مرّت منه عدّه أبيات فى فصل تعذيب قريش لعثمان وهجرته. فمن شعره حينما هاجر إلى أرض الحبشه، وبلغه أنّ أميه ابن خلف شتمه، فقال:

۱– سير أعلام النبلاء، ۱:۱۵۸ – الطبقات، ۳:۳۹۵.

۲– شرح نهج البلاغه، ۱۹:۱۳۲ – التاريخ الكبير، ۶:۲۱۰ – الاستيعاب، ۳:۱۰۵۵ – الطبقات، ۳:۳۹۵ – المعرفه والتاريخ، ۱:۲۷۲ – ۲۷۳.

۳– المائده: ۹۳ – وانظر الاستيعاب، ۳:۱۰۵۴ – العقد الثمين، ۶:۴۹.

۴– أمالى الصدوق: ۴۰ – وعنه فى البحار، ۸:۱۷۰.

أتيم بن عمرو الّذى فار ضغنه

ومن دونه الشرمان والترک أجمع

أأخرجتنى من بطن مکّهَ آمناً

وألحقتنى من صرح بيضاء تقدع؟

تريش نبالاً لا يؤاتيک ريشُها

وتبرى نبالاً ريشها لک أجمع

فکيف إذا نابتک يوماً ملمه

وأسلمک الأوباش ما کنت تجمع؟ (۱)

وفاته

نصّ کثير من المؤرّخين: على أنّ عثمان بن مظعون أول من مات بالمدينه من المهاجرين. (۲)

وأمّا تاريخ وفاته، فإنّه کان بعد أن شهد بدراً، وفى تحديد تاريخ وفاته عدّه أقوال:

(أ) فى شعبان بعد سنتين ونصف من الهجره. (۳)

(ب) فى السنه الثانيه من الهجره. (۴)

(ج) بعد اثنين وعشرين شهراً من مقدم رسول الله (ص) إلى المدينه (۵)، وهذا يدلّ على أنه توفى فى أواخر سنه اثنتين.

(د) بعدمقدم رسول الله (ص) إلى المدينه بسته أشهر (۶)، وهذا إنما يکون بعد مقدمه من غزوه بدر، لأنه لم يختلف أحد فى أنه شهدها.

وذکرت أم العلاء أنّ عثمان بن مظعون اشتکى عندهم، وقالت: مرّضناه، فلمّا توفى جعلناه فى أثوابه. فدخل عليه رسول الله (ص) ، فأکب عليه يقبّله ويقول: رحمک الله يا عثمان،

۱- معجم الشعراء: ۲۵۴ - ربيع الأبرار، ۲: ۸۶۰.

۲- الإصابه، ۲:۲۶۴ - أسد الغابه، ۳:۵۹۹ - تهذيب الأسماء واللغات، ۱:۳۲۶ - الاستيعاب، ۳:۱۰۵۳ - غربال الزمان: ۳.

٣- تهـذيب الأسـماء واللغات، ١:٣٢٦ - الاستيعـاب، ٣:١٠٥٤ وفيـه على رأس ثلاـثين شـهراً مـن الهجره - العقـد الثمين، ٦:٤٩ - الطبقات، ٣:٣٩٦ - سير أعلام النبلاء، ١:١٥٩.

٤- الإصابه، ٢:٤٦٤ - أسد الغابه، ٣:٥٩٩ - الاستيعاب، ٣:١٠٥٤ - غربال الزمان: ٣ - العبر، ١:١٤ - المنتظم، ٣:١٩١.

٥- الاستيعاب، ٣:١٠٥٤ - العقد الثمين، ٦:٤٩.

٦- الاستيعاب، ٣:١٠٥٤.

ما أصبت من الدنيا ولا أصابت منك شيئاً.

وحديث تقبيل رسول الله (ص) لعثمان وهوميّت نقله الكل وبصور مختلفه، فبعض ذكر أنه قبله - بعد الغسل والتكفين - بين عينيه، والآخر ذكر أنه قبّله على خدّه. وبكى رسول الله (ص) على عثمان بن مظعون طويلًا، ودموعه تسيل على خدّ عثمان بن مظعون. (۱)

وأمّا ما روى من أنه لما مات عثمان دخل عليه النبيّ (ص) فأكبّ عليه، فرفع رأسه، فرأوا أثر البكاء، ثم جثا الثانيه، ثمّ رفع رأسه، فرأوه يبكى، ثمّ جثا الثالثه، فرفع رأسه وله شهيق، فعرفواأنّه يبكى، فبكى القوم، فقال: مه هذا من الشيطان، ثمّ قال: أستغفر الله، أباالسائب لقد خرجت منها ولم تلبّس منها بشىء. (۲)

فغير صحيح، لأنه فيه جعل البكاء من الشيطان، مع أنّه ثبت من طريق الفريقين أنّ النبى (ص) بكى على ابنه ابراهيم، وفاضت عيناه على بنت بنته، وأنه بكى على عثمان بن مظعون كما ذكرنا قبل قليل وذكرنا مصادره.

ويؤيّده أيضاً ما روى عن ابن عباس: لما ماتت ابنه لرسول الله (ص) ، قال رسول الله (ص) : ألحقى بسلفنا الخيّر عثمان بن مظعون، فبكت النساء، فجعل عمر بن الخطاب يضربهنّ بسوطه، فأخذ رسول الله بيده (ص) وقال: مهلًا يا عمر، ثم قال رسول الله (ص) : ابكين، وإيّاكنّ ونعيق الشيطان، ثم قال رسول الله (ص) : إنّه مهما كان من العين والقلب فمن الله ومن الرحمه، وما كان من اليد واللسان فمن الشيطان. (۳)

ومع ما كان عليه عثمان بن مظعون من عظيم الدرجه والسبق إلى الإيمان، فقد سمع

۱- الكافى، ۳:۱۶۱، الحديث ۶ - حليه الأولياء، ۱:۱۰۵ - ۱۰۶ - الاستيعاب، ۳:۱۰۵۳ - من لا يحضره الفقيه، ۱:۹۸، الحديث ۴۵۳ - زاد المعاد، ۱:۱۸۳ و ۵۰۲ - غربال الزمان: ۳ - مجمع الزوائد، ۹:۳۰۲ - ربيع الأبرار، ۴:۱۸۷ - أسد الغابه، ۳:۶۰۰ - مسند أحمد، ۶:۴۳ و ۵۵ - ۵۶ و ۲۰۶ - الطبقات، ۳:۱۹۰ - المنتظم، ۳:۱۹۱ - سنن ابن ماجه، ۱:۴۶۸، الحديث ۱۴۵۶ - سنن الترمذى، ۳:۳۱۴، الحديث ۹۸۹ - سنن ابى داوُد، ۳:۲۰۱، الحديث ۳۱۶۳ - تنقيح المقال، ۲:۲۴۹.

۲- مجمع الزوائد،۹:۳۰۲ - سير أعلام النبلاء، ۱:۱۵۶ - الاستيعاب، ۳:۱۰۵۵ - حليه الأولياء،۱:۱۰۵.

۳- سير أعلام النبلاء، ۱:۱۵۶ - ۱۵۷ - الطبقات، ۳:۳۹۸ - ۳۹۹ - مجمع الزوائد، ۳:۱۷ - الاستيعاب، ۳:۱۰۵۵ - ۱۰۵۶ - مسند أحمد، ۱:۲۳۷ - الطبقات، ۳:۱۹۰ - مسند أبى داود الطيالسى: ۳۵۱.

رسول الله (ص) امرأه تقول:

هنيئاً لک أبا السائب الجنه، أو: أذهب عنک أبا السائب! شهادتی علیک لقد أکرمک الله، أو طِبْ أبا السائب! نفساً إنّک فی الجنه.

فقال لها رسول الله (ص) : وما یدریک، أو ما علمک بذلک؟

فقالت: یا رسول الله أبو السائب، أو کان یا رسول الله! یصوم النهار ویصلّی اللیل، أو فارسک وصاحبک، أو: لا أدری بأبی أنت وأمی یا رسول الله، فمن.

فقال رسول الله (ص) : والله ما نعلم إلّا خیراً ثم قال: حسبک أن تقولی: کان یحب الله ورسوله، أو أجل مارأینا إلّا خیراً أنا رسول الله والله ما أدری ما یصنع بی، أو أمّا هو فقد جاءه الیقین؛ والله، إنی لأرجو الخیر، وإنی لرسول الله، وما أدری ما یفعل بی. (۱)

واختلفت المصادر فی ذکر اسم المرأه التی قالت هذا القول لرسول الله (ص) ، فبعضها ذکرت أنها زوجته أم السائب، وفی بعضها أنها أم العلاء الأنصاریه، وفی بعضها أنها أم خارجه بن زید، وفی بعضها أنها عجوز.

وکذلک اختلفت المصادر فی کیفیه وقوعها، ففی بعضها أنها قالت هذا القول وراء جنازته، وفی بعضها أنها قالت هذا القول لما وضع فی قبره، وفی بعضها لما قبر، وفی بعضها غیر هذا.

وعلی کلّ حال فإن ما قاله رسول الله (ص) لم یکن نقصاً فی درجه عثمان بن مظعون، أو تشکیکاً فیه، لأنه قرنه بنفسه، ووصفه بصفات المتقین، ولکن کان قوله (ص) تعلیماً لنا، بأنّ الإنسان مهما کثرت عبادته واتقی، لابدّ من أن یبقی بین الخوف والرجاء، ولا یجزم بأنه

من أهل الجنه ومن عباد الله المقرّبین، ویدلّ علی کراهیه جزم الإنسان بأنه

۱- سیر أعلام النبلاء، ۱:۱۵۶ - ۱۵۷ و ۱۵۹ - ۱۶۰ - الطبقات، ۳:۳۹۸ - ۳۹۹ - مجمع الزوائد، ۳:۱۷ و ۹:۳۰۲ - الاستیعاب، ۳:۱۰۵۵ - ۱۰۵۶ - التاریخ الصغیر، ۱:۴۶ - ۴۷ - حلیه الأولیاء، ۱:۱۰۴ و ۱۰۶ - تهذیب الأسماء واللغات، ۱:۳۲۶ - أسد الغابه، ۳:۶۰۰ - الطبقات، ۳:۳۹۹ - الکافی، ۳:۲۶۲، حدیث ۴۵ - مسند أحمد، ۱:۲۳۷ و ۶:۴۳۶ - الطبقات، ۳:۱۹۰ - مسند أبی داوُد الطیالسی: ۳۵۱ - صحیح البخاری، ۲:۷۱ و ۳:۱۶۴.

من أهل الجنه.

وروى عن رسول الله (ص) أنه قال: لما مرّ بجنازه عثمان بن مظعون: ذهبت ولم تلبّس منها بشيء. (۱)وروى أنه لما رفع عثمان على السرير قال النبيّ (ص) : طوباك (طوبى لک) ياعثمان، لم تلبسک الدنيا ولم تلبسها. (۲)

وتحدّث أم العلاء: بأنها رأت فى المنام لعثمان عيناً تجرى، فأخبرت رسول الله (ص) ، فقال: ذلک عمله. (۳)

وحظى عثمان بن مظعون بصلاه رسول الله (ص) عليه (۴)، وبمشاركته فى تشييعه ودفنه، فقد كان (ص) قائماً على شفير القبر الذى نزل فيه كلّ من عبد الله بن مظعون، والسائب بن عثمان بن مظعون، ومعمر بن الحارث.

ولما انتهى الدفن، قال النبى (ص) لرجل: هلمّ تلک الصخره فاجعلها عند قبر أخى أعرفه بها، أدفن إليه مَن دفنت من أهلى (أهله) ، فقام الرجل فلم يطقها، فاحتملها رسول الله (ص) حتّى شوهد بياض ساعديه، ووضعها عند قبره، وقال: هذا قبر فرطنا، وكان الحجر بمثابه العلامه.

وكان رسول الله (ص) يزور قبر عثمان بن مظعون. (۵)

واتفق أصحاب السير والتاريخ أنّ أول من دفن بالبقيع عثمان بن مظعون، إلّا نادراً ممّن ذكر أنّ أسعد بن زراره أول من دفن بالبقيع.

۱- الموطّأ، ۱:۲۴۲ - الطبقات، ۳:۳۹۶.

۲- المنتظم، ۳:۱۹۱؛ ربيع الأبرار، ۴:۱۸۷؛ كنز العمال، ۱۳:۵۲۵.

۳- أسد الغابه، ۳:۶۰۱؛ سير أعلام النبلاء،۱:۱۵۹-۱۶۰؛ التاريخ الصغير،۱:۴۶ - ۴۷؛ حليه الأولياء،۱:۱۰۴؛ تهذيب الأسماء واللغات، ۱:۳۲۶؛ صحيح البخارى، ۳:۱۶۴ و ۸:۷۴.

۴- تهذيب الأسماء واللغات، ۱:۳۲۶؛ الطبقات، ۳:۳۹۶ - ۳۹۷ وفيه أنه كبّر عليه أربع تكبيرات؛ سنن ابن ماجه، ۱:۴۸۱، حديث ۱۵۰۲ وفيه أيضاً أنه كبّر عليه أربع تكبيرات، ومصادر أخرى كثيره جدّاً.

۵- الطبقات، ۳:۳۹۹ - ۴۰۰؛ سير أعلام النبلاء،۱:۱۵۴ و ۱۵۵؛ العقد الثمين، ۶:۴۹؛ تهذيب الأسماء واللغات،۱:۳۲۶؛ الاستيعاب، ۳:۱۰۵۴؛ غربال الزمان: ۳؛ أسد الغابه،۳:۶۰۰؛ الطبقات،۳:۱۹۰؛ دعائم الاسلام،۱:۲۳۸؛ سنن ابن ماجه،۱:۴۹۸، الحديث ۱۵۶۱؛ سنن الدارمى،۳:۲۱۲، الحديث ۳۲۰۶.

ولم یکن البقیع قبل دفن عثمان مقبره، وکان یقال له: بقیع الخبخبه، وکان أکثر نباته الغرقد. (۱)

وروی أنه (ص) أمر أن یبسطعلی قبر عثمان بن مظعون ثوب، وهو أول قبر بسط علیه ثوب. (۲)

وروی أیضاً أنه (ص) رشّ قبر عثمان بن مظعون بالماء بعد أن سوّی علیه التراب. (۳)

وقیل: إنّ أول مَن تبعه إبراهیم ابن النبیّ (ص) ، فلمّـِا توفی قال رسول الله (ص) : الحق بسلفنا (بسلفک) الصالح عثمان بن مظعون، ودفن إبراهیم إلی جنب عثمان. (۴)

و لمّا ماتت ابنه لرسول الله (ص) قال رسول الله (ص) : اِلحقی بسلفنا الخیّر (الصالح) عثمان بن مظعون وأصحابه. (۵)

وکان إذا مات میّت قال النبی (ص) : قدموه علی فرطنا، نعم الفرط لأمّتی عثمان بن مظعون، فیدفن عند عثمان بن مظعون. (۶)

ولمّا توفی عثمان بن مظعون قالت زوجته:

یا عین جودی بدمع غیرممنون

۱- الإصابه،۲:۴۶۴؛ أسد الغابه،۳:۵۹۹؛ سیرأعلام النبلاء،۱:۱۵۴و۱۵۵؛ معجم الشعراء:۲۵۴؛ العقد الثمین،۶:۴۹؛ تهذیب الأسماء واللغات،۱:۳۲۶؛ الاستیعاب،۳:۱۰۵۴ - ۱۰۵۵؛ الطبقات،۳:۳۹۷؛ المستدرک،۳:۱۹۰؛ المنتقی فی مولود المصطفی، الفصل الخامس؛ وعنه فی البحار، ۱۹:۱۳۲؛ المنتظم،۳:۱۹۱.
۲- دعائم الاسلام، ۱:۲۳۸ - وعنه فی البحار، ۸۲:۲۱.
۳- دعائم الاسلام، ۱:۲۳۹ - وعنه فی البحار، ۸۲:۲۲.
۴- الاستیعاب، ۳:۱۰۵۳ - أسد الغابه، ۳:۶۰۰ - مجمع الزوائد، ۹:۳۰۲ - الإصابه، ۲:۴۶۴ - شذرات الذهب، ۱:۹ - الکافی، ۳:۲۶۳، الحدیث ۴۵ - مسند أحمد، ۱:۲۳۷ - تنقیح المقال، ۲:۲۴۹ وفیه: ألحقک الله بخلفک الصالح عثمان بن مظعون.
۵- أسد الغابه، ۳:۶۰۰ - الاستیعاب، ۳:۱۰۵۳ - مجمع الزوائد، ۹:۳۰۲ - سیر أعلام النبلاء، ۱:۱۵۶ - ۱۵۷ و ۱۶۰ - تهذیب الأسماء واللغات، ۱:۳۲۶ - الکافی، ۳:۲۴۱، الحدیث ۱۸ - الطبقات، ۳:۱۹۰ - تنقیح المقال، ۲:۲۴۹.
۶- مجمع الزوائد، ۹:۳۰۲ - الطبقات، ۳:۳۹۷ - المستدرک، ۳:۱۹۰.

وأورث القلبَ حزناً لا انقطاع له حتّى الممات فما ترقى له شونِى (۱)

المراجع:

۱ – القرآن الكريم.

۲ – الاستيعاب فى معرفه الأصحاب، ليوسف بن عبد الله بن محمّد بن عبدالبرّ، نشر مكتبه نهضه مصر ومطبعتها.

۳ – أسد الغابه فى معرفه الصحابه، لابن الأثير على بن محمد الجرزى.

۴ – الإصابه فى تمييز الصحابه، لأحمد بن على بن حجر العسقلانى، دارصادر، بيروت.

۵ – الأعلام، لخير الدين الزركلى، دار العلم للملايين، بيروت ۱۹۸۹ م.

۶ – أعلام الغدير، مراجعه وتنسيق فاضل الميلانى، دار الكتاب العربى، بيروت.

۷ – بحار الأنوار، للعلامه المجلسى، دار الكتب الإسلاميه، طهران.

۸ – التاريخ الصغير، لأبى عبد الله محمد بن إسماعيل البخارى، دار المعرفه، بيروت ۱۴۰۶ ه.

۹ – التاريخ الكبير، لإسماعيل بن إبراهيم البخارى، دار الكتب العلميه، بيروت.

۱۰ – تفسير الحبرى، للحسين بن الحكم بن مسلم الحبرى، مؤسسه آل البيت لإحياء التراث، بيروت.

۱۱ – تفسير فرات الكوفى، لأبى القاسم فرات بن إبراهيم بن فرات الكوفى، وزاره الإرشاد، طهران.

۱۲ – تقريب المعارف، للشيخ أبى الصلاح الحلبى، نسخه مخطوطه محفوظه فى المكتبه العامه لآيه الله المرعشى فى قم.

۱۳ – تنقيح المقال، للشيخ عبدالله المامقانى، نسخه مطبوعه على الحجر.

۱– الإصابه، ۴۶۴:۲ وذكر البيت الأول فقط – أسد الغابه، ۶۰۰:۳ – حليه الأولياء، ۱۰۶:۱ – العقد الثمين، ۵۰:۶ – الاستيعاب، ۱۰۵۶:۳.

۱۴- تهذیب الأحکام، للشیخ محمد بن الحسن الطوسی، دارالکتب الإسلامیه، طهران.

۱۵- تهذیب الأسماء واللغات، لأبی زکریا محیی الدین بن شرف النووی، دار الکتب العلمیه، بیروت.

۱۶ – حلیه الأولیاء، لأحمد بن عبد الله الأصبهانی، دار الکتاب العربی، بیروت.

۱۷ – خزانه الأدب، لعبد القادر بن عمر البغدادی، مکتبه الخانجی، مصر.

۱۸ – الدیوان المنسوب لأمیر المؤمنین (ع) ، نسخه خطیه بخط یاقوت المستعصمی.

۱۹ – ربیع الأبرار، لمحمد بن عمر الزمخشری، منشورات الشریف الرضی قم ۱۴۱۰ ه.

۲۰ – رجال حول الرسول، لخالد محمد خالد، دار الکتاب العربی، بیروت.

۲۱ – زاد المعاد فی هدی خیر العباد، لابن قیّم الجوزیه، مکتبه المنار، الکویت ۱۴۱۲ ه.

۲۲ – سنن ابن ماجه، للحافظ أبی عبد الله محمد بن یزید القزوینی، دار إحیاء التراث العربی، بیروت.

۲۳ – سنن أبی داود، للحافظ سلیمان بن الأشعث السجستانی، دار الفکر، بیروت.

۲۴ – سنن الترمذی، لأبی عیسی محمد بن عیسی بن سوره، دار إحیاء التراث العربی، بیروت.

۲۵ – سنن الدارمی، للحافظ عبد الله بن عبد الرحمن السمرقندی، دار الکتاب العربی، بیروت.

۲۶ – سنن النسائی بشرح الحافظ جلال الدین السیوطی، دار الفکر، بیروت.

۲۷ – سیر أعلام النبلاء، لمحمد بن أحمد الذهبی، مؤسسه الرساله، بیروت.

۲۸ – شذرات الذهب، لعبد الحیّ بن العماد الحنبلی، مکتبه القدسی، مصر.

۲۹ – شرح نهج البلاغه، لابن أبی الحدید المعتزلی، دار إحیاء الکتب العربیه.

۳۰ – شرح نهج البلاغه، لمیثم بن علی بن میثم البحرانی، الطبعه الثانیه ۱۴۰۴ه.

۳۱ – شواهد التنزیل لقواعد التفضیل، للحافظ عبید الله بن عبد الله بن أحمد المعروف

بالحاكم الحسكانی، وزاره الإرشاد، طهران.

۳۲ – صحیح البخاری، لأبی عبد الله محمد بن إسماعیل البخاری، دار الفکر، بیروت.

۳۳ – صحیح مسلم بشرح النووی، دار احیاء التراث العربی، بیروت.

۳۴ – الطبقات الکبری، لابن سعد، دار بیروت ودار صادر ۱۳۷۷ ه.

۳۵ – العِبر فی خبر من غبر، للحافظ الذهبی، معهد المخطوطات، الکویت ۱۹۶۰ م.

۳۶ – العقد الثمین فی تاریخ البلد الأمین، لمحمد بن أحمد الحسنی الفاسی، طبع القاهره ۱۳۸۶ ه.

۳۷ – الغدیر فی الکتاب والسنه والأدب، للعلامه عبد الحسین الأمینی، دار الکتب الإسلامیه، طهران.

۳۸ – غربال الزمان فی وفیات الأعیان، لیحیی بن أبی بکر العامری الیمانی، دار الخیر ۱۴۰۵ ه.

۳۹ – فهارس بحار الأنوار، مؤسسه البلاغ بیروت ۱۴۱۲ ه.

۴۰ – فهارس شرح نهج البلاغه، وضعها أسدالله اسماعیلیان، مکتبهاسماعیلیان، قم.

۴۱ – الکافی، لأبی جعفر محمد بن یعقوب الکلینی، دار الکتب الإسلامیه، طهران.

۴۲ – کنز العمال فی سنن الأقوال والأفعال، دار الکتاب الإسلامی، حلب.

۴۳ – مجمع البیان فی تفسیر القرآن، للشیخ أبی علی الفضل بن الحسن الطبرسی، دارالمعرفه، بیروت.

۴۴ – مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، لعلی بن أبی بکر الهیثمی، دار الکتاب، بیروت.

۴۵ – المستدرک علی الصحیحین، للحافظ أبی عبد الله الحاکم، دار المعرفه، بیروت.

۴۶ – مسند أبی داود الطیالسی، للحافظ سلیمان بن داود بن الجارود، دار المعرفه، بیروت.

۴۷ – مسند أحمد بن حنبل، دار صادر، بیروت.

۴۸ – معجم رجال الحدیث، للسید أبو القاسم الموسوی الخوئی، دار الزهراء، بیروت

ص: ٣٣

١۴٠٩

.ه

۴٩ – معجم الشعراء، لمحمد بن عمران المرزبانی، دار الكتب العلميه، بيروت.

۵٠ – المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوی، دار الدعوه، استانبول ١٩٨٨م.

۵١ – المعرفه والتاريخ، ليعقوب بن سفيان البسوی، مطبعه الإرشاد، بغداد.

۵٢ – المناقب، لمحمد بن علی بن شهر آشوب، انتشارات علّامه، قم.

۵٣ – المنتظم، لعبدالرحمن بن علی بن محمد بن الجوزی، دار الكتب العلميه، بيروت.

۵۴ – من لايحضره الفقيه، للشيخ محمد بن علی الصدوق، دارالكتب الإسلاميه، طهران.

۵۵ – الموطّأ، لمالك بن أنس، دار احياء التراث العربی، بيروت.

۵۶ – نقد الرجال، للسيد مصطفی الحسينی التفريشی، انتشارات الرسول المصطفی، قم.

۵٧ – نهج البلاغه، للشريف الرضی، مع تعليقات محمد عبده، مؤسسه الأعلمی، بيروت.

وراجع أيضاً من مصادر ترجمته ممّا لم ننقل عنها:

١ – صفه الصفوه.

٢ – الشعر والشعراء.

٣ – المحبر.

۴ – التحفه اللطيفه.

۵ – تاريخ الخميس.

۶ – طبقات خليفه.

٧ – تاريخ خليفه.

۸ – سیره ابن هشام.

۹ – نسب قریش.

ص: ۳۴

۱۰ – الکامل فی التاریخ.

۱۱ – تاریخ الطبری.

۱۲ – تفسیر الطبری.

۱۳ – تفسیر ابن کثیر.

۱۴ – سنن البیهقی.

۱۵ – دیوان أبی طالب.

۱۶ – مرآه العقول.

۱۷ – التعلیقه للوحید.

وغیرها من مصادر الفریقین.

***

(۲) عبدالله بن مسعود و رحله الإیمان المبارکه

محمد سلیمان

أُعرف ب- (ابن مسعود) ، اسمی عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبیب الهذلی، کنیتی أبوعبد الرحمن، وقد اختارها لی رسول الله (ص) أُمّی أمّ عبد الهذلی، کان أبی حلیفاً لبنی زهره. نشأتُ فی مکّه، وعملتُ أجیراً أرعی غنماً لعُقبه بن أبی مُعیط.

سمعتُ بدعوه رسول الله (ص) للإسلام، وکنتُ یومها غلاماً یافعاً، بعد أن قدم جمعٌ من عمومتی إلی مکه فرافقتهم، وکان فی بغیتهم شراء عطر، فأُرشدوا إلی العباس بن عبدالمطلب الذی کان جالساً عند زمزم، فجلسوا إلیه، وجلستُ معهم؛ فبینا نحن عنده إذ أقبل رجل من باب الصفا. . . علیه ثوبان أبیضان، کأنه القمر لیله البدر، یمشی علی یمینه غلام، حسنُ الوجه. . . ، تقفوهم امرأه قد سترت محاسنها، حتّی قصد الحجر فاستلمه، ثمّ استلمه الغلام واستلمته المرأه؛ طاف بالبیت سبعاً، والغلام والمرأه یطوفان معه؛ ثمّ استقبل الرکن، فرفع یدیه وکبّر، وقامت المرأه خلفهما، فرفعت یدیها وکبّرت، ثمّ رکع فأطال الرکوع، ثمّ رفع رأسه من الرکوع، فقنتَ ملیّاً، ثمّ سجد وسجد الغلام معه والمرأه، یتّبعونه، یصنعون مثلما یصنع، فرأینا شیئاً أنکرناه، لم نکن نعرفه بمکه؛ فأقبلنا علی العباس، وقلنا:

یاأباالفضل، إنّ هذا أمر لم نکن نعرفه فیکم!

قال: أجل، والله، ما تعرفون هذا؟

فقلنا: من یکون هؤلاء؟

قال: هذا ابن أخی محمد بن عبد الله، والمرأه خدیجه بنت خویلد امرأته، والغلام علیّ بن أبی طالب؛ أما والله ما علی وجه الأرض أحد نعلمه یعبد الله بهذا الدین إلاّ هؤلاء الثلاثه.

فعدتُ إلی عملی، وقد شُغلت نفسی بما رأت؛ وما هی إلاّ أیام حتّی أتیتُ النبیَّ (ص) ، وأسلمتُ علی یدیه مبکراً، فکنت من السابقین الأوّلین، حیث کنتُ سادس سته ما علی وجه الأرض مسلمٌ غیرنا.

کما کنتُ أول مَن جهر بالقرآن الکریم بعد رسول الله (ص) فی مکّه؛ قرأت منه آیات بیّنات، فراحت تدوی فی سماء الکعبه، وأفق مکّه البعید، بعد أن اجتمع - یوماً - أصحاب رسول الله (ص) ، فقالوا: والله، ما سمعت قریش بهذا القرآن یُجهر لهابه قطّ، فمن رجل یُسمعهموه؟ فقلت: أنا.

قالوا: إنّا نخشاهم علیک، إنما نرید رجلاً له عشیره تمنعه من القوم إن أرادوه. فقلتُ: دعونی، فإنّ الله سیمنعنی.

وغدوت من فوری حتّی أتیتُ المقام فی الضحی، وما إن صرتُ علی بعد خطوات من زعماء قریش، وهم فی أندیتهم حتّی صحتُ بصوت عال تجاوبت أصداؤه: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِیمِ * الرَّحْمنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الْإِنْسانَ * عَلَّمَهُ الْبَیانَ (۱)وأخذتُ أقرأ هذه السوره المبارکه، فیما راح کلّ زعیم من زعماء قریش - الذین ذهلوا واُدهشوا، وکأن صاعقه نزلت علیهم من غرابه ما یسمعون - یلتفت للآخر سائلا؟ ما یقول ابنُ أمّ عبد؟ ! ویأتیه الجواب: إنّه یتلو بعض ما جاء به محمد؛ وفجأه أسرعوا نحوی وملامح الغضب الذی تملکهم قد ارتسمت علی وجوههم، ثمّ انهالوا علیَّ بأیدیهم وعصیّهم، وقد غادرت الرحمه

۱- سوره الرحمن. استدلّ البعض بهذه القصه علی أن سوره الرحمن مکیّه.

قلوبهم، وأنـا أقرأ دون توقف حتّى بلغتُ من السوره مـا شاء الله أن أبلغ، ثمّ انصـرفتُ إلى أصـحابى، وقـد أُدمى رأسـى من كثره الجراح.

قالوا: هذا الذى خشينا عليك.

قلتُ: ما كان أعداءُ الله أهونَ عليَّ منهم الآن، ولئن شئتم لأغادينّهم بمثلها.

فقالوا: لا، حسبك، فقد أسمعتهم ما يكرهون.

لقد كان زعماء الشرك يتربّصون الدوائر بكلّ مؤمن بالإسـلام، وبكلّ صادح بآيات القرآن الذى يطعن عقائدهم الضاله، ويسفّه عقولهم، ولهذا تراهم لا يكتفون بإرسال عيونهم لمتابعتنا ومراقبتنا بل يتابعوننا بأنفسـهم. وأذكر أنّى ذهبتُ وسعد بن أبى وقاص، وعمار بن ياسر، وخباب بن الأرت، وسـعيد بن زيد لنُصـلى بعيداً عن عيونهم، فى شـعب من شـعاب مكه، فإذا بنفر من مشـركى مكه منهم أبوسـفيان بن حرب والأـخنس بن شـريق وغيرهما يطّلعون علينا، سـبونا وعابونا، فحـدث بيننا وبينهم عراك، وكان بيد سعد بلحى جمل ضرب به أحد رجالهم فشجّ رأسه، فكان أول دم أُريق منهم فى الإسلام.

ولما رأى رسول الله (ص) ما حلّ بنا من البلاء، وما يُصيبنا من العذاب على أيدى قريش، قال:

«لو خرجتم إلى أرض الحبشه، فـإنّ فيهـا ملكـاً لا يُظلَم أحـدٌ عنـده، وهى أرض صـدق، حتّى يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم فيه» ؛ فكـانت أول هجره لى؛ وبعـد عودتى منهـا هـاجرتُ إلى يثرب حيث كـان رسول الله (ص) قـد سـبقنا إليهـا، فنلتُ بـذلك وسـام الهجرتين، فوسام البدريّين عندما شاركت فى معركه بدر الكبرى، وكان النصـر حليف المؤمنين وهم قله، والهزيمه والذلّ نصيب المشركين وهم كثره.

وقـد أمر رسـول الله (ص) أن يُلتمس أبوجهـل الـذى أصـابه معـوّذ بـن عفراء، فعـدتُ إلى سـاحه المعركـه، وأجلتُ نظرى فيهـا، فوجـدتُ أبا جهل فى آخر رمق من حياته الآثمه، التى كان من فصولها: الإعتـداء على رسول الله (ص) وتعـذيب المؤمنين، وقتل سميّه أمّ عمّار بن ياسر.

قلتُ له: الحمدُ لله الذى أخزاك.

قال: وبماذا أخزانی. . لمن الدائره الیوم؟

قلت: لله ولرسوله.

ثمّ قال حین رآنی علی صدره اُرید قتله: لقد ارتقیتَ مرتقًی صعباً یا رُوَیعیَ الغنم.

فقلت له: إنّی قاتلک یا أبا جهل!

قال: لستَ بأول عبد قتل سیده! أما إنّ أشد ما لقیته الیوم فی نفسی لقتلک إیای، ألا یکون ولِّیَ قتلی رجلٌ من الأحلاف أو من المطیبین.

فضربته ضربهً وقع رأسه بین یدیه. . . وأقبلتُ برأسه وبسلاحه ودرعه وبیضته فوضعتها بین یدی رسول الله (ص) ، وقلتُ له: أبشر، یا نبیّ الله، بقتل عدوّ الله أبی جهل.

فقال رسول الله (ص) : أحقّاً، یا عبدالله؟ فو الذی نفسی بیده، لهو أحبّ إلیّ من حُمر النعم، اللّهمّ قد أنجزت ما وعدتنی فتمّم علیَّ نعمتک. وسجد شکراً لله، ثمّ شهد لی بالجنه.

بعدها أمر النبی (ص) بوضع قتلی المشرکین فی القلیب، وعندها تذکرتُ: أنّ النبی (ص) کان یُصلّی یوماً عند البیت، وأبوجهل وأصحابه له جلوس، إذ قال بعضهم لبعض: أیّکم یجیءُ بسَلی جزور بنی فُلان، وقد نُحرت بالأمس، فیضعه علی ظهر محمد إذا سجد؟ فانبعث أشقی القوم عقبه بن أبی معیط فجاء به، فنظر حتّی سجد النبی (ص) ، وضعه علی ظهره بین کتفیه، وأنا أنظرُ لا اُغیر شیئاً، لو کان لی منعهٌ؛ فجعلوا یضحکون ویمیل بعضهم علی بعض، ورسول الله (ص) ساجد لا یرفع رأسه، حتّی جاءته فاطمهٌ بعد أن أسرعت امرأه فأخبرتها، فطرحته عن ظهره، ورفع رأسه ثمّ قال: «أللّهم علیک بقریش) ثلاث مرّات، فلما سمعوا صوته، شقّ علیهم، وخافوا دعوته، وکانوا یرونَ أنّ الدعوه فی ذلک البلد مُستجابه، ثمّ سمّی: (أللّهمّ علیک بأبی جهل، وعلیک بعتبه بن ربیعه، وشیبه بن ربیعه، والولید بن عتبه، وأمیه بن خلف، وعقبه بن أبی مُعیط) ، وعدّ السابع فلم أحفظه.

فوالذی نفسی بیده، لقد رأیتُ الذین عدّ رسول الله (ص) صرعی یوم بدر، ثمّ سحبوا إلی القلیب، قلیب بدر؛ فنالوا بذلک جزاءهم العادل.

ووقعت معرکه اُحد فکنت من الذین استماتوا بالذب عن رسول الله (ص) والدفاع عنه

أمام السيل المتدافع من مشركى قريش، الذى يستهدف قتل رسول الله (ص) بعد أن حلّت بنا هزيمه بعد نصر، كان سببها مخالفه الرماه أمرَ رسول الله (ص) :

«لا تبرحوا مكانكم، وإن رأيتمونا نُقتل فلا تنصرونا» .

وما علمتُ أنّ أحداً من أصحاب رسول الله (ص) يريد الدنيا حتّى نزلت هذه الآيه (مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَهَ) (۱) فى أولئك الرماه الذين تنازعوا أمرهم بينهم، فريقٌ سال لعابه حين رأى الغنائم التى خلّفها المشركون وراءهم، فترك موضعه، وفريق قليل ثبت مكانه امتثالاً لأمر الرسول (ص) فاستشهد عن آخره.

وفى معركه حنين، ركنّا إلى قوتنا وكثرتنا، حتّى قال قائلٌ منّا: لن نُغلب اليوم من قله، فشدّت كتائب العدو علينا شدّه رجل واحد، وأصبنا بهزيمه مباغته أول القتال، فتفرّقت جموع المسلمين الذين انتابهم الخوف والذعر، فيما راحت جماعه منّا تقدر بثمانين رجلًا من المهاجرين والأنصار، وكنت أحدهم تحيط برسول الله (ص) ، الذى علا صهوه بغلته البيضاء وسط المعركه، وهو يصيح بالمنهزمين: إلى أين أيها الناس؟ هلمّوا إليّ - هلمّوا إليّ. . . أنا رسول الله، أنا محمد بن عبد الله.

أنا النبيّ لا كذب أنا بن عبد المطّلب

أللّهمّ نزّل نصرك، أللّهمّ نزّل نصرك. . . وإذا بالجموع المنهزمه تعود إلى ساحه المعركه، وقد غطّت تكبيرتهم وتلبيتهم فضاء الوادى، فكان النصر بعد الهزيمه، وكان الظفر بعد المذله والهوان، وما رجعنا إلاّ وقتلى المشركين قد ملأت ذلك الوادى، وأسراهم فى الحبال عند رسول الله (ص)

ثمّ تعال معى - عزيزى - لنقرأ كيف صوّر لنا القرآن الكريم هذهِ الواقعه أفضل تصوير بأعظم بيان.

(لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِی مَواطِنَ کَثِیرَهٍ وَیَوْمَ حُنَیْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْکُمْ کَثْرَتُکُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْکُمْ

۱- آل عمران: ۱۵۲.

شَيْئاً وَضاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِما رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ * ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُوداً لَمْ تَرَوْها وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذلِكَ جَزاءُ الْكافِرِينَ * ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذلِكَ عَلى مَنْ يَشاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) (۱)

وبدأ رسول الله (ص) بتقسيم غنائم حنين على المسلمين، وعندها سمعت رجلًا يقول: إنّ هذه القسمه ما عُدل فيها، ما أريد بها وجه الله.

فقلت؟ فمن يعدل إذا لم يعدل الله ورسوله؟

وأتيتُ النبيَّ (ص) فأخبرتهُ، فتغيّر لونه حتّى ندمتُ على ما صنعت، ووددتُ أنى لم أخبره.

ثمّ قال (ص) :

«رحم الله موسى، قد أوذى بأكثر من هذا فصبر» .

وأنزل الله تعالى: (وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْها رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْها إِذا هُمْ يَسْخَطُونَ) (۲)

لقد شهدتُ مع رسول الله (ص) كلّ مشاهده، ولم أتخلّف عنه أبداً، ولا غرابه فى ذلك، فلقد تشرّفت بخدمته، ورافقته فى حلّه وترحاله، حتّى صرتُ صاحب سرّه. قال لى رسول الله (ص) :

«إذنُكَ علىَّ أن تسمع سِوادى (سرّى) ، ويُرفَعَ الحجاب، حتّى أنهاك» ؛ فكنت ألجُ عليه، وأُلبسه نعليه، وأمشى معه، وأستره إذا اغتسل، وأوقظه إذا نام، ولهذا كلّه ولغيره عرفتُ عند الصحابه بصاحب السواد والسواك، وصاحب سرّ رسول الله.

ولهذا أيضاً ترى بعضهم يعدّنى وأُمّى من آل النبيّ (ص) لكثره دخولنا عليهم ولزومنا لهم؛ قال فىّ الصحابى الجليل حذيفه:

«كان أقرب الناس هدياً ودَلّاً وسمتاً برسول الله (ص) ابن مسعود، حتّى يتوارى عنّا فى بيته. ولقد علم المحفوظون من أصحاب محمد (ص) أنه من أقربهم إلى الله زلفاً» .

وكانت ملازمتى لرسول الله فرصهً مباركه، نافعه لى، تزوّدت منه إيماناً وحكمه وأدباً، واستقيتُ منه علماً ومعرفه، حتّى صرتُ فقيهاً فى الدين، عالماً بالقضاء وأحكامه، عارفاً

۱- التوبه: ۲۵ – ۲۷.

۲- المصدر نفسه: ۵۸.

بالقرآن وعلومه: ناسخه ومنسوخه، متشابهه ومحكمه. . . تلقّيت كلّ ذلك من رسول الله (ص) وبفضل وبركه صحبتی له.

لقد أخذتُ من فیّ رسول الله (ص) بضعاً وسبعین سوره، ولقد علم أصحاب رسول الله (ص) أنّی أعلمهم بكتاب الله. فما من كتاب الله سوره إلاّ أنا أعلمُ حیث نزلت، وما من آیه إلاّ أنا أعلم فیمَ أُنزلت، ولو أعلم أنّ أحداً أعلمُ منّی لرحلتُ إلیه، وما سمعتُ أحداً یردّ هذا علیّ ولا یعیبه. ولكنّی أذكر أن رجلاً قال لی یوماً: سمعتك تقول:

«لو أعلم أحداً أعلم بكتاب الله منّی تبلغه المطایا لرحلت إلیه» .

فقلتُ: نعم، قلت: هذا.

فقال: فأین أنت عن علیّ.

قلت: به بدأتُ، إنّی قرأتُ علیه.

وأضیف – أیضاً – أنّی قرأت سبعین سوره علی رسول الله (ص) ، وختمت القرآن علی خیر الناس بعده، علیّ بن أبی طالب. . . وأن القرآن اُنزل علی سبعه أحرف، ما من حرف إلاّ وله ظهر و بطن، وإنّ علی بن أبی طالب عنده منه الظاهر والباطن.

كما كنت محبّاً للقرآن، حاملاً له، عارفاً بقراءاته، مجیداً لها، حسن الصوت به، وكنتُ أعدّ من القراء، ولفظه القراء هذه لا تطلق إلاّ علی نخبه قلیله تختصّ بقراءه القرآن، من بین عدد ممّن یعرفون القراءه فی مجتمعنا الذی غلبت علیه الأُمّیه. وقد قال فیّ رسول الله (ص) :

«مَن سرّه أن یقرأ القرآن غضاً أو رطباً كما اُنزل فلیقرأه علی قراءه ابن اُمِّ عبد» وأمّ عبد كنیه اُمّی.

وشهد لی علیّ (ع) أنّی أوّل من قرأ آیه من كتاب الله علی ظهر قلب بقوله:

«أول من قرأ آیه من كتاب الله عن ظهر قلبه ابن مسعود» .

وكثیراً ما كان رسول الله (ص) یحب أن یسمع القرآن منّی، وذات مرّه قال لی: اقرأ علیّ یا عبدالله.

قلتُ: أقرأ علیك، وعلیك اُنزل یا رسولَ الله؟

فقال (ص) : إنّى أُحبُّ أن أسمعه من غيرى.

فأخذتُ أقرأ من سوره النساء، حتّى إذا بلغتُ قوله تعالى:

(فَكَيْفَ إِذا جِئْنا مِنْ كُلِّ أُمَّهٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنا بِکَ عَلى هؤُلاءِ شَهِيداً) فاضت عينا رسول الله (ص) من الخشوع والخشيه والإخبات لله ولتنزيله.

ولطالما جاءنى بعض الصحابه إلى بيتى ليسمعوا منّى قراءه القرآن وتفسيره; ولأن قراءتى هكذا كانت، ترى الحجاج بن يوسف الثقفى والى العراق من قبل الأمويين، الذى عرف بمكره واشتهر بإجرامه وتعطشه للقتل وتعذيب الناس، تراه يمنع قراءه القرآن كما قرأته، فيقول فى ضمن كلمه له يهدّد ويتوعد بها الناس: «. . . ولا أجد أحداً يقرأ علىّ قراءه ابن أمّ عبد إلاّ ضربتُ عنقه. . .» .

وكنتُ من الذين نزلت فيهم:

(وَلا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَداهِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ) (۱)

نزلت فى سته نفر وأنا واحد منهم، حينما كنّا جلوساً عند رسول الله (ص) ، فقال بعض زعماء قريش: إنّا لا نرضى أن نكون أتباعاً لهؤلاء فاطردهم عنك. فأنزل الله هذه الآيه.

(وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيارِكُمْ ما فَعَلُوهُ إِلاَّ قَلِيلٌ مِنْهُمْ) (۲)

كنت من هذا القليل الذى استثناه الله تعالى، فقد قلنا: والله لو أمرنا لفعلنا فالحمد لله الذى عافانا، فقال رسول الله (ص) : إنّ من أمتى رجالاً، الإيمان فى قلوبهم أنبت من الجبال الرواسى.

(الَّذِينَ اسْتَجابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ ما أَصابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ) (۳)

۱- الأنعام: ۵۲.

۲- النساء: ۶۶.

۳- آل عمران: ۱۷۲.

نزلت هذه الآيه فی الذین أجابوا دعوه الرسول (ص) مع ما فیهم من جراح وآلام شدیده فی یوم اُحد، وکنت منهم، ندبنا الرسول (ص) لنعود إلی المشرکین فنقاتلهم.

ولما نزلت (لَیْسَ عَلَی الَّذِینَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ جُناحٌ فِیما طَعِمُوا إِذا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ) (۱)

قال رسول الله (ص) لی: أنت منهم. فکانت فرحتی بذلک عظیمه جداً.

* **

نلتُ شرف الروایه عن رسول الله (ص) حتّی تجدنی فی بعض الکتب الحدیثیه أُدعی ب- (عبد الله بن المسعود الراوی) ، فقد ورد لی فی کتب الحدیث الکثیر من الروایات المتّفق علی صحّتها، کما أن جمعاً من أعیان الصحابه والتابعین روی عنی. وما نقلتُ حدیثاً عن رسول الله (ص) حتّی تغیر لون وجهی، وانتفخت أوداجی، وعلتنی کآبه، وانحدر عرقی من جبینی، ودمعت عینای، وأقول فی بدایه نقلی للحدیث: أو قریباً من هذا، أو نحو هذا، أو شبه هذا. کلّ ذلک خوفاً من الزیاده والنقصان، أو السهو والنسیان، فأکون قد حکیت عن رسول الله (ص) ما لم یقله، أو أدخل فی الدین ما لیس منه. أذکر بعض ما رویته:

* من صلّی صلاه لم یصل فیها علیَّ وعلی أهل بیتی لم تقبل منه.

* سبابُ المسلم فسوق، وقِتاله کفرٌ.

* سألتُ النبی (ص) : أیُّ العمل أحبُّ إلی الله؟ قال:

«الصلاهُ علی وقتها» . قلتُ: ثمّ أیُّ؟ قال (ص) :

«ثمّ برُّ الوالدین» . قلتُ: ثمّ أیُّ؟ قال (ص) :

«الجهادُ فی سبیل الله» . حدّثنی بهنّ، ولو استزدتهُ لزادنی.

* إنّ المؤمن یری ذنوبه کأنه قاعد تحت جبل یخافُ أن یقع علیه، وإنّ الفاجر یری ذنوبه کذباب مرّ علی أنفه.

* إنّ الصدق یهدی إلی البر، وإنّ البرّ یهدی إلی الجنّه، وإنّ الرجل لیصدق حتّی یکون

۱- المائده: ۹۳.

صديقاً، وإنّ الكذب يهدى إلى الفجور، وإنّ الفجور يهدى إلى النار، وإنّ الرجل ليكذب حتّى يكتب عند الله كذاباً.

* سمعت رسول الله (ص) يقول بحقّ الصحابى الجليل «أبوذر الغفارى» :

«يرحم الله أباذر يمشى وحده، ويموت وحده، ويبعث وحده، ويشهده عصابه من المؤمنين» وكان ذلك فى مسيره إلى تبوك، حيث وقف بأبى ذر جملُهُ فتخلّف عليه، فلمّا أبطأ أخذ رحله عنه، وحمله على ظهره، وتبع النبى (ص) ماشياً، فنظر الناس وقالوا: يا رسول الله! هذا رجل على الطريق وحده.

فقال (ص) : كن أباذر،

فلمّا تأمله الناس، قالوا: هو أبوذر.

فقال رسول الله (ص) : يرحم الله أباذر، يمشى وحده. . . .

وبقيت طيله سنين أفكّر بهذا القول حتّى نفى عثمان أبا ذر إلى الربذه وهو مكان يكرهه كثيراً، فأصابه بها أجلُه، ولم يكن معه إلاّ امرأته وغلامه، فأوصاهما أن يغسلاه، ويكفناه ثمّ يضعاه على الطريق، فأوّل ركب يمرّ بهما يستعينان به على دفنه، ففعلا ذلك؛ فإذا بى فى رهط من أهل العراق، فأعلمتنا إمرأته بموته، حزنّا حزناً شديداً، ورحنا نبكى عليه بدموع غزيره، وقلتُ صدق حبيبى رسول الله (ص) : لقد سمعته يقول:

«يرحم الله أباذر. . . ، ويموت وحده، ويبعث وحده، ويشهده عصابه من المؤمنين» ثمّ واريناه الثرى فى سنه ۳۲ ه.

فلك الله يا أباذر، ما أنصفوك فى شىء.

* ومن أدعيته (ص) التى رويتها هذا الدعاء:

ما من عبد أصابه همٌّ، فقال:

«أللّهمّ إنّى عبدُك وابن عبدك وابن أمتك، ناصيتى بيدك، ماض فىّ حكمك، عدل فىّ قضاؤك، أسألكَ بكلّ اسم سميتَ به نفسك، أو ذكرته فى كتابك، أو علّمته أحداً من خلقك، أو استأثرت به فى علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن ضياء صدرى، وربيع قلبى، وجلاءَ حزنى، وذهاب همّى» إلاّ أذهب اللهُ همّه، وبدّله مكان حزنه فرحاً.

ولو راجعت كتب التفسير، ومعاجم القراءات لوجدت لى قراءات أختصّ بها وحدى بلغت أربعاً وسبعين قراءه، وأخرى شاركتُ فيها آخرين، وتجد لى آراءً فى القرآن وتفسير آياته أنفرد بها، وأخرى اُشارك فيها غيرى، كما أنّ لى آراءً فى الفقه، وفتاوى، وحكم وأقوال تناثرت فى بطون الكتب، ببركات البيت النبوى الذى عشتُ فى كنفه، وارتويتُ من ينبوع إيمانه وعلمه وأدبه وحكمته.

وهذه باقه من حكم وأدعيه وأقوال لى:

* ليس من الناس أحدٌ إلّا وهو ضيفٌ على الدنيا، ومالُه عاريه: فالضيف مرتحل، والعاريه مردوده.

* إنّ الرجل لا يولد عالماً، وإنّما العلم بالتعلم.

* ما من شيء أولى بطول سجن من لسان.

ومن دعائى: ألّلهم وسع علىّ فى الدنيا وزهدنى فيها، ولا تُزوِها (تبعدها) عنّى ولاترغبنى فيها. . . .

وإنّ لى دعاء ما أكاد أدعه: ألّلهمّ إنّى أسألك إيماناً لا يبيد، ونعيماً لا ينفد، وقره عين لاتنقطع.

* إنّ فى كتاب الله آيتين، ما أصاب عبدٌ ذنباً فقرأهما ثمّ استغفر الله إلّا غفر له:

(وَالَّذِينَ إِذا فَعَلُوا فاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ وَ لَمْ يُصِرُّوا عَلى ما فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ) (۱)

(وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُوراً رَحِيماً) (۲)

* إن عملتم فى دينكم بالقياس، أحللتم كثيراً مما حرّم الله، وحرّمتم كثيراً مما أحلّ الله.

ومن خطبه لى:

«أصدق الحديث كتابُ الله، وأوثق العُرى كلمه التقوى خير زاد، وأكرم الملل ملّه

۱- آل عمران: ۱۳۵.

۲- النساء: ۱۱۰.

إبراهيم (ع) ، وخير السنن سنّه محمد (ص) . وما قلّ وكفى خيرٌ ممّا كثر وألهى، لنفسٌ تحييها خيرٌ من إماره لا تُحصيها؛ خير الغنى غنى النفس؛ وخير ما اُلقى فى القلب اليقين؛ الخمر جماع الآثام. . . مَن يَغفر يُغفر له، مكتوب فى ديوان المحسنين، من عفا عُفى عنه، . . . السعيد مَن وعظ بغيره. . . أحسن الهدى هدى الأنبياء، أقبحُ الضلاله الضلالهُ بعد الهدى، أشرف الموت الشهاده. . . ».

** *

عرف الصحابه قدرى، ومنزلتى عند رسول الله (ص) ، وسبقى وفضلى فى الإسلام؛ فقد ارتقيت - يوماً - شجره لأجتنى من ثمرها للصحابه وهم ينظرون إلى دقّه ساقى ويضحكون، فقال لهم رسول الله (ص) : ما يضحككم! أو تعجبون من دقّه ساقيه; فو الذى نفسى بيده لهما أثقلُ فى الميزان يوم القيامه من اُحد.

وقد سمع عليُّ (ع) - يوماً - ثناء جمع من الصحابه عليَّ حيث قالوا: ما رأينا رجلًا أحسن خُلقاً، ولا أرفق تعليماً، ولا أحسن مجالسه، ولا أشدّ ورعاً من ابن مسعود. فقال (ع) :

«اُنشدكم الله أهو الصدق من قلوبكم؟ قالوا: نعم. قال: أللّهم اشهد أنّى أقول مثل ما قالوا، وأفضلَ من قرأ القرآن، وأحلّ حلاله، وحرّم حرامه، فقيهٌ فى الدين، عالمٌ بالسنّه» .

وها هو الخليفه الثانى عمربن الخطاب، يعين عمار بن ياسر والياً على الكوفه، ويجعلنى وزيراً ومعلماً فى كتاب واحد سنه ۲۱ ه، جاء فيه:

«إنّى قد بعثتُ عمار بن ياسر أميراً، وعبد الله بن مسعود معلماً ووزيراً، وهما من النجباء من أصحاب رسول الله (ص) ، من أهل بدر، فاقتدوا بهما، وأطيعوا واسمعوا قولهما، وقد أثرتكم بعبدالله على نفسى» .

فكنت فى الكوفه معلماً للقرآن، وفقيهاً فى الدين، وأميناً على بيت مال المسلمين، حتّى آل أمر الخلافه إلى عثمان، فبعث الوليد بن عقبه بن أبى معيط والياً على الكوفه فى السنه الثانيه من خلافته، وعقبه هذا من ألدّ أعداء رسول الله (ص) ، وقد قتله علىّ بن أبى طالب بأمر رسول الله صبراً بعد أسره فى معركه بدر، وأنزل الله فيه:

(وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلى يَدَيْهِ يَقُولُ يا لَيْتَنِى اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا * يا وَيْلَتى لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلاناً خَلِيلًا * لَقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جاءَنِى وَكانَ الشَّيْطانُ لِلْإِنْسانِ خَذُولًا) (۱)

أما ابنه الوليد فقد أسلم يوم فتح مكّه، وكان فاسقاً بنصّ القرآن:

(يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جاءَكُمْ فاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلى ما فَعَلْتُمْ نادِمِينَ) (۲)

جرت بينى وبين الوليد هذا مشاده وخصومه، بعد أن استقرض مالاً من بيت مال المسلمين ولم يُرجعه، فأرسل إلى عثمان يخبره بمطالبتى له بإعاده المال، وبدل أن يقف الخليفه بجانبى كتب إلىّ: «إنما أنت خازن لنا فلا تتعرّض للوليد فيما أخذه من المال» . فلم يتأخّر جوابى: «كنت أظن أنى خازن لمال المسلمين، فأما إذا كنت خازناً لكم فلا حاجه لى فى ذلك» . ثمّ خرجت إلى مسجد الكوفه وقلت: «يا أهل الكوفه، فقدتُ من بيت مالكم الليله مائه ألف لم يأتِنى بها كتاب أمير المؤمنين، ولم يكتب لى بها براءه. . .» .

ثمّ أعلنتُ استقالتى، وقلت: «مَن غيّر غيّر الله ما به، ومَن بدّل أسخط الله عليه، وما أرى صاحبكم إلاّ وقد غيّر وبدّل. . . إنّ أصدق القول كتاب الله، وأحسن الهدى هدى محمد (ص) ، وشرّ الأمور محدثاتها، وكلّ بدعه ضلاله، وكلّ ضلاله فى النار» .

فلما سمع الوليد كلّ ذلك، كتب كتاباً آخر إلى الخليفه عثمان قال فيه: إنّه يعيبك، ويطعن عليك.

فأمر عثمان الوليد بإشخاصى إليه فى المدينه، فما كان من أهل الكوفه إلاّ أن اجتمعوا بسلاحهم حولى قائلين: أقم ونحن نمنعك أن يصل إليك شىء تكرهه، فقلت: إنّى لا أحبّ أن أكون أول من فتح باب فتن لا تبقى ولا تذر. فأوصيتهم بتقوى الله، ولزوم القرآن.

ثمّ خرجتُ من الكوفه فيما راح أهلها يودعوننى بحزن وأسى قائلين: جزيت خيراً، فلقد علمت جاهلنا، وثبّت عالمنا، وأقرأتنا القرآن، وفقهتنا فى الدين، فنعم أخو الإسلام

۱- الفرقان: ۲۷ - ۲۸.

۲- الحجرات: ۶.

أنت، ونعم الخليل. . . .

ولمّا وصلتُ مسجد رسول الله (ص) فى المدينه إذ الخليفه يلقى كلمته، فلمّا رآنى قال: ألا إنه قد قدمت عليكم دويبه سوء من يمشى على طعامه يقىء ويسلح.

فقلت: لستُ كذلك، ولكنّى صاحب رسول الله (ص) يوم بدر ويوم بيعه الرضوان.

وقد أثار كلام الخليفه أمّ المؤمنين عائشه فقالت: أى عثمان، أتقول هذا لصاحب رسول الله؟

فقال لها: أسكتى.

ثمّ أمر بإخراجى من المسجد، فضربتُ وأُخرجت.

ومنع عطائى سنتين، وأمر بمقاطعتى، ولم يأذن لى بمغادره المدينه.

وتوجه علىّ (ع) نحو الخليفه قائلا:

يا عثمان، أتفعل هذا بصاحب رسول الله (ص) بقول الوليد بن عُقبه؟

فقال: ما بقول الوليد فعلتُ هذا، ولكن وجهتُ زبيد بن الصلت الكندى إلى الكوفه، فقال له ابن مسعود: إنّ دم عثمان حلال فردّ عليه علىّ (ع) : أحلت على زبيد على غير ثقه.

ثمّ حملنى على (ع) إلى منزله، فقام برعايتى وتعاهدنى حتّى شفيتُ من آثار ضربهم لى.

ولما مرضتُ مرضى الذى متّ فيه، دخل علىّ الخليفه عائداً، وقال لى:

ما تشتكى؟

فقلت: ذنوبى.

فقال: فما تشتهى؟

فقلت: رحمه ربى.

قال: ألا أدعو لك طبيباً؟

قلتُ: الطبيب أمرضنى.

قال: آمر لک بعطائک؟

قلت: منعتنيه وأنا محتاج إليه، وتعطينيه وأنا مستغن عنه.

قال: يكون لولدك.

قلتُ: رزقهم على الله.

قال: استغفر لى يا أبا عبد الرحمن.

قلتُ: أسأل الله أن يأخذ لى منك بحقى.

ثمّ غادر بيتى دون أن يحصل على رضاى.

مات عبد الله بن مسعود عن ستين عاماً، وصلّى عليه حبيبُه عمّار بن ياسر مع جمع من أصحابه، ودفن ليلا فى البقيع سنه ۳۲ه.

***

فسلام عليك يا أبا عبد الرحمن فى الخالدين

إنّ الكتب التى ذكرت حياه هذا الصحابى الجليل، وكلّ ما يتعلّق به عديده، أكتفى هنا بذكر ما اعتمدته فى هذه الترجمه له.

۱ – مختصر (تاريخ دمشق لابن عساكر) لابن منظور؛ تحقيق روحيّه النحاس – دار الفكر.

۲ – الكامل لابن الأثير.

۳ – حليه الأولياء لأبى نعيم الاصفهانى ج ۱ – إصدار دار الفكر.

۴ – تاريخ الطبرى لأبى جعفر الطبرى.

۵ – المغازى للواقدى.

۶ – أُسد الغابه فى معرفه الصحابه – ابن الأثير ج ۳.

۷ – العقد الفريد – ابن عبد ربه الأندلسى.

۸ – ربيع الأبرار ج ۲.

۹ – أحاديث أمّ المؤمنين عائشه للسيد العسكرى.

١٠ - صحيح البخاري.

ص: ۵۰

۱۱ – صحیح مسلم.

۱۲ – التاریخ الجامع للأصول للشیخ منصور ناصیف.

۱۳ – أضواء علی السنّه النبویّه لمحمود أبو ریه.

۱۴ – السیره النبویّه لابن هشام ج ۱، ج ۲.

۱۵ – ترجمه الإمام علیّ (ع) من تاریخ مدینه دمشق، تحقیق المحمودی ج ۳.

۱۶ – معجم القراءات القرآنیه – اعداد الدکتور أحمد مختار عمر والدکتور عبد العال سالم مکرم.

۱۷ – تاریخ المدینه المنوّره – ابن شبه مجلد ۳ – ۴.

۱۸ – العده – الشیخ الطوسی.

***

(۳) مقداد بن الأسود الکندی إیمان، مواقف

اشاره

محمد سلیمان

کان أبی عمرو بن ثعلبه بن مالک البهرانی أو البهراوی طرید قومه الذین یطالبونه بدم سفکه، فلحق بحضرموت وحالف بنی کنده، وتزوج عندهم، ثمّ ولدتُ بینهم، لهذا لقبت ب- (الکندی)

ولما کبرتُ وقع بینی وبین أبی شمر بن حجر الکندی شیخ القبیله نزاعٌ، فشهرتُ سیفی بوجهه، ثمّ ضربت رجله، وکان جزاء عملی ذلک الموت؛ وقبل أن ینفذ بی العقاب تسللتُ من سجنهم حیث الصحراء الشاسعه، لا یأوینی مکان، ولا یستقر بی أوان؛ أجوب الصحاری المترامیه الأطراف، أقطع عشرات الأمیال عَبر الأودیه والتلال والجبال، ولم أعبأ بأهوال السفر ومشقه الطریق، وکیف یکون ذلک، وبین جنبی روح تحدّثنی بالعزّه والأمل، وفی أن أعیش فارساً عزیزاً یهابنی الآخرون، ولا- تریحه ولا تستهویه إلّا میادین القتال وساحات الوغی؟

نزلتُ من علی ظهر فرسی (سبحه) لأستریح قلیلاً علی ظهر تلٍّ، وقد احتوانی العراء

الواسع، سرحتْ عيناى فيما يحيطنى من جهات، حتى وقع بصرى على شىء، دققتُ النظر فيه من بعيد. . إنّه مضارب بنى زهره، القبيله التى عرفت بمنعتها بين قبائل العرب؛ أسرعتُ نحوهم، آويتُ إليهم، وألقيت رحلى عندهم، لم يكن لى خيارٌ إلاّ ـ أن أُحالف الأسود بن عبد يغوث الزهرىّ، الذى صرتُ أُدعى باسمه حتى نزل قوله تعالى: (ادْعُوهُمْ لِآبائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ) (۱)

فعدتُ إلى اسمى (المقداد بن عمرو بن ثعلبه. . .) ولكنى بقيت معروفاً ب- «ابن الأسود الكندى» ، وبقى هذا يلازمنى طيله حياتى وبعد مماتى.

كنيتى: أبو الأسود، وأبو عمر، وأبو معبد أحبُّ كناى إلىّ، لأنّ رسول الله (ص) كان يدعونى أبا معبد.

أما صفاتى: فقد كنتُ طويلَ القامه، بطيناً عظيمَ الجثه، قويها، حينما أعلو فرسى تكاد رجلاى تخطّان الأرض، أما شعر رأسى فكثير، ولحيتى فكثيفه. . و ختاماً فإنّ الله - تعالى - منَّ علىّ بهيئه مهابه.

عشت ردحاً فى مضارب بنى زهره، فاقداً لحقوق كثيره - يتمتع بها أبناء القبيله - وهذا شأن كلّ محالف؛ رافضاً حاله السلب والنهب، والغزو بغير حقّ، نابذاً عادات الجاهليه المقيته التى لم تجد رضاً وقبولاً عندى، وكم تمنّيت أن أجد مَن يشاطرنى ذلك كلّه، ويشاركنى الرأى. . فكانت الفرصه، إنّها لقائى بعمار بن ياسر وتعرفى عليه، فانتشلنى من ذاك الضياع، بعد أن سبقنى إلى نور الإسلام، وعظمه الإيمان، اصطحبنى معه فى جوف الليل إلى دار الأرقم، حيث رسول الله (ص) والمؤمنون، أعلنتُ إسلامى بين يديه (ص) فتخلّصتُ نفسى من ظلام الجاهليه، وتغيرت حياتى، فقد ملأ الإيمان قلبى، وأضاء التوحيد بصيرتى، وأخذتُ أروى ظمأى منه، وأنهل من معين الإسلام بنهم وشوق عظيمين؛ حتى صرتُ من الأوائل الذين أظهروا إسلامهم، فتصدّت لنا قريش بكلّ جبروتها، ووسائل قمعها، وسياط تعذيبها، فنالت من أبداننا وأجسادنا شيئاً عظيماً، لكنها لم تنل من عقيدتنا وصمودنا وثباتنا أبداً،

۱- الأحزاب: ۵.

كنا نزداد قوّه أمام قوّتها، وشموخاً عظيماً وعزّهًض إزاءَ طغيانها وجبروتها.

ولما رأى رسول الله (ص) ما حلّ بنا، واشتداد أذى قريش علينا وملاحقتها لنا أمرنا بالهجره إلى الحبشه حيث قال: «لو خرجتم إلى أرض الحبشه، فإنّ بها مَلِكاً لا يُظلم عنده أحد، وهى أرض صدق حتى يجعل الله لكم مخرجاً مما أنتم فيه. . .» .

فكنتُ مع نحو ثمانين من المهاجرين، ممن وطأت أقدامهم أرض الحبشه حيث وجدنا ما قاله لنا رسول الله (ص) مَلِكاً عادلاً، أحسن ضيافتنا، ورفض تسليمنا إلى وفد المشركين من قريش الذى اتبعنا. . . ثمّ عدنا إلى مكه، ودخلها كلّ واحد منّا تحت أمان وعهد زعيم من زعمائها، وكبير من كبرائها، فعدتُ مرّه اُخرى حليفاً لأحدهم. . . .

هاجر رسول الله (ص) إلى يثرب، وتبعه جمع من الصحابه، ولم أتمكن من اللحاق به (ص) حتى أعدت قريش سريه قتال التحقتُ بها مع صاحبى - عتبه بن غزوان - وكان هدفهم قتال سريه أرسلها رسول الله (ص) بقياده حمزه بن عبدالمطلب، فلما اقتربنا منها انحزنا إليها، والتحقنا بإخواننا الذين سبقونا إلى يثرب.

وفى المدينه لم يدم انتظارنا لقتال المشركين طويلاً حيث تناهت إلينا أخبار عن استعداد مشركى مكه لقتالنا، وجاءوا بجيش فاق عددنا كثيراً، فأقبل رسول الله (ص) علينا ونحن مجتمعون يحدث بعضُنا بعضاً عن الأخبار تلك، وقال:

«. . هذه مكه قد ألقت إليكم أفلاذ أكبادها. . فما ترون فى قتالهم؟» فتحدث عدد من الصحابه حتى جاء دورى فقلتُ:

يا رسولَ الله! اِمضِ لما أمرك الله فنحن معك، والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى (ع) :

(فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقاتِلا إِنَّا هاهُنا قاعِدُونَ)

ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنّا معكما مقاتلون، فوالذى بعثك بالحق لو سرتَ بنا إلى برك الغِماد (أو تل العماد، يعنى مدينه الحبشه) لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه، . . فاستبشر رسول الله بذلك، وأشرق وجهه، ودعا لى بخير.

وسـميتُ عنـد بعضـهم ب- «صاحب المقال المحمود» إشاره إلى قولى هذا لرسول الله (ص) ودفع مقالى ذاك أيضاً الأنصار إلى قولهم: فتمنينا نحن لو أنّا قلنا كما قال المقداد، أحبُّ إلينا من أن يكون لنا مالٌ عظيم. . . .

كما حمل موقفى ذاك وقولى كبارَ الصحابه على الإشاده به وإكباره وتمنوه، فهذا الصحابى الجليل عبدالله بن مسعود يقول: لقد شهـدت من المقـداد مشـهداً لأن أكون أنا صاحبه أحبّ إلىّ مما فى الأرض من شىء; كان رجلاً فارساً، وكان رسول الله (ص) إذا غضب احمـارّت وجنتـاه، فأتاه المقـداد على تلك الحال، فقال: «أبشـر يا رسول الله! فوالله لانقول لک كما قالت بنو إسـرائيل لموسى (ع) :

(فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّکَ فَقاتِلا إِنَّا هاهُنا قاعِدُونَ)

ولكن والذى بعثک بالحق. . . لنكوننّ من بين يديک ومن خلفک، وعن يمينک وعن شمالک، أو يفتح الله لک.

ثم قام سعد بن معاذ عن الأنصار فقال: . . . بأبى وأُمى يا رسول الله! إنّا قـد آمنّا بک وصدّقناک، وشـهدنا أنّ ما جئت به حقّ من عندالله فمرنا بما شـئت، وخذ من أموالنا ما شـئت، واترک منها ما شئت، والله لو أمرتنا أن نخوض هذا البحر لخضناه معک، ولعلّ الله عزّوجلّ أن يريک منّا ما تقرّ به عينک، فسر بنا على بركه الله.

ففرح رسول الله (ص) بمـا سـمع من أصـحابه، وقـال: «سـيروا على بركه الله، فـإنّ الله عزّوجلّ قـد وعـدنى إحـدى الطائفتين، ولن يخلف الله وعده، والله لكأنى أنظر إلى مصرع أبى جهل بن هشام وعتبه بن ربيعه وشيبه بن ربيعه، وفلان وفلان. . .» .

ثمّ أمرنا (ص) بالتوجه إلى بـدر الـذى نزلناه عشاء ليله السابع عشـر من رمضان، وكانت الآبار ومنابع الماء إلى جانب المسـلمين، وكان عددنا ۳۰۰ رجل كنتُ الفارس الوحيد فيهم، فيما كان عدد المشركين قرابه ألف رجل. . فيهم من الفرسان عدد كثير.

كانت عيوننا متجهه صوب رسول الله (ص) وهو يناجى ربّه ويدعوه:

«أللّهمّ هذه قريش قد أقبلت بخُيلائها وفخرها، تحادک، وتكذب رسولک، أللّهمّ فنصرک الذى وعدتنى. . .» .

واشتدّ أوار المعركه، وخفقت رايات القتال ولمعت الأسنه والسيوف، وعندها تيقنتُ أنّ الفروسيه فى الإسلام غيرها فى الجاهليه، وتعلمتُ وقتها الفرق بينها وهى تحمل رايه الحق وتدافع عنه، وبينها وهى تحمل رايه الضلال وتدافع عن الباطل، إنّ لها حلاوه وطعماً حينما تكون دفاعاً عن المبدإ الحق والعقيده الصحيحه، لا دفاعاً ولا قتالاً من أجل الثأر والنهب والسطو.

إنّه القتال والجهاد والنضال المقدس الذى تعلّمته وإخوانى من الإسلام ونبى الإسلام، قتال عظيم هذا الذى ترعاه السماء بآيات القرآن وبإمدادها الربانى، ويرعاه رسول الله (ص) بدعواته التى لاـ يحجبها عن السماء شىء ولا يمنعها مانع، وتتخلله استغاثه المؤمنين. . . .

(إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلائِكَهِ مُرْدِفِينَ) (۱)

والرسول (ص) يقول:

«والذى نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابراً محتسباً مقبلاً غير مدبر إلّا أدخله الله الجنه» .

فكانت تلك الآيات وهذهِ الكلمات باعثاً عظيماً قوياً لنا، يثبت أقدامنا ويشدّ عزمنا نحو الشهاده. . . فكان النصر حليفنا، وكان القتل وكانت الهزيمه والعار والذل يلاحق المشركين، الذين تركوا كبار زعمائهم صرعى على أرض المعركه ينتظرهم القليب الذى أمر بحفره رسول الله لتلقى به جثثهم، كما وقع آخرون أسرى، منهم النضر بن الحارث بن علقمه الذى يكنّى أبا القائد وقع أسيراً بيدى، وكان أشدّ قريش تكذيباً للنبى (ص) وأذًى لأصحابه، كما كان ينظر فى كتب الفرس ويخالط اليهود والنصارى وهو من الذين قالوا:

(وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمانِهِمْ لَئِنْ جاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدى مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جاءَهُمْ نَذِيرٌ ما زادَهُمْ إِلَّا نُفُوراً . (۲)

وهو الذى نزلت فيه هذه الآيه:

۱– الأنفال: ۹–۱۳.

۲– فاطر: ۴۲.

(وَإِذا تُتْلى عَلَيْهِمْ آياتُنا قالُوا قَدْ سَمِعْنا لَوْ نَشاءُ لَقُلْنا مِثْلَ هذا إِنْ هذا إِلَّا أَساطِيرُ الْأَوَّلِينَ) (۱)

وكان يقول: إنما يأتيكم محمد بأساطير الأولين؛ وقع هذا أسيراً بيدى وأتيت به إلى رسول الله (ص) وما إن رآه حتى أمر علياً (ع) بقتله.

فقلت: يا رسول الله! أسيرى.

فقال النبىّ (ص) : إنه كان يقول فى كتاب الله ورسوله ما يقول.

وأنا أقول: إنه أسيرى.

حتى قال رسول الله (ص) : أللّهمّ أغن المقداد من فضلك.

فقلت: هذا الذى أردتُ.

فقتله علىٌّ (ع) صبراً.

وفى معركه أُحد، هذهِ المعركه التى كنتُ فيها فارساً مقداماً، ومقاتلاً عنيداً. . أُنزلت هزيمهٌ مروعه بالمشركين الذين ولّوا هاربين، وقد تركوا قتالهم تملأ ساحه المعركه، وكاد النصر النهائى يكون حليفنا لولا أن ترك بعض الرماه مواقعهم التى حدّدها لهم رسول الله (ص) طمعاً فى الغنائم التى خلّفها مشركو قريش وراء ظهورهم، فلمّا أحسّ خالد بن الوليد ومن كان معه من المشركين بضعف هذا الموقع، وثبوا عليه، وقتلوا ما بقى من الرماه، ثمّ عادوا من خلفنا، فوقفتُ مع نفر من أجلّ الصحابه مدافعين عن رسول الله (ص) ذابّين بأرواحنا وأجسادنا عنه، إنها لحظات كادت تودى برسول الله (ص) وبدينه لولا رحمه الله تعالى به وبنا.

ويوم فتح مكه معقل قريش، كنتُ يومها على ميمنه الجيش الإسلامى الذى يقوده رسول الله (ص) فتهاوت بدخوله (ص) وجيشه الأوثان والأصنام التى كانت تمثل الشرك والكفر كلّه، وقد أحاطت الكعبه من كلّ جوانبها، وبلغ عددها ۳۶۰ صنماً، فأمر رسول الله (ص) بتهديمها وإخراجها من البيت الحرام، وارتفعت رايه التوحيد خفاقهً، وملأ التكبير سماءَ مكّه، وكانت فرحتُنا بهذا النصر الذى طال انتظاره، عظيمه، وابتهاجنا به كان كبيراً. . . .

۱– الأنفال: ۳۱.

وإذ نحن فی غمره أفراحنا بهذا النصر تناهت إلینا أنباءُ حشود عظیمه خطیره بلغ تعدادها أکثر من ۱۲ ألفَ مقاتل من قبائل الطائف وفی مقدمتها قبیلتا هوازن وثقیف، فراح رسول الله (ص) یعدُّ منّا جیشاً کبیراً بلغ تعداده ۱۲ ألف مقاتل أو یزید، وأمرنا بالتحرک، وکان اللقاء فی وادی حنین حیث حلّت بنا هزیمه مفاجئه، تحوّلت - برحمه من الله - إلی نصر کبیر لنا بعد أن ثبت رسول الله (ص) وأکثر من ثمانین من الذین بایعوه حتی الموت وکنتُ أحدهم، وبعد أن عاد المسلمون الذین لاذوا بالفرار من ساحه المعرکه فاندفعت جموعهم نحو ساحه المعرکه التی حمی وطیسها وهم ینزلون بالعدو هزیمه ساحقه.

لم أتخلّف أبداً عن معارک رسول الله (ص) وغزواته کما أنی شارکت فی معرکه الیرموک وفی فتح مصر وحمص ودمشق وغیرها حتی قال لی أحدُ الذین کنت أُحدّثهم عن الجهاد - یوم فتح حمص ودمشق - وقد کبر عمری وضعف جسمی، یومذاک، قال لی: لو قعدتَ العامَ عن الغزو.

فقلت: أبتِ البحُوث، فقد قال الله عزّ وجلّ فیها:

(انْفِرُوا خِفافاً وَثِقالاً) (۱) وکنت فی کل تلک المعارک فارساً أخوض غمارها، وأُبلی بها بلاءً حسناً، مستبشراً بإحدی الحسنیین: الشهاده أو النصر.

* **

قال لی - یوماً - عبد الرحمن بن عوف وقد جلسنا نتحدّث:

ما یمنعک أن تتزوّج؟

فقلتُ له: زوّجنی ابنتک.

فما کان منه إلاّ أن أغلظ لی فی الکلام وجَبهنی.

وکان الصحابه إذا أصاب أحدٌ منهم غمٌّ أو غیظ أو فتنه شکی ذلک إلی رسول الله (ص) فقمتُ من فوری وأتیتُ رسول الله (ص) فما إن نظر إلیّ حتی عرف الغمّ فی وجهی.

۱- التوبه: ۵، سمیت بذلک أی ب- «البحوث» ; لأنها بحثت عن المنافقین وأسرارهم، أی استثارتها وفتشت عنها.

وقال: ما شأنک یا مقداد؟

فقلت: یا رسول الله! بأبی أنت واُمّی، کنتُ عند عبدالرحمن بن عوف جالساً فقال لی:

ما منعک یا مقداد أن تزوّج؟

فقلت له: زوّجنی أنت ابنتک، فأغلظ لی وجبهنی.

فقال لی رسول الله (ص) : لکنّی اُزوّجُک - ولا فخر - ضُباعةَ بنت الزبیر بن عبدالمطلب.

فتزوّجتها وکانت من العقل والجمال بدرجه عالیه مع قرابتها من رسول الله (ص)

* **

نزلت فیّ وفی نفر من أصحاب رسول الله (ص) (ابن مسعود، صهیب، عمار، بلال) هذهِ الآیه:

(وَلا تَطْرُدِ الَّذِینَ یَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَداهِ وَالْعَشِیِّ یُرِیدُونَ وَجْهَهُ)

حین کنّا جلوساً عند رسول الله (ص) وجاء بعض زعماء قریش، فقالوا لرسول الله (ص) : إنّا لا نرضی أن نکون أتباعاً لهؤلاء، فاطردهم عنک حتی نجلس معک فنزلت فینا تلک الآیه.

کما نزلت فیّ وفی رهط من أصحاب رسول الله (ص) هذه الآیه:

(یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا لا تُحَرِّمُوا طَیِّباتِ ما أَحَلَّ اللَّهُ لَکُمْ) (۱)

حینما اجتمعنا فی دار الصحابی الجلیل القدر عثمان بن مظعون، واتّفقنا علی أن نصوم النهار ونقوم اللیل، ولا ننام علی الفرش، ولا نأکل اللحم ولا الوَدَک، ولا نقرب النساء والطیب، ولا نلبس المسوح، ونرفض الدنیا ونسیح فی الأرض ونترهب ونجبّ المذاکیرَ.

فبلغ ذلک رسول الله (ص) فجمعنا، وقال:

«ألم اُنبّأ أنکم اتّفقتم علی کذا وکذا؟» . فقلنا: بلی یا رسول الله! وما أردنا إلاّ الخیر.

فقال لنا:

«إنی لم اُؤمَر بذلک، إنّ لأنفسکم علیکم حقاً، فصوموا وأفطروا، وقوموا وناموا، فإنی أقوم وأنام، وأصوم وأفطر، وآکل اللحم

والدّسم، ومن رغب عن سنّتی فلیس منّی» .

١- المائده: ٨٧.

ثمّ خرج إلى الناس وخطبهُم فقال:

«ما بال أقوام حرّموا النساءَ والطعام، والطيب والنوم، وشهواتِ الدنيا؟ أما إنى لست آمركم أن تكونوا قسّيسينَ ولا رهباناً، فإنّه ليس فى دينى تركُ اللحم والنساء، ولا ـ اتخاذ الصوامع، وإن سياحه اُمتى الصوم، ورهبانيتها الجهاد؛ واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، وحُجُّوا واعتمروا، وأقيموا الصلاه، وآتوا الزكاه، وصوموا رمضان؛ فإنّما هلك مَنْ كان قبلكم بالتشديد، شدّدوا على أنفسهم فشدّد الله عليهم، فأُولئك بقاياهم فى الدِّيارات والصوامع» . فأنزل الله تعالى تلك الآيه.

وقلنا: يا رسولَ الله! كيف نصنع بأيماننا التى حلفنا عليها؟ وكنّا حلفنا على ما عليه اتّفقنا؛ فأنزل الله تعالى:

(لا يُؤاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِى أَيْمانِكُمْ)

وممّا قاله رسول الله (ص) وما سمعته منه: فىّ

«أمرنى اللهُ – عزّ وجلّ – بحبّ أربعه من أصحابى، وأخبرنى أنه يحبّهم: علىّ، وأبوذر، وسلمان، والمقداد الكندى» .

«ألا إنّ الجنّه اشتاقت إلى أربعه من أصحابى، فأمرنى ربّى أن اُحبَّهم: فانتدب صُهيب، وبلال بن رَباح، وطلحه، والزُّبير، وسعد بن وقّاص، وحذيفه بن اليمان، وعمار بن ياسر» .

فقالوا: يا رسول الله! مَن هؤلاء الأربعه حتى نحبَّهم؟

فقال رسول الله (ص) :

«يا عمّار أنت عرّفك الله المنافقين، وأما هؤلاء الأربعه فأحدهم علىّ بن أبى طالب، والثانى المقداد بن الأسود الكندى، والثالث سلمان الفارسى، والرابع أبوذر الغفارى» .

وممّا سمعه منه (ص)

بعث رسول الله (ص) سريه وأمّرنى عليها، فلما رجعتُ قال لى (ص) :

«كيف وجدتَ الإمارهَ يا أبا معبد؟» .

قلتُ: خرجتُ يا رسول الله! وأنا كأحدهم، ثمّ رأيتُ أنّ لى على القوم فضلاً، ورجعتُ وأنا أراهم كالعبيد لى.

فقال (ص) :

«كذلك الإماره يا أبا معبد، إلاّ من وقاه الله شرَّها، فخُذ أو دَع» .

فقلت: لا جرم، والذى بعثك بالحق يا رسولَ الله! لا أتأمّر على اثنين بعدها أبداً.

قلتُ - يوماً - لأصحاب لى: العجب من قوم مررتُ بهم آنفاً يتمنّون الفتنه، يزعمون ليبتليهم الله فيها بما ابتلى به رسول الله (ص) وأصحابه، وأيم الله، لقد سمعتُ رسول الله (ص) يقول:

«إنّ السعيد لمن جنب الفتن» يردّدها ثلاثاً

«وإن ابتلى فصبر» .

وأيم الله، لا أشهد لأحد أنه من أهل الجنه حتى أعلم بما يموت عليه بعد حديث سمعتُه من رسول الله (ص) سمعته يقول:

«لقلب ابن آدم أسرع انقلاباً من القدر إذا استجمعت غلياً» .

(وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِى ارْتَضى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذلِكَ فَأُولئِكَ هُمُ الْفاسِقُونَ) (۱)

وعقب نزول هذه الآيه، سمعتُ رسول الله (ص) يقول:

«ما على ظهر الأرض بيت حجر أو مَدر إلاّ أدخله الله كلمه الإسلام بعزّ عزيز أو ذلّ ذليل: أما بعزّهم فيجعلهم من أهلها، وأمّا بذلّهم فيدينون بها» .

* **

وما عرفتُ الحزنَ واللوعهَ، وألمَ الفراق وقسوته، حتى داهمنى الخبر المشئوم (نعى الحبيب رسول الله (ص)) فكان نبأً عظيماً، وفاجعه جسيمه، ما لبث حتى زلزله الدنيا، وانتشر دويها فى الخافقين. . . حقّاً، إنّها لصدمهٌ، وكيف لا تكون كذلك وقد وصلت برسول الله (ص) القلوب، وجبلت على حبّه النفوس، واعتادت على التشرّف بطلعته الوجوه، وقد انتشلها من الضلاله إلى الهدى ومن الظلام إلى النور. . .

۱- النور: ۵۵.

لقـد عاهدتک یا سـیدی علی أن لا أکون أکثر من جندیّ فی خدمه الإسـلام، وفدائیٍّ نذر نفسه دفاعاً عنه، فجزاک الله یا رسولَ الله! عن الإسلام والمسلمین خیر الجزاء، ونسأله – تعالی – أن یرزقنا شفاعتک وصحبتک یوم لا ینفع مالٌ ولا بنون...

* **

من أحادیثی

کنتُ مع جمع من أصـحابی إذ مرّ رجـل فقال لی: طوبی لهاتین العینین اللتین رأتا رسولَ الله(ص) ! والله لودِدنا أنّا رأینا ما رأیت، وشهدنا ما شهدتَ.

فاستغضبنی قولُه هذا، وأقبلت علیه قائلاً:

ما یحمل الرجل علی أن یتمنّی شیئاً غیّبه الله عنه، لا یدری لو شهده کیف یکون فیه؟

واللهِ، لقـد حضـر رسولَ الله(ص) أقوام أکبَّهم اللهُ علی مناخرهم فی جهنم، لم یُعینوه ولـم یصدِّقوه، أوَلا تحمدون اللهَ أن أخرجکم لا تعرفون إلاّ ربَّکم؟ وأنتم مصـدِّقون لما جاء به نبیُّکم، قـد کفیتُم البلاء بغیرکم; والله، لقد بعث النبیُّ۹ علی أشدّ حال بُعث علیه نبیٌّ من الأنبیـاء فی فتره وجـاهلیه، مـا یرون أنّ دینـاً أفضـلُ من عبـاده الأوثان، فجاء بفُرقان یُفرقُ به بین الحقِّ والباطل، وفرَّق بین الوالد وولده، حتی إن کان الرجلُ لَیَری والدَهُ أو ولدَه أو جدَّه کافراً وقد فتح الله قُفلَ قلبه للإیمان... ثمّ قرأت هذه الآیه:

(رَبَّنا هَبْ لَنا مِنْ أَزْواجِنا وَ ذُرِّیّاتِنا قُرَّهَ أَعْیُنٍ...)(۱).

* * *

توفّاه الله تعالی سنه ۳۳ ه بأرض کانت له تسمی «الجرف» وحمله أصحابه إلی المدینه فدفن فیها.

فسـلامٌ علیک فارساً مؤمناً قویاً فی ذات الله مجاهداً فی سبیله، لم تدخر شـجاعه ولا نصیحه ولم تبخل بشیء، فکنت حقّاً حبیباً لله ولرسوله.

۱– الفرقان: ۷۴.

عدتُ فیما کتبت إلی ما تیسّر لی من مصادر وهی

۱ تاریخ الطبری، لأبی جعفر محمد بن جریر الطبری، ج۲، طبعه دار الکتب العلمیه بیروت.

۲ الکامل، لابن الأثیر.

۳ المغازی، للواقدی.

۴ العقد الفرید، ابن عبدربه الأندلسی.

۵ ربیع الأبرار.

۶ أُسد الغابه فی معرفه الصحابه لابن الأثیر الجزری.

۷ حلیه الأولیاء، لأبی نعیم الاصفهانی.

۸ الإصابه فی معرفه الصحابه لابن حجر العسقلانی.

۹ السیره النبویه لابن هشام، ولابن کثیر.

۱۰ الإمامه والسیاسه لابن قتیبه، ج۱.

(۴) حمزه بن عبدالمطلب

اشاره

عباس المهاجر

حمزه بن عبدالمطلب، أسد الله، وأسد رسوله، وأحد نجباء العرب فی الحسب والنسب، وأحد سادات قریش وکبار أشرافهم فی الجاهلیه والإسلام، ومن المسلمین الأوائل، الصحابی، الصندید، البطل الشجاع، الشاعر، الفصیح، عمّ النبی۹ وأخوه فی الرضاعه، اتصف بالکرم والنخوه والشجاعه، ولد ونشأ فی مکه، وعند إعلان إسلامه، أعز الله الإسلام به، لأنه کان من أقوی رجال قریش وأشدّها شکیمه، وقام یمنع الأذی عن الرسول (ص) وصحبه الکرام، وکان من کثره میله للإسلام وحبّه للرسول (ص) أنه ضرب أبا جهل زعیم المشرکین.

شارک الرسول (ص) والمسلمین فی محنه الحصار الذی فرضه مشرکو قریش علیهم، وهاجر إلی المدینه، وقاد أول سریه فی سبیل الله، کما شارک فی بقیه الغزوات، وقاتل بین یدی الرسول (ص) ببساله نادره، ضارباً فی ذلک أروع أمثله التضحیه والفداء والإخلاص، استشهد فی معرکه أحد بعد أن أبلی بلاءً عظیماً، وقتل عدداً من زعماء ورؤوس الشرک فأثبت بذلک أنه جندی شدید البأس یُقاتل بکفاءه وبسیفین، وبحماس منقطع النظیر.

وببرکه استشهاد حمزه، ورهطه الکرام فی معرکه اُحد، عمّ الإسلام واتسع انتشاره فیما بعد، إذ غرست شهادتهم فی نفوس الصحابه فضیله حبّ الجهاد والتضحیه والإخلاص المتزاید، فالشهید هو الذی یصنع النصر المستمر، ویصنع الحیاه الجدیده، ویضع اللبنه الأساسیه والقویه للتاریخ المشرق، الذی تفتخر به الأجیال إلی الأبد.

وماأحوجنا إلی إحیاء شخصیاتنا التأریخیه، أمثال حمزه بن عبدالمطلب وغیرهم من القاده الأفذاذ الذین سطروا صفحات التاریخ بالآثار والأفعال العظیمه والأخلاق الحمیده.

إسمه ونسبه وکنیته

هو حمزه بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد المناف بن قصی بن کلاب بن مره بن کعب بن لؤی بن غالب بن فهر بن مالک، وینتهی نسبه بعد ذلک بعدنان. (۱)

وأمه هاله بنت وهیب بن عبد مناف بن زهره وهی أم صفیه. (۲) ویلتقی نسب أبیه

من نسب أُمه فی کلاب بن مُرّه ویصعد النسبان معاً إلی عدنان ثم إلی إسماعیل بن إبراهیم (ع).

وقد ورد عن نسب أُمه فی کلّ من الکتابین «نسب قریش» للمصعب الزبیری.(۳) وکتاب «الطبقات الکبری» لابن سعد. (۴)بأنها هاله بنت أُهیب بن عبد مناف بن زهره بن کلاب بن مرّه، حیث یلتقی عمود النسب کما أسلفنا بعدنان فإسماعیل بن إبراهیم.

ومما یجدر ذکره فی هذا الصدد، أنّ عبد مناف بن زهره ولد «وهباً»، وهو جدّ

رسول الله(ص)، لأمّه، آمنه بنت وهب. (۵)

وأما کنیته، فهی کما وردت فی تاریخ الیعقوبی:

۱- راجع کتاب «نسب قریش» ۱ : ۵ وبعدها فی ماده «ولد عدنان».

۲- تاریخ الیعقوبی ۲: ۱۱، ذخائر العقبی ص۱۷۲.

۳- نسب قریش ۱: ۱۷.

۴- الطبقات الکبری ق۱ ۳: ۳.

۵- نسب قریش ۸ : ۲۶۱.

«وحمزه، وهو أبويعلى، أسد الله، وأسد رسول الله(ص)».(۱)

وذكر ابن سعد فى الطبقات الكبرى:

«وكان يكنى أبا عماره، وكان له ولد من الولد، يعلى، وكان يكنى به حمزه، أبا يعلى...».(۲)

وكتب عنه «شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبى» فى كتابه سير أعلام النبلاء، وهو يكمل على ما سبق، فى ذكر كناياته وألقابه التى كان يلّقب بها، فقال عن حمزه بأنه «الإمام، البطل، الضرغام، أسد الله، أبو عماره، وأبويعلى، القريشى، الهاشمى، المكى، المدنى، ثم البدرى، الشهيد، عم رسول الله(ص) وأخوه فى الرضاعه».(۳)

وتحت عنوان: (ذكر اسمه وكنيته) يقول العلّامه الحافظ محب الدين الطبرى:

«ولم يزل اسمه فى الجاهليه والإسلام حمزه، ويكنى أبا عماره، وأبا يعلى... كنيتان له، بابنيه عماره ويعلى، وكان يدعى أسدالله وأسد رسوله (ص)».

عن يحيى بن عبدالرحمن بن أبى لبيه عن أبيه عن جده أنّ رسول الله(ص) قال: «والذى نفسى بيده إنه لمكتوب عندالله عزّوجلّ فى السماء السابعه، حمزه أسدالله وأسد رسوله (ص)» أخرجه البغوى فى معجمه.(۴)

معنى حمزه فى اللغه

أما معنى حمزه فى اللغه العربيه، فهو كما ورد فى كتاب «مختار الصحاح» لمحمد بن أبى بكر الرازى فى ماده ح م ز «حمز الرجل، من باب، ظرُفَ، أى اشتد، فهو حَميز الفؤاد، و (حامزه)؛ وفى الحديث عن ابن عباس: «أفضل الأعمال (أحمزها)، أى أمتنُها وأقواها».(۵)

۱- تاريخ اليعقوبى ۸ : ۲۶۱.

۲- الطبقات الكبرى لابن سعد ۳ ق۱: ۳-۴ طبقه ليدن.

۳- سير أعلام النبلاء، الذهبى ۱: ۱۲۷.

۴- ذخائر العقبى فى مناقب ذوى القربى :۱۷۳.

۵- مختار الصحاح، محمد بن أبى بكر بن عبد القادر الرازى :۱۵۴.

ولادته و وفاته

ولـد سـيدنا حمزه بن عبدالمطلب فی مكه المكرمه سـنه (۵۴ قبل الهجره/۵۶۸ ميلاديه). وتوفی شـهيداً فی معركه اُحـد، سـنه (۳ للهجره/۶۲۵ ميلاديه)،(۱) ودفن جنوبی جبل اُحـد، حيث وقعت المعركه فی المـدينه المنوره فی السـنه المذكوره آنفاً، فقد ورد فی مجله آخر ساعه المصريه، العدد ۱۹۷۴۲۰۴۶-۱۶ ذی الحجه سنه ۱۳۹۳ه ، تحقيق عن المدينه المنوره بقلم: عدنان العبد جاء فيه.. «وجنوبی الجبـل جبـل اُحـد وفی وادی قنـاه وعلی جـانبه توجـد قبور الشـهداء من أبطال المسـلمين وعلی رأسـهم حمزه بن عبدالمطلب عمّ رسول الله(ص) وسيد الشهداء».(۲)... وقد «قتل علی رأس اثنين وثلاثين شهراً من الهجره، وكان يوم قتل، له سبع وخمسون سنه، ودفن هو وابن أخيه عبدالله بن جحش فی قبر واحد».(۳)

نشأه سيدنا حمزه بن عبد المطلب الأولی

يلاحـظ من تتبع ودراسه حلقـات حيـاه حمزه بن عبـدالمطلب الأولی، أنه نشأ نشأهً مسـتقيمه، خاليه من عيوب وسـلبيات المجتمع القريشـی، وكبر وسط هذا المجتمع، وهو يجتمع علی كلّ الخصال السـليمه، والمواقف الرشيده، فكان يحمل عقلاً نافذاً، وضميراً حيّاً، ينبض بالشـجاعه وحبّ الخير، وكان يعتـد بـذاته، ولا يحبّ التجبر والتهور، والعدوان علی الغير، ويأنف من الظلم، كما كان فی نفس الوقت لا ـ يحبّ أن يعتـدی عليه أحـد، أو علی أقربـائه.. وكـان النـاس يعرفون له قـدره ومكـانته؛ وكـان يحمل معه كلّ الصفات الهاشميه الأصيله، كالصدق، والوفاء، والكرم، والفتوه، والشجاعه بكل معناه.

ومع قله ورود الأخبار المتناثره فی بطون التاريخ فی الفتره ما قبل الإسلام، إلاّ أنها

۱- المدائح النبويه المتضمنه لسور القرآن الكريم للسيد هاشم الخطيب هامش الصفحه: ۸۵ .

۲- المصدر نفسه: ۸۷ .

۳- ذخائر العقبی :۸۵، فی موضوع (ذكر تاريخ مقتله).

جميعاً تؤكد تجسيم الشخصيه الكامله فيه، وتؤشر الملامح الصحيحه للإنسان الفاضل الذى سيدخل التاريخ من أوسع وأشرف أبوابه، ويسجل له فيه مجداً خالداً إلى الأبد، وفعلاً ـ دخل التأريخ وسطر له حروفاً نورانيه مشحونه بالمجد والخلود وبقاء الذكر.(۱)

وكان حمزه صاحب إراده قويه، عزيز النفس، كريم الطباع، نشأ وقد تأثر بمركز والده عبدالمطلب القائم على الشرف والسياده والرئاسه وحب الناس له، وكان معدن حمزه نقياً، ومعروفاً باستقامه الضمير، ونفاذ البصيره، وحب الخير، والتمثل بالشمائل الطيبه، المبنيه على الإراده والتصميم وسلامه اتخاذ المواقف، ومن هنا دخل حمزه التاريخ ومن أحسن أبوابه، وسجل له التأريخ بدوره جميع مواقفه البطوليه.(۲)

العلاقه بن حمزه ومحمّد(ص)

تكشف لنا أخبار حمزه بن عبدالمطلب أنه كان شديد التعلق بابن أخيه محمد بن عبدالله، والرعايه له، والدفاع عنه إذا مسّه سوء من أحد، والاستجابه لمطالبه وتلبيه رغباته على أتم الاستعداد، وعلى جناح السرعه بالإراده والتصميم، ودون تردد أو إحجام.

فهو عمّ محمد(ص) وأخوه فى الرضاعه، فقد كتب اليعقوبى عن مولد الرسول(ص): «فكان أول لبن شربه بعد أمه لبن ثويبه مولاه أبى لهب؛ وقد أرضعت ثويبه هذه حمزه وجعفر بن أبى طالب، وأبا سلمه بن عبدالأسد المخزومى...»،(۳) وكان أكبر من رسول الله(ص) بأربع سنين، وقيل سنتين.(۴)

وكان حمزه كما بيّنا سابقاً، يعرف ويشعر بعظمه مكانه ابن أخيه محمد(ص) وكماله، وكان على بينه من حقيقه أمره، ومعرفه جوهره، وصفاته الجيده، وكانت رابطه حمزه بمحمد(ص)

۱- حمزه أسد الله ورسوله جميل إبراهيم :۲۵-۲۶.

۲- المصدر نفسه: ۲۶.

۳- تاريخ اليعقوبى ۲: ۹.

۴- ذخائر العقبى :۱۷۲.

رابطه عمومه وأخوه وصداقه متفاعله ببعض، ذلک أن الرسول وحمزه کانا من جیل اجتماعی واحد، وسن متقاربه، نشأ کل واحد منهم مع الآخر؛ وکانت تخیم علیهما عائله عبدالمطلب المعروفه، وقد تآخیا فی ظل هذه العائله الطیبه، منذ المراحل المبکره من حیاتهما وسارا معاً علی الدرب، من الخطوات الأولی.

اشترک محمد(ص) وحمزه بنشأتهما الأولی فی أرفع بیوتات العرب فی قریش فی السیاده والکرم والحلم والشجاعه والمنزله الرفیعه، فمحمد بن عبدالله بن عبدالمطلب، وحمزه بن عبدالمطلب، کلاهما یشترکان بالاعتزاز بهذا الفضل الذی رسمه عبدالمطلب وحاز به فی المجتمع، فهو سید بطحاء مکه وزعیم قریش بلا منافس.

وقد اکسب الزمن تاریخ هذه العائله الذی ینتمی إلیه کل من محمد(ص) وحمزه بالتجارب الواسعه فی الحیاه والتبصر فی فهم شؤون المجتمع؛ وقد استمرت العلاقات القائمه بین الرسول(ص) وحمزه علی مدی الأیام، وهی تزداد قوه علی قوه، وتوثقت أکثر فأکثر بعد انضمام حمزه للمسلمین وإعلان إسلامه؛ فکانت علاقتهما علی هذا الأساس قائمه علی المصیر المشترک والمسؤولیه الواعیه، وعلی التضحیه من أجل المبادئ العلیا، وهکذا سجّل التاریخ فی لوحاته المجیده لکل منهما المواقف المشرفه، والأدوار البطولیه الخالده بأحرف من نور.

إسلام حمزه فی المیزان

إنّ إعلان إسلام حمزه بن عبدالمطلب یعدُّ نصراً عظیماً للإسلام والمسلمین، فهو ممن أعزّ الله به الإسلام، وکان موقفه مع الرسول(ص) والمسلمین قبل إسلامه موقفاً سلیماً وطبیعیاً... حیث لم یسجل علیه التاریخ أیه بادره سلبیه، أو تشنجاً یشم منه رائحه العناد والمعارضه ضد الدعوه الإسلامیه الأولی... بل بالعکس کان یحب الرسول(ص) ولم یتغیر علیه، ولقد دافع عنه وعن المسلمین ضد أبی جهل بل ضرب أبا جهل أمام الملأ، وکان ذلک قبل أن یسلم حمزه.

وقد دُرس الوضع الجدید المتمثل بإسلام حمزه، ووجدوا بأنّ إسلام حمزه فتح صفحه جدیده رائعه فی تاریخ الدعوه، وفسح المجال الرحب لرغبه جماعات للانضمام إلی هذا الدین

الجديـد، لـذلك قـام المشـركون بوضع استراتيجيه جديـده، وهی إعلاـن الحرب الأـهليه والنفسـيه والاقتصـاديه، لإلحـاق الأـذى بالمسـلمين، وتعـذيبهم، وفرض المضايقات المختلفه عليهم، وإثاره الأراجيف الكاذبه ضدهم، وسبيهم ومحاربه مصالحهم وإثاره النزاعات فی وجوههم، وقد عرف حمزه ما تحمله الأوضاع الجديده من نتائج حاسمه، وكان مثال المجاهد الصبور.

ملازمه حمزه للرسول وعدم هجرته إلى الحبشه

لما أصـرت قريش على مناصـبه النبی(ص) ومن معه العداء، أذن الرسول(ص) لبعض المسلمين بالهجره إلى الحبشه، فقد جاء فی كتاب تاريـخ اليعقوبی: «ولما رأى رسول الله(ص) ما فيه أصـحابه من الجهد والعذاب، وما هو فيه من الأمن، بمنع أبی طالب عمّه إياه، قال لهم: ارحلوا مهاجرين إلى الحبشه، إلى النجاشـی، فإنه يحسن الجوار، فخرج فی المره الأولى اثنا عشر رجلًا، وفی الثانيه سبعون رجلًا، سوى أبنائهم ونسائهم، وهم المهاجرون الأوائل، فكان لهم عنـد النجاشـی منزله، وكان يرسل إلى جعفر فيسأله عما يريد...».(۱) «وأقام المسـلمون بأرض الحبشه، حتى ولـد لهم أولاد، وجميع أولاد جعفر ولـدوا بأرض الحبشه، ولم يزالوا بها بأمن وسلام، واسم النجاشی أصحمه».(۲)

وقـد بقی حمزه بن عبـدالمطلب فی مكّه ملازماً للرسول (ص) يتحمـل القسط الأـكبر من العـذاب والقسوه التی وجهتهـا قريش للرسول (ص) ولم يهاجر إلى الحبشه، وكان سلاحه الإيمان بالله والصبر والثبات.

حمزه والهجره إلى المدينه

بعـدما نال المسـلمون أنواع العذاب والمقاومه وصـنوف الضـغوط المليئه بالقسوه والعنف والإجحاف والعناد من المشـركين، أمر الرسول(ص) المسلمين بالهجره من مكه إلى المدينه،

۱- تاريخ اليعقوبی ۲: ۲۹.

۲- المصدر نفسه، ۲: ۳۰.

وکان حمزه ممن استجاب لأمر النبی(ص) وهاجر إلی المدینه تارکاً مسقط رأسه مکه، ما دامت المسأله تتعلق بالمبدإ والعقیده.

وقد اختلفت الروایات التاریخیه فی منزل حمزه بن عبدالمطلب فی المدینه بعد هجرته من مکه، فبعض الروایات تقول إنه نزل علی کلثوم بن الهدم، والأخری تقول علی سعد بن خیثمه، وغیرها تقول علی غیر هؤلاء المذکورین.

وقد ورد حول هذا الموضوع فی الطبقات الکبری لابن سعد قال «أخبرنا محمد بن عمر قال أخبرنا محمد بن صالح عن عمران بن مناح، قال: لما هاجر حمزه بن عبدالمطلب إلی المدینه نزل علی کلثوم بن الهدم، قال محمد بن صالح: وقال عاصم بن عمر بن قتاده: نزل علی سعد بن خیثمه».(۱)

وورد عن الموضوع نفسه فی السیره النبویه لابن هشام عن ابن إسحاق قال: «قال ابن إسحاق: ونزل حمزه بن عبدالمطلب وزید بن حارثه وأبو مرشد کناز بن حِصن. قال ابن هشام: ویقال: هو ابن حُصین. قال ابن إسحاق: وابنه مرشد الغُنویان، حلیف حمزه بن عبدالمطلب، وأنَسهُ، وبکشه، مولیا رسول الله(ص) علی کلثوم بن الهدم أخی بنی عمرو بن عوف بقباء، ویقال: بل نزل حمزه بن عبدالمطلب علی أسعد بن زراره أخی بنی النجار، کل ذلک، یقال».(۲)

شخصیه حمزه العسکریه

یعود سبب شجاعته إلی عاملین رئیسیین، أولهما صفاته البدنیه اللآئقه، والثانی الصفات المعنویه العالیه التی کانت تتوفر فی جوهر شخصیته... فعن العامل الأول ورد فی طبقات ابن سعد عن صفاته البدنیه: بأنه... «کان رجلًا لیس بالطویل ولا بالقصیر».(۳) وتعتبر هذه

۱- الطبقات الکبری لابن سعد ۳ ق۱: ۴.

۲- السیره النبویه لابن هشام ۲ : ۳۲۹.

۳- الطبقات الکبری لابن سعد ۳ ق۱: ۴-۵.

الصفه البدنيه من الصفات التي يمتاز بها أكثر رجال العرب والعسكريون الشجعان المقاتلون الأشداء.

وأما بالنسبه للصفات المعنويه وهى العامل الثانى، فقد كان حمزه بن عبدالمطلب قوياً جلداً فى الحروب، لا يعرف التراجع؛ واثق فى نفسه أثناء القتال، وعرف عنه فى الحروب أنه ذلك المجاهد الصبور وكان يقاتل بسيفين كما فعل ذلك فى معركه أحد وبشهاده الصحابه عنه.

فقد ورد فى كتاب سير أعلام النبلاء للذهبى قال: عن ابن عون، عن عمير ابن إسحاق، عن سعد بن أبى وقاص: كان حمزه يقاتل يوم أحد بسيفين ويقول: «أنا أسد الله»؛ (رواه يونس بن بكير عن ابن عون عن عمير مسترسلاً).(۱)

وخلاصه القول كانت شخصيه حمزه العسكريه متكامله ومبنيه على الثقه بالنفس والإقدام فى تنفيذ الواجب بإتقان تام، وإلقاء الرعب فى قلوب الأعداء.

مشاركه حمزه فى الغزوات الأولى

كان حمزه عسكرياً فذاً وجندياً ماهراً فى القتال، يحارب ويجاهد تحت قياده الرسول(ص) وقد شارك فى الغزوات الأولى بعد هجرته من مكه إلى المدينه، ابتداءً من رئاسته لأول سريه غزاها، إلى مشاركته فى معركه أحد والتى نال فيها شرف الاستشهاد، وقد أجمع المؤرخون وكتّاب السير على مشاركته الفعّاله ومساهمته البارعه فى المشاهد الأولى تحت زعامه الرسول(ص) ولم يورد المؤرخون اسم حمزه صراحه فى هذه الغزوات، وإنما ذكروه فى بعضها بشكل صريح وتاره أخرى يلمّحون إلى اسمه بصوره غير مباشره، وكان لحمزه البطل الدور البارز والفعال فى هذه الغزوات، فقد أبدى صنوف الشجاعه والإقدام والإخلاص لله ولرسوله ولعقيدته.(۲)

۱- سير أعلام النبلاء الذهبى ۱: ۱۳۱.

۲- المدائح النبويه، هاشم الخطيب : ۸۴ ۸۵ .

سریه حمزه بن عبد المطلب

أجمع المؤرخون وکتّاب السیر والمغازی الأولی، علی أنّ أول سریه عقدها رسول الله(ص) کانت لحمزه بن عبد المطلب، ووصل حمزه بهذه السریه إلی سیف البحر فی ثلاثین راکباً یعترض عیر قریش، وهی منحدره إلی مکه، وقد جاءت من الشام، وفیها أبوجهل بن هشام فی ثلاثمائه راکب، فانصرف ولم یکن بینهم قتال...

قال محمد بن عمر: هو الخبر المجمع علیه عندنا، أنّ أول لواء عقده رسول الله(ص) لحمزه بن عبدالمطلب.(۱) وقد جاء فی تاریخ الیعقوبی عن هذه الغزوه فقال: وأقام رسول الله(ص) یتلوّم ویتهیأ للقتال حتی أنزل عزّ وجل:

(أُذِنَ لِلَّذِینَ یُقاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلی نَصْرِهِمْ لَقَدِیرٌ).(۲)

والآیه الأخری قال:

(فَقاتِلْ فِی سَبِیلِ اللَّهِ لا تُکَلَّفُ إِلاَّ نَفْسَکَ).(۳)

إلی آخر الآیه، فکان الرجل من المؤمنین یُعدُّ بعشره من المشرکین، حتی أنزل

عزّوجل:

(الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْکُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِیکُمْ ضَعْفاً فَإِنْ یَکُنْ مِنْکُمْ مِائَهٌ صابِرَهٌ یَغْلِبُوا مِائَتَیْنِ وَإِنْ یَکُنْ مِنْکُمْ أَلْفٌ یَغْلِبُوا أَلْفَیْنِ...).(۴)

وأنزل عزّ وجل سیفاً من السماء له غمد، فقال له جبرئیل: «ربک یأمرک أن تقاتل بهذا السیف قومک حتی یقولوا: لا إله إلاّ الله، وأنک رسول الله(ص) فإذا فعلوا ذلک حرمت دماؤهم وأموالهم»؛ فکانت أول سریه سارت هی لحمزه بن عبدالمطلب.(۵)

ویقول المداینی: «إنّ أول سریه بعثها رسول الله(ص) لحمزه بن عبدالمطلب فی ربیع الأول

۱- الطبقات الکبری، لابن سعد ۳ ق۱: ۴.

۲- الحج: ۳۹.

۳- النساء: ۸۴ .

۴- الأنفال: ۶۶.

۵- تاریخ الیعقوبی ۲ : ۴۴.

من سنه اثنين إلى سيف البحر من أرض جهينه]وسيف البحر يعنى ساحله [أخرجه أبوعمر وصاحب الصفوه، ولفظه أول لواء عقده رسول الله لحمزه حيث قدم المدينه».(۱)

مقتل حمزه بن عبد المطلب

كان حمزه بن عبد المطلب يقاتل بشده، وكان يحارب بيقين، وقد قُتل بعد أن قتل رجالاً من قريش، حيث «رماه وحشى، عبد لجبير بن مطعم فسقط، ومثلت به هند بنت عتبه بن ربيعه، وشقت عن كبده، فأخذت منه قطعه فلاكتها، وجدعت أنفه، فجزع عليه الرسول(ص) جزعاً شديداً، وقال: لن أصاب بمثلك، وكبّر عليه خمساً وسبعين تكبيره».(۲)

جاء فى السيره النبويه لابن هشام عن وحشى فقال: «ودعا جبير بن مطعم غلاماً له حبشياً يقال له: وحشى، يقذف بحربه له قذف الحبشه، قلّما يخطئ بها، فقال له: أخرج مع الناس، فإن أنت قتلت حمزه عمّ محمد(ص) بعمّى وطعيمه بن عدى، فأنت عتيق».(۳)

وهكذا خرج وحشى مع رجال قريش ومعهم بعض النسوه وكانت «هند بنت عتبه كلما مرت بوحشى أو مرّ بها، قالت: ويها أبا دسمه اشف واستشف، وكان وحشى

يكنى بأبى دسمه، فأقبلوا حتى نزلوا بعينين، بجبل ببطن السّبخه من قناه على شفير الوداى، مقابل المدينه».(۴)

وقد تكلم وحشى عن قتل حمزه، كما جاء فى السيره النبويه لابن هشام «قال وحشى، غلام جبير بن مطعم: والله أنى لأنظر إلى حمزه يهدّ الناس بسيفه ما يليق به شيئاً، مثل الجمل الأورق، إذ تقدمنى إليه سباع بن عبدالعزى، فقال له حمزه: هلم إلىّ يا ابن مقطعه البظور، فضربه ضربه، فكأن ما أخطأ رأسه وهززت حربتى حتى إذا رضيت منها دفعتها

۱- ذخائر العقبى : ۱۷۶.

۲- تاريخ اليعقوبى ۲ : ۴۷.

۳- السيره النبويه لابن هشام، ۲ :۶۱.

۴- المصدرالنفسه۲ :۶۲.

عليه، فوقعت فى ثنته حتى خرجت من بين رجليه، فأقبل نحوى، فغُلِب فوقع، وأمهلتُه حتى إذا مات جئت فأخذت حَربتى، ثم تنحيت إلى العسكر، ولم تكن لى بشىء حاجه غيره».(۱)

تاريخ قتل حمزه بن عبد المطلب

قتل على رأس اثنين وثلاثين شهراً من الهجره وكان يوم قتل له سبع وخمسون سنه، ودفن هو وابن اخته عبد الله بن جحش فى قبر واحد، وفى روايه كان سنّه يوم قتل ابن تسع وخمسين سنه، وكان أصغر من رسول الله (ص) بأربع سنين.(۲)

بكاء النبى(ص) على حمزه بن عبد المطلب

قال ابن هشام: لما وقف رسول الله(ص) على حمزه قال: «لن أصاب بمثلك أبداً وما وقفت موقفاً قط أغيظ لى من هذا».

وعن ابن عباس قال: لما انصرف المشركون عن قتلى اُحد، انصرف رسول الله(ص) فرأى منظراً ساءه ورأى حمزه قد شقّ بطنه واصطلم]أى قط [أنفه، وجدعت أذناه، فقال: لولا أن تجزع النساء ويكون سنّه من بعدى لتركته حتى يبعثه الله من بطون السباع والطير...، ولأمثلنّ مكانه بسبعين قتيلاً منهم؛ ثم كفن ببرده غطى بها وجهه، وجعل على رجليه شيئاً من الأذخر]الأذخر وهو حشيشه طيبه الرائحه[ثم قدم وصلى عليه عشراً، ثم جعل يجاء بالرجل وحمزه مكانه حتى صلى عليه سبعين صلاه، وكان عدد القتلى سبعين، فلما فرغ منهم نزل قوله تعالى:

(ادْعُ إِلى سَبِيلِ رَبِّکَ بِالْحِکْمَهِ).(۳) إلى قوله: (وَاصْبِرْ وَما صَبْرُکَ إِلاَّ بِاللَّهِ).(۴)

۱- السيره النبويه لابن هشام، ۲ :۶۹-۷۰.

۲- الطبقات لابن سعد ۳: ۴-۵.

۳- النحل: ۱۲۵.

۴- المصدر نفسه: ۱۲۷.

لقـد عرفنا من خلال هـذه الروايات، مـدى حزن الرسول(ص) على مقتل حمزه، وإحاطه الرسول(ص) وأصـحابه بالجثمان الطاهر لحمزه، وهو مسجى على الأرض، يبكون عليه.

ذكر غسل الملائكه حمزه

عن الحسن۷: قال رسول الله(ص): «رأيت حمزه تغسله الملائكه».(۱)

ذكر وصيته

قال ابن اسحاق: أوصى حمزه بن عبدالمطلب فيما بلغنا إلى زيد بن حارثه، وكان رسول الله(ص) آخى بينهُ وبينه، أوصى إليه يوم أحد لما حضر القتال، إن حدث به حادث الموت.(۲)

حمزه يطلب من الرسول(ص) أن يشرّفه الله برؤيه جبريل

كان۹ لاـ يرفض لحمزه أى طلب، مهمـا كـان نـوعه، وقـد طلـب مـن الرسـول (ص) ذات مره أن يشـرفه الله برؤيه جـبريل۷ على صورته، وقد ورد الخبر فى الطبقات الكبرى لابن سعد حيث نقل:

«قال: أخبرنا موسى بن إسماعيل، قال أخبرنا حماد بن سلمه عن عمار بن أبى عمار: أنّ حمزه بن عبدالمطلب، سأل النبى(ص) أن يُريه جبريـل فى صورته، فقـال: «إنـک لاـ تسـتطيع أن تراه» قـال: «بلى». قال: «سأقعـد مكانک». قال: فنزل جبريل على خشـبه فى الكعبه كان المشـركون يضـعون ثيابهم عليها، إذا طافوا بالبيت، فقال: «ارفع طرفک فانظر» فإذا قـدماه مثل الزبرجد الأخضـر، فخر مغشياً عليه».(۳)

۱- ذخائر العقبى :۱۸۵.

۲- المصدر النفسه.

۳- الطبقات لابن سعد ۳ ق ۱: ۶.

ذکر أنه أسد الله ورسوله

عن یحیی بن عبدالرحمن بن أبی لبیبه، عن أبیه، عن جده، قال: قال (ص): «والذی نفسی بیده إنه مکتوب عن الله عزّوجلّ فی السماء السابعه حمزه بن عبدالمطلب أسدالله وأسد رسوله» وقال ابن هشام: قال (ص):«جاءنی جبریل فأخبرنی أنّ حمزه بن عبدالمطلب مکتوب فی أهل السماوات السبع أسدالله ورسوله».(۱)

ذکر أنه خیر أعمام النبی(ص)

عن عبدالرحمن بن عابس عن أبیه قال: قال (ص): «خیر أعمامی حمزه».(۲)

ذکر أنه سید الشهداء

عن جابر بن عبدالله: قال (ص): «سید الشهداء یوم القیامه حمزه بن عبدالمطلب، ورجل قام إلی إمام جائر قام ونهاه»؛ وفی روایه: «حمزه خیر الشهداء»؛ وعن أبن مسعود قال: قال (ص): «ألا أنبئکم بأفضل الشهداء عندالله بعد حمزه بن عبدالمطلب، قیل: بلی یا رسول الله. قال: رجل أتی أمیراً جائراً فأمره بالمعروف ونهاه عن المنکر، فإن هو لم یقتله لم یجر علیه ذنب ما دام حیاً، وإن قتله کان أفضل الشهداء عندالله بعد حمزه بن عبدالمطلب.(۳)

شهاده النبی(ص) له بالجنه

قال (ص): «دخلت البارحه الجنه فإذا حمزه مع أصحابه».(۴)

۱- ذخائر العقبی :۱۷۶.

۲- المصدر النفسه.

۳- المصدر النفسه.

۴- المصدر النفسه: ۱۷۶ ۱۷۷.

حمزه أحد نجباء الرسول(ص)

فی روایه عن قطر بن خلیفه عن کثیر النواء، سمعت عبدالله بن مالک، سمعت علیاً۷ یقول: قال (ص): «لم یکن نبیّ قط إلاّ وقد أعطی سبعه نجباء ووزراء، وإنی أعطیت أربعه عشر أحدهم حمزه».(۱)

اعتزاز علی بن أبی طالب(ع) بعمّه حمزه

کان علی بن أبی طالب (ع) یعتزّ جداً بعمه حمزه بن عبدالمطلب، وقد سمی ابنه الحسن أول الأمر بحمزه من کثره محبته له، فقد جاء فی باب ذکر تسمیتهما الحسن والحسین کانتا بأمر الله تعالی؛ فی کتاب ذخائر العقبی ذلک: «عن علی (ع)قال: «لما ولد الحسن سماه حمزه، فلما ولد الحسین سماه باسم عمه جعفر، قال (ع): فدعانی رسول الله(ص) وقال: إنی أُمرت أن أغیر اسم هذین، فقلت: الله ورسوله أعلم، فسماهما حسناً وحسیناً».(۲)

علی (ع) لا یفارق ذکر حمزه

کان علی (ع) لا یفارق ذکر اسم عمه حمزه، إجلالاً لقدره واعتزازاً به، وقد ورد ذلک

فی کتاب ذخائر العقبی فی موضوع: «ذکر برّ علی (ع) به یعنی عمه العباس ودعائه

له»؛ وذلک «عن ابن عباس قال: اعتلّ أبی العباس، فعاده علی (ع) فوجدنی أضبط

رجلیه، فأخذهما من یدی، وجلس موضعی، وقال: أنا أحقّ بعمی منک، أن کان الله عزّوجل قد توفی رسول الله(ص) وعمی حمزه وأخی جعفراً، فقد أبقی لی العباس، عمّ

الرجل صنو أبیه وبره به کبره بأبیه، أللهم هب لعمی عاقبتک، وارفع له درجه، واجعله عندک فی علیین».(۳)

۱- سیر أعلام النبلاء، الذهبی ۱: ۲۹۵.

۲- ذخائر العقبی :۱۲۰.

۳- المصدر النفسه: ۲۰۲.

حديث الرسول(ص) على قبر حمزه

ورد فى الطبقات الكبرى لابن سعد قال: أخبرنا عبد الله بن سلمه بن قعتب، قال: أخبرنا محمد بن صالح بن يزيد بن زيد عن أبى أسيد الساعدى، قال: أنا مع رسول الله(ص) على قبر حمزه، فجعلوا يجرون النمره، فتنكشف قدماه، ويجرونها على قدميه فينكشف وجهه، فقال رسول الله(ص): «اجعلوها على وجهه واجعلوا على قدميه من هذا الشجر»؛ قال: فرفع رسول الله(ص) رأسه فإذا أصحابه يبكون، فقال: ما يبكيكم؟ قيل: يا رسول الله لا نجد لعمك اليوم ثوباً واحداً يسعه: فقال (ص): «إنه يأتى على الناس زمان يخرجون إلى الأرياف، فيصيبون رفهاً مطعماً وملبساً ومركباً أو قال: مراكب، فيكتبون إلى أهلهم هلموا إلينا فإنكم بأرض جرده، والمدينه خير لهم لو كانوا يعلمون، لا يصبر لأواءها وشدتها أحد إلاّ كنتُ له شفيعاً، وشهيداً يوم القيامه».(۱)

حمزه فى عالم الشعراء

يحفل الأدب العربى بكثير من القصائد الشعريه عن سيدنا حمزه بن عبدالمطلب، إما بشكل صريح أو بالكنايه، والأبيات التى قيلت فى حقه موزعه بين رثاء له، أو مفاخره لشجاعته، أو ورود اسمه فى المدح النبوى.

فى ذكر أوصافه

بنوه سراه كهلُهم وشبابُهم

تفلّق عنهم بيضه الطائر الصقر

قُصيٌّ الذى عادى كنانه كلَّها

ورابط بيتَ الله فى العُسر واليُسر

وأبقى رجالا سادهً غير عُزّل

مصاليت أمثال الردينيه السُمر

أبو عُتبه المُلقى إلىّ حِباؤه

أغرٌّ هِجان اللون من نفر غر

۱- الطبقات لابن سعد ۳ ق۱: ۸.

وحمزه مثل البدر يهتزّ للندى

نقى الثياب والذمام من الغدر(۱)

قال ابن اسحاق: وقال حسان بن ثابت يبكى حمزه بن عبدالمطلب:

أتعرفُ الدارَ عفا رسُمها

بعدكَ صوبُ المسُبِل الهاطل ِ

بين السرّاديح فأُدمانه

فمدفع الرّوحاء فى حائل ِ

ساءلتُها عن ذاک فاستعجمت

لم تدرِ ما مرجوعهُ السائل

دع عنك داراً قد عفا رسمُها

وابكِ على حمزه ذى النائل

المالىِ الشّيزى إذا أعصفت

غبراءُ فى ذى الشّيم الماحل

أظلمت الأرضُ لفقدانه

واسودّ نور القمر الناصل

صلى عليه الله فى جنّه

عاليه مُكرمه الداخل

كنا نرى حمزه حِرزاً لنا

فى كل أمر نابنا نازل

وكان فى الإسلام ذا تُدْرَأ

يكفيك فقدَ القاعد الخاذل

غداه جبريل وزيرٌ له

نعم وزيرُ الفارس الحامل(۲)

۱- السیره النبویه، لأبن هشام ق۱ :۱۷۴ قصیده حذیفه.

۲- السیره النبویه ق۲ : ۱۵۵- ۱۵۶.

(۵) عبدالله بن عباس

اشاره

إيماناً وجهاداً و علماً

محسن الأسدی

عبدالله بن عباس بن عبدالمطلب بن هاشم، كنيته أبوالعباس، وقيل أبوعبدالرحمن، لقبه الهاشمی والقرشی، شهرته حبر الأمه.

اُمّه أمّ الفضل أخت ميمونه زوج النبیّ(ص) اسمها لبابه الصغری الهلاليه.(۱) بنت الحارث بن حزن من بنی عامر بن صعصعه.

فی السنه الثالثه قبل الهجره المباركه،(۲) جاء العباس عمُّ النبیّ(ص) وهو يحمل وليده فی خرقه متجهاً به نحو النبیّ(ص) ليضعه بين يديه المباركتين فضمّه إليه وحنكه بريقه.(۳)

كان ذلک أيام كان رسول الله(ص) وأهل بيته وصحبه محاصرين بالشعب، شعب

۱- الإصابه ۴: ۱۲۲؛ مختصر تاريخ دمشق ۱۲: ۲۹۳؛ حليه الأولياء ۳۱۴.

۲- المصدر النفسه.

۳- التاج الجامع للأصول، للشيخ منصور علی ناصيف ۳: ۳۶.

بنی هاشم فی مکه.(۱) توفی رسول الله(ص) وابن عباس ابن ثلاث عشره سنه، یقول عن نفسه: راهقت الاحتلام فی حجه الوداع.

صفته

کان ابن عباس أبیض طویلًا مشرباً صفره جسیماً وسیماً صبیح الوجه له وفره یخضب بالحنّاء؛ هذا ما وصفه به ابن منده.

أما ما قاله أبو إسحاق: رأیتُ ابن عباس رجلًا جسیماً قد شاب مقدم رأسه وله جُمّه.(۲) وکان إذا قعد أخذ مقعد الرجلین، وکان یخضب بالسواد، ویسمی الحبر والبحر لکثره علمه وحدّه فهمه.(۳)

من دعاء رسول الله(ص) له

أللهم أعطه الحکمه وعلّمه التأویل.

أللهم فقّهْهُ فی الدین وعلّمه التأویل.

ومما قال رسول الله(ص) له: «یا غلام ألا أعلمک کلمات ینفعک الله بهن؟ احفظ الله یحفظک، احفظ الله تجده أمامک، تعرف إلی الله فی الرخاء یعرفک فی الشدّه، إذاسألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، فقد جفّ القلم بما هو کائن إلی یوم القیامه، ولو اجتمع الخلق علی أن یعطوک شیئاً لم یکتبه الله عزّ وجلّ لک لم یقدروا علیه، وعلی أن یمنعوک شیئاً کتبه الله عزّوجلّ لک لم یقدروا علیه، فاعمل لله تعالی بالرضا فی الیقین، واعلم أنّ فی الصبر علی ما تکره خیراً کثیراً، وأنّ النصر مع الصبر، وأنّ الفرج مع الکرب، وأنّ مع العسر یسراً».(۴)

۱- الإصابه ۴: ۱۲۲.

۲- العقد الفرید ۴: ۱۲۳.

۳- مختصر تاریخ دمشق ۱۲: ۲۹۶ ۲۹۷.

۴- حلیه الأولیاء ۱: ۳۱۴. مختصر تاریخ دمشق ۱۲: ۳۰۰.

قالوا فيه

قال الإمام على (ع) فيه: «إنه لينظر إلى الغيب من ستر رقيق لعقله وفطنته».

خطب ابن عباس وهو على الموسم، فجعل يقرأ ويفسّر، فقال رجل: لو سمعت فارس والروم لأسلمت؛ وعندما قرأ ابن عباس سوره النور وجعل يفسرها قال فيه الخليفه الثانى عمر: لو سمعت هذا الديلم لأسلمت؛ ذاكم فتى الكهول، له لسان سؤول، وقلب عقول.

قال فيه ابن عمر: لقد أوتى ابن عباس علماً صدقاً.

عن عطاء: مارأيت قط أكرم من مجلس ابن عباس وأكثر فقهاً، وأعظم خشيه، إنّ أصحاب الفقه عنده، وأصحاب القرآن عنده، وأصحاب الشعر عنده، يصدرهم كلهم من واد واسع.

وعن مسروق: كنت إذا رأيت ابن عباس قلت: أجهل الناس; فإذا نطق قلت: أفصح الناس، فإذا تحدث قلت: أعلم الناس.(۱)

من أقواله فى نفسه

عن عبدالله بن بريده، قال: شتم رجل ابن عباس، فقال: إنك لتشتمنى وفىّ ثلاث: إنى لأسمع بالحاكم من حكّام المسلمين يعدل فى حكمه فأحبه، ولعلّى لا أقاضى عليه أبداً؛ وإنى لأسمع بالغيث يصيب البلاد من بلدان المسلمين فأفرح به ومالى به سائمه ولا راعيه؛ وإنى لآتى على آيه من كتاب الله تعالى فوددتُ أنّ المسلمين كلهم يعلمون منها مثل ما أعلم.(۲)

من حكمه وأقواله

منهومان لا يشبعان: طالب علم وطالب دنيا.

ذَلَلتُ طالباً فعززت مطلوباً.

۱- يراجع فى ذلك وفى غيره تاريخ الإسلام.. للذهبى فى حوادث سنه ۶۰ ۸۰ ترجمه عبد الله بن عباس مختصر تاريخ دمشق البدايه والنهايه.. حليه الأدباء طبقات ابن سعد وغيرها من المصادر.

۲- الإصابه ۴ : ۱۲۹؛ مختصر تاريخ دمشق ۱۲ : ۲۹۳.

ومن أقواله الدقيقه والجميله فی الغوغاء.. والغوغاء: الدّبا وهی صـغار الجراد، وشُبِّه به سوادُ الناس؛ قال فيهم بعد أن ذُكر الغوغاء عنده: ما اجتمعوا قط إلاّ ضرُّوا، ولا افترقوا إلاّ نفعوا؛ قيل له: قد علمنا ما ضرّ اجتماعهم، فما نفع افتراقهم؟ قال: يذهب الحجّام إلى دكانه، والحدّاد إلى أكياره، وكل صانع إلى صناعته.

وفی فضل الصداقه على القرابه قال: القرابه تقطع والمعروف يُكفر، وما رأيت كتقارب القلوب.

لا تحقرنّ كلمه الحكمه أن تسمعها من الفاجر... ربّ رميه من غير رام.

لا تمار سفيهاً ولا حليماً فإنّ الحليم يغلبک والسفيه يزدريک.

اذكر أخاک إذا غاب عنک بما تحب أن يذكرک به، ودع منه ما تحب أن يدع عنک.

الدنيا العافيه، والشباب الصحه.

من لم يجلس فی الصغر حيث يكره، لم يجلس فی الكبر حيث يحبّ.

وله قول فی الشعر: الشعر علم العرب وديوانها; فتعلموه، وعليكم بشعر الحجاز.

وكان ابن العباس فی طريقه من البصره الى الكوفه يحدو الأبل ويقول:

أوبی إلی أهلکِ يارباب

أوبی فقد حان لکِ الإيابُ

وقال لما كفّ بصره:

إن يأخذ الله من عينیّ نورهما

ففی لسانی وقلبی منهما نورُ

قلبی ذكیّ وعقلی غيرذی دخَل ٍ(۱)

وفی فمی صارم كالسيف مأثور

***

ومن طريف أقواله

أصيبت إحدى عينيه فنحل جسمه، فلما أصيبت الأخرى عاد إليه لحمه، فقيل

١- الدخل: الفساد والغيبه. البدايه والنهايه، للحافظ ابن كثير ٨: ٣٠٥.

له فی ذلک، فقال: أصابنی ما رأیتم فی الأولی شفقةً علی الأخری، فلما ذهبتا اطمأن

قلبی.(۱)

ماقیل فیه من شعر

قال فیه حسان بن ثابت:

کفی وشفی ما فی الصدور ولم یدع

لذی إربهٍ فی القول جدّاً ولا هَزلا

سموتَ إلی العلیا بغیر مشقهٍ

فنِلتَ ذُراها لا دنیّاً ولا وغلا

إذا ما ابن عباس بدا لک وجهه

رأیت له فی کلّ مجمعه فضلا

إذا قال لم یترک مقالاً لقائل

بملتقطات لا تری بینها فصلا.(۲)

***

وفی کتاب الجلیس للمعافی من طریق ابن عائشه عن أبیه: نظر الحطیئه إلی ابن عباس فی مجلس عمر وقد فرع بکلامه، فقال: من هذا الذی نزل عن القوم بسنه، وعلاهم فی قوله؟

قالوا: هذا ابن عباس، فأنشأ یقول:

إنی وجدتُ بیان المرء نافلةً

یهدی له ووجدت العَیَّ کالصّمم

المرء یبلی ویبقی الکلمُ سائرةً

وقد يُلامُ الفتى يوماً ولم يَلُم ِ

***

وقال فيه معاويه(٣):

إذا قال لم يترک مقالاً ولم يقف

لعيّ ولم يثن اللسان على هجر(۴)

يُصرّف بالقول اللسانَ إذا انتحى

وينظر فی أعطافه نظر الصقر

***

١- البدايه والنهايه، ٨ : ٣٠۴.

٢- ديوان حسان بن ثابت.

٣- العقد الفريد ٢ :١٣٠.

۴- الهجر الهذيان، والقبيح من الكلام.

من وصاياه

عن عکرمه قال سـمعت عبـدالله بن عباس یقول لابنه علی بن عبـدالله: لیکن کنزک الذی تذخره العلم، کن به أشدّ اغتباطاً منک بکنز الذهب الأحمر، فإنی مودعک کلاماً إن أنت وعیته أجمع لک به أمر الدنیا والآخره:

«لاـ تکن ممن یرجو الآخره بغیر عمل، ویؤخر التوبه لطول الأمل، ویقول فی الـدنیا قول الزاهـدین، ویعمل فیها عمل الراغبین، إن أعطی فیهـا لم یشـبع، وإن منع منها لم یقنع، یعجز عن شـکر ما أوتی، ویبتغی الزیاده فیما بقی،ویأمر بما لا یأتی، یحبّ الصالحین ولا یعمل عملهم، ویبغض الجاهلین وهو أحدهم...».(۱)

حیاته

کـان ابن العبـاس فی طفولته برعمـاً من البراعم الإیمـانیه، التی ارتوت من ینبوع الرسـاله العـذب، فقـد احتضـنته المـدرسه النبویه صغیراً، وتربی فی کنفهـا تزقه العلم والأـدب والأخلاـق، لتجعل منه عالماً مجاهـداً فی شـبابه وکهولته من أجل المبـدإ والعقیـده، ومثلًا إیمانیاً رائعاً یقتدی به الآخرون.

إنّ من المعـالم الشـاخصه فی حیـاه ابن عبـاس: العقیـده الراسـخه، والمؤهلاـت النـادره التی منهـا عقلیته المتزنه، وذکـاؤه الحـاد، وحافظته المبکره، فغدا بکلّ هذا عالماً ملئت کتب التفسـیر والحدیث والتاریخ بآرائه ورویاته ومحاوراته؛ کما أنّ شجاعته تشکل هی الأخری معلماً واضـحاً فی شخصـیته، جعلته یؤدی واجبه الجهادی فی میادین القتال علی خیر ما یؤدی الشجاع واجبه القتالی، ناهیک عن لباقته وسرعه بدیهیته وقدرته العجیبه علی المحاوره السیاسیه والمناظره العلمیه، التی قلّ مثیلها، والتی تکشف عن علم واسع، ومعرفه دقیقه، وخبره عمیقه، وحجه قویه یتصف بها الرجل.

۱- أنظر الأمالی، للشـیخ المفیـد : ۳۳۰. هـذه الوصـیه تشـبه مـاورد عن الإمـام علی (ع) مع اختلاف فی الألفاظ وزیاده فیها، وقد ذکرها الحرانی فی تحف العقول: ۱۰۵ ۱۰۶ تحت عنوان (موعظته (ع) ووصفه المقصرین)، ط:۵ منشورات مکتبه بصیرتی.

كما أنّ صـفتى الأناه والحلم كانتا من مميزات ابن عباس، فالشـجاعه هـذهِ الصـفه التى تدعو إلى الإقدام والاندفاع قد يتصف بها كثيرون، لكنها إذا ما تعانقت مع صفتى الحلم والأناه تكون صفه عظيمه محموده، وتدل بالتالى على كمال النفس وعظمتها وعلوّ همّتهـا، وهـذا مـا كان لابن عباس؛ ففى الوقت الـذى كان فيه رجل سـياسه وبطل حوار، وصاحب بصـيره ورأى ونظر، كان رجل حرب; لهذا نرى الإمام علياًv قد اتخذه وزيراً له وقائداً ميدانياً يقود جبهه من جبهات القتال حينما تشتد ضراوه المعارك، فميسره الجيش فى حرب صـفين كانت له، قاتل فيها قتالاً شديـداً، وفى معركه الجمل كان على مقـدمه جيش الإمام على (ع) وهكذا فى النهروان.

يرمى به الإمام (ع) مقاتلًا كما يرمى به محاوراً سياسـياً بارعاً؛ ففى وقعه صـفين حينما لم يكن بدٌّ من التحكيم، أنظر كيف يصـفه الإمام (ع):

«إنّ معـاويه لم يكن يضع لهـذا الأمر أحـداً هو أوثق برأيه ونظره من عمرو بن العاص... فعليكم بعبـدالله بن عباس فارموه به; فإنّ عمراً لا يعقد عُقده إلّا حلّها عبدالله، ولا يحلّ عقده إلّا عقدها، ولا يبرم أمراً إلّا نقضه ولا ينقض أمراً إلّا أبرمه».(۱)

وفى كلام آخر له فى شأن الحكمين قال... فادفعوا فى صدر عمرو بن العاص بعبدالله ابن عباس، وفى هذا يقول ابن أبى الحديد: يُقال هذا لمن يرام كفّه عن أمر يتطاول له: ادفع فى صدره، وذلك لأنّ من يقدم على أمر ببدنه فيدفع دافع فى صدره حقيقه فإنه يردّه أو يكاد، فنقل ذلك إلى الدفع المعنوى.

هـذا فى حربه وسياسـته وأما فى محاوراته فقـد جرت بينه وبين الخليفه الثانى وعائشه والزبير وطلحه ومعاويه ويزيد وعتبه بن أبى سفيان وعمرو بن العاص، ومروان بن الحكم وعبدالرحمن بن الحكم وزياد بن أبيه وابن الزبير والمغيره وغيرهم جرت بينه وبينهم مناظرات واحتجاجات كثيره، كانت له الحجه عليهم، ومن جميل مناظراته وهى كثيره هذه التى جرت بينه وبين الخليفه الثانى:

۱- وقعه صفين، لنصر بن مزاحم منشورات مكتبه المرعشى :۵۰۰.

قال عمر یا ابن عباس أتدری ما منع قومکم منکم بعد محمد؟ فکرهت أن أجیبه، فقلت: إن لم أکن أدری فأمیرالمؤمنین یدرینی.

فقال عمر: کرهوا أن یجمعوا لکم النبوه والخلافه، فتبجَّحوا علی قومکم بجحاً بجحاً، فاختارت قریش لأنفسها فأصابت ووُفِّقت.

فقلت: یاأمیرالمؤمنین إن تأذن لی فی الکلام وتمط عنی الغضب تکلمتُ.

فقال: تکلم یا ابن عباس.

فقلت: أما قولک یا أمیرالمؤمنین اختارت قریش لأنفسها فأصابت ووفقت، فلو أنّ قریشاً اختارت لأنفسها حیث اختار الله عزّوجلّ لها، لکان الصواب بیدها غیر مردود ولا ـ محسود، وأما قولک إنهم کرهوا أن تکون لنا النبوه والخلافه فإنّ الله عزّوجلّ وصف قوماً بالکراهیه فقال:

(ذلِکَ بِأَنَّهُمْ کَرِهُوا ما أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمالَهُمْ).(۱)

فقال عمر، هیهاتَ والله یا ابن عباس قد کانت تبلغنی عنک أشیاء کنت کرهت أن أقرَّک علیها فتُزیل منزلتک منّی.

فقلت: وماهی یا أمیرالمؤمنین؟ فإن کانت حقّاً فما ینبغی أن تزیل منزلتی منک، وإن کانت باطلاً فمثلی أماط الباطل عن نفسه.

فقال عمر: بلغنی أنک تقول: إنما صرفوها عنا حسداً وظلماً.

فقلت: أما قولک یا أمیرالمؤمنین ظلماً، فقد تبین للجاهل والحلیم، وأما قولک حسداً، فإن إبلیس حسد آدم ونحن ولده المحسودون.(۲)

ومن محاوراته التی استطاع بها أن یلقی الحجه علی الخوارج فعاد منهم ألفا رجل وبقی أربعه آلاف علی عنادهم:

لمّا أعلن الخوارج حربهم علی علی (ع) وقبل أن یحاربهم، وجّه إلیهم عبدالله بن عباس،

۱- سوره محمد: الآیه ۹.

۲- عبد الله بن سبأ : ۱۴۴ ۱۴۵ ، للسید العسکری.

فلما صار إليهم رحّبوا به وأكرموه...

قالوا: ما جاء بك يا ابن عباس؟

قال: جئتكم من عند صهر رسول الله(ص) وابن عمّه، وأعلمنا بربّه وسنه نبيّه، ومن عند المهاجرين والأنصار.

فقالوا: إنا أتينا عظيماً حين حكّمنا الرجال فى دين الله; فإن تاب كما تُبنا، ونهض لمجاهده عدوّنا رجعنا.

فقال ابن عباس: نشدتكم الله إلاّ ما صدقتم أنفسكم، أما علمتم أنّ الله أمر بتحكيم الرجال فى أرنب تساوى ربع درهم تصاد فى الحرم، وفى شقاق رجل وامرأته؟

فقالوا: أللهم نعم.

قال: فأنشدكم الله هل علمتم أنّ رسول الله(ص) أمسک عن القتال للهدنه بينه وبين أهل الحُديبيه؟

قالوا: نعم، ولكن عليّاً محا نفسه من خلافه المسلمين.

قال ابن عباس: ليس ذلک يزيلها عنه وقد محا رسول الله(ص) اسمه من النبوه، وقال سُهيل بن عمرو: لو علمتُ أنک رسول الله ما حاربتک، فقال للكاتب: اكتب «محمد بن عبدالله»، وقد أخذ عليٌّ على الحكمين ألا يجورا، وإن يجورا فعليٌّ أولى من معاويه وغيره.

قالوا: إنّ معاويه يدعى مثل دعوى عليّ.

قال: فأيهما رأيتموه أولى فولّوه.

قالوا: صدقت.

قال ابن عباس: ومتى جار الحكمان فلا طاعه لهما ولا قبول لقولهما؛ فاتبعه منهم ألفان، وبقى أربعه آلاف.(۱)

كما أنّ من معالم شخصيته أنه كان أديباً شاعراً وخطيباً بليغاً، فبعد أن أنهى الإمام على (ع) خطبته قبل معركه صفين محرضاً أصحابه على القتال، قام ابن عباس خطيباً يبين

۱- العقد الفريد ۲ : ۲۳۳.

أحقّيه على (ع) وجبهته، وباطل معاويه وجبهته، فى كلام بليغ جميل يدل على عمق إيمانه، وعظيم بيانه، وسعه معرفته، ودقه وعيه، وأنه على بصيره من أمره:

«ألحمد لله ربّ العالمين، الذى دحا تحتنا سبعاً، وسمك فوقنا سبعاً; ثم خلق فيما بينهنّ خلقاً، وأنزل لنا منهنّ رزقاً، ثم جعل كلّ شىء يبلى ويفنى غير وجهه، الحىُّ القيوم الذى يحيا ويبقى; ثم إنّ الله بعث أنبياء ورسلاً، فجعلهم حججاً على عباده، عُذراً أو نُذراً، لاـ يطاع إلاّـ بعلمه وإذنه، يمنّ بالطاعه على من يشاء من عباده ثم يثيب عليها، ويعصى]بعلم منه[فيعفو ويغفر بحلمه، لا يقدر قدره، ولا يبلغ شىء مكانه، أحصى كلّ شىء عدداً، وأحاط بكلّ شىء علماً؛ ثم إنى أشهد ألّا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه، إمام الهدى والنبىّ المصطفى؛ وقد ساقنا قدر الله إلى ما ترون، حتى كان فيما اضطرب من حبل هذه الأمه وانتشر من أمرها، أنّ ابن آكله الأكباد قد وجد من طغام أهل الشام أعواناً على على بن أبى طالب (ع) ابن عمّ رسول الله وصهره، وأوّل ذكر صلّى معه، بدرىّ قد شهد مع رسول الله صلى الله عليه كلّ مشاهده التى فيها الفضل; ومعاويه وأبو سفيان مشركان يعبدان الأصنام; واعلموا والله الذى ملك الملك وحده فبان به وكان أهله، لقد قاتل علىّ بن أبى طالب (ع) مع رسول الله صلى الله عليه، وعلى (ع) يقول: صدق الله ورسوله؛ ومعاويه وأبوسفيان يقولان: كذب الله ورسوله; فما معاويه فى هذه بأبرّ ولا أتقى ولا أرشد ولا أصوب منه فى قتالكم.

فعليكم بتقوى الله والجدّ والحزم والصبر، وإنكم لعلى الحق وإنّ القوم لعلى الباطل; فلا يكونن أولى بالجدِّ فى باطلهم منكم فى حقكم; أما والله إنا لنعلم أنّ الله سيعذبهم بأيديكم أو بأيدى غيركم; أللهم ربنا أعنّا ولا تخذلنا، وانصرنا على عدونا ولا تخلّ عنا، وافتح بيننا وبين قومنا بالحقّ وأنت خير الفاتحين. والسلام عليكم ورحمه الله وبركاته أقول قولى وأستغفر الله لى ولكم».(۱)

۱- وقعه صفين، لنصر بن مزاحم : ۳۱۸، منشورات مكتبه المرعشى.

قال معاويه لعمرو بن العاص: إنّ رأس الناس بعد على هو عبدالله بن عباس، فلو ألقيتَ إليه كتاباً لعلك ترققه به، فإنه إن قال شيئاً لم يخرج علىّ منه، وقد أكلتنا الحرب ولا أرانا نصل إلى العراق إلاّ بهلاك أهل الشام.

قال عمرو: إنّ ابن العباس لا يُخدع، ولو طمِعت فيه لطمعت فی علی فقال معاويه: علىّ ذلك، فاكتب إليه كتاباً فی ذلک وكتب فی أسفله شعراً، كان أوله:

طال البلاءُ وما يرجى له آس ٍ

بعد إلاله سوی رفق ابن عباس

فلما قرأ ابن عباس الكتاب أتی به عليّاً فأقرأه شعره فضحک وقال: «قاتل الله ابن العاص، ما أغراه بک يا ابنَ عباس، أجبه..»

فكتب ابن عباس: «... وهذه الحرب ليس فيها معاويه كعلی، ابتدأها علیٌّ بالحق وانتهی فيها إلی العذر، وبدأها معاويه بالبغی وانتهی فيها إلی السرف، وليس أهل العراق فيها كأهل الشام. بايع أهل العراق علياً (ع) وهو خير منهم، وبايع معاويه أهل الشام وهم خير منه؛ ولست أنا وأنت فيها بسواء أردتُ الله وأردتَ أنت مصر... فإن ترد شرّاً لاـ نسبقک به، وإن ترد خيراً لاتسبقنا إليه».(١)

ومن شعره الذی ردّ فيه علی ابن العاص حين خدع أباموسی الأشعری فی قصه التحكيم:

كذبت ولكن مثلک اليوم فاسقٌ

علی أمركم يبغی لنا الشرّ والعزلا

وتزعم أن الأمر منک خديعةٌ

إليه وكلّ القول فی شأنكم فضلا

فأنتم وربّ البيت قد صار دينكم

خلافاً لدين المصطفی الطيب العدلا

أعاديتم حبّ النبیّ ونفسه

فما لكم من سابقات ولا فضلا

وأنتم وربّ البيت أخبث من مشی

على الأرض ذانعلين أو حافياً رجلا

غدرتم وكان الغدر منكم سجيّةً

كأن لم يكن حرثاً وان لم يكن نسلا(۲)

۱- وقعه صفين: ۴۱۳.

۲- المصدر النفسه: ۵۵۰.

إن أعمال الرجل ومواقفه وخطبه وكتبه وأشعاره، التى تجلّى فيها ولاؤه المخلص والصادق للإمام على (ع) بقدر ما جعلته أقرب الناس إلى على (ع) وآثرهم عنده، جعلته عرضه للإتهام والطعن لا لشىء إلّا بسبب تلك المواقف وذلك الولاء الذى شهد به الأعداء فضلاً عن الأصدقاء، ولاء متين ثابت نابع من «علىٌّ مع الحق والحقُ مع على»، فهو إذن وليد العقيده الحقّه.

دقته العلميه

لقد كان ابن عباس دقيقاً فيما ينقل عن رسول الله(ص) وفيما يقول ويطرح من آراء، يراجع ما يسمعه مرات قبل أن ينقله، لهذا فقد أتّسم عمله العلمى بالدقه والحرص، وكان يبذل قصارى جهده لطلب العلم والحقيقه، ويسعى بكل تواضع بين الصحابه يسأل ويتحقق حتى يتأكد من أى روايه يريد نقلها عن رسول الله(ص) لئلا ينقل حديثاً موضوعاً أو مكذوباً على رسول الله(ص) حتى ورد عنه: إن كنت لأسأل عن الأمر الواحد ثلاثين من أصحاب رسول الله(ص) إن كان ليبلغنى الحديث عن الرجل، فآتى إليه وهو قائل فى الظهيره، فأتوسد ردائى على بابه، يسفى الريح علىّ من التراب، حتى ينتهى من مقيله، ويخرج فيرانى، فيقول يا ابن عمّ رسول الله ما جاء بك؟ هلّا أرسلتَ إلىّ فآتيك..؟

فأقول، أنت أحقّ بأن أسعى إليك، فأسأله عن الحديث وأتعلم منه!

ابن عباس مفسراً

يُعد ابن عباس من كبار المفسّرين، بل هو الثانى بعد على (ع) فقد قال ابن عطيه: «وكان جلّه من السلف كثير عددهم يفسّرون القرآن، وهم أبقوا على المسلمين فى ذلك، فأما صدر المفسرين والمؤيد فيهم فعلىّ بن أبى طالب (ع) ويتلوه عبدالله بن عباس وهو تجرّد للأمر وكمّله، وتبعه العلماء عليه...».(۱)

۱- الجامع لأحكام القرآن، للقرطبى ۱ : ۲۷.

قال ابن عباس: ما أخذت من تفسير القرآن فمن على بن أبى طالب (ع) وكان علىّ يثنى على تفسير ابن عباس ويحضّ على الأخذ منه، وكان يقول: «نِعم تَرجُمان القرآن عبدالله بن عباس» وقال عنه علىٌّ (ع) : «ابن عباس كأنما ينظر إلى الغيب من ستر رقيق».. ويتلوه عبدالله بن مسعود...(۱)

هذا ما ذكره القرطبى، وأما ما ذكره السيوطى عن ابن عباس:

وأما ابن عباس فهو ترجمان القرآن الذى دعا له النبى(ص): «أللهم فقّهه فى الدين وعلّمه التأويل».(۲)

وعن مجاهد قال: قال ابن عباس: قال لى رسول الله(ص) : «نعم ترجمان القرآن أنت».

وأخرج البيهقى فى الدلائل عن ابن مسعود، قال: «نعم ترجمان القرآن عبدالله بن عباس».

وأخرج عن الحسن، قال: إنّ ابن عباس كان من القرآن بمنزل.

وعن ابن عمر حينما بلغه تفسير ابن عباس للآيه:

(...أَنَّ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ كانَتا رَتْقاً فَفَتَقْناهُما...).(۳)

أنه قال: قد كنت أقول: ما يُعجبنى جرأه ابن عباس على تفسير القرآن، فالآن قد علمت أنه أوتى علماً.

يقول أحمد أمين عن الإمام على (ع) : كان أستاذاً لعبدالله بن عباس أخذ عنه كثيراً.(۴)

وكان لابن عباس مصحف خاص به ذكره الشهرستانى فى مقدمه تفسيره وكان ترتيبه كالتالى:

۱اقرأ...۲ن...۳والضُّحى...۴المزمل...

۵المدثر...۶الفاتحه...۷تبّت يدا...۸كوِّرت...

۱- الجامع لأحكام القرآن، ۱ : ۳۵.

۲- الإتقان فى علوم القرآن، للسيوطى ۴ : ۲۳۴ ۲۴۰.

۳- الأنبياء: ۳۰.

۴- فجر الإسلام : ۱۴۹.

۹الأعلی ۱۰والّلیل...۱۱والفجر...۱۲ألم نشرح لک

۱۳الرحمن...۱۴والعصر...۱۵الکوثر...۱۶التکاثر...

۱۷الدین...۱۸الفیل...۱۹الکافرون... ۲۰الإخلاص...

۲۱النجم...۲۲الأعمی...۲۳القدر...۲۴والشمس...

۲۵البروج...۲۶التین...۲۷قریش...۲۸القارعه...

۲۹القیامه... ۳۰الهمزه... ۳۱والمرسلات... ۳۲ق...

۳۳البلد...۳۴الطارق...۳۵القمر۳۶ص...

۳۷الأعراف۳۸الجنّ...۳۹یس... ۴۰الفرقان...

۴۱الملائکه...۴۲مریم...۴۳طه...۴۴الشعراء...

۴۵النمل...۴۶القصص...۴۷بنی اسرائیل...۴۸یونس...

۴۹هُود... ۵۰یوسف... ۵۱الحجر...۵۲الأنعام...

۵۳الصافات...۵۴لقمان...۵۵سبأ...۵۶الزُّمر...

۵۷المؤمن...۵۸حم السجده...۵۹حم عسق... ۶۰الزخرف...

۶۱الدخان...۶۲الجاثیه...۶۳الأحقاف...۶۴الذاریات...

۶۵الغاشیه...۶۶الکهف...۶۷النحل...۶۸نوح...

۶۹إبراهیم... ۷۰الأنبیاء... ۷۱المؤمنون...۷۲الرعد...

۷۳الطور...۷۴الملک...۷۵الحاقه...۷۶المعارج...

۷۷النساء...۷۸والنازعات...۷۹انفطرت... ۸۰انشقت...

۸۱الروم...۸۲العنکبوت...۸۳المطففون...۸۴البقره...

۸۵الأنفال...۸۶آل عمران...۸۷الحشر...۸۸الأحزاب...

۸۹النور۹۰الممتحنه...۹۱الفتح...۹۲النساء...

۹۳إذا زلزلت...۹۴الحج...۹۵الحديد...۹۶محمّد (ص)...

۹۷الإنسان...۹۸الطلاق...۹۹لم يكن...۱۰۰الجُمعه...

۱۰۱ألم السجده...۱۰۲المنافقون...۱۰۳المجادله...۱۰۴الحجرات...

۱۰۵التحریم...۱۰۶التغابن...۱۰۷الصف...۱۰۸المائده...

۱۰۹التوبه...۱۱۰النصر...۱۱۱الواقعه...۱۱۲والعادیات...

۱۱۳الفلق...۱۱۴الناس...

ابن عباس والوضاعون

الوضع: الاختلاق; وضع الرجل الحدیث: افتراه وکذبه واختلقه.(۱) تشیر مصادر کثیره إلی أنّ وضع الحدیث کان فی عهد رسول الله(ص) وفی حیاته المبارکه، وقد ورد عنه۹ النهی عنه: «یا أیها الناس قد کثرت علیّ الکذابه، فمن کذب علیّ متعمداً فلیتبوأ مقعده من النار...».

وللوضع عوامله وأهدافه وطرقه؛ ومن طرقه اختیار سند ینتهی إلی صحابی جلیل یتمتع بوجود محترم بین الصحابه ومکانه کبیره عند عموم المسلمین وقد یکون ذا مکانه علمیه مرموقه ومعروفه، وربما یکون من الذین یستعین به الصحابه فی حلّ کثیر من المسائل التفسیریه والفقهیه، حتی یُعطی للروایه بکاملها سنداً ومتناً قوهً وأثراً ومقبولیه لدی الآخرین.

لأن «الواضع بداهه لا یختار لاختلاقه إلا الشخصیات الرفیعه من ذوی الشهره الواسعه، لکی تلقی أکذوبته صداها فی نفوس الناس بنسبتها إلیهم».(۲)

وابن عباس ممن تتوفر فیه هذه الصفات إضافه إلی أنه شخصیه علمیه فهو ذات رصید اجتماعی، وصاحب دور سیاسی مطلع علی الأحداث، التی مرت فی تأریخ الإسلام والمسلمین، کما أنه من عائله کریمه اجتمعت فیها صفات النبل والسخاء والشجاعه؛ کل هذه الأمور وغیرها جعلت الرجل عرضه للوضع له والمبالغه فیه، للوصول إلی مآرب

۱- المعجم الوسیط، ماده وضع.

۲- أُنظر المنهج الأثری فی تفسیر القرآن الکریم :۲۴۴; ومجله قضایا إسلامیه ۲: ۴۷.

سیاسیه من خلال ذلک، کما صار عرضه للوضع علیه نیلًا منه وتبریراً لأفعال أعدائه وأعداء البیت الهاشمی.

یقول أحمـد أمین: ویظهر أنه وضع علی ابن عبـاس وعلیّ (ع) أکثر ممـا وضع علی غیرهما، ولـذلک أسـباب: أهمها أنّ علیاً (ع) وابن عباس من بیت النبوه، فالوضع علیهما یکسب الموضوع ثقه وتقدیساً لا یکسـبهما الإسناد إلی غیرهما... وابن عباس کان من نسله الخلفاء العباسیون، یتقرب إلیهم بکثره المروی عن جدّهم.

ثم یواصل أحمـد أمین کلامه فیقول: وقد روی عن ابن عباس ما لا یحصـی کثره، فلا تکاد تخلو آیه من آیات القرآن إلا ولابن عباس فیها قول أو أقوال، وکثر الرواه عنه کثره جاوزت الحد...(۱)

کما أنّ السید الحکیم یقول:

«لقـد ذکرنا فی مقـدمه کتابنا عن عبـدالله بن عباس مختلف العوامل الـداعیه للوضع له أو علیه فی زمنه وبعـد زمنه وعلی الأخص فیمـا دار من ملاحاه بین السـلطه العباسـیه ومناوئیها من أئمه الزیـدیه الراغبین فی الحکم، وبالطبع إنّ هـذا الرجل وهو مصـدر من مصادر شـرعیه سـلطه الخلفاء العباسـیین، التی اسـتندوا إلیها أو بعضـهم علی الأقل عندما ادعوا لأنفسهم وراثه النبوه وتسلسلها فی أعقاب العباس حتی وصـلت إلیهم لا بد وأن یرتفع رصیده فی نفوس الرأی العام ویغالی فیه إلی درجه تسمو به وترتفع عن سائر البشـر المتعارف، فالکرامات مازالت ترافقه منـذ ولادته وحتی نهایه حیاته، بینما یهبط رصـیده فی نفوس الخصوم حتی یجرد عن جلّ مواهبه وإمکاناته وخلقه».(۲)

لقـد تعرض الرجـل وهو حبر الأـمه لمثـل هـذه الاختلاقات والافتراءات فأسـندت له أحادیث وروایات کثیره لا یغیب أکثرها عن نباهه المحقق.(۳) حتی ورد عن الإمام الشافعی قوله:

۱- فجر الإسلام، أحمد أمین : ۲۰۲ ۲۰۳.

۲- محمد تقی الحکیم، قصه بیت المال فی البصره : ۳۴۴ مقاله فی ثمرات النجف.

۳- ألفت کتب فی الموضوعات من الفریقین انظر أصول الحدیث للفضلی ۱۶۴، ۱۶۵، ۱۶۶.

«لم يثبت عن ابن عباس فى التفسير إلا شبيه بمائه حديث».(١) كما أنّ علماء التفسير ضعفوا كثيراً من الأسانيد المنتهيه إلى ابن عباس حتى وصفها بعضهم بأنها من أوهى الطرق، ضاربين لذلك مثلاً طريق الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس، وقالوا: فإذا انضم إلى ذلك محمد بن مروان السدى الصغير فهى سلسله الكذب.(٢) والسدى الكبير وصفوه بأنه ضعيف وكذاب.(٣) كما ذكروا مثالاًـ آخر للوضع كان بطله «نوح الجامع» أبوعصمه نوح بن أبى حريم، قيل له: من أين لك عن عكرمه، عن ابن عباس فى فضائل القرآن سوره سوره؟ فقال: إنى رأيت الناس قد أعرضوا عن القرآن، واشتغلوا بفقه أبى حنيفه ومغازى محمد بن إسحاق، فوضعت هذه الأحاديث حسبه.(٤) وفى كلام آخر أقرّ بوضعه على ابن عباس.(٥)

كما أنّ الضحاك بن مزاحم الهلالى روى التفسير عن ابن عباس وهو لم يلقه.(٦)

ناهيك عن الإسرائيليات التى لم ينجو منها تراث ابن عباس والتى نشط اليهود فى بثّها فى عموم تراثنا الإسلامى، ومن هؤلاء اليهود كعب الأحبار ووهب بن منبه وعبدالله بن سلام... مع أنّ ابن عباس كان دقيق الملاحظه، أمين الوصف والروايه، واعياً لأفعال هؤلاء، ومدى ما تتركه على التراث الإسلامى من آثار، وقد نهى عن الأخذ منهم، ورد عنه: «كيف تسألونهم عن شيء، وكتاب الله بين أظهركم؟».(٧)

ووقف موقفاً آخر حازماً إزاء الأحاديث الموضوعه والإسرائيليات، فقد قال كما أخرجه البيهقى بسنده عن ابن عباس قال: «إذا حدثتكم بحديث عن رسول الله فلم تجدوا تصديقه فى الكتاب، أو هو حسن فى أخلاق الناس فإنه كاذب».

١- الإتقان للسيوطى ۴: ٢٣٩.

٢- المصدر نفسه.

٣- المصدر نفسه.

۴- علوم الحديث لابى عمرو بن الصلاح: ٩٠.

۵- علوم الحديث ومصطلحاته. ص ٢٨٣.

۶- الإتقان للسيوطى ۴: ٢٣٨.

٧- جامع بيان العلم وفضله، لابن عبد ربه ٣ : ۵١.

ومع هـذا فقـد زخر تفسيره برواياتهم مما حـدى بالذهبى فى كتابه «التفسـير والمفسـرون» وبغيره إلى اتهام ابن عباس بالاطمئنان إليهم، والنقل عنهم، والاستعانه بهم فى تفسيره، لعدم امكان نفى ماورد فى تفسيره من الإسرائيليات لكثرتها.

ونحن نرى تراث ابن عباس وآثاره عنـد تحققها ودراسـتها قد احتوت على كثير من الإسـرائيليات والأساطير والكرامات والمعاجز المنسوبه له، إضافه إلى ما تعرض له تراثه من أكاذيب واختلاقات مما جعل هذا التراث غامضاً بعض الشـىء ومرتبكاً أو مضـطرباً فى بعضه الآخر، كما أنه مضطرب كثره وقله، قال بعضهم: لم يتجاوز عدّه أحاديث.

ذكر الآمـدى فى كتـاب الإحكـام فى أصـول الأحكـام، أنّ ابن عبـاس لم يسـمع من رسول الله(ص) سوى أربعه أحـاديث لصـغر سنه.(۱)

كمـا ذكر محمود أبوريه فى أضوائه: قـال ابن القيم فى الوابـل الصـيب: إن مـا سـمعه ابن عبـاس عن النبى(ص) لم يبلغ العشـرين حديثاً: وعن ابن معين والقطان وأبى داود فى السنن أنه روى تسعه أحاديث وذلك لصغر سنه؛ ومع ذلك فقد أسند له أحمد فى مسنده ۱۶۹۶ حديثاً.(۲)

ومن الروايات المختلقه لأهـداف سياسـيه ما رواه الترمـذى عن ابن عباس: أنّ رسول الله(ص) دعا للعباس بدعاء قال فيه: «واجعل الخلافه باقيه فى عقبه»!

وكـذلك عن ابن عبـاس: ليكونن الملـك أو الخلافـه فى ولـدى، حـتى يغلبهم على عزّهم الحمر الوجوه، الـذين كـأن وجوههم المجان المطرقه.(۳)

ابن عباس وبيت مال البصره

مـا إن انتهت حرب الجمـل بانتصـار الإمـام على (ع) وصـحبه على ناكثى البيعه حتى بادر الإمام إلى تعيين عبـدالله بن عباس والياً على البصره، فقال: «يا معاشر الناس! قد استخلفتُ

۱- كتاب الإحكام، للآمدى ۲ : ۱۷۸ ۱۸۰.

۲- أضواء على السنه المحمديه، أبو ريه : ۷۱.

۳- المصدر النفسه: ۱۳۶.

علیکم عبدالله بن عباس، فاسمعوا له وأطیعوا أمره ما أطاع اللَّه ورسولَه، فإن أحدث فیکم أو زاغ عن الحق فأعلمونی أعزله عنکم; فإنی أرجو أن أجده عفیفاً تقیاً ورعاً، وإنی لم أولّه علیکم إلاّ وأنا أظن ذلک به، غفر الله لنا ولکم».(۱)

ثم أوصی عبدالله بن عباس بوصایاه قائلًا: «یا ابن عباس! علیک بتقوی الله والعدل بمن ولِّیت علیه، وأن تبسط للناس وجهک، وتوسع علیهم مجلسک، وتسعهم بحلمک، وإیاک والغضب، فإنه طیرهٌ من الشیطان، وإیاک والهوی فإنه یصدک عن سبیل الله، واعلم أن ما قربک من الله فهو مباعدک من النار، وما باعدک من الله فهو مقربک من النار، واذکر الله کثیراً ولا تکن من الغافلین».(۲) کان هذا فی سنه ۳۶ ه .(۳)

فی سنه ۴۰ ه بدأ أهم حدث فی تاریخ هذا الرجل، وبالذات فی تاریخ علاقته بالإمام علی (ع) فیما یتعلق ببیت مال البصره وتجاوزه علیه کما زعم، فقد اضطربت أقوال المؤرخین وآراؤهم فی هذه المسأله اضطراباً عجیباً، وحقاً ما قاله السید محمد تقی الحکیم فی دراسته حیاه ابن عباس حیث یقول:

«والحقّ أنّ هذه القصه من أکثر ما قرأت وأنا أؤرخ لهذه الفتره من حیاه ابن عباس فی کتابی عنه غموضاً فی فصولها، فقد اختلف فیها المؤرخون علی أقوال لا التقاء بین ما تباعد من أطرافها، فبعضها ینفی هذه القصه نفیاً باتاً ویعتبرها اسطوره من الأساطیر، وعلی رأس هؤلاء عمرو بن عبید الزاهد المعروف، وبعضهم یثبتها، والمثبتون أنفسهم یختلفون، ویدخل إلی أقوالهم التناقض فی أکثر من مجال، فبعضهم یتبنی إثباتها بأفظع صورها، فیغالی فی کثره ما أخذ من المال، ثم فی اللهجه التی راسل بها الإمام، وفی الفتنه التی ألحقها وهو خارج بأموال بیت المال من البصره وهارب بها إلی الحجاز، وعلی رأس هؤلاء من المتأخرین الدکتور طه حسین فی کتابه (علیٌّ وبنوه) معتمداً مارواه الطبری

۱- کتاب الجمل، للشیخ المفید، تحقیق السید علی میر شریفی: ۴۲۰ ۴۲۱.

۲- المصدر نفسه:۴۲۰؛ نهج البلاغه: ۴۶۵ الکلمه: ۷۶؛ الإمامه والسیاسه، لابن قتیبه ۱: ۱۰۵.

۳- الطبری، حوادث سنه ۳۶ ه.

وابن عبـد ربه وأمثالهما من قـدماء المؤرخين; بينما يتبنى فريق تقليل ما أخـذ من المال وإبقاءه فى البصـره بعد إرجاع المال والياً من قبل الإمام».(۱)

أمـا وجهه نظر النافين فقـد عبر عنها عمرو بن عبيـد وهو يرد على من ينسب له ذلك: «لا، كيف تقول هـذا وابن عباس لم يفارق علياً حتى قتـل وشـهد صـلح الحسن.. وأى مـال يجتمع فى بيت مـال البصـره مع حـاجه على (ع) إلى الأموال وهو يفرغ بيت مال الكوفه فى كل خميس ويرشه. وقالوا: إنه كان يقيل فيه فكيف يترك المال يجتمع بالبصره هذا باطل».(۲)

وهنا يقول السـيد الحكيم: وكلام عمرو هذا ذو شـقين اثنين نختلف معه فى حسابهما، فأما اِدعاؤه استمرار بقاء ابن عباس مع على ثم مع الحسن فهـذا من قبيل الروايه، ونحن لانملك تكـذيبه فعلًا فيها، وأما الشق الثانى من دعواه فهى قابله للمناقشه، إذ لا تلازم بين تفريغ مال الكوفه وعـدم صـحه القصه لجواز أن تكون يـده قـد امتـدت إلى المال حين مجىء الخراج وقبل توزيعه من قبله، والحقيقه أنّ هذا من قبيل الاستحسان المحض، وهو أقرب إلى الاجتهاد فى مقابل النص لوصح وروده فى هذا المجال.

التهم الموجهه لابن عباس

الاتهام الأول: ورد فى تاريخ الطبرى فى حوادث سـنه ۴۰ ه فى سـبب شـخوصه إلى مكه وتركه العراق؛ وخلاصه هذا الاتهام أنّ الدؤلى بعد شجار له مع ابن عباس كتب إلى الإمام على (ع) قائلًا:... وانّ ابن عمك قد أكل ما تحت يديه بغير علمك...

فكتب الإمام على (ع) إليه كتاباً وآخر إلى ابن عباس وتتالت كتب الإمام وابن عباس ومما جاء فى أحد كتب الإمام:

أما بعد فأعلمنى ما أخذت من الجزيه، ومن أين أخذت؟ وفيم وضعت؟

۱– دراسه قيمه تحمـل روحـاً علميه منهجيه قل نظيرها؛ تناولت هـذا الموضوع بالتفصـيل تحت عنوان قصه بيت المال فى البصـره ودور ابن عباس فيها؛ أنظر ثمرات النجف: ۲۳۹ ۲۵۲.

۲– نقلًا عن أمالى السيد المرتضى، ۱ : ۱۲۳، ط السعاده.

فکتب إلیه ابن العباس: أما بعد، فقد فهمتُ تعظیمک مرزأه ما بلغک أنی رزأته من مال أهل هذا البلد، فابعث إلی عملک من أحببت فإنی ظاعن عنه، والسلام.

ثم دعا ابن عباس أخواله بنی هلال بن عامر...(۱)

الاتهام الثانی: ورد علی لسان قیس بن سعد حینما لحق عبیدالله بن عباس بمعاویه الذی جاء لحرب الحسن۷ حیث أغراه معاویه بالمال: قام قیس فخطب فی الجند قائلاً: «یا أیها الناس،... إنّ هذا وأباه، وأخاه لم یأتوا بیوم خیر قط: إنّ أباه عم النبی۹ خرج یقاتله ببدر... وإنّ أخاه ولاه علی أمیرالمؤمنین علی البصره فسرق مال الله ومال المسلمین، فاشتری به الجواری، وزعم أنّ ذلک له حلال...».(۲)

الاتهام الثالث: اتهام ابن الزبیر.

خطب ابن الزبیر بمکه علی المنبر، وابن عباس جالس مع الناس تحت المنبر، فقال:

«... وإنّ هاهنا رجلًا قد أعمی الله قلبه (یعنی ابن عباس الذی کان یسمعه) کما أعمی الله بصره، یزعم أنّ متعه النساء حلال... وقد احتمل بیت مال البصره بالأمس..»

هذا کلام من ابن الزبیر لم یترکه ابن عباس یذهب سدًی بل تصدی له بحزم وبحجه قویه، ولکن تهمه ابن الزبیر له باحتماله مال البصره لم یردّها أو ینفیها ولکنه بین وجهه نظره فیها:

... وأما حملی المال فإنه کان مالاً جبیناه فأعطینا کلّ ذی حقّ حقّه، وبقیت بقیه هی دون حقّنا فی کتاب الله فأخذناها بحقنا...

ونشیر هنا إشاره سریعه إلی النتائج فقط التی توصل إلیها السید جعفر مرتضی العاملی، والتی تدل علی افتعال القصه واختلاقها من أساسها، ونحیل القارئ الکریم إلی التفاصیل فی کتاب ابن عباس وأموال البصره للسید العاملی، فقد ناقش الروایات الثلاث (الاتهامات) سنداً ومتناً.

۱- تاریخ الطبری، حوادث سنه ۴۰ ه‍ ۳ :۱۵۴، ۱۵۵، دار الکتب العلمیه بیروت.

۲- مقاتل الطالبیین: ۷۳ ط الشریف الرضی، قم.

فقـد أورد السـيد العـاملی ملاحظـاته وأدلته، التی تحکم علی أنّ روایه الطبری «الاتهـام الأول» بـالوضع والافتعال، کما أنه ناقش الاتهـام الثـانی المنسوب إلی قیس بن سـعد والمنقول عن مقاتـل الطالبیین، ناقشه قائلًا: فیکفی أن نشـیر بالنسـبه إلیه إلی ما ذکره بعض المحقّقین،(۱) من أنه کلام مفتعل، قد دسّ فی بعض نسخ مقاتل الطالبیین دون بعض؛ وذلک لأنّ ابن أبی الحدید قد نقل کلام أبی الفرج بعینه، ولم یـذکر کلاـم قیس هـذا، وإنما قال عن قیس: «ثم خطبهم، فثبتهم، وذکر عبیـدالله، فنال منه، ثم أمرهم بالصبر والنهوض إلی العدو؛ فأجابوه..».

ونقـل ابن أبی الحدیـد مقـدمٌ؛ سـیما ونحن نراه ینقـل عن أبی الفرج بین قوله: «فـاخرجوا رحمکم الله إلی معسـکرکم بـالنخیله»، وقوله «ثم إنّ الحسن سار فی عسـکر عظیم» ینقل کلاماً کثیراً لیس فی نسخ المقاتل المطبوعه منه عین ولا أثر.. وابن أبی الحدید قد سمع المقاتل املاءً عن شیوخه؛ فنقله أثبت، إذ یحتمل قویاً أن تکون هوامش قد زادها النساخ فی الأصل اشتباهاً..

والنقاش الثالث تمّ لروایه ابن الزبیر «اتهامه» وقد توصل السید العاملی إلی أنه مع ضعف سند الروایه فإنّ العباره التی یعیر فیها ابن عبـاس بسـرقه أموال البصـره هی الأخری مفتعله، کما أنّ جواب ابن عباس هو الآخر مفتعل، ولم ترد العباره المزعومه ولا جوابها عند الکثیرین من المؤرخین الذین نقلوا الروایه التی تحمل اتهامات ابن الزبیر وجواب ابن عباس عنها.

کما یـذکر فی الهامش أنّ المؤرخین قـد ذکروا ما عدا مروج الذهب أنّ القضـیه جرت بین ابن عباس وعروه بن الزبیر لا عبدالله، ولکنها کلها تتفق فی خلوها عن الفقره التی تتهم ابن عباس بأموال البصره، وذکر عدّه مصادر.

کما أنه ناقش الروایه سنداً ومتناً وفنّد متنها الذی یذکر أنّ الزبیر تزوج أسماء متعه،

۱– قاموس الرجال، التستری ۶: ۴۳۹ باب العین.

وأنها علقت بعبدالله، ويستبعد هذه الدعوى.(۱)

هـذا وأنّ هنـاك الكثير من العلمـاء والمؤرخين ينفون هـذه التهمه عن ابن عباس، أو تثبت أنّ ابن عباس بقى والياً لعلى (ع) على البصره، إلى ما بعد مقتله۷ نستعرض بعضاً منهم وأقوالهم:

قـال ابن كثير: «... وتأمر على البصـره من جهه على (ع) وكان إذا خرج منها يسـتخلف أبا الأسود الـدؤلى على الصـلاه، وزياد بن أبى سـفيان على الخراج، وكان أهل البصـره مغبوطين به: يفقههم، ويعلم جاهلهم، ويعظ مجرمهم، ويعطى فقيرهم، فلم يزل عليها حتى مات على (ع) ويقال: إنّ علياً عزله عنها قبل موته...».(۲)

قال ابن حجر فى الإصابه: «فلم يزل ابن عباس على البصـره حتى قتل على (ع) فاسـتخلف على البصـره عبدالله بن الحارث ومضى إلى الحجاز...».(۳)

أما ابن أبى الحديـد فقـد قال بعد أن ذكر الكتب المتبادله بين الإمام (ع) وابن عباس: «وقال آخرون هم الأقلون: هذا لم يكن ولا فارق عبدالله بن عباس علياً۷ ولا ـ باينه ولاخالفه، ولم يزل أميراً على البصـره إلى أن قتل علىّ (ع)؛ قالوا: ويـدل على ذلك مارواه أبو الفرج علىّ بن الحسـين الأصـفهانى من كتابه الـذى كتبه إلى معاويه من البصـره لما قتل على (ع) ... وكيف يكون ذلك ولم يخـدعه معاويه، ويجرّه إلى جهته، فقد علمتم كيف اختدع كثيراً من عمال أميرالمؤمنين۷ واستمالهم إليه بالأموال، فمالوا وتركوا أميرالمؤمنين۷ فما باله وقد علم النّبوَه التى حدثت بينهما، ولم يستمل ابن عباس، ولا اجتذبه إلى نفسه، وكل من قرأ السير وعرف التواريخ، يعرف مشاقّه ابن عباس لمعاويه بعد وفاه على (ع) وما كان يلقاه به من قوارع الكلام، وشديد الخصام، وما كان يثنى به على أميرالمؤمنين (ع) ويـذكر خصـائصه وفضـائله، ويصـدع به من منـاقبه ومـآثره، فلو كـان بينهمـا غبـار أو كـدر لمـا كان الأمر كذلك، بل كانت الحال تكون بالضد لما اشتهر من أمرهما».

۱- ابن عباس وأموال البصره : ۴۹ ۵۰.

۲- البدايه والنهايه، للحافظ ابن كثير ۸: ۳۰۴، مكتبه المعارف بيروت.

۳- الإصابه ۲: ۳۳۴؛ وانظر عـدم مفارقته للإمام، أمالى المرتضـى ۱: ۱۷۷؛ وقاموس الرجال ۶: ۱۵، وانظر أيضاً تـذكره الخواص: ۱۵۰، ۲۵۲ وتاريخ اليعقوبى ۲: ۲۰۵.

وبعد أن يورد ابن أبی الحدید کل هذا یقول: وهذا عندی هو الأمثل والأصوب، وإن توقف أخیراً.

بعـد ذلک یردّ علی قول الراونـدی الذی یقول: المکتوب إلیه هذا الکتاب «کتاب أمیرالمؤمنین» هو عبیدالله بن عباس، لا عبدالله» فیقول: ولیس ذلک بصـحیح، فإنّ عبیـدالله کان عامل علی (ع) علی الیمن، ولـم ینقل عنه أنه أخذ مالاً، ولا فارق طاعه ثم یردف ابن أبی الحدید قوله هذا:

«وقـد أشـکل علیّ أمرُ هـذا الکتاب، فإن أنا کـذبت النقل وقلت: هذا کلام موضوع علی أمیرالمؤمنین۷ خـالفتُ الرواه، فإنهم قد أطبقوا علی روایه هـذا الکلاـم عنه، وقـد ذکر فی أکثر کتب السـیر، وإن صـرفته إلی عبـدالله بن عبـاس صـدّنی عنه ما أعلمه من ملاـزمته لطاعه أمیرالمؤمنین۷ فی حیـاته وبعـد وفـاته، وإن صـرفته إلی غیره لـم أعلـم إلی من أصـرفه من أهـل أمیرالمـؤمنین۷؟ والکلام یشعر بأنّ الرجل المخاطب من أهله وبنی عمّه».

لهذا نری ابن أبی الحدید متوقفاً فی هذا بقوله: «فأنا فی هذا الموضع من المتوقفین».

فإنکارها حقاً أمر صـعب «والحقیقه أنّ إنکار هـذه القصه من الأساس واعتبارها مختلقه موضوعه کما یذهب إلی ذلک منکروها وهم القله فی المؤرخین.. أمر تأبـاه طبیعه البحث الموضوعی؛ لأـنّ هـذه القضایا الکبری فی التأریـخ والتی یکثر الحـدیث فیها لا تکون بغیر منشإ انتزاع غالباً».(۱)

کما أنّ الایمان بها بهذه السعه التی تستند إلی روایه الطبری وإلی من سار علی ضوئها أمثال ابن الأثیر، وابن خلدون، وابن کثیر، وصاحب العقد، وطه حسـین وغیرهم، أمر کما یقول السـید الحکیم لا یمکن الاطمئنان إلیه... فابن عباس «الشخصیه الفذه، الذی قام بدور رئیس فی تأیید الإمام علی (ع).. سواء فی حیاه الإمام (ع) أو تأیید حق علی (ع) وحق أهل بیته بعد وفاته..

۱- السید محمد تقی الحکیم، ثمرات النجف: ۲۴۳.

والرجل الـذى اشـتهر بصـراحته المثيره ومواقفه الجريئه، والإنسان الـذى كان ومايزال يتمتع بالاحترام والتقدير، وله شـهره علميه، وأدبيه واسـعه، والـتى لم تكن لتكـون له لو لم يكن يتمتع بالمؤهلات الحقيقيه والنـادره، الـتى رسـخت بمعطياتهـا هـذه الشـهره الواسعه، وجسدت المثال الحى للشخصيه التى تستحق كل هذا الاحترام، وكل هذا التقدير..».(۱)

وكمـا يقـول عنه طه حسـين: «من العلم بـأمور الـدين والـدنيا ومن المكـانه فى بنى هـاشم خـاصه، وفى قريش عـامه، وفى نفوس المسـلمين جميعـاً، ما كان خليقاً أن يعصـمه عن الانحراف عن ابن عمّه، مهما تعظم الحوادث، وتـدلهم الخطوب..» وإن كان طه حسين يثبت تهمه السرقه له.(۲)

فصاحب التاريـخ العريض المليء بالأخلاق والحب والتفانى قولاً وفعلاً دفاعاً عن الإمام ومواقفه، لا يمكن لهذا الرجل أن ينسـب إليه مثل هذا العمل «السرقه».

وأخيراً أرى أنّ ما حدّث به اليعقوبى فى تأريخه هو الأنسب والأقرب للصحه ونكتفى بما حدث به:

كتب أبو الأسود الـدؤلى وكان خليفه عبـدالله بن عباس بالبصـره إلى على (ع) يعلمه أنّ عبـدالله أخذ من بيت المال عشـره آلاف درهم، فكتب إليه يقسم له بـالله لتردنها، فلما ردّها عبـدالله بن عباس أو ردّ أكثرها كتب إليه على (ع): «أما بعـد، فإنّ المرء يسـره درك ما لم يكن ليفوته، ويسوؤه فوت ما لم يكن ليدركه، فما أتاك من الدنيا فلا تكثر به فرحاً، وما فاتك فلا تكثر عليه جزعاً، واجعل همّك لما بعد الموت والسلام».

فكـان ابن عبـاس يقول: مـا اتعظت بكلاـم قـط اتعـاظى بكلاـم أميرالمؤمنين (ع) أو مـا انتفعت بكلاـم بعـد كلام رسول الله(ص) كانتفاعى بهذا الكلام.(۳)

والنتيجه باختصار التى توصل إليها السيد محمد تقى الحكيم فى بحثه هذا هى:

۱- السيد مرتضى العاملى.

۲- الفتنه الكبرى، للدكتور طه حسين.

۳- تاريـخ اليعقوبى ۲ : ۲۰۵، دار صادر؛ نهـج البلاغه ضـبط الـدكتور صـبحى الصالـح : ۳۷۸ رقم الكتـاب ۲۲؛ تحـف العقول، للحرانى :۱۳۸ مع بعض الاختلاف.

۱) الأخذ بروایه الیعقوبی، ففی جوها تلتقی جمیع الخطوط والآراء...(۱)

۲) أنّ ابن عباس فی أخذه لهذا المال کان أخذه ینطوی تحت العنوان الأولی وهو حقّه الطبیعی فی الخمس، وإنّ إصرار الإمام (ع) علی إرجاع المال یناسب وجهه نظره۷ فی أنّ حرمان بنی هاشم من حقّهم فی الخمس للعنوان الثانوی أجدی علی الإسلام فی رأیه من تنفیذ العنوان الأولی «حق بنی هاشم فی الخمس».(۲)

۳) یؤید هذه النتیجه قول ابن عباس نفسه ردّاً علی اتهام ابن الزبیر «علی فرض صحه الروایه» من أنه أخذ البقیه من المال التی هی دون حقّه فی کتاب الله تعالی.

وما یؤید ذلک أیضاً الروایه التی جاءت فی العِقد الفرید: کان عبدالله بن عباس من أحبّ الناس إلی عمر بن الخطاب، وکان یقدمه علی الأکابر من أصحاب محمد۹ ولم یستعمله قط، فقال له یوماً: کدت أستعملک، ولکنی أخشی أن تستحلّ الفیء علی التأویل، فلما صار الأمر إلی علی (ع) استعمله علی البصره، فاستعمل الفیء علی تأویل قول الله تعالی:

{وَاعْلَمُوا أَنَّما غَنِمْتُمْ مِنْ شَیْ ءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِی الْقُرْبی}.(۳)

هذا، وإنّ لکثیر من علماء الرجال کلاماً ینصب جلّه علی ما تفرد به الکشی فی رجاله، وفی کلامهم ما یؤید نزاهه ابن عباس وبراءته من التهمه المنسوبه إلیه، نستعرض بعضاً منهم.

الکشی وابن عباس

فقد ذکر الکشی أحادیث تتضمن قدحاً فی ابن عباس، ومن جمله تلک الأحادیث حدیث مفارقته للإمام علی (ع) وأخذه المال من بیت المال البصره، وکتب أمیرالمؤمنین (ع)

۱- ثمرات النجف، قصته : ۲۴۷، ۲۵۰ ۲۵۱.

۲- المصدر نفسه.

۳- فجر الإسلام، أحمد أمین : ۱۴۷.

وأجوبه ابن عباس عنها.(١)

وفی ذلک یقول السید الخوئی:

هـذه الروایه ومـا قبلهـا من طرق العـامه، وولاء ابن عبـاس لأمیرالمؤمنین وملازمته له٧ هو السـبب الوحیـد فی وضع هـذه الأخبار الکـاذبه، وتوجیه التهم والطعون علیه، حتی إنّ معـاویه لعنه الله کـان یلعنه بعـد الصـلاه مع لعنه علیّاً والحسـنین وقیس بن عبـاده والأشتر!! کما عن الطبری وغیره، وأقل ما یُقال فیهم إنهم صحابه رسول الله(ص) فکیف کان یلعنهم، ویأمر بلعنهم؟!

وراح السـید الخوئی یبین رأیه فی ابن عبـاس بوضوح: والمتحصّل مما ذکرنا أنّ عبـدالله بن عباس کان جلیل القـدر، مـدافعاً عن أمیرالمؤمنین والحسنین: کما ذکره العلامه، وابن داود.(٢)

کما قال الشهید الثانی فی حاشیه الخلاصه: جمله ما ذکره الکشی من الطعن فیه خمسه أحادیث کلّها ضعیفه السند(٣).

وقـد ذهـب السـید ابـن طـاووس إلی نفی کـل ذلـک نفیـاً تامـاً، فقـد قـال فی ابـن عبـاس: حـاله فی المحبه والإخلاص لمولانا أمیرالمؤمنین٧ وموالاته، والنصـر له، والـذب عنه، والخصام فی رضاه، والمؤازره له، مما لا شـبهه فیه، ثم قال معرضاً بأخبار الـذم، ومثل الحبر موضع أن یحسده الناس ویباهتوه:

کضرائر الحسناء قلن لوجهها

حسداً وبغیاً إنه لذمیم

قـال: ولو ورد فی مثله ألف روایه أمکن أن تعرض للتهمه، فکیف بهـذه الأخبـار الضـعیفه الرکیکه؟!(٤) فکـل ما ورد بخصوص قصه بیت مال البصره وابن عباس هی أخبار ضعفها ابن طاووس.

١- رجال الکشی : ٢٧٩ ٢٨٠ حرف العین.

٢- معجم رجال الحدیث، للسید الخوئی ١١: ٢٥٤، ٢٥٦.

٣- ذکر فی کتاب (فی رحاب أئمه أهل البیت) محسن الأمین ٢ :٢٤١.

٤- المصدر نفسه ٢: ٢٤١.

وأما صاحب الوسائل فی خاتمتها یقول عن ابن عباس: حالُه فی الجلاله والإخلاص لأمیرالمؤمنین۷ أشهر من أن یخفی، وروی فیه قدحٌ، وهو أجل من ذلک.(۱)

وفاته

توفی ابن عباس فی الطائف سنه ۶۸ للهجره، بعد أن اُصیب بالعمی، وصلّی علیه محمد بن الحنفیه.(۲)

فسلام علیه فی الخالدین.

المصادر

۱ الإصابه فی تمییز الصحابه، ابن حجر العسقلانی.

۲ مختصر تاریخ دمشق، ابن منظور.

۳ حلیه الأولیاء، أبو نعیم الأصفهانی.

۴ التاج الجامع للأصول، منصور علی ناصیف.

۵ العقد الفرید، ابن عبد ربه الأندلسی.

۶ البدایه والنهایه، ابن کثیر.

۷ الإمامه والسیاسه، ابن قتیبه الأندلسی.

۸ الأمالی، للشیخ المفید.

۹ وقعه صفین، نصر بن مزاحم.

۱۰ اخترنا لک: ثمرات النجف؛ قصه بیت المال فی البصره ودور ابن عباس فیها، السید محمد تقی الحکیم.

۱۱ أکاذیب وحقائق (۱) ابن عباس وأموال البصره السید جعفر مرتضی العاملی.

۱- خاتمه الوسائل، للعاملی ۳۰ : ۴۱۱.

۲- الإصابه ۱: ۹۰؛ البدایه والنهایه، ابن کثیر ۸ : ۳۰۵.

۱۲ مقاتل الطالبیین، أبو الفرج الأصفهانی.

۱۳ قاموس الرجال، التستری.

۱۴ الأمالی، للسید المرتضی.

۱۵ تاریخ الیعقوبی، الیعقوبی.

۱۶ تاریخ الطبری، ابن جریر الطبری.

۱۷ تذکره الخواص، ابن الجوزی.

۱۸ وسائل الشیعه، الحر العاملی.

۱۹ معجم رجال الحدیث، السید الخوئی.

۲۰ فی رحاب أئمه أهل البیت، محسن الأمین العاملی.

۲۱ علوم الحدیث ومصطلحاته، الدکتور صبحی الصالح.

۲۲ علوم الحدیث، ابن الصلاح.

۲۳ الجامع لأحکام القرآن، القرطبی.

۲۴ الاستیعاب فی أسماء الأصحاب.

۲۵ دیوان حسان بن ثابت.

۲۶ المنهج الأثری فی تفسیر القرآن الکریم، هدی جاسم أبوطبره.

۲۷ رجال الکشی.

۲۸ شرح نهج البلاغه، لابن أبی الحدید.

۲۹ أضواء علی السنه المحمدیه، محمود أبوریه.

۳۰ تحف العقول، ابن شعبه الحرانی.

٣١ عبدالله بن سبأ، السيد مرتضى العسكرى.

(۶) جعفر الطیّار

اشاره

حسن محمد

لستُ زاعماً أنّ الصحابه کلهم فی الفضل سواء، أوَ یکون هذا وقد فضّل الله الرسل وهم أکرم الخلق وأقربهم إلیه تعالی بعضهم علی بعض فقال:

(تِلْکَ الرُّسُلُ فَضَّلْنا بَعْضَهُمْ عَلی بَعْضٍ).(۱)

والتفضیل حاله توافق طبیعه الأشیاء؟ فإن کان هذا الزعم لیس من حقّی بل لیس من حق الجمیع کما هو الحقّ إلاّ أنی أستطیع وبقوه أن أقول: إنّ الصحابه بعضهم صناعه خاصه أعدّتهم السماء وتفضّلت بهم علینا جمیعاً؛ لیصوغوا لنا تأریخاً ملیئاً بالخیر، ولیصنعوا حاضراً کلّه عطاء، ویبنوا مستقبلاً زاهراً بالأمل مشرقاً بالحبّ، بعیداً عن العداوه والبغضاء فکانوا جیلاً لا نظیر له فیما مضی من تأریخ الرسالات.

فقد نجح هؤلاء، وهم النخبه الطاهره من الأصحاب فی تبلیغ أعظم رساله سماویه، استطاعت أن تغیر أمّه جاهلیه بل أمماً أخری، فغیرت بذلک وجه التأریخ، فاستحقوا بذلک

۱- سوره البقره : ۲۵۳.

الفوز فی الدنیا والآخره.

کانوا من ورثه جنه النعیم، یتبوّؤون منها غرفاً، وینعمون بها، ویمرحون فی بحبوحه منها.

ولا غرابه فی ذلک بعد أن أحبوا الله ورسوله، وطلبوا رضوانه تعالی، وملئوا شوقاً إلی لقائه، فقد کانوا یطلبون الموت ویتحاثون علیه.

کم کانت تربیتک یا رسول الله لهذه الزمره الطیبه مجدیه نافعه خالده! وکم کان حبّهم لک عظیماً صادقاً، شهد بها أبوسفیان وهو یعیش العداء کلّه لرسول الله(ص) ولدینه ولمن معه : ما رأیت من الناس أحداً یحبّ أحداً کما یحبّ أصحاب محمد محمداً!

وجعفر من هذه النخبه الطیبه الصادقه، کان صحابیاً متمیزاً فی دینه وولائه، وفی فصاحته وبیانه وحلمه، کما کان مثلاً رائعاً للشجاعه والفداء، أبی إلّا أن تکون ساحات الوغی أرضاً له، وإلّا ظلال السیوف سقفاً له حتی کان شهیداً، ولکن متی؟! بعد أن قطعت یداه، وبعد أن تحمل جسمه، وضمّ بدنه أکثر من سبعین طعنه رمح، وضربه سیف، ورمیه سهم.

نسبه ولقبه وکناه

کان جعفر من سلاله تلک العائله الکریمه فی خصالها، الرفیعه فی شرفها، المتمیزه فی سیادتها وزعامتها ورجالها، فهم ساده قریش بل ساده الدنیا علی الإطلاق، هذه العشیره التی ضمّت أکرم خلق الله محمداً وآله الطاهرین..

فأبوه: شیبه الحمد، شیبه بنی هاشم، أبوطالب بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبد

مناف بن قصی... واسمه عبد مناف، وقد کنی بأکبر أولاده (طالب)، وقد کان

الکافل الحامی المدافع عن النبی۹ الذی أحاط رسول الله(ص) بعنایه عظیمه قلّ مثیلها، خاصه إذا نظرنا إلی مکانته فی مجتمع قریش وبین زعمائها وما یسببه ذلک الدفاع من إحراج أمامهم.

وکانت هذه الحمایه من الأهمیّه لرسول الله (ص) ولدعوته إلی الدرجه التی لم تطمع

قریش فی رسول الله(ص) وکانت کاعهً عنه حتی توفی عمّه أبوطالب، ولم یهاجر إلی المدینه إلّا بعد وفاته رضوان الله علیه.

وأمّه: کانت أمّ جعفر الطیار، من تلک النساء القله الطاهرات اللّائی امتازت حیاتهن بمواقف جلیله فی مسیره الأنبیاء.

وهی إحدی تلک النساء اللواتی نلن ذکراً جمیلاً علی لسان خاتم الرسل محمد۹ تقول الروایه: لما ماتت فاطمه بنت أسد أمّ علیّ (ع) وکانت قد أوصت لرسول الله(ص) وقَبل وصیتها ألبسها النبی۹ قمیصه واضطجع معها فی قبرها، فقالوا: ما رأیناک یا رسول الله صنعت هذا!

فقال: «إنّه لم یکن أحد بعد أبی طالب أبرَّ بی منها، إنّما ألبستها قمیصی لتکسی من حُلَل ِ الجنّه، واضطجعت معها لیُهوَّن علیها».

وفی دعاء خاص لها قال (ص) : «أللهم اغفر لأمّی فاطمه بنت أسد، ولقنها حجّتها، ووسع علیها مدخلها».

وخرج من قبرها وعیناه تذرفان.

لقد کانت لرسول الله(ص) بمنزله الأم بکل ما تعنیه هذه الکلمه من معنی، فقد ربته فی حجرها، وکان شاکراً لبرّها، وکان یسمیها ویناديها ب أمّی، وقد کانت تفضله علی جمیع أولادها فی البر والرعایه؛ تقول بعض الروایات: کان أولادها یصبحون شعثاً رمصاً ویصبح رسول الله(ص) کحیلاً دهیناً.

أمّا إیمانها فهی بدرجه عظیمه، وقد سبقت إلی الإسلام، وکانت من المهاجرات الأول إلی المدینه، وهی بدریه.

فذاک أبوه وهذه أمّه فاطمه بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف بن قصی، وهی أول هاشمیه تزوّجت من هاشمی، فهو ولید هذه الأسره المبارکه.

أمّا لقبه: فکان یلقب بجعفر الطیار کما لقبه رسول الله (ص) ب (ذی الجناحین).

أمّا کنیته: فقد کناه رسول الله(ص) ب (أبی المساکین) وله کنیه أخری (أبو عبدالله).

إخوته

كان جعفر، الثالث في إخوته، فقـد كان طالب أكبر ولد أبي طالب سـناً ثم يليه عقيل، ثم يلي عقيلًا جعفر، ويلي جعفراً عليٌّ (ع) والشيء الملفت للنظر إن لم نقل للعجب أنّ كل واحد منهم أكبر من صاحبه بعشر سنين، وكان عليّ أصغرهم سنّاً.(۱)

زوجته وأولاده

بنى جعفر بأسـماء بنت عميس الخثعميه، المرأه الصالحه، فولـدت له ثلاثه أولاد، وهم محمـد وعبـدالله وعوف، وقد ولدوا جميعاً في الحبشه في الفتره التي أمضاها جعفر وزوجته مهاجرين هناك، في كنف ملك الحبشه المعروف بالعدل.

إسلامه

كان جعفر الثاني من الرجال الذين أعلنوا إسلامهم، وهناك روايه تقول: إنّه الثالث بعد على (ع) وزيد بن حارثه.(۲)

كما وردت في كيفيه إسـلامه روايتان تصـرحان بأنّه ممّن أسلم باكراً، والدعوه لا تزال في مهدها، وكان إسلامه بأمر من أبيه أبي طـالب، حيث كـان جعفر برفقه أبيه حينمـا كان رسول الله(ص) يؤدى صـلاته وإلى جنبه ابن عمّه على بن أبي طالب، فلما رآهما يصـليان التفت إلى جعفر قائلًا: انزل يا جعفر فصل جناحَ ابن عمّك، أو أي بنى، صل جناحَ ابن عمّك؛ وقـد وفق جعفر لأن ينال ثواب أول جماعه عقدت في الإسلام، وكانت تأريخاً لبدايه إسلامه.

وفي هـذا عثرتُ على روايتين صـريحتين في إسـلام جعفر، ودفـاع أبي طالب عن النبي۹ وعما هو عليه من أمر الـدعوه الجديـده؛ كانت الروايه الأولى عن على (ع) يقول فيها:

«بينما أنا مع النبي۹ في حَيْر(۳) لأبي طالب أصلي، أشرف علينا أبوطالب، فنظر إليه

۱- شرح نهج البلاغه، ابن أبي الحديد ۳: ۴۰۷ ؛ وطبقات ابن سعد ۱: ۷۷.

۲- مختصر تاريخ دمشق، لابن منظور ۶: ۶۶.

۳- الحَيْرُ: بالفتح شبه الحظيره أو الحمى، أنظر اللسان: حَيَر.

النبی۹ فقـال: یـا عم ألاـ تنزل فتصـلی معنـا؟ فقـال: یـا بن أخی، إنی لأعلم أنک علی الحق...، لکن انزل یا جعفر فصل جناحَ ابن عمّک».

قال: فنزل فصـلی عن یساری، فلما قضی النبی۹ صـلاته، التفت إلی جعفر فقال: «أما إنّ الله تعالی قد وصـلک بجناحین تطیر بهما فی الجنه، کما وصلت جناح ابن عمّک».(۱)

وفی روایه ثانیه یـذکرها أیضاً صاحب مختصـر تاریـخ دمشق عن صـلصال بن الـدلهمس یقول فیها:.. فکان الـذی بینهما بین أبیه الـدلهمس وأبی طـالب فی الجاهلیه عظیم (عظیماً)، فکان أبی یبعثنی إلی مکّه لأنصـر النبی۹ مع أبی طالب قبل إسـلامی، فکنت أقیم اللیالی عنـد أبی طالب لحراسه النبی۹ من قومه، فـإنی یوم من الأیـام جـالس بالقرب من منزل أبی طالب فی الظهیره وشـدّه الحر، إذ خرج أبوطالب شبیهاً بالملهوف فقال لی: یا أبا الغضنفر، هل رأیت هذین الغلامین فقد ارتبت بإبطائهما علیّ؟

فقلت: مـا حسـست لهما خبراً منـذ جلست، فقال: اِنهض بنا فنهضت، وإذا جعفر بن أبی طالب یتلو أبا طالب، قال: فاقتصـصنا الأثر حتی خرج بنـا من أبیـات مکّه، قـال: ثمّ علونـا جبلاًـ من جبالها، فأشـرفنا منه علی أکمه دون ذلک التل، فرأیت النبی۹ وعلیاً (ع) قائمـاً عن یمینه، ورأیتهما یرکعان ویسـجدان قبل أن أعرف الرکوع والسـجود، ثم انتصـبا قائمین، فقال أبوطالب لجعفر: أی بنی، صل جناح ابن عمّک، قال: فمضـی جعفر مسرعاً حتی وقف بجنب علی (ع) فلما أحسّ به النبی۹ أخّرهما وتقدم، وأقمنا موضعنا حتی انقضـی مـا کـانوا فیه من صـلاتهم، ثمّ التفت إلینا النبی۹ فرآنـا بـالموضع الـذی کنّا فیه، فنهض ونهضـنا معه مقبلین، فرأینا السرور یتردّد فی وجه أبی طالب، ثمّ انبعث یقول:

إنّ علیّاً وجعفراً ثقتی

عِندَ مُهِمِّ الأمورِ والکربِ

لا تخذلا وانصُرا ابن عمِّکمَا

وابنَ أمّی من بینهم وأبی

واللهِ لا أُخذلُ النبیَّ

ولا یَخذُلُه مِن بَنِیَّ ذُو حَسبِ

۱- مختصر تاریخ دمشق ۶: ۶۶.

قـال: فلمـا آمنت به ودخلتُ فی الإسـلام، سـألت النبیَّ۹ عن تیـک الصـلاه، فقـال: «نعم، یـا صـلصال! هی أول جمـاعه کانت فی الإسلام».(۱)

صفاته

لقد اجتمعت فی جعفر خصال کثیره قلما تجتمع فی غیره، فقد اتفقت مصادر ترجمته علیها، فإضافه إلی شـبابه وفتوته وشـجاعته، کان حلیماً بارّاً متواضعاً، وکان یخشی الله خشیه عظیمه، حتی إنه قبل إسلامه کانت نفسه وکأنها قد جبلت علی کره المحرمات.

یقول ابن عبـاس فی روایه له: قـال رسول الله(ص) لجعفر بن أبی طـالب: إنّ الله تعالی أوحی إلیّ أنه شـکرک علی أربع خصال، کنتَ علیهنّ مقیماً قبل أن یبعثنی الله، فما هنّ؟

قـال له جعفر: بـأبی أنت وأمّی، لولاـ أنّ الله أنبـأک بهنّ مـا أنبأتـک عن نفسـی کراهیه التزکیه: إنی کرهت عبـاده الأوثان، لأنی رأیتهـا لاـ تضـرّ ولا تنفع؛ وکرهت الزنا... وکرهت شـرب الخمر، لأنی رأیتها منقصه للعقل، وکنت إلی أن أزیـد فی عقلی أحبّ إلیّ من أن أنقصه؛ وکرهت الکذب، لأنی رأیته دناءه.(۲)

ما أعظمک یا جعفر فی الجاهلیه کما ما أعظمک فی إسلامک!

کان جعفر جواداً کریماً سخیاً سمحاً، فقد قال فیه رسول الله(ص): «أسمح أمّتی جعفر».

ولطیب نفسه ومراعاته لضعفاء الناس ومساکینهم، کان رسول الله (ص) یکنیه أبا المساکین.

فعن أبی هریره قال: کان جعفر یحب المساکین ویجلس إلیهم ویحدثهم ویحدثونه.(۳)

وعنه أیضـاً: کـان خیر الناس للمساکین جعفر بن أبی طالب، وکان ینقلب بنا فیطعمنا ما کان فی بیته، وإن کان لیخرج إلینا العکه فنشقها فنلعق ما فیها.

۱- مختصر تاریخ دمشق ۶: ۶۶.

۲- المصدر النفسه ۶: ۶۷.

۳- رواه البخاری ۷: ۷۷؛ حلیه الأولیاء ۱: ۱۱۷.

الهجره

إنّ من أعظم ما ناله المسلمون الأوائل هو وسام الهجره، هذه التی منّ الله تعالی بها علیهم، لتكون نقطه انطلاقه كبری، وانفتاح علی العالم الآخر بعیداً عن الحجاز وعبث الظالمین فیه، وأذاهم وتعذیبهم للصفوه المؤمنه؛ فالدعوه فی بدایتها وقد حفت بالمخاطر، والمؤمنون بها قله قلیله ضعیفه لا حول لها ولا قوه.. ترقبها عیون قریش هنا وهناك، تتربص بهم لیسوموهم سوء لعذاب، لا لذنب اقترفوه أو جریمه تلبسوا بها، سوی أنهم (فِتْیَهٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْناهُمْ هُدیً).(۱) وهجروا دین آبائهم وكبرائهم...

تقول روایه أمّ سلمه:

لما ضاقت علی النبی۹ مكّه، وأوذی أصحابه، وفتنوا، ورأوا ما یصیبهم من البلاء والفتنه فی دینهم، وأنّ رسول الله(ص) لا یستطیع دفع ذلك عنهم، وكان رسول الله(ص) فی منعه من قومه ومن عمّه، لا یصل إلیه شیء مما یكره مما ینال أصحابه، فقال لهم رسول الله(ص): إن بأرض الحبشه ملكاً لا یظلم أحد عنده، فالحقوا ببلاده حتی یجعل الله لكم فرجاً ومخرجاً مما أنتم فیه.

فخرجنا إلیها أرسالاً حتی اجتمعنا بها، فنزلنا بخیر دار إلی خیر جار، أمناً علی دیننا، ولم نخش ظلماً.

فلما رأت قریش أنا قد أصبنا داراً وأمناً، اجتمعوا علی أن یبعثوا إلیه فینا ؛ لیخرجنا من بلاده، ولیردنا علیهم. فبعثوا عمرو بن العاص وعبدالله بن أبی ربیعه، فجمعوا له هدایا ولبطارقته، فلم یَدَعُوا منهم رجلاً إلاّ بعثوا له هدیه علی حِدَه، وقالوا لهما: ادفعوا إلی كل بطریق هدیته قبل أن تكلموا فیهم، ثمّ ادفعوا إلیه هدایاه، وإن استطعتما أن یردهم علیكم قبل أن یكلمهم فافعلوا.

أقول: كانت تخشی قریش أن ینطلق الحقّ من لسانهم ووقع الذی كانت تخشاه.

۱- سوره الكهف: ۱۳.

فقدما علينا، فلم يبق بطريق من بطارقته إلاّ قدّموا إليه هديته، فكلموه، فقالوا له: إنّا قدمنا على هذا الملك فى سفهاء من سفهائنا، فارقوا أقوامهم فى دينهم، ولم يدخلوا فى دينكم، فبعثَنا قومُهم ليردهم الملك عليهم، فإذا نحن كلمناه فأشيروا عليه بأن يفعل، فقالوا: نفعل، ثم قدّموا إلى النجاشى هداياه، فكان من أحبّ ما يهدى إليه من مكّه الأَدَم; فلما أدخلوا عليه هداياه، فقالوا له: أيها الملك إن فتيه منا سفهاء، فارقوا دين قومهم، ولم يدخلوا فى دينك، وجاؤوا بدين مبتدع لا نعرفه، وقد لَجأُوا إلى بلادك، فبَعَثنا إليك فيهم عشائرهم، آباؤهم وأعمامهم وقومهم لتردهم عليهم، فهم أعلى بهم(۱) عيناً.

فقالت بطارقته: صدقوا أيها الملك، لو رددتهم عليهم وكانوا هم أعلى بهم، فإنهم لم يدخلوا فى دينك فيمنعهم أملك ; فغضب، ثمّ قال: لاـ لعمر الله، لاـ أردهم عليهم حتى أدعوهم وأكلمهم وأنظر ما أمرهم، قوم لَجأُوا إلى بلادى، واختاروا جوارى على جوار غيرى، فإن كانوا كما تقولون رددتهم عليهم، وإن كانوا على غير ذلك منعتهم، ولم أدخل بينهم وبينهم، ولم أنعمهم عيناً; فأرسل إليهم النجاشى فجمعهم ولم يكن شىء أبغض إلى عمرو بن العاص وعبدالله بن أبى ربيعه من أن يسمع كلامهم فلما جاءهم رسول النجاشى اجتمع القوم فقال: ماذا تقولون؟ فقالوا: ماذا نقول؟! نقول والله ما نعرف وما نحن عليه من أمر ديننا، وما جاء به نبينا۹ كائن من ذلك ما كان، فلما دخلوا عليه كان الذى يكلمه منهم جعفر بن أبى طالب، فقال له النجاشى:

ما هذا الدين الذى أنتم عليه؟ فارقتم دين قومكم، ولم تدخلوا فى يهوديه ولا نصرانيه، فما هذا الدين؟

فراح جعفر رضوان الله عليه يبين له حيث قال:

.. أيها الملك كنّا قوماً على الشرك، نعبد الأوثان، ونأكل الميته، ونسىء الجوار، ونستحلّ المحارم.. وغيرها، لا نحلّ شيئاً ولا نحرّمه، فبعث الله إلينا نبياً من أنفسنا نعرف وفاءَه وصدقَه وأمانتَه، فدعانا إلى أن نعبد الله وحده لا شريك له، ونصلَ الرحم، ونُحسِنَ الجوار،

۱- .. وأعلى بهم عيناً أى أبصر بهم ، وأعلم بحالهم. اللسان: علا.

ونصلّى لله تعالى، ونصوم له، ولا نعبد غيره، فقال: هل معك شىء مما جاء به؟ وقد دعا أساقفته فأمرهم فنشروا المصاحف حوله، فقال له جعفر: نعم، فقال: هلمّ فاتلُ علىَّ ما جاء به.

فقرأ عليه صدراً من (كهيعص) فبكى والله النجاشى حتى أخضل لحيته، وبكت أساقفته حتى أخضلوا مصاحفهم؛ ثم قال: إنّ هذا الكلام ليخرج من المشكاه التى جاء بها موسى; انطلقوا راشدين، لا، والله لا أردهم عليهم، ولاأنعمكم عيناً، فخرجنا من عنده، وكان أتقى الرجلين فينا عبدالله بن أبى ربيعه، فقال عمرو بن العاص: والله لأثنينه غداً بما أستأصل به خضراءهم.(۱) فلأخبرنه أنهم يزعمون أنّ إلهه الذى يعبد عيسى بن مريم عبد.

فقال له عبدالله بن أبى ربيعه : لا تفعل.. فإنهم إن كانوا خالفونا فإنّ لهم رحماً ولهم حقاً، فقال: والله لأفعلن، فلما كان الغد دخل عليه، فقال: أيها الملك، إنهم يقولون فى عيسى قولاً ـ عظيماً، فأرسل إليهم فسلهم عنه، فبعث إليهم، ولم ينزل بنا مثلها؛ فقال بعضنا لبعض: ماذا تقولون له فى عيسى إن هو سألكم عنه؟

فقالوا: نقول والله الذى قاله الله تعالى، والذى أمرنا به نبينا (ص) أن نقول فيه: فدخلوا عليه وعنده بطارقته، فقال: ما تقولون فى عيسى بن مريم؟

وهنا أيضاً كان جعفر رضوان الله عليه هو المحاور فقال له: نقول: هو عبدُ الله ورسوله وكلمتهُ وروحهُ ألقاها إلى مريم العذراء البتول، فدلى النجاشى يده إلى الأرض، فأخذ عوداً بين أصبعيه، فقال: ما عدا عيسى بن مريم ما قلت هذا العويد؛(۲) فتناخرت بطارقته، فقال: وإن تناخرتم والله، اِذهبوا، فأنتم شيوم فى أرضى والشيوم: الآمنون مَن سبّكم غرم، ثمّ من سبّكم غرم، ثمّ مَنْ سبّكم غرم، فأنا ما أحب أن لى دَبْراً، وأنى آذيتُ رجلاً منكم والدبر بلسانهم: الذهب فوالله ما أخذ الله تعالى منى الرشوه حين ردّ على ملكى فآخذ الرشوه منه، ولا أطاع الناس فىّ فأطيع الناس فيه، ردوا عليهما هداياهما، فلا حاجه إلى

۱- خضراءهم : شجرتهم التى منها تفرعوا .

۲- العويد : أى مقدار هذا العود الصغير .

بها، وأخرجا من بلادی.

فرجعا مقبوحَیْن مردوداً علیهما ما جاءا به؛ فأقمنا مع خیر جار، وفی خیر دار.

فلم ینشب أن خرج علیه رجل من الحبشه ینازعه فی ملکه، فوالله ما علمنا حزناً حزنّا قط کان أشدّ منه فرقاً من أن یظهر ذلک الملک علیه، فیأتی ملک لا یعرف من حقنا ما کان یعرفه، فجعلنا ندعو الله ونستنصره للنجاشی ، فخرج إلیه سائراً ... فهزم الله ذلک الملک وقتله، وظهر النجاشی علیه ... فوالله ما علمنا فرحنا بشیء قط فرحنا بظهور النجاشی، ثمّ أقمنا عنده حتی خرج من خرج منا راجعاً إلی مکه، وأقام من أقام ...(۱)

وفی روایه ثانیه ذکرها أبو نعیم فی حلیته عن برده عن أبیه:

قال: لما أمرنا رسول الله (ص) أن ننطلق مع جعفر بن أبی طالب إلی أرض النجاشی، فبلغ ذلک قریشاً، فبعثوا عمرو بن العاص، وعماره بن الولید، فجمعوا للنجاشی هدیه، فقدمنا وقدما علی النجاشی، فأتیاه بالهدیه فقبلها، وسجدا له; ثم قال له عمرو بن العاص: إنّ أناساً من أرضنا رغبوا عن دیننا وهم فی أرضک.

قال لهم النجاشی: فی أرضی؟ قالوا: نعم، فبعث إلینا.

فقال لنا جعفر: لا یتکلم منکم أحد، أنا خطیبکم الیوم، فانتهینا إلی النجاشی وهو جالس فی مجلس وعمرو بن العاص عن یمینه، وعماره عن یساره، والقسیسون والرهبان جلوس سماطین سماطین، وقد قال لهم عمرو وعماره: إنّهم لا یسجدون لک، فلما انتهینا بدرنا مَنْ عنده من القسیسین والرهبان:

أسجدوا للملک.

فقال جعفر: لا نسجد إلاّ لله عزّوجلّ.

قال له النجاشی: وما ذاک؟ قال: إنّ الله تعالی بعث فینا رسولاً وهو الرسول الذی بشر به عیسی (ع).

قال: من بعدی اسمه أحمد; فأمرنا أن نعبد الله لا نشرک به شیئاً، ونقیم الصلاه، ونؤتی

۱- مختصر تاریخ دمشق ۶ : ۶۳ ، ۶۴ ، ۶۵ .

الزكاه، وأمرنا بالمعروف ونهانا عن المنكر.

فأعجب النجاشی قوله; فلما رأی ذلک عمرو بن العاص، قال: أصلح الله الملك إنهم یخالفونک فی ابن مریم.

فقال النجاشی لجعفر: ما یقول صاحبکم فی ابن مریم؟

قال: یقول فیه قول الله عزّوجلّ: هو روح الله وكلمته، أخرجه من البتول العذراء التی لم یقربها بشر، ولم یفترضها ولد.

فتناول النجاشی عوداً من الأرض فرفعه، فقال: یا معشر القسیسین والرهبان ما یزید هؤلاء علی ما تقولون فی ابن مریم ما یزن هذه; ثمّ قال: مرحباً بکم وبمن جئتم من عنده.

وأنا أشهد أنه رسول الله، وأنه الذی بشر به عیسی (ع) ولولا ـ ما أنا فیه من الملک لأتیته حتی أقبل نعله، أمکثوا فی أرضی ما شئتم; وأمر لنا بطعام وكسوه وقال: ردوا علی هذین هدیتهما.(۱)

وفی حلیه الأولیاء أیضاً، کان جواب جعفر: أیها الملک کنا قوماً أهل جاهلیه نعبد الأصنام، ونأكل المیته، ونأتی الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسیء الجوار، ویأکل القوی منا الضعیف؛ وكنّا علی ذلک حتی بعث الله تعالی إلینا رسولاً منّا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلی الله تعالی لنوحده ونعبده، ونخلع ما کنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجاره والأوثان، وأمرنا بصدق الحدیث، وأداء الأمانه، وصله الرحم، وحسن الجوار، والکف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفحش، وقول الزور، وأكل مال الیتیم، وقذف المحصنه، وأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرک به شیئاً، وأمرنا بالصلاه والزكاه والصیام.

قال: فعدد علیه أمور الإسلام فصدقناه وآمنا به، واتبعناه علی ما جاء به من الله عزّوجلّ، فعبدنا الله وحده، فلم نشرک به شیئاً، وحرمنا ما حرم علینا، وأحللنا ما أحل لنا، فعدا علینا قومنا فعذبونا وفتنونا عن دیننا، لیردونا إلی عباده الأوثان من عباده الله

۱- حلیه الأولیاء : ۱۱۴ ۱۱۵ .

عزّوجلّ، وأن نستحل ما كنّا نستحل من الخبائث، فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا، خرجنا إلى بلادك، فاخترناك على مَنْ سواك، ورغبنا فی جوارك، ورجونا أن لا نظلم عندك أيها الملك...

ولما أرسلت قريش مبعوثيها إلى الحبشه، يقول ابن هشام فی سيرته: فقال (أبوطالب) حين رأى ذلك من رأيهم وما بعثوهما فيه، أبياتاً للنجاشی يحضّه على حسن جوارهم والدّفع عنهم:

ألا ليتَ شعری كيف فی النأی جعفرٌ

وعمرو وأعداء العدوّ الأقاربُ

وهل نالت أفعالُ النجاشی جعفراً

وأصحابه أو عاق ذلك شاغب

تعلَّم، أبيت اللّعن، أنّك ماجدٌ

كريمٌ فلا يشقى لديك المجانب

تعلّم بأنّ اللهَ زادك بَسطةً

وأسبابَ خير كلّها بك لازب

وأنّك فيضٌ ذو سِجال غزيره

يَنال الأعادی نفعها والأقارِب.(١)

أما لما ذا جعفر؟!

لقد كان جعفر ومعه زوجته أسماء الوحيد من بنی هاشم ممّن قد خرج إلى أرض الحبشه مهاجراً، والذی أعتقده أنّ جعفراً لم يكن من الذين اضطُهدوا من قبل قريش، ولم يتعرض إلى ما تعرض له بقيه المسلمين، لما يتمتع به من منعه عشيرته ومكانتها وإن كان هناك غيره لم تستطع قريش من اضطهاده إلاّ أن لجعفر قدرات ذاتيه اكتشفها رسول الله (ص) فيه، ستجعل له دوراً رسالياً مهماً فی الحبشه؛ وإذا ما تعرض المهاجرون الذين كان عددهم أكثر من ٨٠ مهاجراً إلى مواقف خطيره، وفی الذب والدفاع عنهم، وعن الدين الجديد؛ وهذا ما حدث بالفعل، فقد نقلنا تلك الروايات لنلقی الضوء كاملاً على دور هذا الرجل فی إقناع النجاشی وبطارقته بمظلوميه المهاجرين، وليس هذا فقط، بل فی عرض الإسلام بشكل واضح وجلی، مبيناً خصائص النبی (ص) ودوره فی

١- السيره النبويه لإبن هشام ١ : ٣٣٢ .

دعوه قومه إلى هـذا الـدين، ونبـذ عبـاده الأصـنام . . وكـل هـذا يحتاج إلى شـجاعه وجرأه وقـدره على البيان والمحاوره، وهـذه الصـفات جمعت فى جعفر بن أبى طـالب رضوان الله تعـالى عليه ، فجعلت رسول الله (ص) يـأذن له بالهجره، بل ويأذن له بالبقاء طيله خمس عشـره سـنه تقريباً، فقد هاجر سـنه خمس من مبعث النبى (ص) وقدم إلى المدينه سـنه سـبع من الهجره، فنال بذلك وسام الهجرتين.

لقد كان بحقّ رجل الإسلام الأول، ورجل الحوار الأوّل فى تلك البلاد، فمن محاوراته الجميله التى أحرجت عمرو وصاحبه أمام النجاشى . . ما ذكره صاحب تفسير مجمع البيان:

قال جعفر: يا أيها الملك سلهم أنحن عبيد لهم؟ فقال: لا، بل أحرار.

قال: فسلهم ألهم علينا ديون يطالبوننا بها؟ قال: لا، ما لنا عليكم ديون.

قال: فلكم فى أعناقنا دماء تطالبوننا بها؟ قال عمرو: لا.

قال: فما تريدون منّا؟ آذيتمونا فخرجنا من دياركم؛ ولم يكتف جعفر بهذا بل عقبه بذكر النبىّ وأحكام الإسلام.

أيها الملك بعث الله فينا نبيّاً أمرنا بخلع الأنـداد، وترك الاسـتقسام بالأزلام، وأمرنا بالصـلاه والزكاه والعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى، ونهانا عن الفحشاء والمنكر والبغى...(۱)

فرسول الله (ص) لم يأذن لهم بالهجره للخلاص بأنفسهم وأهليهم فحسب، وإن كان هذا هدفاً سليماً طالما لم يستطع الدفاع عنهم من ظلم قريش وتعسّـفها، وهو بعـد فى أول أمره ولـم يؤمر بالجهـاد، إلاّـ أنه كـان يريـد منهم أيضـاً أن يحملوا هـذه الرسـاله التى جـاءت إلى النـاس كافه، وأن يكونوا له دعاهً فى غير مكّه وبلاد الجزيره العربيه، وأن يزيحوا العوائق التى قـد تسـتفيد منها قريش مسـتقبلاً. . أراد رسول الله (ص) لجعفر وللمهاجرين أن يكونوا دعاه رساله، ورجال حضاره، وبناه تأريخ، ومستقبل زاهر بالإسلام ومبادئه؛ وأن

۱- تفسير مجمع البيان ۳ : ۳۶۱ .

يستوعبوا الزمن كلّه والمكان كلّه والناس كلّهم، وهذا ما حدث، فعند عوده جعفر إلى المدينه كان معهم سبعون رجلاً منهم اثنان وستون من بلاد الحبشه، وثمانيه من أهل الشام فيهم بحيراء الراهب، فقرأ عليهم رسول الله (ص) سوره يس إلى آخرها، فبكوا حين سمعوا القرآن وآمنوا وقالوا: ما أشبه هذا بما كان ينزل على عيسى، فأنزل الله فيهم:

(وَإِذا سَمِعُوا ما أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنا آمَنَّا فَاكْتُبْنا مَعَ الشَّاهِدِينَ).(۱)

أمّا لما ذا الحبشه؟!

لابدّ لمن يريد أن ينجو من الاضطهاد والعذاب، أن يختار مكاناً آمناً يلوذ به، وإلّا فسيكون كالمستجير من الرمضاء بالنار; لهذا فقد تمّ اختيار هذه البلاد، وكما صرح بذلك رسول الله (ص) حينما أمر المسلمين بالهجره: «لو خرجتم إلى أرض الحبشه، فإنّ بها مَلكاً لا يُظلم عنده أحد، وهى أرض صدق، حتى يجعل الله لكم فرجاً ممّا أنتم فيه».(۲)

إذن، فهى بلاد صدق، وفيها حاكم عادل، فتجد الدعوه ويجد المهاجرون ساحه بلا موانع، يستطيعون التحرّك عليها بحريّه وأمان; كما أنها أرض كانت متجراً لقريش.

يقول الطبرى: ... وكانت أرض الحبشه متجراً لقريش يتجرون فيها، يجدون فيها رفاغاً من الرزق، وأمناً ومتجراً حسناً.(۳)

وكانت أيضاً بلاداً مفتوحهً على كثير من البلدان، فهى بالتالى تشكّل ساحه مناسبه لنشر الدعوه الجديده، وبثّها فى تلك البلاد وفى غيرها، كما تشكّل ساحه ضغط على قريش وتجارتها.

وهذا ما حصل بالفعل، فقد وصل تأثير المهاجرين بدءاً بالملك الذى أعلن موقفه من

۱- سوره المائده : ۸۲ ۸۴ ؛ مجمع البيان ۳ : ۳۶۱ .

۲- سيره ابن هشام ۱۲ : ۳۲۱ .

۳- تاريخ الطبرى ۱ : ۵۴۶ ، رفاغاً : سعه .

الإسلام، ومن المهاجرين، وحمايتهم بقوله: أنا أشهد أنه رسول الله (ص) ... إلى غير الملك من أشراف القوم وأبناء البلاد الآخرين؛ وكما يذكر الطبرى: ثمّ إنه فشا الإسلام فيها، ودخل فيه رجال من أشرافهم.(۱)

شجاعته واستشهاده

بعد عودته رضوان الله عليه إلى المدينه من الحبشه كان رسول الله (ص) بخيبر سنه ۷ه بعد أن قضى فيها سنين عدداً مهاجراً، وكان بصحبته زوجته أسماء وأولاده الثلاثه محمد وعبدالله وعوف، تقول الروايه المنقوله عن الشعبى... قال: لما فتح النبى (ص) خيبر قدم جعفر بن أبى طالب رضوان الله عليه من الحبشه، فالتزمه رسول الله (ص) وجعل يقبّل بين عينيه ويقول: «ما أدرى بأيهما أنا أشدّ فرحاً بقدوم جعفر أم بفتح خيبر؟!».(۲) وقد آخى بينه وبين معاذ بن جبل.

فأقام بالمدينه شهراً، ثمّ جعله رسول الله (ص) أحد الأمراء الثلاثه على جيش غزوه مؤته بناحيه الكرك بالبلقاء; فتوجه إلى هناك حيث خاض معركه لم يخض المسلمون معركه مثلها، كما وصفت، وكان أعداء المسلمين من المشركين الروم قد ادّرعوا بالعتاد والأعداء ما يملأ السهل والجبل، وما لا طاقه للعرب ولا للمسلمين به، وكان جعفر أحد قواد الجيش الثلاثه الذين عيّنهم رسول الله (ص) فعن عروه بن الزبير: أنه بعث ذلك البعث (بعث رسول الله (ص) الجيش إلى مؤته) فى جمادى.. لسنه ثمان من الهجره، واستعمل عليهم زيد بن حارثه، وقال: إن اُصيب زيد فجعفر بن أبى طالب على الناس، فإن أصيب جعفر فعبدالله بن رواحه على الناس.(۳)

۱- تاريخ الطبرى ۱ : ۵۴۶ .

۲- أنظر مقاتل الطالبيين : ۳۰ ، عن ابن سعد ۴ : ۲۳؛ وابن أبى الحديد ۳ : ۴۰۷ ؛ والبدايه والنهايه ۴ : ۲۵۶ ؛ والاستيعاب ۱ : ۸۱ .

۳- أنظر مقاتل الطالبيين : ۳۰ ، عن ابن سعد ۲ : ۹۳ ، و۴ : ۲۲ ؛ وابن هشام ۴ : ۱۵ ؛ والبدايه والنهايه ۱ : ۲۴۱ ؛ والسيره الحلبيه ۳ : ۷۷ .

وقد ذكر الدكتور الجميلى صاحب كتاب: «صحابه النبى (ص)» وصفاً للمعركه ولاستشهاد جعفر: واشتبكت الأسنه، واشتجر الوغى، وعلا رهج الحرب، وأدرك الروم أنهم إزاء فارس لا ضريب له، لا تثلم له ضربه، ولا يغل له سنان، ولا تنبو له ضريبه، فاعتوره الأعداء من كل صوب وجهه، وهو يرميهم ذات اليمين وذات الشمال، يستأصل شأفتهم، ويبيد خضراءهم، وهو ممسك بالرايه بيده اليمنى، فقطعوها له، فالتقطها بيده اليسرى، ولا يزال صامداً متماسكاً، إلاّ أنّ الروم ظلوا يتدافعون إليه، واحتوشوه حتى قطعت يده اليسرى، فاحتضن الرايه بعضدَيه شهامةً حتى الموت، واندفعت الأمور لنهاياتها الحتميه، فقتل جعفر رضى الله عنه، وسقط شهيداً مضرجاً بدمائه، مثخناً بجراحه، مزملاً فى ثيابه، مدثراً ببطوله لا مثل لها.

يقول عبدالله بن عمر: كنت مع جعفر فى غزوه مؤته، فالتمسناه، فوجدناه وبه بضع وتسعون ما بين طعنه ورميه.

وقال الزركلى فى أعلامه: وحضر موقعه مؤته بالبلقاء من أرض الشام، فنزل عن فرسه، وقاتل، ثمّ حمل الرايه، وتقدم صفوف المسلمين، فطعنت يمناه فحمل الرايه باليسرى فطعنت أيضاً، فاحتضن الرايه إلى صدره، وصبر حتى وقع شهيداً وفى جسمه نحو تسعين طعنه ورميه، فقيل: إنّ الله عوضه عن يديه جناحين فى الجنه، وقال حسان:

فلا يبعدن الله قتلى تتابعوا

بمؤته منهم ذو الجناحين جعفر

وقد روى عكرمه عن ابن عباس: أنّ النبى (ص) قال: «دخلت الجنه فرأيت جعفر الطيار مع الملائكه وجناحاه مضرجان بالدم».

يقول بن عوف وهو ممن حضر معركه مؤته عن شجاعه جعفر: لكأنى أنظر إلى جعفر بن أبى طالب يوم مؤته، حين اقتحم عن فرس له شقراء فعقرها، ثمّ تقدم فقاتل حتّى قتل، قال بن اسحاق: فهو أول من عقر فى الإسلام وهو يرتجز:

يا حبذا الجنه واقترابُها

طيبهٌ وباردٌ شرابُها

والرومُ رومٌ قد دنا عذابُها

علىّ إن لاقيتها ضرابُها

وفيما قاله رسول الله (ص) عن إيمان جعفر الثابت وشـجاعته: .. ولما أخـذ جعفر ابن أبى طالب الرايه، جاءه الشـيطان فمناه، وكره إليه الموت، فقال: الآن حين اسـتحكم الإيمان فى قلوب المؤمنين تمنينى الدنيا، ثمّ مضـى قدماً حتى استشـهد; فصلى عليه رسول الله (ص) ودعـا له، ثمّ قـال رسول الله (ص): «اسـتغفروا لأـخيكم جعفر فقـد استشـهد ودخـل الجنه، وهو يطير فيهـا بجنـاحين من ياقوت حيث شاء من الجنه».

ولما ورد خبر استشـهاد زيـد وجعفر وعبدالله، بكى أصـحاب رسول الله (ص) وهم حوله فقال: ما يبكيكم؟ فقالوا: ما لنا لا نبكى، وقد ذهب خيارنا وأشرافنا وأهل الفضل منا.

فقـال (ص) : «لاـ تبكوا، فإنمـا مثل أمتى كمثل حـديقه قام عليها صاحبها فأصـلح رواكيها وهيّأ مساكبها، وحلق سـعفها، فأطعمت عاماً فوجاً، ثمّ عاماً فوجاً، ثمّ عاماً فوجاً، فلعل آخرها طعماً أن يكون أجودها قنواناً، وأطولها شـمراخاً، والذى بعثنى بالحقّ ليجدن ابن مريم فى أمتى خلفاً من حواريه».(۱)

ولما استشـهد جعفر وأصحابه أتى رسول الله (ص) بيت جعفر، تقول أسماء بنت عميس زوجه جعفر: لما أصيب جعفر وأصحابه، أتانى رسول الله (ص) ولقد هيأت أربعين مناً،(۲) من أدم، وعجنت عجينى، وأخذت بنىّ فغسلت وجوههم ودهنتهم، فدخل علىّ رسول الله (ص) فقال: «يا أسـماء! أين بنو جعفر؟» فجئت بهم إليه، فضـمهم إليه وشمهم، ثمّ ذرفت عيناه فبكى، فقلت: أى رسول الله لعله بلغـك عن جعفر شـىء، فقـال (ص) : «نعم، قتل اليوم» فقالت: فقمت أصـيح، واجتمع إلىّ النساء، قالت: فجعل رسول الله (ص) يقول: «يا أسماء! لا تقولى هُجراً، ولا تضربى صدراً».

قالت: فخرج رسول الله (ص) حتى دخل على ابنته فاطمه، وهى تقول: واعماه،

فقال رسول الله (ص): «على مثل جعفر فلتبك الباكيه، ثمّ قال رسول الله (ص) : «إصنعوا لآل

۱- مقاتل الطالبيين : ۳۱ ۳۲ .
۲- فى الأصل : «منياً» تحريف ، والمنا : الكيل أو الوزن الذى يوزن به ، وهو أفصح من المنّ ، لغه تميم . اللسان : منن ، منى.

جعفر طعاماً، فقد شغلوا عن أنفسهم اليوم...» ثمّ صعد المنبر فحمدالله وأثنى عليه، ثمّ

قال: «أيها الناس، إنّ جعفر بن أبى طالب مرّ مع جبريل وميكائيل له جناحان،

عوضه الله من يديه فسلّم علىّ . . وأخبرنى أنه لقى المشركين يوم كذا وكذا... فقال:

لقيت المشركين فأصبت فى جسدى من مقاديمى ثلاث وسبعين طعنه وضربه، ثم أخذت اللواء بيدى اليمنى فقطعت، ثمّ أخذته بيدى اليسرى فقطعت، فعوضنى الله من يدى جناحين أطير بهما مع جبريل وميكائيل، أنزل من الجنه حيث شئت ... فلذلک سمّى الطيار

فى الجنه».

عمره

وقع الخلاف فى عمره الشريف حينما استشهد فى معركه مؤته، فقد ذهب الواقدى وغيره إلى أنّ قتله كان سنه ثمان من الهجره . . وعمّر جعفر ثلاثاً وثلاثين سنه، وقيل: قتل وهو ابن خمس وعشرين سنه.

فى حين ذهب بعض إلى أنّ عمره رضوان الله عليه وقت استشهاده كان ثلاثاً أو أربعاً وثلاثين سنه، وقد نسب هذا إلى أحد أحفاد جعفر، وهو على بن عبدالله ابن جعفر بن إبراهيم بن محمد بن على بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب، حيث قال: قتل جعفر وهو ابن ثلاث أو أربع وثلاثين سنه.

هذه هى خلاصه بعض الأقوال فى عمره، وكلها مردوده، فقد رفض أبوالفرج الأصفهانى صاحب مقاتل الطالبيين هذا، حيث قال: وهذا عندى شبيه بالوهم; لأنه قتل فى سنه ثمان من الهجره، وبين ذلک الوقت وبين مبعث رسول الله (ص) إحدى وعشرون سنه، وهو أسن من أخيه أمير المؤمنين على (ع) بعشر سنين، كان لعلى حين أسلم سنون مختلفه فى عددها، فالمكثر يقول: كانت خمس عشره، والمقلل يقول: سبع سنين .

وكان إسلامه فى السنه التى بعث فيها رسول الله (ص) لا خلاف فى ذلک، وعلى أى الروايات قيس أمره علم أنه كان عند مقتله قد تجاوز هذا المقدار من السنين.

وذکر أبوالفرج فی الهامش بأنّ ابن عبد البر جزم بأنّ سنّه کانت إحدی وأربعین سنه.(۱)

وهذا القول الأخیر مبنی علی کون عمر جعفر حین إسلامه کان عشرین سنه.

وما ورد فی الروایه أعلاه من کون عمره۳۳،۳۴ فهو خطأ; لأنّ الأخذ بها یجعل عمر جعفر حین إسلامه۱۲سنه أو۱۳سنه، وبالتالی فهو یساوی عمر الإمام علی (ع) أو یقاربه، إن لم یکن أصغر سناً من الإمام، إذا ما أخذنا بروایه المکثرین من کون عمر الإمام کان ۱۵ سنه وقت إسلامه، وهذا یخالف کل المصادر التأریخیه التی أجمعت علی کون جعفر أکبر سناً من الإمام علی (ع) بعشر سنین.

فعمر جعفر وقت استشهاده قد لا یمکن القطع به بل یمکننا أن نقول: إنه بعد تجاوزه الأربعین سنه بقلیل، أما تحدیده ب ۴۱، أو ۴۲ علی وجه الجزم أمر قد لا یخلو من مجازفه، وهو ترجیح لروایه السن علی أخری بلا مرجح قوی، وأما کون عمره خمساً وعشرین سنه، فهو أمر لا یستحق الوقوف عنده.

صلاه جعفر

وممّا علّمه رسول الله (ص) صلاه خاصّه، تسمی بصلاه الحبوه والتسبیح.

فقد روی أبوحمزه الثمالی عن أبی جعفر (ع) قال: «قال رسول الله (ص) لجعفر بن أبی طالب: یا جعفر ألا أمنحک، ألا أُعطیک، ألا أحبوک،(۲) ألا أُعلّمک صلاه إذا أنت صلّیتها لو کنت فررت من الزّحف، وکان علیک مثل رمل عالج،(۳) وزبد البحر ذنوباً غفرت لک؟ قال: بلی یا رسول الله، قال: تصلّی أربع رکعات إذا شئت، إن شئت کلّ لیله، وإن شئت کلّ یوم، وإن شئت فمن جمعه إلی جمعه، وإن شئت فمن شهر إلی شهر، وإن شئت فمن

۱- مقاتل الطالبیین ، انظر شرح المواهب ۲ : ۲۷۱ .

۲- أمنحک وأعطیک وأحبوک متقاربه المعانی، والمنحه: العطیه؛ والحباء: العطاء ومنه الحبوه باعتبار اعطاء النبی (ص) لجعفر (ع) .

۳- الرمل العالج أی المتراکم ، وعوالج الرمل هو ما تراکم منه .

سنه إلى سنه، تفتتح الصلاه ثمّ تكبّر خمس عشره مرّه، تقول: الله أكبر وسبحان الله والحمد لله ولا ـ إله إلاّ الله، ثمّ تقرأ الفاتحه وسوره، وتركع فتقولهنَّ فى ركوعك عشر مرّات، ثمّ ترفع رأسك من الركوع فتقولهنّ عشر مرّات، وتخرُّ ساجداً وتقولهنَّ عشر مرّات فى سجودك، ثمّ ترفع رأسك من السجود فتقولهنّ عشر مرّات، ثمّ تخرّ ساجداً وتقولهنّ عشر مرّات، ثمّ ترفع رأسك من السجود فتقولهنّ عشر مرّات، ثمّ تنهض فتقولهنّ خمس عشره مرّه، ثمّ تقرأ فاتحه الكتاب وسوره، ثمّ تركع فتقولهنّ عشر مرّات، ثمّ ترفع رأسك من الركوع فتقولهنّ عشر مرّات، ثمّ تخرُّ ساجداً فتقولهنّ عشر مرّات، ثمّ ترفع رأسك من السجود فتقولهنّ عشر مرّات، ثمّ تسجد فتقولهنّ عشر مرّات، ثمّ ترفع رأسك من السجود فتقولهنّ عشر مرّات، ثمّ تتشهّد وتسلّم ؛ ثمّ تقوم وتصلّى ركعتين أخراوين تصنع فيهما مثل ذلك ثمّ تسلّم.

قال أبوجعفر (ع) : فذلك خمس وسبعون مرّه فى كلّ ركعه ثلاثمائه تسبيحه تكون ثلاثمائه مرّه فى الأربع ركعات ألف ومائتا تسبيحه يضاعفها الله عزّوجلّ ويكتب لك بها اثنتى عشره ألف حسنه، الحسنه منها مثل جبل أُحد وأعظم».(۱)

وعن أجر من صلاّها، سئل الإمام أبوعبدالله (ع) «عمّن صلّى صلاه جعفر، هل يكتب له من الأجر مثل ما قال رسول الله (ص) لجعفر؟ قال: إى والله».(۲)

قالوا فيه

إذا ما نظرنا فى الذى ورد فى جعفر من أقوال وروايات . . يمكننا أن نتصور من خلال ذلك شخصيته ومكانته وما يملكه من قدرات، فمن أقوال الرسول (ص) فيه:

«خير الناس حمزه، وجعفر وعلى».(۳)

«رأيت جعفراً ملكاً، يطير فى الجنه مع الملائكه بجناحين».(۴)

۱- من لا يحضره الفقيه ۱ : ۳۷۰ .

۲- المصدر نفسه ۱ : ۳۷۱.

۳- شرح ابن أبى الحديد ۳ : ۴۰۷ .

۴- طبقات ابن سعد ۴ : ۲۶ ؛ وأسد الغابه ۱ : ۲۸۷ ؛ الإصابه ۱ : ۲۴۹ .

وقال (ص) مخاطباً جعفراً: «أنت أشبهت خَلقی وخُلقی».(۱)

«نحن بنو عبدالمطلب سادات أهل الجنه: رسول الله (ص) وحمزه سید الشهداء، وجعفر ذو الجناحین، وعلی (ع) ، وفاطمه (علیها السلام) ، والحسن (ع) ، والحسین (ع) ».((۲)

وفی روایه أخری قال فیها رسول الله (ص) :

«نحن سبعه «بنو عبدالمطلب» سادات أهل الجنه، أنا، وعلی أخی، وعمّی حمزه، وجعفر، والحسن والحسین، والمهدی».(۳)

أمّا ما قاله صاحب حلیه الأولیاء أبو نعیم الأصفهانی فی مقدمه ترجمه جعفر: ومنهم الخطیب المقدام، السخی المطعام، خطیب العارفین، ومضیف المساکین، ومهاجر الهجرتین، ومصلی القبلتین، البطل الشجاع، الجواد الشعشاع، جعفر بن أبی طالب (ع) ، فارق الخلق ورامق الحق.

وأما ما قاله فیه صاحب سیر أعلام النبلاء . .

السید الشهید، الکبیر الشأن، علم المجاهدین، أبو عبدالله ، ابن عمّ رسول الله.

ومن شعر حسان بن ثابت فی بنی هاشم ومنهم جعفر:

رأیت خیارَ المؤمنینَ تواردُوا

شَعُوبَ وقد خُلِّفتُ فیمن یؤخَّرُ

فلا یُبعدَنَّ اللهُ قتلی تتابعوا

جَمیعاً ونیرانُ الحروب ِ تَسَعَّرُ

غداه غدا بالمؤمنینَ یقودُهُمْ

إلی الموتِ میمونُ النّقِیبَه أزهرُ

وکنا نری فی جعفر مِنْ محمد

وَقَاراً وأمْراً حَازِماً حِیْن یَأمُرُ

وما زال للإسلام ِ مِنْ آل ِ هاشم

دَعائمُ عِزٍّ لا تَزالُ ومَفْخرُ

بَهالِيْلُ منْهُمْ جَعْفَر وابنُ أُمّهِ

عليٌّ ومِنْهُمْ أحمدُ المتخَيَّرُ

وحمزةُ والعباسُ منهمْ وَمنْهُمْ

عَقِيلٌ وماءُ العُودِ مِنْ حيثُ يُعصرُ

١- ابن أبى الحديد ٣ : ٤٠٧ ؛ الإصابه ١ : ٢٤٨ .

٢- مختصر تاريخ دمشق ٦ : ٦٨ .

٣- المصدر نفسه.

بهمْ تُفْرَجُ اللأْواءُ فى كلِّ مأزق

عَماس(١) إذا ما ضَاقَ بالأمْر مَصْدَرُ

وهمْ أولياءُ اللهِ نزّل حكمهُ

عليهم وفيهمْ والكتابُ المطَّهرُ (٢)

وفى رثاء جعفر قال كعب بن مالك:

هدت العيون ودمع عينك يهمل

سَحَّاً كما وَكَفَ الضباب الُمخْضلُ (٣)

وكأنّما بين الجوانح والحشا

مما تأَوَّبَنى شِهابٌ مُدْخَلُ (٤)

وَجْداً على النَّفَر الذين تَتَابَعُوا

يوْماً بمُؤتَه أُسْندوا لمْ يُنْقَلوا

صلى الاِلهُ عليهم من فِتيه

وسقى عظامهمُ الغمامُ المُسْبل (٥)

صبروا بمؤته للاِله نفوسهُمْ

عند الحِمَام ِحفيظةً أن يَنْكُلُوا (٦)

إذ يهتدون بجعفر ولوائِهِ

قُدَّامَ أَوَّلِهمْ ونِعْمَ الأَوَّل (٧)

حتى تفرَّقت الصفوف وجعفرٌ

حيثُ الْتقى وَعْثُ الصُّفُوفِ مُجَدَّل (٨)

فَتَغَيَّرَ القمرُ المنيرُ لفقده

والشمسُ قد كَسَفَتْ وكادتْ تَأْفُل (۹)

۱- أمر عَماس: شديد مظلم، لا يُدرى من أين يؤتى له. اللسان : عمس.

۲- الديوان : ۲۳۵، باختلاف فى الروايه؛ مقاتل الطالبيين: ۳۲۲۳.

۳- الشعر فى ابن هشام ۴ : ۲۷؛ ابن أبى الحديد ۳ : ۴۰۴؛ والبدايه والنهايه ۴ : ۲۶۱. همل الدمع: سال، وسحا:

۴- المدخل: النافذ إلى الداخل.

۵- المسبل: الممطر.

۶- الحمام: الموت؛ وينكلوا: يرجعوا هائبين لعدوهم.

۷- بعد هذا البيت فى سيره ابن هشام: فمضوا أمام المسلمين كأنّهم فنق عليهن الحديد المرفل

۸- فى سيره ابن هشام «حتى تفرجت» والوعث: الرمل الذى تغيب فيه الأرجل، ومجدل: مطروح على الجداله، وهى الأرض؛ وفى ابن أبى الحديد: «... التقى جمع الغواه».

۹- تأفّل: تغيب، وفى القرآن (فلما أفلت قال إنى لا أحب الآفلين) وفى سيره ابن هشام بعد هذا البيت:

]قومٌ بهم نصرَ الإِلهُ عبادَه

وعليهمُ نزل الكتاب المُنْزَل(١)[

وبهديهمْ رَضى الإِلهُ لِخَلْقِهِ

وحَدّهم نُصِرَ النبىّ المُرْسَل(٢)

بيضُ الوجوه تُرَى بُطُون أَكُفِّهِمْ

تَنْدَى إذا اعتذرَ الزمانُ المُمْحِل(٣)

ومن أبيات لحسان، وهو يرثى جعفر بن أبى طالب:

لقد جزعتُ وقلتُ حين نُعيتَ لى

مَن للجلاد لدى العُقاب وظلِّها(۴)

بعد ابن فاطمه المبارك جعفر

خير البريه كلِّها وأجلّها

* * *

فسلام عليك يا جعفر فى الخالدين

١- الزياده من النسخه الخطيه وفى سيره ابن هشام «عصم الإِله» وفيها بعد البيت: فضلوا المعاشر عشره وتكرماً وتنهدت أحلامهم من يجهل لا يطلقون إلى السفاه حُباهم ويرى خطيبهم بحق يفصل

٢- ويروى «بجدهم» قال أبوذر: «من رواه بالحاء المهمله فمعناه بشجاعتهم وإقدامهم; ومن رواه بالجيم المكسوره فهو معلوم».

٣- الممحل: الشديد القحط وفى أ، ب: «قوم بهم نظر الإِله لخلفه».

۴- العقاب : اسم لرايه الرسول .

(۷) أمُّ المؤمنين خديجه (عليها السلام)

اشاره

محمد سليمان

فی بيت من البيوت العريقه، وذات السمعه الطيبه، والمكانه العاليه فی الحجاز، ولدت سيدتنا خديجه لأبوين قرشيين:

فأبوها خويلد بن أسد بن عبد العزّی بن قصی بن كلاب بن مرّه بن كعب بن لؤی بن غالب بن فهر بن مالک بن النضر من كنانه ... من قريش، فهو من بنی أسد، وقدمات فی حرب الفِجار، التی قامت فی الجاهليه فی الأشهر الحرم بين قريش وقيس عيلان، ويومذاک كان عمر خديجه إذا ما أخذنا بروايه أنّ عمرها حين زواجها من الرسول (ص) أربعون سنه ثلاثين سنه.

وأما أمُّها فهی فاطمه بنت زائده بن الأصم بن فهر بن لؤی بن غالب، فهی تجتمع مع زوجها خويلد فی لؤی بن غالب... من كنانه من قريش.

خديجه القرشيّه الأسديه تلتقی نسباً مع النسب الكريم لرسول الله (ص) فی جدّه الرابع «قصی» فهو محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصی... وهی بالتالی أقرب نسائه إليه (ص).

كـانت تـدعى فى الجاهليه بالطاهره، وسـيده نساء قريش، وسـيده قريش; وهى يومئـذ أوسط نساء قريش نسـباً، وأعظمهنّ شـرفاً، وأكـثرهنّ مالاًـ وأحسـنهنّ جمالاًـ.. وفى لفـظ كـان يقـال لهـا سـيده قريش; لأـنّ الوسـط فى ذكـر النسـب من أوصـاف المـدح والتفضيل، يقال: فلان أوسط القبيله، أعرقها فى نفسها...(۱)

عمرُ خديجه

الاهتمـام بعمرها أمر طبيعى جـدّاً; لأنه جزء من دراسه حياتها المباركه بعـد أن اقترنت برسول الله (ص) وصارت حياتها جزءاً من حياته الشخصيه والدينيه بكلِّ أبعادها.

ولكن هذا الاهتمام بدلاً من أن يولد لدينا القطع بعمرها، عمّق الاختلاف فيه تبعاً لاختلاف الروايات والأخبار، وبالتالى الآراء عن ولادتهـا، وعن عمرهـا، وحياتهـا حين اقترانهـا بـالرسول الكريم (ص) راحت اعتمـاداً على تلك الروايات أقوال قـدماء المؤرخين بالذات، وأقوال مَن جاراهم من الكتّاب المحدثين، توسع ذلك الاختلاف وتثبته، ولم تسـتطع حسـمه بما تقدمه من أدله; وابتداءً نشير إلى بعض روايات سنِّها ومصادرها:

فعن ابن عباس: كانت خديجه يوم تزوجها رسول الله (ص) ابنه ثمان وعشرين سنه.(۲)

وعن حكيم بن مزاحم (ابن اخيها): تزوج رسول الله (ص) خـديجه وهى ابنه أربعين سـنه، ورسول الله (ص) ابن خمس وعشـرين سنه; ويقول مزاحم: وكانت أسنّ منى بسـنتين، ولدت قبل الفيل بخمس عشـره سـنه، وولدت أنا قبل الفيل بثلاث عشـره سنه.(۳) (فقد ولد (ص) بعد وقعه الفيل بخمسين يوماً...).(۴)

وذكر الواقدى: أنها كانت لما تزوجها رسول الله (ص) بنت خمس وأربعين سنه.

وعن البيهقى والحاكم:... وأنّ عمره (ص) كان خمساً وعشرين، وعمرها خمساً وثلاثين.

۱- السيره الحلبيه ۱ : ۱۳۷، باب تزوجه (ص) خديجه بنت خويلد (عليها السلام) .

۲- مختصر تاريخ دمشق ۲ : ۲۷۵.

۳- المصدر نفسه.

۴- الطبقات الكبرى لابن سعد ۱ : ۱۰۰؛ أنساب الأشراف للبلاذرى : ۹۲.

كما أنّ هناك من يقول: إنها ابنه ۲۵ سنه، أو ۳۰ سنه.

يقول صاحب كتاب اتحاف الورى بأخبار أمِّ القرى: خطب النبيُّ (ص) إلى خديجه نفسها، وكانت ابنه أربعين سنه؛ ويقال: ابنه خمس وأربعين ويقال: ثمان وأربعين سنه، ويقال: ست وأربعين، وقيل: ثلاثين، ويقال: ثمان وعشرين.

فالأقوال إذن فى مسأله عمرها مختلفه، وقد ذهب جلال مظهر فى كتابه محمد رسول الله (ص) سيرته وأثره فى الحضاره إلى (أنها كانت ابنه ۲۵ سنه) دون أن يذكر سبباً مرجّحاً لذلك.

فى حين اعتمدت بنت الشاطئ فى كتابها نساء النبىّ روايه الأربعين، التى اعتمدها الطبرى والواقدى ورواها حكيم بن مزاحم؛ وهيكل هو الآخر اعتمد فى كتابه حياه محمد، ما اعتمده الطبرى والواقدى.

وقد ذكر كلٌّ من الدكتور عبدالصبور شاهين، وإصلاح عبدالسلام فى أمهات المؤمنين: وقد أجمعت كتب التأريخ والسيره، إلاّ روايه واحده فى الطبقات على أنّ السيده خديجه كانت فى الأربعين من عمرها، عند زواجها.

إنّ ما ذكراه بعيد عن الدقّه، فأين هو الإجماع، وهذه المصادر وكتب التأريخ بين أيدينا قد ذكرت روايات متعدده، وكلّها تشير إلى الاختلاف فى سنّها؟!

وذهب ابن اسحاق، كما فى مستدرك الحاكم، إلى أنّ خديجه كانت فى الثامنه والعشرين من العمر.(۱)

فى حين ذهب العقاد فى كتابه: «فاطمه الزهراء والفاطميون» إلى اعتماد روايه ۲۵،۲۸ سنه، حيث يرى أنّ المرأه فى بلاد كجزيره العرب يبكر فيها النمو، ويبكر فيها الهرم، فلا تتصدى للزواج بعد الأربعين.

وهذا ردّ صريح على من أخذ بروايه الأربعين، الذين أخذوا فى اعتبارهم أنّ السيده

۱- مستدرک الحاکم ۳:۱۸۲ ، وقد کان کلام ابن اسحاق بلا إسناد .

خـديجه قـد تزوجت قبـل رسول الله (ص) من عتيق بن عائـذ ومن بعـده من أبى هاله زُراره، وأنجبت لهما أولاداً، ثم مكثت بعد وفـاه زوجهـا الثـانى مـدّه ليست قصـيرهً، راغبهً فى تنميه ثروتها وأموالها، التى ورثتها من أبيها الـذى كان ثرياً ومن قبيله ذات مال وفير، ومن زوجيهـا، عـازفهً عن الزواج الثـالث؛ لأنّ كلّ من تقـدّم لزواجها كما زعم إنما كان تـدفعه الرغبه فى ثروتها، ولأنها لم تجـد فيهم من الشـرف والأمانه والصـدق، هـذه الصـفات التى كانت تنشدها، حتى تسـتطيع أن تأمنه على أموالها وتجارتها، حتى قـدر لرسول الله (ص) أن يضـارب بتجارتها، وقـد قبلت به لمعرفتها بأنه الصادق الأمين، وهو الـذى عُرف بهـذا بينهم، وفعلًا سافر إلى الشـام ببضاعتهـا، وعـاد ببضاعه أخرى وفيره، وأرباح عاليه لم تعهـدها من قبل، مع ما حـدّثها عنه غلامها ميسـره، الـذى كان برفقه محمد وخدمته، فزادت معرفتها به، وعظم تعلقها به، ورأت فيه ما كانت تتمنى، فتزوجته.

وقد اسـتعان أصـحاب روايه الأربعين بذيل الروايه نفسـها عن حكيم بن مزاحم على تأييد ما ذهبوا إليه، وذيلها يقول: إنها توفيت فى شهر رمضان سنه عشر من النبوّه، وهى يومئذ ابنه خمس وستين سنه.(۱)

وأُخذ على هذا الرأى: أنها كيف أنجبت فى هذه السن المتأخره؟!

وأُجيب عن ذلـك بـأنه من المشاهـد وجود نساء قـد أنجبن بعـد الأربعين، بل بعـد الخمسـين أيضاً، وهـذا الأمر يتوقف على توفر عوامله، التى منها صـحه المرأه واسـتعدادها وقابليتها وبيئتها، وما تعيشه المرأه من رفاهيه فى حياتها واسـتقرار وراحه، وهو ما توفر للسـيده خـديجه؛ علماً بـأن هنـاك من يقول: إنّ آخر مـا أنجبته خـديجه (عليها السـلام) فاطمه الزهراء (عليها السـلام) وهى فى الخمسـين، إن لم تكن أقل من ذلك من عمرها المبارك، ومعنى هـذا أنها لم تنجب بعـد الخمسـين سـنه وكانت هذه الفتره ۱۵ سنه.

فالمدائنى قال: ولدت فاطمه قبل النبوه بخمس سنين.

وفى روايه جعفر بن سليمان: ولدت فاطمه سنه إحدى وأربعين من مولد النبى (ص).

۱- مختصر تاريخ دمشق ۲ :۲۷۱.

وعن أبی جعفر (ع): «... فقال العباس: أما أنت یا فاطمه فولدت وقریش تبنی الکعبه، والنبی (ص) ابن خمس وثلاثین سنه».

فهـذه الروایات تبین أنّ فاطمه (علیها السـلام) وهی آخر مولود لخـدیجه ولـدت وخـدیجهُ بعـدُ لم تتجاوز الخمسـین من عمرها، وعلی روایه الأربعین کانت البعثه، وخدیجه (علیها السلام) فی الخامسه والخمسین من عمرها.

وقد ترد بعض الملاحظات علی مسأله التمسک بروایه ۴۰ وأنها قد تزوجت مرتین.

۱ لماذا هـذا الإصـرار علی التمسک بروایه الأربعین، وعـدّها هی المشـهوره، وهی روایه من عدّه روایات: (۴۵ سنه، ۲۸ سنه، ۲۵ سنه، ۳۰ سنه...) ألیس هذا ترجیحاً بلا مرجح؟

۲ امرأه بهذا العمر (۴۰ ،۴۵ سـنه) وفی أجواء کأجواء الحجاز الحاره جدّاً، التی یسـرع الکبر فیها إلی الإنسان، وقد تقدم لخطبتها کما تقول الأخبار أعظم قریش نسباً ومالاً ورفضـتهم، بل وتمناها وتهالک علیها کلّ شـریف وعظیم، فقـد کان ممّن خطبها عقبه بن أبی معیـط، والصـلت بن أبی یهاب، وکان لکلّ واحـد منهما أربعمائه عبـد وأمه، وخطبها أبوجهل بن هشام، وأبو سـفیان،(۱) فهـل کـلّ هـذا یکون من أجـل امرأه بهـذه السنّ المتـأخره، ومن أجـل امرأه عاشت ببیتین (بیت عتیق، وبیت «أبو هاله») وأنجبت واحـداً علی روایـه، واثنیـن علی روایـه أخری، وثلاـثه علی روایـه ثـالثه، وهم (هنـد والحـارث وبنت اسـمها زینب)،(۲) وترملت بعدهما وعاشت سنین أخری؟!

أو یصـح هـذا، وهم قادرون بما عندهم من شـرف ومال وجاه أن یتزوجوا بما یحلو لهم من النساء من بیوتات عربیه أخری، ذات شرف وعفه ومال وجمال؟!

ثم إنّ زوجیها السابقین لم یکونا بدرجه عالیه من المکانه، ومع هذا قبلت بهما وهی فی شبابها، فکیف وقد تقدم بها العمر ترفض زعماء قریش وأشرافها؟! وإن قیل إنها قررت تنمیه ثروتها، فإنّ هذا ادعاء سطرته أقلامُ الکتاب، ولا یصلح أن یکون مبرراً یفرض

۱- البحار ۱۶ : ۲۲.

۲- جوامع السیره النبویه، ابن حزم الأندلسی المتوفی سنه ۴۵۶ه ، دار الکتب العلمیه بیروت .

علیها ما دامت لم تصرح به، علماً بأنّ فی قبال هذا الادعاء إدعاءاً یقول: إنها إنما رفضتهم جمیعاً، لعدم توفر الصفات التی تریدها فیمن تقدم لخطبتها، وهو ادعاء أقوی من ادعاء الکتّاب؛ لأنه من أقرب الناس لها.

قال أبوالقاسم الکوفی: إنّ الإجماع من الخاص والعام، من أهل الأنام ونقله الأخبار، علی أنه لم یبق من أشراف قریش، ومن ساداتهم، وذوی النجده منهم، إلاّ من خطب خدیجه، ورام تزویجها، فامتنعت علی جمیعهم من ذلک، فلما تزوجها رسول الله (ص) غضب علیها نساء قریش وهجرنها، وقلن لها: خطبک أشراف قریش، وأمراؤهم فلم تتزوجی أحداً منهم، وتزوجت محمداً یتیم أبی طالب فقیراً، لا مال له؟! فکیف یجوز فی نظر أهل الفهم أن تکون خدیجه، یتزوجها أعرابی من تمیم، وتمتنع من سادات قریش وأشرافها علی ما وصفناه؟! ألا یعلم ذوو التمییز والنظر أنه من أبین المحال، وأفظع المقال؟!(۱)

۳ وفی الاستغاثه ذکر بعض أنه کانت لخدیجه أخت اسمها هاله،(۲) تزوجها رجل مخزومی، فولدت له بنتاً اسمها هاله، ثم خلف علیها رجل تمیمی یقال له أبوهند فأولدها ولداً اسمه هند، وکان لهذا التمیمی امرأه أخری قد ولدت له زینب ورقیه، فماتت ومات التمیمی، فلحق ولده هند بقومه، وبقیت هاله أخت خدیجه والطفلتان اللتان من التمیمی وزوجته الأخری، فضمتهم خدیجه إلیها، وبعد أن تزوجت بالرسول (ص) ماتت هاله، فبقیت الطفلتان فی حجر خدیجه والرسول (ص) ... وکان العرب یزعمون أنّ الربیبه بنت، ونسبتا إلیه (ص) مع أنهما ابنتا أبی هاله زوج أختها، وکذلک کان الحال بالنسبه لهند نفسه.(۳)

أرید من هذا کله أن أقول: إنّ ما یناسب صفات هذه السیده، وما یلائم کلّ ما قیل بحقّها، ورغبه الآخرین فیها، وما یبعدنا عن مسأله کلّ ما یرد من إشکالات حول عمرها وقدرتها علی الانجاب، وما دامت الروایات کلها قد تکون بمستوی واحد، ولیس لواحده

۱- لها ذکر فی کتب الأنساب، فراجع علی سبیل المثال: نسب قریش، لمصعب الزبیری: ۱۵۷ ۱۵۸.

۲- الاستغاثه ۱ :۷۰.

۳- الصحیح فی سیره النبیّ (ص) ؛ الاستغاثه ۱: ۶۸۶۹؛ رساله مطبوعه طبعه حجریه فی آخر مکارم الأخلاق: ۶.

على الأخرى ترجيح، أرى أنّ الأخذ بروايه ۲۵، أو ۲۸ كما ذهب إليه العقاد أولى، لأنّ هاتين الروايتين تناسبان واقع حياه هذه المرأه لاغير.

أما زواجها السابق لمرتين فهو أيضاً محل تأمل وتوقف، وقد وردت أدله وأقوال على أنها باكر كما ذهب إلى ذلك كلّ من أحمد البلاذرى، وأبوالقاسم الكوفى فى كتابيهما، والمرتضى فى الشافى، وأبوجعفر فى التلخيص: أنّ النبى (ص) تزوج بها وكانت عذراء.

هذا ما نقله ابن شهرآشوب فى المناقب فى ترتيب أزواجه (ص) حيث يقول: تزوج بمكّه أولاً خديجه بنت خويلد; قالوا: وكانت عند عتيق بن عايذ المخزومى ومن ثمّ عند أبى هاله زراره بن نباش الأسدى.

وروى أحمد البلاذرى، وأبو القاسم الكوفى فى كتابيهما، والمرتضى فى الشافى، وأبوجعفر فى التلخيص: أنّ النبىّ (ص) تزوّج بها وكانت عذراء، يؤكد ذلك ما ذكر فى كتابى الأنوار والبدع: أنّ رقيه وزينب كانتا ابنتى هاله أخت خديجه.(۱)

الزواج المبارک

استجمعت أحاسيسها وراحت تستمع فرحهً مسرورهً لحديث غلامها ميسره، الذى صحب النبىّ (ص) وهو يضارب فى تجاره لخديجه (عليها السلام) فى الشام، وراح يحدثها عن سيره محمد (ص) معه، وعن أخلاقه، وطباعه، وصفاته الجميله، وعمّا كان يراه من كراماته التى لم ير ميسره مثيلاً لها من قبل، على كثره سفراته مع آخرين، فأعجبت به، وقد أسر كلَّ مشاعرها، وامتلك كلَّ عواطفها، وتحرّكت فى قلبها أسراره، وكأنها تريد لهذا الحديث ألّا يتوقف أو ينتهى، ثم راحت تحدّق فى مستقبل فتى بنى هاشم الصادق الأمين، الذى غدا صدقه يملأ الآفاق، وأمانته يلهج بها كلّ لسان، ماذا يخبئ المستقبل لهذا اليتيم الهاشمى، وما هو ذاک الشأن العظيم الذى ينتظره؟!

لقد تمثلت أمام عينيها شخصيته بكلّ ما فيها من نبل صفاته، ورقه شمائله، وعظيم وكرم

۱- المناقب، لابن شهرآشوب المازندرانى المتوفى سنه ۵۸۸، ۱ : ۱۵۹ .

أخلاقه، وجمال روحه، وشرفه، وفضله على الجميع.

لاحت من ميسره نظره إلى سيدته، فردّت طرفها، وعلتها العفه، وهى أنبل نساء عصرها حياءاً، وأعظمهنّ خُلقاً، فانقلبت غبطتها تلك وفرحتها إلى حبٍّ لم تحسّ به من قبل، والى ودٍّ ما لامس مثله أحاسيسها أبداً، وإلى إكبار وتكريم ولجا قلبها ملأ كلّ منهما عليها حياتها . . . وهى التى تمرّدت على واقع نساء قومها، وامتنعت أمام أعظم قريش شرفاً ونسباً وثراءاً ومكانه . . . فالتفتت بعد حين إلى أختها على قول، وإلى صديقتها نفيسه بنت منبه على قول آخر؛ لتسرّها بأنّ ما قاله ميسره عن محمد قد نفذ إلى روحها، وأنها وجدت فيه ما كانت تتمناه، ولم تجده فيمن تقدم لخطبتها، فما كان من نفيسه وقد سرّت بما سمعته إلاّ أن بادرت إليه على روايه فقالت له: ما يمنعك أن تتزوج؟

قال (ص): ما بيدى ما أتزوج به.

قالت: فإن كفيت ذلك، ودُعيت إلى الجمال والمال والشرف والكفاءه، ألا تجيب؟

قال: فَمن هى؟!

قالت: خديجه.

قال: كيف لى بذلك؟!

فقالت نفيسه، وقد علت ملامح وجهها الفرحةُ: علىّ ذلك، وسارعت لتبلغ خديجه بما سمعته من محمد (ص).

وفى روايه: وكانت لبيبةً حازمةً، فبعثت إليه تقول: يا ابن عمٍّ، إنى قد رغبتُ فيك لقرابتك، وأمانتك، وحسن خلقك، وصدق حديثك.(۱)

لقد خصّها الله بكرامه ادّخرها لها، وكانت له من الشاكرين، واختارها لمكانتها وصفاتها لتكون امرأه خاتم رسله، وسيد الأولين والآخرين محمد بن عبدالله (ص).

لم يتأخر محمد (ص) فى إبلاغ عمّه (أبوطالب) وعشيرته بذلك، كما لم تتأخر خديجه (عليها السلام) فقد أبلغت عمّها عمرو بن أسد، الذى حضر، ودخل رسول الله (ص) عليه فى عمومته، ومعه

۱- السيره الحلبيه ۱ : ۱۳۷ .

بنو هاشم وسائر رُؤساء مُضَر، فخطب أبوطالب فقال:

«ألحمد لله الذى جعلنا من ذريه إبراهيم، وزرع إسماعيل، وضئضئ مَعَدّ، وعُنصر مُضر، وجعلنا حَضَنَه بيته، وسُوّاس حَرمِه، وجعل لنا بيتاً محجوباً، وحرماً آمناً، وجعلنا الحكام على الناس، ثم إنّ ابن أخى هذا محمد بن عبدالله لا يُوزن به رجل من قريش إلاّ رجح به شرفاً ونُبلاً وفضلاً وعقلاً فإن كان فى المال فلا، فإنّ المال ظلّ زائل، وأمر حائل، وعاريه مسترجعه; ومحمد مَن قد عرفتم قرابته، وقد خطب خديجه، وبذل لها من الصداق ما آجله وعاجله من مالى هذا، وهو مع هذا والله له نبأ عظيم، وخطر جليل أو «له والله خطب عظيم ونبأ شائع».

فتزوجها وأصدقها عشرين بكره، وقيل اثنتى عشره (اثنتين وعشرين) أوقيه ذهباً ونشّاً (نصف أوقيه)، والأوقيه أربعون درهماً، والنشّ عشرون درهماً; فذلك خمسمائه درهم.

وفى روايه: فقال لأعمامه . . ، فجاء معه حمزه عمّه حتى دخل على خويلد]خويلد بن أسد، وقيل: بل عمرو بن خويلد بن أسد، وقيل بل عمرو بن أميه عمّها، وكان شيخاً كبيراً وهو الصحيح، على ما فى نهايه الأرب ١٦ : ٩٨، وعند ابن سعد فى الطبقات ١ : ١٣٢ وعن جمهره النسب للكلبى :٧٤ وهو عمرو بن أسد ابن عبد العزّى، وهو يومئذ شيخ كبير لم يبق لأسد لصُلبه يومئذ غيره، ولم يلد عمرو ابن أسد شيئاً[.(١)

إذن فقد اشتهر أنّ عمّها عمرو بن أسد، هو الذى زوّجها، وإن قيل: إنّ الذى زوجها أخوها عمرو بن خويلد; لأنّ أباها مات قبل حرب الفِجار، وهذا كلّه يكذب المزاعم، التى رويت من أنّ أباها زوّجها بعد أن سقته خمراً ... لتحصل بذلك على موافقته، لأنه لايوافق من تزويجها من فقير يتيم.

ففى روايه أحمد فى مسنده: حدّثنا أبو كامل، ثنا حمّاد، عن عمّار ابن أبى عمار، عن ابن عبّاس فيما يحسب حمّاد أنّ رسول الله (ص) ذكر خديجه (عليها السلام) وكان أبوها يرغب عن أن

١- السيره الحلبيه ١: ١٣٨.

یزوّجه، فصنعت هی طعاماً وشراباً، فدعت أباها وزُمراً من قریش فطعِموا وشربوا ثم ثَمِلوا، فقالت لأبیها: إنّ محمداً یخطبنی فزوِّجنی إیّاه، فزوَّجها إیاه، فخلَّقته (طیبته، وفی المسند «فجملته») وألبسته حُلّهً کعادتهم، فلما صحا نظر، فإذا هو مخلّق فقال: ما شأنی؟ فقالت: زوّجتنی محمّداً، فقال: وأنا أزوّج یتیم أبی طالب! لا لعمری، فقالت: أما تستحی؟ ترید أن تسفّه نفسک معی عند قریش بأنک کنت سکران، فلم تزل به حتی رضی.

وقد روی طرفاً منه الأعمش، عن أبی خالد الوالبی، عن جابر بن سُمره أو غیره.

کما ذکر مختصر تاریخ دمشق روایه نسبت إلی عمار بن یاسر تشبه هذه الروایه.

وهذا ما نفاه الواقدی بعد نقله بقوله:

وهذا غلط، والثبت عندنا المحفوظ من حدیث محمد بن عبدالله بن مسلم، عن أبیه، عن محمد بن جبیر بن مطعم؛ ومن حدیث ابن أبی الزّناد، عن هشام بن عُروه، عن أبیه، عن عائشه؛ ومن حدیث ابن أبی حبیبه، عن داود بن الحُصین، عن عکرمه، عن ابن عباس، أنّ عمّها عمرو بن أسد زوّجها رسولَ الله (ص) وأنّ أباها مات قبل الفجار.(۱)

وقد بلغت تلک الروایه من الضعف والسخف درجه کبیره، فهی إضافه إلی منافاتها لأخلاق هذه السیده المبارکه، حتی قبل زواجها برسول الله (ص) فقد شهد لها فی الجاهلیه بسمو الخلق والنجابه والشرف، وبرجاحه عقلها وقوه شخصیتها، مع ما لها من المکانه الکبیره عند أهلها وعشیرتها، ممّا جعلها موضع فخر واعتزاز، وممّا یؤهلها لاقناع أبیها علی فرض حیاته بهذا الزواج.

یقول صاحب السیره الحلبیه عنها: إمرأه حازمه أی ضابطه جلده، أی قویه شریفه أی مع ما أراد الله تعالی لها من الکرامه ومن الخیر ... فامرأه تحمل هذه الصفات لاـ أظنها بحاجه إلی أن تستعین بأسلوب یتنافی مع کلّ ما مَنّ الله تعالی علیها من صفات کریمه،

وقد وصفت خدیجه نفسُها هذا الأسلوب حسب الروایه بقولها إلی أبیها: ترید أن تسفه نفسک معی عند قریش بأنک کنتَ سکران! فهو إذن أمر معیب عندهم فکیف

۱- تاریخ الطبری ۱ : ۵۲۲.

ترتكبه؟! وإضافةً إلى هذا فإنّ الروايه تتنافى مع الروايه الأخرى التى نالت إجماع أكثر المؤرخين، من أنّ أباها توفى من قبل، وأنّ عمّها هو الذى زوجها، وعلى روايه ضعيفه أنّ أخاها زوجها.

وتمّ هذا الزواج المبارك، بعد رجوع النبى (ص) من سفره إلى الشام بشهرين وخمسه وعشرين يوماً، وقبل بعثته نبيّاً بخمس عشره سنه، وبعد أن أكمل (ص) خمساً وعشرين سنه وشهراً وعشره أيام من عمره المبارك،(۱) وأخذت هذه السيده مكانها الذى اختارتهُ السماء لها لتكون بجانبه (ص) وهو يستعد لتحمل مهام أعظم رساله سماويه إلى الناس كافه، فكانت للرسول (ص) نعم الزوجه، ونعم السكن، ونعم النصير، وكان لها أحسن حظ طالما انتظرته وتمنته، ولم ينجو هذا الاقتران من حسد وبغض وغضب، فقد أحدث هزّه بين الرجال، الذين سبق لهم أن توافدوا على عتبه بابها، وهم يحملون معهم كلّ المغريات ليخطبوا يدها، إلّا أنهم عادوا من حيث أتوا خائبين بعد أن رفضتهم، ولم تعبأ بما حملوه معهم من مال، ولم يجد شرفهم وزعاماتهم أىّ أثر فى نفسها، فلاذ بعضهم بالسكوت، والبغض والحسد يأكلان قلبه، فى حين لم يتمالك بعض آخر أحاسيسه ولسانه فقال: ما هذا إلّا سحر، مسكينه خديجه، فقد سحرها اليتيم فشغفت به.

كما غضب عليها نساء قريش وهجرنها، وقلن لها: خطبك أشرافُ قريش، وأمراؤهم، فلم تتزوجى أحداً منهم، وتزوجت محمداً يتيم أبى طالب، فقيراً لا مال له؟!

فما كان من خديجه بعدما سمعت بذلك كلّه إلّا أن صنعت طعاماً ودعت نساء قريش وكان بينهن نساء المبغضين، فلما اجتمعن وأكلن قالت لهن: معاشر النساء بلغنى أنّ بعولتكن عابوا علىّ فيما فعلته من أنى تزوجت محمداً، وأنا أسألكم هل فيكم مثله، أو فى بطن مكّه شكله من جماله وكماله وفضله وأخلاقه الرضيّه؟! وأنا قد أخذته لأجل ما قد رأيتُ منه، وسمعت منه أشياء ما أحد رآها، فلا يتكلم أحد فيما لا يعنيه، فكفّ كلّ منهن

۱- إتحاف الورى بأخبار أمّ القرى، السنه: ۲۶.

ومنهم عن الکلام.(۱)

وقـد تابع الزوجان حیاتهما المبارکه هذه، وجهادهما الدؤوب، وقدر لخدیجه أن تکون فی قلب الأحداث الجسام المملؤه بالآلام والشدائد المضنیه، ووهبت کلّ ما تملکه من ثروه وهو کثیر، ووضعته بین یدی رسول الله (ص) لیضمّه إلی سیف علی (ع) .

أنجبت له (ص) کـلّ أولاـده إلّا إبراهیم، فهو من ماریه القبطیه; وهم القاسم وبه کان (ص) یکنی والطیب والطاهر علی قول وقد ماتوا صغاراً رضعاً قبل بعثته المبارکه، ورقیه وزینب علی قول وأمّ کلثوم وفاطمه الزهراء التی تزوّجها الإمام علی (ع).

ولم یتزوج رسول الله (ص) غیرها طیله حیاتها المبارکه معه، التی دامت قرابه خمس وعشرین سنهً.

إسلامها

من برکات الله تعالی الخاصه بهذه المرأه أن مَنّ علیها بأن اختارها لتکون أول نساء العالمین إسلاماً، وأسبقهن تصدیقاً برسول الله ودعوته، وأخلص نسـائه جهـاداً، وأعظمهن وفـاءاً وطـاعه له، وأصبرهن تحملاـ لما لاقاه رسول الله من ضـروب الأذی والتضـییق، وأکثرهن بذلا وعطاءاً فی سبیل الله ورسوله، فعن عبدالله بن مسـعود: إنّ أول شیء علمت من أمر رسول الله (ص) قدمتُ مکه مع عمومه لی أو نـاس من قومی نبتـاع منهـا متاعاً، فکان فی بغیتنا شـراء عطر، فأرشـدنا إلی العباس بن عبـدالمطلب، فانتهینا إلیه وهو جـالس إلی زمزم، فجلسـنا إلیه، فبینا نحن عنـده إذ أقبل رجل من باب الصـفا أبیض، ... کأنه القمر لیله البـدر، یمشـی علی یمینه غلام، حسن الوجه ... تقفوهم امرأه، قـد سترت محاسـنها، حتی قصد نحو الحجر فاسـتلمه ثم اسـتلمه الغلام، واسـتلمته المرأه، ثم طاف بالبیت سـبعاً والغلام والمرأه یطوفان معه، ثم استقبل الرکن، فرفع یدیه وکبر، وقامت المرأه خلفهما، فرفعت یدیها وکبرت، ثم رکع فأطال الرکوع، ثم رفع رأسه من الرکوع، فقنت ملیّاً، ثم سجد وسجد الغلام معه والمرأه، یتبعونه، یصنعون

۱- البحار، للمجلسی ۱۹ : ۷۱.

مثلما يصنع، فرأينا شيئاً أنكرناه، لم نكن نعرفه بمكه، فأقبلنا على العباس فقلنا: يا أبا الفضل، إنّ هذا الدين حدث فيكم، أو أمر لم نكن نعرفه فيكم.

قال: أجل، والله، ما تعرفون هذا؟ قال: قلنا: لا، والله ما نعرفه، قال: هذا ابن أخى محمد بن عبدالله، والغلام على بن أبى طالب، والمرأه خديجه بنت خويلد امرأته، أما والله، ما على وجه الأرض أحد نعلمه يعبد الله بهذا الدين إلاّ هؤلاء الثلاثه.

لقد آمنت برسول الله (ص) ولم يسبقها إلى ذلك إلاّ الإمام على (ع) كيف لا يكون كذلك، وقد قرأت بما ألهمها الله تعالى، وبما منحها من قدره وحكمه وبصيره ونظره ثاقبه لمستقبل الصادق الأمين مستقبله وأنه ذو شأن كبير، ومقام كريم ومنزله محموده؟!

لقد واكبت مسيرته المباركه وهو فى غار حراء، بخدمتها الصادقه وكلماتها الطيبه، التى تدل على مدى اخلاصها ونباهتها وصفائها: «وهيأت خديجه لزوجها ما يناسبه من حياه، فلما لجأ للتحنث فى غار حراء، كانت تعدُّ له ما يحتاجه من طعام وشراب خلال الفتره، التى اعتكف فيها بالغار، فلما جاءه الوحى كانت أول من صدقه، وعانت معه صراع قريش ضده، وكانت البلسم الشافى لجراحه من هؤلاء المعتدين، ودخلت معه الشعب عندما قرر ساده قريش أن يقاطعوا المسلمين ...».(۱)

كانت تسمعه كلمات رقيقه هادئه، كلما دخل بيتها عائداً من غار حراء، كلمات ملؤها الحنان والحب؛ تدعوه أن يطمئن، وتدعوه أحياناً أن يهدأ وينام، فكان يقول لها: «مضى عهد النوم يا خديجه!».

لقد كانت كلماتها تلاحقه وهو فى بيته، وهو خارج منه، وهو فى الغار، وهو يدعو عشيرته للإيمان، وهو فى دار الأرقم يدعو الناس سراً، وهو فى كل مكان فى مكه يقارع قريشاً وشركها جهراً، وهو يرى أعداءه والمتربصين به، والمبغضين له، فكانت تخفّف عنه كلّ معاناته، وكلّ ما يلقاه من أذى وتكذيب وعنت من قومه.

وكان (ص) يصرّح ويفضى لها بكلّ شىء; يقول ابن هشام فى سيرته: وآمنت به خديجه

۱- سير أعلام النبلاء ۱ : ۸۱.

بنت خویلد، وصدقت بما جاءه من الله، ووازرته علی أمره، فخفف الله بذلک عن نبیه (ص) لا یسمع شیئاً ممّا یکرهه من ردّ علیه وتکذیب له، فیحزنه ذلک، إلاّ فرّج الله عنه بها إذا رجع إلیها، تثبته وتخفف علیه، وتصدقه وتهوّن علیه أمر الله، رحمها الله تعالی.(۱)

ومن کلماتها له (ص) أیضاً: «أبشر، فوالله، لا یخزیک الله أبداً، والله، إنک لتصل الرحم، وتصدق الحدیث، وتؤدی الأمانه، وتحمل الکلَّ، وتقری الضیفَ، وتعین علی نوائب الدهر.

فی شعب أبی طالب

ما انفکت قریش تصعد عداءها لرسول الله ودعوته الجدیده، ولم یتوقف عملها فی تجذیر ذلک العداء فی نفوس أبنائها قولاً وعملاً وکلما ازداد رسول الله (ص) وصحبه التزاماً بموقفهم وثباتاً علی مبادئهم، ازداد عداءُ قریش لهم وأذاها، وقد رأت أنّ أهله وعشریته قد وفروا له الرعایه والحمایه، فعزمت علی شنّ حملتها علی هذه الأسره، وارتأت أن تتخذ وسیله غیر الحرب فی أول أمرها فلعلّها تصل إلی أهدافها دون قتال، وما یجرّه هذا القتال من ویلات وانقسامات بین قبائلها، فاجتمع زعماؤها وکتبوا الصحیفه، التی قرروا فیها:

مقاطعه بنی هاشم علی المستویات الاجتماعیه والاقتصادیه، فلا یتزوجون منهم، ولا یزوجونهم، ولا یبیعون لهم ولا یشترون منهم، ولا یکلمونهم، ولا یزورون مرضاهم، ولا یشیعون موتاهم، وأکرهوهم أن یلزموا الشِّعب، وهو طریق بین جبلین.

أما نتائج هذه المقاطعه التی استمرت حوالی ثلاث سنوات فقد کانت قاسیه جدّاً علی بنی هاشم، ومسّهم بسببها الضرّ، بل الجوع والحرمان ... ولم تنقض إلاّ بعد أن أشفق بعض القرشیین علی بنی هاشم بسبب ما نالهم من أذی وعذاب، فخرقوا هذه الوثیقه، وعادوا إلی الاتصال بهم.(۲)

وهناک روایه: أنّ الأرضه أتت علی کلّ شیء فی الصحیفه، ولم تدع إلاّ اسم الله

۱- السیره النبویه، لابن هشام ۱ :۲۴۰ .

۲- المصدر نفسه ۱ :۲۳۱،۱۱۰؛ ابن القیم ۲ : ۴۶.

جلّ وعلا، وقد أوصى الله لمحمد بذلك، فنقل ذلک إلى عمّه أبى طالب، فتحدى أبوطالب جماعه المشركين، وأحضروا الصحيفه فظهر صدق محمد.

هذه خلاصه المقاطعه التى كانت خديجه ضحيهً من ضحاياها، فقد أصابها الضر أيما إصابه، وعانت معاناه عظيمه من آثار هذه المحاصره الظالمه، ولكنها لاذت بالصبر، ووقفت إلى جانب رسول الله (ص) موقفاً، يندر أن تقف مثله امرأه، وكان لشخصيتها ومكانتها وهيبتها فى النفوس الأثر الكبير، إلى درجه أنها صارت من أسباب قيام خلاف ونزاع أدّى إلى انهيار موقف قريش، وترک العمل بالصحيفه، وفشل المقاطعه.

ففى السيره النبويه: أنّ أبا جهل لقى حكيم بن حزام بن خويلد، ومعه غلام يحمل قمحاً إلى خديجه بنت خويلد زوجه الرسول وعمّه حكيم، فتعلق به أبوجهل، وقال: أتذهب بالطعام إلى بنى هاشم، والله، لا تبرح أنت وطعامک حتى أفضحک بمکه، فجاءه أبوالبخترى، وقال له: مالک وله؟ إنه طعام كان لعمته رغبتْ إليه فيه، فكيف تمنعه؟ فأبى أبوجهل، وقام نزاع كان من أسباب إغفال الصحيفه ونهايه المقاطعه.(۱)

كما كان لهشام بن عمرو بن الحارث العاملى الذى كان من أقرباء خديجه دور آخر فى بذر الخلاف بين زعماء المقاطعه، فقد كان أكثر الناس إقداماً على مساعده المحصورين المقاطعين، فكان يدخل أحمال الطعام إلى بنى هاشم فى الشعب، وأرادت قريش معاقبته.

فانبرى أبوسفيان وقال: دعوه، رجل وصل رحمه، أما والله إنى أحلف بالله لو فعلنا مثل ما فعل كان أحسن.(۲)

مكانتها فى قلب الرسول (ص)

لم تتحمل أمّ المؤمنين عائشه، وهى ترى رسولَ الله (ص) يذكر أمّ المؤمنين خديجه، فقالت: ما زلتَ تذكر بحسره وألم، عجوزاً من عجائز قريش، حمراء الشدقين، هلكت من عده

۱- السيره النبويه، لابن هشام ۲ : ۵ .

۲- تاريخ قريش: ۳۱۶ للدكتور حسين مؤنس.

سنين، وقد أبدلك اللهُ خيراً منها!

فمـا كـان من رسول الله (ص) بعـد أن تغير وجهه الكريم، إلاّـ وزجرهـا غاضـباً، وقـال: «واللهِ ما أبـدلنى الله خيراً منها» ولم يكتف (ص) بهذا، بل راح يذكر مناقبها التى ما فتئ يعيشـها (ص) فى حياته المباركه : «آمنت بى حين كفر الناس، وصدقتنى إذ كذبنى الناس، وواستنى بمالِها إذ حرمنى الناس، ورزقنى منها اللهُ الولدَ دون غيرها من النساء».

فقالت عائشه فى نفسها: والله لا أذكرها بعدها أبداً.(۱)

وقبـل ذلـک لم تتوقف غيره أمّ المؤمنين عـائشه من أمّ المؤمنين خـديجه، التى احتلت تلـک المکـانه العظيمه من قلب رسول الله (ص) وظهر ذلک کلّه فى مواقف عمليه للرسول الكريم، حتى بعد وفاتها سلام الله عليها.

رأته عائشه يوماً وقـد ذبح شاهً يقول: «أرسـلوا إلى أصدقاء خديجه منها»، وهنا أيضاً، لم تتوقف عائشه عن أن تسـمعه شـيئاً، فقال (ص) : «إنى لأحبّ حبيبها».(۲)

وظلت الغيره لاـ تنفک عن قلبها من سـيدتنا خـديجه، لا لشـيء فالأمر کلّه بعـد موتها إلاّ لأنها سـبقتها إلى نفس رسول الله (ص) وإلى قلبه، فاحتلته بما امتلکته من خلق عال، وشرف رفيع، وايمان صادق، وجهاد خالص، وذکر طيب، وبما قدمته من حياتها التى استرخصـتها، وثروتهـا وأموالها، کلّ ذلک وضـعته بين يـديه المبارکتين; لنيل مرضاه الله، ولتُعينه (ص) وهو يحمل أعظم رساله، وأخطر مسؤوليه تبليغيه تغييريه، عرضتها السماء، وعرفتها الإنسانيه.

وحينمـا نصـره الله تعالى وفتحت أبواب مکه له، وکان وقتها قـد مرّ على وفاتها أکثر من عشـر سـنوات، وکانت کلّ تلک السـنين مليئهً بالأحداث والشؤون المريره، ولکنها مع کلّ ذلک لم تشغله عن ذکره لخديجه أقام فى قبه ضربت له هناک إلى جوار قبرها حيث روحها التى تخفق حوله، فتريحه، وتؤنسه، وترافقه وهو يشرف على فتح مکه، ويطوف

۱- الاستيعاب ۴ : ۱۸۲۴ .

۲- المصدر نفسه.

بـالكعبه، ويحطم رموز الكفر والشـرك، وهو بين لحظه وأخرى يرمق دارهـا، حيث نبع الحب، وحيث السـكينه والموده والحنـان والتضحيه.

وفيمـا قـالته أمّ المؤمنين عـائشه: كان رسول الله (ص) إذا ذكر خـديجه لم يكـد يسأم من ثناء عليها واسـتغفار، فـذكرها ذات يوم فاحتملتنى الغيره، فقلتُ: لقد عوضك الله من كبيره السن، قالت: فرأيت رسول الله (ص) غضب غضـباً أُسقطتُ فى جلدى، وقلتُ فى نفسـى: أللهم إنـك إن أذهبت غضبَ رسول الله عنى، لم أعـد أذكرهـا بسوء مـا بقيت، فلمـا رأى النبى (ص) مـا لقيت، قال: «كيف قلت؟ والله، لقد آمنت بى إذا كفر بى الناس، وآوتنى إذ رفضنى الناس، وصدقتنى إذ كذبنى الناس، ورزقتْ منى الولد إذ حرمتُموه منى».

قالت: فعدا وراح علىّ بها شهراً.

أما ما ورد فيها عن رسول الله (ص)

فعن عبدالله بن جعفر بن أبى طالب رضوان الله تعالى عليهما: أنّ رسول الله (ص) قال: «أمرتُ أن أُبشر خديجه ببيت من قصب، لا صخب فيه ولا نصب».

قال ابن هشام: القصب ههنا: اللؤلؤ المجوَّف.(۱)

وعن عائشه، قالت: ما غرتُ من أحد ما غرتُ على خديجه، ولقد هلكت

قبل أن يتزوجنى رسول الله (ص) بثلاث سنين، ولقد أمر أن يبشرها ببيت من قصب فى الجنه.(۲)

وقـال ابن هشام: وحـدثنى من أثق به، أنّ جبريل (ع) أتى رسول الله (ص) فقال: «أقرئ خـديجةَ السـلام من ربِّها، فقال رسول الله (ص) : يا خديجه، هذا جبريلُ يُقرئك السلام من ربك، فقالت خديجه: اللهُ السلامُ، ومنه السلامُ، وعلى جبريل السلامُ».

۱- الروض الأنف؛ وانظر سيره بن هشام ۱: ۲۴۱.

۲- المصدر نفسه.

عام الحزن

شاءت السماء أن تمتحن هذا القلب الكبير، وقد امتحنته مرات ومرات، ولكن هذه المرّه فی زوجته التی أبت إلاّ أن تعیش کبیره وتموت کبیره، والتی کانت له وزیرَ صدق علی الإسلام،(۱) وکانت شریکته فی حیاته کلّها، فی دعوته، وفی تبلیغه لها، وفی جهاده وتضحیاته.

لقد رحلت عنه فی السنه العاشره من البعثه النبویه، ودفنت فی مقبره الحجون بمکّه، بعد أن رحل قبلها بشهور علی قول وبأیام علی قول آخر عمّه أبوطالب الذی کان له عضداً وحرزاً فی أمره، ومنعه وناصراً علی قومه.(۲)

لقد رحلت هذه المرأه العظیمه، لتنتهی برحیلها ورحیل أبی طالب العم المدافع والمحامی القوی أولی مراحل رساله السماء، التی شکلت الفتره المکّیه الأولی بکلّ آلامها وأحداثها، کما کانت الفتره التأسیسیه لهذه الرساله المبارکه، وکان لوجودیهما المبارکین الأثر العظیم فی تشکیل تلک المرحله التی دامت قرابه عشر سنوات، وفی بقائها واستمرارها وثباتها.

لقد رحلت هذه السیده المبارکه، بعد أن وصل نداء الإسلام الحبشه، وتجاوز صداه بقاع الحجاز، وبعد أن حملته قلوب صادقه ونفوس مضحیه، وأیاد قویه.

رحلت هذه السیده الجلیله، وغابت عن دنیاه، ولکنها لم ترحل عن قلبه النابض بمواقفها الصادقه.

رحلت هذه المرأه المبارکه، ولکنها ظلت ماثله دائماً أمامه، ولم ینس ذکراها أو یتأس عنها، أو یدخل قلبه غیرها، أو یحتل مکانها منه، بل ولم تستطع أیّ واحده من نسائه مهما بذلت من جهد أن تبعد طیفها عنه (ص) وهو الذی ما فتئ یذکرها، وکان ذکره لها یثیر غیره بعض نسائه، وکانت أشدهن غیره أمّ المؤمنین عائشه، فبذلت ما تستطیعه من أجل أن تنسیه ذلک الطیف الجمیل، وتلک الذکری العطره، أو أن تخمد أو علی الأقل تخفّف ذلک من قلبه فما استطاعت، مع أنها کانت فی مطلع صباها ونضاره شبابها.

فسلامٌ علی خدیجه فی الخالدین

۱- سیره بن هشام ۲ : ۴۱۶.

۲- المصدر نفسه.

(۸) عمار بن یاسر

اشاره

رایه الحقِّ المبین

محسن الأسدی

مع مـا تعرضت له من ظلم وتعسف وتجاوز کان أخطرها وأقساها، تبرئه المعتـدی، وتبریر أفعاله، وکیل المـدح له، وإتهام البریء وإدانته وذمّه وسـبه بوسائل خبیثه، وبأحادیث موضوعه علی رسول الله (ص) بقیت صـحبهُ رسول الله (ص) مـدرسهً رسالیهً عظیمهً مقدسهً.

کمـا لاـ یقـدح عظمتهـا تلـک، ولاـ یضـرّ قدسـیتها أبـداً أنه کمـا کان فیها المتفوقون کان فیها دون ذلک بکثیر، وکما کان فیها المجاهدون المخلصون، کان فیها المتخاذلون، وکما کان فیها المؤمنون الصادقون حقّاً، کان فیها غیر ذلک.

لقد کان فیها الذین زادتهم إیماناً وثباتاً، وکانت شفاءً لما فی قلوبهم، وکان فیها الذین ما ازدادوا إلّا نفوراً وإلّا أذًی وتخریباً لها.

وخلاصه القول: كان فيها محسنٌ وظالم لنفسه مبين، وهم بالآخره بين شقىّ وسعيد.

(فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ... خالِدِينَ فِيها...) * (وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّهِ خالِدِينَ فِيها).(۱)

لقد تعرضت هذه المدرسه المباركه لحالتى الإغواء والابتلاء، فارتفعت أعلام وسقطت أخرى، وتألقت نفوسٌ وهوت غيرها، وفاز جمع وخاب آخر؛ ومع هذا كلّه وغيره الكثير، بقيت هذه المدرسه المحمديه أعظمَ مدرسه عرفتها الدنيا! ونموذجاً فذاً لم يعهد مثله التاريخ، وكيف لا تكون كذلك؟ وقد راحت السماء تغذيها وتمدّها وتنمّيها وتجذرها فى قلوب مؤمنه صادقه، راحت غير عابئه بما يحيط بها من أذًى، ومن تعسف، ومن ظلم، وقسر، واضطهاد، تبشر بآيات الله وسنّه نبيه، لتحملها مفاهيمَ ومبادئ وأحكاماً إلى الناس كافه؟!

لقد خلقت قلوباً أبيّه، ونفوساً كبيره يحتضنها رجالٌ أفذاذ، صحابهٌ أجلّاء، تركوا آثارهم على تأريخنا، بل على تأريخ الإنسانيه عطاءً وعلماً، وتضحيهً وجهاداً، وأخلاقاً وآداباً.

لقد آمن هؤلاء والإسلام يعيش أحرج ظروفه وأقساها، من حيث القله والضعف والهوان، فى ساحه يحيطها الأعداء من كلّ مكان; آمنوا وقدموا كلّ ذاك العطاء وكلّ تلك التضحيات، بسبب ولائهم الصادق لرسول الله (ص) وحبهم العظيم له، ولما حمله من قيم السماء; وهو ما شهد به أبوسفيان يوم كان زعيماً لأعداء الله ورسوله: ما رأيتُ من الناس أحداً يحبّ أحداً كما يحب أصحابُ محمد محمداً.

وعمار وأبوه ياسر وأمّه سميه من هذه الفئه المؤمنه حقّاً، ومن هذه النخبه الطاهره، ومن هؤلاء الأصحاب، الذين سجلوا لنا أمثله رائعه وكبيره للإيمان، وللتضحيه، والفداء، والصبر، والحلم، تشهد بذلك سجونُ قريش وسياطُها، وحديدتُها المحماه، ورماحُها القذره، التى حملتها نفوسٌ سيئه، وقلوبٌ قاسيه، وأياد ملطخه بدماء البراءه والطهاره، كما تشهد لهم بذلك الصبر رمضاءُ مكه وشمسُها المحرقه، وما ذلك إلّا لأنهم دعوا إلى الله:

(وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صالِحاً وَقالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ).

۱- هود : ۱۰۶ ۱۰۸.

إنّ الكتابةَ عن «أبو اليقظان» هـذا الرسالى، الـذى وفّقه الله تعالى ليعيش أجواء الرساله، وأفياء مدرسـتها تلك، بكلّ صـدق ووعى وثبات كتابةٌ عن أبيه ياسـر، الذى منَّ الله عليه ليكون أول شـهيد عرفته المرحله الأولى من مراحل الإسلام ودعوته، وهى ما زالت فى أول خطوه لها، كما أنّ الكتابةَ عنه كتابةٌ عن اُمّه التى حظيت هى الأخرى بأول وسام للشـهاده فى الصـدر الأول للإسـلام، بل هى كتـابه عن كـلّ المعـذبين أمثـال بلال وصـهيب وخباب ... والـدين الجديـد يخطو خطواته الأولى إلى قلوب الناس; لهـديهم وإرشادهم، وإنقاذهم من الظلم والضلاله والضياع إلى حيث برّ الأمان فى الدنيا، وإلى حيث النجاه فى الآخره.

قبل الهجره النبويه الشـريفه بسـبع وخمسين سنه، فى مكّه، فى حى بنى مخزوم، ولد عمّار بن ياسر، من أب عربى يمنيٍّ وهو ياسر بن عامر بن مالك الكنانى المذحجى العنسـى القحطاني؛ قدم ياسر من بلاد اليمن مع أخويه الحارث ومالك باحثين عن أخ رابع لهم فى رحله طويله شـاقه، انتهت بهم إلى مكّه، فرجع الحارث ومالك إلى اليمن، فيما ألقى ياسـر عصاه بها، وحالف أبا حـذيفه بن المغيره بن عبدالله بن عمر بن مخزوم، فاقترن بسـميه بنت خياط من جوارى أبى حذيفه، ثم أعتقه هذا الأخير بعد أن ولد لهما عمار، ومن هنا صار عمّار وهو العربى القحطانى مولىً لبنى مخزوم؛ ولكنهما (ياسر وسميه) بقيا مع أبى حذيفه إلى أن مات.

كـان عمّـار يقول: كنتُ تربـاً لرسول الله (ص) لسـنّه، لم يكن أقرب به سـنّاً منى، كما كان أخاً لأمٍّ سـلمه زوج الرسول (ص) من الرضاعه.(۱)

صفاته

كـان عمّار أدم اللون، طوالاً، جعـد الشـعر، حيث توجـد شـعرات فى مقـدم رأسه، وفى مؤخره أيضاً وما بينهما صـلع، فيه حبشـيه، مجدَّع الأنف، أشهل العينين، لا يغير شيبه، بعيد

۱- سيره ابن هشام ۱ : ۱۶۲.

ما بین المنکبین، وکان شجاعاً قویّاً ذا فصاحه وبیان ورأی سدید.

ومن صفاته أیضاً أنه کان طویل الصمت، طویل الحزن والکآبه، وکان عامه کلامه عائذاً بالله من فتنته.(۱)

إسلامه

وفی قصه إسلامه التی وقعت، وکان له من العمر أربع وأربعون سنه، فی دارالأرقم، التی کانت تدعی بدار الإسلام; لأنّها الدار التی کان یتم فیها إسلام الراغبین، باعتناق الدین الجدید؛ یقول عمّار: لقیت صهیب بن سنان علی باب دارالأرقم، ورسول الله (ص) فیها، فقلتُ له: ما ترید؟ قال لی: ما ترید أنت؟ فقلتُ: أردتُ أن أدخل علی محمد فأسمع کلامه، قال: وأنا أرید ذلک، فدخلنا علیه، فعرض علینا الإسلام، فأسلمنا، ثم مکثنا یومنا علی ذلک حتی أمسینا، ثم خرجنا ونحن مستخفون؛ وکان عمار وأبواه وکذلک أخوه عبدالله من المبادرین لاعتناق الدین الإسلامی، ومن الأوائل الذین أظهروا إسلامهم وجهروا به، فنالوا بذلک وسام السابقین وفضلهم، بعد أن حرم منهما کثیرون؛ ولم ینجو کلّ منهم بسبب ذلک من سخط وغضب مشرکی قریش وزعمائهم، أبی جهل وشرکائه، ونقمه بنی مخزوم الذین تولوا تعذیبهم، وأنزلوا بهم ألوان العذاب وصنوفه، باءت کلّها بالفشل، ولم تنل من صمودهم، ولم یحصل الطغاه إلاّ شیئاً أباحه عمار.

وکان ذلک الصمود کلّه والثبات کلّه بسبب عمق العقیده فی نفوسهم، ومکانتها فی قلوبهم، وکانت لزیاره رسول الله (ص) لهم فی الأبطح، ودعائه وأقواله لهم دور کبیر فی ذلک الثبات، «صبراً أبا الیقظان، صبراً آل یاسر... فإنّ موعدکم الجنه».

لقد کانت صدورهم وصدور مَن معهم کصهیب وبلال وخباب . . . أقوی من الحجاره الرمضاء الملتهبه بحرارتها، وکانت أجسادهم أقوی من مکاوی النار التی ینزلونها علیهم، ومن دروع الحدید التی ألبسوها لهم وصهروهم بالشمس، وأصبر من کلّ شیء حتی بلغ

۱- حلیه الأولیاء : ۱۴۲.

الجهد منهم كلّ مبلغ، ففارقت روح سـميّه الدنيا ونالت بذلك وسام أول شـهيده فى الإسلام، لم يسبقها أحدٌ إلى هذا الوسام من الرجال أو النساء؛(۱) بعد أن ربطت بين بعيرين وطعنها أبوجهل رأس الشرك والنفاق بحربه فى قُبُلِها فقتلها، وقتل بعدها زوجها، فكان هو الآخر أول شهيد من الرجال عرفته الساحه الإسلاميه يومذاك.

لقد كان عمار وأبوه وأمّه قوماً من المستضـعفين فى مكّه، وهم الذين لا عشائر لهم تدفع عنهم، وليست لهم منعه ولا قوه، فكانت قريش لا تخشـى أحـداً فيهم، فتـذيقهم أشدَّ العذاب فى رمضاء مكّه وفى نهارها؛ لعلّهم يرجعون عن دينهم، ويتخلون عن محمد ودعوته، وما كيد هؤلاء المشركين إلّا فى تباب.

لقـد ترك ذلك التعـذيب آثاره على هذه الأجسام المتشـربه بحلاوه الإيمان لسـنين طويله مرّت عليها، فهى على ظهر عمار حتى آخر حياته.

تقول الروايه التى يقول فيها محمد بن كعب القرظى: أخبرنى مَن رأى عمار بن ياسـر متجرداً من سراويل، قال: فنظرت إلى ظهره فيه خيط كبير، فقلت: ما هذا؟ قال: هذا مما كانت تعذبنى به قريش فى رمضاء مكّه.(۲)

أقوال النبى (ص) فى آل ياسر

كانت لآل ياسـر مكانه مرموقه عند رسول الله (ص) وحظى عمار بالذات بمنزله رفيعه عنده (ص) لا ينالها إلّا ذو حظ عظيم؛ فقد كـان كـثير الـترحيب بـه، وكـان يـدفع عنه، ويضـفى عليه من الكنى والألقـاب، والصـفات الحسـنه، مـا جعله موضـع احـترام عند المسلمين عامه، والصحابه خاصه.

فقـد سـمّاه (ص) الطيِّب المطيَّب، وكان يناديه أبا اليقظان، ومن دعائه وأقواله (ص) فيهم: اصبروا آل ياسـر، فإنّ موعدكم الجنه، أللهم اغفر لآل ياسر، وقد فعلتَ؛ كان ذلك منه (ص)

۱- الطبقات ۳ : ۲۴۷.

۲- مختصر تاريخ دمشق ۱۸ : ۲۰۸.

حینما یمرّ بهم فی الأبطح وهم یعذبون.

وفی روایه عمرو بن میمون:

عذّب المشرکون عماراً بالنار، فکان النبی (ص) یمرّ به، فیُمرّ یده علی رأسه ویقول: «یا نار کونی برداً وسلاماً علی عمّار، کما کنت علی إبراهیم»، ثم یقول: «تقتلک الفئه الباغیه».(۱)

وفی روایه: «... وقاتله وسالبه فی النار».

وعن هانئ بن هانئ قال: استأذن عمار علی علی (ع) فقال: «ائذنوا له، مرحباً بالطیب المطیَّب، سمعت رسول الله (ص) یقول: عمّار مُلئ إیماناً إلی مشاشه»؛ (ما تحت عظامه).

وضرب (ص) مرّه خاصرته وقال: «هذه خاصره مؤمنه».

وفی الدفاع عنه، ومنع من یرید أذیه عمار، قال (ص) : «مَن حقّر عماراً حقّره الله... ومَن عادی عماراً عاداه الله، ومن أبغض عماراً أبغضه الله، عمار جلده بین عینی».

ودخل عمّار علی رسول الله (ص) یشکو خالد بن الولید فقال: یا رسول الله، لقد حَمش قوماً (ساقهم بغضب) قد صلوا وأسلموا، ثم وقع بخالد عند النبیّ (ص) وخالد جالس لا یتکلم، فلما قام عمار وقع به خالد، فقال النبیّ (ص) : «مه یا خالد! لا تقع بأبی الیقظان، فإنه من یُعاده یُعاده الله، ومن یُبغضه یُبغضه الله، ومَن یُسفهه یُسفهه الله».(۲)

وعن رسول الله (ص) : «... ما خیر عمار بین أمرین إلاّ اختار أرشدهما».

... «دم عمار ولحمه حرام علی النار أن تأکله أو تمسّه».

وقال أنس: قال (ص) : «ثلاثه تُساق إلیهم الجنه: علی وعمار وسلمان».

وفی روایه، «أربعه: علی وعمار وسلمان والمقداد».

ولیس هذا قد ورد فی فضله فحسب، بل کان (ص) یقول للمسلمین: «اهتدوا بهدی عمّار».(۳)

۱- مختصر تاریخ دمشق، ۱۸ : ۲۱۲.

۲- کتاب المغازی، للواقدی ۳ : ۸۸۳ .

۳- مختصر تاریخ دمشق ۱۸: ۲۱۲ .

عمار وآيات قرآنيه

ذكرت بعض الروايات والأخبار أنّ هناك آيات قرآنيه نزلت فى عمار أو فى جمع كان عمار أحدهم، وأنّ هناك غيرها فسّرت فيه، ومن هذه الآيات:

(مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمانِ...).(۱)

والذى ورد فى ذلک أنّه لما جهر عمار وأبواه بإسلامهم، وعرفت بهم قريش وبنو مخزوم، عذبوهم أشد العذاب، وألبسوهم أدراع الحديد، ثم صهروهم تحت الشمس على أن يتركوا الإسلام وهم يأبون من ذلك، حتى ورد أنّ عمار بن ياسر كان يعذب حتى لا يدرى ما يقول، وكان صهيب يعذب حتى لا يدرى ما يقول ... فقتلوا أمّه وقتلوا أباه، وأما عمار فقد أعطى معذِّبيه ما أرادوا منه.(۲)

ذكر المفسرون أنّ هذه الآيه نزلت فى عمار بن ياسر، وقيل فى جماعه أكرهوا وكان عمار أحدهم، وهم عمار وياسر أبوه وأمّه سميه، وصهيب، وبلال، وخباب عذبوا وقتل أبوعمار وأمّه، وأعطاهم عمار بلسانه ما أرادوا منه، ثم أخبر سبحانه بذلک رسول الله (ص) فقال قوم: إنّ عماراً قد كفر، فقال رسول الله (ص) : «كلّا، إنّ عماراً ملئ إيماناً من قرنه (فرقه) إلى قدمه، واختلط الإيمان بلحمه ودمه»; فجاء عمار رسول الله (ص) وهو يبكى، فقال (ص) : «ما وراءَک؟ فقال: شرٌّ يا رسول الله، ما تُركتُ حتى نلتُ منک، وذكرتُ آلهتهم بخير.

فجعل رسول الله (ص) يمسح عينيه، ويقول: «إن عادوا لک فعد لهم بما قلت، وفى روايه أنّ رسول الله (ص) قال له بعد أن سمع مقالته: «كيف تجد قلبک؟» قال: مطمئناً بالإيمان، قال: «إن عادوا فعد».(۳) وهذا ما اجتمع أهل التفسير عليه.(۴)

(وَالَّذِينَ هاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ ما ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيا حَسَنَهً وَلَأَجْرُ الْآخِرَهِ أَكْبَرُ

۱- النحل : ۱۰۶ .

۲- مختصر تاريخ دمشق ۱۸ : ۲۰۸.

۳- أنظر تفسير مجمع البيان؛ والتفسير الكبير للرازى وغيرهما.

۴- ابن عبد البر فى الاستيعاب .

لَوْ کانُوا یَعْلَمُونَ).(۱)

لم تزل قریش تـذیق فریقـاً ممّن آمن بالله ورسوله سوءَ العـذاب، فلعلّها تحقق مرادها منهم، أن یکفروا بمحمـد ورسالته، ویعودوا إلی ملتهم الأولی، عباده اللاّت والعزی ... لکنّ محاولاتها هـذه لم تنفعها شـیئاً، إنما الذی حصل هو أن تعذیبها لهم کلّ ما ازداد شدّه وقسوه، ازداد معه صمود المعذَّبین، فقرر هؤلاء الهجره عن هذه البلاد فی أول فرصه لهم، وهذا ما تمّ بالفعل فهاجروا جمیعاً الی حیث هاجر رسول الله (ص) إلی المدینه المنوره، فأنزل الله تعالی فیهم هذه الآیه.

تقول الروایه: کان عمار بن یاسـر یعـذب حتی لا یـدری ما یقول، وکان صـهیب یعـذب حتی لا یدری ما یقول، وبلال وعامر بن فهیره وقوم من المسلمین، وفیهم نزلت هذه الآیه.(۲)

یقول الشـیخ الطبرسـی: نزلت فی المعذَّبین بمکّه مثل: صهیب وعمار وبلال وخباب وغیرهم مکّنهم الله بالمدینه، وذکر أنّ صهیباً قـال لأهـل مکّه: أنـا رجـل کبیر إن کنت معکم لم ینفعکم، وإن کنتُ علیکم لم یضـرکم، فخـذوا مالی ودعونی، فأعطاهم ماله، وهاجر إلی رسول الله (ص) فقال له أبوبکر: ربح البیع یا صهیب; ویروی أنّ عمربن الخطاب کان إذا أعطی أحداً من المهاجرین عطاءً، قال له: خذ هذا ما وعدک الله فی الدنیا، وما أخّره لک أفضل، ثم تلا هذه الآیه.(۳)

وقـال الواحـدی فی أسـبابه: نزلـت فی أصـحاب النـبیِّ (ص) بمکـه: بلالـ، وصـهیب، وخبّـاب، وأبی جنـدل بن سـهیل، أخـذهم المشرکون بمکّه فعذبوهم وآذوهم، فبوأهم الله تعالی المدینه بعد ذلک.(۴)

۱- النحل : ۴۱ .

۲- مختصر تاریخ دمشق ۱۸ : ۲۰۸.

۳- تفسیر مجمع البیان، للطبرسی ۶ : ۵۵۷، وفی تفسیر الآیه من سوره النحل .

۴- أسباب نزول القرآن، للإمام أبی الحسن الواحدی: ۲۸۵ .

لقـد بوّأهم الله تعـالى مكاناً محموداً بين إخوانهم المسـلمين المهاجرين والأنصار، وجعل لهم ذكرى طيبه تتناقلها ألسـنه المؤمنين المجاهدين، وصاروا قدوه حسـنه لكل المجاهدين ضد الطغيان والتعسف، ولهم بالآخره جنه الخلد حيث النعيم المقيم; ولا غرابه فى ذلـك، فقـد أعطى عمـار وإخوانه كلّ شـىء، وقـدموا أنفسـهم رخيصه، وتحملوا عـذاباً ما أقساه وأعظمه! فأعطاهم الله تعالى حسن الدنيا وأجر الآخره ونعيمها.

(وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلى رَبِّهِمْ...) * (وَلا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَداهِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ).(١)

لم ينفكّ طغيان قريش وكبرياؤها يلاحق هذه الفئه المؤمنه، بعد أن عجزت كلّ محاولاتها وأساليبها القذره فى إطفاء نور الرساله وإخمادها، فبدأوا بأسـلوب آخر: أن اطرد يا محمد هؤلاء «عمار وصـهيب وبلال وخباب...» فنجلس معك وقد نتبعك; كم لهذا الموقف من شبه بموقف قوم نوح حيث قال زعماؤهم وكبراؤهم:

(وَما نَراكَ اتَّبَعَكَ إِلاَّ الَّذِينَ هُمْ أَراذِلُنا بادِيَ الرَّأْيِ).(٢)

فلعلّ هدف مشركى قريش أو بعض المؤلفه قلوبهم لم يكن إلاّ زرع بذره الشقاق بين محمد وأصحابه، إذا ما طردهم من مجلسه ليجلس زعمـاء قريش بـدلاً منهم، وكم لهـذا الموقـف من أثر على نفوسـهم وهم يرون معـذِّبيهم مقـدمين فى مجلس رسـول الله (ص) وهم مبعدون عنه، وكم ستكون ذلتهم كبيره وقاسيه عليهم؟! وهل هذه مكافأتهم، وهل هذا جزاء صمودهم وثباتهم؟!

وهنـا تـدخلت السـماء لمـا لهـذا الأـمر من خطوره، لتمنع مثل هـذه المحاولات ولتقف بحزم إزاءَها، ولتزيـد تكريمها لهـذهِ الفئه الرساليه.

روى الثعلبى بإسـناده عن عبـدالله بن مسـعود، قال: مرّ الملأ من قريش على رسول الله (ص) وعنـده صـهيب وخباب وبلال وعمار وغيرهم من ضعفاء المسلمين، فقالوا:

١- الأنعام : ٥١ .

٢- هود : ٢٧ .

یا محمد أرضیت بهؤلاء من قومک؟ أفنحن نکون تبعاً لهم؟ أهؤلاء الذین منّ الله علیهم؟ اطردهم عنک فلعلک إن طردتهم اتبعناک، فأنزل الله تعالی:

(وَلا تَطْرُدِ الَّذِینَ یَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَداهِ وَالْعَشِیِّ یُرِیدُونَ وَجْهَهُ)

وقال سلمان وخبّاب: فینا نزلت هذه الآیه، جاء الأقرع بن حابس التمیمی وعیینه بن حصین الفزاری وذووهم من المؤلفه قلوبهم، فوجدوا النبیَّ (ص) قاعداً مع بلال وصهیب وعمار وخباب فی ناس من ضعفاء المؤمنین فحقروهم، وقالوا: یا رسول الله لو نحیتَ هؤلاء عنک حتی نخلو بک؛ فإنّ وفود العرب تأتیک فنستحی أن یرونا مع هؤلاء الأعبد، ثم إذا انصرفنا، فإن شئت فأعدهم إلی مجلسک، فأجابهم النبی (ص) إلی ذلک، فقالا له: أکتب لنا بهذا علی نفسک کتاباً، فدعا بصحیفه وأحضر علیاً (ع) لیکتب.

قال: ونحن قعود فی ناحیه إذ نزل جبریل (ع) بقول:

(وَلا تَطْرُدِ الَّذِینَ یَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَداهِ وَالْعَشِیِّ یُرِیدُونَ وَجْهَهُ) إلی قوله:

(أَ لَیْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاکِرِینَ).

فنحّی رسول الله (ص) الصحیفه، وأقبل علینا ودنونا منه، وهو یقول: کتب ربّکم علی نفسه الرحمه؛ فکنا نقعد معه.(۱)

وعن عکرمه، قال: جاء آل شیبه وعتبه ابنا ربیعه، ونفرٌ معهما سمّاهم أبوطالب، فقالوا: لو أنّ ابن أخیک محمداً یطرد موالینا وحلفاءَنا، فإنما هم عبیدنا وعُسَفاؤنا؛ کان أعظم فی صدورنا، وأطوعَ له عندنا; فأتی أبوطالب النبی (ص) فحدثه بالذی کلموه، فأنزل الله عزّوجلّ الآیه.(۲)

قال: وکانوا بلالاً ـ وعمار ابن یاسر مولی أبی حذیفه بن المغیره، وسالماً مولی أبی حذیفه بن عتبه، وصُبیحاً مولی أسید، ومن الحلفاء ابن مسعود، والمقداد بن عمرو وغیرهم.(۳)

۱- تفسیر مجمع البیان، للطبرسی، فی تفسیر الآیه .

۲- العسیف: الأجیر المستهان به، أنظر اللسان: عسف.

۳- مختصر تاریخ دمشق ۱۸ : ۲۱۰.

(وَاصْبِرْ نَفْسَکَ مَعَ الَّذِینَ یَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَداهِ وَالْعَشِیِّ یُرِیدُونَ وَجْهَهُ).(۱)

... فکنـا «سـلمان وخبـاب وعمـار...» نقعـد معه، فـإذا أراد أن یقوم، قـام وترکنـا، فأنزل الله عزّوجلّ:(وَاصْبِرْ نَفْسَکَ...) قال: فکان رسول الله (ص) یقعـد معنـا ویـدنو حتی کـادت رکبتنا تمسّ رکبته، فإذا بلغ الساعه التی یقوم فیها قمنا وترکناه حتی یقوم، وقال لنا: «ألحمد لله الذی لم یمتنی حتی أمرنی أن أصبر نفسی مع قوم من أمتی، معکم المحیا ومعکم الممات».(۲)

ویذکر الطبرسـی روایه أخری فی تفسیره للآیه من سوره الکهف: نزلت فی سلمان، وأبی ذر، وصهیب، وعمار، وخباب، وغیرهم من فقراء أصـحاب النبیّ (ص) وذلـک أنّ المؤلفه قلوبهم جـاؤوا إلی رسول الله (ص) وهم عیینه بن الحصـین والأقرع بن حابس وذووهم، فقـالوا: یـا رسول الله إن جلست فی صـدر المجلس ونحیت عنـا هؤلاـء روائـح صـنانهم، وکانت علیهم جبات الصوف، جلسـنا نحن إلیک وأخـذنا عنک، فلا یمنعنا من الدخول علیک إلاّ هؤلاء، فلما نزلت الآیه قام النبیّ (ص) یلتمسـهم فأصابهم فی مؤخر المسجد یذکرون الله عزّوجلّ، فقال: «ألحمد لله الذی لم یمتنی...».(۳)

وهناک آیات أخر قال بعضهم: إنها فی عمار نزولاً أو تفسیراً، منها:

(أَمَّنْ هُوَ قانِتٌ آناءَ اللَّیْلِ ساجِداً وَقائِماً یَحْذَرُ الْآخِرَهَ وَیَرْجُوا رَحْمَهَ رَبِّهِ).(۴)

وهو قول ابن عباس ومقاتل،(۵) عن أبی بکر بن عیاش.(۶)

(هَلْ یَسْتَوِی الَّذِینَ یَعْلَمُونَ وَالَّذِینَ لا یَعْلَمُونَ)

قال ابن عیاش أیضاً: عمار (وَالَّذِینَ لا یَعْلَمُونَ) موالیه بنو المغیره.(۷)

۱- الکهف: ۲۸.

۲- مجمع البیان، للطبرسی ۳ : ۴۷۳.

۳- مجمع البیان للطبرسی ۶ : ۷۱۸ فی تفسیر الآیه من سوره الکهف؛ أسباب النزول للواحدی.

۴- الزمر : ۹ .

۵- أسباب النزول للواحدی؛ مختصر تاریخ دمشق ۱۸ :۲۱۰.

۶- معجم رجال الحدیث، للسید الخوئی ۱۳: ۲۸۸.

۷- المصدر نفسه.

(وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيارِكُمْ ما فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ).(۱)

القليل هم عبدالله بن مسعود وعمار بن ياسر، وهو قول عكرمه.

وفى مجمع البيـان: (إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ) قيل: إنّ القليل الـذى اسـتثنى الله هو ثابت بن قيس بن شـماس، وقيل هو جماعه من أصـحاب رسول الله، قالوا: والله لو أمرنا لفعلنا، فالحمد لله الذى عافانا، ومنهم عبدالله بن مسـعود وعمار بن ياسر، فقال النبى (ص) : «إنّ من أمتى رجالاً الإيمان فى قلوبهم أثبت من الجبال الرواسى».(۲)

(ما لَنا لا نَرى رِجالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرارِ).(۳)

قال مجاهد: يقول أبوجهل فى النار: أين عمّار، أين بلال؟

وقيل: نزلت فى أبى جهل والوليـد ابن المغيره وذويهما يقولون: ما لنا لا نرى عمّاراً وخباباً وصـهيباً وبلالاً، الـذين كنا نعـدهم فى الدنيا من جمله الذين يفعلون الشرّ والقبيح ولا يفعلون الخير؟!(۴)

(أَ فَمَنْ يُلْقى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِناً يَوْمَ الْقِيامَهِ).(۵)

عن عكرمه: أنها نزلت فى عمار بن ياسر، «وهو الذى يأتى آمناً يوم القيامه» وفى أبى جهل «الذى يُلقى فى النار».

(أَ وَمَنْ كانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْناهُ وَجَعَلْنا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُماتِ لَيْسَ بِخارِجٍ مِنْها...).(۶)

عن عكرمه: فى أبى جهل وعمار(صاحب النور).

۱- النساء : ۶۶.

۲- مجمع البيان فى تفسير الآيه.

۳- سوره ص : ۶۲.

۴- مجمع البيان . والتفسير المنير للدكتور الزحيلى فى تفسير الآيه .

۵- فصلت : ۴۰ .

۶- الأنعام : ۱۲۲ .

(فَإِنْ تَنازَعْتُمْ فِی شَیْ ءٍ فَرُدُّوهُ إِلَی اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ کُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْیَوْمِ الْآخِرِ...).(۱)

فعن ابن عباس: بعث رسول الله (ص) خالد بن الولید بن المغیره فی سریه قال: ومعه فی السریه عمّار بن یاسر إلی حیّ من قریش، أو من قیس، حتی إذا دنَوا من القوم جاءهم النذیر فهربوا، وثبت رجل منهم، کان قد أسلم هو وأهل بیته، فقال لأهله: کونوا علی رجل حتی آتیکم؛ قال: فانطلق حتی دخل فی العسکر، فدخل علی عمار بن یاسر، فقال: یا أبا الیقظان، إنی قد أسلمت وأهل بیتی، فهل ذلک نافعی أم أذهب کما ذهب قومی؟ قال: فقال له عمار: أقم، فأنت آمن؛ قال: فرجع الرجل فأقام، وصبحهم خالد بن الولید، فوجد القوم قد أنذروا، وذهبوا، فأخذ الرجل، فقال له عمار: إنّه لیس لک علی الرجل سبیل، إنّی قد أمّنته، وقد أسلم، قال: وما أنت وذاک؟ أتجیر علیَّ وأنا الأمیر؟! قال: نعم، أُجیر علیک، وأنت الأمیر، إنّ الرجل قد أسلم، ولو شاء لذهب کما ذهب قومه، قال: فتنازعا فی ذلک حتی قدما المدینه، فاجتمعا عند رسول الله (ص) فذکر عمار للنبیِّ (ص) الذی کان من أمر الرجل، فأجاز أمان عمار، ونهی یومئذ أن یُجیر رجلٌ علی أمیر، فتنازع عمار وخالد عند رسول الله (ص) حتی تشاتما؛ فقال خالد: أیشتمنی هذا العبد عندک؟ أما والله لولاک ما شتمنی.

قال: فقال نبیّ الله (ص) : «کُفَّ یا خالد عن عمّار، فإنّه مَن یبغض عماراً یبغضه الله عزّوجلّ، ومن یلعن عماراً یلعنه الله»، قال: وقام عمار فانطلق، فاتبعه خالد وأخذ بثوبه، فلم یزل یترضاه حتی رضی عنه، قال: وفیه نزلت:

(فَإِنْ تَنازَعْتُمْ فِی شَیْ ءٍ فَرُدُّوهُ إِلَی اللَّهِ وَالرَّسُولِ...) الآیه.(۲)

صفحات أخری من حیاته المبارکه

أبوالیقظان واحد من الذین حظوا بوسام الهجرتین وأوسمه أخر، هاجر الهجره الأولی مع من هاجر من المسلمین، وکانت یومذاک إلی الحبشه (وإن تردّد بعضهم فی هجرته إلی

۱- النساء : ۵۹ .

۲- مختصر تاریخ دمشق ۱۸: ۲۱۴؛ أسباب النزول للواحدی، سوره النساء، الآیه.

الحبشه واختلفوا فی وقوعها)،(۱) من بعد ما ظلموا وعذبوا واضطهدوا أیما اضطهاد من قبل مشرکی مکه وطغاتها، وبعد أن سمعوا قول رسول الله (ص) : «لو خرجتم إلی أرض الحبشه! فإنّ فیها ملکاً لا یُظلَم أحدٌ عنده، وهی أرض صدق حتی یجعل الله فرجاً مما أنتم فیه».(۲)

وأما الهجره الثانیه فکانت إلی المدینه، وما إن وطأت قدماه تراب هذه الأرض، وکان اللقاء برسول الله (ص) حتی آخی (ص) بینه وبین حذیفه بن الیمان، ثم راح عمار یجمع أحجاراً لیبنی بها مسجداً لرسول الله (ص) فکان مسجد قباء، وکان عمار أول مَن بنی مسجداً فی الإسلام.

ولم یکتف عمار بذلک فقد اشترک مع الصحابه الآخرین فی بناء مسجد النبیِّ (ص) فلما قدم النبی (ص) المدینه قال: «ابنوا لنا مسجداً، قالوا: کیف یا رسول الله؟ قال: عرش کعرش موسی، ابنوه لنا بلَبن»؛ فجعلوا یبنون ورسول الله (ص) یعاطیهم اللَّبن علی صدره، ما دونه ثوب، وهو یقول:

أللهم ، إنّ العیشَ عیشُ الآخره

فاغفر للأنصار والمهاجره

فمرّ عمار بن یاسر، فجعل رسول الله (ص) ینفض التراب عن رأسه ویقول: «ویحک یا بن سمیه، تقتلک الفئه الباغیه».

لقدکان عمار إلی جوار رسول الله (ص) الذی کان هو الآخر یحمل الحجاره معهم، ویومها کان عمار یرتجز ویقول:

نحن المسلمون نبتنی المساجدا

ورسولُ الله (ص) یردّد مع المسلمین: المساجدا.

وراح عمار ینشد ما کان یرتجزبه علیّ (ع):

لا یستوی من یعمر المساجدا

یظلّ فیها راکعاً وساجدا

أو : یدأب فیها قائماً وقاعدا

۱- البدایه والنهایه؛ ومختصر تاریخ دمشق، ترجمه عمار ۳ : ۶۹.

۲- الطبری ۱ : ۵۴۷.

ومن تراه عانداً معانداً

عن الغبار لا يزال حائداً

أو : من يُرى عن الغبار حائدا

يقول ابن هشام فی سیرته: ... فدخل عمار وقد أثقلوه باللبن; فقال: يارسول الله! قتلونی، يحملون علیَّ ما لا يحملون.

وعن مجاهد: رآهم رسول الله (ص) وهم يحملون الحجاره على عمار، وهو يبنی المسجد، فقال: «ما لهم ولعمار، يدعوهم إلى الجنه، ويدعونه إلى النار، وذلک فعل الأشقياء الأشرار».

كما كان ممّن شهدوا بيعه الحديبيه التی تمّت تحت الشجره المعروفه، وهی شجره السمره، وسميت هذه البيعه ببيعه الرضوان، وجاءت هذه التسميه من الرضا الوارد فی الآيه النازله فيها:

(لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبايِعُونَکَ تَحْتَ الشَّجَرَهِ فَعَلِمَ ما فِی قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَهَ عَلَيْهِمْ وَأَثابَهُمْ فَتْحاً قَرِيباً * وَمَغانِمَ كَثِيرَهً يَأْخُذُونَها وَكانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً).(۱)

وكما كان عمار من السابقين إلى اعتناق الإسلام، كان من المبادرين إلى الاشتراک فی معارک الإسلام الكبرى، فشهد بدراً فنال بذلک وسام البدريين وأحداً، والخندق، ومعركه حنين، كما لم يتخلف عن مشاهد ومعارک الإسلام الأخرى حتى بعد وفاه رسول الله (ص) فقد شارک فی معارک الردّه، اليمامه، وفی الفتوحات الإسلاميه زمن الخلفاء، وكان له دور كبير فی معركتی الجمل وصفين التی استشهد فيها.

وفی حفر الخندق: كان لعمار مع كونه صائماً السبق فی ذلک ، يقول جابر بن عبدالله: إنّ رسول الله (ص) والمسلمين لما أخذوا فی حفر الخندق، جعل عمار بن ياسر يحمل التراب والحجاره فی الخندق، فيطرحه على شفيره، وكان ناقهاً من مرض، صائماً، فأدركه الغشی، فأتاه أبو بكر، فقال: أربع على نفسک (كفَّ وارفق) يا عمار، فقد قتلت نفسک، وأنت ناقه من مرض، فسمع رسول الله (ص) قول أبی بكر، فقام، فجعل يمسح التراب عن

۱- الفتح : ۱۸ ۱۹.

رأس عمار ومنكبه وهو يقول: «يزعمون أنك متّ، وأنك قد قتلت نفسك؛ كلّا والله حتى تقتلك الفئه الباغيه».

وفى معركه اليمامه سنه ١١ه ضد المرتدين مسيلمه الكذاب وجنده، وقع قتال وصفه الطبرى بقوله: ثم التقى الناس ولم يلقهم حربٌ قطّ مثلَها من حرب العرب، فاقتتل الناس قتالاً شديداً.(۱)

وكان لعمار بن ياسر أيضاً دور كبير فيها، وفى تثبيت المسلمين وتحقيق النصر، وقد اُصيبت أذنه يومها، فعن ابن عمر أنه قال: رأيت عمار بن ياسر يوم اليمامه على صخره وقد أشرف يصيح: يا معشر المسلمين، أمن الجنه تفرّون، أنا عمار بن ياسر، هلمّ إليَّ، وأنا أنظر إلى أذنه قد قطعت، فهى تَذبذَب، وهو يقاتل أشدَّ القتال.(۲)

وكان جدع أذنه موضع فخر له، فيما راح آخرون يعيرونه به، فإذا ما اختلفوا معه وتنازعوا، قالوا له: أيها العبد المجدَّع! فكان يجيبهم: عيرتمونى بأحبّ أذنىّ إلىّ، أو خير أذنىّ.

وفى عهد الخليفه الثانى تولى عمار ولايه الكوفه لأكثر من سنه، وقد جاء فيما كتبه عمر إلى أهل الكوفه: أما بعد، فإنى قد بعثت إليكم عماراً أميراً، وعبدالله بن مسعود معلماً (قاضياً) ووزيراً، وإنهما من نجباء أصحاب محمد (ص) ممن شهدا بدراً، فاسمعوا لهما وأطيعوا (واقتدوا بهما)، وقد آثرتكم بهما على نفسى.(۳)

إلى غير ذلك من الأوسمه الكبيره التى حاز عليها هذا الصحابى الجليل.

مروياته

ذُكر فى عدّه الرجال أنّ يعقوب بن شيبه صنف مسند عمار بن ياسر، وهناك فى جامع المسانيد والسنن مسندٌ لعمار، ذُكر فيه مَن روى عنه، كما ذُكرت فيه مروياته عن

۱- تاريخ الطبرى ۲ : ۲۷۹.

۲- مختصر تاريخ دمشق ۱۸ : ۲۱۹.

۳- المصدر نفسه؛ والاستيعاب.

رسول الله (ص)؛(۱) كما ذكر صاحب الأعلام أنّ عماراً روى اثنتين وستين روايه عن رسول الله (ص) وممّا رواه:

قال: سمعتُ رسول الله (ص) يقول: «إنّ طول صلاه الرجل وقصر خطبته مِئنّه، فأطيلوا الصلاه، وأقصروا الخطبه، فإنّ من البيان سحراً».(۲)

قال عمار: قال رسول الله (ص) : «كفى بالموت واعظاً وكفى باليقين عزّاً».

وعن ابن عباس، عن عمار بن ياسر قال: كنا مع رسول الله (ص) حين احتبس عن قلاده عائشه بذات الجيش، فلما طلع الفجر أو كاد نزل آيه التيمم؛ فمسحنا الأرض بالأيدى، ثم مسحنا الأيدى إلى المناكب ظهراً وبطناً، وكان يجمع بين الصلاتين فى سفره.(۳)

وفى روايه أخرى لعمار، كما فى أسباب النزول للواقدى: عرّس رسول الله (ص) بذات الجيش، ومعه عائشه زوجته، فانقطع عقد لها من جذع ظفار، فحبس الناس ابتغاء

عقدها ذلک حتى أضاء الفجر، وليس مع الناس ماء؛ فأنزل الله تعالى على رسوله (ص) قصه التطهر بالصعيد الطيب، فقام المسلمون فضربوا بأيديهم الأرض ثم رفعوا أيديهم، فلم يقبضوا من التراب شيئاً، فمسحوا بها وجوههم وأيديهم إلى المناكب، وبطون أيديهم إلى الآباط.(۴)

من دعائه وأقواله الأخرى

نسبت لعمار أقوال كثيره وأدعيه، تدلنا على عمق إيمانه وحكمته، وكان منها:

كان عمار بن ياسر مع جماعه فى المسجد وعنده أعرابى، فذكروا المرض، فقال الأعرابى: ما مرضتُ قط، فقال عمار: ما أنت؟! أو لست منا؟! إنّ المسلم يُبتلى بالبلاء، فيكون كفاره

۱- جامع المسانيد والسنن، لعماد الدين الدمشقى ۹ : ۳۲۹ ۳۸۸.

۲- مختصر تاريخ دمشق ۱۸ : ۲۲۰، ومعنى الحديث أنّ ذلک مما يعرف به فقه الرجل، اللسان: مأن.

۳- كتاب المغازى، للواقدى ۲ : ۴۳۵ .

۴- أسباب النزول، للواقدى فى سبب نزول آيه التيمم ، الآيه: ۴۳ من سوره النساء .

خطایاه فتتحاتّ کما یتحاتّ ورق الشجر، وإنّ الکافر یُبتلی، فیکون مثله کمثل البعیر عُقل، فلا یدری لم عُقل، وأُطلق فلا یدری لم أطلق.(۱)

ومرّ عمار بن یاسر علی ابن مسعود یَرْسُسُ داره، فقال: کیف تری یا أبااليقظان؟ قال: أراک بنیت شدیداً، وأمّلت بعیداً، وتموت قریباً.(۲)

ومن أقواله: کفی بالموت موعظه، وکفی بالیقین غنی، وکفی بالعباده شغلًا.(۳)

ومن دعائه رضوان الله علیه: «أللهم اجعلنی من عبادک الصالحین، وأعطنی من صالح ما تعطی عبادک الصالحین، من الأمانه، والإیمان، والأجر، والعافیه، والمال، والولد النافع غیر الضار ولا المضر، ولا الضالّ ولا المضلّ».(۴)

وعن عبدالرحمن بن أبزی، عن عمار أنه قال وهو یسیر علی شط الفرات : «أللهم لو أعلم أن أرضی لک عنی أن أتردی فأسقط، فعلتُ؛ ولو علمتُ أن أرضی لک عنی أن ألقی نفسی فی هذا الماء فأغرق فیه، فعلتُ».(۵)

قال عمار: «کنتُ أنا وعلیّ (ع) رفیقین مع رسول الله (ص) فی غزوه العشیره، فنزلنا

منزلًا، فرأینا رجالاً من بنی مُدْلج یعملون فی نخل لهم، فقلت: لو انطلقنا! فنظرنا إلیهم

کیف یعملون، فانطلقنا فنظرنا إلیهم ساعه، ثم غَشِیَنا النعاسُ، فعدنا إلی صور من النخل; فنمنا تحته فی دقعاء من التراب، فما أیقظنا إلّا رسولُ الله (ص) أتانا وقد تترَّبنا فی ذلک التراب، فحرّک علیّاً برجله، فقال: «قم یا أبا تراب، ألا أُخبرک بأشقی الناس؟ أحمر ثمود عاقر الناقه، والذی یضربک یا علیّ علی هذا یعنی قرنه فیخضب هذه منها،

وأخذ بلحیته».(۶)

۱- مختصر تاریخ دمشق ۱۸: ۲۲۲.
۲- المصدر نفسه، یرسس یصلح . انظر اللسان : رسس .
۳- المصدر نفسه.
۴- مختصر تاریخ دمشق ۱۸:۲۲۴ .
۵- حلیه الأولیاء ۱ :۱۴۲ ۱۴۳ .
۶- تاریخ الطبری ۲: ۱۲۴.

البشاره والشهاده

فی الوقت الـذی ما زالت سیاط الجلادین تلاحق جسـد عمار، کانت کلمات البشـیر النـذیر محمـد بن عبدالله (ص) هی الأخری تلاحقه، لتکون شفاء له ورحمه: «صبراً یاآل یاسر، فإنّ موعدکم الجنه؛ ویح ابن سمیه! تقتله الفئه الباغیه؛ أبشر عمارُ تقتلک الفئه الباغیه؛ آخر زادک من الدنیا ضیاح لبن».

قال رسول الله (ص) لعلی (ع) عندما ذکر عماراً: «أما أنه سیشهد معک مشاهد أجرها عظیم، وذکرها کثیر، وثناؤها حسن».(۱)

«أی أبشـر یا عمار فإنک سـتموت شـهیداً بید فئه ظالمه، وهی جماعه معاویه، التی کانت ضد علیّ وجیشه رضی الله عنهم، وکان عمـار فی جیش علی (ع) بصـفین، فلمـا استشـهد صـلی علیه علیّ (ع) ودفن هناک رضـی الله عنهم... وفیه أنّ علیاً (ع) کان علی الحقّ، وأنه کـان أحقّ بالخلافه، لا شک فی هـذا، وفیه معجزه للنبیّ (ص) لإنه إخبار بغیب وقع»؛ هـذا ما قاله الشـیخ منصور علی ناصف من علماء الأزهر الشریف فی تاجه الجامع للأصول.(۲)

الشـهاده التی جـاءت تسـعی إلی عمـار، وراح یسـعی إلیها بعـد أن طال انتظاره لها قرابه خمسـین سـنه، حتی وافته وهو یربو علی التسـعین من عمره المبـارک; لینـال بهـا أرفع درجـات العـاملین، وأعلی درجات المجاهـدین، فوقع شـهیداً، وقـد أثخنته الجراح، وضرجته الدماء، وصار جسده موضعاً التقت به ضربات البغاه مع آثار سیاط المشرکین من قبل حین أظهر إیمانه بدعوه رسول الله (ص).

وهـذا هو الخیار الـذی ارتآه عمار لنفسه، أن یقف بجانب علی (ع) وأن لا یحیـد عنه أبـداً، وکیف یحید وقد عهد إلیه رسول الله (ص) : «یا عمار إن رأیت علیاً قد سـلک وادیاً، وسـلک الناس وادیاً غیره، فاسلک مع علی ودع الناس، إنه لن یدلک علی ردی، ولن یخرجک من الهدی».

۱- کنز العمال ۱۱ : ۷۲۳؛ حلیه الأولیاء، أبو نعیم ۱ : ۱۴۲.

۲- التاج الجامع للأصول ۳ : ۳۷۱ الهامش.

لقد کان عمار رایهً للحقّ والهدی، فقد ذکر عبدالله بن سلمه: رأیتُ عماراً یوم صفین شیخاً کبیراً، آدم، طُوالاً، أخذ الحربه بیده، ویده ترعد، فقال: والذی نفسی بیده، لقد قاتلتُ بهذه الرایه مع رسول الله (ص) ثلاث مرّات وهذه الرابعه، والذی نفسی بیده، لو ضربونا حتی یبلغوا بنا سعفات هجر، لعرفتُ أنّ مصلحتنا علی الحقّ وأنهم علی الضلاله (علی الباطل).(۱)

وفیما قاله عمرو بن العاص: ولکنا کنا نراه (ص) یحب رجلاًـ قالوا: فمَن ذلک الرجل؟ قال: عمار بن یاسر، قالوا: قتیلکم یوم صفین، قال: قد والله قتلناه.(۲)

لقد کان عمار بحق الرایه التی مَن انضوی تحتها فالجنه مأواه، ومن زاغ عنها فالنار مثواه.

تقول الروایه: جاء رجل إلی عبدالله ابن مسعود، فقال له: یا أبا عبدالرحمن، إنّ الله عزّوجلّ، قد أمننا من أن یظلمنا، ولم یؤمنا من أن یفتنّا، أرأیت إن أدرکتُ فتنه؟ قال: علیک بکتاب الله، قال: أرأیت إن کان کلهم یدعو إلی کتاب الله؟ قال: سمعتُ رسول الله (ص) یقول: «إذا اختلف الناس کان ابن سمیه مع الحق».

وفی حدیث آخر عن ابن مسعود أیضاً، جاء رجل إلیه فقال: إن الله أجار أهل الإسلام من الظلم ولم یُجرهم من الفتن، فإن وقع فما تأمرنی؟ قال: أنظر عمار بن یاسر أین یکون فکن معه، فإنی سمعت رسول الله (ص) یقول: «عمار یزول مع الحق حیث یزول».(۳)

وهذا هو بعینه ما وقع یوم التقی الجمعان فی صفین ورفعت المصاحف، واضطرب الناس، فکان ابن سمیه الرایه الخفاقه التی تصدع بالحق، وتجهر به وتدعوهم أن هلموا إلیّ.

لقد أسمعتَ لو نادیتَ حیّاً

ولکن لا حیاه لمن تنادی

فأبوا إلّا رایه الضلاله رایه لهم یقاتلون تحتها ومن أجلها.

لقد کان عمّار مع الحق فی حلّه وترحاله، فی حرکته وسکونه، فی قوله وفی فعله؛ کما

۱- مختصر تاریخ دمشق ۱۸ : ۲۰۶ .

۲- المصدر نفسه ۱۸ : ۲۱۴ .

۳- المصدر نفسه ۱۸ : ۲۱۵ .

كان متيقناً أنّ ما قاله رسول الله (ص) واقع لا محاله ولا يقع غيره؛ فقد اشتكى عمار شكوى ثقُل منها، فغشى عليه، فأفاق، تقول مولاه له: ونحن نبكى حوله ، فقال: ما يبكيكم؟ أتحسبون أنى أموت على فراشى؟ أخبرنى حبيبى رسول الله (ص) أنه تقتلنى الفئه الباغيه، وأنّ آخر زادى من الدنيا مذقه لبن.

وفى حديث آخر: إنى لستُ ميتاً من وجعى هذا، إنّ رسول الله (ص) عهد إلى أنى مقتول بين فئتين من المؤمنين عظيمتين، تقتلنى الباغيه منهما.(۱) وكان هذا الحديث الذى عرفت به الفئه الباغيه حديثاً متواتراً ومن أصح الحديث، وحين لم يقدر معاويه على إنكار هذا الحديث قال: إنما قتله من أخرجه، وقد أجاب على (ع) عن قول معاويه هذا بأن قال: «فرسول الله (ص) إذاً قتل حمزه حين أخرجه».(۲)

وهذا ما حدث بالفعل، فقد بغى معاويه بن أبى سفيان وجنده على أميرالمؤمنين على بن أبى طالب، فكانت وقعه عظيمه بينهما فى صفين وقف فيها عمار وكان معه ثمانون بدرياً، ومائه وخمسون ممّن بايع تحت الشجره، وجمع كبير من القراء، وكان مجموع من شهد معه من الصحابه ألفين وثمانمائه.(۳) وراح ضحيتها الآلاف، وكان بينهم الكثير من الصحابه والتابعين، الذين استشهدوا دفاعاً عن الحقّ ورايته التى يحملها عمار.

وهنا لابدّ لنا من وقفه قصيره، فنقول: لقد كانت معركه صفين أمراً لابدّ من وقوعه، فهو النتيجه الطبيعه للصراع بين الإسلام الحقيقى ووارثيه، والإسلام الآخر المحرّف ووارثيه أيضاً; وهى بالتالى لا تختلف ولا تقل أهميه وخطوره عن معارك الإسلام الكبرى بدر وأحد والخندق وحنين... ضد الشرك والمشركين، وهذا ما طواه عمار بكلمته المشهوره: أيها الناس هل من رائح إلى الله تحت العوالى (الرماح)؟ والذى نفسى بيده، لنقاتلهم على تأويله كما قاتلناهم على تنزيله؛ وأكّد هذا وهو يشقّ طريقه مقاتلًا بين الصفوف فى صفين وهو يقول:

۱- مختصر تاريخ دمشق ۱۸ : ۲۱۸؛ المذقه : الطائفه من اللبن الممزوج بالماء، أنظر اللسان: مذق.

۲- الروض المعطار فى خبر الأقطار، للحميرى : ۳۶۳ ۳۶۴.

۳- البدايه والنهايه ۷ : ۲۵۵؛ والمستدرک للحاكم ۳ : ۱۰۴.

نحن ضربناكم على تنزيله

فاليوم نضربكم على تأويله

ضرباً يزيل الهام عن مقيله

ويذهل الخليل عن خليله

أو يرجع الحقّ إلى سبيله.(۱)

وهـذا ما يبين لنا تأكيـد النبى (ص) أنّ عماراً تقتله الفئه الباغيه، واعادته لهذه العباره فى كثير من المناسـبات: إذا رأى عماراً قالها له، وإذا مرض عمـار وظن زائروه أنه ميت قالهـا رسـول الله، إذا اشـتكى عمـار من ألم أو من شـىء آخر أعادهـا رسـول الله عليه؛ وكان (ص) يحرص أن يُسـمع قولَه هـذا الآخرين، ولم يكتف (ص) بهـذا بل كان يصـرح ويبين هـدف القتال الذى سـيقع قطعاً، وهذا الهدف متمثل بقوله عن عمار: ... يدعوهم إلى الجنه ويدعونه إلى النار. وأنّه سـتقتلك الفئه الباغيه وأنت مع الحق، فمن لم ينصرك يومئذ فليس منى.(۲) وأن آخر شراب له ضَياح لبن.

كلّ هـذا وغيره ليـدلهم (ص) على الحق المبين فى وقت قـد تلتبس الأمور فيحلّ الغموض بـدل الوضوح، وتقع الفتنه ويتيه بعض ويضـطرب آخرون، فأشار إلى الرمز وإلى الدليل، إنه عمار بن ياسر وإنه بالتالى علىّ بن أبى طالب «يا عمار إن رأيت علياً سلك وادياً وسلك الناس وادياً غيره فاسلك مع على ودع الناس، إنه لن يدلك على ردى ولن يخرجك من الهدى».

لقـد كان عمار الميزان، وكان الحجه الأخيره على المخالفين والمناوئين «الناكثين والمارقين والقاسـطين» الـذين أعماهم حقدهم وبغضهم لعلى (ع) عن أن يروا الحقّ الناصع، والهدى المبين فيه ومن خلاله.

وأخيراً وقعت معركه صـفين، ووقف عمـار خطيباً: أللهم إنك تعلم أنى لو أعلم أن رضاك فى أن أقـذف بنفسـى فى هـذا البحر لفعلت، أللهم إنك تعلم أنى لو أعلم رضاك فى أن أضع ظُبه سـيفى فى صـدرى، ثم أنحنى عليه حتى تخرج من ظهرى لفعلت، وإنى لا أعلم

۱- شرح نهج البلاغه، لابن أبى الحديد ۲ : ۸۱۰؛ ومروج الذهب ۲ : ۴۲۲.

۲- كنز العمال ۱۱ : ۳۵۱.

اليوم عملاً هو أرضـى لک من جهاد هؤلاء الفاسـقين، ولو أعلم أنّ عملا من الأعمال هو أرضـى لک منه لفعلته.(۱) وبدأ القتال وتحدثت الأخبار:

أنّ عماراً كان صائماً، وقـد غربت الشـمس فأُتى بلبن فشـربه، ثم قال : إنّ النبىَّ (ص) قال: «هذه آخر شـربه أشـربها من الدنيا، أو آخر زادک من الدنيا ضياح لبن»؛ فقام فقاتل حتى قتل رضوان الله عليه.

وعن أبى سـنان الـدؤلى صاحب رسول الله (ص) قال: رأيتُ عمار بن ياسـر دعا بشـراب، فأتى بقدح من لبن فشـرب منه، ثم قال: صدق رسول الله (ص) ، واليوم ألقى الأحبه محمداً وصحبه.

إنّ رسول الله (ص) قال : «إنّ آخر شـىء تزوده من الـدنيا ضـيحه لبن» ثم قال مبيناً يقينه بأنه قطعاً على الحق المبين، وأنّ خصـمه على الباطـل، أنظره يقول: والله لو هزمونا حتى يبلغونا سـعفات هجر، لعلمنا أنا على حق وهم على باطل؛ ولأنه رايه الحق والهـدى ترى أصـحاب رسول الله (ص) فى معركه صـفين يتبعونه فى كـلّ مكـان يتواجـد فيه من سـاحه القتال، وهو ينادى: أين مَن يبغى رضوان ربّه، ولا يؤوب إلى مال ولا ولد؟

وفى روايه أُخرى: فى يوم من أيام صـفين التى وقعت على قول من أول ذى الحجه سـنه ۳۶، وانتهت فى ۱۳ صفر سنه ۳۷، وعلى قول الطبرى كـان وصول الإمـام على (ع) وجنـده إلى صـفين فى أواسـط ذى القعـده سـنه ۳۶ أو فى العشـرين منـه، وعلى روايه المسعودى أنّ مقامهم بصفين كان مائه يوم وعشره أيام، كان فيها نحو تسعين أو سبعين وقعه رجع عمار إلى موضعه من المعركه فاستسـقى، فأتته امرأه من بنى شـيبان من مصاخهم بعس فيه لبن. فـدفعته إليه، وروى أنّ الـذى سـقاه أبو المخاريق،(۲) فقال: الله أكبر، الله أكبر، اليوم ألقى الأحبه تحت الأسنه، صدق الصادق.

وبذلک أخبرنى الناطق، وهو اليوم الذى وعدتُ فيه، ثم قال: أيها الناس هل من رائح

۱- الكامل ۳ : ۱۵۷؛ البدايه والنهايه ۷ : ۲۶۷،۲۹۲؛ الطبرى ۶ : ۲۱.

۲- الطبرى؛ الزوائد ۷ : ۲۴۳.

إلى الله تحت العوالی (الرماح)، والذی نفسی بیده لنقاتلنهم علی تأویله کما قاتلناهم علی تنزیله، وفی قول أنه نادی إنی لقیتُ الخیار وتزوجت الحور العین؛ الیوم نلقی محمداً وحزبه؛ وانطلق یجول فی ساحه المعرکه وهو یقول:

نحن ضربناکم علی تنزیله

فالیوم نضربکم علی تأویله

ضرباً یزیل الهام عن مقیله

ویذهل الخلیل عن خلیله

أو یرجع الحقّ إلی سبیله

علی مقربه من عمّار، وقف أبوالغادیه، وهو من جیش معاویه، یستحضر موقف عمار من الخلافه الثالثه فقد کان له موقف یتسم بالقوه والصلابه من هذه الخلافه، التی لم تقض ِ بالحقّ، ولم یکن صاحبها ولا ذوو قرباه من الذین یعدلون، وکانت خیمةً انضوی تحتها أعداء الدین، ورتع فیها المنافقون؛ کلّ هذا دفع عماراً لهذا الموقف الذی یقول عنه ابن کثیر: «کان عمار یحرض الناس علی عثمان ولم یقلع ولم یرجع ولم ینزع...».(۱) وراح أبوالغادیه یراقب عماراً، فلعلّ فرصه تحدث لیتمکن منه ویداهمه فیقتله. وکان عمار ینادی صاحبه هاشم بن عتبه: یا هاشم الجنه تحت ظلال السیوف، والموت فی أطراف الأسل، وقد فتحت أبواب السماء، وتزینت الحور العین؛ الیوم ألقی الأحبه محمداً وحزبه.(۲)

یقول أبوالغادیه: فلما کان یوم صفین، جعل عمار یحمل علی الناس؛ فقیل: هذا عمار، فرأیتُ فرجه بین الرئتین وبین الساقین. فحملتُ علیه فطعنته فی رکبته، فوقع فقتلته.(۳) وفی روایه اُخری : فاختلفت أنا وهو ضربتین، فبدرته فضربته، فکبا لوجهه ثم قتلته.(۴)

ولما قتل رضوان الله علیه اختصم فی قتله اثنان، فقال عمرو بن العاص: والله، إن یختصمان إلاّ فی النار، والله، لوددتُ أنی متّ قبل هذا الیوم بعشرین سنه.(۵)

۱- البدایه والنهایه ۷ : ۱۷۱.

۲- الطبری ۶ : ۲۳.

۳- الطبقات، لابن سعد ۳ : ۲۶۱.

۴- الزوائد ۹ : ۲۹۸.

۵- أحادیث أم المؤمنین عائشه: ۱۱۷ .

وقد صلی علیه الإمام علی (ع) ودفن فی صفین؛ وقد نسب إلی الإمام علی (ع) بعد استشهاد عمار رضوان الله علیه، قوله:

أَلا أیّها الموتُ الذی لیس تارکی

أرحنی فقد أفنیتَ کلَّ خلیل

أراک مضرّاً بالذین أحبُّهم

کأنَّک تنحو نحوهم بدلیل(۱)

کان ذلک فی سنه ۳۷ه عن عمر ناهز الثلاث والتسعین سنه.

فسلام علیک یا أبا الیقظان فی العالمین

۱- دیوان الإمام علی (ع) : ۱۲۵، تحقیق الدکتور محمد عبدالمنعم خفاجی.

(۹) اُمُّ سلمه

اشاره

(وَ أَزْواجُهُ أُمَّهاتُهُمْ)

حسن الحاج

إنّ الكتابه عن اُمّ المؤمنين اُمّ سلمه وحياتها المضيئه، كتابه عن أطهر بيت عرفته الدُّنيا، وأعظم مكان صنعته السماء وباركته، وكيف لا يكون كذلك، وقد رعته يدُ الغيب; ليكون مبعث الطهر كلّه ونبع الخير كلّه، ومصدر العطاء كلّه، ومشعلاً للهدايه، ومدرسةً للخُلق الكريم، والأدب الرفيع، وقدوةً ورحمةً للعالمين.

لقد كان هذا البيت مأوى الرساله ومهبط الوحى، ومنزل القرآن ومبعث النور، الذى حمله صاحب هذا البيت رسول الله (ص) الذى وصفه الله تعالى فى كتابه الكريم: (وَإِنَّکَ لَعَلی خُلُقٍ عَظِیم) فكان هذا الخُلق يواكب البيت الأوّل للدين الجديد، وصارت عفته محطّ إعجاب مَنْ حوله، وصار القدوه لهم والأسوه الحسنه، قًربوا أم بعدوا عنه.

ولما يتركه من آثار خطيره إذا ماعصفت حوله المغريات على مسيره الرساله والرساليين، تولته السماء، وراحت تُرسل آياتها الكريمه مبينه أهميه هذا البيت ومرشده

نساءه إلى مكانتهنّ ودورهنّ الرسالى ووظيفتهنّ.

وفى الوقت الـذى ضاعفت السـماء العـذاب لمن تأتى منهنّ بفاحشه، جعلت الأجر مرّتين لعملهنّ الصالح; لخطوره تواجدهنّ فى هـذا البيت وأنّهنّ القـدوه، التى يجب أن تكون صـالحه، والاُسوه التى يجب أن تتحلّى بأرقى درجات الإيمان والخلق الكريم:(يا نِساءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفاحِشَهٍ مُبَيِّنَهٍ يُضاعَفْ لَهَا الْعَـذابُ ضِعْفَيْنِ)، (وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صالِحاً نُؤْتِها أَجْرَها مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنا لَها رِزْقاً كَرِيماً).(١)

ثمّ راحت السـماء تبيّن مكانتهنّ، وخطورتهم وتكاليفهن ما دامت قـد ارتبطت حياتهنّ بهذا البيت الكريم نساءً لرسول الله (ص) : (يـا نِسـاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسـاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِى فِى قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَعْرُوفاً * وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجاهِلِيَّهِ الْأُولى وَأَقِمْنَ الصَّلاهَ وَآتِينَ الزَّكاهَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ...).(٢) وكان لابـدّ لهذا الطهر ولتلكَ العفه من ستر فكان الحجاب (يا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْواجِكَ وَبَناتِكَ وَنِساءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ...).(٣)

لقـد كانت اُمُّ سـلمه أوّل نساء هـذا البيت بعـد اُمّ المؤمنين خـديجه بنت خويلد (عليها السـلام) وعياً لدورها الرسالى، كما كانت أكثر نساء النبى التزاماً بهذا كلّه، وأسرعهنّ طاعه لله ورسوله، وعاشت حياتها الإيمانيه ومسؤوليتها الرساليه، ووظيفتها الشرعيه على أكمل وجه، حتّى وفّقت لأن تكون أفضل نسائه (ص) وأصدقهنّ، وأخلصـهنّ فى تحمّل أمانه هذا البيت الكريم ورسالته، بعد أن قُدر لها أن تكون من نسائه (ص) وعاشت فى كنفه، وظلّت فى بيته كأتقى نسائه، وأفضـلهنّ بعـد خـديجه (عليها السـلام) طهارهً وعفّهً وإيمانـاً وجهاداً وعلماً؛ فقـد راحت تتغـذى من علمه (ص) وأدبه وسـنّته، وتسـتقى من مصـدر الوحى الـذى مافارق منزلها، وبرزت اُمّاً للمؤمنين بنصّ القرآن الكريم، وهو وسام منحته السماء، وحفظت اُمُّ سلمه ذلك،

١- سوره الأحزاب : ٣١.

٢- المصدر نفسه: ٣٢ ٣٣.

٣- المصدر نفسه: ٥٩.

ورعته، ووعته مسؤوليهً کُبری، وراحت تکثر الشکرلله تعالی علی هـذه النعمه، مما جعلها مثلاً أعلی فی إیمانها وعبادتها وورعها، فنالت بذلکَ حبّ الله تعالی، وحبّ رسوله (ص) وأهل بیته الطیبین، والمؤمنین جمیعاً علی مرّ الأجیال.

لقد کانت أمّ سلمه تری هذه الأمومه تکلیفاً عظیماً، ومسؤولیه کبیره، لها حقوقها، وعلیها واجبات کثیره لا بدّ من رعایتها، فکانت بحقّ أمّاً للمؤمنین بحنانها، وشفقتها، ورعایتها لهم، واهتمامها بهم، وخوفها علیهم، وحرصها لهم.

لقد کانت وکما عودتنا فی حیاتها المبارکه المبادره إلی کلّ مایرضی الله تعالی ورسوله، ولم تتطاول علیه (ص) أبداً طیله حیاتها معه، کمـا تطـاولت علیه بعضُ نسـائه، وکـان هـذا سـبباً لأذیته (ص) فحینمـا رأی رسول الله (ص) أنّ بعض نسـائه کنّ یخلقن لهُ المتاعب، ومطالبتهنّ بالنفقه والزینه، حتی ورد قول بعضهنّ لهُ: لعلّک تری أنّک إن طلقتنا أن لا نجد الأکفاء من قومنا یتزوجوننا؛ وهذا الموقف دفع رسول الله (ص) إلی أن یعتزلهنّ تسعه وعشرین یوماً، فکان موقفهنّ هذا سبباً لنزول آیه التخییر: (یا أَیُّهَا النَّبِیُّ قُلْ لِأَزْواجِکَ إِنْ کُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَیاهَ الدُّنْیا وَزِینَتَها فَتَعالَیْنَ أُمَتِّعْکُنَّ وَأُسَرِّحْکُنَّ سَراحاً جَمِیلاً * وَإِنْ کُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَهَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِناتِ مِنْکُنَّ أَجْراً عَظِیماً).(۱)

فبادرت هنا أمُّ سـلمه قائلهً: قـد اخترتُ الله ورسوله، فنالت بـذلکَ سـبق الاختیار هـذا، وفضـله وأجره، ثمّ قامت بعـدها بقیه نسائه (ص) فعانقنه، وقلنَ مثل الـذی قالت أمُّ سـلمه، ولم تتخلف عن هـذا إلاّ واحده وهی فاطمه بنت الضـحّاک، فإنّها اختارت الدّنیا، ففارقها رسول الله (ص) وبقیت فی شقاء طول حیاتها.(۲)

فی بیت کریم

هند (وقیل رمله وهو ضعیف) بنت سهیل، أبی أمیه بن المغیره بن عبدالله بن عمربن

۱- سوره الأحزاب : ۲۸ ۲۹.

۲- البحار ۲۲ : ۲۰۴ ؛ المیزان فی تفسیر الآیه.

مخزوم القرشیه، وکان أبوها جواداً کریماً سخیاً، عرف بذلکَ فی الجاهلیه ولقبته العرب بزاد الرکب، حین کان هذا اللقب لا یُطلق إلّا علی ثلاثه أو أربعه أشخاص، راحت الأمثال تضرب بجودهم، وسارت بذلکَ الرکبان، کان هو أحدهم.

فإذا ماکان أحدهم فی سفر فإنّ رفقاء سفره مهما کثروا یتحمّل عنهم زادهم وطعامهم طیله الرحله التی جمعتهم، ویرفض أن یحمل رفقاؤه شیئاً من ذلکَ؛ قال صاحب لسان العرب فی ماده زود.(۱)

وأزواد الرکب من قریش أبوأمیه بن المغیره، والأسود بن المطلب بن أسد ابن عبدالعزی، ومسافر بن أبی عمرو بن أمیه، وکانوا إذا سافروا، فخرج معهم الناس، فلم یتخذوا زاداً معهم، ولم یوقدوا، یکفونهم ویغنونهم؛ وهناک من یقول: إنهم أربعه، فأضاف زمعه بن الأسود بن المطلب بن أسد.(۲)

أمّا أمّها، فهی عاتکه بنت عامر بن ربیعه بن مالک بن جذیمه، أو خذیمه بن علقمه الکنانیه، من قبائل بنی فراس الأشراف الأمجاد؛ وعلقمه جدّها کان یلقب بجذل الطعان، وذکرته کتب التأریخ بأنه رجل کریم یعطی ولا یبخل، یجود ولا یمنع.

وهناک من یقول: إنّ أمّها هی عاتکه بنت عبدالمطلب بن عبد مناف عمّه رسول الله (ص).

وقال آخر: إنّها لیست بنت عاتکه هذه وإنمّا هی بنت زوجها.

وعلی فرض کونها بنتاً لعاتکه بنت عبدالمطلب، أو بنتاً لزوج عاتکه، فهی اُخت لکلّ من عبدالله وزهیر ابنی عمه رسول الله (ص).

کما أنّها اُخت لعمار بن یاسر الصحابی الجلیل من الرضاعه، وکانت قد تزوجت أخاً لرسول الله (ص) من الرضاعه أرضعتهما ثویبه، مولاه أبی لهب وترباً له، وابن عمته برّه بنت عبدالمطلب، وأحد أشراف بنی مخزوم رأیاً وشجاعهً وکرماً وجوداً، من المسلمین الأوائل وممن هاجر الهجرتین، وهو أبوسلمه عبدالله بن عبدالأسد بن هلال بن عبدالله بن عمربن

۱- ابن منظور فی لسان العرب ۴ : ۱۸۱ ، وغیره من مصادر التاریخ.

۲- ذکر ذلک فی الهامش صاحب کتاب نساء أهل البیت عن المحبر: ۱۳۷ وعن المنمق: ۳۶۸ ۳۶۹.

مخزوم، وكـان ذاك قبل أن يمنّ الله تعالى عليها لتكون أمّاً للمؤمنين بنصّ القرآن الكريم، بعـد أن تلطّف الله تعالى عليها لتكون زوجه لحبيبه رسول الله (ص) .

وكانت كما يقول الذهبى من أجمل النساء، وأشرفهنّ نسباً.

قالت أمُّ المؤمنين عائشه عن جمال أمّ سـلمه : «لمّا تزوّج رسول الله (ص) «أمّ سـلمه» حزنتُ حزناً شديـداً لما ذكر لنا من جمالها، فتلطفتُ حتى رأيتها، فرأيتُ أضعاف ماوُصفت به».

إذن، فكـلّ من أصـلها العريق، ومنبتهـا الكريم، أضـفى على حياتهـا صـفات عظيمه وخلقـاً كريمـاً، واكبهـا طيله حياتها المباركه، وميّزها عن غيرها من النساء.

يقول عنها أحمد خليل جمعه فى موسوعته القيمه «نساء أهل البيت»: لو ألقينا الأضواء على حياه اُمّ سلمه قبيل الإسلام; لألفينا أنّها امرأه ذات شرف وطهر فى أهلها، وذات نسب مُعرِق ٍفى المعالى، ومنبت كريم حسيب فى قومها بنى مخزوم، ثمّ هى بعد ذلكَ كلّه، ابنه واحـد من كرماء قريش، وأنـداهم كفّاً، وأجودهم عطاءً، فأبوها زاد الركب أحـد الأجواد الذين سارت الأمثال والركبان بالحديث عن جودهم، فكانوا إذا سافروا، وخرجَ معهم الناس، لم يتخذوا زاداً معهم، ولم يوقدوا ناراً لهم، فيكفونهم ويغنونهم.

ولا ريب أنّ هنـد بنت أبى اُميّه، قـد تأثرت بهذه البيئه الكريمه، التى عاشـتها فى مطلع فجر حياتها، وأرت مارأت من مكانه أبيها، وكرامته وكرمه بين الناس، فلا عجب أن تكون هى الاُخرى، ذات يد معطاء، ونفس صافيه، تعرف مكامنَ الرحمه، فتفجّر البّر فى نفوس الناس تفجيراً.(۱)

إسلامها وهجرتها

فى بدايه نور الإسـلام ورغم عناد الوليد بن المغيره، زعيم بنى مخزوم، أسـلمت أمُّ سـلمه وزوجُها، وبعد ما ثارت حفيظه مشركى مكـه، وعظـم غيضـهم، واشـتد أذاهـم للمسـلمين، هـاجرت معـه إلى الحبشـه فكانـا أوّل المهـاجرين، فنـالت بـذلكَ وسـام أولى المهاجرات.

۱- أحمد خليل جمعه نساء أهل البيت: ۲۲۵ ۲۲۶.

یقول النووی فی تهذیبه نقلاً عن ابن الأثیر: أوّل مهاجره من النساء اُمُّ سلمه.(۱) وماإن عادت وزوجها إلی مکّه من الحبشه، مکان هجرتها الأولی، حتی استعدا للهجره مرّه اُخری إلی المدینه، بعد أن توفی أبوطالب عمّ رسول الله (ص) وحامیه، فعادت بذلکَ قریش إلی اضطهاد المسلمین، فصدر أمر رسول الله (ص) بالهجره إلی المدینه، فکان زوجها أبوسلمه أوّل المهاجرین حیث هاجر قبل بیعه العقبه بسنه، وقد حلّت مصیبه مؤلمه بهذه الاُسره الکریمه.

تقول الروایه عن اُمّ سلمه:

قالت: لما أجمع أبوسلمه علی الخروج الأوّل إلی المدینه رحّل لی بعیره، ثمّ حملنی علیه وحمل معی ابنی سلمه فی حجری، ثمّ خرجَ یقود بی بعیره، فلما رأته رجال بنی المغیره قاموا إلیه، فقالوا: هذه نفسکَ غلبتنا علیها، أرأیتَ صاحبتنا هذه علام نترکک تسیر بها فی البلاد؟

قالت: فنزعوا خطام البعیر من یده، فأخذونی منه، وغضب عند ذلک بنو عبدأسد، رهط أبی سلمه، قالوا: لا والله لا نترک ابننا عندها إذ نزعتموها من صاحبنا ، فتجاذبوا ابنی سلمه بینهم، حتی خلعوا یده، وانطلق به بنو أسد، وحبسنی بنو المغیره عندهم، وانطلقَ زوجی أبوسلمه إلی المدینه، ففرقَ بینی وبین زوجی وبین ابنی.

فکنتُ أخرج کلّ غداه فأجلس بالأبطح، فما أزال أبکی حتی أمسی، سنه أو قریباً منها، حتی مرّ بی رجل من بنی عمّی أحد بنی المغیره، فرأی مابی فرحمنی، فقال لبنی المغیره: ألا تحرجون من هذهِ المسکینه، فرقتم بینها وبین زوجها وبین ابنها؟ فقالوا لی: ألحقی بزوجک إن شئتِ، وردّ بنو عبدالأسد عند ذلک ابنی.

فارتحلتُ بعیری، ثمّ أخذتُ ابنی فوضعته فی حجری، ثمّ خرجتُ اُرید زوجی بالمدینه، ومامعی أحد من خلق الله، حتی إذا کنت بالتنعیم، لقیت عثمان بن طلحه بن أبی طلحه]وکان مشرکاً[أخا بنی عبدالدار، فقال: إلی أین یابنت أبی اُمیّه؟

قالت: فقلتُ: أرید زوجی بالمدینه.

۱- تهذیب النووی ۲ : ۳۶۲.

قال: أوما معک أحد؟

فقلتُ: لا والله إلاّ الله وابنی هذا.

قال: والله مالک من مترک.

فأخذ خطام البعیر، فانطلقَ یهوی بی، فوالله ماصحبتُ رجلًا من العرب قط أری أنه کان أکرمَ منه، حتی أقدمنی المدینه.

فلما نظر إلی قریه بنی عامر بن عوف بقباء قال: زوجک فی هذهِ القریه وکان أبوسلمه بها نازلاً ـ فأدخلیها علی برکه الله؛ ثمّ انصرف راجعاً إلی مکّه.

وهنا کانت تقول أمُّ سلمه: والله ما أعلمُ أهل بیت فی الإسلام أصابهم ماأصاب آل أبی سلمه، ومارأیتُ صاحباً قطّ أکرم من عثمان بن طلحه؛ وهناک روایه أخری تحمل کلاماً آخر لها تقول فیه:

«فوالله ما صحبت رجلًا من العرب قط أکرم منه، ولا أشرف منه، کان إذا بلغ منزلاً من المنازل ینیخ بعیری، ثم یستأخر عنی، حتی إذا نزلت عن ظهره واستویت علی الأرض، دنا إلیه وحطّ عنه رحله، واقتاده إلی شجره وقیده فیها، ثم یتنحی عنی إلی شجره أخری فیستریح جوارها، فإذا حان الرواح، قام إلی بعیری، فإذا رکبت، أخذ خطامه وقاده»؛ (وقد أسلمَ فی الحدیبیه وهاجر إلی المدینه، ثم شهد فتح مکّه، وتسلمّ مفتاح الکعبه من رسول الله (ص) هذا عن هجرتها إلی المدینه.

أمّا عن هجرتها الأُولی إلی الحبشه، وکانت برفقه زوجها أبی سلمه، فقد تفرّدت روایتها عن تلک الهجره بدقه وصفها لها، وللدور العظیم الذی أدّاه جعفر بن أبی طالب رضوان الله علیه؛ تقول روایه اُمّ سلمه التی اتسمت بقوه بیانها وفصاحتها، ودقه تصویرها لأحداثها، حتی عدّت روایتها للهجره من أوثق مصادر الهجره.

تقول روایتها:

لما ضاقت علی النبی (ص) مکّه، وأوذی أصحابه، وفتنوا، ورأوا ما یصیبهم من البلاء والفتنه فی دینهم، وأنّ رسول الله (ص) لا یستطیع دفع ذلک عنهم، وکان رسول الله (ص) فی منعه

من قومه ومن عمّه، لاـ يصل إليه شيء مما يكره مما ينال أصحابه، فقال لهم رسول الله (ص) : «إنّ بأرض الحبشه ملكاً لا يظلم أحد عنده، فالحقوا ببلاده حتى يجعل الله لكم فرجاً ومخرجاً مما أنتم فيه».

فخرجنا إليها أرسالاً حتى اجتمعنا بها، فنزلنا بخيردار إلى خيرجار، أمناً على ديننا، ولم نخش ظلماً.

فلما رأت قريش أنا قد أصبنا داراً وأمناً، اجتمعوا على أن يبعثوا إليه فينا؛ ليخرجنا من بلاده، وليردنا عليهم؛ فبعثوا عمروبن العاص وعبدالله بن أبى ربيعه، فجمعوا له هدايا ولبطارقته، فلم يَدَعُوا منهم رجلاً إلاّ بعثوا له هديه على حِدَه، وقالوا لهما: ادفعوا إلى كل بطريق هديته قبل أن تكلموا فيهم، ثمّ ادفعوا إليه هداياه، وإن استطعتما أن يردهم عليكم قبل أن يكلمهم فافعلوا.

أقول: كانت تخشى قريش أن ينطلق الحقّ من لسانهم ووقع الذى كانت تخشاه.

فقدما علينا، فلم يبق بطريق من بطارقته إلاّ قدّموا إليه هديته، فكلموه، فقالوا له: إنّا قدمنا على هذا الملك فى سفهاء من سفهائنا، فارقوا أقوامهم فى دينهم، ولم يدخلوا فى دينكم، فبعثَنا قومُهم ليردهم الملک عليهم، فإذا نحن كلمناه فأشيروا عليه بأن يفعل؛ فقالوا: نفعل، ثم قدّموا إلى النجاشى هداياه، فكان من أحبّ ما يهدى إليه من مكّه الأَدَم؛ فلما أدخلوا عليه هداياه، فقالوا له: أيها الملك إنّ فتيه منا سفهاء، فارقوا دين قومهم، ولم يدخلوا فى دينک، وجاؤوا بدين مبتدع لانعرفه، وقد لَجأُوا إلى بلادک، فبَعَثنا إليك فيهم عشائرهم، آباؤهم وأعمامهم وقومهم لتردهم عليهم، فهم أعلى بهم عيناً.(۱)

فقالت بطارقته: صدقوا أيها الملک، لو رددتهم عليهم وكانوا هم أعلى بهم، فإنهم لم يدخلوا فى دينک فيمنعهم أملک.

فغضب، ثمّ قال: لاـ لعمرالله، لاـ أردهم عليهم حتى أدعوهم وأكلمهم، وأنظر ما أمرهم، قوم لَجأُوا إلى بلادى، واختاروا جوارى على جوار غيرى، فإن كانوا كما تقولون رددتهم

۱- وأعلى بهم عيناً، أى أبصر بهم، وأعلم بحالهم. اللسان: علا.

علیهم، وإن کـانوا علی غیر ذلـک منعتهم، ولم أدخـل بینهم وبینهم، ولم أنعمهم عینـاً فأرسـل إلیهم النجاشـی فجمعهم ولم یکن شیء أبغض إلی عمروبن العاص وعبدالله بن أبی ربیعه من أن یسمع کلامهم فلما جاءهم رسول النجاشی اجتمع القوم فقال: ماذا تقولون؟ فقـالوا: مـاذا نقول؟! نقول والله مـا نعرف وما نحن علیه من أمر دیننا، وما جاء به نبینا (ص) کائن من ذلک ما کان، فلما دخلوا علیه کان الذی یکلمه منهم جعفربن أبی طالب، فقال له النجاشی:

ما هذا الدین الذی أنتم علیه؟ فارقتم دین قومکم، ولم تدخلوا فی یهودیه، ولانصرانیه، فما هذا الدین؟

أیها الملک کنّا قوماً علی الشرک، نعبد الأوثان، ونأکل المیته، ونسیء الجوار، ونستحلّ المحارم وغیرها، لا نحلّ شیئاً ولا نحرّمه، فبعث الله إلینـا نبیـاً من أنفسـنا نعرف وفاءَه وصـدقَه وأمانتَه، فـدعانا إلی أن نعبـدالله وحـده لاشـریک له، ونصلَ الرحم، ونُحسِنَ الجوار، ونصلّی لله تعالی، ونصوم له، ولا نعبد غیره.

فقال: هل معک شـیء مما جاء به؟ وقد دعا أساقفته فأمرهم فنشروا المصاحف حوله، فقال له جعفر: نعم، فقال: هلمّ فاتلُ علیَّ ما جاء به؛ فقرأ علیه صدراً من (کهیعص) فبکی والله النجاشی، حتی أخضل لحیته، وبکت أساقفته حتی أخضلوا مصاحفهم.

ثم قـال: إنّ هـذا الکلاـم لیخرج من المشـکاه التی جـاء بها موسـی؛ انطلقوا راشـدین، لا، والله لا أردهم علیهم، ولا أنعمکم عیناً، فخرجنـا مـن عنـده، وکـان أتقی الرجلیـن فینـا عبـدالله بـن أبی ربیعـه، فقـال عمرو بن العـاص: والله لأـثنینه غـداً بمـا أسـتأصل به خضراءهم؛(۱) فلأخبرنه أنهم یزعمون أنّ إلهه الذی یعبد عیسی بن مریم عبد.

فقـال له عبـدالله بن أبی ربیعه: لا تفعل، فإنهم إن کانوا خالفونا فإنّ لهم رحماً ولهم حقاً، فقال: والله لأفعلن، فلما کان الغـد دخل علیه، فقـال: أیهـا الملـک، إنهم یقولون فی عیسـی قولاًـ عظیمـاً، فأرسـل إلیهم فسـلهم عنه، فبعث إلیهم، ولم ینزل بنا مثلها؛ فقال بعضنا لبعض: ماذا تقولون له فی عیسی إن هو سألکم عنه؟

۱- خضراءهم : شجرتهم التی منها تفرعوا.

فقـالوا: نقول والله الـذی قاله الله تعالی، والـذی أمرنا به نبینا (ص) أن نقول فیه؛ فـدخلوا علیه وعنـده بطارقته، فقال: ما تقولون فی عیسی بن مریم؟

نقول: هو عبدُالله ورسوله وکلمتهُ وروحهُ ألقاها إلی مریم العذراء البتول، فدلی النجاشی یده إلی الأرض، فأخذ عوداً بین أصبعیه، فقال: ما عـدا عیسـی بن مریم ما قلت هذا العوید،(۱) فتنـاخرت بطارقته، فقال: وإن تناخرتم والله، اِذهبوا، فأنتم شـیوم فی أرضـی والشـیوم: الآمنون مَن سـبّکم غرم، ثمّ من سبّکم غرم، ثمّ مَنْ سبّکم غرم، فأنا ما أحب أن لی دَبْراً وأنی آذیتُ رجلاً منکم والدبر بلسـانهم: الـذهب فوالله ما أخـذ الله تعالی منی الرشوه حین ردّ علی ملکی فآخـذ الرشوه منه، ولا أطاع الناس فیّ فأطیع الناس فیه، ردوا علیهما هدایاهما، فلا حاجه إلی بها، وأخرجا من بلادی؛ فرجعا مقبوحَیْن مردوداً علیهما ما جاءا به؛ فأقمنا مع خیر جار، وفی خیر دار.

فلم ینشب أن خرج علیه رجـل من الحبشه ینـازعه فی ملکه، فوالله مـا علمنـا حزنـاً حزنّا قط کان أشـدّ منه فرقاً من أن یظهر ذلک الملک علیه، فیأتی ملک لایعرف من حقنا ما کان یعرفه، فجعلنا نـدعو الله ونستنصـره للنجاشـی، فخرج إلیه سائراً، فهزم الله ذلک الملک وقتله، وظهر النجاشـی علیه؛ فوالله ما علمنا فرحنا بشـیء قط فرحنا بظهور النجاشی، ثمّ أقمنا عنده حتی خرج من خرج منا راجعاً إلی مکه، وأقام من أقام.(۲)

وأخیراً عـادت اُمّ سـلمه وزوجهـا ومعهمـا أولادهمـا (زینـب وسـلمه وعمر ودره) الـذین ولـدوا هنـاک علی قـول فی دار هجرتها الحبشه، عادوا جمیعاً إلی مکّه، وکانت عوده المهاجرین إلی مکّه إمّا خفاءً أو بجوار أحـد من وجوه مکّه بعـد أن وردتهم أخبار بأنّ أهل مکه قد أعلنوا إسـلامهم وآمنوا برساله محمد (ص) فلما وصـلوا مکه عرفوا أن لا صـحه لما سمعوا، فدخلوها متخفین أو لائذین بوجه من وجوه أهل مکه، فدخلت أم سلمه وزوجها فی جوار أبی طالب بن عبدالمطلب وهو خاله.

۱- العوید : أی مقدار هذا العود الصغیر.

۲- مختصر تاریخ دمشق ۶ :۶۵،۶۴،۶۳.

وهناک من یقول: إنها وزوجها هاجرت هجرتین إلی الحبشه: الأولی فی رجب سنه خمس من المبعث، والثانیه بعدها بعدّه شهور بعد أن رجع المسلمون المهاجرون ظانین إسلام قریش، فاشتد أذی قریش لهم، فأذن لهم الرسول (ص) بالهجره مره ثانیه.(۱)

رحیل «أبو سلمه»

کان صحابیاً مجاهداً هاجر الهجرتین، وشهد بدراً وقد أبلی فیها بلاءً حسناً، وبعدها شهد اُحداً فلم یقل بلاؤهُ فیها عن بدر، حتی ثخن بالجراح، فشفی منها إلّا جرح کان غائراً فی عضده اندمل ظاهره دون باطنه، ومع هذا فقد استعمله رسول الله (ص) علی المدینه مرّهً، ومرّه اُخری قاد بأمر رسول الله (ص) سریه، ومعه مائه وخمسون رجلًا إلی قطن وهو جبل لبنی أسد فی نجد.

نترک ابنه عمر یشرح لنا کلّ ذلک حیث قال: خرج أبی إلی أحد فرماه أبوسلمه الجشمی فی عضده بسهم فمکث شهراً یداوی من جرحه ثم برئ الجرح؛ وبعث رسول الله (ص) أبی إلی قطن (وهی جبل من أرض بنی أسد ناحیه فید وفی الطبقات: بیّد.(۲)) فی المحرم، علی رأس خمسه وثلاثین شهراً، فغاب تسعاً وعشرین لیله ثم رجع؛ فدخل المدینه لثمان خلون من صفر سنه أربع؛ والجرح منتقض، فمات منه لثمان خلون من جمادی الآخره سنه أربع من الهجره.(۳)

لقد کان الهدف من غزوه أبی سلمه هو منع بنی أسد من الهجوم علی المسلمین فی المدینه، بعد أن بلغه أی بلغ رسول الله (ص) أنّ قائدی بنی أسد یحرضان قومهما لغزو المدینه ونهب أموال المسلمین فیها؛(۴) فکان لحملته دور کبیر فی إعاده ماخسره المسلمون فی

۱- طبقات ابن سعد ۱ : ۲۰۳ ۲۰۷.

۲- معجم البلدان ۴ : ۳۷۴.

۳- الطبقات ۸ : ۸۷ ۸۸.

۴- غزوات الرسول، لمحمود شیت خطاب.

أُحد من معنويات، بعد أن نالت النصر على أعدائهم.

وراح هـذا الصـحابى الجليل يواصل جهاده فى الوقت الذى لم يندمل جرحه الذى راح هو الآخر يتسع، مما دفع أبوسـلمه إلى أن يلازم فراشه.

ممـا أنعمَ به الله تعـالى على هـذا المجاهـد أن يكون رسول الله (ص) وهو أخوه من الرضـاعه وابن عمته وحبيبه حاضـراً لحظـات حياته الأخيره، يودعه ويسبل يديه ويغلق عينيه ويدعو له: «أللهُمّ اغفر لأبى سلمه وارفع درجته فى المقربين».

ثمّ صـلّى عليه؛ ويروى أنّ الرسول (ص) كبّر فى هذه الصـلاه تسع تكبيرات، ولمّا انتهى من الصلاه سأله أصحابه عن ذلك فقال: لو كبرتُ على أبى سلمه ألفاً لكان أهلًا لذلك.

الزواج المبارك

رحل عنها أبوسـلمه، وتركها ذات عيال، أربعه أولاد: سلمه وقد وُلِدَ بالحبشه، وعمر، ودره، (رقيه) وبره، وقد غيّر اسمها رسول الله (ص) إلى زينب، قائلًا: «لا تزكوا أنفسكم، الله أعلمُ بأهل البر منك (منكم)، سموها زينب».

وقـد كبر سنّها، وراحت مع كـلّ آلامها على زوجها، الـذى ماجفّت دموعها لفقـده، فقـد كانت تحبّه حبّاً عظيماً ترعى صغارها، وتتـذكر ماكان يوصيها به أبوسـلمه فى مرضه الـذى توفى فيه، عبر حوار دار بين الاثنين، أحـدهما كان مسجّى، والآخر يـذرفُ دموعه بألم وحرقه ومراره.

قالت امُّ سـلمه: بلغنى أنه ليس امرأه يموت زوجها وهو من أهل الجنّه، ثمّ لم تتزوج بعـده إلاّ جمع الله بينهما فى الجنّه، وكذلك إذا ماتت المرأه وبقى الرجل بعدها؛ فتعال اعاهدك على ألاّ تتزوج بعدى، ولا أتزوج بعدك.

قال أبوسلمه: أ تطيعيننى؟

قلت: ما استأمرتك إلاّ وأنا أريد أن أطيعك.

قال: فإن متُّ فتزوجى بعدى، ثمّ قال: أللهُمّ ارزق اُمَّ سلمه بعدى رجلًا خيراً منى

لا یُحزنها ولا یؤذیها.(۱)

وإنی لأذکر ماکان یقوله أبوسلمه ویدعو به، وهو ماتعلمهُ من رسول الله (ص) : «إذا أصاب أحدکم مصیبه فلیقل: إنّا لله وإنّا إلیه راجعون، اللهُمّ عندکَ أحتسب مصیبتی، فأجرنی فیها، وأبدلنی بها ماهو خیر منها».

وتقول أُمُّ سلمه: لما احتضر أبوسلمه قال: أللهُمّ اخلفنی فی أهلی بخیر؛ فلما قبض قلتُ: إنّا لله وإنّا إلیه راجعون، أللهُمّ أحتسب عندکَ مصیبتی؛ وأردت أن أقول (وهنا توقفت أُمُّ سلمه قلیلاً ـ قبل أن تقول): وأبدلنی بها خیراً منها، فقلت: ومن خیر من أبی سلمه؟!

وفی روایه أنّها قالت: من هذا الفتی الذی هو خیرٌ من أبی سلمه؟ وفی اُخری قالت: أی المسلمین خیرٌ من أبی سلمه، أول بیت هاجر إلی رسول الله؟!

قالت: فما زلتُ حتی قلتها.(۲)

وهی فی هذا الحال وبعد أن انتهت عدّتها تقدّم لخطبتها بعض کبار الصحابه: أبوبکر، فلم توافق علیه، وجاءها خاطباً عمربن الخطاب وهو من أرحامها، یلتقی نسبه ونسبها فی کعب، فعمر بن نفیل بن عبد العزی... بن عدی ابن کعب؛ وأمّا أُمُّ سلمه فهی بنت أبی اُمیّه... بن مخزوم بن یقظه بن مره بن کعب؛ فی حین وجدتُ أنّ موسوعه أمّهات المؤمنین قد ذکرت أنّ فی زاد المعاد فی۱ :۴۱ أنّ أمّ سلمه خاله عمربن الخطاب، فأُمّه حنتمه بنت هاشم بن المغیره، وأُمُّ سلمه بنت سهیل بن المغیره.

أقول: إنها هنا وبحسب ما ذکره ابنه عمّ أمّه ولیست خالته، ولهذا تقدّم لخطبتها فردّته بقوه.(۳)

أرسل لها رسول الله (ص) من یبلغها برغبته فی الزواج منها؛ تقول: أرسل لی رسول الله (ص) حاطب بن أبی بلتعه یخطبنی لهُ؛ فقلتُ: مرحباً برسول الله وبرسوله. أخبر

۱- الطبقات ۸ : ۸۷ ۸۸ .

۲- المصدر نفسه ۸ : ۷۸ .

۳- موسوعه أمهات المؤمنین، هامش : ۱۴۳.

رسول الله أنی فیّ خلال، لا ـ ینبغی لی أن أتزوّج رسول الله؛ وراحت بکلّ أدب وحیاء وعفّه تبیّن لهُ هذه الصفات؛ وهی: أنی أمرأه مُصبیه، أی ذات أولاد؛ وأنی غَیْری؛ وأنه لیس أحد من أولیائی شاهداً، وأنا امرأه قد دخلت فی السن.

فبعثَ لها رسول الله (ص) : «أمّا قولک: إنی مُصبیه، فإنّ الله سیکفیک صبیانک؛

وأمّا قولک: إنی غیری، فسأدعو الله أن یُذهبَ عنک غیرتَک؛ وأمّا الأولیاء، فلیس أحد منهم، شاهد أو غائب، إلّا سیرضانی؛(۱) وأمّا ماذکرتِ من السن، فقد أصابنی مثل الذی أصابک».

فتزوجها رسول الله (ص) فی السنه الرابعه، وقیل الثالثه، فی العشرالأواخر من شهر شوال، وقد زوّجه إیّاها سلمه بن أبی سلمه ابنها، وأصدقها رسول الله (ص) فِراشاً حشوه لیف، وخدماً وصَحفَهً ومِجَشهً.(۲)

وبذلکَ صارت أمُّ سلمه زوجه لرسول الله (ص) وولجت بیته المبارک، وکانت غرفتها غرفه أمّ المؤمنین زینب بنت خزیمه، التی توفیت فی أوّل العام الرابع للهجره، وهی أول من توفی من نسائه اللاتی کنّ عنده بعد أمّ المؤمنین خدیجه.

وفی أوّل یوم زواجها أخذت أمّ سلمه تتفحص حجرتها; لتعرف مابها، قالت: فإذا جره فاطلعت فیها، فإذا فیها شیء من شعیر، وإذا برحی، وبرمه، وقدر، فنظرتُ فإذا فیها کعب من إهاله، فأخذت ذلک الشعیر وطحنته، ثمّ عصدته فی البرمه، وأخذت الکعب من الإهاله فأدمت به، فکان ذلک طعام رسول الله، وطعام أهله لیله عرسه.(۳)

وکانت المکافأه التی قدّمها رسول الله (ص) لسلمه علی ماقدمه هذا الأخیر فی زواج اُمّه من رسول الله (ص) أن زوّجه رسولُ الله (ص) أمامهَ بنت حمزه سیدالشهداء، وأقبل (ص) علی أصحابه قائلًا: ترون کافأته؟

۱- الطبقات ۸ : ۸۷.

۲- السیره النبویه لابن هشام ۴ : ۶۴۵؛ المجشه: الرحی، یُقال: جشـشتُ الطعام فی الرحی، إذا طحنته طحناً غلیظاً، ومنه الجشیش والجشیشه.

۳- الطبقات ۸ : ۹۲.

حبّها للجهاد

لم يكلف الإسلام المرأه بالقتال وجنّبها إياه، وإن تحمّلت أعباءَه وآثاره، فقد كانت المرأه المسلمه تبادر إلى الخطوط الخلفيه للمعارك وحتى الأماميه أحياناً، لتضميد الجرحى ومداواتهم، وتجهيز المقاتلين بما يحتاجون إليه، من ماء، وطعام، وعدّه، وسداد.

وأُمُّ المؤمنين أُمُّ سلمه كانت واحده من اللواتى قمن بدورهنّ هذا، ونالت شرف الجهاد والمجاهدين، بعد أن صحبت رسول الله (ص) فى غزواته ومعاركه فى غزوه المريسيع، وفى فتح خيبر، وفى حصاره للطائف، وغزوه هوازن، وثقيف، كما أنّها رافقته فى رحلته الأُولى إلى مكّه، حيث تمّ صلح الحديبيه.

طالما تمنت هذه المرأه مع غيرها من المؤمنات أن يكلّفهنّ الله سبحانه وتعالى بالجهاد إلى جنب إخوانهنّ من المؤمنين طمعاً فى أجره العظيم وثوابه الجزيل وشرفه الكبير فى الدُّنيا والآخره فقلن: «ليتَ الله كتب علينا الجهاد، كما كتب على الرجال، فيكون لنا من الأجر مثل مالهم».

فكان قولهنّ هذا وأمنيتهنّ سبباً فى نزول الآيه الكريمه: (وَلا تَتَمَنَّوْا ما فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلى بَعْضٍ).(۱)

منزلها مهبط الوحى

كانت حجرتها مهبط الوحى، فقد وردَ أنّ من مكارمها أنها رأت جبرئيل (ع) وهو فى صوره دحيه الكلبى، فقد ورد عن الصحابى الجليل سلمان الفارسى رضوان الله عليه حيث قال: «اُنبئتُ أنّ جبرئيل (ع) أتى النبيَّ (ص) وهو عند اُمّ سلمه، فجعل يتحدّث، ثمّ قام، فقال النبيّ (ص) لأمِّ سلمه: ومَن هذا؟

قالت: هذا دحيه الكلبى.

۱- أعلام النساء ۵ : ۲۲۴.

قالت: والله ماحسبتُه إلاّ إیّاه.(۱)

ومن مکارمها أیضاً نزول آیه التطهیر: (إِنَّما یُرِیدُ اللَّهُ لِیُذْهِبَ عَنْکُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَیْتِ وَیُطَهِّرَکُمْ تَطْهِیراً) فی بیتها.

فبعد أن جمع رسولُ الله (ص) کلاًّ من علی وفاطمه والحسن والحسین وضمّهم تحتَ کساء واحد، نزل جبرئیل بهذه الآیه المبارکه علیهم، تنظر امُّ سلمه إلی ماقام به رسول الله (ص) من جمعهم وضمّهم تحت کساء واحد، ولأنها علی قدر کبیر من المعرفه والمنزله، ولأنها السباقه إلی کلّ خیر والی کلّ ما ینفعها فی آخرتها ودنیاها أیضاً، ولأنها تعرف منزله المجتمعین، راحت تتمنی بل طلبت الانضمام إلیهم بقوه، وأن تکون معهم، لتنال بذلک ممّا أعدّه الله تعالی لهؤلاء الصفوه من خیر وبرکه.

وکیف لاتتمنی أن تکون معهم وهی تسمع رسول الله (ص) ودعاءه: أللهُمّ هؤلاء أهل بیتی، أذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهیراً.

فتبادر إلی ذلک قائله:

فأنا منهم یانبیّ الله؟!

ویأتیها الجواب من رسول الله (ص) :

«أنتِ علی مکانک، وأنتِ علی خیر» أی أنّ مکانک محفوظ اُمّاً للمؤمنین، وموقفک یتسم بالخیر والصحه، ولکنّک لست من أهل بیتی الذین خصّهم الله تعالی بخصائص، وتفرّدوا بصفات اختارها الله لهم دون غیرهم، ومیّزهم بها علی جمیع خلقه.

وکان لأمّ سلمه شرف روایه هذا کلّه حیث قالت :«دعا رسول الله حسناً وحسیناً، وفاطمه، فأجلسهم بین یدیه ودعا علیاً فأجلسه خلفه، فتجلّل هو وهم بالکساء، ثمّ قال: «هؤلاء أهل بیتی فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهیراً».(۲)

فعن عطاء بن أبی رباح عن أمّ سلمه: أنّ النبیّ کان فی بیتها، فأتته فاطمه ببرمه فیها

۱- التاج الجامع للأصول ۳ : ۳۸۳.

۲- تاریخ الطبری؛ تاریخ ابن کثیر؛ الترمذی فی صحیحه.

جزیره، فدخلت بها علیه، فقال (ص) لها: ادعی زوجک وابنیک .. إلی أن قالت: فأنزل الله عزّ وجلّ هذه الآیه: (إِنَّما یُرِیدُ اللَّهُ لِیُذْهِبَ عَنْکُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَیْتِ وَیُطَهِّرَکُمْ تَطْهِیراً) ... ثمّ قالت: فأخذ فضل الکساء، فغشاهم به، ثمّ أخرجَ یده، فألوی بها إلی السماء، ثمّ قال :«أللهُمّ هؤلاء أهل بیتی وخاصتی، أللهُمّ أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهیراً».

قالت أمُّ سلمه: فأدخلتُ رأسی البیت، فقلتُ: وأنا معکم یارسول الله؟ قال (ص) : «إنّک إلی خیر، إنّک إلی خیر».

تحدثت روایه اُخری عن أنّها من أهل البیت بنصّ رسول الله (ص) وهی ماکانت تسعی إلیه طیله عمرها المدید: حدّثوا أنه کان یوماً عندها وابنتها زینب هناک، فجاءته الزهراء (علیها السلام) مع ولدیها الحسن والحسین فضمّهما إلیه، ثم قال: (رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَکاتُهُ عَلَیْکُمْ أَهْلَ الْبَیْتِ إِنَّهُ حَمِیدٌ مَجِیدٌ).

فبکت أمُّ سلمه فنظر إلیها رسولُ الله (ص) وسألها فی حنو: «مایبکیک؟»

أجابت: یارسول الله خصصتَهم، وترکتنی وابنتی.

قال: «إنّک وابنتک من أهل البیت».(۱)

ومن حبّها لأهل البیت: أن جعلت ابنها عمر بن أبی سلمه فی جیش علیّ (ع) ولها مواقف أخری سنأتی علی ذکر بعضها.

أبو لبابه الأنصاری

«إن نزلتم علی حکمه (حکم رسول الله (ص)) فهو الذبح».

هذا ماقاله أبو لبابه الأنصاری لزعماء یهود بنی قریظه، فقد غزاهم رسول الله (ص) فی السنه الخامسه للهجره، وحاصرهم حتی جهدهم الحصار، قذف الله فی قلوبهم الرعب، فبعثوا إلی رسول الله (ص) أن یرسل إلیهم صاحبه «أبا لبابه ابن عبد المنذر الأنصاری؛

۱- السمط الثمین: ۲۰.

ليستشيروه فى أمرهم؛ فأرسله إليهم، فلما رأوه قام إليه الرجال، وجهش إليه النساء والصبيان يبكون فى وجهه، فرّقَ لهم.

وسألوه: يا أبا لبابه، أترى أن ننزل على حكم محمد؟

فأجاب: نعم، إنّه الذبح، وأشار بيده إلى حلقه.

فما زالت قدماه من مكانهما حتى عرف أنّه خان الله ورسوله؛ وانطلق على وجهه، فربط نفسه إلى عمود من عمد المسجد، وقال: لا أبرح مكانى هذا حتى يتوب الله علىّ مما صنعت.

ولما بلغ رسول الله (ص) خبره، وكان قد استبطأه، قال: «أما أنه لو جاءنى لاستغفرت له، فأمّا إذ فعل مافعل، فما أنا بالذى أطلقه من مكانه حتى يتوب الله عليه».

أو أنّ الانصارى المذكور كان واحداً من جماعه تخلفوا عن رسول الله (ص) فى غزوه تبوك على روايه ثانيه؛ وكلٌّ منهما لا شك ذنب كبير وخطير.

أوثَق لأحد السببين المذكورين نفسه بساريه المسجد النبوى، معترفاً بما جنته نفسه، وبقى هكذا ست ليال، كانت تأتيه امرأته فى كلّ صلاه فتحمله للصلاه، ثمّ يعود فيرتبط بالجذع رافضاً أن يُطلقه غير رسول الله (ص) وقد رفض هو الآخر إطلاقه حتى يأتيه أمر الله تعالى به، وكان رسول الله منتظراً لذلك.

وشاءت السماء أن يكون منزل أمّ سلمه مهبطاً للوحى يحمل الآيه الكريمه:

(وَ آخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلاً صالِحاً وَ آخَرَ سَيِّئاً...).(۱)

تقول أمُّ سلمه: سمعتُ رسول الله (ص) من السحر وهو يضحك.

قالت: قلتُ: ممّ تضحك يارسول الله (ص) أضحك الله سنّك؟

قال: «تيب على أبى لبابه».

قالت: قلت: أفلا أُبشره يارسول الله؟

قال: «بلى، إن شئتِ».

فقامت على باب حجرتها، وذلك قبل أن يُضرب عليهنّ الحجاب.

۱- سوره التوبه : ۱۰۲.

فقالت: یاأبا لبابه، أبشر فقد تاب الله علیک.

قالت: فثار الناس إلیه لیُطلقوه.

فقال: لا والله حتی یکون رسول الله (ص) هو الذی یطلقنی بیده.

فلمّا مرّ علیه رسول الله (ص) بعد نزول الآیه خارجاً إلی الصلاه، أطلقه.(۱)

ومن بیتها أیضاً انطلقت توبه السماء علی الثلاثه: (کعب بن مالک، وهلال بن أمیه، ومراره بن الربیع) الذین تخلفوا من الصحابه عن غزوه تبوک.

یقول واحد منهم وهو کعب بن مالک، مبیناً دور أم سلمه وإحسانها الیه:

... ونهی النبیّ (ص) عن کلامی وکلام صاحبی، ولم ینه عن کلام أحد من المتخلفین غیرنا، فاجتنب الناسُ کلامنا، فلبث کذلک حتی طال علیّ الأمر، وما من شی أهم إلیّ من أن أموت فلا یصلی علیّ النبیّ (ص) أو یموت رسول الله (ص) فأکون من الناس بتلک المنزله، فلا یکلمنی أحد منهم، ولا یصلی علیّ، وفی روایه: أنّ رسول الله (ص) قال: «أقسم بالله، لا أطلقهم حتی أؤمر بإطلاقهم، ولا أعذرهم حتی یکون هو یعذرهم، فأنزل الله توبتنا علی نبیّه (ص) حین بقی الثلث الآخر من اللیل، ورسول الله (ص) عند أمّ سلمه، وکانت أمّ سلمه محسنه فی شأنی، معنیه فی أمری؛ فقال رسول الله (ص) : «یا أمّ سلمه تیبَ علی کعب».

قالت: أفلا أرسل الیه فأبشره؟

قال: «إذاً یحطمکم الناس (یدوسونکم ویزدحمون علیکم) فیمنعونکم النوم سائر اللیله» حتی إذا صلی رسول الله (ص) صلاه الفجر، آذن بتوبه الله علینا.(۲)

الرشیده الشفیعه الحازمه

ذکرت مصادر التأریخ دورها الرشید فی السنه السادسه للهجره، وقد صحبت الرسول (ص) وهو یرید مکه للعمره، فصدته قریش، ومنعته والمسلمین من دخول مکّه؛ وبعد

۱- السیره النبویه (لابن هشام ۳ : ۲۳۸؛ وأسباب النزول للواحدی : ۲۶۳؛ مجمع البیان للطبرسی، الآیه من سوره التوبه.

۲- المغازی فی حدیث کعب بن مالک؛ ومسند أحمد وغیرهما.

أن تمّت كتابه شروط صلح الحديبيه، واضطربت الاُمور بين المسلمين، وكان الأمر ينذر بخطر جسيم بينهم.

تقول الروايه: ... أمر النبيّ (ص) أصحابه أن يقوموا فينحروا ثمّ يحلقوا، فما قام منهم رجل، فقال ذلک ثلاث مرات، ومامنهم من يستجيب.

فدخل على زوجه أمّ سلمه التى كانت معه يومذاک، فاضطجع، فقالت: مالکَ يارسول الله؟

فذكر لها مالقى من الناس، وأنه أمرهم بالحلق والنحر مراراً فلم يجيبوه، وهم يسمعون كلامه، وينظرون إلى وجهه الشريف.

قالت اُمُّ سلمه: التمس لهم العذر يارسول الله (ص) إنّهم يرون الكعبه ويرون ديارهم، ثمّ يُحرَمون من دخول مكّه.

ثمّ قالت: يانبيّ الله أتحبّ ذلک؟

أخرج ثمّ لا تكلم أحداً منهم كلمةً واحدةً حتى تنحر بدنتک، وتدعو حالقک فيحلقک؛ فإنّ ذلک سيقطع أملهم.

فقام فخرج فلم يكلّم أحداً حتى فعل ذلک، ونحر بدنته، ودعا حالقه.

فلما رأوا ذلک قاموا فنحروا، وجعل بعضهم يحلق بعضاً.(١)

كما كانت شفيعه للمؤمنين، وهذا جزء من مسؤوليتها كأمّ لهم، فقد شفعت لأخيها عند رسول الله (ص) حيث قالت للنبى (ص) وهى تغسل رأسه: كيف ينفعنى عيش، وأنت عاتب على أخى؟

فرأت من النبى (ص) رقّه فأومأت إلى خادمها، فدعت أخاها، فلم يزل بالنبى (ص) يذكر عذره، حتى رضى الله عنه.(٢)

وشفعت لأبى سفيان بن الحارث بن عبدالمطلب، وعبدالله بن أميه بن المغيره، وقد كانا

١- الطبرى ٢ : ٧٨٦.

٢- الكامل فى التاريخ ٢ : ٣٧٨.

من الذین یؤذونه (ص) .

وقد کلمته أم سلمه فیهما ورجت أن یصفح عن زلتهما فیما مضی، فقالت: یارسول الله لا- یکن ابن عمک، وابن عمتک وصهرک أشقی الناس بک؛ قال (ص) : «لاحاجه لی بهما؛ أما ابن عمی فهتک عرضی، وأما ابن عمتی فهو الذی قال لی بمکه ما قال».

قال أبوسفیان بن الحارث لما سمع بذلک : والله لتأذن لی، أو لآخذنّ بید بُنَیّ هذا، ثمّ لنذهبن فی الأرض حتی نموت عطشاً وجوعاً.

فلما سمع الرسول (ص) بذلک رقّ لهما، فدخلا وأسلما؛ وسرت بذلک أم سلمه.

أما حزمها وقوه شخصیتها، فقد ظهرت بوضوح فی مواقفها الحکیمه القویه من عائشه، وحفصه، وفی موقفها من قریبها عمربن الخطاب.

تقول بنت الشاطئ: وبدا واضحاً أنّ أم سلمه تعرف لنفسها قدرها، وتأبی علی عائشه أو سواها المساس بکرامتها، وقد أعزّها مجدٌ عتیق موروث، وآخر حدیث مکتسب؛ وکذلک أبت علی «عمر» أن یتکلم فی مراجعه أمهات المؤمنین لزوجهن الرسول (ص) وقالت له منکرهً: عجباً یابن الخطاب، قد دخلت فی کل شیء حتی تبتغی أن تدخل بین رسول الله وأزواجه!

قال عمر: فأخذتنی أخذاً کسرتنی به عن بعض ما کنتُ أجد.(۱)

الفتنه

«استحی أن ألقی محمداً (ص) هاتکهً حجاباً قد ضربه علیّ».

هذا جزء من کلمه طویله قالتها لعائشه، حینما هبّت هذه الأخیره تقارع الإمام علیّاً (ع) وتقف بجانب طلحه والزبیر تحرض الناس ضد الإمام (ع) من علی ناقتها، فکان دورها خطیراً جدّاً فیما وقع من فتنه بین المؤمنین، وفیما وقع من بغی علی الإمام (ع) فی

۱– نساء النبی : ۱۴۴ الدکتوره بنت الشاطئ.

معرکه الجمل فی البصره.

قالت لعائشه کلمات تتصف بالقوه والشده: أیّ خروج هذا الذی تخرجین؟!

نصّ کلمتها لعائشه حینما جاءتها هـذه الأخیره; لتخادعها علی الخروج للطلب بـدم عثمان، وقـد قالت عائشه لها: یابنت أبی أمیه، أنتِ أوّل مهـاجره من أزواج رسول الله (ص) وأنت کبیره اُمهـات المؤمنین، وکـان رسول الله (ص) یقسم لنـا من بیتِـک، أو کان یشیر إلی بیتک عندما یؤتی بالهدایا، ومن بیتک یبعث إلینا بسهامک (بسهامنا)، وکان جبرئیل أکثر مایکون فی منزلک.

فقالت أمُّ سلمه: لأمَر ما قلت هذه المقاله!

ثمّ لما سمعت برغبتها أو مسیرها مع کلّ من طلحه والزبیر; لشنّ حربهم ضدّ الإمام علیّ (ع) کتبت تقول:

«فإنی أحمـد إلیک الله الـذی لا إله إلّا هو؛ أمّا بعـد فقد هتکت سُدةً بین رسول الله (ص) واُمّته، وحجاباً مضـروباً علیّ حرمته، قد جمع القرآن ذیولـک فلاـ تسـحبیها، وسـکّر خفارتـک فلاـ تبتـذلیها، والله من وراء هـذه الاُـمّه لو علم رسول الله (ص) أنّ النسـاء یحتملن الجهاد عهـد إلیک، أما علمت أنّه قـد نهاک عن الفراطه فی الـدین؟ فإنّ عمود الدین لا یثبت بالنساء إن مال، ولا یرأب بهنّ إن صـدع؛ جهاد النساء غضّ الأطراف، وضمّ الذیول، وقصـر المواده، ماکنت قائله لرسول الله (ص) لو عارضک ببعض هذه الفلـوات، ناصبه قلوصـک قعوداً من منهـل إلی منهـل؟ وغـداً تردین علی رسول الله (ص) وأقسم لو قیـل لی: یـااُمّ سـلمه أدخلی الجنه; لاسـتحییت أن ألقی رسول الله (ص) هاتکهً حجاباً ضـربه علیّ، فاجعلیه سترک، وقاعه البیت حصـنک، فإنّک أنصح لهذه الاُمّه ماقعـدتِ عن نصـرتهم، ولو أنّی حـدثتک بحدیث سـمعته من رسول الله (ص) لنهشتِ نهشَ الرقشاء المطرقه، والسـلام.(۱) وهناک روایه لکلمتها هذه تختلف عنها قلیلاً.

ثمّ راحت اُمّ سلمه تعلن تأییدها للإمام علی (ع) ؛ تقول عنها بنت الشاطئ: ثمّ حاولت

۱- العقد الفرید، ابن عبد ربّه ۳ : ۹۶.

من بعـده (ص) أن تتجنب الخوض فی الحیاه العامه، إلی أن کانت الفتنه الکبری، فانـدفعت تؤازر الإمام علیّاً (ع) ابن عمّ الرسول (ص) وزوج ابنته الزهراء (علیها السلام) وأبا الحسن والحسین.

وودّت لو تخرج فتنصره، لکنّها کرهت أن تبتلی وهی اُمُّ المؤمنین بمثل ذاک الخروج، فجاءت «علیّاً (ع)» وقدمت إلیه ابنها «عمر» قائله:

یا أمیرالمؤمنین، لولا أن أعصـی الله عزّ وجلّ، وأنّک لا تقبله منّی; لخرجتُ معک؛ وهذا ابنی عمر، والله لهو أعزّ علیّ من نفسی، یخرجُ معک فیشهد مشاهدک.

وفعلاً شهد عمر مشاهد الإمام (ع) ومنها معرکه الجمل، واستعمله علی فارس وعلی البحرین.

وممّا یـدلُّ علی حبّها لآل الرسول (ص) وخاصه للإمام علی (ع) ودفاعها عنه ما کتبته إلی معاویه، مستنکره ماکتبه إلی عمّاله أن یلعنوا علیّـاً (ع) علی المنـابر، ففعلوا، فکـان ماکتبته رضوان الله علیها: إنّکم تلعنون الله ورسوله علی منابرکم، وذلک أنّکم تلعنون علیّ بن أبی طالب، ومَن أحبّه، وأنا أشهد الله أنّ الله أحبّه، ورسوله. . . لکن معاویه لم یلتفت إلی کلامها.(۱)

وکیف لا یکون حبّهـا لآل البیت عظیمـاً ثابتـاً، وقـد رافقت رسول الله (ص) فی حیـاته ومسؤولیـاته ووعت کلّ ماسـمعته عنهم، خـاصه وهو یلقی آخر خطبه له فی حجّه الوداع: «من کنتُ مولاه فهـذا علی مولاه، أللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصـر من نصره واخذل من خذله».

استوقفتها هذه الکلمات کثیراً، وراحت تتأمل ما تحمله کلماته (ص) هذه وغیرها بوعی وأناه، حتی دخلت قلبها ومشاعرها، فثبت ولاؤها لأهل البیت وانطلقت تقول کلمه الحقّ، وتکشف الظُلم، وتشـجب کـلّ فرقه، وتقیم دعائم الوحـده بین المسـلمین، علی أساس حبّها لله تعالی ولمحمد وآله.

۱- العقد الفرید، ابن عبد ربّه ۳ : ۱۲۷.

علمها وروايتها

كانت جليله القدر، جزيله الرأى، ملتزمه، تقيه، عارفه بالقرآن الكريم وأحكامه، راويهً للسنّه الشريفه، شارحه لأحكامها، مبينه لها، طالما اجتمع حولها النساء يستمعن لها ويتعلمن منها وينقلن عنها، ويسترشدن بآرائها ويتحاكمن إليها كما تفعل بعض نساء النبى (ص) وقد انتفع الرجال بعلمها وروايتها ونصائحها وآرائها حتى عدّت مصدراً من مصادر التفسير والفقه والروايه والتأريخ والسيره النبويه.

وقد بلغ عدد ماروته من الأحاديث ثلاثمائه وثمانيه وسبعين حديثاً.

يقول أحمد خليل جمعه عنها: وأُمُّ سلمه رضى الله عنها قد وعت الحديث الشريف، وتفقهّت بأُمور الدين والشريعه الغراء، حتى كانت تعدّ من فقهاء الصحابيات، وممّن يُرجع إليها فى بعض الأُمور والأحكام والفتاوى، وخصوصاً فيما يخصّ فقه المرأه المسلمه، وفيما يتعلّق ببعض أحكام الرضاع، أو الطلاق، أو ماشابه ذلك؛ وقد ورد أنّ سيدنا عبدالله بن عباس كان يُرسل، فيسألها عن بعض الأحكام.

كما كانت تعّد من جمله مَن يُرجع إليهم بالفتيا من الصحابه، وقد روى عنها كلٌّ من عبدالله بن عباس، وأبوسعيد الخدرى وابنها عمر بن أبى سلمه، ومن النساء عائشه، وابنتها زينب بنت أبى سلمه؛ ومن التابعين: سعيد بن المسيب والشعبى، ومجاهد، وعطاء بن أبى رباح، وسليمان بن يسار، وعروه بن الزبير، وآخرون؛ ومن النساء طيره اُمّ الحسن البصرى، وهند بنت الحارث الفراسيه، وصفيه بنت شيبه، وصفيه بنت محسن وغيرهنّ.(۱)

ومن روايتها

استأذن أبوثابت مولى على (ع) على اُم سلمه، فقالت: مرحباً بكَ يا أبا ثابت، ثمّ قالت: يا أبا ثابت أين طار قلبك حين طارت القلوب مطيرها؟ قال: تبع علياً، فقالت: وفقت،

۱- نساء أهل البيت: ۲۴۶ ۲۶۵ وانظر الهوامش.

والذی نفسی بیده لقد سمعتُ رسول الله (ص) یقول: «علیٌ مع الحقّ والقرآن، والحقّ والقرآن مع علیٍّ، ولن یفترقا حتی یردا علیّ الحوض».

قالت أُمُّ سلمه: أغدف(۱) رسول الله (ص) علی علیّ (ع) وفاطمه (علیها السلام) والحسن والحسین خمیصه سوداء، ثمّ قال: «أللهُمّ إلیک لا إلی النار، أنا وأهل بیتی»؛ قالت: قلتُ: وأنا یارسول الله؛ قال: «وأنتِ».

وقریب من ذلک ماروته ابنتها زینب مع اختلاف یسیر، حیث قالت: إنّ رسول الله (ص) کان عند أمّ سلمه، فجعل حسناً فی شقٍّ، وحسیناً فی شقٍّ، وفاطمه فی حجره، وقال: (رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَکاتُهُ عَلَیْکُمْ أَهْلَ الْبَیْتِ إِنَّهُ حَمِیدٌ مَجِیدٌ).(۲) وأنا وأمُّ سلمه جالستان، فبکت أمُّ سلمه، فقال: «مایبکیک؟» قالت: یارسول الله خصصتهم وترکتنی وابنتی؛ فقال رسول الله (ص) : «إنّک [وابنتک [من أهل البیت».(۳)

ومما روته، قالت: قال لنا رسول الله (ص) : «إذا حضرتم المریض أو المیت فقولوا: خیراً، فإنّ الملائکه تؤمن علی ماتقولون»؛ فلما مات أبوسلمه أتیتُ النبیّ (ص) فأخبرته، فقال: «قولی: أللهُمّ اغفر لی وله، وأعقبنی منه عقباً حسناً، فقلتُ ذلکَ؛ فأعقبنی الله منه مَنْ هو خیرٌ منه، رسول الله.

وعنها قالت: کان النبیّ (ص) إذا خرجَ فی سفر یقول: «أللهُمّ إنی أعوذُ بکَ أن أز لِ أو أزل».(۴)

عن زینب بنت أبی سلمه، عن أمّها أُمّ سلمه رضی الله عنها، قالت: سمعتُ رسول الله (ص) یقول: «إنما أنا بشر، وأنتم تختصمون إلیّ، ولعلّ أحدکم أن یکون ألحنَ بحجته من بعض، فأقضی نحو ماأسمع منه، فمن قضیتُ لهُ بشیء من حقّ أخیه منه شیئاً، فإنما أقطعُ لهُ قطعهً

۱- أغدف: بغین فدال ففاء: اُرسل وغطی، ومنه غداف المرأه، وهو ماتستر به وجهها : ۱۵۴ من کتاب أزواج النبیّ (ص) للإمام محمد بن یوسف الدمشقی.

۲- سوره هود : ۷۳ .

۳- ذکره صاحب کتاب أزواج النبی عن الطبرانی فی الکبیر ۲۴ : ۲۸۱ ۲۸۲ وغیره.

۴- ربیع الأبرار ۴ : ۱۹۶.

من النار».(۱)

ولما قدم ابن أبی جهل المدینه، فجعل یمرّ فی الطریق، فیقول الناس: هذا ابن أبی جهل؛ فذکر ذلک لأمّ سلمه، فما کان منها إلاّ أن ذهبت إلی رسول الله (ص) فذکرت له ماسمعت: فخطب (ص) الناس وقال: «لا تؤذوا الأحیاء بسبب الأموات».(۲)

ولما سئلت: ماأکثر دعاء رسول الله (ص) إذا کان عندک؟ قالت: کان أکثر دعائه: «یامقلب القلوب ثبّت قلبی علی دینک».

قالت: فقلتُ لهُ: یارسول الله، ماأکثر دعاءک «یامقلب القلوب ثبّت قلبی علی دینک»؟!

قال: «یا أُمّ سلمه، إنّه لیس من آدمی إلاّ وقلبه بین اصبعین من أصابع الله، ماشاء الله أقام وماشاء أزاغ».(۳)

ومما روته بحقِّ أخیها من الرضاعه عماربن یاسر، الذی طالما رعته، وغضبت لهُ حینما فعل به عثمان فعلته القذره، شتمه وأمر به فأخرج من مجلسه، وقد أثقلوه باللبن حینما شارک فی بناء مسجد رسول الله (ص) فی المدینه، فقال: یا رسول الله قتلونی یحملون علیّ مالا یحملون.

وهنا قالت أمُّ سلمه: فرأیتُ رسول الله (ص) ینفض وفرته بیده، وکان رجلاً- جعداً، وهو یقول: «ویح ابن سمیّه لیسوا بالذی یقتلونک، إنما تقتلک الفئه الباغیه» وارتجز علیّ بن أبی طالب (ع):

لا یستوی من یعمر المساجدا

یدأب فیها قائماً وقاعداً

ومن یری عن الغبار حائداً

فأخذها عمّار بن یاسر، فجعل یرتجز بها.(۴)

۱- البخاری، ومسلم، فی الأقضیه؛ والنسائی فی القضاء؛ والشافعی فی الأم.

۲- ربیع الأبرار ۲ : ۸۴۱ .

۳- العقد الفرید ۳ : ۲۲.

۴- السیره النبویه لابن هشام ۲ : ۱۱۴.

وفاتها

أبت أمُّ سلمه وقد عرفت جيداً قدر نفسها أن تموت دون أن تترك خلفها دروساً ينتفع بها الآخرون، فحياتها بكلّ مفاصلها كانت مفعمه مليئه بالأحداث سواء قبل اسلامها، وهي تعيش في بيت عرف كما قلنا بالكرم والشرف والإباء، أم في حياتها الاُولى مع أبي سلمه زوجهً صالحهً، أم في إسلامها وهجرتها وتصويرها لهجرتها، حتى كانت روايتها أوثق وأدقّ روايات الهجره، أم في هجرتها الثانيه إلى المدينه وأحداثها، وما رافقها من آلام، أم في زواجها المبارك الذى اختارته السماء، وهي تعيش أطهر بيت مع أعظم إنسان عرفته الدنيا، لم تكن حياتها معهُ إلّا طاعه وإيماناً وتصديقاً وخدمه وجهاداً، حتى لم يعثر على خطإ لها على كثره ماترتكبه النساء من أخطاء، وما تصنعه من متاعب.

ورغم ماعانته من غيره وحسد اُمّ المؤمنين عائشه، وكذلك أمّ المؤمنين حفصه، وماخلقتا لها من متاعب وصعاب؛ كانت تقابل كلّ ذلك بحكمه وهدوء، حتى تبعد هذا البيت عن كلّ ما يتعب صاحبه (ص) ويعكّر عليه حياته، أو يشغله عن مهامه العظيمه...

وبقيت محافظه على سيرتها، وإن طال عمرها حتى تجاوز الثمانين عاماً، فكانت آخر من توفي من زوجاته (ص) ويبدو أنه قدر لهذه المرأه الصالحه المخلصه لزوجها ولأهل بيته، أن تشارك رسول الله (ص) عزاءه وحزنه، فقد بلغها استشهاد الإمام الحسين (ع) فوجمت لذلك، وغشي عليها، وحزنت حزناً شديداً، ولم تلبث بعد ذلكَ إلّا يسيراً، ثمّ انتقلت إلى رحمه الله.(۱)

وأمّيا بنت الشاطئ فتقول: وتقدم العمر بأمّ سلمه حتى امتحنت، كما امتحن الإسلام وأمته، بمذبحه «كربلاء» ومصارع الإمام الحسين وآل البيت صلوات الله عليهم، على الساحه المشئومه.

توفيت رضي الله عنها بعدما جاءها نعي الحسين بن علي (ع).(۲)

۱- الرسول في بيته، الدكتور أحمد شلبي : ۷۸.

۲- نساء النبي (ص) ، الدكتوره بنت الشاطئ : ۱۵۰ ۱۵۱.

ویکفیها فخراً أنّ رسول الله (ص) توفی وهو راض عنها، وعن أولادها الذین تکفلهم برعایته، وتربیته.

وبقیت هذه المرأه ورضا رسول الله (ص) یلاحقها ویواکبها، حتی غدت وبیتها «مرکز الإشعاع العلمی والفقهی للصحابه والتابعین والعلماء من شتی الأمصار».(۱)

توفیت سنه إحدی وستین وقیل سنه اثنتین وستین فی عهد یزید بن معاویه، وشیعها المسلمون تشییعاً عظیماً، حتی مرقدها الأخیر فی مقبره البقیع فی المدینه المنوره.

۱- نساء أهل البیت، أحمد خلیل جمعه : ۲۶۹.

(۱۰) أبوذر الغفاری

اشاره

«وحده»

محمّد سلیمان

کـان معلماً بارزاً فی فکره وعلمه ووعیه، وفی عبادته وجهاده، وفی زهـده وثورته، وفی صـدقه وإخلاصه وحبّه لله تعالی ولرسوله (ص) وفی التزامه بمـا عاهـد الله تعـالی علیه بمقارعه الظالمین وکشف ظلمهم وزیفهم، والـدفاع عن المحرومین؛ حتّی غـدا بحقّ مدرسهً ثائرهً جوّالهً، لا تعرف التوقف ولا الاستقرار، ولاتبحث عن الطمأنینه والراحه، ولا تخشی فی الله لومه لائم.

وبقی هذا الرجل الصـحابی الجلیل، حیاهً متحرکهً ثائرهً وقِمّهً عالیهً شامخهً رائدهً فی مواقفها، مثالیهً فی صدقها، شـجاعهً فیما تقوله وتفعله، فلا تهزّه المحن، ولا یرهبه وعیدُ الطغاه، ولا یخیفه تهدیدهم، ولا تغریه أموالهم، ولا تلینه ابتساماتهم.

کان سبّاقاً للأمر بالمعروف والنهی عن المنکر، وکان عملاقاً فی تصدّیه لکلّ انحراف فی الأمّه... کان یرید لهذه الأمّه ولحکامها أن یعیشوا الإسلام سلوکاً وعبادهً وجهاداً وحکماً

وإدارةً... كـان يريـد للحكـام أن يكونوا خَدَمَةً صـادقين للأمه، لا جبابره عليها، وكان يريـد للأمه أن لا تكون ذليلةً صاغرةً أمام حكامهـا إذا ما انحرفوا، وأن لا تسـير خلفهم معصوبه العينين، بل موقظه لهم، ومـدافعه عنهم إذا ما صـدقوا... لهـذا نراه قـد ركب المركب الصـعب يصـارع هـاتين النزعتين: نزعه الطغيـان لـدى الحكام المسـتبدين والأغنياء المترفين، ونزعه الخنوع والصـغار فى الأمه.

فراح يلاحق الحكـام والمترفين ويعلنهـا بلا هواده صـرخةً مـدويةً عـاليةً كاشـفةً بـذخهم وتعـاليهم وكبريـاءَهم وبعـدهم عن الله وشرائعه... ويبشّرهم بعذاب أليم.

وأيضاً راح يلاحق الأمه ليوقظها من سباتها ويشـحذ هممها المعطله؛ لكى تقف أمام المترفين حكاماً وأفراداً لتقيلهم عن طريقها، وتبعدهم عن مسيرتها، وإلّا حلّت بها الكارثه واستحقت القارعه.

وراح صوته هـذا مـدوّياً عبر القرون، وغدا اُنشودةً تردّدها شـفاه الثوار جيلًا بعد جيل؛ إنه أبو ذر الغفارى، «يمشـى وحده ويموت وحده ويبعث وحده».

* * *

مع أنّ الاختلاف وقع فى تسـميته، فهو برير بن جنـدب، وهو برير بن جناده، وهو جنـدب بن عبـدالله، وهو جندب بن السـكن، أو جناده بن السكن، وهو يزيد بن جناده.(۱)

إلاّ أنّ جنـدب بن جنـاده هـو الإسم الـذى عرف به، وهو بعـد ذلـک ابن سـفيان ابن عبيـد من بنى غفـار، من كنـانه ابن خزيمه الحجازى، بينما ساق ابن سـعد فى طبقاته نسـبه الى غفار بن مُليل بن ضـمره بن بكر بن عبـد مناه بن كنانه؛ لينتهى به الى خزيمه ابن مُدركه ابن إلياس بن مضر بن نزار.

هذا أبوه ونسبه، وأما أمّه فهى رمله بنت الوقيعه أو الرقيعه وهى أيضاً من بنى غفار.(۲)

كنيته: «أبوذر» و لقبه «الغفارى» وقد اشتهر بهما، وطغى على اسمه الذى بات لا يعرف

۱- سير أعلام النبلاء، للذهبى.

۲- مختصر تاريخ دمشق، لابن منظور، حرف الذال، الجزء الثامن والعشرون : ۲۷۷.

إلّا عند الخاصه.

وأما صفاته فقد كان أدمَ ضخماً جسيماً كث اللحيه والشعر وقد غلب عليه الضعف، وأرهقه الفقر وقله ذات اليد، ولكنه مع كلّ ما هو فيه علا إيمانه حتى جاوز عنان السماء.

وكان رأساً فى الزهد، والصدق، والعلم، والعمل، قوالاً بالحقّ، لا تأخذه فى الله لومه لائم على حدَّه فيه، وقد آخى رسول الله (ص) بينه وبين سلمان الفارسى؛ فاتته معركه بدر، وشهد فتح القدس.(۱)

إسلامه

أما كيفيه إسلامه، فالذى يظهر من بعض المصادر أنّ أباذر كان موحداً، فقد عرف أنه كان يتعبد ويكثر من العباده قبل إسلامه، ففى روايه عبدالله بن الصامت عن أبى ذر نفسه أنه قال: إنى صليتُ قبل أن يُبعث النبىُّ بسنتين.

قلت: أين كنت توجّه؟

قال: حيث وجهنى الله؛ كنتُ أصلى حتى إذا كان نصف الليل سقطتُ كأنى خرقه.

وفى روايه أخرى، عن عبدالله ابن الصامت أيضاً، قريبه من الأولى: ... قال: وقد صليتُ يا بن أخى قبل أن ألقى رسول الله (ص) بثلاث سنين.

قلتُ: لمن؟

قال: لله.

قلتُ: فأين توجّه؟

قال: حيث يوجهنى ربّى، أصلى حتى إذا كان آخر الليل أُلقيتُ كأنى خِفاء (كساء) حتى تعلونى الشمس.(۲)

وقد روى عن ابن عباس رضوان الله عليه فى قصه إسلام أبى ذر أنّه قال:

۱- سير أعلام النبلاء، للذهبى ۲: ۴۷.

۲- أنظر فى ذلك: مختصر تاريخ دمشق ۲۸: ۲۷۸ وغيره.

أَلا أخبركم بإسلام أبی ذر؟ قلنا: بلی، قال: قال أبوذر: «کنت رجلاً من غفار، فبلغنا، أنّ رجلاً قد خرج بمکه یزعم أنه نبیّ، فقلت لأخی: انطلق إلی هذا الرجل فکلّمه، وائتنی بخبره، فانطلق فلقیه ثم رجع، فقلت: ما عندک؟ قال: والله، لقد رأیته رجلاً یأمر بالحقّ، وینهی عن الشرّ، فقلت: لم تشفِنی من الخبر، فأخذت جراباً وعصا، ثم أقبلت الی مکه، فجعلتُ لا أعرفه، وأکره أن أسأل عنه، وأشرب من ماء زمزم، وأکون فی المسجد، فمرّ علیٌّ (ع) فقال: کأنّ الرجلَ غریب؟ قلت: نعم، قال: فانطلق إلی المنزل، فانطلقت معه، لا یسألنی عن شیء، ولا أخبره؛ فلما أصبحت غدوت إلی المسجد لأسأل عنه، ولیس أحد یخبرنی عنه بشیء، فمرّ بی علیٌّ (ع) فقال: ما آن للرجل أن یعود؟ قلت: لا، قال: ما أمرک، وما أقدمک هذه البلدهَ؟ قلت: إن کتمته علیَّ أخبرتک، قال: فإنی أفعل، قلت: بلغنا أنه قد خرج رجلٌ یزعم أنه نبی، فأرسلت أخی لیکلمه، فرجع ولم یشفِنی من الخبر، فأردت أن ألقاه.

قال: أما إنک قد رشدت لأمرک، هذا وجهی إلیه فاتبعنی، فادخل حیث أدخل، فإنی إن رأیت أحداً أخافه علیک قمت إلی الحائط، وامضی أنت؛ قال: فمضی، ومضیتُ معه حتی دخل، ودخلت معه علی النبیّ (ص) فقلتُ: یا رسول الله، أعرض علیّ الإسلام، فعرضه علیّ، فأسلمتُ مکانی، فقال لی: یا أباذر، أکتم هذا الأمر وارجع إلی بلدک، فإذا بلغک ظهورنا فأقبل؛ قلت: والذی بعثک بالحقّ لأصرُخنّ ما بین أظهرکم».

فجاء إلی المسجد وقریش فیه، فقال: یا معشر قریش، إنی أشهد أن لا إله إلاّ الله، وأشهد أنّ محمداً عبدهُ ورسولهُ، فقالوا: قوموا إلی هذا الصابئ فقاموا، فضربتُ لأموتَ، وأدرکنی العباس، فأکبّ علیّ ثمّ قال: ویحکم! تقتلون رجلاً من غفار، ومتجرکم وممرّکم علی غفار؟ فأقلعوا عنی.

فلما أصبحت الغد رجعت، فقلت ما قلتُ بالأمس، فقالوا: قوموا إلی هذا الصابئ، فضربونی، فأدرکنی العباس، فأکبّ علی.(۱)

۱- أنظر فی ذلک: مختصر تاریخ دمشق ۲۸: ۲۷۸ وغیره.

وعن أبی ذر قال: کنت رابعَ الإسلام، أسلم قبلی ثلاثه، وأنا الرابع، فأتیت النبی (ص) فقلت: سلام علیک یا نبیّ الله، أشهد أن لا إله إلّا الله، وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله؛ فرأیت الاستبشار فی وجه رسول الله (ص) فقال: «مَن أنت؟» قلت: «أنا جندب رجل من بنی غفار، قال: فرأیتها فی وجه النبی (ص) حیث ارتدع، کأنّه ودَّ أنی کنت من قبیله أرفع من قبیلتی؛ قال: وکنت من قبیله فیها رِقّه (قلّه) کانوا یسرقون الحاج بمحاجن لهم.(۱)

وهناک روایات أخری فی أول إسلامه اکتفینا بهذه دونها.

سیرته

کان أبوذر معروفاً فی قومه وعند غیرهم بأنه رجل شجاع کریم، وعزیز، وکبیر، وعارف، وحکیم، وقبل حمله لهذه الصفات; هناک من یقول إنّه کان أیضاً من قطاع الطرق، وقد لا تکون هناک غرابه فی ذلک فهو ابن بیئته ومحیطه الذی نشأ فیه وإن کنت لا أمیل إلیه ولا تطاوعنی نفسی فی ذکر ما قیل، فدراستی لأبی ذر، واطلاعی علی ما یتحلی به هذا الرجل، من نبل، وشرف حتّی فی جاهلیته، یمنعنی کلّ ذلک وغیره عن تصدیق هذه الروایه.

تقول الروایه: کان أبوذر رجلاً یصیب الطریق، وکان شجاعاً ینفرد وحده بقطع الطریق ویغیر علی الصِّرم فی عمایه الصبح علی ظهر فرسه، أو علی قدمیه کأنه السبع، فیطرق الحی، ویأخذ ما یأخذ،(۲) ثم تمرّد علی عادات قومه السیئه قبل إسلامه، وعرف بالصلاح.

فلما قذف الله تعالی فی قلبه الإسلام، تحولت حیاته إلی حیاه خصبه معطاء، وغنیه بالعبر والمثل والدروس، وتجسید للقیم یثیر العجب والإجلال له، فإضافه إلی قوه الإیمان وصلابته التی یتمتع بها أبوذر، ورسوخ جذوره فی نفسه المبارکه، وإضافه إلی زهده ونسکه وشجاعته وحلمه... کان هناک الصدق الذی أخذ بعداً عظیماً واسعاً فی حیاته

۱- مختصر تاریخ دمشق ۲۸: ۲۸۳ ۲۸۵.

۲- المصدر نفسه ۲۸: ۲۸۴ ۲۸۵.

الإيمانيه والجهاديه، هذه الصفه التى تحلّى بها خلقه الشريف ولم يحد عنها قيد أنمله أبداً؛ ميّزته عمّا حوله من الصحابه والتابعين؛ فكان بحقّ من (أُولئِکَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولئِکَ هُمُ الْمُتَّقُونَ).(۱) بل تفرّد بها حتى كاد أن لا يوازنه فيها أحدٌ؛ وكأن أباذر خلق للصدق، وهو جدير به.

يقول رسول الله (ص) فيه: «ما أظلت الخضراء، ولا أقلّت الغبراء بعد النبيين امرءاً أصدق لهجةً من أبى ذر».

وفى روايه أبى الدرداء: «ما أظلت الخضراء، ولا أقلّت الغبراء من ذى لهجه أصدق من أبى ذر».(۲)

حقّاً لقد كانت شهاده عظيمه من رسول الله (ص) الذى لا ينطق عن الهوى لأبى ذر، يقول الدكتور الجميلى بعد ذكره لتلك الروايه: أعظم صفه لأعظم رجل، من أعظم نبى... إنّها صدق اللهجه، وهى من أجل دقائق النعوت الموسوم بها أهل الصدق؛ وهى نادره فى عنصر البشر، وجرثومه الناس التى امتزج طبعها بشهوه الدنيا، وحبّ الحياه، وكلفوا بزخرف الفانيه وتهالكوا عليه.

ولا جرم أنّ أباذر المشهود بصدق لهجته من النبى الصادق المصدوق، لا جرم أنه حرى به، وقمين بشخصه أن يصدق عليه أيضاً قوله (ص) : «يرحم الله أباذر... يمشى وحده... ويموت وحده... ويبعث وحده».(۳)

لقد كلفه صدقه أن يعيش وحيداً، وأن يعيش بعيداً، وأن يموت غريباً...

لقد تمرّد أبوذر على واقعه كلّه بعد فتره من نشأته فى قبيله غفار، التى عرف أفرادها واشتهر رجالها بأنّهم قطاع طرق، وبأنهم ساده السطو والسرقه والغدر والقتل، رجل تمرّد على هوى نفسه وعلى بيئته التى ولد فيها ونشأ وترعرع بين أحضانها، وراح يصدع بأن

۱- البقره: ۱۷۷.

۲- أنظر أحمد؛ والترمذى؛ وابن ماجه؛ والطبرانى.

۳- صحابه النبى (ص) الدكتور السيد الجميلى :۲۵۰.

الصدق زينه الرجل، وجمال له، وراح يربى نفسه على قول الحق ولهجه الصدق مهما كلفه ذلک من تغريب وتبعيد وتعذيب، ولم يكتف بذلک فقد فاجأ الجميع بإيمانه، وصدع به صرخةً مدويةً لا غموض فيها تهزّ ما حوله، جاهراً بشهاده لا إله إلاّ الله وأنّ محمداً رسول الله، أعلنها فى وسط لا ـ معين له به، ولا ـ ملجأ يلجأ إليه، ولا ـ مأوى يأوى، وكانت قريش بكامل عزّها وجبروتها وطغيانها... فنال بذلک وسام رابع رجل، أو خامس رجل لينضمّ إلى السابقين الأولين، أولئک المقربون.

إنّها صرخه الحقّ التى أطلقها أمام أعين الظالمين، وكادوا ينكلون به ويقتلونه، بعد أن أذاقوه سوء العذاب، حتى غشى عليه مرّات عديده، ولولا ـ أن تدخل هنا العباس بن عبدالمطلب، ليقتلوه؛ فقد راح يحذرهم ويخيفهم من عواقب ما تقترفه أيديهم، وراح أيضاً يذكرهم بأنّ أباذر هذا من غفار بعد أن أنساهم طغيانهم وحقدهم ذلک وأهلها معروفون مَن هم، فإن تتعرضوا له بالأذى، فإن قبيله غفار ستتعرض لقوافلكم التجاريه، إذ إنّ طريقكم إليه لا تحويل عنه.

فعندئذ توقفوا عن تعذيبه، وأطلقوا سراحه، فغادر الرجل مكه لا إلى الحبشه كما هاجر إليها إخوانه من المسلمين، ولكن إلى عشيرته وقومه، لينذرهم، وكان ذلک استجابه لأمر رسول الله(ص) ...: «فهل أنت مبلغٌ عنى قومک؟».

عاد إلى قومه وبقى فيهم، ولم يهاجر إلى المدينه إلاّ ـ بعد غزوه تبوک; ليبدأ من هناک مرحلته التبليغيه، فالأقربون أولى بالمعروف، وهل هناک معروف أعظم من هدايتهم لدين الله تعالى، وإنقاذهم ممّا هم فيه من انحراف وفجور وسطو واعتداء على الأبرياء وطرق التجاره، التى قدر لغفار أن تكون مركزاً لمرورها؟! وبالتالى تخليص الناس من أذاهم، إلى غير ذلک من المنافع إذا ما آمنوا واتقوا; فكان بحقّ رسولَ خير لهم..

وفعلاً ـ كانت البدايه حيث علا فى أوساطهم قول الحقّ بكلّ وضوح وصراحه صادقه، أن هلموا للإيمان، وأن انطقوا بالشهادتين تنالوا بذلک عزّ الدنيا وخير الآخره؛ ولأنّ دعوته تبعث من قلب صادق، فما أسرع ما لاقت آثارها، وجنت ثمارها...! خُذنا يا أباذر إلى

حیث نبع الخیر والبرکه إلی حیث رسول السماء; لکی نضع أیدینا علی یدیه المبارکتین فنتزوّد منه، ونعاهده علی أن نکون جنداً له، ونضع سیوفنا إلی جنب سیوف المسلمین، لنصون الحقّ وأهله.. ونترک کلّ ما اقترفناه من حیف وظلم وأذی للآخرین.

قدم قومه علی رسول الله(ص) یتقدمهم الصحابی الجلیل أبوذر الغفاری لیسمع قوله۹:

«غفار غفر الله لها... وأسلم سالمها الله».

علمه

کان أبوذر عالماً عارفاً بالقرآن والحدیث، أشاد بعلمه جلّ الصحابه، وقد سئل الإمام علی بن أبی طالب (ع) عنه، فقال: «عَلِمَ العلم ثمّ أوکی».

(أوکی علی ما فی سقائه: إذا شدّه بالوکاء: کلّ سیر أو خیط یشدّ به فم السقاء...) فربط علیه ربطاً شدیداً.

وفی قول آخر له۷: «أبوذر وعاء مُلِئ علماً، ثم أوکی علیه، فلم یخرج منه شیء، حتی قبض».

وفی قول ثالث له۷ عن أبی ذر: «وعی علماً عجز فیه (أعجز عن کشف ما عنده من العلم) وکان شحیحاً حریصاً; شحیحاً علی دینه، حریصاً علی العلم، وکان یکثر السؤال، فیُعطی ویمنع، أَمَا إنه قد مُلِئ له فی وعائه حتی امتلأ».

وفی عبارته۷: «عجز فیه» یبدو أنه أراد أعجز عن کشفه; وقد ورد فی طبقات ابن سعد: أعجز عن کشف ما عنده من العلم.

والذی یبدو أنه (أوکی علیه) لأنه لم یجد من یحمله ویستمع إلیه کما نری هذا فی موضوع المقاطعه الآتی، وهذا ظلم آخر یضاف إلی مظلومیه الرجل، وإلاّ ما فائده العلم الذی یبقی مکنوزاً فی صدر صاحبه حتی القبر؟ ثمّ إظهار العلم للآخرین مستحب، بل قد یکون أحیاناً واجباً، وفیه أجر عظیم; ولا أظنّ أباذر کان فیه من الزاهدین.

یقول مالک بن أوس فی روایته:

قدم أبوذر من الشام، فدخل المسجد وأنا جالس، فسلم علينا، وأتى ساريه، فصلى ركعتين تجوّز فيهما، ثم قرأ: (أَلْهاكُمُ التَّكاثُرُ) حتى ختمها، واجتمع الناس عليه، فقالوا له: يا أباذر، حدثنا ما سمعت من رسول الله(ص)، فقال لهم: سمعت حبيبى رسول الله(ص) يقول: «فى الإبل صدقتُها، وفى البقر صدقتُها، وفى البر صدقته، من جمع ديناراً أو درهماً، أو تبراً، أو فضه لا يعده لغريم، ولا للنفقه فى سبيل الله كُوىَ به».

قلت: يا أباذر، أنظر ما تخبر عن رسول الله(ص)، فإنّ هذه الأموال قد فشت؛ فقال: من أنت يا بن أخى؟ فانتسبت له، قال: قد عرفت نسبك الأكبر، ما تقرأ (وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلا يُنْفِقُونَها فِي سَبِيلِ اللَّهِ...) وكثيراً ما كان يردّد هذه الآيه، وآيه: (أَلْهاكُمُ التَّكاثُرُ * حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقابِرَ).

رواياته

عرف عنه أنّه كان مواظباً على ملازمته لرسول الله(ص) والاستفاده منه، وكان يطيل الجلوس عنده، حتى إنّ رسول الله(ص) كان يبتدئ أباذر إذا حضر، ويتفقده إذا غاب، وكان أكثر أصحاب رسول الله(ص) سؤالاً؛ لهذا فقد روى عن رسول الله(ص) قرابه ۲۸۰ حديثاً، وراح بعض الصحابه يروون عنه، فقد روى عنه ابن عباس، وأنس بن مالك، وحذيفه بن أسيد، وابن عمر، وجبير بن نفير، وأبومسلم الخولانى، وزين بن وهب، وأبو الأسود الدؤلى، وربعى بن جراش، والمعرور بن سويد وغيرهم...

ومما رواه عن رسول الله(ص) عن جبريل، عن الله تبارك وتعالى، أنه قال: «يا عبادى، إنى حرّمتُ الظلم على نفسى، وجعلته بينكم محرماً، فلا تظالموا، يا عبادى، إنكم الذين تخطؤون بالليل والنهار، وأنا الذى أغفر الذنوب ولا أبالى، فاستغفرونى أغفر لكم.

يا عبادى كلكم جائع إلّا من أطعمته، فاستطعمونى اُطعمكم.

يا عبادى كلكم عار إلّا مَن كسوته، فاستكسونى أكسكم.

يا عبادى، لو أنّ أولكم وآخركم، وإنسكم وجنكم، كانوا على أفجر قلب رجل منكم،

لم ينقص ذلک من ملکی شيئاً.

يا عبادی، لو أنّ أولکم وآخرکم، وإنسکم وجنکم، کانوا علی أتقی قلب رجل منکم، لم يزد ذلک فی ملکی شيئاً.

يا عبادی، لو أنّ أولکم وآخرکم، وإنسکم وجنکم، کانوا فی صعيد واحد، فسألونی، فأعطيت کلّ واحد منهم ما سأل، لم ينقص ذلک من ملکی شيئاً، إلاّ کما ينقص البحر أن يُغمس المحيط غمسةً واحدةً.

يا عبادی، إنما هی أعمالکم أحفظها عليکم، فمن وجد خيراً، فليحمد الله، ومن وجد غير ذلک، فلا يلومنّ إلاّ نفسه».(۱)

ومن رواياته أيضاً، قال رسول الله(ص): «يکون فی جهنم عقبه کؤود لايقطعها إلاّ المخفون».

وفی المصافحه والمعانقه سئل أبوذر: هل کان رسول الله(ص) يصافحکم إذا لقيتموه؟

قال: ما لقينی قط إلاّ صافحنی، ولقد جئت مره، فقيل لی: إنّ النبی۹ طلبک، فجئت فاعتنقنی، فکان ذلک أجودَ وأجودَ.

وقال أيضاً: أرسل إلی رسول الله(ص) فی مرضه الذی توفی فيه، فأتيته، فوجدته نائماً، فأکببتُ عليه، فرفع يده فالتزمنی.

ومن الجدير بالذکر أنّ أباذر هو أول من حيّا رسول الله(ص) بتحيه الإسلام.(۲)

دعاء الرسول (ص) له و وصاياه

راحت أدعيه رسول الله(ص) ووصاياه تواکب أباذر، وهو يخطو خطواته فی طريقه اللاحب; فکان۹ کثيراً ما يدعو له حين يراه وفی غيبته، راجياً من الله تعالی تسديده وإعانته علی تجاوز الصعاب والمشاق التی يعلم رسول الله(ص) بأنّ الرجل سيواجهها فی

۱- سير أعلام النبلاء ۲: ۴۸.

۲- مختصر تاريخ دمشق ۲۸: ۲۸۱.

حياته؛ ويظهر من ذلك أنّ ما كان مكلفاً به أمر مهم وخطير وأنّ مسيرته شائكه، وأنّ كلّ ما فعله رضوان الله عليه كان بأمر من رسول الله(ص) ووفقاً لرغبته٩ ورضاه.

يقول: أوصانى حبّى (أى رسول الله) بخمس:... وأن أقول الحقّ ولو كان مرّاً... «وكيف أنت عند ولاه يستأثرون عليك» قلت: (يا رسول الله) أضع سيفى على عاتقى وأضرب حتى ألحقك.

أمرنا رسول الله ألا نغلب على أن نأمر بالمعروف، وننهى عن المنكر، ونعلم الناس السنن.

قال له رسول الله(ص): «يا أباذر، أنت رجل صالح، وسيصيبك بعدى بلاء»

قلت: فى الله؟

قال: «فى الله».

قلت: مرحباً بأمر الله.

فمنذ أول بادره إيمانيه ظهرت على لسان أبى ذر وهى نطقه بالشهادتين... كلّفه رسول الله(ص) بأن يكون داعيةً ومبلغاً لرساله السماء.

بمن تأمرنى يا رسول الله؟

فأجابه(ص) : ترجع إلى قومك حتى يبلغك أمرى...

فهل أنت مبلغ عنى قومك... عسى الله أن ينفعهم بك ويأجرك فيهم؟

وأين؟! إنها دعوه خطيره، فهى لقومه غفار، هذه القبيله التى عرفت بالجاهليه من بين قبائل العرب بقسوتها وشدّتها، وحبّها للغزو، وتفانيها من أجل السطو والنهب الذى كان مصدر عيشها.

نعم بعثه(ص) مبلغاً لمفاهيم السماء وقيمها فى عشيرته، التى كانت مضرب المثل بين قبائل العرب وغيرهم فى السطو وبث الرعب فى قلوب الماره، حتى صار المار بديارهم يحسب ألف حساب قبل أن يخطو خطوه فى طريقه... كانوا يرقبون الحاج بمحاجن لهم؛ وكانوا حلفاء الليل والظلام؛ والويل والويل لمن يسلّمه الليل إلى واحد من قبيله غفار كما يقول خالد

محمد خالد.

فعمليه التغيير التى ألقاها رسول الله(ص) على عاتق هـذا العبـد الصالـح ليست أمراً سـهلًا أبـداً; لهـذا نرى رسول الله(ص) يلاحق أبـاذر فى تحركـاته، ويكثر له من الـدعاء فى أن يسـدّده الله تعالى وأن يثبته؛ وفعلًا اسـتطاع أبوذر وكما تقول مصادر التاريـخ أن يهدى أكثر من نصف قبيلته وبقى النصف الآخر ليعلن إسلامه على يدى رسول الحق(ص).

وكان من أدعيته(ص) التى طالما كررها له:

أللهم أغفر لأبى ذر وتب عليه.

آجرك الله يا أباذر...

أما من وصاياه(ص) الأخرى

فعن أبى ذر: دخلت المسجد فإذا رسول الله(ص) فقال: «يا أباذر ألا أوصيك بوصايا إن أنت حفظتها نفعك اللهُ بها؟

قلت: بلى بأبى أنت وأمّى.

قال: جاور القبور تـذكر بها وعيد الآخره، وزرها بالنهار، ولا تزرها بالليل، واغسل الموتى; فإنّ فى معالجه جسد خاو عظه، وشـيع الجنـائز، فـإنّ ذلـك يحرك القلب ويحزنه، واعلم أنّ أهـل الحزن فى أمن الله، وجـالس أهل البلاء والمساكين، وكُلْ معهم، ومع خادمك، لعلّ الله يرفعك يوم القيامه، والبس الخشن الصّـفيق من الثياب، تذلّلًا لله عزّوجلّ وتواضعاً; لعلّ الفخر والبطر لا يجدان فيـك مساغاً، وتزين أحياناً فى عبـاده الله بزينه حسـنه تعففاً وتكرمـاً، فـإنّ ذلـك لاـ يضـرك إن شاء الله وعسـى أن يحـدث لله شكراً».(۱)

و من أقواله ووصاياه التى تتسم بالحكمه

كانت له أقوال ووصايا تتسم بالحكمه، وتنمّ عن خبره وتجربه، وعن إيمان متجذر فى

۱- مختصر تاريخ دمشق ۲۸: ۲۸۸.

نفسه وقلبه، كما تكشف عن أن الرجل يتمتّع بعقل قويّ وذهن حاد ونفس صلبه وهمّه عاليه؛ كما أنّ هذه الوصايا تبين لنا أنّ أباذر كان مخلصاً صادقاً محبّاً لهذه الأمّه، وراعياً لها، لهذا نراه لم يبخل عليها بشيء، ومن كان سخياً بنفسه وحياته فى سبيلها فهل تراه يبخل عليها بكلماته وأقواله ووصاياه، إن رأى فيها مصلحه لها؟!

قالوا: يا أباذر، إنك امرؤ ما يبقى لك ولد.

فقال: الحمد لله الذى يأخذهم فى الفناء، ويدّخرهم فى دار البقاء.

قالوا: يا أباذر، لو اتخذتَ امرأةً غير هذه؟

قال: لأن أتزوج امرأه تضعنى أحبّ إلىّ من امرأه ترفعنى.

قالوا: لو اتخذت بساطاً ألين من هذا؟

قال: أللهم غفراً، خذ مما خوّلت ما بدا لك.

بعث حبيب بن مسلمه إلى أبى ذر وهو بالشام ثلاثمائه دينار، وقال: استعن بها على حاجتك، فقال أبوذر: ارجع بها اليه، فما أحد أغنى بالله منا، لنا ظل نتوارى به، وثله من غنم تروح عليها، ومولاه لنا تصدقت علينا بخدمتها، ثم إنى لأتخوف الفضل.

إنّ لك فى مالك شريكين: الحدثان (الليل والنهار) والوارث، فإن استطعت ألّا تكون أبخس الشركاء حظاً فافعل.

وشتمه رجل: فقال له: يا هذا، لا تُغرق فى شتمنا، ودع للصلح موضعاً، فإنا لا نكافئ من عصى الله فينا بأكثر من أن نطيع الله فيه.

إنى لأقربكم مجلساً من رسول الله(ص) يوم القيامه، إنى سمعت رسول الله(ص) يقول: «إن أقربكم منى مجلساً يوم القيامه من خرج من الدنيا بهيئه ما تركته فيها» وإنه والله ما منكم أحد إلّا وقد تشبث منها بشىء.

وقال رسول الله(ص): والذى بعثك بالحق لالقيتك إلّا على الذى فارقتك عليه.

كان قوتى على عهد رسول الله(ص) فى كلّ جمعه صاعاً، فلست بزائد عليه حتى

ألقاه.

دخل شباب من قريش على أبى ذر ممّن يريدون إيذاءَه فقالوا له: فضحتنا بالدنيا، وأغضبوه، فقال: ما لى وللدنيا، وإنما يكفنى صاع من طعام فى كلّ جمعه، وشربه من ماء فى كلّ يوم.

إلى غير ذلك من الوصايا النافعه والأقوال الحكيمه..

مواكبه رسول الله(ص) له

حقّاً لقد تربى هذا الصحابى الجليل فى بيت النبوه فنهل من أخلاقها، وتأدب

بآدابها; وكان رسول الله(ص) يواكبه، فإن وجد فيه ما يشين نبهه عليه، وإن وجد فيه

خيراً ثبته عليه، وكان أبوذر طوع بنان رسول الله(ص) منقاداً له أيما انقياد، ويسمع منه ويقتدى به.

يقول ابن سويد: نزلنا الربذه، فإذا رجل عليه برد، وعلى غلامه برد مثله، فقلنا له: لو أخذت بردَ غلامك هذا فضممته إلى بردك هذا فلبسته كانا حُلّةً (الحله عند العرب ثوبان، ولا تطلق على ثوب واحد)، واشتريتَ لغلامك برداً غيره.

قال: إنى سأحدثكم عن ذلك: كان بينى وبين صاحب لى كلام، وكانت اُمّه أعجميه، فنلتُ منها، فأتى النبىّ(ص) ليعذره منى، (يقال: من يعذرنى من فلان؟ أى من يقوم بعذرى إن أنا جازيته بسوء صنيعه).

فقال لى رسول الله(ص): «ياأباذر، سابتَ فلاناً؟» فقلت: نعم، قال: «فذكرتَ اُمّه؟» فقلت: من سابَّ الرجال ذُكِرَ أبوه وأمُه، فقال لى: «إنك امرؤ فيك جاهليه» قلت: على حال ساعتى من الكِبر؟ قال: «على حال ساعتك من الكبر، إنهم إخوانكم جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه من طعامه، وليلبسه من لباسه، ولا يكلفه ما يغلبه».

سمع رسول الله(ص) أباذر يقول حِدثانَ إسلامه لابن عمّه: يا بن الأمه، فقال له۹: «ما ذهبت عنك أعرابيتُك بعد».

هكذا كان۹ يواكب أصحابه المخلصين ويسدّدهم ويقوّمهم; ويقتلع ما فيهم من آثار الجاهليّه، وما تركته بيئتهم فى نفوسهم، والإنسان ابن بيئته، ليبدلها بأخلاق إسلاميه، وآداب قرآنيه، بعيده عن حالات التعصب التى طالما كان يقول عنها: دعوها فإنّها نتنه، دعوها فإنّها نتنه.

كرمه

عرف عنه أنه كان كريماً، كثير الإحسان، رغم فقره وضعفه، وقله ما فى يده، ولم يترك بعد وفاته شيئاً فى بيته، حتى أنه لم يجدوا عنده ما يكفن به.

فمن كرمه:

دفع رسول الله(ص) إلى أبى ذر غلاماً، فقال: «يا أباذر، أطعمه ممّا تأكل، واكسُه مما تلبس».

فلم يكن عنده غير ثوب واحد، فجعله نصفين، فراح إلى رسول الله(ص) فقال: «ما شأن ثوبك يا أباذر؟».

فقال:إنّ الفتى الذى دفعته إلىّ أمرتنى أن أطعمه مما آكل، وأكسوه مما ألبس، وإنه لم يكن معى إلاّ هذا الثوب فناصفته.

فقال رسول الله(ص): «أحسن إليه يا أباذر».

فانطلق أبوذر فأعتقه.

فسأله رسول الله(ص): «مافعل فتاكَ؟».

قال: ليس لى فتى، قد أعتقته.

قال (ص): «آجَركَ الله يا أباذر».

يقول عطاء بن مروان: رأيت أباذر فى نمره (شمله فيها خطوط بيض وسود، وبرده من صوف يلبسها الأعراب) مؤتزراً بها، قائماً يصلى، فقلت: يا أباذر، مالك ثوب غير هذه النمره؟ قال: لو كان لى لرأيته علىّ، قلتُ: فإنى رأيت عليك منذ أيام ثوبين، فقال: يا بن

أخی، أعطیتهما من هو أحوج منی إلیهما، قلت: والله إنک لمحتاج إلیهما، قال: أللهم غفراً، إنک لمعظم للدنیا، ألیس تری علیّ هذه البرده؟ ولی أخری للمسجد، ولی أعنز نحلبها، ولی أحمره نحتمل علیها میرتنا، وعندنا من یخدمنا ویکفینا مهنه طعامنا، فأی نعمه أفضل مما نحن فیه؟.(۱)

مواقفه

الذی لا یهاب الموت لا یهاب ما دونه; لهذا نری أباذرٍّ لا یخشی بأسهم، ولا یخاف طغیانهم، ولا یکترث بظلمهم، ولا یأبه بتهدیهم وإنذارهم ووعیدهم... إنّه کان یخشی فقط وعید السماء وإنذارها.

بایعنی رسول الله(ص) خمساً، وواثقنی سبعاً، وأشهد علیَّ تسعاً ألا أخاف فی الله لومه لائم، وفی قول آخر له۹: «هل لک إلی بیعه ولک الجنه»؟

قلت: نعم، وبسطت یدی فقال رسول الله(ص) وهو یشترط علیَّ: «أن لا تسأل الناس شیئاً» قلت: نعم، قال: «ولاسوطک إن سقط منک حتی تنزل إلیه فتأخذه».(۲)

فکان هذا عهده وهو الوفی به، وکانت تلک صرخاته المتتالیه ضد الظالمین والمترفین، عناقیدَ غضب تنهال علی رؤوسهم، وکان لسانه سیفاً صارماً یکشف زیفهم، ویعری مواقفهم وادعاءاتهم...

کانت کلّ أمنیاته أن یحذف ویلغی کلّ انحراف من حیاه هذه الأمه، فهو یخشی إن بقی هذا الانحراف أن یتجذر، ویصبح وکأنه هو الصحیح وغیره خطأ، وکان یخشی علی هذه الأمه أن تذهب بعیداً عمّا بناه رسول الله(ص) وارتأته السماء؛ لهذا ولغیره تصدی أبوذر، وتحمل عواقب هذا التصدی.

کانت له مواقف عدیده شهد بها التاریخ ومؤرخوه تتسم بالقوه والشدّه، صبت کلّها ضد حکام عصره، والأغنیاء، وثرواتهم بغیر حقّ... فکانت دروساً قیمه للأجیال فی مقارعتها

۱- طبقات ابن سعد ۴: ۲۳۵.

۲- مختصر تاریخ دمشق ۲۸: ۲۹۳ ۳۹۴.

للظلم والظالمين، والترف والمترفين، وراحت مواقفه الجريئه هذه أنشودةً لا يتخلى عن إنشادها المناضـلون، ولا يعزف عن التغنى بها المجاهدون، وراح يترسـمها الأحرار فى كلّ مكان وزمان، وقد سـببت له ابتلاءات كثيره كان يسـتعذبها، لأنها فى الله ولله، «يا أباذر، أنت رجل صالح، وسيصيبك بعدى بلاء»، قلتُ: فى الله؟ قال (ص): «فى الله»، قلت: مرحباً بأمر الله.

كانت كلمات رسول الله تلاحقه، وكان هو الآخر يستحضرها فى كلّ خطواته وأقواله، أمرنا رسول الله(ص) ألا نغلب على أن نأمر بالمعروف، وننهى عن المنكر، ونعلم الناس السنن.

وكان فى جهاده هـذا يسـتوحى كلّ مواقفه وكلماته من السـماء ورسولها، ولا يغيّر ولا يبدل: والله، ما كذبتُ على رسول الله(ص) ولا أخذت إلّا عنه، وعن كتاب الله عزّوجلّ.

والله إنى لعلى العهد الذى فارقتُ عليه رسول الله(ص)، ما غيرتُ، ولا بدلتُ.

لقد بايعت رسول الله على أن لا تأخذنى فى الله لومه لائم.

قصد أبوذر الشام واسـتقرّ بدمشق حيث الثروه المبدّده، والإسـراف الفاحش، والدنيا الفارهه، وحيث الترف والمترفين، إلى جانب ذلك كلّه وجـد الفقر المدقع والحاجه القاتله، فأعلنها مدويةً صـرخةً ضد الأغنياء ليبروا الفقراء، ثورةً ضد الطغاه لينصـفوا الرعيه؛ كان صوتاً عالياً ضد أصحاب الأموال؛ ليمدوا يد العون لإخوانهم.

كانت بحقّ ثورةً كبرى ضد الطبقيه القاتله التى تنخر بالمجتمع المسلم، وتهدّد كيانه وتطيح بقيمه ومبادئه.

يقول الدكتور الجميلى:

لقـد كـان يرى أنّ المال فتنه تثير الغفله والريبه والشـبهات حول أولى الأمر، هـذا رأيه، وهـذا فهمه، وتلك طبيعته المفطوره على الطهر، والنقاء، والنظافه، والتنزه عن مجرّد الارتياب.

كان يشتدّ به الضيق عندما يرى اُمراء المؤمنين يتمرغون فى القصور، ومن ورائهم يرى الجياع المتربين ذوى الخصاصه، يتضورون متهالكين، فكان دائماً يردّد قوله تعالى:

(وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلا يُنْفِقُونَها فِى سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذابٍ أَلِيمٍ * يَوْمَ

يُحمى عَلَيْها فِي نارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوى بِها جِباهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هذا ما كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا ما كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ).(۱)

حمل رداءَه، واشتمل بردته، وسار إلى بلاد الشام حيث ثمّ معاويه ابن أبى سفيان يقطن ويستمتع بالخصوبه والفىء والمروج الخضر، حيث الثروات والقصور المنيفه والضيع الوارفه الظلال، ولم يسكت على الثوره الضاربه فى داخل كيانه، لكنها انطلقت على لسانه، فصرخ فى الناس.

«عجبتُ لمن لا يجد القوت فى بيته، كيف لا يخرج على الناس شاهراً سيفه».

فإنّ أمير القوم أول من يجوع إذا جاعوا، وآخر من يشبع إذا شبعوا.

كان يأتى معاويه فى عقر داره فى مجلسه، ويعلنها واضحهً لا لبس فيها: خياركم أزهدكم فى الدنيا، وأرغبكم فى الآخره، وشراركم أرغبكم فى الدنيا وأزهدكم فى الآخره.

كانت معارضه أبى ذر معارضه قويه، يُخشى بأسها، ويعمل حسابها; لأنها صادره من نفس أبيه عاليه، وهمه شامخه، شايعها كثير من صحابه رسول الله(ص) والتفوا حولها.(۲)

سحب أبوذر فضل ردائه قائلاً: «لا حاجه لى فى دنياكم» قال ذلك بعدما استدعاه الخليفه الثالث من دمشق، تلبيه لطلب معاويه حيث كتب لعثمان: إن كان لك بالشام حاجه فأرسل إلى أبى ذر.

فكتب إليه عثمان يأمره بالقدوم عليه، وبعدما سمع قول عثمان له: «ابق معى هنا بجانبى، تغدو عليك اللقاح وتروح».

فكان جوابه رضوان الله عليه:

نعم «لا حاجه لى فى دنياكم».

«لا حاجه لى فى ذلك تكفى أباذر صُريمتُه.. دونكم معاشر قريش دنياكم فاخذوها ودعونا وربّنا.. لم تكن هذه كلمات فقط، وإنّما كانت مواقف هزّت كيان الظالمين، وأرست قواعد للإيمان الصحيح، والمواقف المبدئيه الصلبه.

۱- التوبه: ۳۴ ۳۵.

۲- صحابه النبى (ص) ، للدكتور الجميلى: ۲۵۲.

و من تلک المواقف

کان أبوذر أشدَّ الصحابه غضباً علی ما فعله الخلیفه الثالث، حین ولی الخلافه، فقد قام بتوزیع کثیر من أموال بیت المال علی من یرغب، وهو عطاء غیر مسؤول، فقد أعطی مروان ابن الحکم ما أعطاه، وأعطی الحارث ابن الحکم ثلاثمائه ألف درهم، وأعطی زید بن ثابت مائه ألف درهم.

فوقف أبوذر موقفاً ملیئاً بالقوه والشدّه والغضب، وراح یتلو قوله تعالی: (وَالَّذِینَ یَکْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّهَ وَلا یُنْفِقُونَها فِی سَبِیلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذابٍ أَلِیمٍ).

وجرت محاورات کانت فی بعض جوانبها تتسم بالجرأه، وأثبت له خطأ تصرفاته، وأنها بعیده عن الشرع فی الوقت الذی راح کثیر من الصحابه وقد ملئت قلوبهم غیظاً وضیقاً علی أفعال الخلیفه یمیلون إلی تأیید أبوذر فی مساعیه وجهوده، من أجل إیقاف هذا الانحراف أو الحد منه، وبدلاً من أن یتعظ الخلیفه بذلک، أخذته العزّه بنفسه مؤیداً من قبل المستفیدین، فقد أصدر أمره بإبعاد الصحابی الجلیل أبوذر عن المدینه إلی الشام، وکان ذلک سنه تسع وعشرین للهجره، وفعلاً التحق أبوذر بالشام، وهناک راح ینکر علی معاویه اُموراً کثیره وانحرافات خطیره، فما کان من معاویه إلاّ أن یرسل له ثلاثمائه دینار کی یستمیله إلی جانبه، أو علی الأقل یخرس صوته.

فقال له أبوذر: إن کان من عطائی الذی حرمتمونیه عامی هذا قبلتها، وإن کانت صله فلا حاجه لی فیها.

ولما رأی قصر الخضراء الذی بناه معاویه بدمشق، لم یلذ أبوذر بالسکوت، بل أعلنها واضحه جلیه أمام معاویه: یا معاویه! إن کانت هذه الدار من مال الله فهی الخیانه، وإن کانت من مالک فهذا الإسراف.

فلم یحر معاویه جواباً، بل لاذ بالسکوت منتظراً نزول الظلام، فبعث إلیه بألف دینار؛ فما کان من أبی ذر إلاّ أن أنفقها فی سبیل الله.

ولما صلی معاویه صلاه الصبح، دعا رسوله، فقال: اذهب إلی أبی ذر فقل: أنقذ جسدی

من عذاب معاويه، فإنی أخطأتُ.

قال: يا بنی، قل له: يقول لک أبوذر: والله ما أصبح عندنا منه دينار، ولكن انظرنا ثلاثاً حتی نجمع لک دنانيرک.

فلما رأی معاويه أنّ قوله صدّق فعلَه; كتب إلی عثمان: أما بعد; فإن كان لک بالشام حاجه أو بأهله، فابعث إلی أبی ذر فإنه وغّل صدور الناس.(۱)

فما كان من عثمان إلاّ أن كتب إلی معاويه: أما بعد، فاحمل جندباً علی أغلظ مركب وأوعره.

فوجه معاويه مَن سار به الليل والنهار.(۲) وكان ذلک سنه ثلاثين بعد أن قضی سنه فی دمشق، وأما فی تاريخ اليعقوبی: فكتب إليه أن احمله علی قتب بغير وطاء، فقدم به إلی المدينه وقد ذهب لحم فخذيه.

أما فی مروج الذهب: فحمله علی بعير عليه قتب يابس، معه خمسه من الصقالبه يطيرون به حتی أتوا به المدينه وقد تسلّخت أفخاذه وكاد أن يتلف.

ومع كلّ ذلک لم يترک أبوذر جهاده وصرخته بالحق والعدل ضد كلّ ظلم وانحراف وتعدی; فلما قدم أبوذر المدينه جعل يقول مخاطباً الخليفه: تستعمل الصبيان، وتحمی الحمر، وتقرب أولاد الطلقاء; فما كان من الخليفه إلاّ أن سيره إلی الربذه.(۳)

المقاطعه

وخلال فتره مناهضته للحكام وللأغنياء الذين استحوذوا علی الأموال بغير حقّ، وقبل نفيه إلی الربذه لإبعاده عن الأمه، تعرّض الرجل الجليل المسنّ إلی مضايقات كثيره وأذی عظيم، فإضافهً إلی منعهم عطاءَه من بيت المال منع الناس من الاتصال به، وحضور مجالسه

۱- سير أعلام النبلاء ۲: ۵۰.

۲- أنساب الاشراف ۵ : ترجمه عثمان.

۳- المصدر نفسه.

وحلقات دروسه، فقد كانت لأبى ذر حلقات للتفسير والحديث والفتيا، وكان الناس يحتوشونه، بعض يطلب تفسير آيه، وبعض يستفتيه، وآخر يقول له: حدّثنا عن رسول الله(ص) فكانت هذه الحاله وهى كثره الذين يستفتونه، ويأخذون العلم منه، تلقى فى قلوب بعضهم الخشيه منه، حتى منعه بعض أمراء عصره من ذلك، ولكى لا يتصل به أحد فيتأثر بآرائه، راحوا يلاحقون مجالسه، ويحظرون الاستماع إليه.

يقول أبو كثير: حدّثنى أبى قال: أتيت أباذر وهو جالس عند الجمره الوسطى، وقد اجتمع الناس عليه يستفتونه، فأتاه رجل، فوقف عليه، فقال: أَلم ينهكَ أميرالمؤمنين عن الفتيا؟ فرفع رأسه إليه ثم قال: أرقيب أنت علىَّ؟!

لو وضعتم الصمصامه (السيف القاطع) على هذه وأشار بيده إلى قفاه ثمّ ظننتُ أن أُنفذ كلمهً سمعتها من رسول الله(ص) قبل أن تجيزوا علىّ لأنفذتها.

وفى روايه أنّ رجلًا أتى أباذر فقال:

إنّ المصدقين يعنى جباه الصدقه ازدادوا علينا، فنغيّب عنهم بقدر ما ازدادوا علينا؟

قال: لا، قف مالك عليهم فقل: ما كان لكم من حقّ فخذوه، وما كان باطلًا فذروه، فما تعدّوا عليك جعل فى ميزانك يوم القيامه.

وكان على رأسه فتى من قريش، فقال: أما نهاك أميرالمؤمنين عن الفتوى؟

فرفع رأسه إليه ثم قال له: أرقيب أنت علىّ؟! لو وضعتم الصمصامه.

يقول الأحنف بن قيس: أتيتُ المدينه، ثم أتيتُ الشام، فجمّعتُ (أى شهدت الجمعه) فإذا أنا برجل لا ينتهى إلى ساريه إلاّ فرّ أهلها، يصلّى ويُخفُّ صلاته، فجلستُ إليه، قال: قم عنى لا أغرُّك بشرٍّ، فقلت: كيف تغرُّنى بشرٍّ؟ قال: إنّ هذا يعنى معاويه نادى مناديه أن لا يجالسنى أحدٌ.

وفى روايه أخرى له: كنتُ جالساً فى حلقه بمسجد المدينه، فأقبل رجل لا تراه حلقه إلاّ فروا حتى انتهى إلى الحلقه التى كنت فيها، ففروا، وثبتُ، فقلت: من أنت؟ فقال: أنا أبوذر صاحب رسول الله(ص)، قلت: فما يُفِرّ الناس منك؟

قال: إنى أنهاهم عن الكنوز، قلت: فإن أعطيّتنا قد بلغت وارتفعت، أفتخاف علينا منها؟ قال: أما اليوم فلا، ولكن يوشك أن يكون أثمان دينكم، فإذا كان أثمان دينكم فدعوهم وإياها.

وكل هذا وغيره لم يثنه عن عزمه، وعن الوفاء بعهده الذى عاهد عليه رسول الله (ص) وراح يواصل ثورته وكفاحه ضد كنز المال، بعد أن رأى أنه عصب خطير وعظيم فى حياه الناس; لهذا فقد راح ينادى أن للفقراء حقّاً فى مال الأغنياء، وأنه نصير للفقراء، فاجتمع حوله الكثيرون، وناوأه آخرون ممن كان هواهم جمع المال.

يقول الأحنف بن قيس كما فى سير أعلام النبلاء:(١)

قدمت المدينه، فبينما أنا فى حلقه فيها مَلأ من قريش، إذ جاء رجل أخشن الثياب، أخشن الجسد، أخشن الوجه، فقام عليهم، فقال: بشّر الكنازين برَضْف (الحجاره المحماه) يُحمى عليهم فى نار جهنم.

قال: فوضع القوم رؤوسهم، فما رأيت أحداً منهم رجع إليه شيئاً، (أى أجابه بشيىء) فأدبر، فتبعته حتى جلس إلى ساريه، فقلت: ما رأيت هؤلاء إلاّ كرهوا ما قلت لهم، فقال: إنّ هؤلاء لا يعقلون شيئاً، إنّ خليلى أبا القاسم دعانى، فقال: «يا أباذر» فأجبته، فقال: «ترى أُحداً» فنظرت ما عليه من الشمس، وأنا أظنه يبعث بى فى حاجه له، فقلت: أراه، فقال: «ما يسرنى أن لى مثله ذهباً أُنفقه كلّه إلاّ ثلاثه دنانير».

ثمّ هؤلاء يجمعون للدنيا، لا يعقلون شيئاً! فقلت: ما لك ولإخوانك من قريش، لا تعتريهم، وتصيب منهم؟

قال: لا وربِّك ما أسألهم دنيا، ولا أستفتيهم عن دين حتى ألحق بالله ورسوله.

إضافةً إلى كلّ ذلك فإنه لم ينجو من الاتهامات الأخرى، التى اعتاد الحكام على ملء وسائل إعلامهم بها ضد من يخالفهم، فقد اتهموه بأنه من الخوارج ومثير الفتن حتى اضطرته هذه الأمور أحياناً إلى التصدى لها وتفنيدها فى مجالسهم، فقد دخل يوماً على

١- سير أعلام النبلاء ٢: ٦۴.

عثمان، وهو فی مجلسه یحیطه جمع، فقال له وقد حَسَر عن رأسه: والله ما أنا منهم... یرید الخوارج ومثیری الفتن.

وکیف یکون من هؤلاء، وهو الصادق القائل لرسول الله(ص) : والذی بعثک بالحق لالقیتک إلّا علی الذی فارقتک علیه.

خرج من مجلس الخلافه قاصداً الربذه، وهو یقول: للخلیفه الذی قال له: نأمر لک بنعم من نعم الصدقه، تغدو علیک وتروح لا حاجه لی فی ذلک، تکفی أباذر صریمته؛ ثم راح یخاطبهم: دونکم معاشر قریش دنیاکم فأخذِموها، ودعونا وربّنا.

المنفی الأخیر «الزبده»

لقد کان الصراع الذی خاضه أبوذر طیله عمره الشریف ضد الحکام واستئثارهم، وضد ثروتهم المتزایده، بعیداً عن المبادئ والقیم وحاجه الناس وعوزهم؛ لابدّ أن ینتهی إلی إبعاده عن الساحه علی أقل التقادیر وهذا ما جری بالفعل.

وخیر ما یصور لنا جهاد الرجل، وإخلاصه، ومناوأته للظالمین، نهج البلاغه.

یقول الإمام علی (ع) وهو یودعه: «یا أبا ذرٍّ، إنّک غضبتَ لله، فارجُ من غضبتَ له؛ إنّ القوم خافوک علی دنیاهم، وخفتهم علی دینک، فاترک فی أیدیهم ما خافوک علیه، واهرب منهم بما خفتهم علیه، فما أحوجهم إلی ما منعتهم، وما أغناک عمّا منعوک! وستعلم من الرابح غداً، والأکثر حُسَّداً؛ ولو أنّ السماوات والأرضین کانتا علی عبد رتقاً، ثمّ اتقی الله; لجعل الله منهما مخرجاً! لا یؤنسنّک إلّا الحقّ، ولا یوحشنّک إلّا الباطل، فلو قبلتَ دنیاهم لأحبوک، ولو قرضت منها لأمنوکَ».(۱)

اشتد مرضه الذی ألمّ به، وانتابه ضعف شدید جعله یجود بنفسه وحیداً فی غربه قاتله، وقد فقد المعین، وغاب عنه الناصر إلّا ابنته، وعلی روایه زوجته، وماذا تستطیع البنت أن تقدم لأبیها، وهو یصارع سکرات الموت؟!

۱– نهج البلاغه، صبحی الصالح: ۱۸۸.

رمقها بنظره فرآها تبكى، عرف معنى بكائها، فقال لها: ما يبكيك؟

قالت: مالى لا أبكى وأنت تموت بفلاه من الأرض، ولا يـدان لى بتغييبك وليس عنـدى ثوب يسـعك كفناً لى ولا لك؟! ولابدّ منه لنعشك، قال: فأبشرى ولا تبكى، إنى سمعت حبيبى رسول الله(ص) يقول: «لا يموت بين امرأين من مسلمين ولدان أو ثلاثه فيصبرا ويحتسبا، فيريان النار أبداً».

وإنى سمعت رسول الله(ص) يقول لنفر وأنا فيهم: «ليموتنّ رجل منكم بفلاه من الأرض، يشهده عصابه من المؤمنين».

ثم أردف قائلًا: وليس من أولئك النفر أحـد إلّا مات فى قريه أو بجماعه; فأنا ذلك الرجل، والله ما كذبت ولا كذبت، فأبصـرى الطريق.

فقالت: أنى وقد ذهب الحاج وتقطعت الطرق؟!

فقال: اِذهبى وتبصرى.

وطلب منهـا أن تعلو مرتفعاً من الجبل تؤشـر للماره; كى يحضـر بعضـهم إليه ساعه الوفاه، فكانت تشـدّ إلى كثيب، ثمّ ترجع إلى أبى ذر المحتضر.

فبينمـا همـا على هـذه الحـاله، وإذا برجـال كـأنهم الرخم تجـدّ بهم رواحلهم; ورأوا هـذه المضـطربه تلـوّى بطرف ردائهـا إليهم، فأسرعوا إليها حتى وقفوا عليها وهى تنادى:

يا عباد الله المسلمين، يا عباد الله الصالحين.

سألوها ما بك؟ وما تريدين؟

هذا أبوذر صاحب رسول الله(ص) هلك غريباً، ليس لى أحد يعيننى عليه!

صاحب رسول الله(ص)؟

نعم

فنظر بعضهم بعضاً، وحدّوا الله على ما ساق إليهم واسترجعوا وقالوا: فداؤه آباؤنا وأمهاتنا.

أسرع إليه القوم، وفيهم مالك الأشتر بن الحارث النخعى، وأسرعوا حتى دخلوا عليه.

فقال أبوذر لهم: ابشروا فإنی سمعت رسول الله(ص) یقول لنفر وأنا فیهم: «لیموتنّ رجل منکم بفلاه من الأرض تشهده عصابه من المؤمنین» ما من أولئک النفر رجل إلاّ وقد هلک فی قریه أو جماعه، والله ما کذبت ولا کذبت، أنتم تسمعون أنه لو کان عندی ثوب یسعنی کفناً لی أو لامرأتی، لم أکفن إلاّ فی ثوب لی أو لها.

إنی أنشدکم الله، إنی أنشدکم الله، أن لا یکفننی رجلٌ منکم کان أمیراً أو عریفاً أو بریداً أو نقیباً، ولیس من أولئک النفر إلاّ وقد قارف ما قال، إلاّ فتی من الأنصار فقال: (أنا أکفنک یا عم، أکفنک بردائی هذا أو فی ثوبین فی عیبتی من غزل أمی) قال أبوذر: (أنت تکفننی) ثم قال: (بسم الله وبالله وعلی مله رسول الله(ص) ولفظ نفسه الأخیر).

وهکذا انطفأ هذا المصباح، وضاع هذا الصوت، ومات هذا البطل المجاهد العظیم؛ استرجع القوم علی عظم المصیبه، وبکوا ثم شرعوا فی تجهیزه، وتنافسوا فی کفنه.(۱)

حتی خرج من بینهم بالسواء، وتولی غسله مالک الأشتر، وصحبه حتی فرغوا، ولفّه مالک الأشتر فی برد یمانی کان قیمته ۴۰۰۰ درهم وصلی علیه، ودفنوه علی قارعه الطریق؛ ثم مسح الأشتر القبر بیده وقام علیه وقال:

(أللهم هذا أبوذر صاحب رسول الله(ص) عبدک فی العابدین، وجاهد فیک المشرکین، لم یغیّر ولم یبدل، لکنه رأی منکراً، فغیّره بلسانه وقلبه، حتی جفی، ونفی، وحرم، واحتقر؛ ثم مات وحیداً غریباً...) إلی آخر ما قاله.(۲)

وکانت وفاته فی آخر ذی القعده الحرام، سنه إحدی وثلاثین بعد الهجره.(۳)

أما ابنته، أو زوجته علی روایه، فقد حملها القوم معهم إلی المدینه، وسلّمها مالک الأشتر إلی الإمام علی ابن أبی طالب (ع) معزّزهً مکرّمهً محترمهً إلی ما شاء الله.(۴)

۱- تنقیح المقال فی علم الرجال ۲: ۴۹ باب المیم فی ترجمه مالک الأشتر.

۲- المستدرک، للحاکم النیسابوری ۳: ۳۴۵.

۳- أنساب الأشراف، للبلاذری ۵: ۵۶.

۴- معالم الزلفی: ۱۰۶، سیر أعلام النبلاء ۲: ۴۷ ۴۸.

وأنهى أبوذر فى سنه ۳۲ ه ، حياهً جليلهً وعظيمهً، كانت كلّ مفاصلها فى عين الله تعالى; ليجد نداء الحقّ أمامه:

(أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّهُ أُورِثْتُمُوها بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ)

فـدفن رضوان الله عليه فى مكـان على قارعه الطريق فى الربـذه، وهى من قرى المـدينه على ثلاثه أيام، قريبه من ذات عرق، على طريق الحجاز إذا رحلت من فيد تريد مكه.(۱)

وقد حفرت عندها آبار وقناه، وأشهر آبارها (بئر الوسيط) راح أهالى القرى المجاوره والقوافل يرتوون من مائها العذب، وغرست بجوارها أشجار النخل والرمان وغيرهما، وتعرف اليوم باسم قريه واسطه تقع عند الكيلومتر ۱۲۶ للذاهب من المدينه إلى جده أو مكه المكرمه على حافه الطريق المبلط بالأسفلت بانحراف قليل عن الجاده القديمه، تقع مدرستها الابتدائيه ومركز شرطتها وبيوت القريه وبساتينها على جانب الطريق الأيسر، لها سوق وبساتين ومزارع أنشئت مع امتداد الطريق، وتسقى من قناه تسمى ب (سُقيا الوسيط) ويمرّ أغلب الحجاج بهذه الناحيه، ولا يعرفون عنها شيئاً.(۲)

«رحم الله أبا ذر، يحشر وحده، ويموت وحده، ويبعث وحده».

هـذا مـا قـاله رسول الله(ص) حينمـا رآه، وقـد أبطـأ بعيره فى غزوه تبوك، فحمل متاعه على ظهره، وتبع أثر الرسول (ص) ماشياً حتى لحق به.

فسلام عليك يا أباذر فى الخالدين.

۱- معجم البلدان ۳: ۲۴.

۲- أبوذر فى سطور، محمد رضا: ۱۹ بتصرف.

(۱۱) أبو أيّوب الأنصاری

اشاره

(رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَاهَدُواْ اللَّهَ عَلَيْهِ)

حسن الحاج

تلک هی مدرسه مبارکه، أصلُها ثابت وفرعُها فی السماء لا یضرّها من کبا، ولا یعکر صفوها من ولّی وجهه بعیداً عنها، وکیف یکدر مسیرتها من شطط، ویضعف کیانها من جفا، وها هو رسول الله(ص) قائم علیها، یؤسس بنیانها علی تقوی من الله ورضوان، یمدّها بعطائه الذی لا ینضب، وبخلقه الذی لا یحد ولا یتوقف، وبعلمه الذی لا یبور؟!

فکان منهم الصادقون حقّاً، وکان منهم الصالحون، وکان منهم الشهداء، وهکذا ظلّت شجرتها خضراء مورقه معطاء بفضل دمائهم وجهودهم ومواقفهم، رغم ما تعرّضت له من کید وتآمر، وما توغّل فی صفوفها من نفاق، وما حیک حولها من اتهامات، وأثیر علیها من شبهات.

فالصحابه والصحبه مدرسه قلّ نظیرها، وفقد شبیهها فی التاریخ، إنّهم طلیعه آمنوا بربّهم فزادهم الله هدًی; لهذا لا تجد مثیلاً لهم فی حیاتنا قدیماً وحدیثاً إلّا من رحم ربّی،

نخبه صالحه تفرّدت بصفات وخصائص، راحت تتمّناها الأجيال المؤمنه، وتتحلّى بها، وهى تكدح متمنّيه رضوان الله وجنانه.

إنّ من يقرأ حياتهم مهاجرين وأنصاراً، يضع يده على مزايا عاليه، وأخلاق رفيعه، ومناقب راقيه، وبساله وجهاد، تحلى بكلّ هذا وبغيره من قيم السماء جمعٌ كثير منهم، حتّى إنک تجد وكأنّ بعضاً منهم اصطفته السماء، واصطنعته يدُ الغيب لمهام رساليّه، وليبقى نموذجاً فذّاً، ومثالاً يتحذّى، وحجّهً على غيره ممّن عاصروه والذى جاؤوا من بعدهم،.. (وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهاجِرِينَ وَالْأَنْصارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسانٍ رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا الْأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها أَبَداً ذلِکَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ).

لقد حظيت هذه الشريحه من الصحابه، بنصيب وافر من رعايه الرسول الكريم۹ واهتمامه، وهديه، وتربيته، وتعليمه، فراحت تستوعب كلّ ذلک بوعى ورغبه، وتمثّلت ما اكتسبته من رسول الله(ص) أسلوباً عملياً، ومواقف صلبه لم تهن، ولم تنكل، ولم تنقلب، ولم تغيّر، ولم تبدّل، ولم تحد عن منهجه، ولم تتجاوز خطاه، ظلّت مستقيمه على مبادئها، وفيّه لقيمها، حتّى غدت أمّهً رساليّه، فحملت أعباءً عظيمه، ومخاطر جسيمه.

والأنصار هؤلاء: (وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولئِکَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا)، (يُحِبُّونَ مَنْ هاجَرَ إِلَيْهِمْ).

وروى عن رسول الله(ص) : «لولا الهجره لكنتُ امرأً من الأنصار»؛ وهذا الصحابىّ الجليل واحد منهم.

فهو خالد بن زيد بن كليب بن ثعلبه بن عبد بن عمرو بن عوف بن غنم بن مالک بن النجّار بن ثعلبه بن الخزرج، المعروف ب: «أبو أيّوب الأنصارى الخزرجى المالكى»

من أشراف الأنصار وساداتهم؛ صحابى جليل آخى رسول الله(ص) بينه وبين مصعب بن عمير.

مضيف رسول الله(ص)، بهذا عرف هذا الصحابى الجليل، فقد أكرمه الله تعالى بكرامه أعلت فى الدنيا قدره، حين اختار بيته من دون البيوت; ليحلّ فيه رسول الله(ص) حين هاجر

من مكّه، ورحل(ص) من قباء إلى المدينه، فبعد أن اقتربت قافلته(ص) من تخوم هذه البلده الطيّبه، وطأت قدماه الشريفتان أرض المـدينه مهاجراً، وراحت تحييه بـدءاً بسـعيفات نخلها التى اسـتقبلته بظلالها الوارفه، ومروراً بقلوب أهلها التى راحت هى الاُخرى تسـتقبله بأفضل ما يتلقّى به مقبلٌ، وتطلّعت عيونهم إليه، وفتحت له أفئـدتهم... وانتهاءاً ببيوتها التى أشـرعت أبوابها.. وحسب هذا الأنصارى بذلك فخراً وشرفاً وكرامه.

دعوها إنّها مأموره!

فقـد راح رسول الله(ص) يصوّب نـاظريه إلى حيث المكـان الـذى عيّنته السـماء لتبليغ دعوتهـا، وحمل رسالتها إلى الناس كافّه... فشـدّ(ص) رحـاله عبر صـحراء محرقه ملتهبه، وريـاح مغبره تلفـح وجهه الشـريف... وعبر هضاب صـعبه وصـخور صـمّاء ووديان جافّه... حتّى اقتربت قافلته(ص) من تخوم يثرب... إنّها معاناه شاقّه وتعب مرير..

علت وجهه المبارك ابتسامه، وهو يلمـح معالم هذه البلده الطيّبه، وسـرعان ما ينظر خلفه، حيث مدينته التى ولد ونشأ بين هضابها وجبالها ولصق بها، وتعلّق قلبه بحبّها، يودّعها بدموع منهمره وفؤاد حزين...

هـاهى يثرب، وها هو النور قـد قـدم، وها هى الجموع عنـد ثنيّات الوداع، وقـد أحاطت برسول الله(ص) من كلّ جانب، يتسابقون للترحيب به، ولخدمته وضـيافته؛ كم هى اُمنيه عظيمه عاشت فى نفوسـهم جميعاً، صغيراً وكبيراً، أن يحلّ هذا المهاجر الكريم بين ظهرانيهم؟! ومَن هو صاحب الحظّ الأوفر الذى ادّخرته السماء، ليضع رسول الرحمه رحله عنده؟!

راحت أصواتهم تعلو، وأهـازيجهم تملأـ ذلك المكان، وقـد فتحت له قلوبهم وتطلّعت له عيونهم؛ وراح كلّ واحـد منهم يُهلك نفسه اُمنيه وحسره، ليتشرّف بضيافه رسول الله(ص) وهم يعترضون ناقته، آخذين بزمامها.

نحن بنو سالم،... أقم عندنا فى العدد والعدّه والمنعه.. نحن بنو بياضه،... هلمّ إلينا، إلى العدد والعدّه والمنعه،... نحن بنو ساعده... نحن بنو الحارث... نحن بنو النجّار...

اغمرنا بالسعاده يا رسول الله، انزل فدوُرنا لک عامره، حتّی راحت دموعهم تنهمر توسّلًا به(ص) وخوفاً من أن لا يلبّی طلبهم.

لم تفارق محيّاه(ص) ابتسامه الشكر لهم والثناء عليهم، ولم يزد على قوله لهم: «خلّوا سبيلها، فإنّها مأموره» أی الأمر ليس بيدی إنّه بيد السماء، فقد اُمِرت هذه الناقه بشیء وهی منقاده إليه، وها هو زمامها مرسلًا، فخلّوا سبيلها، وما زالت عيونهم تلاحقها وقلوبهم تحفّ بها.

رمق(ص) السماء بطرفه: «أللّهم خِر لی، واختر لی».

كان أبو أيّوب الأنصاری أحدهم، وقد ابتلّت لحيته بدموع الأمل والفرح، وراحت نفسه تتوق إلی أن تكون صاحبه تلک الضيافه وتلک الحظوه، حقّاً لا ينالها إلّا ذو حظٍّ عظيم.

لقد بركت الناقه فی أرضه.. لكنّها نهضت ثمّ عادت ورسول الله(ص) يرخی لها زمامها، لا يثنيها به.. وبركت بجوار بيته واستقرّت... فنزل رسول الله(ص) عنها وقد ملئت أسارير وجهه بشراً وسروراً.

وخطی نحوه صاحب الحظّ الأوفر والسعاده العظمی، أبو أيّوب وقد علا وجهه الفرح والغبطه، إنّه الرحل إذن أحمله، وراح يحمل رحله، وكأنّه يحمل كنوز الدنيا وما فيها، واتجه به إلی بيته، وسمع رسول الله(ص) يقول للناس وهم يدعونه إلی منازله: «المرء مع رحله» فراحت العيون تغبط أبا أيّوب على هذا النصيب الوافر والحظّ الوافی.

مع روايه الطبری

إنّ رسول الله(ص) ركب ناقته وأرخی لها الزمام، فجعلت لا تمرّ بدار من دور الأنصار إلّا دعاه أهلها إلی النزول عندهم، وقالوا له: هلمّ يا رسول الله إلی العدد والعدّه والمنعه، فيقول لهم(ص): «خلوا زمامها فإنّها مأموره» حتّی انتهی إلی موضع مسجده اليوم، فبركت على باب مسجده، وهو يؤمئذ مربدٌ لغلامين يتيمين من بنی النجار فی حجر معاذ بن عفراء، يقال لأحدهما سهل وللآخر سهيل ابنا عمرو ابن عباد بن ثعلبه بن غنم بن مالک بن النجار، فلمّا بركت لم ينزل عنها رسول الله(ص)، ثمّ وثبت فسارت غير بعيد، ورسول الله(ص) واضع

لها زمامها لا يَثنيها به، ثمّ التفتت خلفها، ثمّ رجعت إلى مبركها أوّل مرّه، فبركت فيه ووضعت جرانها، ونزل عنها رسول الله(ص)، فاحتمل أبوأيّوب رحله، فوضعه فى بيته، فدعته الأنصار إلى النزول عليهم، فقال رسول الله(ص): «المرءُ مع رحله».

فنزل على أبى أيّوب خالد بن زيد بن كليب فى بنى غنم بن النجار، وسأل رسول الله(ص) عن المربد لمن هو؟ فأخبره معاذ بن عفراء، وقال: هو ليتيمين لى، سأُرضيهما.

فأمر به رسول الله (ص) أن يبنى مسجداً، ونزل على أبى أيوب، حتّى بنى مسجده ومساكنه، وقيل: إنّ رسول الله(ص) اشترى موضع مسجده ثمّ بناه.

وقد أعقب هذه الروايه بما قاله أنس بن مالك: كان موضع مسجد النبى(ص)لبنى النجار، وكان فيه نخل وحرث وقبور من قبور الجاهليّه، فقال لهم رسول الله(ص): ثامنونى به، فقالوا: لا نبتغى به ثمناً إلاّ ما عند الله.

فأمر رسول الله(ص) بالنخل فقطع، وبالحرث فأفسد، وبالقبور فنبشت، وتولّى بناء مسجده(ص) هو بنفسه وأصحابه من المهاجرين والأنصار.(۱)

فقد شاءت السماء أن يكون جوار مبرك هذه الناقه مسجداً عظيماً، ثانى الحرمين الآمنين بعد مكّه المباركه، ومدرسه للقرآن وعلومه، وموضعاً يحكم فيه بين العباد، وترسم فيه مناهج السياسه وخطط الحرب، إنّه بقعه مباركه طالما كانت مكاناً آمناً وملتقىً عظيماً تهفو إليه قلوب المؤمنين، يتحلقون حول رسول الله(ص) يبلغهم ما توحيه السماء من آيات مباركه وأحكام تنظيم حياتهم، ويملأ قلوبهم إيماناً ويثبت أقدامهم، ويلبّى حوائجهم، ويجيب عن أسئلتهم، ويقضى بينهم، حتّى غدا هذا المكان من المقدّسات الكبرى، يؤمّه الملايين من المسلمين والمؤمنين، يأتونه من كلّ بقاع الدنيا، ترفع فيه الدعوات، ويُبتهل فيه إلى العلىّ القدير، وتذكرهم أجواؤه بتلك الوجوه الطاهره أنصاراً ومهاجرين، وهم يضعون أسسه، ويرفعون بناءَه.

وأن يكون ضريحاً يضمّ الجسد الطاهر لخاتم النبيّين (ص) وأن ترد فى فضله الروايات

۱- السيره النبويّه لابن هشام ۲: ۴۹۴ ۴۹۶ ؛ تاريخ الطبرى ۲: ۸ السنه الهجريه.

والأحاديث لتبيّن فضله وعلوّ مكانه.

لقد كان بيت الصحابى الجليل أبى أيّوب الأنصارى الذى مكث فيه رسول الله(ص) شهراً قبل ابتنائه المسجد مؤلّفاً من طبقتين؛ طبقه سفلى فوقه عُلِّيه، آثر رسول الله(ص) أن ينزل الطبقه السفلى منه، ليبقى الآخر لأبى أيّوب وأهله.

لمّا حلّ الليل، وقد آوى نبىّ الرحمه (ص) إلى فراشه، صعد أبوأيّوب وزوجته إلى حيث فراشهما فى الطبقه الثانيه، فانتبه أبو أيّوب إلى عمله واستنكر فعلته قائلاً لزوجته:

ويحك، ماذا صنعنا؟!

أيكون رسول الله(ص) أسفل، ونحن أعلى منه؟!

أنحشى فوق رسول الله(ص)؟!

أنصير بين النبىّ والوحى؟! إنّا إذن لهالكون، ولم تسكن نفساهما بعض السكون إلاّ حين انحازا إلى جانب العليه الذى لا يقع فوق رسول الله(ص)! والتزماه لا يبرحانه ماشيين على الأطراف متباعدين عن الوسط.

فلمّا أصبح أبو أيّوب قال للنبى(ص): والله ما أغمض لنا جفنٌ فى هذه الليله لا أنا ولا اُمّ أيّوب.

فقال عليه الصلاه والسلام:

وممَّ ذاك يا أبا أيّوب؟!

قال: ذكرتُ أنّى على ظهر بيت أنت تحته، وأنّى إذا تحرّكت تناثر عليك الغبار فآذاك، ثمّ إنّى غدوت بينك وبين الوحى.

فقال له الرسول (ص):

هوِّن عليك يا أبا أيّوب، إنّه أرفق بنا أن نكون فى السُّفل، لكثره من يغشانا من الناس.

قال أبو أيّوب:

فامتثلت لأمر رسول الله(ص) إلى أن كانت ليله بارده، فانكسرت لنا جرّهٌ واُريق ماؤها فى العُلِّيه، فقمتُ إلى الماء أنا واُمّ أيّوب، وليس لدينا إلاّ قطيفه كنّا نتّخذها لحافاً، وجعلنا

ننشف بها الماء خوفاً من أن يصل إلى رسول الله(ص).

فلمّا كان الصباح غدوت على الرسول صلوات الله عليه وقلت: بأبى أنت وأُمّى، إنّى أكره أن أكون فوقك، وأن تكون أسفل منّى، ثمّ قصصت عليه خبر الجرّه، فاستجاب لى، وصعد إلى العُلّيه، ونزلت أنا وأُمّ أيّوب إلى السُّفل.

إنّه لقاء عظيم مبارك لأبى أيّوب برسول الرحمه، وهو اللقاء الثانى، بعد أن كان واحداً من ثلاثه وسبعين رجلًا، وكانت معهم امرأتان، وهم الذين بايعوا رسول الله(ص) بيعه العقبه الثانيه، فقد قويت بهم شوكه الإسلام والمسلمين، وكانوا بها للمهاجرين إخواناً، وداراً يأوون إليها، ويأمنون بها، وكانت هذه المصافحه الثانيه ليد رسول الله(ص)، الأُولى كان فيها مبايعاً مؤمناً، والثانيه مبايعاً مضيّفاً.

من رواياته

قال: قلتُ يارسول الله، ما هذه الأربع ركعات التى تصلّيها عند الزوال؟ قال: «هذه الساعه تفتح فيها أبواب السماء فلا ترتج حتّى تصلّى الظهر، فأحبّ أن أقدّم خيراً».(۱)

وعنه أيضاً أنّ رسول الله(ص) قال: (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) تعدل ثلث القرآن.(۲)

وله أيضاً أنّ رسول الله(ص) قال: «لا تهاجروا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخواناً، هجره المؤمن ثلاث، فإن تكلّما وإلّا أعرض الله عنهما حتّى يتكلّما».(۳)

وعنه أيضاً أنّ رسول الله(ص) قال: «أيعجز أحدكم أن يقرأ ليلته بثلث القرآن؟».

فأشفقنا أن يأمرنا بأمر نعجز عنه، قال: فسكتنا. فقال ثلاث مرّات: «أن يقرأ بثلث القرآن فإنّه من قرأ الله الواحد الصمد، فقد قرأ ليلته ثلث القرآن».(۴)

۱- حليه الأولياء ۱۰: ۲۱۸.

۲- المصدر نفسه ۷: ۷۳۴.

۳- المصدر نفسه ۷: ۹۵.

۴- المصدر نفسه ۱: ۱۱۷.

وممّا رواه أنّ رجلًا جاء إلی رسول الله(ص) فقال: دلّنی علی عمل أعمله یـدنینی من الجنّه، ویباعـدنی من النار، قال (ص): «تعبد الله، لا تشرک به شیئاً، وتقیم الصلاه، وتؤتی الزکاه، وتصِل ذا رحمک».

قال: فأدبر الرجل.

فقال رسول الله(ص): «إن تمسّک بما أمر به دخل الجنّه».(۱)

وله أیضاً: قال رسول الله(ص): «من أخلص لله تعالی أربعین یوماً ظهرت ینابیع الحکمه علی لسانه».(۲)

ومن حکمه (ص) : «من أراد أن یکثر علمه، وأن یعظم حلمه، فلیجالس غیر عشیرته».

مکانته

کـان أبو أیوب من الواعین للحاله التی انتابت المجتمع الإسـلامی أیام الخلافه الثالثه، وما دبّ فی هـذه الأمّه من فساد وانحراف، فبادر هو وجمع من الصـحابه لعلیّ (ع) قائلین له: إنّ هـذا الأمر قـد فسـد، وقـد رأیت ما صـنع عثمان، وما أتاه من خلاف الکتاب والسنّه، فأبسط یدک نبایعک، تصلح من أمر الأمّه ما قد فسد.

ولمّا وقع حصار بیت عثمان من قبل الثوّار الذین راحوا یحیطون ببیته من کلّ جانب، بعد أن یئسوا من تلبیه الخلیفه لمطالبهم التی وعدهم بها مراراً ولم یفِ، فلم یقصدغیره لإمامه صـلاه الجماعه فی مسـجد رسول الله(ص)، فجاء مؤذِّن المسـجد یومذاک سعد القَرظ إلی الإمام علی بن أبی طالب (ع) فی ذلک الیوم، فقال: مَنْ یصلّی بالناس؟

فقال علیّ (ع): نادِ خالد بن زید.

فنادی خالد بن زید، فصلّی بالناس.

وهنا یقول الطبری فی تاریخه: فإنّه لأوّل یوم عرف أنّ أبا أیّوب خالد بن زید.

۱- حلیه الأولیاء ۴: ۳۷۴.

۲- المصدر نفسه ۵: ۱۸۹.

فکان یصلّی بهم أیّاماً، ثمّ صلّی علیّ (ع) بعد ذلک بالناس.(۱)

وشبیه بهـذا ما حـدّث به عبـدالله بن نافع عن أبیه عن ابن عمر، قال: لمّا حُصـر عثمان صـلّی بالناس أبو أیّوب أیّاماً، ثمّ صـلّی بهم علیّ (ع) الجمعه والعید.(۲)

وهـذا الأـمر یـدلّنا علی أنّ لأـبی أیّوب مکانهً مرموقهً فی قلوب الناس، وله منزله رفیعه عنـد الإمام علیّ (ع) فاختاره دون الآخرین لیؤمّ المسلمین.

وکـان ابن عبّاس یجلّه کثیراً، ویحفظ له موقفه من رسول الله(ص) فقـد قـدِم أبوأیّوب البصـره، فنزل علی ابن عبّاس وکان الأخیر والیاً علیها، ففرغ له بیته، وقال له: لأصنعنّ بک کما صنعت برسول الله(ص) ثمّ قال له: کم علیک من الدین؟

قال: عشرون ألفاً.

فأعطاه أربعین ألفاً وعشرین مملوکاً، ثمّ قال له:

لک ما فی البیت کلّه.

موقفه من معاویه

بعد معارک الإسلام الکبری شارک أبوأیّوب الأنصاری فی معارک اُخری خاضها الإمام علی (ع) ومنها معرکه صفّین، فقد کان إلی جوار الإمام علی (ع) ضدّ معاویه وجنده.

سُئل أبوأیّوب یوماً: یا أبا أیّوب قد أکرمک الله بصـحبه نبیّه۹ ونزوله علیک، فما لی أراک تسـتقبل الناس تقاتلهم، تستقبل هؤلاء مرّهً وهؤلاء مرّهً؟

فقال: إنّ رسول الله(ص) عهـد إلینا أن نقاتل مع علیٍّ الناکثین، فقد قاتلناهم؛ وعهد إلینا أن نقاتل مع علیّ القاسـطین، فهذا وجهنا إلیهم، یعنی معاویه وأصحابه؛ وعهد إلینا أن نقاتل مع علیٍّ المارقین، فلم أرهم بعدُ.(۳)

۱- تاریخ الطبری ۲: ۶۹۴.

۲- المصدر نفسه.

۳- مختصر تاریخ دمشق ۷: ۳۴۰.

وحینما أراد الإمام (ع) الرجعه إلی صفّین لحرب معاویه ثانیهً، کان أبوأیّوب قائداً من قیادات الجیش، فقد عقد الإمام (ع) لابنه الحسین (ع) فی عشره آلاف، ولقیس بن سعد فی عشره آلاف، ولأبی أیّوب فی عشره آلاف، ولغیرهم علی أعداد اُخری، وهو ینادی بأعلی صوته:

«الجهاد الجهاد عباد الله! ألا وإنّی معسکر فی یومی هذا، فمن أراد الرواح إلی الله فلیخرج!».

إلّا أنّ الغدر المتمثِّل بضربه ابن ملجم قد حال بینه وبین مراده، وکما یقول أحد أصحابه بعد استشهاده۷:... فکنّا کأغنام فقدت راعیها، تختطفها الذئاب من کلّ مکان.(۱)

ولمّا وجد معاویه أنّ أبا أیّوب الأنصاری أشدّ الأنصار علیه، وأنّ له دوراً مهمّاً، ومکانه رفیعه عند علیّ (ع) راح یراسله، فلعلّه یستمیله بعض الشیء، ولا أقلّ یزرع الشکّ فی موالاته للإمام علیّ (ع) وفی تشویه مواقفه، فکتب إلیه کتاباً، وکان سطراً واحداً:

عن الأعمش وهو أحد أعلام کتاب صفّین أنّه قال:

کتب معاویه إلی أبی أیوب خالد بن زید الأنصاری، صاحب منزل رسول الله(ص) وکان سعیداً معظماً من سادات الأنصار، وکان من شیعه علی (ع) کتاباً،... قال فیه: لا تنسی شیباءُ أبا عذرتها، ولا قاتل بکرها، أو أمّا بعد، فإنّی ناسیتک ما لاتنسی الشیباء.

فلمّا قرأ أبو أیّوب کتابه المختصر هذا، لم یدرِ ما هو، فأتی به علیّاً۷ وقال: یا أمیرالمؤمنین، إنّ معاویه ابن آکله الأکباد، وکهف المنافقین، کتب إلیَّ بکتاب لا أدری ما هو، فقال له علیّ (ع) : وأین الکتاب؟ فدفعه إلیه فقرأه وقال: نعم، هذا مثلٌ ضربه لک، یقول: ما أنس الذی لا تنسی الشیباءُ، لا تنسی أبا عذرتها؛ والشیباء: المرأه البکر لیله افتضاضها، ولا تنسی بعلها الذی افترعها أبداً، ولا تنسی قاتل بکرها وهو أوّل ولدها أو لا تنسی ثکل ابنها، وکذلک لا أنسی أنا قاتل عثمان.(۲)

۱- اُنظر نهج البلاغه، لصبحی الصالح: ۲۶۴.

۲- وقعه صفّین: ۳۶۶ ؛ والإمامه والسیاسه: ۱۶۹ ۱۷۰.

فکتب إلیه أبوأیّوب: إنّه لا تنسی الشیباء ثکل ولدها، وضربتها مثلاً لقتل عثمان، فما نحن وقتله عثمان؟ إنّ الذی تربّص بعثمان، وثبّط أهل الشام عن نصرته لأنت، وإنّ الذین قتلوه غیر الأنصار، والسلام.

دوره فی فتنه الخوارج

وکان لأبی أیّوب الأنصاری دوره المتمیِّز فی الحوار مع الخوارج، وإقناع شریحه واسعه منهم، بأن یعتزلوا الحرب قبل وقوعها، أو تحیید جمع منهم وإبعادهم عن قتال مریر أطاح بمن لم یزده نداء الخیر والحقّ إلّا عناداً ونفوراً، فقد خرج إلیهم الإمام علیّ (ع) وقد عبّأ الناس لقتالهم بعد أن سفکوا الدم الحرام، فجعل علی میمنه جیشه حُجر بن عدی، وعلی میسرته شبث بن ربعی، وعلی روایه معقل بن قیس الریاحی، وعلی الرجاله أبا قتاده الأنصاری، وعلی أهل المدینه وهم سبعمائه أو ثمانمائه رجل، قیس بن سعد بن عُباده الأنصاری ; فیما راح الصحابی الجلیل أبوأیّوب الأنصاری یقف علی الخیّاله.(۱)

وعبّأت الخوارج مقاتلیها، فجعلوا علی میمنتهم زید بن حصین الطائی، وعلی المیسره شریح بن أوفی العبسی، وعلی خیلهم حمزه بن سنان الأسدی، وعلی الرجّاله حُرقوص بن زهیر السعدی.

بعد هذا الحشد الکبیر للفریقین، واستعدادهم للقتال، وبعد نداءات ومواعظ الإمام علی (ع) المتکرِّره، رفع الإمام (ع) أخیراً رایه أمان، وکان إلی جواره أبوأیّوب الأنصاری، الذی راح ینادیهم بأعلی صوته بعد أن أذن له الإمام (ع) قائلاً: مَنْ جاء هذه الرایه منکم ممّن لم یقتل ولم یستعرض فهو آمن، ومن انصرف منکم إلی الکوفه أو إلی المدائن، وخرج من هذه الجماعه فهو آمن ; إنّه لا حاجه لنا بعد أن نصیب قَتله إخواننا منکم فی سفک دمائکم.

وعلی إثر خطابه رضوان الله علیه، قال فروه بن نوفل الأشجعی وهو من کبار

۱- الطبری ؛ وأُنظر الإمامه والسیاسه ۱: ۱۶۹.

الخوارج: والله ما أدرى على أىّ شىء نقاتل عليّاً! لا أرى إلّا أن أنصرف حتّى تنفذ لى بصيرتى فى قتاله أو اتّباعه; وانصرف فى خمسمائه فارس حتّى نزل البندنيجين والدسكره.

وخرجت طائفه اُخرى متفرّقين فنزلت الكوفه، وخرج إلى علىّ منهم نحو من مائه; وبقى منهم ألفان وثمانمائه خرجوا زاحفين على جيش الإمام على (ع) بقياده صاحبهم عبدالله بن وهب، فاستقبلت المراميه وجوههم بالنبل، وعطفت عليهم الخيّاله بقياده أبى أيّوب الأنصارى من الميمنه والميسره، ونهض إليهم الرجال بالرماح والسيوف، فوالله ما لبثوهم أن أناموهم.(۱)

ولمّا أراد الإمام على (ع) الانصراف من معركه النهروان والتى انتهت بانتصار عظيم له، وهزيمه ساحقه للخوارج، وقف خطيباً مرّتين، وممّا قاله فى خطبته الاُولى، بعد أن حمد الله تعالى:

«أمّا بعد، فإنّ الله قد أحسن بلاءكم، وأعزّ نصركم، فتوجّهوا من فوركم هذا إلى معاويه وأشياعه القاسطين، الذين نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم، واشتروا به ثمناً قليلاً، فبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون».

فكان جوابهم أن قالوا: يا أميرالمؤمنين نفدت نبالنا، وكلّت أذرعنا، وتقطّعت سيوفنا، ونصلت أسنّه رماحنا، فارجع بنا نحسن عدّتنا.

إلاـ أنّهم ما إن أقبل بهم الإمام (ع) ونزل بهم معسكر النخيله حتّى راحوا يتسلّلون ويدخلون الكوفه حتّى تركوا عليّاً وما معه إلّا نفرٌ يسير.

ثمّ ارتقى المنبر ثانيهً واستحثّهم واستنهضهم مرّه اُخرى لقتال عدوّهم معاويه، فقال بعد حمد الله تعالى والثناء عليه:

«أيّها الناس، استعدّوا للمسير إلى عدوّ فى جهاده القربه إلى الله، ودرك الوسيله عنده، فأعدّوا ما استطعتم من قوّه ومن رباط الخيل، وتوكّلوا على الله وكفى به وكيلاً».

ولم يجد فيهم العزم على ذلك، فقال لهم: عباد الله، ما لكم إذا أمرتكم أن تنفروا فى

۱- تاريخ الطبرى ۳: ۱۲۱ ۱۲۲.

سبیل الله (اثَّاقَلْتُمْ إِلَی الْأَرْضِ أَ رَضِیتُمْ بِالْحَیاهِ الدُّنْیا مِنَ الْآخِرَهِ)،(۱) وبعدما انتهی الإمام من خطبته، قام أبوأیّوب الأنصاری خطیباً فقال:

إنّ أمیرالمؤمنین أکرمه الله قد أسمع من کانت له أذُن واعیه، وقلب حفیظ، إنّ الله قد أکرمکم به کرامه ما قبلتموها حقّ قبولها، حیث نزل بین أظهرکم ابن عمّ رسول الله(ص)، وخیر المسلمین وأفضلهم وسیّدهم بعده، یفقهکم فی الدین، ویدعوکم إلی جهاد المحلّین، فوالله لکأنّکم صمٌّ لا تسمعون، وقلوبکم غلف مطبوع علیها فلا تستجیبون.

عباد الله، ألیس إنّما عهدکم بالجور والعدوان أمس، وقد شمل العباد، وشاع فی الإسلام، فذو حقٍّ محروم، ومشتوم عرضه، ومضروب ظهره، وملطوم وجهه، وموطوء بطنه، وملقی بالعراء، فلمّا جاءکم أمیرالمؤمنین صدع بالحقّ، ونشر بالعدل، وعمل بالکتاب، فاشکروا نعمه الله علیکم، ولا تتولّوا مجرمین، ولا تکونوا کالذین قالوا سمعنا وهم لا یسمعون، اشحذوا السیوف، وجدّدوا آله الحرب، واستعدّوا للجهاد، فإذا دُعیتم فأجیبوا، وإذا اُمرتم فأطیعوا، تکونوا بذلک من الصادقین.(۲)

مواقف اُخری

کان هذا الصحابی مؤمناً تقیاً مجاهداً واعیاً یبحث عن الحقّ، ویتحرّاه فی کلّ نواحی حیاته، فی قوله وفعله، ویقف بقوّه مدافعاً عن الحقّ والعدل، فتراه واحداً من شیعه علیّ (ع) حینما رأی أنّ علیّاً مع الحقّ والحقّ مع علیّ، مبتغیاً رضا الله تعالی الذی نذر له حیاته، وفی عبادته تراه ذلک الرجل الذی إن صلّی کانت صلاته صلاه مودّع، وإن تکلّم فلا یتکلّم بما یضطرّه للاعتذار، وإن تعامل مع إخوانه کان الیأسُ شعاره ممّا فی أیدیهم، فقد کانت القناعه دیدنه وسلوکه المتمیّز، فهو بین عابد مودّع قتله الشوق لمولاه، وبین عازف إلّا من رحمه الله تعالی، وبین مقاتل ملأت قلبه الرحمه حتّی علی أعدائه الذین هم أعداء الدین والحقّ، فتراه

۱- التوبه: ۳۸.

۲- الإمامه والسیاسه ۱: ۱۶۹ ۱۷۳.

يوعظهم ويناديهم بلسان عطوف قبل أن يهزّ رمحه وينتشل سيفه، ليجد له موقعه فى أعداء الله.

ولا ـ ريب فى ذلك، وقد راح ينتهل من معِين النبوّه الصافى، ومن صحبه رسول الله(ص) كان يستمع لنبىّ الرحمه۹ ويعى ما يسمع، قال له: «إذا صلّيت فصلِّ صلاه مودّع، ولا تكلّمنَّ بكلام، تعتذر منه.. والزم اليأس ممّا فى أيدى الناس».

هذا فى عبادته، وأمّا فى شجاعته فقد كان شعاره رضوان الله عليه : (انْفِرُوا خِفافاً وَثِقالاً ـ)، فلم يتخلّف عنه، فى بدر وأُحُد والخندق، وفى كلّ المعارك والمشاهد التى خاضها، والتى كان لها دور واضح فى معالم حياته، فقد ملأت عليه كلّ وجوده، ولم تترك له وقتاً يبعد به عن الأسنّه والرماح، أو يأخذ قسطاً من الراحه بين أحبّته ولمشاغله الخاصّه.

كانت حياته رضوان الله عليه همّاً متواصلًا للإسلام ولدعوته المباركه، يترفّع عن الفتن الصغيره، والمطامع الزائفه، محلّقاً بناظريه إلى حيث الهدف الأعلى الذى يُرضى الله ورسوله.

لقد وهب أبوأيّوب الأنصارى حياته، وماله، وحشاشه قلبه للجهاد فى سبيل إعلاء كلمه الإسلام، ولا يهمّه من يكون على رأس قياده الجيش، وشعاره (ما علىَّ مَن استعمل علىَّ)، ما دام الهدف هو الإسلام ودعوته، فكان مع مكانته العاليه لا يريد أن يعيش إلّا جنديّاً تحت رايه لا إله إلّا الله، وأن يعيش مأموماً لا إماماً؛ لهذا تراه لا يبغى عنواناً بقدر ما يأمل أن ينال الشهاده فى سبيله تعالى، وأن يرزقه الله خير الدنيا وخير الآخره، فراحت بطولاته تتجلّى فى كلّ معارك الإسلام الكبرى التى خاضها جنديّاً مخلصاً، وفدائياً متفانياً، وحسبه فخراً أنّه مع شدّه تواضعه نال حظوه تلو أُخرى منذ أن آمن، وحتّى أُثخن بالجراح وهو مقاتل عنيد تحت رايه الإسلام، وصدق من قال: ما زال أبوأيّوب شاخصاً فى سبيل الله حتّى دفن بأرض الروم.

نعم، كان أبوأيّوب فى كلّ معاركه يُلقى بنفسه فى لهواتها لا يأبه بعدّه ولا عدد، ويدافع عن كلّ من يسير بسيرته هذه، ويتهالك فى الفداء واقتحام حشود أعدائه.

تقول الروايه: كنّا بمدينه الروم، فأخرجوا إلينا جمعاً عظيماً من الروم، وخرج إليهم مثله أو أكثر، وعلى أهل مصر عقبه بن عامر صاحب رسول الله(ص) فحمل رجل من المسلمين على

صفّ الروم حتّى دخل فيهم، فصاح به الناس وقالوا: سبحان الله، يُلقى بيده إلى التهلكه.

وهنا خشى أبوأيّوب من أن يسرى هذا التأويل للآيه فيثبّط عزائم قومه وجند الإسلام، فقام وسط الجند وقال:

أيّها الناس إنّكم تتأوّلون هذه الآيه على هذا التأويل، وإنّما نزلت هذه الآيه فينا معاشر الأنصار، إنّا لمّا أعزّ الله الإسلام وكثّر ناصريه، قلنا بعضنا لبعض سرّاً من رسول الله(ص): إنّ أموالنا قد ضاعت، وإنّ الله قد أعزّ الإسلام وكثّر ناصريه، فلو أقمنا فى أموالنا فأصلحنا ما ضاع منها، فأنزل الله عزّوجلّ على نبيّه۹ يرد علينا ما قلنا أو ما هممنا به: (وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَهِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ).(۱)

فكانت التهلكه الإقامه فى أموالنا وإصلاحها وتركنا الغزو.

ثمّ تقول الروايه:

وما زال أبوأيّوب شاخصاً فى سبيل الله حتّى دفن بأرض الروم.(۲)

فى وصيه له وهو جندى مقاتل فى أرض الروم:

اِذهبوا بجثمانى بعيداً بعيداً فى أرض الروم، ثمّ ادفنونى هناك؛ (ما علىّ من استُعمل علىَّ) شعاره هذا.

كان هذا وهو يرى جموع المسلمين يصوّبون أنظارهم إلى حيث القسطنطينيه، وراح يحدّث نفسه: إنّها الشهاده التى طالما حدّثت بها نفسى ولم أُوفّق لها.. امتطى جواده، وامتشق سيفه.. وعلاه رمحه.. وراح يصول ويجول مقاتلًا عنيداً يردّد كلمه «لا إله إلّا الله، محمّد رسول الله» حتّى أُثخن بالجراح.

تقدّم أحدهم نحوه، وقد وجده يصارع سكرات الموت فى ساحه الوغى، لابدّ أن تكون له حاجه.

هل لك يا أبا أيّوب من حاجه؟

۱- سوره البقره: ۱۹۵.

۲- مختصر تاريخ دمشق ۷: ۳۴۱ ؛ أسباب النزول للواحدى: ۶۰.

«اِذهبوا بجثمانی بعیداً بعیداً فی أرض الروم ثمّ ادفنونی هناک».

إنّه الیقین بالفتح والنصر، وکأنّه یرید أن یقول: إنّی اُرید مواصله القتال بروحی، واُرید أن اُواکب أعلام النصر الخفّاقه، وصهیل خیولکم، ووقع أقدامکم، وصلصله سیوفکم.. لا اُرید أن أکون بعیداً عن أجواء المعرکه وغبارها، ولا أرید أن تثننی الجراح عن خوض غمارها حتّی النصر.

فی وسط تلک المدینه (القسطنطینیه) اسطنبول فی ترکیا الیوم، مدینه الألف مسجد الملیئه بالأذان الذی یشقّ اُذنی أبی أیّوب فی کلّ حین.. وهو یردّد:

(هذا ما وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ).

رقد جثمان ذلک الفارس العنید الذی کانت الشهاده اُمنیته، منذ أوّل لحظه التقی بها برسول الرحمه، فکان مضیّفه فی الدنیا؛ لینزل عند رسول الله (ص) فی الدار الآخره ضیفاً عزیزاً کریماً، کما نزل عنده رسول الله ضیفاً عظیماً.

وظلّ هذا الجثمان وهذا المرقد مزاراً حتّی للروم أنفسهم، الذین راحوا یتعاهدون قبره، ویرمّمونه، ویزورونه، ویستسقون به إذا قحِطوا.

کانت وفاته رضوان الله علیه بالقسطنطینیه سنه خمس وخمسین، وقیل: فی سنه اثنتین وخمسین، وقیل: سنه خمسین، تقول الروایه: لم یزل أبوأیّوب مجاهداً فی سبیل الله حتّی دُفن بالقسطنطینیه.

ولمّا توفی دفن مع سور المدینه وبُنی علیه، فلمّا أصبحوا أشرف علیهم الروم فقالوا: یا معشر العرب، قد کان لکم اللیله شأن.

فقالوا: مات رجل من أکابر أصحاب نبیّنا۹... وقد أوصی بهذا؛ لئلّا یکون أحد من المجاهدین ومن مات فی سبیل الله أقرب إلیکم منه.

ولمّا عرف الروم مکانه هذا المجاهد، تعهّدوا قبره وبنوا علیه قبّه بیضاء، وأسرجوا علیه قندیلاً، وإذا أمحلوا کشفوا عن قبره فأُمطروا.(۱)

۱- اُنظر مختصر تاریخ دمشق ۷: ۳۴۲ ۳۴۳.

وكانت وصيّته الأخيره رضوان الله عليه:

إذا متُّ فاحملونى، فإذا صاففتم العدوّ، فادفنونى عند أقدامكم... وسأُحدّثكم حديثاً سمعته من رسول الله(ص) لولا حالى هذه ما حدّثتكموه، سمعتُ رسول الله(ص) يقول:

«من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنّه».

(۱۲) خبّاب بن الأرَتّ

اشاره

من

(الَّذِينَ صَبَرُوا وَ عَلى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ)

حسن محمّد

الحـديث عن مـدرسه رسول الله(ص) الأولى لا ينتهى ولا يقف عنـد حدٍّ، فما إن نختم الكلام عن تلميذ من تلامذتها، وشخصـيه من شخصـياتها، وعظيم من عظمائهـا، وشـهيد من شـهدائها.. حتّى يجرّنـا الحـديث أو يبـدأ عن آخر هو فى العظمه لا ـ يقـلّ عن صاحبه، وفى التضـحيه والإيثار لا يكون أدنى منه.. وفى صـدق الإيمان وعمقه لا أظنّه إلّا مساوياً له أو قد سـما عنه، فهم يتبارون بإيمانهم، ويتسابقون لنيل أرقى مراتبه ودرجاته فى الدنيا وفى الآخره.

إنّها مدرسه عظيمه ذات آفاق واسعه، وجذور عميقه ثابته، فهى شجره أصلها ثابت وفرعها فى السماء، تؤتى أكلها كلّ حين; لأنّ صانعها ومؤسّسها عظيم، راحت يداه

المبارکتان تمدّانها بقوّه، وراح قلبه الحانی یخصّیها بحنانه وشفقته، وراح علمه یُصبّ علیها، ولا ینضب له نبعٌ، ولا یضوی له طلع، إنّه ماء موصول وطلع نضید..

وها نحن الآن أمام شخصیه من شخصیات هذه المدرسه النبویّه المحمّدیه الأصیله، أمام صحابی جلیل انتشله الإسلام من واقع مریر، قنٍّ ضعیف وعبد ذلیل، فإذا هو فارس مُهاب، ومقاتل شجاع، یحسب له أعداؤه ألف حساب... فکان عظیماً من عظماء الإسلام.. من فرسان الجهاد فی سبیله تعالی، یدعو إلی الحقّ لا لغیره، ویدعو إلی العدل لا لسواه، ویدعو للإسلام الحنیف لا لدین غیره وکیف یدعو لغیره، وهو یعلم أنّه: (وَمَنْ یَبْتَغِ غَیْرَ الْإِسْلامِ دِیناً فَلَنْ یُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِی الْآخِرَهِ مِنَ الْخاسِرِینَ).(۱) إنّه قمّه فی المبادئ والقیم، وفی الصدق والإخلاص، حتّی نال حظوه کبیره عند رسول الله(ص) وعند المسلمین ومن قبلهم عند الله تعالی.

ونِعمَ ما قال عنه إمامُ الموحِّدین علیّ (ع): «رحم الله خبّاباً! أسلم راغباً، وجاهد طائعاً، وعاش زاهداً، وابتلی فی جسمه فصبر، ولن یُضیع الله أجر من أحسن عملاً».(۲)

لقد کان سلاحه الیقین والتقوی، قلبٌ مملوء بهما، وکفٌّ صلبه تمسک سیفاً أبی صاحبه أن یضعه مادام الإسلام بحاجه إلیه، لم یفتأ هذا السیف یطارد الکفر والشرک والطغیان، فقد شهد مشاهد رسول الله(ص) کلّها، تراه فی بدر یعلو هامات الأعداء، وتراه فی أُحُد هو الآخر یمزّق جموعهم، وتراه فی معارک الإسلام الأُخری فارساً جوّالاً بین الصفوف، لا یهاب عدوّاً ولا یخاف باطلاً.

کان هذا الصحابی الجلیل من أولئک الأوائل الذین حظوا بأن یکونوا قاعده الانطلاق الأُولی للإسلام، والنخبه الصالحه له، بعد أن آمنت به دعوهً، وجاهدت فی سبیله صادقهً، یوم لم تکن هناک مطامع دنیویه یبغونها، ویوم لم تکن هناک منافع شخصیه یحوزونها، بل عذاب مستمرّ، وصبر دائم، وجهاد متواصل ضد المشرکین، الذین راحوا یکیدون لهم الکید

۱- سوره النحل: ۴۲.

۲- أُنظر العقد الفرید، لابن عبد ربه ۳: ۲۰۱.

كلّه، ويذوقونهم أنواع العذاب.

لقد آمنت هذه الطليعه إيماناً خالصاً وأحبّت رسول الله(ص) حبّاً صادقاً، وسعت فى الدفاع عنه يوم كان وحيداً لا يقف معه إلّا نخبه صالحه من عشيرته وعدد قليل من أصحابه، لا يشوبهم شك فيه ولا ينتابهم ريب فى دعوته وصدقه؛ لقد ادرعت هذه العصابه بالإيمان، والإيمان وحده لتقاوم ما صبّ عليها من بلاء، وما نالته من أذى وعذاب، خاصّه هؤلاء الذين هم ضعاف المجتمع الحجازى يومذاك، العبيد، طبقه سخّرت لمصالح اقتصاديه وتجاريه وخدميه، قام على أكتافها المجتمع المكّى، خَدَمته بأقلّ الأثمان، رغيف خبز لا غير، ووضع ذليل، وسخريه تنصبّ عليهم من أسيادهم، وسياط تنهال على ضلوعهم وظهورهم.

لقد كان خبّاب واحداً من أولئك الذين وصفهم المشركون الطغاه بأنّهم «الأرذلون»، وراحت هذه التسميه يطلقونها عليهم، ويعيّرونهم بها، حتّى بعد أن أعلن هؤلاء الزعماء المشركون إسلامهم، بقيت فى نفوسهم وعلى ألسنتهم، بغض قديم، وسخريه متأصّله لم يتخلّوا عنها، حتّى بعد إعلانهم الشهادتين.

لفظه ليست جديده، إنّها قديمه قدم دعوه التوحيد، وقد رافقت أكثر مَن آمن بدعوه نوح وهود وصالح وإبراهيم... (أَ نُؤْمِنُ لَکَ وَاتَّبَعَکَ الْأَرْذَلُونَ).(۱) (وَما نَراکَ اتَّبَعَکَ إلاَّ الَّذِينَ هُمْ أَراذِلُنا بادِیَ الرَّأْیِ).(۲) إنّه استعلاء، بل طغيان اتصف به هؤلاء الذين أرادوا علواً فى الأرض وأرادوا فيها فساداً، يسمّون أنفسهم أشراف القوم، أو ساداتهم، وزعماءهم!

إنّها الجاهليه العمياء التى لا ترى لأصحاب الدعوات الصالحه أى فضل وأى كرامه، ما دام الذين سبقوا إليها هم من ضعاف الناس، وأقلّهم مالاً وسلطاناً.

كيف يؤمن طغاه قريش برساله محمّد۹ وقد سبقهم إليها عمّار، وأبوه ياسر، وأُمّه سميه، وخباب،...؟!

لقد أدرك خبّاب الفرق بين الحريه والعبوديه، فنأى عن الثانيه مصوّباً وجهه نحو الأُولى،

۱- الشعراء: ۱۱۱.

۲- هود: ۲۷.

وكان يعلم الثمن الباهظ الذى سيدفعه فداءاً لعمله هذا، يعلم أنّ الثمن قد يكون حياته، لكنّه رأى أنّ الموت بعزٍّ خيرٌ من الحياه بذلّ، الموت مؤمناً أفضل من الموت كافراً، الموت قويّاً أجمل من أن يموت ضعيفاً.

لقد أدرك خبّاب البون الشاسع بين الحقّ والباطل: (...بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ ما يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْباطِلُ).(۱) فنبذ الباطل، وأعرض عنه، والتحق بصفوف الحقّ متجاوزاً ما سيتركه فعله هذا عليه من عذاب واضطهاد وتشريد.

لقد أدرك خبّاب طعم العلم وذلّ الجهل، فأدار بوجهه بعيداً عن جاهليه عمياء نحو (نُورٌ وَ كِتابٌ مُبِينٌ * يَهْدِى بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوانَهُ سُبُلَ السَّلامِ...).(۲) لهذا فقد خلد خبّاب واخوانه، وخلد ظالموهم أيضاً، إلّا أنّ الفرق كبير، والبون شاسع بين الفريقين، وبين الخلودين، فأولئك دخلوا التاريخ مؤمنين مجاهدين غير ظالمين، وقد خلدوا فيه وهم يحملون هذه الصفات العظيمه؛ فيما دخل هؤلاء التاريخ طغاه متجبّرين ظالمين، وقد خلدوا فيه أيضاً، وهم يحملون أبشع الصفات وأقذرها؛ فشتّان شتّان بين الخلودين!

* * *

خبّاب، الأرت، لغةً

ما إن يقرأ شخص، أو يسمع باسم هذا الصحابى الجليل، حتّى يلتفت إلى غرابه اسمه، دون أسماء الصحابه الآخرين، فيعود إلى معاجم اللغه، ليرى ماذا تقول فى خبّاب وفى الأرتّ، فيجد أنّ الخبب: هو نوع أو ضرب من العدو، أو الرمل، أو هو السرعه، وقد خبّت الدابّه تخبّ بالضمّ، خبّاً، وخَبباً، وخَبيباً.

وهناك قول آخر: إنّ الخبب هو أن ينقل الفرس أيامنه جميعاً، وأياسره جميعاً أيضاً،

۱- سوره الحجّ: ۶۲.

۲- سوره المائده: ۱۵ ۱۶.

وقیل: هو أن یراوح کلّ من الفرس والبعیر بین یدیه ورجلیه.

ومن العجب أنّ هذه کلّها من صفات الفارس والفروسیه.

إلّا أنّی عثرت علی معنی آخر للخبب وهو الخداع، فرجل خبٌّ أی خدّاع، خبّب فلان غلامی أی خدعه، والقول المأثور: الحرب خدعه; هذا فی خصوص خبّاب.

أمّا ما یتعلّق بالأرتّ فتاؤه مشدّده، وهو الذی فی لسانه عجله أو عقده أو قله أناهٍ... فلا یطاوعه لسانه عند إراده الکلام، فإذا شرع یتکلّم اتّصل کلامه، وهناک من یقول: إنّ أبا خبّاب کان کذلک یرتل فی کلامه، أو فی لسانه رتّه أی عجمه.(۱)

فیما نسب کلّ من الواقدی والبلاذری هذه الرتّه فی اللسان إلی خبّاب نفسه، حیث قال الواقدی: کان ألکن، إذا تکلّم بالعربیه، فسمّی الأرتّ، وقال البلاذری:... وإنّه کانت به رتّه، وهما یتحدّثان عن ترجمه خباب.(۲)

نسبه و کنیته

بعد أن عرّفته کتب التاریخ ومراجعه بأنّه خبّاب بن الأرتّ بن جندله بن سعد بن خزیمه بن کعب بن سعد بن زید بن مناه بن تمیم، وکنیته أبوعبدالله أو أبویحیی أو أبومحمّد، إلّا أنّها اختلفت فی نسبه.(۳)

فهو بین خزاعی، وتمیمی، وزهریّ، وسباعیّ، والذی یبدو لی من مراجعه حیاته أنّ السبب فی هذا الاختلاف، هو الموضع الاجتماعی الذی عاشه، والسباء الذی آلت إلیه حیاته، ممّا سبّب له هذا الانتماء المختلف فیه.

فلنستعرض أقوال المؤرّخین، فبعضهم قالوا: إنّه تمیمی بالنسب، خزاعی بالولاء، زهری بالحلف، کان سبیاً اشترته امرأه من خزاعه وأعتقته، فهو خزاعی لحقه هذا بالولاء، وبما أنّها

۱- لسان العرب، لابن منظور ۱: ۳۴۱، ۲: ۳۴؛ أعیان الشیعه لمحسن الأمین ۶: ۳۰۴؛ وتنقیح المقال للمامقانی ۱: ۳۹۵.

۲- اُنظر قاموس الرجال، للعلّامه التستری ۴: ۱۵۵.

۳- أسدالغابه فی معرفه الصحابه، لابن الأثیر ۲: ۹۸; الإصابه فی تمییز الصحابه، لابن حجر العسقلانی ۱: ۴۲۳; أعیان الشیعه، لمحسن الأمین ۷: ۷۵.

كانت من حلفاء عوف بن عوف بن عبـد الحرث بن زهره فهو زهرى حلفاً، وأمّا نسـبه الحقيقى فهو ابن مناه بن تميم جدّه السابع وبالتالى فهو تميميّ.

وهناك من يقول: إنّ سيّدته التى اشترته هى أُمّ أنمار بنت سباع الخزاعيه، وأبوها سباع حليف عوف بن عبد عوف من بنى زهره؛ فسبّب هذا له أن يكون خزاعياً، وسباعياً من الأسباع، وزهرياً. (۱)

وقيـل: بـل هى أُمّ سـباع بـن عبـد العزى الـذى قتله حمزه يـوم أحُـد، وهى الـتى عنـا حمزه بن عبـدالمطّلب، حين قـال لسـباع بن عبـدالعزى: هلمّ يا ابن مقطعه البظور؛(۲) وهو مـا حـدا ببعض المؤرّخين إلى الـذهاب بـأنّ اُمّ خبّـاب كانت ختانهً فى مكّه ; وإن ذهب بعض المؤرّخين إلى أنّ اُمّ أنمار واُمّ سباع كانت واحده.(۳)

وقال غيرهم: هو عربى لحقه سباء فى الجاهليه؛(۴) وقال بعض: لم يلحقه سباء، ولكنّه انتهى إلى حلفاء اُمّه بنى زهره.(۵)

وأنا إذ أبحث عن حياه هذا الصـحابى عثرت على شخص آخر وهو أيضاً صحابى يحمل اسم خبّاب واسم أبيه، إلاّ أنّه كان يكنّى أبا يحيى، وكان عبـداً لعتبه ابن غزوان المازنى، وشـهد معارك الإسـلام ومنها معركه بدر الكبرى، وتوفى فى المدينه أيّام خلافه عمر بن الخطّاب، سنه ۱۷ أو ۱۹ هجريه، وله خمسون سنه، وصلّى عليه الخليفه.(۶)

وأنّه هو الذى كان طبّاعاً للسيوف بمكّه، لا هذا الذى هو موضع كلامنا، كما أنّ الثانى لم يكن قيناً فيما كان الأوّل قيناً؛(۷) إلاّ أنّ ما اشتهر بين المؤرخين أنّ خبّاباً كان يقول: كنت

۱- الإصابه ۱: ۴۲۳ ؛ صفه الصفوه، لابن الجوزى ۱: ۴۲۷.

۲- البدايه والنهايه، لابن كثير ۷: ۳۲۲.

۳- المنتظم؛ لابن الجوزى ۵: ۱۳۸.

۴- أسد الغابه ۲: ۹۸.

۵- الإصابه ۱: ۴۲۳.

۶- أسد الغابه ۲: ۱۰۱.

۷- تصحيفات المحدثين، لأبى هلال العسكرى: ۱۱۱.

رجلًا قيناً... وكان فى الجاهليه قيناً حدّاداً يعمل السيوف.(۱)

وهو أقلّ شهره من الذى هو محلّ كلامنا هذا، وإن ذهب بعض المؤرّخين إلى أنّه هو واحد، وليس شخصين اثنين.

خباب يصنع السيوف

قـدر لهـذا الصبىّ أن يقع بين يـدى أمّ أنمـار الخزاعيه، التى كـانت تفتش لهـا عن غلام فى سوق النخاسـين فى مكّه، وهو مكان يكتـظّ بالعبيـد، فوقع نظرها على هـذا الغلام، فأعطت ثمنه، وانطلقت به إلى منزلها، وإذ هى فى طريقها راحت تحـدثه وتسأله عن اسمه فقال لها: خباب.

وما اسم أبيك، فقال لها: الأرَتُّ.

فقالت له: ومن أين أنت؟

قال: من نجد.

فقالت: إذن أنت عربى!

قال: نعم، ومن بنى تميم.

قالت: وما الذى أوصلك إلى أيدى النخاسين فى مكّه؟

قال: أغارت على حيِّنا قبيله من قبائل العرب، فاستاقت الأنعام، وسبت النساء، وأخذت الذرارى، وكنت فيمن أخذ من الغلمان، ثمّ مازالت تتداولنى الأيدى، حتّى جىء بى إلى مكّه، وصرت فى يدك.(۲)

وما إن وصـلت أم أنمار إلى منزلها، حتّى دفعته إلى مَن يعلمه صـناعه السـيوف، فأتقنها، ثمّ اسـتأجرت له دكاناً، واشترت له عدّه، وراحت تستثمر قدرته، وتستفيد من مهارته، وتستغله أيما استغلال، لكنّه اشتهر بهذه الصناعه وبدقّه عمله.

۱- أسد الغابه ۲: ۹۸ ; الطبقات الكبرى ۳: ۱۶۴ ؛ دلائل النبوّه للبيهقى ۲: ۵۵.

۲- صور من حياه الصحابه ، للدكتور عبدالرحمن رأفت باشا: ۴۳۱ ۴۳۲.

إسلامه

لقد وجدت قلوب المستضعفين أمانها وطمأنينتها بالدعوه الجديده، فقد عانت من الهوان والذلّ ما جعلها تصبو لمنقذ لها كانت تعيشه حُلماً جميلاً، فإذا به واقع أمام أعينهم، فراحوا يبادرون إلى التصديق به، والتضحيه فی سبيله.

وخبّاب هذا واحد من أولئك العبيد، الذين كانوا فئه كبيره فی المجتمع المكّی يسخّرهم ساده ذلك المجتمع، فی نواح متعدّده، تجاريه، وزراعيه، وخدميه، بأثمان رخيصه لا تتجاوز رغيف الخبز، وافتراش الأرض، معامله سيئه للغايه، وظلم نزل بهم، وحيف لا يفارقهم، وتعذيب لا يتوقّف; لهذا ما إن رأوا نور الإسلام يبزغ فی مكّه، إلّا وتراهم يؤمنون به، ويتفانون فی الدفاع عنه.

لقد كان سادس الذين آمنوا فی مكّه، وهو سبق عظيم ناله، ومنزله رفيعه ظلّت ترافقه فی حياته، وذكری حسنه ظلّت هی الاُخری وساماً خالداً.

تقول الروايه:

إنّ خبّاب بن الأرت أسلم سادس ستّه، له سدس الإسلام.(۱)

والاُخری تقول:

أوّل من أظهر الإسلام سبعه، وعدّت منهم خبّاباً.(۲)

وثالثه تقول:

كان إسلامه قبل أن يدخل رسول الله(ص) دار الأرقم وقبل أن يدعو بها.(۳)

فعن الإمام علی (ع): السبّاق خمسه، فأنا سابق العرب، وسلمان سابق فارس، وصهيب سابق الروم، وبلال سابق الحبش، وخبّاب سابق النبط.(۴)

۱- أسد الغابه ۲: ۹۸; حليه الأولياء للأصفهانی ۱: ۱۴۳.

۲- أسد الغابه ۲: ۹۸; الوسائل إلی معرفه الأوائل لعبد الرحمن السيوطی: ۹۶.

۳- الطبقات الكبری ۳: ۱۶۵.

۴- الخصال، للشيخ الصدوق ۱: ۳۱۲.

وذكر اليعقوبى فى تاريخه:

كان أوّل من أسلم خديجه بنت خويلد من النساء، وعلى بن أبى طالب من الرجال، ثمّ زيد بن حارثه، ثمّ أبوذرّ، وقيل: أبوبكر قبل أبى ذرّ، ثمّ عمرو بن عبسه، ثمّ خالد بن سعيد بن العاص، ثمّ سعد بن أبى وقّاص، ثمّ عتبه بن غزوان، ثمّ خبّاب بن الأرت، ثمّ مصعب بن عمير.(۱)

وبإسلامه وإسلام رفاقه، بدأت حياتهم من جديد، حيث عبق الحريه والمساواه، وهم يسمعون: لا فضل لعربى على أعجمى ولا لأبيض على أسود إلّا بالتقوى; وقد آخى رسول الله(ص) بعد الهجره بين خباب وجبر بن عتيك، وشهد بدراً وأحداً، والخندق، والمشاهد كلّها مع رسول الله(ص)، فيما وقع الخلاف بين علماء الرجال والمؤرخين فى أنّه هل أدرك معركتى صفين والنهروان؟ فمنهم من قال: أدركهما مع الإمام عليّ (ع) ومنهم من قال: حال بينه وبينهما المرض والموت، فيما أدرك ابنه عبدالله بن خباب النهروان، فذبحه الخوارج، وبقروا بطن امرأته.(۲)

إنّه لمن المعذِّبين!

ما إن علموا بإسلامه حتّى تحولقوا حوله، ولم ينفضّوا منه إلّا وقد أخذت سياطهم من جسمه مأخذها، لكنّها لم تنل شيئاً من إيمانه ولم تنخر عزيمته، ولم تضعف بناءه، إنّه إيمان عظيم، وعزيمه لا تهين، وبناء كالجبل لا يُهدّ.

كان خبّاب ممّن يعذّب فى الله سبحانه بمكّه فى الرمضاء، حتّى برص ظهره.(۳)

وعن عروه بن الزبير أنّه قال: كان خبّاب بن الأرت، من الذين يعذّبون بمكّه ليرجع عن دينه.(۴)

۱- تاريخ اليعقوبى ۲: ۲۳.

۲-أُنظر المامقانى فى التنقيح ۱: ۳۹۵ ; والتسترى فى قاموسه ۴: ۱۵۸.

۳-أُنظر تصحيفات المحدّثين: ۱۱۱.

۴-الطبقات الكبرى ۳: ۱۶۵.

ویقول الشعبی عنه:

لقد صبر «خبّاب»، ولم تلِن له بین یدی الکفّار قناه، أو أعطوهم [بعض المعذَّبین من المسلمین] ما أرادوا حین عذّبوا إلاّ خباب بن الأرت، أو إنّ خباباً صبر ولم یعطِ الکفّار ما سألوا، فجعلوا یلصقون ظهره العاری بالرَّضَف،(۱) حتّی ذهب لحمه أو لحم متنه.(۲)

لقد حوّل کفّار قریش جمیع الحدید الذی کان بمنزل «خبّاب»، والذی کان یصنع منه السیوف.. حوّلوه کلّه إلی قیود وسلاسل، کان یُحمی علیها فی النار حتّی تستعر وتتوهّج، ثمّ یطوّق بها جسده ویداه وقدماه.(۳)

لقد ذهب خبّاب بن الأرت وبعض رفاقه المعذَّبین إلی رسول الله(ص)، لاأظنّهم جزعین من التضحیه بل کانوا راجین العافیه.

یقول خبّاب: شکونا إلی رسول الله(ص)، وهو متوسّد بُردهً له فی ظلّ الکعبه، قلنا له: ألا تدعو الله لنا؟

قال: کان الرجل فیمن قبلکم یُحفر له فی الأرض، ویمشّط بأمشاط الحدید ما دون لحمه من عظم أو عصب، وما یصدّه ذلک عن دینه، والله لیُتمّنَّ هذا الأمر حتّی یسیر الراکب من صنعاء إلی حضرموت، لا یخاف إلاّ الله، أو الذئب علی غنمه، ولکنّکم تستعجلون.(۴)

راحت کلمات رسول الله(ص) تترک بصماتها علیهم، فعادوا منه وقد ازدادوا إصراراً علی مواقفهم، وعاهدوا ربّهم أن یجعلوا أنفسهم نماذج للعطاء والتضحیه والاستبسال فی سبیله، حتّی یجعلوا کلمه الله هی العلیا وکلمه الکافرین هی السفلی.

لم یبقَ أحدٌ من المشرکین وزعمائهم، بل وحتی سیّدته اُمّ أنمار التی کان عبداً لها راحت هی الاُخری تشفی غلیلها منه، تمسک حدیده محمّاه ملتهبه لتضعها مرّه فوق رأسه، واُخری فوق جسده، وکان خبّاب بین هذه وتلک صامتاً صابراً، لاینطق بشیء ولا یظهر لهم حتّی

۱- الرضف: الحجاره المحمّاه.

۲- ذکر هذا خالد محمد خالد فی «رجال حول الرسول (ص)»: ۲۹۳.

۳- المصدر نفسه.

۴- صحیح البخاری ۳: ۱۳۲۲ ح۳۴۱۶.

الأنين، فيشفى صدورهم، ويُرضى كبرياءَهم وجبروتهم، فراح غيضهم يزداد، وحنقهم يعظم... وكان يعينها على ذلك أخوها سباع بن عبد العُزى... وقد أقرّ الله تعالى عينى خباب برؤيه سباع هذا، وقد نال جزاء شركه وظلمه، حيث صرعه سيّدالشهداء حمزه بن عبدالمطلب فى معركه أحد.

وهو بهذه الحال يعذّب بين أيديهم، إذ به يسمع صوت حبيبه رسول الله(ص) وهو ينطلق من قلب مملوء شفقه وألماً ومرارةً عليه: «أللّهمَّ انصر خبّاباً».

ما أعجل الجزاء الذى نزل بسيّدته العنيد أُمّ أنمار! راحت تعوى كالكلاب بعد أن اُصيبت بسعار عصيب، حتّى وصفوا لها علاجاً لا ينفعها إلّا أن تضع رأسها بالنار كى يكوى، وقد قدر لخباب أن يتولى هذا العمل، فكان يأخذ الحديده المحماه فيكوى بها رأسها.(۱) فكان عقابها من جنس ما اقترفته يداها، إنّه العقاب العدل!.

آيات ترعاهم

وراحت قيم الإسلام وكلمات الرسول الكريم تدقّ إسفيناً بينهم وبين كبار قريش ومترفيهم وطغاتهم.

إنّه الإسلام، إنّه النور الذى يشقّ الظلام، ويبعث الحياه من جديد.

كما راح القرآن يواكبهم ويرافقهم ويحيطهم بالرعايه، ضدّ قريش التى ما انفك طغيان زعمائها وكبرائها من ملاحقه هؤلاء المستضعفين، والسخريه منهم، والتعالى عليهم، حتّى بعد إعلانهم الشهادتين، والتحاقهم بالصفّ الإسلامى ظاهراً، وهو ما يبدو من المتابعه الدقيقه لحياه الكثير منهم، فقد كانوا أقرب للنفاق منه إلى الإسلام.

فيما راحت آيات القرآن الكريم تدحض كيدهم، وتطيح بتآمرهم ودسائسهم، التى ما انفكوا يحيكونها ضدّ هذه الفئه المظلومه المستضعفه من الصحابه المؤمنين، كما راحت تشيد

۱- أسد الغابه ۲: ۹۸.

بهؤلاء الثّله المؤمنه وبصدق إيمانهم، وتحضّ على الوقوف معهم، وعدم تركهم وحدهم، وسخريه واستهزاء زعماء قريش تلاحقهم، والتصدّى لكلّ تآمر ضدّهم، وعدم الاستجابه لمطالب هؤلاء الطغاه والمستكبرين، بل أخذت هذه الآيات تغدق على هؤلاء المعذّبين، أوسمهً عظيمهً ظلّت تشكّل ذكرى طيّبه خالده لهم فى الدُّنيا والآخره:

(وَالَّذِينَ هاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ ما ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيا حَسَنَهً وَلَأَجْرُ الْآخِرَهِ أَكْبَرُ لَوْ كانُوا يَعْلَمُونَ).(۱)

نزلت بعد أن مكثت قريش على ضلالها وعنادها وكبريائها، وهى ترى ضعاف مجتمعها يؤمنون برساله محمّد٩ ليكونوا شوكهً تنخر مجتمعها الفاسد، وكيانها الضالّ، وجنوداً لثوره عارمه ضد طغيانها وجبروتها، كانت تدرك كلّ هذا؛ لهذا راحت تصبّ عليهم غضبها، وتنزل بهم العذاب، فلعلّها تحدّ من انتشار هذا الدين بين صفوفهم، إن لم تستطع إيقافه وإماتته؛ وإعادتهم إلى ما تعبد إلى دين آبائها وأجدادها أذلّهً خاسئين.

نزلت هذه الآيه على ما قاله الشيخ الطبرسى فى المعذَّبين بمكّه مثل: صهيب، وعمّار، وبلال، وخبّاب، وغيرهم، مكّنهم الله بالمدينه، وذكر أنّ صهيباً قال لأهل مكّه: أنا رجل كبير إن كنتُ معكم لم ينفعكم، وإن كنتُ عليكم لم يضرّكم، فخذوا مالى ودعونى، فأعطاهم ماله، وهاجر إلى رسول الله(ص). فقال له أبوبكر: ربح البيع يا صهيب.

ويروى أنّ عمربن الخطّاب كان إذا أعطى أحداً من المهاجرين عطاءاً، قال له: خذ، هذا ما وعدك الله فى الدُّنيا، وما أخّره لك أفضل، ثمّ تلا هذه الآيه.(۲)

فيما قال الواحدى فى أسبابه: نزلت فى أصحاب النبىّ(ص) بمكّه: بلال، وصهيب، وخبّاب، وأبى جندل بن سهيل، أخذهم المشركون بمكّه، فعذّبوهم وآذوهم، فبوّأهم الله تعالى المدينه بعد ذلك.(۳)

۱- النحل: ۴۱.

۲- تفسير مجمع البيان، للطبرسى ۶ : ۵۵۷ ؛ وفى تفسير الآيه من سوره النحل.

۳- أسباب النزول للواحدى: ۲۸۵.

حقّاً أنّ الله تعالی بوّأهم مکاناً محموداً فی الـدُّنیا، ومنحهم أجراً عظیماً فی الآخره، راحت تتغنّی بأمجادهم هـذه الأجیال، ویقتدی بسـیرتهم الثوّار والمجاهـدون، وراحوا یقفون عند مفاصل حیاتهم الجهادیه، وهم یعذّبون، وهم یخوضون غمار معارک الإسـلام الأولی، کلّ هدفهم الشهاده، فیکتمل

بـذلک موقفهم الإیمانی، وتنزل بـذلک النعم علیهم، فهم بها غیر زاهـدین، ولیسوا بقلیلها مقتنعین، إنّما کانوا یطلبون المزیـد من کرامه الدُّنیا وثواب الآخره، وکان دیدنهم الشکر قولاً وعملاً ومزیداً من التضحیات والتحمّل والصبر، وکانوا مصداقاً لقوله تعالی: (لَئِنْ شَکَرْتُمْ لَأَزِیدَنَّکُمْ).(۱)

(وَ اصْبِرْ نَفْسَکَ مَعَ الَّذِینَ یَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَداهِ وَ الْعَشِیِّ یُرِیدُونَ وَجْهَهُ...).(۲)

نزلت فی سلمان، وأبی ذرّ، وصـهیب، وعمّـار، وخبّـاب، وغیرهم من فقراء أصـحاب النبیّ(ص) وذلک أنّ المؤلّفه قلوبهم جاؤوا إلی رسـول الله(ص) وهـم عیینـه بن الحصـین، والأقـرع بن حـابس وذووهم، فقـالوا: یـارسول الله إن جلست فی صـدر المجلس، ونحّیت عنّا هؤلاـء روائـح صـنانهم (نتن الابـط) وکـانت علیهم جباب الصوف، جلسـنا نحن إلیک وأخـذنا عنک، فلا یمنعنا من الـدخول علیـک إلاّـ هؤلاـء، فلمـا نزلت الآـیه قام النبیّ(ص) یلتمسـهم، فأصابهم فی مؤخّر المسـجد یـذکرون الله عزّوجلّ، فقال: ألحمد لله الذی لم یمتنی حتّی أمرنی أن أصبر نفسی مع رجال من اُمّتی، معکم المحیا ومعکم الممات.(۳)

{... وَلا تَطْرُدِ الَّذِینَ یَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَداهِ وَالْعَشِیِّ یُرِیدُونَ وَجْهَهُ...).(۴)

بعـد أن یئست قریش من أن تصل إلی غایتها بأسالیبها القـذره، بـدأت باتّباع أسـلوب آخر فی تعاملها وملاحقتها للثوّار البرره، لا یقـلّ قـذارهً عن الـذی سبق، ألاـ وهو أن اطرد یا محمّـد هؤلاء «عمّار، وصـهیب، وبلال، وخبّاب، وسـلمان، وأبوذرّ، وغیرهم من الفقراء الذین

۱- إبراهیم: ۷.

۲- الکهف: ۲۸.

۳- مجمع البیان، للطبرسی ۶: ۷۱۷ ۷۱۸.

۴- الأنعام : ۵۲.

آمنوا به حين كذّبه هؤلاء الذين يسمونهم بالأشراف، ونصروه حين خذله الناس الآخرون، ومنهم هؤلاء الأثرياء وكبار قريش...» فيكون لنا مجلس معک وكلام؛ لأنّه لا يليق بنا أن يضمّنا مجلس واحد مع هؤلاء الفقراء العبيد، وذوى الثياب الرثه، فنتساوى معهم، فلو نحيتهم عن مجلسک لتوافد عليك أهل الثراء والإشراف، وقد نتبعک، ما أشبه اليوم بالبارحه، حيث قال زعماء قوم نوح۷ له: (وَما نَراکَ اتَّبَعَکَ إِلاَّ الَّذِينَ هُمْ أَراذِلُنا بادِیَ الرَّأْیِ).(۱) إنّها الشأنيه القذره!

فلعلّها بهذه الطريقه توقع بين محمّد وصحبه، وتزرع الشقاق فى الجماعه المسلمه، وتنخر بالجسم الواحد فيتفتّت، ولخطوره هذا الاسلوب، ولفداحه ما ينتجه، وما يتركه على نفوس هؤلاء المعذّبين، وهم يرون معذِّبيهم بين يدى رسول الله معزّزين مفضّلين، وهم عنه بعيدون، إنّها ذلّه لا تستطيع نفوسهم تحمّلها! وهل هذا جزاؤهم؟! وهل هذه مكافأتهم؟!

سارعت السماء، فأنزلت قرآناً يحسم هذا الكيد ويطيح به، وتثمن مواقف المعذّبين، وتدين مواقف غيرهم.

يقول عبدالله بن مسعود:

مرّ الملأ من قريش على رسول الله(ص) وعنده صهيب، وخبّاب، وبلال، وعمّار، وغيرهم من ضعفاء المسلمين، فقالوا: يا محمّد أرضيتَ بهؤلاء من قومک؟ أفنحن نكون تبعاً لهم؟ أهؤلاء الذين منَّ الله عليهم؟ اطردهم عنك فلعلّك إن طردتهم اتّبعناک، فأنزل الله تعالى: (وَلا تَطْرُدِ. . .).

قال سلمان وخبّاب: فينا نزلت هذه الآيه؛ جاء الأقرع بن حابس التميمى، وعيينه بن حصين الفزارى، وذووهم من المؤلّفه قلوبهم، فوجدوا النبىّ(ص) قاعداً مع بلال، وصهيب، وعمّار، وخبّاب، فى ناس من ضعفاء المؤمنين فحقّروهم، وقالوا: يارسول الله لو نحيت هؤلاء عنک حتّى نخلو بک، فإنّ وفود العرب تأتيک فنستحى أن يرونا مع هؤلاء الأعبد، ثمّ

۱– هود : ۲۷.

إذا انصرفنا، فإن شئت فادعهم إلى مجلسک، فأجابهم النبیّ(ص) إلی ذلک، فقالا له: اکتب لنا بهذا علی نفسک کتاباً، فدعا بصحیفه وأحضر علیّاً لیکتب.

قالا: ونحن قعود فی ناحیه إذ نزل جبرئیل۷ بقوله تعالی: (وَلا تَطْرُدِ الَّذِینَ یَدْعُونَ) إلی قوله: (أَ لَیْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاکِرِینَ).

فنحّی رسول الله(ص) الصحیفه، وأقبل علینا ودنونا منه، وهو یقول: کتب ربّکم علی نفسه الرحمه. فکنّا نقعد معه.(۱)

وعن عکرمه قال: جاء آل شیبه وعتبه ابنا ربیعه، ونفرٌ معهما سمّاهم أبوطالب، فقالوا: لو أنّ ابن أخیک محمّداً یطرد موالینا وحلفاءَنا، فإنّما هم عبیدنا وعُسفاؤنا؛(۲) کان أعظم فی صدورنا، وأطوع له عندنا، فأتی أبوطالب النبیّ(ص) فحدّثه بالذی کلّموه، فأنزل الله عزّوجلّ الآیه.

قال: وکانوا بلالاً وعمّار بن یاسر مولی أبی حذیفه بن المغیره، وسالماً مولی أبی حذیفه بن عتبه، وصُبیحاً مولی اُسید، ومن الحلفاء ابن مسعود، والمقداد بن عمرو، وخبّاباً مولی اُمّ أنمار.

وکانت قصّه دَین خبّاب علی العاص بن وائل سبباً فی نزول آیات:

فعن خبّاب أنّه قال: کان لی علی العاص بن وائل دَینٌ، حین کان قد باعه سیوفاً عملها له، فأتیته أتقاضاه، فقال لی: لن أقضیک حتّی تکفر بمحمّد.

قال: فقلت له: إنّی لن أکفر بمحمّد حتّی تموت، ثمّ تبعث.

قال: وإنّی لمبعوث من بعد الموت؟ فسوف أقضیک إذا رجعت إلی مال وولد؛ قال وکیع: کذا قال الأعمش؛ قال: فنزلت (أَ فَرَأَیْتَ الَّذِی کَفَرَ بِآیاتِنا وَقالَ لَأُوتَیَنَّ مالاً وَوَلَداً * أَطَّلَعَ الْغَیْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمنِ عَهْداً * کَلَّا سَنَکْتُبُ ما یَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذابِ مَدًّا * وَنَرِثُهُ ما یَقُولُ وَیَأْتِینا فَرْداً).(۳)

۱- مجمع البیان، للطبرسی، فی تفسیر الآیه.

۲- العسیف: الأجیر المستهان به، اُنظر لسان العرب: عسف.

۳- صحیح مسلم ۴: ۲۰۶۴ ح۱۲ ؛ صحیح البخاری ۲: ۷۳۶ ۷۳۷ ح۱۹۸۵.

علمه

كان خبّاب بن الأرت ممّن يُرجع إليه فى القرآن، قراءهً، وحفظاً، وفقهاً لمعانيه، وفهماً لمقاصده، وكان أستاذاً لجمع من الصحابه الذين كان منهم عبدالله بن مسعود، فقد كان من تلاميذه ومريديه.

ولمّا كانت الدعوه الإسلاميه تعيش مرحله الكتمان والسرّيه فى مكّه، كان هذا الصحابى الجليل يختلف سرّاً إلى إخوانه، ممّن آمنوا وكتموا إيمانهم، خوفاً من بطش مشركى مكّه وكبريائهم؛ ليحفّظهم ما ينزل من آيات القرآن الكريم، ويعلّمهم ما تتضمّنه من معان جميله، ومقاصد عاليه، وهذه من النعم الكبيره التى هيّأها الإسلام له، بعد إسلامه، وإخلاصه، وجدّيته فى تلقى علوم الإسلام، ومعرفه آيات القرآن الكريم ومفاهيمه.

ممّارواه و قاله

ذكرت له عدّه روايات فى كتب الأحاديث، لعلّها تصل إلى ۳۸ حديثاً، منها:

تلك الروايه التى ذكرناها والتى قال فيها وجماعته لرسول الله(ص): يا رسول الله ألا تستنصر لنا؟ ألا تدعو الله لنا؟....(۱)

وهذه الروايه تبيّن طغيان وقسوه المستكبرين، وما عاناه هؤلاء المؤمنون، بل ما تعانيه الأجيال المؤمنه على مرّ التاريخ من ظلم الطغاه وتعذيبهم، وبشاعتهم.

قال: هاجرنا مع النبيّ(ص) نريد وجه الله، فوقع أجرنا على الله، فمنّا من مضى لم يأخذ من أجره شيئاً، منهم مصعب بن عمير، وعلى قول آخر حمزه عمّ النبيّ، قتل يوم اُحد، وترك نمرهً (برده)، فكنّا إذا غطّينا بها رأسه بدت رجلاه، وإذا غطّينا رجليه بدا رأسه، فأمرنا رسول الله(ص) أن نغطّى رأسه، ونجعل على رجليه شيئاً من إذخِر، ومنّا من أينعت له ثمرته فهو يَهديها.(۲)

۱- صحيح البخارى ۳: ۱۳۲۲ ح۳۴۱۶.
۲- المصدر نفسه ۳: ۱۴۱۵ ح۳۶۸۴.

ومنها الروایه التی نقلناها فیما سبق وکانت سبباً لنزول الآیه: (أَ فَرَأَیْتَ الَّذِی کَفَرَ بِآیاتِنا...).(۱)

أخبر جماعه من أصحاب خباب: بینما نحن فی المسجد، إذ جاء خباب بن الأرتّ، فجلس فسکت، فقال له القوم: إنّ أصحابک قد اجتمعوا إلیک لتحدّثهم أو لتأمرهم.

قال: بم آمرهم؟ ولعلّی آمرهم بما لستُ فاعلاً.

قال قیس: أتیت خبّاباً وهو یبنی حائطاً له، فقال: إنّ أصحابنا؛ وفی روایه اُخری أصحاب محمّد٩ مضوا لم تنقصهم الدُّنیا شیئاً، إنّا أصبنا من بعدهم شیئاً، وفی روایه: وإنّا أصبنا من الدُّنیا ما لا نجد له موضعاً إلاّ التراب.(۲)

موقفٌ خالدٌ

قضی الشطر الأکبر من حیاته رضوان الله علیه فی فقر وفاقه، حاله حال الکثیر من إخوانه المؤمنین، إلاّ أنّه فی أواخر عمره منَّ الله تعالی علیه، فاغتنی حتّی ذکر أنّه ملک ما لم یکن یحلم به من الذهب والفضّه.

ومع هذا کلّه بقی هذا الرجل کما عرف عنه زاهداً لم تغیره الدنیا، ولم تضعف إیمانه؛ لهذا راح یتصرّف فیما جعله الله مستخلفاً فیه بوجه لا یخطر علی بال أحد.

وضع ماله ودراهمه و دنانیره فی مکان من بیته غیر مستور، أی لم یخبئه، ولم یشدد علیه رباطاً ولم یحکم علیه قفلاً، وقد أذن لمن هو فی حاجه أن یأخذ منه ما یسدّ حاجته دون أن یسأله أو یستأذن منه؛ لینال بذلک رضا الله تعالی.

ومع موقفه هذا من الذی بین یدیه، تراه یخشی من أن یکون غناه وثراؤه هذا أجراً لما قدمه من مواقف وتضحیات فی سبیل الله، استوفاه فی الدنیا؛ فقد حدّث جمع من أصحابه قائلین:

۱- صحیح البخاری ۲: ۷۳۶ ۷۳۷ ح۱۹۸۵.

۲- المصدر نفسه ۵: ۲۳۶۲ ۶۰۶۹ ح۶۰۶۶.

دخلنا على خباب فى مرض موته، فقال:

إنّ فى هذا المكان ثمانين ألف درهم، وإنّى ما شددت عليه رباطاً قطّ، ولا منعت سائلاً قطّ، ثمّ بكى.

فقالوا له: ما يبكيك؟

فقال: أبكى لأنّ أصحابى مضوا ولم ينالوا من أجورهم فى هـذه الدنيا شيئاً، وأننى بقيتُ فنلتُ من هذا المال ما أخاف أن يكون ثواباً لتلك الأعمال، أو لقد خشيت أن يذهب بأجورنا مع رسول الله(ص) ما أصبنا من الدنيا.

الكوفه

لأسباب عديده، قد يكون الوضع السياسى فى خلافه عثمان بن عفان واحداً منها، غادر جمع من الصحابه مدينه رسول الله(ص) متوجّهين نحو الكوفه، حيث سبق وأن أقطع عثمان جمعاً من المسلمين ومنهم خباب والزبير... قطيعةً من أرض الخراج فى الكوفه، اتخذوها سكناً لهم حينما تركوا المدينه.

تقول الروايه:

... كان الناس يقدمون على عثمان بن عفّان، وكان منهم ابن مسعود وابن ياسر والزبير وغيرهم، فيسألونه أن يعوّضهم مكان ما خلّفوا من أرضهم بالحجاز وتهامه، ويُقطعهم عوضه بالكوفه والبصره، فأقطع خبّاب بن الأرت استينيا، قريه بالكوفه.(۱)

وفى خبر إنّما القطائع كانت على وجه الفضل من خمس ما أفاء الله.

وفى روايه اُخرى:

وابتنى خبّاب بن الأرت بالكوفه داراً فى جهار سوج خُنيس.(۲)

وفى معجم البلدان: يعرف بجهار سوج الهيثم بن معاويه من القوّاد الخراسانيه، وهى

۱- اُنظر معجم البلدان ، لياقوت الحموى. وتاريخ الطبرى ۲: ۴۳۸.

۲- اُنظر تاريخ الكوفه: ۳۹۸.

کلمه فارسیه،(۱) وهی من محالّ بغداد فی قبله الحربیه، خرب ما حولها من المحال، وبقیت هی والنصیریّه، والعتّابیون، ودار القزّ، متّصله بعضها ببعض، کالمدینه المفرده، فی آخر خراب بغداد.(۲)

بعض ماقاله فیه علماء الرجال

کان لخباب عند علماء الرجال منزله محموده، وأنّه ثقه جلیل، فقلیلاً ما تخلوا کتبهم من ذکر اسمه، وترجمه حیاته، والإشاده به.

فهذا شیخ الطائفه عدّه من جمله رجاله،(۳) فیما قال عنه بحر العلوم،(۴) فی رجاله: خباب بن الأرتّ التمیمی أبوعبدالله أحد السابقین الأولین الذین عذّبوا... فیما قال التستری فی قاموسه:... وممدوحیه خباب مسلمه کما عرفت من مدح أمیرالمؤمنین۷ له.(۵)

فیما ذکره العامّه ابن عبدالبرّ، وابن منده، وأبونعیم... بأنّه صحابیّ جلیل، وأنّه کان من فضلاء المهاجرین الأولین.(۶)

وفاته رضوان الله علیه

کان هذا الصحابی الجلیل علی موعد مع ظهر (أی ما غلظ وارتفع) الکوفه، هناک حیث رقد جسده المعذّب بعد صبر طویل، ومثابره عظیمه، وثبات منقطع النظیر، فی أن یبقی علی العهد مؤمناً صادقاً مجاهداً، حتّی یلقی الله تعالی صابراً محتسباً؛ وبوفاته ودفنه فی الکوفه کان أوّل صحابی یدفن فیها.

۱- چار سوق، فارسیه.

۲- اُنظر معجم البلدان ۲: ۱۹۳.

۳- رجال الطوسی: ۱۹.

۴- رجال بحر العلوم.

۵- القاموس، للعلّامه التستری ۴: ۱۵۶.

۶- المصدر نفسه.

تقول الروایه وهی عن ابن خبّاب: کان الناس یدفنون موتاهم بالکوفه فی جبابینهم، فلمّا ثقل خبّاب قال لی: أی بُنی إذا متُّ فادفنی بهذا الظهر، فإنّک لو قد دفنتنی بالظهر قیل: دُفِنَ بالظهر رجل من أصحاب رسول الله(ص)، فدفن الناس موتاهم، فلمّا مات خبّاب رحمه الله، دفن بالظهر فکان أوّل مدفون بظهر الکوفه.(۱)

وهذا محلّ اتّفاق المؤرّخین، إلّا أنّهم اختلفوا فی سنه وفاته رضوان الله علیه، فهناک من یقول: صلّی علیه علیٌّ (ع) وجهه منصرفه من صفّین،(۲) وقول: فی السنه السادسه والثلاثین من الهجره.(۳) وقول آخر: إنّه توفّی فی السنه التاسعه عشره من الهجره.(۴) وآخر بعد معرکه النهروان سنه ۳۹ هجریه.

إلّا أنّ الأکثر شهره أنّه توفّی فی السنه السابعه والثلاثین من الهجره، بعد ما شهد صفین مع علیٍّ (ع) والنهروان، وصلّی علیه علیّ (ع) وکان عمره إذ مات ثلاثاً وسبعین سنه.

فیما قال ابن الأثیر بعد هذا: الصحیح أنّه مات سنه سبع وثلاثین، وإنّه لم یشهد صفّین، فإنّه کان مرضه قد طال به، فمنعه من شهودها.(۵)

إذاً کان الإمام علی (ع) مشغولاً فی حرب صفّین، وترک خباباً مریضاً فی الکوفه، ولعلّ الذی یؤیّد کونه مریضاً، ما ورد فی کلام الإمام (ع) الآتی: «وابتلی فی جسمه فصبر»; ولم یکن حاضر وفاته، وهو ما توهّمه بعض.

الإمام علی (ع) مؤبّناً

ما إن عاد الإمام علی (ع) من معرکه صفّین، ووصل إلی ظهر الکوفه حتّی سأل: ما هذه القبور؟ فقال قدامه بن العجلان الیزدی: یا أمیرالمؤمنین، إنّ خبّاب ابن الأرت توفّی بعد

۱- اُنظر الطبقات الکبری ۳: ۱۶۷.

۲- حلیه الأولیاء ۱: ۱۴۷.

۳- الاستیعاب ۱: ۳۲.

۴- المصدر نفسه: ۴۲۳ ۴۲۴ ؛ والإصابه ۱: ۴۱۶.

۵- أسد الغابه ۲ : ۱۰۰.

مخرجک، فأوصی بأن یُدفن فی الظهر، وکان الناس إنّما یـدفنون فی دورهم وأفنیتهم، فدفن بالظهر رحمه الله، ودفن الناس إلی جنبه.

فوقف الإمام (ع) علی هذه القبور قائلًا:

السـلام علیکم یا أهل الدیار الموحشه، والمحالّ المقفره! من المؤمنین والمؤمنات، والمسـلمین والمسـلمات، أنتم لنا فرط، ونحن لکم تبع، نزورکم عمّا قلیل، ونلحق بکم بعد زمان قصیر; أللّهمَّ اغفر لنا ولهم، وتجاوز عنّا وعنهم.

ألحمد لله الذی جعل الأرض کفاتاً، أحیاءاً وأمواتاً، والحمد لله الذی منها خلقنا، وعلیها ممشانا، وفیها معاشنا، وإلیها یُعیدنا، طوبی لمن ذکر المعاد، وقنع بالکفاف، وأعدّ للحساب!(۱)

ثمّ قال۷ مؤبّناً، وقـد انفرد بقبر غضٍّ رطیب ٍیضمّ رفات هـذا العبد الصالح: رحم الله خبّاباً! لقد أسـلم راغباً، وجاهد طائعاً، وعاش زاهداً، وابتلی فی جسمه فصبر!

ولن یُضیع الله أجر من أحسن عملًا.(۲)

۱- تاریخ الطبری ۳: ۱۰۸ ؛ أسد الغابه ۲: ۱۰۰ ؛ وقعه صفّین: ۵۳۰ ؛ شرح نهج البلاغه ۱۹: ۲۰۶ ۲۵۷.
۲- العقد الفرید ۳: ۲۰۱ ؛ أسد الغابه ۲: ۱۰۰.

(۱۳) بلال

اشاره

أحدٌ أحد، مؤذِّن رسول الله(ص)

حسن محمّد

ما أعظمک یا بلال، وقد اقترن اسمک بکلمات لم یسبقک إلیها أحدٌ، حتّی غدت سلاحک الوحید الذی تدافع به عن نفسک، حیث کانت تخلق فیک صموداً لا یهزم، وثباتاً لایلین، وقد تلوّت علی ظهرک سیاطهم، ومزّقت جسدک حدیدتهم المحماه، فی رمضاء مکّه، ولهیب رمالها، وأنت تردّدها کلمات خالده.. أحدٌ أحد، أحدٌ أحد.. حتّی غدت انشودتک التی لم تجد أجمل منها وأحلی.. ولم ینطق لسانک بشیء غیرها.. فکانت أمضّ سلاح ینخر صدورهم، ویهزّ کبریاءَهم.. ویغیض قلوبهم، وهو ما کنت تبحث عنه وتتمنّاه.

وما أعظمک یا بلال، وقد اقترن اسمک بأعظم نداء عرفته الدُّنیا، وردّدته الأجیال!

وما أحسن عاقبتک یابلال، وقد خلدت بخلود کلّ فصل من فصول هذا الأذان، وکلّ کلمه من کلماته، بل وکلّ حرف من حروفه، ولحن من ألحانه، ونغمه من نغماته!

وما أعظم ذکراک، وقد امتزجت بذکری هذا الأذان، الذی راح یدوّی خمس مرّات فی

أرجـاء السـماء، تردّده الألـسن، وتهفو إليه القلوب، وتطمئن به النفوس، فمـا إن يسـمع أحـدُنا مؤذِّنـاً يرفع الأذان حتّى يتبادر إلى الذهن بلال، وما إن نسـمع صوتاً نديّاً شـجيّاً إلاّ وراح بلال بصوته الجميل شاخصاً حيّاً، وكيف لا يحيى، وقد اقترنت حياته بحياه هذا الأذان، فنعم القرين!؟

* * *

إنّه واحد ممّن قضـى عمره بين عبوديّتين: عبوديه للناس، وقد أكره عليها، وكلّها تسـخير وذلّ وظلم، مقابل ثمن بخس، لا يتعدّى رغيف خبز، وافتراش أرض؛ وعبوديه لله، خطى نحوهـا بـإرادته ورغبته، فكـانت عزّاً فى الـدُّنيا وكرامهً فى الآـخره، وكانت خلوداً هى الأخرى فى الدُّنيا، وخلوداً فى الآخره... فشتّان شتّان بين العبوديّتين!!

كان بلال من فئه العبيد، تلك التى سخّرها ساده المجتمع المكّى وكبراؤه، فى نواح خدميه كثيره، وأخرى قتاليه.

ومـا إن مـنَّ الله تعـالى بـدعوته المبـاركه الجديـده، رحمـهً للنـاس جميعـاً، حتّى راحت قلوبُ هؤلاـء الضـعفاء تجـد أمانهـا فيها وطمأنينتها.

فتوجّهوا نحوهـا كـأعظم ملجإ لهم وملاذ، لتنتشـلهم ممّا هم فيه من اضـطهاد متواصل، وعـذاب دائم، وذلٍّ مسـتمرّ، من خزى فى الدُّنيا، وعذاب فى الآخره، إلى عبق الحريه والمساواه، وإلى فردوس ينتظرهم فى الآخره.

وهم يسمعون: «لا فضل لعربى على أعجمى ولا لأبيض على أسود إلّا بالتقوى».

وهم يقرأون: (تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَهُ نَجْعَلُها لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى الْأَرْضِ وَلا فَساداً وَالْعاقِبَهُ لِلْمُتَّقِينَ).

لقد كانت هذه الفئه من الناس تشـخص بأبصارها بعيداً، وكأنّها تنتظر من ذلك الأفق البعيد منقذاً ظلّت تعيشه حُلماً جميلاً، يهوّن عليها ما هى فيه من هوان، ويزرع فى نفوسها الأمل والطموح والرغبه فى حياه إيمانيّه، تنقذهم ممّا هم فيه من ضلال وعذاب، فما إن رأته واقعاً أمامها حتّى بادرت إلى التصـديق به، والتضـحيه فى سبيله، فكان لهم قصب السـبق فى نصـره هـذه الدعوه الخالده، والدفاع عنها بأرواحهم وأجسادهم، وما يملكون حتّى

تمّ نصر الله والفتح.

لم يتأخّر بلال كثيراً، فقد ردّد الشهادتين، وأعلن بذلك إسلامه مع رفاقه فى الآلام، فبدأوا بذلك حياةً جديدةً، إلاّ أنّ الأيدى الظالمه لم تتركهم، فقد راح أسيادهم يصبّون عليهم جام غضبهم، وينزلون بهم أقسى أساليب التعذيب وأشكاله.

ومع كلّ هذا رأت هذه الفئه التى هانت عليها نفوسها فى الله تعالى، أنّ ما ينزل بها من عذاب هو غير ذلك العذاب، وأنّ ما يحلّ بها من ظلم وقسوه هى غير تلك القسوه، لقد رأت بهذا كلّه حلاوةً ونشوةً، ولهذا تحمّلت، وراحت تردّد مع بلال كلماته المشهوره على لسان واحد، ومن قلوب ملئت إيماناً وحبّاً لله حتّى غدت كيانهم كلّه: أحدٌ أحد; وجدت بها بلسمها ودواءها وحرّيتها، التى فقدتها سنين طويله، فيما راحت الأجيال المؤمنه تعيش ذكراهم، وتردّد صدى ما تعوّدته ألسنتهم، ووعته قلوبهم.

لقد أسلم بلال، وهو من الأوائل الذين أعلنوا إسلامهم، وراح يشهد مشاهد رسول الله(ص) كلّها بدراً وأُحُداً والخندق، وفتح مكّه.

* * *

إنّه بلال بن رباح الحبشى، أبوعبدالكريم، وأبوعمرو الحبشى، أمّه حمامه؛ وكان مولى أميّه بن خلف، الذى كان واحداً من طغاه قريش، وقد أوغل فى ظلمه لبلال؛ ثمّ بعد ذلك اشتراه أبوبكر بن أبى قحافه، فظلّ مولى له حيناً من الوقت.

صفاته

كان بلال أدم، شديد الأدْمَه، نحيفاً طُوالاً، أجنأ، أى فى كاهله انحناء، إلاّ أنّه ليس بالأحدب، له شعر كثيف، خفيف العارضين.

أمّا صوته فجميل قوى، ينتشر بعيداً، وكانت له ترنيمه شجيّه، عرفته أرجاء مكّه بندائه الجميل، شفيت به الأبدان المكدوده، وتماثلت به النفوس المعتلّه السقيمه.

هيّأه هذا الصوت لأن يكون أوّل مناد بنداء التوحيد، ينبذ الشرك والشركاء، عبر أجمل

وأعظم فصول تردّدها الشفاه، وتنطلق بها الألسن، وتتعلّق بها القلوب، وتشتاق لها الأنفس، وتشفى بها الأجسام، «أرحنا يا بلال»، هكذا كان يناديه رسول الله(ص).

نعم، أُنيط به أذان أعظم أركان الإسلام، وأقدس شعيره جاء بها الدين الحنيف، إنّها الصلاه، إنّها اللقاء المباشر بين العبد وربّه..

وهذا ما كان يتمنّاه بلال، فينتقل من مجرّد عبد حبشى لا غير إلى عبد صالح لله وحده، فتنهال عليه بركات السماء، فيخلد مؤمناً صلباً، ذلّت له عنجهيه قريش وكبرياؤها، بعد أن تكسّرت عليه سياطهم، سياط الجلّادين، دون أن تنال منه شيئاً، بل ما زادته إلّا عزّاً وكبرياء.

بلال و اُميّه

بلال بين يدى سيّده أميّه بن خلف فى رحله العذاب، حيث راح هذا الأخير يذيق ذاك العبد الصالح، والسابق الأوّاب، صنوفاً من العذاب.

فى كلّ ظهيره، حيث شمس الحجاز المحرقه، ورمالها الملتهبه فى بطحاء مكّه، يوضع هذا الجسد العظيم بين نارين ونار ثالثه يمسك بها أميّه وأعوانه، وصخره كبيره ترقد على صدر بلال فتقطع عليه أنفاسه، ها أنت يا بلال بين خيارين لا ثالث لهما؛ إمّا أن تموت بسياطنا وصخورنا وحديدنا المكواه، وإمّا أن تكفر بمحمّد ابن عبدالله، فتعود إلى (عباده اللّات والعزّى)، فتنال محبّتنا.

إلّا أنّهم خابوا وخابت جميع محاولاتهم، وخسئت سياطهم وعصيهم وحديدهم، من أن تنال من عزمه الراسخ، وإيمانه العظيم، الذى لا يلين أو يضعف.

كلمه واحده مختصره لا ـ غير، راح لسان بلال يلهج بها، وتركها عبر التاريخ والأجيال خالدةً مدويّةً تعلّم الأحرار والمؤمنين الصمود والإباء، حروف ثلاثه، كلّ حرف يعدل الوجود كلّه خيراً وعطاءً: أحدٌ، أحد، لم يتلفّظ غيرها أبداً، وهو بين رمال ملتهبه، وشمس محرقه، وصخره تجثم على صدره فتقطع أنفاسه، فلا ينطق إلّا بهذه الحروف وما أعظمها

وأقدسـها وأجملها! بصوت ضـعيف قد لا يسـمعه أحدٌ، حتّى هو بعد أن أضعفه الجوع والعطش والألم.. شفاه تتحرّك، بل تتمتم بها.. أحدٌ أحد، نعم أحدٌ أحد.

صمودٌ ما أعظمه، غـدا بعـده مدرسةً، وظلّ ذكرى عظيمه، لا تملّها الأجيال، راحت كلمات بلال تدوّى فى بطحاء مكّه وأجوائها؛ كمـا راحت ألسن الجميع تردّدهـا من بعـده؛ فكـانت صـاعقةً تنزل على مسامع مشـركى قريش، فيجنّ جنون أُميّه، وتسـيطر سوره الغضب عليه؛ فينهال على بلال بوسائله البشعه، بسياطه وحديده، وألفاظه القذره، يركله، يضربه، يشتمه.

وبلال يزداد صـموداً وتألّقاً.. أحدٌ، أحد.. وهكذا ظلّ هذا المعذَّب أيّاماً وليالى.. بلال لا نريد منك شيئاً.. أذكر فقط آلهتنا بخير.. لقد أتعبهم بلال وثباته.. حتّى غدا كلّ واحد منهم، وكأنّه هو المعذَّب لا بلال.

فسئم أميّه.. يـا أبـا جهـل عليـك به.. فصبّ عليه جام غضـبه.. وأذاقه صـنوف العـذاب.. حتّى كلّوا وعجزوا.. فاسـتعانوا بصبيانهم وسـفهائهم، ليضـعوا حبلاً ـ فى عنق بلاـل... ليطوفوا به بين أخشبى مكّه، بين أزقّه هـذين الجبلين اللـذين يحيطان بمكّه «أبو قبيس والأحمر».

ولم يترك كلماته العظيمه.. إنّها أنشودته التى لا يملّها ولا تملّه.. وبصوته الرخيم: أحدٌ أحد.. فتذهل أنفسـهم، وتقشعر جلودهم.. ويسقط ما فى أيديهم.. إنّها أنشوده بلال، التى غدت شعاراً للمسلمين فى أولى معارك الإسلام فى بدر.

يا أميّه ألا تتّقى الله فى هذا المسكين؟!

يا أميّه حتّى متى؟!

فيجيب أميّه: أنت أفسدته، فأنقذه ممّا ترى.

فمـا كـان من أبى بكر، إلاّ ـ أن اشـتراه بخمس أواق... وفكّروا أن يربحوا منه فهو أفضـل من موته بين أيـديهم، بعـد أن يئسوا من عودته إليهم... واسـتوقفهم مرّهً أميّه ابن خلف قائلاً ـ لأبى بكر: خـذه، فواللاّت والعزى، لو أبيت إلّا أن تشتريه بأوقيه واحـده لبعته بها.

فيجيبه أبوبكر: والله لو أبيتم إلّا مأه أوقيه لدفعتها.

ثمّ أعتقه لوجه الله تعالى، ليواصل جهاده ودعوته إلى الله.

يقول عمّار بن ياسر وهو يصف بلالاً وقوّته وصموده..

جزى الله خيراً عن بلال وصحبه

مضامتنا

عتيقاً وأخزى فاكهاً وأبا جهل

عشيه هما فى بلال بسوءَه

ولم يحذرا ما يحذر المرء ذو العقل

بتوحيده ربّ الأنام وقوله

شهدت بأنّ الله ربّى على مهل

فإن يقتلونى يقتلونى فإن أكن

لأشرك بالرحمن من خيفه القتل(۱)

المؤاخاه

بعـد أن هـاجر رسـول الله(ص) وهـاجر المسـلمون من مكّه إلى المـدينه، راح رسـول الله(ص) يبنى أسـس المجتمع المؤمن على أسـس متينه، وكانت المؤاخاه واحده من تلك الأسـس، فآخى بين المهاجرين والأنصار، فكان نصيب بلال من هذه المؤاخاه أن آخى رسول الله(ص) بينه وبين أبى رويحه عبدالله بن عبد الرحمن الخثعمى.

ظلّ هذا العبد الصالح وفياً لهذه الأخوّه.

يقول ابن هشام فى سيرته: (فلمّا دوّن عمر بن الخطّاب الدواوين بالشام، وكان بلال قد خرج إلى الشام، فأقام بها مجاهداً.

قال عمر لبلال: إلی مَن تجعل دیوانک یا بلال؟

قال: مع أبی رویحه، لا أفارقه أبداً، للأخوّه التی کان رسول الله(ص) عقد بینی وبینه، فضُمَّ إلیه.(۲)

الثلّه المعذَّبه وآیات قرآنیه

بلال، وعمّار، وخبّاب، وصهیب، وأبوجندل... وغیرهم، مؤمنون معذَّبون انصبّ جام

۱- حلیه الأولیاء ۱: ۱۴۸.

۲- السیره النبویه، لابن هشام ۱: ۵۰۷.

غضب قريش عليهم تجويعاً وتعذيباً وتنكيلاً وسخريهً.

وقبال كلّ ما عانوه من آلام، وسياط، وظلم، واضطهاد، ظلّ كتابُ الله تعالى يواكبهم فى بعض آياته، مواساةً لهم ورعايهً، وتثبيتاً، ومؤازرةً؛ كما راحت تعلّم الآخرين من المؤمنين على الاهتمام، بهذه الشريحه المؤمنه، وعدم تركها بعيدةً عن اهتمامهم، فتبقى وحيدةً فريدةً أمام جبروت المشركين وطغيانهم حتّى بعد أن أعلن هؤلاء إسلامهم، لكنّ عنجهيتهم الجاهليه وكبرياءهم، كانا يأبيان عليهم مجامله هذه الفئه المضطهده المستضعفه، ظلّت سخريتهم تلاحق هؤلاء، وظلّ التعالى عليهم علامةً بارزةً فى تعاملهم مع الشريحه المؤمنه هذه؛ بل مكثوا على سيرتهم هذه، وتعاملهم هذا طيله حياتهم، وكأنّ الإسلام الذى أعلنته ألسنتهم لم يترك أثره على قلوبهم، فظلّوا أقرب للنفاق منه إلى الإيمان بالدين الجديد؛ إنّها صفات الجاهليه القذره التى امتزجت بها أرواحهم، وعكفت عليها قلوبهم، وانطوت عليها سريرتهم، ولولا سيف الإسلام، لبقوا على حالتهم الأولى وآلهتهم، التى ظلّوا عليها وآباؤهم عاكفين.

ومثال واحد نذكره يبيّن لنا موقف كبار هؤلاء القرشيين من المعذّبين واحتقارهم لهم، حتّى بعد أن أعلنوا الشهادتين.

فقد حضر الناس يوماً باب عمر بن الخطّاب فى خلافته، وفى هؤلاء الناس أبوسفيان بن حرب وشيوخ من قريش، وكان مع هؤلاء الناس سهيل بن عمرو ابن عبدشمس العامرى، وهو الذى عقد صلح الحديبيه مع النبىّ(ص) ورفض أن يكتب بسم الله الرحمن الرحيم، التى أمر رسول الله(ص) بكتابتها، قائلًا: لا أعرف هذا ولكن اكتب باسمك اللّهمّ، ورفض أيضاً ما أمر به رسول الله(ص) أن يكتب: هذا ما صالح عليه محمّد رسول الله.. قائلًا: لو شهدت أنّك رسول الله لم أُقاتلك، ولكن اكتب اسمك واسم أبيك.

هذه مواقف سهيل قبل إسلامه، وما أجمل مواقفه بعد إسلامه!

كان مع هؤلاء الناس الذين قدموا للدخول على الخليفه، فبعد أن خرج الإذن من الخليفه الثانى لأهل بدر دون الآخرين، أى لصهيب الرومى، وبلال الحبشى، وغيرهم من

المعذّبين، لم يتحمّل أبوسفيان وزمرته هذا، فقال: ما رأيت كاليوم قط، إنّه ليؤذن لهؤلاء العبيد، ونحن جلوس لا يلتفت إلينا.

وهنا تصدّى له سهيل بن عمرو مدافعاً عن هؤلاء المعذّبين، أيّها القوم، إنّى والله قد أرى الذى فى وجوهكم، فإن كنتم غضاباً، فاغضبوا على أنفسكم، دُعى القوم ودعيتم، فأسرعوا وأبطأتم، أما والله لما سبقوكم به من الفضل أشدّ عليكم فوتاً من بابكم هذا الذى تنافسون فيه.

ثمّ قال: أيّها القوم، إنّ هؤلاء قد سبقوكم بما ترون، ولا سبيل لكم والله إلى ما سبقوكم إليه، فانظروا هذا الجهاد فألزموه، عسى الله عزّوجلّ أن يرزقكم الشهاده.(۱)

ومن الآيات التى نزلت فيهم

(وَالَّذِينَ هاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ ما ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كانُوا يَعْلَمُونَ).(۲)

ما انفكّت قريش تلاحق هؤلاء المعذّبين انطلاقاً من ضلالها وعنادها وكبريائها، وظلّ كبرياؤها وتعنّتها يزداد ضدّ هؤلاء المؤمنين خوفاً من استفحال أمرهم، وبالتالى القضاء على زعامتها وسيادتها التى تطمح أن تخلد لها دون منازع من العالمين; لهذا لم تطق قريش ما تراه من إيمان هذه الفئه وصمودها، فراحت تصبّ عظيم غضبها عليهم، لتحدّ من توسّع هذا الدين الجديد بين شباب قريش، إن لم توقفه وتميته، وبذلت جهوداً كبيره ترغيباً وترهيباً من أجل إعادتهم إلى عباده آلهتها صاغرين.

فنزلت هذه الآيه فى هؤلاء المعذَّبين مثل: بلال، وخبّاب، وصهيب، وعمّار، وغيرهم، بعد أن مكّنهم الله تعالى فى المدينه المنوّره بعد هجرتهم، وكانت لهؤلاء منزله كبيره عند رسول الله(ص) وعند الصحابه؛ فقد ذكر أنّ صهيباً قال لأهل مكّه: أنا رجل كبير إن كنت

۱- الاستيعاب ؛ الإصابه فى تمييز الصحابه ۲: ۱۱۰.

۲- سوره النحل: ۴۱.

معكم لم ينفعكم، وإن كنت عليكم لم يضرّكم، فخذوا مالى ودعونى، فأعطاهم ماله وهاجر إلى رسول الله(ص).

ويروى أنّ عمربن الخطّاب فى خلافته، كان إذا أعطى أحداً من المهاجرين عطاءً، يقول له: خذ، هذا ما وعدك الله فى الدُّنيا، وما أخّره لك أفضل، ثمّ يتلو هذه الآيه: (وَالَّذِينَ هاجَرُوا فِى اللَّهِ مِنْ بَعْدِ ما ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِى الدُّنْيا حَسَنَهً وَلَأَجْرُ الْآخِرَهِ أَكْبَرُ لَوْ كانُوا يَعْلَمُونَ).(۱) هذا ما ذكره الشيخ الطبرسى فى تفسيره.

فيما قال الواحدى فى أسبابه: نزلت فى أصحاب النبىّ(ص) بمكّه: بلال، وصهيب، وخبّاب، وأبى جندل بن سهيل، أخذهم المشركون بمكّه فعذّبوهم وآذوهم، فبوّأهم الله تعالى المدينه بعد ذلك.(۲)

لقد كان ما وعدهم ربّهم حقّاً، حيث بوّأهم مقاماً محموداً فى دنياهم ومنحهم أجراً عظيماً فى أخراهم. ففازوا بالحسنتين: حسنه الدُّنيا وحسنه الآخره.

(وَلا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَداهِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ...).(۳)

لم تجن قريش من قسوتها وتعذيبها للنخبه الفقيره المعذّبه إلّا اليأس والخزى، فقد باءت كلّ أساليبها القذره بالفشل، وراحت تفكّر بطريقه أخرى للتنكيل بهم وملاحقتهم، وإنزال العذاب النفسى بهم، بعد أن خابت أساليبها الأخرى التى انصبّت عليهم طيله هذه الفتره.

يتمحور أسلوبها الجديد هذا بأن اطرد يا محمّد هؤلاء: «عمّار، وصهيب، وبلال، وخبّاب، وسلمان، وأبوذرّ، وغيرهم من الفقراء الذين آمنوا به حين كذّبه هؤلاء الطغاه، الذين يسمّون بالأشراف، ونصروه حين خذله الناس الآخرون، ومنهم هؤلاء الأثرياء وكبار قريش..».

فيكون لنا مجلس معك وكلام؛ لأنّه لا يليق بنا أن يضمّنا مجلس واحد مع هؤلاء الفقراء

۱- سوره النحل: ۴۱.

۲- أسباب النزول، للواحدى: ۲۸۵.

۳- سوره الأنعام: ۵۲.

العبید، وذوی الثیاب الرثّه، فنتساوی معهم، فلو نحّیتهم عن مجلسک ; لتوافد علیک أهل الثراء والأشراف، وقد نتّبعک.

فکاد هـذا الأمر أن یزرع الیأس والإحباط فی نفوس هـذه الفئه المظلومه، لولا أن تـدخّلت السـماء، فنزلت هـذه الآیه حسـماً لهذا الموقف، قبل أن یترک آثاره علی هؤلاء المعذَّبین، ویشعر بنشوه النصر کبار قریش وزعماؤها.

یقول عبدالله بن مسعود:

مرّ الملأ من قریش علی رسول الله(ص)، وعنده صـهیب، وخبّاب، وبلال، وعمّار، وغیرهم من ضـعفاء المسلمین، فقالوا: یا محمّد أرضیت هؤلاء من قومک؟

أفنحن نکون تبعاً لهم؟

أهؤلاء الذین منَّ الله علیهم؟

اطردهم عنک فلعلّک إن طردتهم اتّبعناک، فأنزل الله تعالی: (وَلا تَطْرُدِ الَّذِینَ یَدْعُونَ رَبَّهُمْ...).

فیمـا قـال سـلمان، وخبّـاب أیضـاً: فینـا نزلت هـذه الآیه، جـاء الأقرع بن حابس التمیمی، وعیینه بن حصـین الفزاری وذووهم من المؤلّفه قلوبهم، فوجدوا النبیّ(ص) قاعداً مع بلال، وصهیب، وعمّار، وخبّاب، فی ناس من ضعفاءالمؤمنین فحقّروهم، وقالوا:

یـارسول الله لو نحّیت هؤلاء عنک حتّی نخلوا بک، فإنّ وفود العرب تأتیک فنسـتحی أن یرونا مع هؤلاء العبیـد، ثمّ إذا انصـرفنا، فـإن شـئت فـادعهم إلی مجلسـک، فأجـابهم النبیّ(ص) إلی ذلـک، فقـالوا له: اکتب لنا بهـذا علی نفسک کتاباً، فـدعا بصـحیفه وأحضر علیّاً (ع) لیکتب.

قالاـ ونحـن قعـود فی نـاحیه إذ نزل جبرئیل۷ بقـوله تعــالی: (وَلاـ تَطْرُدِ الَّذِیـنَ یَـدْعُونَ رَبَّهُـمْ...) إلی قـوله: (أَ لَیْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاکِرِینَ).

فنحّی رسول الله(ص) الصحیفه، وأقبل علینا ودنونا منه، وهو یقول: کتب ربّکم علی نفسه الرحمه، فکنّا نقعد معه.(۱)

۱- مجمع البیان للطبرسی، فی تفسیر الآیه.

هـذا، وكان بلال واحـداً من أولئك النفر، الـذين راح مشـركو مكّه، وإن أعلنوا إسـلامهم، يلاحقونهم تنديداً وسـخريهً، وخاصّـه بلال بن رباح الـذى ترك خيبه فى نفوسـهم، تأكل كبرياءَهم وتطيـح بطغيانهم، وموقفهم هـذا كان اسـتمراراً لمواقفهم، وهم فى مكّه، وهم على شركهم حينما سمعوا بنبأ إيمان هذه الثلّه من الفقراء، أو العبيد، فعن عكرمه أنّه قال: جاء آل شيبه وعتبه ابنا ربيعه ونفرٌ معهما سـمّاهم أبو طالب؛ فقالوا: لو أنّ ابن أخيك محمّـداً يطرد موالينا وحلفاءَنا، فإنّما هم عبيـدنا وعُسـفاؤنا (والعسـيف هو الأجير المسـتهان به) كان أعظم فى صـدورنا، وأطوع له عنـدنا، فأتى أبوطالب النبيّ(ص) فحدّثه بالذى كلّموه، فأنزل الله عزّوجلّ الآيه المذكوره: (وَلا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ...).

قـال: وكـانوا بلالاً ـ وعمّـار بن ياسر مولى أبى حـذيفه بن المغيره، وسالماً مولى أبى حـذيفه بن عتبه، وصُبيحاً مولى أسـيد، ومن الحلفاء ابن مسعود، والمقداد بن عمرو، وخبّاباً مولى أمّ أنمار.

وفى قوله تعالى: (ما لَنا لا نَرى رِجالاً كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرارِ * أَتَّخَذْناهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زاغَتْ عَنْهُمُ الْأَبْصارُ).(۱)

قـال: يقول أبوجهـل: أين بلال أين فلاـن، أين فلاـن؟ كنّا نعـدّهم فى الـدُّنيا من الأشـرار، فلا نراهم فى النار! أم هم فى مكان لا نراهم فيه، أم هم فى النار لا يرى مكانهم؟!

وفى روايه: أين عمّار، أين بلال؟

وعن ابن عبّاس: (كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرارِ) خبّاباً وبلالاً.(۲)

(يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْناكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثى وَجَعَلْناكُمْ شُعُوباً وَقَبائِلَ لِتَعارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ).(۳)

تقول الروايه: لمّا كان يوم الفتح رقِيَ بلال فأذّنَ على ظهر الكعبه، فقال بعض الناس: يا عبدالله، لهذا العبد الأسود، وفى قول أصحّ «فقال بعض الناس: يالله! هذا العبد الأسود أن

۱- سوره ص: ۶۲ ۶۳.

۲- مختصر تاريخ دمشق ۵: ۲۶۳.

۳- الحجرات: ۱۳.

يؤذّن» أن يؤذن على ظهر الكعبه! فقال بعضهم: إن يسخط الله يغيّره.

وفى خبر أنّه لما جاء أمر النبىّ(ص) بلالاً أن يؤذّن على ظهر الكعبه، وقريش فوق الجبال، فمنهم من يطلب الأمان، ومنهم من قد آمن.

فلمّا أذّن وقال: أشهد أنّ محمّداً رسول الله، قالت جويريه بنت أبى جهل: لقد أكرم الله أبى حين لم يشهد نهيق بلال فوق الكعبه!

وقال خالد بن أسد: لقد كرّم الله أبى، فلم ير هذا اليوم! فيما قال الحارث بن هشام: ليتنى متُّ قبل هذا! وقال جماعه نحو هذا.(۱)

فأنزل الله جلّ ذكره الآيه المذكوره أعلاه.(۲)

مكانته عند رسول الله(ص) و المؤمنين

لقد حظى المعذَّبون بمكانه عظيمه أخرى إضافهً إلى مكانتهم فى القرآن الكريم فقد كان يحبّهم رسول الله(ص) ويأنس بهم، يجالسهم، يحدّثهم، يأكل ممّا يأكلون، لا يميّز بينهم، إلاّ أنّ بلالاً كان يحظى بمعيه رسول الله(ص) وبمنزله أقرب عنده؛ حتّى راح الصحابه يكرمون هذه الثلّه المؤمنه المعذَّبه، إكراماً لله ولرسوله.

تقول الروايه، عن عائذ بن عمرو: إنّ أبا سفيان مرَّ على سلمان، وصهيب، وبلال فى نفر، فقالوا: ما أخذت سيوف الله من عنق عدوّ الله مأخذها.

فقال أبوبكر: أتقولون هذا لشيخ قريش وسيّدهم؟

وأتى النبىّ(ص) فأخبره.

فقال (ص): «يا أبابكر لعلّك أغضبتهم؟ وإن كنت أغضبتهم، لقد أغضبت ربّك».

فأتاهم أبوبكر، فقال: يا إخوتاه، أغضبتُكم؟ قالوا: ما غضبنا، يغفرالله لك يا أخى.(۳)

۱– قاموس الرجال، للتسترى ۲: ۳۹۸.

۲– مختصر تاريخ دمشق ۵: ۲۶۳.

۳– المصدر نفسه ۵: ۲۶۶.

فبقى الصحابه يجلّونهم ويكرمونهم، لما سمعوه من رسول الله(ص) بحقّهم، ولما رأوه من عنايته بهم، وتفقّده لهم.

ومن علوّ مكـانته عنـد رسول الله (ص) ورفعتهـا أن كـانوا ينسـبونه إليه فيقولون: بلالـل رسول الله(ص) فقـد حـدث مرّه أنّ شـاعراً امتدح شخصاً اسمه بلال، وكان ابن عبدالله بن عمر، فقال فى شعره من الطويل:

بلال بن عبدالله خير بلال

فقال له ابن عمر: كذبت، بل بلال رسول الله(ص) خير بلال.

ولم يعهـد من عمربن الخطّـاب إلاّ أنّه كان ينادى بلالاً (سـيّدنا)، وكان يأذن له ولإخوانه المعـذّبين بـدخول مجلسه قبل أن يأذن لشيوخ قريش وأشرافها كما مرّ بنا.

وفى خبر آخر يـدلّ على ملاـحقه رسول الله(ص) أصـحابه تربيهً وتهـذيباً من أدران الجـاهليه، ومـا علق بنفوسـهم منها يقول: عيّر أبوذرّ بلالاً بأمّه فقال: يابن السوداء! وإنّ بلالاً أتى رسول الله(ص) فأخبره، فغضب! فجاء أبوذرّ ولم يشعر، فأعرض عنه النبىّ(ص) فقال: ما أعرضك عنّى إلاّ شىء بلغك يارسول الله، قال: أنت الذى تعيّر بلالاً بأمّه؟

قـال النبىّ(ص): والـذى أنزل الكتاب على محمّـد أو ما شاء الله أن يحلف ما لأحـد على أحـد فضل إلاّ بعمل، إن أنتم إلاّ كطفّ الصّاع.

أى كلّكم قريب، بعضـكم من بعض، فليس لأحـد فضل إلاّ بالتقوى؛ لأنّ طفّ الصاع قريب من ملئه، فليس لأحد أن يقرُب الإناء من الامتلاء.(١)

وفى روايه تقول: إنّ بنى أبى البُكير جاؤوا إلى رسول الله(ص) فقالوا: زوّج أختنا فلاناً، فقال لهم:

أين أنتم من بلال؟

ثمّ جاؤوا مرّه أخرى، فقالوا: يارسول الله أنكح اُختنا فلاناً.

١- المصدر نفسه ۵: ٢۶٢ ؛ لسان العرب: طفف.

فقال: أين أنتم عن بلال؟

ثمّ جاؤوا الثالثه فقالوا: أنكح اُختنا فلاناً.

فقال: أين أنتم عن بلال، أين أنتم عن رجل من أهل الجنّه؟!

قال زيد بن أسلم صاحب هذه الروايه: فأنكحوه.(۱)

رحمتها رحمكَ الله

وحظى بلال بدعاء رسول الله(ص) له بالرحمه، حينما مرَّ بلال ببيت من البيوت التى أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه، حيث يقول بلال: مررتُ على فاطمه عليها سلام الله، وهى تعالج الرّحا، قال: وابنها الحسين يبكى، قال: وحانت الصلاه، قال بلال:

فقلت لفاطمه: أيما أعجب إليك؟! أكفيك الرَّحا أو الصبى؟

فقالت فاطمه: أنا ألطف بصبيّى.

قال: فأخذتُ بقيّه الطحن، فطحنته عنها.

فأتيتُ رسول الله(ص) فقال: يا بلال ما حبسک؟

فقلت: يارسول الله، مررتُ على فاطمه وهى تعالج الرَّحا، فأعنُتها على طحنها.

فقال رسول الله(ص) : رحمتَها رحمکَ الله.(۲)

ذرنى أذهب إلى الله

كلمات ما أعظمها، نطق بها لسان هذا العبد الصالح! فقد قال يوماً لأبى بكر: إن كنت أعتقتنى لله فدعنى حتّى أعمل لله، أو فذرنى أذهب إلى الله، وإن كنت أعتقتنى لتتخذنى خادماً، فاتّخذنى.

فبكى أبوبكر وقال: إنّما أعتقتک لله، فاذهب، فاعمل لله تعالى.

۱- مختصر تاريخ دمشق ۵: ۲۶۲.

۲- المصدر نفسه.

ولمّا كانت خلافه أبى بكر، تجهّز بلال ليخرج إلى الشام.

فقال له أبوبكر: ما كنت أراك يا بلال تدعنا على هذا الحال، لو أقمت معنا فأعنتنا.

قال: إن كنت إنّما أعتقتنى لله تعالى، فدعنى أذهب إليه، وإن كنت أعتقتنى لنفسك فاحبسنى عندك.

بلال المؤذّن و أجره العظيم

روى أنّ رسول الله(ص) كان قد بشّر بلالاً والمؤذنين بالجنّه:

«نعم المرء بلال، ولا يتبعه إلّا مؤمن، وهو سيّد المؤذّنين، والمؤذّنون أطول الناس أعناقاً يوم القيامه».

«يحشر المؤذّنون يوم القيامه على نوق من نوق الجنّه، يقدمهم بلال رافعى أصواتهم بالأذان، ينظر إليهم الجمع، فيقال: مَن هؤلاء؟ فيقال: مؤذّنو اُمّه محمّد۹ يخاف الناس ولا يخافون، ويحزن الناس ولا يحزنون».

«اتّخذوا السودان، فإنّ ثلاثهً منهم من سادات الجنّه، لقمان الحكيم، والنجاشى، وبلال المؤذّن».

أبشر يا بلال، فقال:بِمَ تبشّرنى يا عبدالله بن عمر؟

فقال: سمعت رسول الله(ص) يقول: «يجىء بلال يوم القيامه معه لواء، يتبعه المؤذّنون حتّى يدخلهم الجنّه».

قال رسول الله(ص) :... «ثمّ نظر إلى بلال فقال:

يُحشر هذا على ناقه من نوق الجنّه، فيقدُمنا بالأذان مَحضاً، فإذا قال: أشهد أن لا إله إلّا الله، قالت الأنبياء مثلها: ونحن نشهد أن لا إله إلّا الله.

فإذا قال: أشهد أنّ محمّداً رسول الله، فمن مقبول منه ومردود عليه.

قال: فيُتلقّى بحلّه من حلل الجنّه، وأوّل من يكسى يوم القيامه من حُلل الجنّه بعد الأنبياء، الشهداء، وصالح المؤذّنين.

وفی روایه أخری: وأوّل من یکتسی من حلل الجنّه بعد النبیّین والشهداء، بلال، وصالح المؤذِّنین.

«أنفق یا بلال، ولا تخشی من ذی العرش إملاقاً».

«یا بلال مت فقیراً، ولا تمت غنیّاً» قلت: فکیف لی بذلک یارسول الله، کیف لی بذلک؟ قال: «هو ذلک أو النار».

وعن أنس بن مالک، قال رسول الله(ص): اشتاقت الجنّه إلی ثلاثه: إلی علیٍّ، وعمّار، وبلال.

یا بلال، لیس شیء أفضل من عملک، إلاّ الجهاد فی سبیل الله.

قال رسول الله(ص) فیه: «نعم المرء بلال، وهو سیّد المؤذِّنین».

وفی اُخری: یجیء بلال یوم القیامه مع لواء، یتبعُهُ المؤذّنون، حتّی یدخلهم الجنّه.

من صفاته الجمیله: الصدق و التواضع

لم تزده سابقته فی الإسلام وجهاده وعطاؤه واحترام رسول الله(ص) له وحبّه إیّاه واحترام المسلمین له، إلاّ تواضعاً وحیاءاً وصدقاً، لم یکن یسمع کلمات المدح والثناء توجّه إلیه، وتغدق علیه، إلاّ ویحنی رأسه، ویغضّ طرفه، ویقول ودموعه علی وجنتیه تسیل: إنّما أنا حبشیّ.. کنت بالأمس عبداً!

وتقول الروایه:

خطب بلال، وأخوه إلی أهل بیت من الیمن.

فقال: أنا بلال، وهذا أخی، عبدان من الحبشه، کُنّا ضالّین، فهدانا الله، وکنّا عبدین فأعتقنا الله، إن تنکحونا فالحمد لله، وإن تمنعونا فالله أکبر.(۱)

وفی روایه أنّ أخاه کان یزعم أنّه من العرب، فخطب امرأه من العرب، فقالوا: إن حضر

۱- الطبقات الکبری ۳: ۲۳۷.

بلال بن رباح، وهـذا أخى، وهو امرؤ سوء فى الخلق والـدين، فإن شـئتم أن تزوّجوه فزوّجوه، وإن شـئتم أن تدعوا فدعوا، فقالوا: من تكون أخاه نزوّجه فزوّجوه.

مواقف تغيضهم

طالما كان بلال يبحث عن أى موقف أو كلمه يغيض بهما الكفّار والظالمين، بل غيضـهم وغضـبهم عليه، يعـدّ فى قاموسه عزّاً له وسعادةً يكتسبها فى الدُّنيا والآخره، انطلاقاً من قوله تعالى: (وَلا يَطَؤُنَ مَوْطِئاً يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلا يَنالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ).(١)

فقد كان بلال من السـبعه الأوائل، الذين أعلنوا إسـلامهم، فكان موالى بلال يأخذونه فيضـجعونه فى الشمس، ثمّ يأخذون الحجر فيصّفونه على بطنه ويعصرونه، ويقولون: دينُك اللّات والعزّى.

فيقول: ربّى الله، ويقول: أحدٌ أحد، فقال:

وأيْمُ الله، لو أعلم كلمةً هى أغيظُ لكم منها لقلتُها.

دخل رسول الله(ص) الكعبه عام الفتح ومعه بلال، فأمره أن يؤذِّن.

وأبوسفيان وعتّاب بن أُسيد والحارث بن هشام، جلوس بفناء الكعبه.

فقال عتّاب بن أُسيد: لقد أكرم الله أسيداً ألّا يكون سمع هذا، فيسمع منه ما يغيظه.

فقال الحارث بن هشام: أما والله لو أعلم أنّه مُحقّ لاتّبعته.

فقال أبوسفيان: لا أقول شيئاً، لو تكلّمت لأخبرت عنّى هذه الحصى.

فخرج عليهم النبىّ(ص) فقال: «قد علمتُ الذى قلتم، ثمّ ذكر لهم».

فقال الحارث وعتّاب: نشهد أنّك رسول الله، والله ما اطّلع على هذا أحد كان معنا، فنقول أخبرك.

١- التوبه: ١٢٠.

وفى خبر آخر ما كان أعظمه وأشدّه على قلب بلال لما كان يوم الفتح، رقِيَ بلال فأذّن على ظهر الكعبه، فقال بعض الناس:... لهذا العبد الأسود أن يؤذِّن على ظهر الكعبه.

فقال بعضهم: إن يسخط الله بغيره، وقال آخر يخاطب أبا جهل فى قبره:... ولا تنظر هذا الحمار ينهق.

حقّاً: (وَلا يَطَؤُنَ مَوْطِئاً يَغِيظُ الْكُفَّارَ...).

الجزاء العادل

لم ينسَ بلال أميّه أبداً، أمنيه راودته بل عاشت فى كيانه وأخذت عليه حياته، أن يمكِّنه الله منه، وقد كان لا ينساه، لأنّه معذّبه ومخرجه من مكّه، يقول الخبر: كان بلال إذا أقلعت عنه الحمى يرفع عقيرته ويقول:

ألا ليت شعرى هل أبيتنّ ليلهً

بواد وحولى إذخرٌ وجليل

وهل أرِدَنْ يوماً مياه مجنَّه

وهل يَبْدوَنْ لى شامهٌ وطفيل

ثمّ يبدأ بلعنهم: أللهمّ العن عتبه بن ربيعه، وشيبه بن ربيعه، وأميّه بن خلف، كما أخرجونا من أرضنا إلى أرض الوباء.(١)

حتّى جاءت معركه بدر، فكان اللقاء، وكانت تصيفه الحساب.

نعم، تأتى بدر وتقع قريش فى هزيمه نكراء، حلّت بها، ولقّنتها درساً عجيباً، وهنا همّ أميّه بن خلف بالنكول، لولا أنّ صديقه عقبه بن أبى معيط وهو المحرّض على تعذيب المؤمنين، أخذ يحفّزه ويشجّعه حيث جاءه حاملاً معه (مجمره) حتّى إذا واجهه وهو جالس وسط قومه، ألقى الجمره بين يديه وقال له: يا أبا على استجمر بهذه، فإنّما أنت من النساء، وصاح به أُميّه قائلًا: قبّحك الله، وقبّح ما جئت به، ثمّ لم يجد إلاّ أن يترك نكوصه ويخرج إلى بدر، ليتقدّم فى المعركه.

هذا ما شاءته الأقدار، حيث خرج أميّه للمعركه واشتجرت الأسنّه وتعانقت السيوف،

١- مختصر تاريخ دمشق ٥: ٢٥٨ ٢٥٩.

فالتقى الخصمان وجهاً لوجه؛ إنّه أميّه وهو يسمع انشوده بلال وشعاره أحدٌ أحد، إنّه بلال!

نعم أميّه بن خلف.. بلال بن رباح

زعيم من زعماء قريش.. عبدٌ حبشى.. إنّه الكفر كلّه قبال الإيمان كلّه.

حقّا، إنّها إراده الله، يخذل الطغاه وينصر المستضعفين المعذّبين: (وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِى الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوارِثِينَ).

فيصرخ بلال بأعلى صوته: إنّه «رأس الكفر أميّه بن خلف..» ثمّ يعلو صوته، صوت المعذَّب: لا ـ نجوت إن نجا، لا ـ نجوت إن نجا...».

وينقض عليه بلال بسيفه كالأسد الهصور ليقضى عليه، بضربه نجلاء، قاضيه نافذه، يروى بها ظمأ الهاجره فى فؤاده، لولا أن صاح به عبدالرحمن بن عوف، فيقول: أى بلال.. إنّه أسيرى.

لم يقنع بلال نفسه بهذا الأسر، لرأس طالما أثقله الكبر والغرور.. وهنا وقف بلال وهو فى أعلى درجات غضبه، كاسف البال مهموماً، فهو يريد أن ينتقم من أكبر أعداء الله والإسلام. لكن حمى عبدالرحمن بن عوف مصون.

فقد غنم أدراعاً يوم بدر، فمرّ بأميّه بن خلف وابنه، فقال له: نحن خير لك من هذه الأدرع؛ أى خذنا أسيرين نسلم من القتل، وتأخذ فداءنا فطرح الأدرع، وأخذ بيدهما، ومشى بهما.. إلاّ أنّه خسر الأدرع، وخسر أسيره أميّه، فقد قتل هذا الأخير حتّى قال عبدالرحمن: رحم الله بلالا ذهبت ادراعى وفجعنى بأسيرى.

فقد التفت بلال إلى الجموع المقاتله من المسلمين، ليؤلّبهم ويستعديهم على هذا الظالم، وإن تركه هو رعايةً لحمى عبدالرحمن، فليروا رأيهم فيه، وهو يتمنّى أن لا يتركوه حيّاً، فإن لم يستطع أن يشفى بيده قلبه، فليدع الأمر لهم.

فصاح بهم إنّه أميّه بن خلف، يا أنصار الله، رأس الكفر أميّه بن خلف.. لا نجوت إن نجا.. إلاّ أنّه حيل بينه وبين ما يريد.

فانقضّ عليه المسلمون، ضاربين حرابهم، ومسدّدين قذائفهم إلى صدر غريمهم، وعدوّ

الإسلام، وفی هذه اللحظه لم یستطع عبدالرحمن بن عوف أن یحمیه.(۱)

وهناک من یقول: إنّ بلالاً هو الذی قتله، حتّی قال فیه أحد الشعراء أبیاتاً منها قوله:

هنیئاً زادک الرحمن خیراً

فقد أدرکت ثأرک یا بلال(۲)

وقد یسأل سائل: لماذا لم یصفح بلال الصفح الجمیل؟

إنّ من یطلب ذلک، علیه أن یجعل نفسه مکان بلال نفسه، وأن یمرّ بما مرّ به بلال، وما ناله من معذِّبیه، ونترک خالد محمّد خالد یجیب عن هذا التساؤل:

لا أظنّ أنّ من حقّنا أن نبحث عن فضیله التسامح لدی بلال فی مثل هذا المقام.

فلو أنّ اللقاء بین بلال وأمیّه تمّ فی ظروف أخری; لجاز لنا أن نسأل بلالاً حقّ التسامح، وما کان لرجل فی مثل إیمانه وتقواه أن یبخل به.

لکن اللقاء الذی تمّ بینهما، کان فی حرب، جاءها کلّ فریق لیفنی غریمه.

السیوف تتوهّج، والقتلی یسقطون... والمنایا تتواثب، ثمّ یبصر بلال أمیّه الذی لم یترک فی جسده موضع أنمله إلاّ ویحمل آثار تعذیبه.

وأین یبصره وکیف؟

یبصره فی ساحه الحرب والقتال، یحصد بسیفه کلّ ما یناله من رؤوس المسلمین، ولو أدرک رأس بلال ساعتئذ; لطوّح به.

فی ظروف کهذه یلتقی الرجلان فیها، لا یکون من المنطق العادل فی شیء أن نسأل بلالاً: لماذا لم یصفح الصفح الجمیل؟!

بلال والفاجعه الکبری

ظلّ بلال مواکباً لرسول الله(ص) طیله حیاته الإیمانیّه معه، قریباً منه، وعینان تتبرکان برؤیته.. فدخل بلال علی رسول الله(ص) إلاّ أنّه فی هذه المرّه وجده مسجّی علی فراشه.

۱- صحابه النبیّ (ص)، للجمیلی: ۱۷۶.

۲- أعیان الشیعه ۳: ۶۰۴.

فما كان منه وهو الحبيب إلّا أن انحدرت دموعه غزيره، واستقرّ حزنه فى قلبه.

نزل الأمر المحتوم، صلّى على الجثمان الطاهر، ثمّ خرج ودموعه على وجنتيه.

وما إن دفن رسول الله(ص) حتى جلس بلال فى زاويه من زوايا المسجد وحده فى حزن عظيم.. وظلّ هكذا متألّماً باكياً حتّى حان وقت الأذان، والمسلمون ينتظرون بلالاً، وصوته الندى.. لكنّه لم يؤذّن.

وأحسّ بالفراغ الكبير، ثمّ راح يتساءل مدهوشاً لمن يؤذِّن؟

لم ينم حتّى الصباح، حيث اللقاء فى المسجد، فحان وقت صلاه الفجر، وعلى بلال أن يؤذِّن لها..

فقيل له: الأذان يا بلال.

ارتفع صوت بلال ندياً جميلاً رائعاً:

الله أكبر الله أكبر

الله أكبر الله أكبر

أشهد أن لا إله إلّا الله

أشهد أن لا إله إلّا الله

وهنا عادت المصيبه ماثلةً أمام عينيه.. فاحتبست الشهاده الثانيه فى فيه، وحشرجت آهاته فى صدره.. وانهمرت دموعه.. ولم يتمالك نفسه، فراح الجميع يشاركه البكاء..

بقى بلال طويلاً لا ينطق بها... ثمّ تغلّب الرجل على عواطفه وأحزانه وعبراته المتدفّقه فنطق بها، ولكن بصوت هادئ هذه المرّه ثمّ أكمل فصول الأذان، إنّه الأذان الأخير..

فقال والدموع فى عينيه: لن أؤذِّن بعد اليوم، فليؤذِّن غيرى، وفعلاً ظلّ هكذا ولم يؤذِّن، وحتّى بعد أن تولّى الخلافه أبوبكر، وقال لبلال: أذِّن.

فأبى بلال وقال له: إن كنت إنّما اشتريتنى لنفسك فأمسكنى، وإن كنت اشتريتنى لله، فدعنى وعملى لله، فقال أبوبكر: ما أعتقتك إلّا لله.

فأجابه بلال، والحزن مرتسم على وجهه: فإنّى لا أؤذِّن.

ثمّ لم یطق البقاء فی المدینه بعد وفاه الرسول (ص) وحاول مرّات أن یخرج إلی الجهاد، فی أیّ مکان کان بعیداً عن أجواء المدینه.

إلاّ أنّ جمعاً من الصحابه منعوه، وکان منهم أبوبکر، حیث قال له متوسّلًا: أنشدک بالله یا بلال! وحرمتی وحقّی، فقد کبرت وضعفت واقترب أجلی، فأقام معه حتّی توفّی.(۱)

وفی خلافه عمر ألحّ علیه أن یؤذّن فأبی.

فقال له: إلی من تری أن أجعل النداء؟

قال: إلی سعد، فقد أذّن لرسول الله(ص)، فجعله إلی سعد وعقبه.(۲)

ثمّ قرّر بلال أن یخرج إلی الجهاد فی الشام، فذهب إلی عمر یستأذنه بالخروج فقال له:

ألا تبقی یا بلال بجواری، کما کنت بجوار النبیّ(ص) وبجوار أبی بکر؟

فقال بلال: أحنّ إلی الجهاد یا أمیرالمؤمنین، وأری الجهاد من أفضل الأعمال.

فقال له عمر: لک ما ترید یا بلال.

وأذِن له، فخرج إلی الشام، ولحق بجیش أبی عبیده الجرّاح، وظلّ مجاهداً فی سبیل الله.

ویزور عمربن الخطّاب الشام أثناء خلافته، ویلتقی مع بلال، ویتوسّل المسلمون إلی عمر أن یطلب من بلال لیؤذّن لهم ولو بصلاه واحده!

ولما حان وقت الصلاه، رجاه عمر أن یؤذّن لها، واستجاب بلال لطلبه، وصعد بلال، فأرهف الناس سمعهم، وانطلق صوته الندیُّ یسری کالنسیم، ویسمع الناس صوته للمرّه الأولی بعد وفاه النبیّ(ص) ولم یُرَ یوماً کان أکثر باکیاً من یومئذ، ذکراً منهم للنبیّ۹.(۳)

بلال عند علماء الرجال والحدیث

کانت لبلال منزله کبیره ومرموقه عند علماء الرجال والحدیث، ولم أجد فیما تیسّر لی قادحاً ذامّاً له أبداً، نذکر شیئاً ممّا قاله بعضهم فیه:

۱- سیر أعلام النبلاء ۱: ۳۵۶.

٢- المصدر نفسه.

٣- المصدر نفسه، ١: ٣٥٧.

فقد قال عنه الشيخ الطوسی فی رجاله:

شهد بدراً، وتوفی بدمشق، فی الطاعون سنه (۱۸)، کنیته أبو عبدالله، وقیل: أبوعمرو، ویقال: أبوعبد الکریم وهو بلال بن رباح، مدفون بباب الصغیر بدمشق، من أصحاب رسول الله(ص).

وقال عنه الکشی: کان بلال عبداً صالحاً.

وروی الصدوق فی باب الأذان والإقامه من الفقیه:

... عن أبی بصیر، عن أحدهما۸ أنّه قال: «إنّ بلالاً کان عبداً صالحاً، فقال: لا أؤذّن لأحد بعد رسول الله(ص) فترک یومئذ: حَیَّ عَلَی خَیْرِ الْعَمَل».

وروی أیضاً: أنّه لمّا قبض النبیّ(ص) امتنع بلال من الأذان، وقال: لا أؤذّن لأحد بعد رسول الله(ص) ؛ وأنّ فاطمه(علیها السلام) قالت ذات یوم: «إنّی أشتهی أن أسمع صوت مؤذّن أبی(ص) » فبلغ ذلک بلالاً، فأخذ فی الأذان، فلمّا قال: الله أکبر، الله أکبر، ذکرت أباها(ع) وأیّامه فلم تتمالک من البکاء، فلمّا بلغ إلی قوله: أشهد أنّ محمّداً رسول الله، شهقت فاطمه(علیها السلام) شهقهً، وسقطت لوجهها وغشی علیها.

فقال الناس لبلال: أمسک یا بلال، فقد فارقت ابنه رسول الله(ص) الدُّنیا، وظنّوا أنّها قد ماتت، فقطع أذانه ولم یتمّه.

فأفاقت فاطمه(علیها السلام) وسألته أن یتمّ الأذان، فلم یفعل، وقال لها: یاسیّده النسوان، إنّی أخشی علیک ممّا تنزیلینه بنفسک إذا سمعت صوتی بالأذان، فأعفته عن ذلک.(۱)

وروی منصور بن حازم عن أبی عبدالله۷ قال: لمّا هبط جبرئیل۷ بالأذان علی رسول الله(ص) وکان رأسه فی حجر علی (ع) فأذّن جبرئیل۷ وأقام، فلمّا انتبه رسول الله(ص) قال: یا علی سمعت؟

قال۷: نعم یارسول الله(ص).

۱- من لا یحضره الفقیه، للصدوق ۱: ۲۹۸.

قال: حفظت؟

قال: نعم.

قال: ادع بلالاً، فعلّمه.

فدعا بلالاً، فعلّمه.(۱)

هذا وقد ذكر الصدوق فی الفقیه حدیثاً طویلاً لبلال، یحدّث به عمّا سمعه من رسول الله(ص) حول المؤذّنین، وظیفتهم، وأجرهم.(۲)

وعن المجلسی الأوّل أنّه قال: رأیت فی بعض کتب أصحابنا عن هشام بن سالم عن الصادق۷، وعن أبی البختری قال: حدّثنا عبدالله بن الحسن أنّ بلالاً أبی أن یبایع أبابکر وأنّ عمر أخذ بتلابیبه، وقال له: یا بلال هذا جزاء أبی بکر منک أن أعتقک، فلا تجیء تبایعه.

فقال: إن کان قد أعتقنی لله فلیدعنی لله، وإن کان أعتقنی لغیر ذلک، فها أنا ذا، وأمّا بیعته فما کنت أُبایع من لم یستخلفه رسول الله(ص) والذی استخلفه بیعته فی أعناقنا إلی یوم القیامه.

فقال له عمر: لا أباً لک، لا تقم معنا؛ فارتحل إلی الشام، وتوفی بدمشق، ودفن بباب الصغیر، وله شعر فی هذا المعنی:

بالله لا بأبی بکر نجوت ولو

لا الله نامت علی أوصالی الضبع

الله بوّأنی خیراً وأکرمنی

وإنّما الخیر عند الله یتبع

لا تلقینی تبوعاً کلّ مبتدع

فلست مبتدعاً مثل الذی ابتدعوا(۳)

ولابدّ لی من کلمه ولو قصیره: إنّ ترک بلال المدینه والابتعاد إلی الشام یبدو أنّه لا یخلو من موقف من الوضع القائم بعد رسول الله(ص) وحتّی امتناعه من الأذان.

۱- معجم رجال الحدیث، للسیّد الخوئی ۴: ۲۷۰ ۲۷۲.

٢- من لا يحضره الفقيه ١: ٢٩٢ ٢٩٧.

٣- اُنظر أعيان الشيعه ٣: ٦٠٣.

و ختاماً

لم تكتب لهذا الصحابى الجليل الشهاده التى تمنّاها طويلًا، وسعى إليها سعياً حثيثاً، أى مسرعاً حريصاً على أن ينالها فيلتحق بركبها، ركب الشهداء، إلاّ ـ أنّ السماء شاءت لهذا العبد الصالح أن يبقى متعلّقاً بوصالها، مشتاقاً لها... حتّى كان موعده مع الطاعون الذى اجتاح الشام يومذاك فقضى على حياه الكثير، وأُصيب به بلال سنه عشرين للهجره، فكانت وفاته بدمشق، وبعد أن أُصيب بلال به، وتغيّر لونه، وغارت عيناه، قالت له زوجته مواسيةً:

كيف حالك يا أبا عبدالله؟

فكان يقول لها: دنا الفراق.

فقالت له: واحزناه.. واحزناه..

وعندها، فتح بلال عينيه، وهو يصارع المرض ويجود بأنفاسه الأخيره.

بل، وافرحتاه، غداً نلقى الأحبّه، محمّداً وصحبه!!

إذ حرمت يا بلال من الشهاده، وكنت حريصاً عليها حرصاً شهد لك به الجميع منذ لحظات إسلامك الأولى، فإنّك لم تحرم أجرها ومنزلتها عند مليك مقتدر... دفن فى مقبره فى دمشق، بباب الصغير...

فسلام عليك عبداً صالحاً وفيّاً...

(۱۴) أبوطالب

اشاره

مأوی الرسول و الرساله

حسن الحاج

بنوهاشم

فی واد تُحیط به الجبال، وتحفّ به التلال، وفی مجتمع ظلّت الجاهلیه بتقالیدها تنخر فیه... نشأت قبیله بنی هاشم من نسل إبراهیم الخلیل(ع) وراحت من بین ثلاث وعشرین قبیله شکّلت قریشاً، تقف بکلّ شموخ وإباء؛ لتؤدی دورها التوحیدی، ولتسطّر أروع الصفحات وأجملها، وأفضل المواقف وأحسنها، فی تأریخ الإنسانیه علی الإطلاق... بما حملته من أخلاق عالیه، وصفات محموده، وخصال نادره، ومواقف فریده، تمیّزت بها علی أقرانها قبائل ورجالاً ونساءاً.

فبنو هاشم، ساده قریش بل ساده الدنیا، فهم کما وصفهم الجاحظ: «ملح الأرض، وزینه الدنیا، وحلی العالم، والسنام الأضخم، والکاهل الأعظم، ولباب کلّ کریم، وسرّ کلّ عنصر شریف، والطینه البیضاء، والمغرس المبارک، والنصاب الوثیق، والمعدن الفهم، وینبوع العلم...».(۱)

۱- اُنظر شرح نهج البلاغه، لابن أبی الحدید، عن زهره الآداب للجاحظ: ۵۹.

فقـد كان منهم رسول الله(ص) الـذى ولـد على رمال مكّه، أكرم خلق الله تعالى على الإطلاق وأفضـلهم وأشـرفهم وأعظمهم من الأوّلين والآخرين، فبه بزغ نور سـرعان ما انتشـر فى الآفاق، حتى أضاءت له مشارق الأرض ومغاربها، فغدت الدنيا نيّره بآيات الله تعالى التى حملها، رحمةً للعالمين داعياً إلى الله، بشيراً ونذيراً شاخصةً بالعزّ والشموخ، نابضةً بالحياه، التى غدت تضجّ بين جنبات ذلك المجتمع السادر فى غيّه وشركه، الضال عن الصراط، الغارق فى آلامه ومشاكله، وعدوانيته وغزواته، وظلمه وطغيانه، ولهوه وترفه... فوردت كلّ مفاصله ونواحيها؛ لتقلبه رأساً على عقب، وتخلق منه أمّةً تأمر بالمعروف، وتنهى عن المُنكر، وزخرت بعطاء دائم وخير عميم، مـا انفكّت الأجيال المتعاقبه تنتفع منه، وتقتطف ثماره مادام ليل وبقى نهار، لا يعرف النضوب أبـداً، ولا يحـدّه شىء، ولا ينتهى بأمد، ظلّ معينها يتجدّد وعطاؤها يتّسع، وكيف لا يكون كذلك، وهو عطاء السـماء، الذى منّ الله به على رسوله (ص) لتباركه على يديه، فينضج كلّ ما بذره، ويدوم طويلاً، ويخلد ما شاء الله له الخلود والبقاء...

أبوطالب والنور اليتيم

هـذا النور العظيم اليتيم منـذ ولادته، راحت قلوب طيبه تحتضـنه، وأيـد مباركه ترعاه، يـد جدّه عبدالمطلب الذى تشـرّفت برعايته واحتضـانه، ثمّ كـانت يـد عمّه (أبوطـالب) شـيبه بنى هـاشم، شـيخ قريش وزعيمها، وسـيّد قومه، الـذى انطوت نفسه على خصال كريمه، كلّها شموخ وإباء وشهامه وعزّه.

فكان الكافل المـدافع الـذابّ عن رسول الله(ص) والذى أحاطه بعنايه عظيمه ورعايه قلّ نظيرها، خاصه إذا عرفنا مكانته فى قبائل قريش وبين زعمائها، وما سـبّبه ذلك من إحراج له، وضـيق وأذًى... ومع هـذا كلّه، فقد صبر أيما صبر دفاعاً عن محمّد ورسالته، حتى أنّ قريشاً لم تكن قـادرةً على أذى رسول الله(ص) مع عظيم رغبتهـا فى ذلـك، وكانت تتحين الفرص للإيقاع به، لكنها لم تستطع حتى توفى أبوطالب، فراحت تكيد له.

يقول رسول الله (ص): «والله مـا نـالت قريش منّى شـيئاً أكرهه حتى مـات أبوطـالب». ولم يهـاجر إلى المـدينه، إلاّ بعـد وفاه عمّه رضوان الله عليه.

* * *

فالحديث عن «أبوطالب» حديث عن الصمود والإباء، حديث عن الإيمان

الواعى، والموقف الحكيم ونكران الذّات، حديث عن الظلامه التى تلاحقه، وما زالت إلى يومنا هذا.

ولاـ يضرّ ولاـ يفتّ فى مواقفه مـا يُقال هنا وهناك، من أنّ أبا طالب لم يكن مؤمناً وقـد مات كافراً، إنّه نتيجه من نتائـج الصـراع والنزاع الطويل والعميق فى تاريـخ كلا الأُسـرتين: أُسره الخير والعطاء أُسـره بنى هاشم، وأُسـره بنى أُميه المعروفه بالكيد والشرّ، وتأريخ الأُسـرتين واضح بيّن لمن أراد الاطلاع عليه، إنّه نزاع بين الخير والشـرّ، بين الفضيله والرذيله، بين المعروف والمُنكر، وقد تمخّض هـذا الاختلاف، بل الصـراع عن أُمور كثيره، كان منها إتهام شـيخ الأُسـره وعميـدها، بل عميـد قريش وزعيمها وحليمها وحكيمهـا بـالكفر، مع تـاريخه النـاصع، وذبّه العنيـد عن الرسـاله والرسول ومواقفه الجليله، التى ملأت عصـر الرساله الأوّل عصـر التأسيس قوّهً وثباتاً.

لقـد حفل تأريـخ الرساله فى صـدر الإسـلام بمواقف عظيمه، وأقوال جليله لشـيخ قريش وسـيّدها بلا منازع، أثّرت أثرها وتركت بصـماتها على مسيره الرسـاله، فقـد راحت مواقفه تتصـدّر أولى مراحل الرساله، تضـحيهً وصبراً وثباتاً، وبما تحمله بين طيّاتها من آلام ومأساه تعرّض لها شيخ قريش وسيّدها، فكان الملاذ الأوّل لرسول الله (ص) وكان الحضن الأوّل لدعوه السماء، حيث كانت الـدعوه تأخـذ مسارهـا بفضـل ما قيّضه الله لها من رجال يحمونها ويضـحون فى سبيلها وكان أبوطالب أوّلهم، فحمايته لابن أخيه رسول الله (ص) والـدفاع عنه وعن رسـالته، أمر لاـ يرتاب فيه أحـدٌ، ولا ينكره منكِرٌ، وهـذا ما يراه كلّ باحث فى حوادث العصـر الأوّل للإسلام، وما سنلخصه فى مقالتنا هذه.

اسمه

اختلفت الأقوال فی اسمه: فقول ذهب إلی أنّ اسمه هو کنیته «أبوطالب»، وقول ذهب إلی أنّ اسمه «عمران»، وقول ثالث: ذهب إلی أنّ اسمه «شیبه» وقول أخیر، ویبدو أنّه الأصح، ذهب إلی أنّ اسمه «عبد مناف»، وقد استدل أصحاب هذا القول بقول أبیه عبد المطلب وهو یوصیه بحفیده یتیم بنی هاشم رسول الله (ص) محمّد بن عبدالله (ص):

أوصیک یاعبد مناف بعدی

بواجد بعد أبیه فرد

وقال أیضاً:

وصیتُ من کنیته بطالب

عبد مناف وهو ذو تجارب

بابن الحبیب أکرم الأقارب

بابن الذی قد غاب غیر آئب (۱)

ألقابه

هذا فی اسمه، وأمّا ألقابه فکثیره، منها: شیخ الأبطح، سید البطحاء، رئیس مکّه، بیضه البلد.

کنیته

وأما کنیته فهی: «أبو طالب» وبها اشتهر حتی طغت علی أسمائه.

إذن فهو أبو طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصی بن کلاب ابن مرّه بن کعب بن لؤی بن غالب بن فهر بن مالک بن النضر بن کنانه بن خزیمه، ابن مدرکه ابن الیاس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان.

ونحن إذ نقف علی عدنان؛ لأنّ المُشتغلین بالأنساب اتّفقوا علی هذا النسب حتی عدنان، واختلفوا فی عدد أجداده بعد عدنان حتی نبیّ الله اسماعیل، فقیل أربعه أجداد بین عدنان واسماعیل، وقیل سبعه، فیما ذهب فریق ثالث إلی أربعین أباً.

۱- الاحتجاج، للطبرسی ۱: ۳۴۱ ؛ وفی رحاب الأئمه الاثنی عشر، لمحسن الأمین.

ولأـنّ رسول الله (ص) كان إذا انتسب يقف على عـدنان ولا يتجاوزه، ويقول: «كـذب النسّابون» قال الله تعالى: (وَقُرُوناً بَيْنَ ذلِكَ كَثِيراً). (۱)

صفاته

عُرف أبوطالب بحكمته وحلمه وشـجاعته الفذّه، وشاعريته المستوقده، التى إن لم يوقفها كلّها على خدمه وتأييد رسول الله (ص) والـدعوه إلى ما جاء به من الحقّ، فقـد أوقف أكثرها من أجل ذلك، وكان وسـيماً، جسـيماً، عليه بهاء الملوك، و وقار الحكمه، وكانت قريش تسمّيه الشيخ، وكانوا يهابونه ويخافون سطوته، ويسمونه ببيضه البلد، ويلقبونه بشيخ الأبطح. (۲)

قيل لأكثم بن صيفى حكيم العرب: ممّن تعلمت الحكمه والرياسه، والحلم والسياده؟

قال: من حليف الحلم والأدب، سيد العجم والعرب، أبو طالب بن عبدالمطلب.

وجرى ذات يوم كلام خشن بين معاويه وصعصعه وابن الكواء.

فقال معاويه: لولا أنّى أرجع إلى قول أبى طالب لقتلتكم وهو:

قابلت جهلهم حلماً ومغفره

والعفو عن قدره ضرب من الكرم

أبوه

غنى عن التعريف، ولكنّ المقام يدفعنا إلى ذكر شـىء من حياته ومناقبه، فهو عبد المطلب، شيبه الحمد، أمير مكّه وشريفها، كان سيّد قومه بلا منازع، ومفزع قريش فى نوائبها، وملجأها، وكيف لا يكون كذلك، وهو حكيمها وحليمها وزعيمها... وكان موحّداً لم يعبـد صـنماً قط، وصاحب الأخلاق العاليه، التى خلقت منه إنساناً ذا مهابه و وقار وهيبه وميل إلى الدين والنسك والكرم حتّى سمّى بمطعم الطير... وهو الـذى قام بحفر ماء زمزم، التى تفجّرت تحت قـدمى جـدّه اسـماعيل من قبل، بعـد أن غاب أثرها، ولم يهتدِ إليها أحدٌ

۱- ابن عباس، فى تاريخ ابن عساكر ؛ والطبقات، لابن سعد.

۲- الاحتجاج، للطبرسى ۲: ۳۴۲.

حتى هتف هاتف فى منامه، فراح يحفر حتى اهتدى إليها، مستعيناً بابنه الحارث، وحيده يومذاك، كما كان صاحب الشرائع الفاضله، فهو الذى سنّ السنن التاليه:

الوفاء بالنذر، قطع يد السارق، النهى عن قتل المؤوده، تحريم الخمر، تحريم الزنا، المنع من نكاح المحارم، حظر طواف العراه بالبيت الحرام، وهى سنّه كان يعمل بها عند بعض قبائل الجاهليه.

وكلّها نالت قبول الإسلام وأمضاها، هذا إضافةً إلى ما امتاز به من خصال فريده، وصفات جليله، راح يهذّب أولاده ومَن حوله على التحلّى والالتزام بها.

ونكتفى هنا بذكر موقف عظيم له، يدلّ على عمق إيمانه وصدق توجّهه نحو الله تعالى واليوم الآخر، وهو ما دار بينه وبين أحد طغاه عصره وهو ابرهه الحبشى:

فقد كانت لعبد المطلب ولايه البيت الحرام من السقايه والرفاده... فخذل الله على يديه إبرهه الحبشى وجنده، الذين جاؤوا لهدم الكعبه، وصرف الحاجّ عنها إلى بيت بناه فى اليمن، ليكون بديلاً عن الكعبه، ويجنى من عمله هذا مصالح ومنافع كثيره... ولما التقى ابرهه بعبد المطلب، كان كلّ همّه أن يستميله إلى جانبه، وأن يجعل منه أداةً لتحقيق ما جاء من أجله، إلاّ أنّه مع كلّ ما قدّمه أو توعّده به لم يجد منه إلاّ الرفض، وإلاّ الثقه العاليه بالله تعالى، مكتفياً بأن يردّ إليه إبله وشويهاته التى أخذها جنده، ممّا جعل ابرهه يسخر منه ويستخفّ به قائلاً:

كنت فى نفسى كبيراً، وسمعت أنّك وجيه فى قومك، فلمّا سألتك عن حاجتك، وذكرت الإبل والشياه، ونسيت بلدك وأهلك وبيتك المقدّس، سقطت من عينى.

فكان جواب عبد المطلب مملوءاً حكمةً وتسليماً مطلقاً إلى الله تعالى، وهو أمر لا يدركه إلاّ من امتحن الله قلبه بالإيمان.

إنّها كلمات ما أقلّها، وما أعظمها!

«الإبل لى، وللبيت ربّ يحميه».

فقال إبرهه: ما كان ليمتنع منّى.

فقال عبد المطلب: أنت وذلک، وصعد علی الجبل، متضرّعاً، وهو ینشد:

یا ربّ عادِ من عاداک

وامنعهموا أن یهدموا حماک

ولم یکتف بهذا، بل راح یستحثّ قومه علی ترک مکّه، واللجوء إلی الجبل، خشیه بطش ابرهه وجیشه، ثمّ طلب منهم التوجّه إلی الله بالدعاء، وهو یری أن لا قدره لقومه علی ردع إبرهه وجیشه إلاّ بسلاح الدعاء... فحلّت الکارثه بإبرهه وجنده، وهو ما تکفّلت ببیانه سوره مبارکه سمیت بسوره الفیل عبر آیاتها الخمس، فراحت تحکی ما حلّ بهذا الطاغیه ومن معه. (۱)

(أَ لَمْ تَرَ کَیْفَ فَعَلَ رَبُّکَ بِأَصْحابِ الْفِیلِ * أَ لَمْ یَجْعَلْ کَیْدَهُمْ فِی تَضْلِیلٍ * وَأَرْسَلَ عَلَیْهِمْ طَیْراً أَبابِیلَ * تَرْمِیهِمْ بِحِجارَهٍ مِنْ سِجِّیلٍ * فَجَعَلَهُمْ کَعَصْفٍ مَأْکُولٍ).

* * *

فی هکذا بیت یکتنفه التوحید، ونبل الصفات، وجمیل الخصال... ولد أبوطالب قبل ولاده رسول الله (ص) بخمس وثلاثین سنه، فاتصف بکلّ صفاته ومناقبه فکان سیّد بنی هاشم فی الجاهلیه بل سیّد قریش، فی وقت لا ینال أحد السیاده هذه بلا مال إلاّ أبو طالب، وترعرع ونشأ فی حجر زعیم هذا البیت وسیّده، فی هکذا أُسره وفی هکذا جوّ مفعم بالخیر والعطاء والحکمه والشجاعه والتسلیم المطلق إلی الله تعالی، شبّ أبو طالب وقد انصهرت فی نفسه شمائل هذه الأُسره المبارکه، التی عرفت بتأریخها الحافل وأمجادها العظیمه، فجدّه هاشم هو الذی أسّس الإیلاف: (لِإِیلافِ قُرَیْشٍ * إِیلافِهِمْ رِحْلَهَ الشِّتاءِ وَ الصَّیْفِ)، فهو الذی أنشأ هاتین الرحلتین اللتین درّتا بخیرات عظیمه علی قریش، ومنافع کبیره، وهو الذی نادی بالعداله وحبّ الناس ورفع الظلم عنهم، ومن قبله جدّهم قصی ابن کلاب، الذی کان له الدور الکبیر فی تنظیم المجتمع المکّی، وجمع شتات قریش وشملها حتی سمّی «مُجمِّعاً».

۱- سوره الفیل.

وأبو طالب نفسه هو الذى سنّ القسامه (الأيمان) فى الجاهليه، وكانت أوّلاً فى دم عمر بن علقمه، ثمّ استمرت، وأمضتها الشريعه الإسلاميه فيما بعد; كما كانت له السقايه بعد أبيه، بل كان شريكاً له فى خصائصه وأعماله.

إذن فهى أُسره مشاريع كلّها خير وعطاء، وهو وليد أُسره هاشميه مباركه، راحت بركاتها تعمّ الخافقين!

اُمّه

كانت لعبد المطلب زوجات خمس، وكان له منهنّ عشره ذكور وست نساء، فأمّ عبدالله والد النبىّ۹ وأبى طالب والد الإمام علىّ (ع) والزبير، وجميع النساء غير صفيه، كانت فاطمه بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم بن يقظه بن مُرّه ابن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر.

فأبوطالب يلتقى مع رسول الله (ص) من الأُم بجدّهم مُرّه، فأمّ رسول الله (ص) هى آمنه بنت وهب بن عبد مناف بن زهره بن كلاب بن مُرّه بن كعب بن لؤى بن غالب ابن فهر بن مالك بن النضر.

قال ابن هشام: فرسول الله (ص) أشرف ولد آدم حسباً، وأفضلهم نسباً من قِبَل أبيه وأُمّه،(۱)

وما من شك أنّ هذه الأشرفيه والأفضليه تشمل أبا طالب أيضاً.

زوجته

إنّ الكلام عن «أبو طالب» يجرّنا إلى الكلام عن زوجته الفاضله الوحيده،(۲)

ابنه عمّه، وهى أوّل هاشميّه تزوّجها هاشمى، وعلىّ بن أبى طالب يعدّ واخوته هاشميين أباً وأُمّاً، فقد تعوّد بنو هاشم أن يصهروا إلى أُسر أُخرى.

۱- السيره النبويه، لابن هشام ۱: ۱۱۰.

۲- قيل: إنّ له زوجه أُخرى تُدعى «عَلَّه» ولدت له «طليق».

لقد كانت هذه المرأه الجليله ذات منزله رفيعه جعلتها من اللائى امتازت

حياتهنّ بمواقف عظيمه فى حركه الأنبياء ومسيرتهم عبر التأريخ، فقد أثنى عليها

رسول الله (ص) لاهتمامها به ورعايتها له طيله سبعه عشر عاماً، ممّا جعله شاكراً لها ولمعروفها معه، حتى كان يدعوها «أُمّى بعد أُمّى التى ولدتنى» فقد كانت تفضّله على أولادها الأربعه.

حظيت هذه السيده، والمرأه المؤمنه الطاهره، بمكانه عظيمه فى قلب رسول الله (ص) وتركت فى نفسه آثاراً طيبه، راح يذكرها طيله حياته، ويترحم عليها، ويدعو لها... تقول الروايه:

لما ماتت فاطمه بنت أسد أُمّ علىّ (ع) وكانت قد أوصت لرسول الله (ص) وقَبِل وصيتها ألبسها النبىّ۹ قميصه، واضطجع معها فى قبرها، فقالوا: ما رأيناك يا رسول الله صنعت هذا!

فقال: «إنّه لم يكن أحد بعد أبى طالب أبرّ بى منها، إنّما ألبستها قميصى؛ لتكسى من حلل الجنّه، واضطجعت معها؛ ليُهوَّن عليها».

وفى دعاء خاص لها، قال: «أللهم اغفر لأُمّى فاطمه بنت أسد، ولقنها حجّتها، ووسّع عليها مدخلها»، وخرج۹ من قبرها وعيناه تذرفان دموعهما، وكان هذا فى السنه الرابعه من الهجره النبويه.

لقد كانت رضوان الله عليها لرسول الله (ص) طيله سبعه عشر عاماً قضتها معه بمنزله الاُمّ، بل كانت أماً بكلّ ما تعنيه هذه الكلمه من معنى، وقد كانت بارّهً برسول الله (ص) : «لم يكن بعد أبى طالب أبرّ بى منها» فحنانها وشفقتها ورعايتها له، بلغت مبلغاً عظيماً حتى فاقت رعايتها لأبنائها، وكأنّها تعلم أنّ له مكانه عظيمه وشأناً جميلاً، تقول بعض الروايات كان أولادها يصبحون شعثاً رمصاً، ويصبح رسول الله (ص) كحيلًا دهيناً.

هذا فى مداراتها لرسول الله (ص) وحبّها له؛ أمّا فى إيمانها، فقد كانت بدرجه عظيمه، ومن السابقات إلى الإسلام بعد عشره من المسلمين، ومن المهاجرات الأول إلى المدينه، ثمّ هى

بعد هذا بدريّه وهى كرامه عظيمه لها. (۱)

بدأ أبو طالب حياته مع هذه السيده الهاشميه المُباركه بخطبته التى قال فيها:

«ألحمد لله ربّ العالمين، ربّ العرش العظيم، والمقام الكريم، والمشعر والحطيم،

الذى اصطفانا أعلاماً وسادهً، وعرفاء خلصاً وقادهً، وحجّه بهاليل، أطهاراً من الخنا والريب، والأذى والعيب، وأقام لنا المشاعر، وفضّلنا على العشائر، نخب إبراهيم وصفوته، وزرع إسماعيل، وقد تزوجت فاطمه بنت أسد، وسقت المهر، وأنفذت الأمر، فاسألوه واشهدوا».

فقال أسد: زوجّناك ورضينا بك.

وأولم أبو طالب سبعه أيام متواليه، ينحر فيها الجزر، وفى ذلك يقول أُميه بن السلط:

أغمزنا عرس أبى طالب

وكان عرساً لين الجانب

إقراؤه الضيف بأقطارها

من رجل خفّ ومن راكب

فنازلوه سبعه أحصيت

أيامها للرجل الحاسب

أولاده

كان لأبى طالب من الأولاد الذكور أربعه، أكبرهم طالب، ثمّ عقيل، ثمّ جعفر ثمّ علىّ (ع) وكلّ واحد أكبر من الذى بعده عشر سنوات، وكان على (ع) أصغر أولاده.

ومن الإناث: أُمّ هانى، وكلّهم من فاطمه بنت أسد، التى لم يتزوّج غيرها.

أبوطالب و رسول الله (ص)

بعد هذا الاستعراض السريع، نعود إلى علاقته برسول الله (ص) كفالهً وحبّاً ودفاعاً وإيماناً بما جاء به; أمانه السماء التى حملها رسول الله (ص) بشيراً ونذيراً، ورحمهً للعالمين.

١- اُنظر فی هذا وغیره مقالتنا فی میقات الحج.

فإنّه يحسّ بشرف!

لقـد تكفّل جدّه عبد المطلب محمداً تربيه وتنشـئهً... وحفظه ورأف به رأفهً لم يرأفها بأولاده أبداً؛ فقد كان عبد المطلب لا يأكل طعاماً إلاّ أحضـره معه وشركه فيه... وليس هذا فقط، بل كان يقرّبه ويدنيه إلى مجالسه العامّه والخاصه; لأنّه كان يستبشر به خيراً كثيراً، فكان لعبد المطلب مجلس خاص به فى حجر إسماعيل، وهو مكان تعوّد العرب أن لا يجلس فيه إلاّ زعماؤهم، وأشرافهم، وكبراؤهم، دون غيرهم من الناس، مهما كانت منزلتهم، وعلت مكانتهم، فهذا المكان كان خاصّاً بأولئك الأشراف.

قال عطاء: سـمعت ابن عبّاس يقول: سمعت أبى يقول: كان عبد المطلب أطول الناس قامهً، وأحسن الناس وجهاً، ما رآه قط شىء إلاّـ أحبّه، وكـان له مفرش فى الحجر لا يجلس عليه غيره، ولا يجلس معه عليه أحـد، وكان النـدى من قريش حرب بن أُميّه فمن دونه يجلسون دون المفرش.

فجاء رسول الله (ص) وهو غلام يدرج; ليجلس على المفرش، فجذبوه فبكى.

فقال عبد المطلب، وذلك بعدما حجب بصره; ما لابنى يبكى؟!

قالوا له: إنّه أراد أن يجلس على المفرش فمنعوه.

فقال عبد المطلب: دعوا ابنى، فإنّه يحسّ بشرف، أرجو أن يبلغ من الشرف ما لم يبلغ عربى قطّ. (۱)

الكفاله المُباركه

كان عبـد المطلب يرى فى ابنه «أبوطالب» الذى حظى بوراثه جميع مناقبه الشخصـيه اللائقه بما تملكه من صـفات رفيعه وخصال جليله، بكفـاله يتيم بنى هـاشم، سـيد الكائنـات محمّـد بن عبـدالله، الـذى كـان يترقّب كمـا ذكرنـا فيه شـرفاً عظيمـاً، وأمراً كبيراً، ومستقبلاً

۱- اُنظر حجر اسماعيل، فى تأريخ الأزرقى والفاكهى وغيرهما.

باهراً، لا يخلو من مخاطر وعقبات وآلام قد يتعرّض لها في مسيرته، وهو ما يلمسه كلّ قارئ لوصيته، التي أودعها ابنه البار أباطالب، الذي رآه من دون الآخرين من بني هاشم وغيرهم، جديراً بحمل هذه الأمانه، وهي أمانه ليست سهلةً بما تحمله من آثار كبيره ومشاكل جمّه، قد يتعرّض لها أبوطالب أيضاً، لهذا نرى عبد المطلب قد اختاره من دون إخوته الآخرين لهذه المسؤوليه، فما إن نزل به المرض حتى نادى أبا طالب، وراح يعهد إليه كفاله حبيبه محمّد، ويوصيه بقوله:

«اُنظر يا أبا طالب، أن تكون لهذا الوحيد، الذي لم يشمّ رائحه أبيه، ولم يذق شفقه اُمّه، اُنظر أن يكون منك بمنزله كبدك، فإنّي قد تركتُ بني كلّهم، وخصصتك به...»

وفي قول آخر: «يا أبا طالب إنّي قد عرفت ديانتك وأمانتك، فكن له كما كنتُ له».

وفي قول ثالث: «يا بني قد علمتَ شدّه حبّي لمحمّد ووجدي به، اُنظر كيف تحفظني فيه».

ثمّ قال: «إن استطعت أن تتبعه فافعل، وانصره بلسانك ويدك ومالك، فإنّه، والله سيسودكم، ويملك ما لم يملك أحدٌ من آبائي».

ثمّ راح يصوّب ناظريه إلى وجه أبي طالب، كأنّه يريد أن يستطلع ما يدور في خلجات نفسه وردودها فيقول:

هل قبلت يا أبا طالب؟

فيجيبه قائلًا: قد قبلتُ، والله على ذلك شهيد.

ثمّ يضع يده بيد ابنه، ويشدّ بقوّه عليها، قائلًا: الآن خُفّف عليّ الموت، وراح يغمض عينيه بهدوء، ويرحل هناك إلى حيث الدار الآخره بقلب راض ونفس مطمئنه، عن عمر ناهز مئه وعشرين عاماً.

فكان أبو طالب يؤثره بالنفقه والكسوه على نفسه وعلى جميع أهله، ويغدق عليه محبته وعطفه وحنانه، يقول ابن سعد في طبقاته:

كان أبو طالب لا مال له، وكان يحب محمّداً حبّاً شديداً لا يحبّه ولده، وكان لا ينام إلّا إلى جنبه، ويخرج فيخرجه معه، وصبّ به أبو طالب صبابةً لم يصب بشيء مثلها قط، وكان

يخصّه بالطعام. (۱)

ثمّ واصل ابن سعد قوله:

وشبّ رسول الله (ص) مع أبي طالب يكلؤه ويحفظه، ويحوطه من أمور الجاهليه ومصائبها. (۲)

و صحبه!

و صحبه! (۳)

وصحبه في الاستسقاء لقومه داعياً ربّه أن يكشف عنهم القحط، وهنا بسط محمّد كفّيه، ودعا مع عمّه، فإذا الغيث ينهمر من السماء وافياً كافياً.

ذكر ابن عساكر من أنّ أهل مكّه قحطوا، فخرج أبو طالب ومعه غلام كأنّه شمس تجلّت، فأخذه أبو طالب فألصق ظهره بالكعبه، ولاذ الغلام بإصبعه، وأومأ نحو السماء، فأقبل السحاب من هنا وهناك، وأغدق وأخصبت الأرض.

وهنا أنشأ أبو طالب يقول:

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه

ثمال اليتامى عصمه للأرامل

تلوذ به الهلّاك من آل هاشم

فهم عنده في نعمه وفواضل

وصحبه في رحلته إلى ذي المجاز، وفيها عطش أبو طالب حتى كادت حراره العطش تلتهم كبده، فما كان من محمّد إلّا أن مدّ يده إلى صخره شامخه، فإذا بالماء يتدفّق منها عذباً فراتاً.

۱- الاحتجاج ۱: ۳۴۳.

۲- طبقات ابن سعد ۱: ۱۱۹ ۱۲۱.

۳- شرح نهج البلاغه ۳: ۴۶۹.

وصحبه ليخطب له خديجه بنت خويلد الأسدى، المعروفه بشرفها وعفّتها ومالها، فقد كانت تستأجر الرجال فى تجارتها، وقد حظيت أخيراً برسول الله (ص) ليخرج فى تجارتها إلى الشام وهو ابن خمس وعشرين سنه مع غلامها ميسره، فباع بضاعتها بأضعاف ما كانت خديجه تربحه، فسرّت بهذا كثيراً، وحدّثت نفسها بالزواج منه.

فابتدأ أبو طالب خطبتها بأن قال: ألحمد لربّ هذا البيت، الذى جعلنا من زرع إبراهيم، وذريّه إسماعيل، وأنزلنا حرماً آمناً، وجعلنا الحكّام على الناس، وبارك لنا فى بلدنا الذى نحن فيه.

ماأجمل كلامک يا أباطالب و أعظمه!

ثمّ إنّ ابن أخى هذا يعنى محمّد بن عبدالله ممّن لا يوزن برجل من قريش، إلاّ رجح به، ولا يقاس به رجل إلاّ عظم عنه، ولا عدل له فى الخلق، وإن كان مقلاًّ فى المال، فإنّ المال رفد جار وظلٍّ زائل!

وله فى خديجه رغبه، وقد جئناك (ويقصد به ورقه بن نوفل عمّها) لنخطبها إليك برضاها وأمرها، والمهر علىَّ فى مالى، الذى سألتموه عاجله وآجله، وله وربّ هذا البيت حظٌّ عظيم ودين شائع ورأى كامل.

ثمّ سكت أبو طالب، وتكلّم عمّها وتلجلج أى تردّد فى الكلام وقصر عن جواب أبى طالب، وأدركه القطع والبهر (النَفس من الأعياء).

وهنا قالت خديجه مبتدئه: يا عمّاه إنّك وإن كنت أولى بنفسى منّى فى الشهود، فلستَ أولى بى من نفسى، قد زوّجتك يا محمّد نفسى والمهر علىَّ فى مالى، فَأمُر عمّك، فلينحر ناقةً فليولم بها، وادخل على أهلك.

وهنا قال أبو طالب: اشهدوا عليها بقبولها محمّداً وضمانها المهر فى مالها.

فقال بعض قريش: يا عجباه المهر على النساء للرجال! فغضب أبو طالب غضباً شديداً، وقام على قدميه، وكان ممّن يهابه الرجال، ويكره غضبه، فقال: إذا كانوا مثل ابن أخى

هذا، طلبت الرجال بأغلى الأثمان وأعظم المهر، وإذا كانوا أمثالكم، لم يزوّجوا إلّا بالمهر الغالى.

ونحر أبو طالب ناقةً، ودخل رسول الله (ص) بأهله.

إظهار الدين الجديد

فى السنه الرابعه من البعثه النبويه المُباركه، جاء أمر السماء محمّداً أن يظهر دعوته، ويجهر بها، فبادر رسول الله (ص) عمّه العباس قائلًا له:

إنّ الله تعالى أمرنى بإظهار أمرى، فما عندك؟

فقال له العباس: يا ابن أخى، تعلم أنّ قريشاً أشدّ حسداً لوالدك، وإن كانت هذه الخصله الطامّه الطّماء، والداهيه العُظمى، ورمينا عن قوس واحد، لكن قرب إلى عمّك أبى طالب، فإنّه أكبر أعمامك، إن لا ينصرك، لا يخذلك ولا يسلمك، فأتياه، فلمّا رآهما أبو طالب قال: ما جاء بكما فى هذا الوقت؟ فأخبره العباس بالحال، فنظر إليه أبو طالب وقال: يا ابن أخى إنّك الرفيع كعباً، والمنيع حزباً، والأعلى أباً، والله لا يسلقك لسان، إلّا سلقته ألسن جداد، واحتدمته سيوف حداد، والله لتذلنّ لك العرب، ولقد كان أبى يقرأ الكتب جميعاً، ولقد قال: إنّ من صلبى لنبيّاً، لوددت أنّى أدركت ذلك فآمنت به، فمن أدركه من ولدى فليؤمن به.

(وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَکَ الْأَقْرَبِينَ) (۱):

وفى تفسير هذه الآيه، بعض من المفسّرين ومن أصحاب السير أنّ النبىّ الله (ص)

لما قام ليدعو أُسرته، عارضه أبولهب، فقال أبو طالب: اسكت يا أعور! ما أنت

وهذا؟ ثمّ قال للنبى (ص) : قم يا سيّدى وتكلّم بما تحب، وبلّغ رساله ربّك، فإنّك الصادق الصديق. (۲)

۱- الشعراء: ۲۱۴.

۲- اُنظر غايه السؤول عن إبراهيم الحنبلى بأسانيد عديده ؛ وغيره من المصادر.

وفود قريش

تعاقبت وفود قريش على أبى طالب، بعد أن أعلن رسول الله (ص) رساله السماء، فكان يواجهها بمواقفه المعروفه بالحكمه.

وفد قريش الأوّل

ومضـى رسـول الله (ص) على أمر الله، مظهراً لأـمره، لاـ يردّه عنه شـىء، فلمّـا رأت قريش أنّ رسـول الله (ص) لاـ يعتبهـم (أى لايرضـيهم) من شىء، أنكروه عليه، من فراقهم وعَيب آلهتهم، ورأوا أنّ عمّه أبا طالب قد حَدِبَ عليه، وقام دونه، فلم يُسلمه لهم، مشـى رجـال من أشـراف قريش إلى أبى طالب، عتبه وشـيبه، ابنا ربيعه ابن عبـد شـمس...، وأبو سـفيان بن حرب بن أُميّه... وأبو البخترى، والأسود بن عبدالمطلب ابن أسد، وأبو جهل، والوليد بن المغيره، ونبيه ومنبّه ابنا الحجاج، والعاص بن وائل.

فقـالوا وهم على كلمه واحـده لاـ غيرها: إنّ ابن أخيك قـد سبّ آلهتنا، وعاب ديننا، وسـفّه أحلامنا، وضـلّل آباءنا، فإمّا أن تُكفّه عنّـا، وإمّـا أن تخلّى بيننـا وبينه، فإنّـك على مثـل مـا نحن عليه من خلاـفه، فنكفيكه، فقـال لهم أبو طـالب قولاً رفيقاً، وردّهم ردّاً جميلًا، فانصرفوا عنه.

وفد قريش الثانى

ثم إنّهم مشوا إلى أبى طـالب مرّهً أُخرى، فقالوا له: يا أبا طالب، إنّ لك سـنّاً وشـرفاً ومنزلهً فينا، وإنّا اسـتنهيناك من ابن أخيك، فلم تنهه عنّـا، وإنّـا والله لاـ نصبر على هـذا من شـتم آبائنـا، وتسـفيه أحلامنـا، وعيب آلهتنـا، حتى تكفّه عنّا، أو ننازله وإيّاك فى ذلك، حتى يهلك أحدُ الفريقين.

وفى خـبر آخر، أنّ قريشـاً حين قـالوا لأـبى طـالب هـذه المقـاله، بعث إلى رسـول الله (ص) فقـال له: يـاابن أخى، إنّ قومـك قد جاؤونى، فقالوا لى كذا وكذا، للذى كانوا قالوا له، فأبق ِ

عليّ وعلى نفسک، ولا تُحمّلنی من الأمر ما لا أطيق.

فظنّ رسول الله (ص) أنّه قد بدا لعمّه فيه بَداء، أنّه خاذله ومسلّمه، وأنّه قد ضعف

عن نصرته والقيام معه، فقال رسول الله (ص): «يا عمّ، والله لو وضعوا الشمس فی يمينی، والقمر فی يساری على أن أترک هذا الأمر حتى يُظهره الله، أو أهلک فيه، ما ترکته» ثم استعبر رسول الله (ص) فبکى ثمّ قام، فلمّا ولّى ناداه أبوطالب، فقال: أقبل يا ابن أخی، قال: فأقبل عليه رسول الله (ص)، فقال: إذهب يا ابن أخی، فقل ما أحببت، فوالله، لا أُسلّمک لشیء أبداً.

وفد قريش الثالث

ثمّ إنَّ قريشاً حين عرفوا أنّ أباطالب أبی خذلان رسول الله (ص) مشوا إليه بعُماره بن الوليد بن المغيره، فقالوا له: يا أبا طالب، هذا عماره بن الوليد، أنهد (أشدّ وأقوی) فتی فی قريش وأجمله، فخذه، فلک عقله ونصره، واتخذه ولداً فهو لک، وأسلم إلينا ابن أخيک هذا، الذی قد خالف دينک ودين آبائک، وفرّق جماعه قومک، وسفّه أحلامهم، فنقتله، فإنّما هو رجل برجل، فقال: والله لبئس ما تسومونني (تکلفونني) أتُعطونني ابنکم أغذوه لکم، وأعطيکم ابنی تقتلونه؛ هذا والله ما لا يکون أبداً. (۱)

أبوطالب والموقف القرشی

وأخيراً وبعد أن يئست وفودها تيقنت قريش وزعماؤها أنّ أبا طالب لا يسلم ابن أخيه ولا يخذله، بل سيمنع محمّداً (ص) منهم بکل ما أوتی من قوّه، وما دام فيه عرق ينبض، بل راحوا يلمسون ويرون نشاطه الواضح فی الترويج للرساله الجديده، ويحرّض أهله على الإيمان بها، والوقوف بجانب محمّد (ص) ونصرته.

فتارهً: يأمر ابنه جعفراً بالصلاه، حيث رأی محمّداً (ص) يصلّی، وإلی جانبه علی (ع)،

۱– أُنظر السيره النبويه ۱: ۲۶۴ ۲۶۸ ففيها تفصيل کثير.

فیقول لجعفر: صل جناح ابن عمّک. (۱)

وأُخری: یقول لأخیه حمزه حینما أعلن إسلامه:

فصبراً أبایعلی علی دین أحمد

وکن مظهراً للدین وفّقت صابرا

وثالثه: یخاطب محمّداً (ص) بعد وفود قریش له، تستعین به علی إیقاف جهد

محمّد ونشاطه فی تسفیه أحلامهم ومعتقداتهم، ثمّ دعوتهم إلی الإیمان بالله تعالی وحده. فیقول له:

والله لن یصلوا إلیک بجمعهم

حتی أؤسد فی التراب دفینا

أبوطالب والحصار فی الشعب

لما رأی أبوطالب أنّ قریشاً یئست فی کلّ محاولاتها من الوصول إلی هدفها فی استمالته إلی جانبها ضد محمّد (ص) ودعوته، وبالتالی منع الدعوه الجدیده من الانتشار والاتساع فی المجتمع المکّی وأطرافه وقبائله، بدأت تغیّر أسالیبها لتقویض الدین الجدید، فراحت تفکّر بإیذاء الرسول (ص) بل بقتله، فما کان من أبی طالب إلاّ أن یأمُر بنی هاشم وبنی المطلب أن یدخلوا برسول الله (ص) الشعب، لیمنع ما قد تقدم علیه قریش من أذی لرسول الله (ص)... أو أنّه دخل ورسول الله (ص) وجمع معه الشعب، ثمّ انحاز إلیهم بنوهاشم والمطلب إلاّ أبا لهب فقد خرج من بنی هاشم وظاهر قریشاً.

الصحیفه و ماآلت إلیه

حیث إنّ قریشاً ما إن رأت هذه الخطّه الجدیده من أبی طالب، حتی استقرّ رأیها علی کتابه عهد یوقّعه الجمیع، یتضمّن مقاطعه شامله، سیاسیه، واقتصادیه، واجتماعیه لبنی هاشم والمطلب، وأن یضیّقوا علیهم ویمنعوهم من حضور الأسواق، وأن لا یبایعوهم ولا یناکحوهم،

۱- أُنظر الإصباح ۷: ۱۱۲.

ولا يقبلوا لهم صلحاً أبداً، ولا تأخذهم بهم رأفه حتى يسلموا رسول الله (ص).

وبعد أن كتبوا هذه الوثيقه، وتعاهدوا وتواثقوا فيها فى جوف الكعبه توكيداً على أنفسهم، وكان كاتب هذه الصحيفه منصور بن عكرمه ابن عامر، ويُقال النضر بن الحارث، فدعا عليه رسول الله (ص) فشلّ بعض أصابعه.

وقال أبو طالب شعراً:

ألا أبلغا عنى على ذات بيننا

لؤيّاً وخُصّا من لؤى بنى كعب

ألم تعلموا أنّا وجدنا محمّداً

نبيّاً كموسى خُطّ فى أوّل الكتب؟

وأنّ عليه فى العباد محبةً

ولا خير ممّن خصّه الله بالحب

وأنّ الذى ألصقتم من كتابكم

لكم كائن نحساً كراغبه السقب

أفيقوا أفيقوا قبل أن يحفر الثرى

ويصبح من لم يجن ذنباً كذى الذنب

ولا تتبعوا أمر الوشاه وتقطعوا

أواصرنا بعد المودّه والقرب

فلسنا وربّ البيت نسلم أحمداً

لعزّاء (لشده) من عضّ الزمان ولاكرب

أليس أبونا هاشم شدّ أزره

وأوصى بنيه بالطعان وبالضرب

ولسنا نملّ الحرب حتى تملّنا

ولا نشتكي ما قد ينوب من النكب

ظل بنوهاشم والمطلب ومن معهم ثلاث سنين، وقول آخر، مكثوا سنتين فى الشعب، فترك هذا الحصار أثره عليهم، وأصابتهم ضائقه شديده، حتى جهدوا حيث لا يصل إليهم شيء إلّا سرّاً، وكان دور أبى طالب، وأُمّ المؤمنين خديجه عظيماً فى تخفيف المعاناه هذه داخل الشعب، حيث كانا يدخلان المؤن والأقوات إلى داخل الشعب خفيةً، حتى هيّأ الله تعالى الأرضه، فأكلت معاهده قريش، وأوصى الله تعالى إلى رسوله بهذا، فأخبر عمّه أباطالب: يا عمّ إنّ ربى الله قد سلّط الأرضه على صحيفه قريش، فلم تدع فيها اسماً هو لله إلّا أثبتته فيها، ونفت منه الظلم والقطيعه والبهتان.

فقال: أربك أخبرك بهذا؟

قال: نعم.

قال: فوالله ما يدخل عليك أحد.

فبادر أبوطالب إلى مجالس قريش وأنديتها، ليخبرهم بما آلت إليه وثيقتهم، وبما صنع الله تعالى فى صحيفتهم، وأنّ الذى أخبره بذلك هو رسول الله (ص).

ووضعهم بهذا أمام امتحان واختبار، حيث قال لهم: إن كان الحديث كما يقول ابن أخى، فأفيقوا، وإن لم ترجعوا، فوالله لا نسلّمه حتى نموت عن آخرنا، وإن كان الذى يقول باطلًا، دفعنا إليكم صاحبنا.

فقالوا: قد رضينا بما تقول، وتعاقدوا على ذلک، ثمّ فتحوا الصحيفه، فوجدوا الأمر كما أخبر به الصادق الأمين.

وعندما رأت قريش صدق ما جاء به أبوطالب، قالوا: هذا سحر ابن أخيک، وما زادهم ذلک إلّا بغياً وعتواً وعدواناً.

فقال لهم أبوطالب: علام نحبس ونحصر، وقد بان الأمر، وتبيّن أنّكم أولى بالظلم والقطيعه والإساءه؟

ثمّ دخل يمين أستار الكعبه، ودخل معه بنو هاشم قائلين: أللّهمّ انصرنا على من ظلمنا، وقطع أرحامنا، واستحل من يحرم عليه منا، ثمّ انصرفوا إلى الشعب.

وقال أبو طالب فى هذا شعراً.

وقد كان فى أمر الصحيفه عبره

متى ما يخبّر غائب القوم يعجب

محا الله عنها كفرهم وعقوقهم

وما نقموا من ناطق الحقّ معرب

فأصبح ما قالوا من الأمر باطلًا

ومن يختلق ما ليس بالحق يكذب(۱)

وفى نهايه هذا الموقف، وافق أباطالب قوم وآمنوا به، وامتنع آخرون.

وقام أبوطالب، يمدح أولئک النفر الذين قاموا بعد أن اتّضحلهم الحقّ فى نقضها فى

١- أُنظر ابن الأثير فى الكامل ٢: ٣٦.

سته وعشرين بيتاً من الشعر كان منها:

فيخبرهم أنّ الصحيفه مزّقت

وأنّ كلَّ ما لم يرضه الله مفسد(۱)

أبوطالب يستحث قومه

وحينما رأى أبوطالب ما تقوم به قريش من تعـذيب أتباع رسول الله (ص) ومريديه، وما يصـنعون في بنيهاشم وبني المطلب، دعا قومه إلى المجيء إلى مـا هو عليه، والانضـمام إليه، من منع رسول الله (ص)، والقيام دونه، فلبّى قومه دعوته، إلاّ ما كان من تمرّد أبي لهب وعدم استجابته لهذه الدعوه.

وما إن رأى أبوطالب موقف قومه هـذا وما سـرّه في جهـدهم معه، وحـدبهم عليه، حتى راح يمـدحهم ويـذكر قـديمهم، وفضـل رسول الله (ص) فيهم، ومكانته الكبيره بينهم، ليشُدّ لهم رأيهم، وليَحدَبوا معه على أمره، فقال:

إذا اجتمعت يوماً قريش لمفخر

فعبدُ مناف سرها وصميمها

وإن حُصّلت أشراف عبد منافها

ففي هاشم أشرافها وقديمها

وإن فخرت يوماً فإنّ محمّداً

هو المصطفى مَن سرّها وكريمها

تداعت قريش غُثها وسمينها

علينا فلم تظفر وطاشت حلومها(۲)

الوصيه الأخيره

من على فراش مرضه، الـذي يـدثّره وقد مات فيه، انطلقت كلمات رائعه، فكانت نوراً يدخل القلوب، وكانت وصايا تنبع الحكمه من أعماقها، وكانت كلمات تتفوّه بها بصيره نافذه:

يا معشر قريش! أنتم صفوه الله من خلقه وقلب العرب، وفيكم السيّد المُطاع، وفيكم

١- أُنظر القصيده كامله فى السيره النبويه لابن هشام ١: ٣٧٧ ٣٨٠.

٢- أُنظر المصدر نفسه.

المقدام الشجاع، واعلموا أنّكم لم تتركوا نصيباً فى المآثر إلاّ أحرزتموه، ولا شرفاً إلاّ أدركتموه.

وإنّى أوصيكم بتعظيم هذه البنيه الكعبه فإنّ فيها مرضاه الرب، صلوا أرحامكم، ولا تقطعوها، فإنّ صله الرحم منسأه فى الأجل، وزياده فى العدد، واتركوا البغى والعقوق، ففيهما هلكت القرون قبلكم... أجيبوا الداعى، وأعطوا السائل، وعليكم بصدق الحديث، وأداء الأمانه.

ولم يقف عند هذا، بل راح يوصيهم برسول الله (ص) خيراً، فيقول:

وإنّى أوصيكم بمحمّد خيراً، فإنّه الأمين فى قريش، والصديق فى العرب، وهو الجامع لكلّ ما أوصيتكم به، دونكم يا معشر قريش ابن أبيكم، كونوا له ولاه، ولحزبه حماه.

ثمّ راح يحدّق بعيداً فى مستقبل هذه الأُمّه والرساله، فيقول:

وأيم الله، لكأنّى أنظر إلى صعاليك العرب والمستضعفين من الناس، قد أجابوا دعوته، وعظّموا أمره، فخاض بهم غمرات الموت، ولكأنّى به، وقد محضته العرب ودادها، وأعطته قيادها.

ثمّ يلتفت إلى محمّد ويخاطبهم بقوله:

والله لا يسلك أحدٌ سبيله إلاّ رشد، ولا يأخذ أحد بهديه إلاّ سعد، انصروا محمّداً، فإنّه الهادى إلى سواء السبيل.

ولو أنّ الله تعالى أخّر أجله وأمدّ فى عمره، وقد عبّر عن أُمنيته هذه بقوله:

ولو كان للنفس مده، وفى أجلى تأخير، لكففتُ عنه الهزاهز، ولدافعتُ عنه

الدواهى.

هذه هى وصيّته فى عامه الجالسين، وكان منهم المشركون الذين يتلهفون إلى موته، ليميلوا على محمّد وصحبه، ميلهً واحده، ويبطشوا بهم.

ثم تحين منه التفاته إلى بنى هاشم، بعد أن خلا المجلس إلاّ منهم، فيقول:

يا معشر بنى هاشم! أطيعوا محمّداً وصدّقوه، تفلحوا وترشدوا.

ثمّ راح يخصّ أربعه من الهاشميين وهم: ولداه: على وجعفر، وأخواه: الحمزه والعباس، فيقول:

أوصى، بنصر نبى الله، أربعه

ابنى علياً، وعم الخير عباسا

وحمزه الأسد المخشىَّ صولته

وجعفراً، أن تذودوا، دونه الناسا

كونوا فداء لكم أمّى، وما ولدت

فى نصر أحمد، دون الناس، أتراسا(١)

ومَن كانت هذه وصاياه، أتظنه يموت كافراً، وعن هذا النعيم والفلاح غافلاً؟!

وفاه أبى طالب

توفى بيضه البلد عن سته وثمانين عاماً، فى شهر رمضان، وقيل فى النصف من شوال، وقيل فى رجب من السنه العاشره للبعثه النبويّه الشريفه، أى قبل الهجره بثلاث سنوات، قبل وفاه أُمّ المؤمنين خديجه(عليها السلام) بثلاثه أيام، أو بشهور على قول، ولهذا سمّى الرسول (ص) هذا العام عام الحزن، وقال: «اجتمعت علىَّ فى هذه الأيام مصيبتان بأيّهما أنا أشدّ جزعاً».(٢)

فما إن أغمض عينيه الساهرتين على رسول الله (ص)، حفظاً ورعايةً ومؤازرةً ودفاعاً ودعوةً إلى ما يحمله بين يديه، حتى أمر الرسول (ص) عليّاً (ع) أن يغسّله ويكفّنه، فعن على (ع) أنّه قال: أخبرت رسول الله (ص) بموت أبى طالب، فبكى، ثم قال: «اِذهب فغسّله، وكفّنه، وواره غفر الله له».(٣)

وفى خبر ثمّ جاء رسول الله (ص) يشيعه ويرثيه قائلاً:

«وصلتك رحم يا عم، وجزيت خيراً، فلقد ربيت، وكفلت صغيراً... ونصرت، وآزرت كبيراً... أمّا والله لأستغفرنَّ لك، ولأشفعنّ لك شفاعه يعجب لها الثقلان...

وا أبتاه! وا أبا طالباه! وا حزناه عليك يا عم كيف أسلو عنك، يا من ربّيتنى صغيراً،

١- أُنظر فى هذا كلّه السيره النبويّه وغيرها من مصادر التاريخ وما كتب عنه وهو كثير.

٢- السيره النبويّه ٢: ٤١٦ وغيرها.

٣- طبقات ابن سعد ١: ١٢٣.

وأحببتنی کبیراً، وکنتُ عندک بمنزله العین من الحدقه، والروح من الجسد؟!»

بهذه العبارات، والعبرات، والقلب الحزین، ودّع رسول الله (ص) عمّه، کما ودّعته الرساله کذلک ; بکاه الرسول والرساله والناس أجمعون، بکته الجموع المؤمنه أباً رحیماً، وعمّاً ودوداً، ومربّیاً واعیاً، ومدافعاً حکیماً، ومؤمناً حلیماً.

یقول البکری فی کتاب مولد أمیرالمؤمنین۷ عن الحزن الذی ملأ أجواء مکّه:...

شققن النساء علی أبی طالب الجیوب، ونشرن الشعور، وشمل الحزن جمیع شعاب مکّه وشعوبها.

وراح أمیرالمؤمنین (ع) یرثی أباه:

أبا طالب عصمه المستجیر

وغیث المحول، ونور الظلم

لقد هدّ فقدک أهل الحفاظ

فصلّی علیک ولیّ النعم

ومما قیل عنه

نذکر هنا بعض الروایات والأقوال الوارده بحقّه رضوان الله علیه

عن الإمام علی (ع) أنّه قال:

«کان والله أبوطالب... مؤمناً مسلماً، یکتم إیمانه مخافهً علی بنی هاشم أن تنابذها قریش».(۱)

کان أمیرالمؤمنین (ع) یعجبه أن یروی شعر أبی طالب وأن یدوّن، وقال: «تعلموه وعلّموه أولادکم، فإنّه کان علی دین الله، وفیه علم کثیر».

روی عن الإمام الصادق (ع) أنّه قال:

«إنّ أصحاب الکهف أسروا الإیمان وأظهروا الکفر، فأتاهم الله أجرهم مرّتین،

وإنّ أباطالب أسرّ الإیمان وأظهر الشرک، فأتاه الله أجره مرّتین، وما خرج من الدنیا

حتی أتته البشاره من الله بالجنّه، کیف یصفونه بهذا (أنّه مات کافراً) وقد نزل

١- أُنظر أبو طالب عملاق الإسلام الخالد ، لمحمد على أسد: ١٥٢ عن مجله نهج الإسلام.

جبریل لیله مات أبوطالب، فقال یا محمّد أخرج من مکّه فما لک بها من ناصر بعد أبی طالب».(۱)

ممّا قالوا

یقول ابن الأـثیر فی جامع الاُصول: فلمّا رأی المشـرکون ذلک یعنی إظهار الـدعوه خالفوه وعانـدوه، وأظهروا عـداوته، وأجمعوا علی أذاه، وهمّـوا بقتلـه، فأجـاره عمّـه أبوطـالب، ودفـع عنه وحمـاه، إلاّـ أنّ قریشـاً تظـافروا علی بنی هـاشم وبنی المطلب، حـتی حصروهم فی الشعب.

ثم قال: فمات أبوطالب بعـد ذلک بسـته أشـهر، وماتت خـدیجه بعده بثلاثه أیام، وقیل: بخمسه أیام، وقیل: بأکثر من ذلک، فبان أثر موتهما علی النبیّ الله (ص) فخرج إلی الطائف. (۲)

وقال الزمخشری: قال النبیّ الله (ص): «ما زالت قریش کاعه، حتی مات أبوطالب» أی جبناء عن أذای، جمع کائع. (۳)

یقول الطبری: ولما هلک أبوطالب، خرج رسول الله (ص) إلی الطائف یلتمس من ثقیف النصر والمنعه له من قومه. (۴)

ویقول أیضاً، بعد أن یذکر أنّ أباطالب وخدیجه هلکا فی عام واحد قبل هجرته۹ إلی المدینه بثلاث سنین: فعظمت المصیبه علی رسول الله (ص) بهلاکهما; وذلک أنّ قریشاً وصلُوا من أذاه بعـد موت أبی طالب إلی ما لم یکونوا یصلون إلیه فی حیاته، حتی نثر بعضهم علی رأسه التراب.

وقـال ابن أبی الحدیـد: ومَن أراد أن یقف علی شـدّه بلاـء أبی طـالب فی الـدفع عنه والـذب، حین تعاقـدت قریش علی قطعه۹، وکتبوا فی ذلک الکتاب وعلّقوه فی الکعبه، ووثبت کلّ قبیله

۱- راجع شرح نهج البلاغه ۳: ۴۶۶ ؛ أعیان الشیعه ۳۹: ۱۳۶ ؛ الغدیر ۷: ۳۸۱.
۲- جامع الأُصول ۱: ۲۹۶.
۳- اُنظر الفائق ۳: ۲۹۰.
۴- تاریخ الطبری ۱: ۵۵۴.

على من أسلم منهم يعذبونهم على الصخر والصفا فى حرّ الشمس، وحين صدّوهم فى الشعب سنتين أو ثلاثاً، ومع ذلك كلّه أبوطالب يحوط النبىّ الله (ص) ويمنعه ويقوم دونه، فليراجع كتب السير، يقف على ما صنعه معه، بل لشاهد عياناً صدق قول الباقر۷ وقد سئل عن إيمانه: «ولو وضع إيمان أبى طالب فى كفّه ميزان، وإيمان هذا الخلق فى الكفّه الاُخرى؛ لرجح إيمانه».(۱)

وهنا يذكر ابن أبى الحديد: أنّ على بن الحسين (ع) سُئل عن هذا، فقال: «واعجباً، إنّ الله تعالى نهى رسوله أن يُقرّ مسلمه على نكاح كافر، وقد كانت فاطمه بنت أسد من السابقات إلى الإسلام، ولم تزل تحت أبى طالب حتى مات».(۲)

روى عكرمه عن ابن عباس أنّه قال: جاء أبو بكر إلى النبىّ الله (ص) بأبى قحافه، يقوده وهو شيخ كبير أعمى، فقال رسول الله (ص) لأبى بكر: ألاـ تركت الشيخ حتى نأتيه؟! فقال أبوبكر: أردت يا رسول الله أن يأجرنى الله، أما والذى بعثك بالحقِّ، لأنا كنتُ أشدّ فرحاً بإسلام عمّك أبى طالب منى بإسلام أبى، التمس بذلك قرّه عينك.

فقال رسول الله (ص): «صدقت».(۳)

وقد اشتهر عن المأمون العباسى أنّه قال: والله أسلم أبوطالب بقوله:

نصرتُ الرسول رسول المليك

ببيض تلألأ سمع البروق

أذبّ وأحمى رسول الإله

حمايه حام عليه شفيق... (۴)

أبوطالب ضحيّه مؤامره قذره!

بدايتها:

فى العصر الأوّل للإسلام لم يكن هناك أى اختلاف فى إيمان أبى طالب، وإنّما بدأ هذا

۱- شرح نهج البلاغه ۳: ۳۱۶.

۲- المصدر نفسه؛ الاستيعاب بهامش الإصابه ۴: ۳۸۱.

۳- المصدر نفسه، ۳: ۳۲۲.

۴- اُنظر شرح نهج البلاغه ۳: ۳۱۷.

بعـد أن تفـاقم الخلافـ‌ف، حـتى وصـل إلى الصـراع بين على (ع) ومعـاويه، فراحت الروايـات الموضـوعه تقوّض منـاقب، وتختلق أُخرى، وتميت مواقف، وتصـنع غيرها، عبر أكثر من سـبعين ألف منبر، وخلال سبعين سنه، تحت شعار أن برئت الذمّه ممن روى شيئـاً فى فضـل أبى تراب وأهـل بيتـه... ولاـ تـتركوا خـبراً يرويه أحـدٌ من المسـلمين فى أبى تراب، إلاّـ وتـأتونى بمنـاقض له فى الصحابه، فإنّ هذا أحبّ إلىَّ وأقر لعينى، وأدحض لحجه أبى تراب وشيعته،(1)

حتى قيل له: أما آن لك يا معاويه أن تترك عليّاً وشأنه، وتأمر بترك مسبّته على المنابر؟

قال معاويه: لا، حتى يموت عليها الكبير ويربو عليها الصغير.

لم أجد، وأنا أُقلّب صـفحات التأريخ بحثاً عمّا يتعلّق بحياه شيخ قريش وسيّدها أبى طالب، ثغرهً للنفاذ منها إلى تأييد ما ذهب إليه قوم من تكفيرهم له، وأنّه مات كافراً برساله السـماء، التى حملها ابن أخيه، وهو ينطلق من بين يـدى أبى طالب نبيّاً رسولاً، مبشّـراً نـذيراً، ويدا أبى طالب تبارك له عمله وكدحه وجهاده، ويقف سدّاً منيعاً ضد من يريد الكيد به قريباً كان أو بعيداً، لم أعثر على شىء يؤيّـد قولهم هـذا، ويقف دليلاًـ على مـا زعموه، إلاّـ أنى خطر ببـالى شـىء، قـد يكون هو لاـ غير وقلت فى نفسـى: لو كان أبوطالب أبا أحد من رجالهم غير علىٍّ (ع) لما تجرأوا واتهموه بهذا، ولوصفوه بأجمل خصائص الإيمان، وهو فعلًا ما حصل لأبى سفيـان وأمثـاله، ولملئت كتبهم وحنـاجرهم مـدحاً له واطراءاً وثناءاً عليه، ولكن الرجل كان ضـحيّه بغضـهم لابنه علىٍّ (ع) وكان جزءاً من تلك المؤامره، ومن ذلك النزاع، الـذى نشب فى صـفوف الأُمّه المسـلمه بعد رحله رسول الله (ص) إلى الرفيق الأعلى، ثمّ تعاظم حتى اكتمل بمؤامره الشـتم والتسقيط، التى أسّسها وقادها الحكم الأُموى فى الشام، وسخّروا لها كلّ ما من شأنه تزييف الحقائق وتضـليل الناس، من مال وسـلاح وترغيب وتهديد، لتنال من المقام الشامخ للإمام على (ع) حتى كاد أن يكون، بل صار فعلًا الهدف

۱- أُنظر شرح نهج البلاغه ۳: ۳۱۷.

الأوّل والرئيسى لحكمهم.

إنّه صراع بين إسلام رسالى انتهجه علىّ (ع) وبنوه وأتباعه، ونهج آخر سار عليه الأمويّون يقدمهم معاويه بن أبى سفيان.

نعم أكملوها بالطعن بأبيه، والغريب أنّ رسائل معاويه إلى على (ع) خلت من هذا الطعن، بل وحتى أحاديثه، ولو وسعه كما يقول عبدالفتاح عبدالمقصود لفعل، فأفحش فى القول، وأوفى الكيل، ثمّ لجاء من لدنه بكلّ ما يخسر ميزان الإمام.

ثمّ يتساءل قائلًا:

فلماذا لم يفعل؟

لا عن ولاء للقربى أحجم...

ولا ـ عن تعفف وتورّع، رعايه لنواميس الأخلاق ; فمثله ما كان ليأخذ نفسه بالتفريط فى ذره هباء تمتلكها يمينه، إن هو علم أنّ الناس سيحسبونها قطره حقيقه فى خضم من الأكاذيب!

... فأما وقد كفّ ادعاءه، وابتلع خيلاءه، فذلك لأنّه لم يكن يملك فى إيمان أبى طالب أثاره شبهه، أو دليل ينفذ من خلالها إلى نقض هذا الإيمان، سواء أكانت هذه الأثاره رأى شانئ معاصر عايش شيخ بنى عبد مناف، أم روايه راويه لاحق آثر الانحراف!

وراح عبدالفتاح يتحدّث بقوله: ولمن يشاء أن يحاج فى هذا الذى نراه، فليأتنا من رسائل ابن أبى سفيان إلى الإمام، أو فى أحاديثه التى ملأ ـ بها آذان مناصريه، بكلمه تشير، من قريب أو من بعيد، إلى ما يخدش إيمان أبى طالب، وينال من صدق إسلامه. (١)

أقول: وهذا إن دلّ على شىء فإنّما يدل على أنّ إيمان أبى طالب فى العصر الأوّل لا يمكن أن يرتاب به أحد، أو أن يسمع من أحد الطعن فيه، أو التشكيك أبداً، فهو أمر واضح بيّن كرائعه النهار، لهذا لم يتجاسر معاويه على الإقدام على مثل هذا الطعن، الذى سينقلب عليه، و رغم أنّه كان يتشبث بكلّ وسيله للنيل من على (ع) والطعن فيه، رغم

١- مقدمه عبد الفتاح لكتاب: إيمان أبى طالب، لشمس الدين بن معد الموسوى (ت۶۳۰ه)۲۲ ۲۳.

رسائل الإمام إليه، التى لم يستطع معاويه الردّ عليها، ولو كان مرتاباً فى ايمان أبى طالب لكان موضع ردِّه على الإمام.

يقول الإمام على (ع) فى ردّه على إحدى رسائل معاويه، التى يقول فيها: «ونحن بنو عبد مناف، ليس لبعضنا على بعض فضل، إلاّ فضل يستدل به عزيز، ولا يُسترق حر... وقد أقذع الإمام له فى الردّ:

« كنّا ونحن وأنتم، على ما ذكرت من الإلفه والجماعه، ففرق بيننا وبينكم أمس أنا آمنا وكفرتم، واليوم أنا استقمنا وفتنتم...

وإنّك والله لأغلق القلب!... وقريب ما أشبهت من أعمام وأخوال، حملتهم الشقاوه، وتمنى الباطل على الجحود بمحمّد (ص) فصرعوا مصارعهم حيث علمت...».

ثمّ واصل الإمام (ع) قوله:

«منّا النبى (ص) ومنكم المكذّب، ومنّا أسدالله ومنكم أسد الأحلاف، ومنّا سيّد شباب أهل الجنه، ومنكم صبيه النار، ومنّا خير نساء العالمين، ومنكم حماله الحطب...

وأمّا قولك: إنّا بنو عبد مناف، فكذلك نحن...

... ولكن ليس أُميّه لهاشم، ولا حرب كعبد المطلب، ولا أبو سفيان كأبى طالب، ولا المهاجر كالطليق، ولا الصريح كاللصيق، ولا المحقّ كالمبطل، ولا المؤمن كالمدغل، وبئس الخلف خلف ينبع سلفاً هوى فى نار جهنم!..»

وهنا يقول عبدالفتاح معلقاً: إنّها مفاضله تغنى عن كلّ تعليق؛ فإن كان لابدّ مع هذا من إيضاح، فمن هو هذا الخلف، سوى معاويه المقصود بالخطاب...

ومن السلف، أقرب السلف، غير أبى سفيان؟! وهل من سبب لتفضيل أبى طالب على معاصره أبى سفيان وحديث الإمام هنا يشير إلى الهوىّ فى النار سوى سبب يدرأ من شر جهنم عن الفاضل ما لا يدرأ عن المفضول؟!(١)

١- مقدمه عبد الفتاح لكتاب: إيمان أبى طالب، لشمس الدين بن معد الموسوى (ت ٦٣٠ه)٢٢ ٢٣.

وأقول: صحیح أنّه لم یخض شخصیاً فیما خاض به الذین عاصروه أو الذین جاؤوا من بعده، إلاّ أنّهم خریجو مدرسته وهم من مرتزقته ومریدیه وأتباعه، فراحت ألسنتهم وأقلامهم تکید کیدهم. ومن کیدها هذا اتهام أبی طالب بهذه التهمه الظالمه.

إنَّ هذا لشی عجاب

کیف یموت کافراً کما زعم الزاعمون وهو یسمع ابن أخیه، الذی فداه بنفسه وماله وجاهه وأولاده... وعلی مساحه زمنیه استغرقت عشر سنوات یردّد «یا أیها الناس، إنّی رسول الله إلیکم، لتعبدوه، ولا تشرکوا به شیئاً» «إنّ هذه الأصنام لغو باطل، لا تملک لکم ضراً ولا نفعاً»، وهو المعروف بحکمته وحلمه... فکیف یفرط بنفسه وعاقبته؟!

قرآن ینزل، آیات تتلی، کلمات رسول الله (ص) تتردّد هنا وهناک، صنوف من التعذیب یصبّه مشرکو قریش علی المؤمنین، تهدید ووعید، محاصره،... أکلّ هذه الأُمور لم تجد فی قلب أبی طالب لمسه خیر، ومنعطفاً لإیمانه..؟! إنَّ هذا لشیء عجاب! فأبوطالب صاحب هذه الحیاه المضیئه کیف یسوّغ لنفسه أن یموت غیر مؤمن بما سمعه من رسول الله (ص) ولم تکن علی قلبه غشاوه، ولطفُ الله لا شک قریب من هؤلاء الذین یملکون قلباً کقلب أبی طالب، وشهامه کشهامه أبی طالب، وحلماً کحلم أبی طالب، قطعاً تدرکه رحمه السماء وقد سارع إلی اعتناق الرساله من هو أدنی منه رتبهً، وأقلّ منه صفاءاً وعطاءاً؟!

فهکذا إنسان هذه حیاته بدءاً وخاتمهً، لا یستسیغ المنطق الرشید، ولا العقل السدید أن یُتهم بتهمه العزوف عن الله ورسالته، لیعیش کافراً ویموت کافراً، وهو صاحب الضمیر الحی، والقلب النابض عاطفهً وحبّاً وحناناً...

إنّ من یقرأ حیاه هذا الرجل، یخرج بنتیجه عظیمه وحصیله کبیره، لا یجد لها مثیلاً فی حیاه أقرانه ومعاصریه، بل لا یجدها حتی عند من جاؤوا بعده، أللّهمّ إلاّ عند النخبه التی اصطفاها الله وحباها برعایته واختیاره، وارتضاه قدوه صالحه للمؤمنین، وهذه قلّه قلیله تمثّلت بأهل بیت العصمه والطهاره، وعلیٌّ (ع) سیّدهم.

النتيجه تلك والحصيله أنّ أباطالب مات مسلماً مضحياً مجاهداً، لم يُراوده شك أبداً فى أحقيه رسول الله (ص) وما هو عليه من مبادئ السماء، دلّنى على من هو أكثر تضحيةً وتحملاً وصبراً وحكمةً وجهاداً من أبى طالب، وهو يعيش الأيام الأُولى والسنين الأول للتأسيس، والتأسيس من أخطر وأدق مراحل الدعوه الإسلاميه، خاصةً وهى تعيش فى تلك الظروف، وذلك المجتمع الذى كان التعامل معه مريراً وقاسياً بما يمتلكه من طبقيّه، وعادات، وتقاليد، وموروثات، تجذّرت فى ترابه، وفى نفوس أبنائه، فكيف يمكن انتشالهم من هذا الواقع المرير؟!

إذ يتنازعون بينهم أمرهم

لقد تنازعوا أمرهم فيه، وهكذا هو شأن العظماء، فاختلفت آراؤهم، وتشتت كلماتهم، وتفرقت أقلامهم فى الكتابه عنه.

فمنهم: من قال: إنّ أبا طالب مات كافراً; ومنهم من قال: إنّ أباطالب مات مؤمناً.

فيما توقّف فريق ثالث فى أمره وتحيّر، كيف يقول بكفره، وكلّ ما قدّمه يدلُ على إيمانه؟! وكيف يقول بإيمانه ولم يسمعه يردّد الشهادتين...؟! إلاّ ـ أنّهم جميعاً قد اتفقوا على أمر ثالث لا ـ يراودهم الشكّ فيه ألا وهو: أنّ أبا طالب لم يبخل بجاه و لامال ولا موقف ولا أى شىء إلاّ وسخّره لخدمه الرساله ورسولها الكريم، بل يكاد إجماعهم هذا يؤكد أن لا أحد خدم الإسلام كما خدمه أبوطالب، طيله عشر سنوات من الدعوه فى مكّه قضاها، عبر مواقف تتسم تارةً باللين، وأُخرى بالشدّه، وثالثه بالدعوه إلى الإسلام من خلال تسخيره جميع مواقفه، وما يمتلكه من وسائل، ومنها وسيله إعلاميه لا ينكر أحد تأثيرها: كلماته البليغه وقصائده الشعريه الكثيره، فقد كان الرجل مجيداً للشعر، مكثراً منه، فسخّره فى الدعوه إلى الله ورسوله، حتى كلّفته هذه المواقف التضحيه بما يمتلكه من شبكه اجتماعيه وعلاقات كثيره، فَقَدَ على أثرها طاعه قريش، حتى تجرّأت على محاصرته والتضييق عليه.

وإنّ من اللافت المؤسف والمؤلم أنّ أباطالب مع كلّ مواقفه وكدحه المتواصل فى إرساء

دعائم الإسلام وتثبيت أركانه، يموت كافراً كما يزعم الزاعمون وأباسفيان الذى كان من الطلقاء، ولم يقدّم شيئاً يذكر فى مسيره الرساله السماويه هذه، بل هو الذى عاش قبل نطقه الشهادتين وبعدهما زعيماً للتآمر على الإسلام ورسوله، ورجل الكيد والغدر، يموت مؤمناً!!

لقد تعرّض أبوطالب إلى مؤامره قذره رسمتها أياد عرفت بالعداء للرسول (ص) ورسالته، وبغضها لهذه العائله الكريمه، فراحت تبذل قصارى جهودها وما تملكه من مال كثير وقدرات وخبره، فى سبيل تقويض أى مجهود لرموز هذه الأُسره الكريمه، فسخّرت أعلامها، ورجالها، والطامعين، والوضاعين، لتحقيق غاياتها ومصالحها؛ فلم ينجو حتى شعر أبى طالب من الاتهام بالوضع والاختلاق، لما رأوا فيه من القوّه، والدعوه المخلصه إلى الإسلام، وغفل هؤلاء عن أنّ خصائص أبى طالب لو بقى منهاجزء يسير، فإنّه كاف فى التدليل على عقيدته التوحيديه وإيمانه الخالص.

وإن تعجب فعجب قولهم

لا أظنّ أنّ هناك حاجه إلى ذكر أدلّه القائلين بكفر أبى طالب، فحياته رضوان الله

عليه دليل غنى على إيمانه، وما قدّمناه هو غيض من فيض، وإذا ركنا إلى أدلّتهم فكأنّنا عدلنا من اليقين إلى الشك ومن العلم إلى الظن؛ ولكنّنا مع هذا نكتفى هنا بدليل واحد من أدلّه القوم وبشكل مختصر، خوف الإطاله، ولمن أراد المزيد فعليه بما كتب عنه، وهو

كثير جدّاً.

روى ابن سعد فى طبقاته بإسناده إلى على بن أبى طالب (ع) قال: «أخبرت رسول الله (ص) بموت أبى طالب، فبكى، ثمّ قال: اذهب فغسّله وكفّنه وواره، غفر الله له».(۱)

قال (ع): «ففعلت ما قال، وجعل الرسول (ص) يستغفر له أياماً، ولا يخرج من بيته، حتى نزل عليه جبريل بهذه الآيه: (ما كانَ لِلنَّبِيِّ وَ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَ لَوْ كانُوا

۱- طبقات ابن سعد ۱: ۱۲۳.

أُولِی قُرْبی...). (۱)

فقـد ذهب جمع من المفسّـِرين اسـتناداً إلی هـذه الروايه إلی أنّ هـذه الآيه المذكوره نزلت فی اسـتغفار النبیّ الله (ص) لعمّه أبی طالب، واستغفار بعض الصحابه لأبويه المشركين. (۲)

أين تقف روايه ابن سعد؟!

بعـد أن نقـل هـذه الروايه فی الجزء الأوّل من طبقاته، اُنظر ما قاله فی الصـفحه ۱۲۵ منهـا: «توفی أبوطـالب للنصف من شوّال فی السنه العاشره من حين نُبِّئ رسول الله».

إذن

فأبوطالب توفی فی السنه العاشره للبعثه النبويه.

هاجر النبیّ الله (ص) فی السنه الثالثه عشره للبعثه، أی بعد وفاه أبی طالب بثلاث سنوات.

سوره التوبه نزلت فی المدينه، فهی مدنيه كلّها باستثناء الآيتين الأخيرتين منها.

اُنظر ما يقوله عنها المفسّرون ومنهم:

ابن كثير: هذه السوره من أواخر ما نزل علی رسول الله (ص) كما روی البخاری عن البراء يقول: آخر آيه نزلت: (يَسْـتَفْتُونَکَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِی الْكَلالَهِ) وآخر سوره نزلت براءه. (۳)

الرازی فی تفسيره: فی عنوان السوره: سوره التوبه مدنيه إلّا الآيتين الأخيرتين فمكيّتان. (۴)

الآلوسی فی تفسيره: سوره التوبه مدنيه. (۵)

۱- سوره التوبه: الآيه ۱۱۳.

۲- اُنظر جلال الدين السيوطی فی تفسيره وغيره.

۳- التفسير الكبير، للفخر الرازی ۸: ۲۱۵.

۴- التفسير الكبير، للفخر الرازی ۸: ۲۱۵.

۵- روح المعانی، للآلوسی ۵: ۴۰.

الطبرسی فی تفسیره: سوره التوبه مدنیه کلّها، وقال بعضهم: غیر آیتین: (لَقَدْ جاءَکُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِکُمْ...) إلی آخر السوره، نزلت سنه تسع من الهجره،... وقال قتاده ومجاهد: وهی آخر ما نزلت علی النبی (ص) بالمدینه.

نکتفی بهذا القدر من المفسّرین، لنقول: إنّ الفتره الزمنیه بین وفاه عمّ النبیّ الله (ص) «أبوطالب» ونزول هذه الآیه کانت اثنی عشر عاماً، فأین تقف روایه ابن سعد، التی عمل بها کثیر من المفسّرین بلا تثبت ولا تحقیق، لأسباب لا أظنّها تخفی علی القارئ اللبیب؟!

و ختاماً

ماذا ترانی أقول فیک یا أباطالب، وما إن فتحت ملفّک التأریخی حتی انبهرت بکثره ما فیه من مواقف عظیمه ومناقب جلیله... فألّفت فیک کتب کثیره تجاوزت أکثر من مئه کتاب، بین مطبوع ومخطوط باللغه العربیه، فضلاً عن اللغات الاُخری...، إضافهً إلی المقالات والأشعار، التی قیلت بحقّک.

وهذه مجموعه ممّا تیسّر:

الکتب العربیه المطبوعه :

۱) أبوطالب بطل الإسلام، لحیدر محمّد سعید عرفی.

۲) أبوطالب بن عبدالمطلب والد أمیرالمؤمنین۷، لحسین جواد الکدیمی.

۳) أبوطالب حامی الرسول وناصره، للعلّامه المیرزا نجم الدین جعفر عسکری طهرانی.

۴) أبوطالب عم الرسول (ص) ، للمحامی محمّد کامل حسن.

۵) أبوطالب عم النبی (ص) ، لعبد العزیز سیّد الأهل.

۶) أبوطالب عملاق الإسلام الخالد، للشیخ محمّد علی أسبر.

۷) أبوطالب کفیل الرسول (ص) ، لسعید عسیلی.

۸) أبوطالب کفیل الرسول (ص) ، لجمع من الکتّاب.

۹) أبوطالب مؤمن قريش، لعبد الله الخنيزی.

۱۰) أبوطالب المسلم، لأحمد مغنيه.

۱۱) أبوطالب مع الرسول (ص)، لأحمد مغنيه.

۱۲) أبوطالب وبنوه، للسيّد محمّد علی آل سيّد علی خان الحسينی.

۱۳) إسلام أبی طالب، للسيّد مهدی مكّی.

۱۴) إسلام أبی طالب، لوجيه بيضون.

۱۵) إسلام أبی طالب من خلال الآيات والأحاديث والأشعار والوقائع التأريخيه، للبيب بيضون.

۱۶) أسنی المطالب فی إيمان أبی طالب، للشيخ كاظم حلفی.

۱۷) أسنی المطالب فی شرح خطبه أبی طالب، لعبد الكريم حبيب.

۱۸) أسنی المطالب فی نجاه أبی طالب، للسيّد أحمد بن زينی دحلان.

۱۹) إيمان أبی طالب، للشيخ المفيد.

۲۰) إيمان أبی طالب وموقف الشيخ المفيد منه، للدكتور محمّد ابراهيم خليفه الشوشتری.

۲۱) إيمان أبی طالب، لشمس الدين أبی علی فخار بن معد الموسوی.

۲۲) الرسول والرساله فی شعر أبی طالب، لمعوض عوض ابراهيم.

۲۳) زهره الأدباء فی شرح لاميه شيخ البطحاء.

۲۴) الروض النزيه فی الأحاديث التی رواها أبو طالب عن ابن أخيه۹، لابن طولون الدمشقی.

۲۵) السهم الصائب بكبد من آذی أبا طالب، لأبی الهدی الصيادی.

۲۶) سيّد البطحاء، للشيخ محمود البغدادی.

۲۷) شعر أبی طالب بن عبدالمطلب وأخباره، لعبدالله بن أحمد بن حرب العبدی.

٢٨) شيخ الأبطح أبوطالب، للسيّد محمّد على ابن السيّد عبد الحسين شرف الدين.

۲۹) شیخ بنی هاشم أبوطالب، لعبد العزیز سیّد الأهل.

۳۰) طلبه الطالب فی شرح لامیه أبی طالب، لعلی فهمی.

۳۱) عقیده أبی طالب، للسیّد طالب الرفاعی.

۳۲) غایه الطالب من شرح دیوان أبی طالب، للشیخ محمّد خطیب المصری.

۳۳) القصیده الغرّاء فی إیمان أبی طالب شیخ البطحاء، للسیّد أحمد خیری پاشا.

۳۴) منیه الراغب فی إیمان أبی طالب، للشیخ محمّد رضا الطبسی النجفی.

۳۵) منیه الطالب فی مستدرک دیوان سیّد الأباطح أبی طالب، لمحمّد باقر المحمودی.

۳۶) مواهب الواهب فی فضائل أبی طالب، للشیخ جعفر النقدی.

۳۷) بنوه أبی طالب عبد مناف، لمزمل حسین الغدیری المیثمی.

ومن الکتب العربیه المخطوطه :

۱) أبو طالب کافل النبیّ وناصره، للسیّد أحمد خیری پاشا.

۲) اتحاف الطالب بنجاه أبی طالب، لمحمّد بن عبد السلام جنّون.

۳) إثبات إسلام أبی طالب، لمحمّد معین بن محمّد أمین السندی.

۴) إثبات إسلام أبی طالب، لعبد الرحمن بن أحمد الخزاعی النیشابوری.

۵) أخبار أبی طالب وعبد المطلب، للشیخ الصدوق.

۶) أخبار أبی طالب وولده، لأبی الحسن المدائنی.

۷) إسلام أبی طالب، للسیّد حسن بن ابراهیم شبر الحسینی.

۸) إیمان أبی طالب، لأحمد بن القاسم.

۹) إیمان أبی طالب، لأبی الحسین أحمد بن محمّد الکندی الجرجرائی.

١٠) إيمان أبی طالب، لأبی علی الكوفی.

١١) إيمان أبی طالب، للسيّد أحمد بن موسی بن طاووس.

١٢) إيمان أبی طالب، لأبی محمّد الدیباجی.

۱۳) إیمان أبی طالب، للسیّد ظفر حسن بن دلشاد النقوی.

۱۴) إیمان أبی طالب، لأبی نعیم علی بن حمزه التمیمی البصری.

۱۵) إیمان أبی طالب، للقاضی نعمان بن محمّد المصری.

۱۶) إیمان أبی طالب، للعلّامه میرزا محسن قره داغی التبریزی.

۱۷) بحث فی إسلام أبی طالب، مجهول المؤلف.

۱۸) بغیه الطالب فی إسلام أبی طالب، للسیّد میر محمّد عباس الشوشتری.

۱۹) بغیه الطالب فی بیان أحوال أبی طالب، للسیّد محمّد بن حیدر الموسوی العاملی.

۲۰) بغیه الطالب لإیمان أبی طالب، لجلال الدین السیوطی.

۲۱) بغیه الطالب لإیمان أبی طالب، لمحمّد بن عبد الرسول البرزنجی الشافعی.

۲۲) بلوغ المآرب فی نجاه آبائه۷ وعمّه أبی طالب، للشیخ سلمان أزهری لاذقی.

۲۳) البیان عن خیره الرحمن، للشیخ علی بن بلال المصلّبی.

۲۴) حاشیه علی حجه الذاهب إلی إیمان أبی طالب، للشیخ شیر محمّد الهمدانی.

۲۵) دیوان أبو طالب وشرح لامیته، للشیخ حیدر قلی سردار کابلی.

۲۶) رتبه أبی طالب وقریش، لأبی الحسن النسابه.

۲۷) رساله فی إسلام أبی طالب، للسیّد میرزا أبی القاسم أمین الدین الموسوی الزنجانی.

۲۸) رساله فی صحه إیمان أبی طالب، مجهول المؤلف.

۲۹) الرغائب فی إیمان أبی طالب، للسیّد مهدی الغریفی البحرانی.

۳۰) شرح حدیث إسلام أبی طالب بحساب الجمل، لملّا علی بن میرزا خلیل المازندرانی.

۳۱) الشهاب الثاقب لرجم مكفّر أبی طالب، لمیرزا نجم الدین جعفر بن میرزا محمّد عسکری الطهرانی.

۳۲) صفات أبی طالب عبد مناف، لمزمّل حسین الغدیری المیثمی.

۳۳) فصاحه أبی طالب، للشریف حسن بن علی بن حسن بن عمر بن علی بن الحسین بن علی بن أبی طالب (ع).

۳۴) فضل أبی طالب وعبد المطلب وأبی النبیّ الله (ص)، لأبی القاسم سعد بن عبدالله بن أبی خلف الأشعری القمی.

۳۵) فیض الواهب فی نجاه أبی طالب، للشیخ أحمد فیضی بن حاج علی عارف جورومی.

۳۶) القول الواجب فی إیمان أبی طالب، للشیخ محمّد علی بن میرزا جعفر الهندی.

۳۷) کافل الیتیم أبو طالب، للعلاّمه میرزا نجم الدین جعفر العسکری الطهرانی.

۳۸) ما قیل فی أبی طالب، للسیّد علی بن الحسین الهاشمی الخطیب.

۳۹) منی الطالب فی إیمان أبی طالب، للشیخ مفید النیشابوری.

۴۰) منیه الطالب فی حیاه أبی طالب، للسیّد حسن بن علی القپانچی النجفی.

۴۱) نجاه أبی طالب، للشیخ کاظم آل نوح النجفی.

۴۲) نسب أبی طالب، لهشام بن محمّد بن سائب بن بشیر الکلبی.

۴۳) نصّ أبی طالب علی النبی (ص)، لبعض الکتّاب الإسماعیلیه.

۴۴) واقع أبی طالب المؤمن، للسیّد عبد الکریم آل سیّد علی خان.

۴۵) الیاقوته الحمراء فی إیمان سیّد البطحاء، للسیّد طالب آل سیّد علی خان.

إضافه إلی عشرات الکُتب المطبوعه والمخطوطه والمقالات وبلغات شتّی.

لقد تنازعوا أمرهم فیک، وبعد أن یَئسوا من أن یجدوا شیئاً یلوذون به للطعن فیک بغضاً وحسداً، لجأوا إلی کتمان إیمانک، الذی ما کان إلاّ لمصالح کثیره للرساله والرسول، فعثروا علی ضالّتهم، کما یظنّون أنّ أبا طالب ماتَ کافراً، فأنساهم شیطانهم أو أنّهم تناسوا وتغافلوا عمّا قدّمت یداک المبارکتان من خیر عمیم، ودعم کریم، ودفاع عظیم، وتضحیه لا نظیر لها عن الرساله والرسول، ومن تبعه من المؤمنین والصالحین، حتی ورد فی الخبر الذی ذکره ابن أبی الحدید: «أنّه لما توّفی أبوطالب، أوحی الله إلی رسوله۹ أن

أخرج فقد مات ناصرك».

أكلّ هذا العطاء وطيله عشر سنوات يأتی من كافر؟! أیّ عاقل يصدق دعواهم هذه ومزاعمهم تلك؟! إنّه عطاء لا يمكن أن يأتی إلّا ممن آمن برساله السماء!

 ونختم حديثنا بما قاله عبدالفتاح عبدالمقصود:

ثمّ ما حاجتنا إلی الإكثار من التدليل علی إيمان رأس الطالبيين، ولا حاجه ثمه إلی تدليل؟

ثمّ يواصل قوله:

إنّ المنقول عن إيمانه، الذی توالی الجدال فيه أعصراً طويله، وما زال إلی اليوم موضوع نقاش جار، لأحری بأن يغنی عن المعقول، وإنّ المعقول الذی يوافق المنطق السوی، ولا ينافی واقع الحال، ليضاهی هذا المنقول... فإذا خطر لامرئ أن يعدل عن منقولات الأحاديث والأقوال الشاهده بإيمانه، والوارده علی ألسنه الثقات البرره من آل البيت وشيعتهم نقلاً عن الرسول (ص) إلی الوقائع والأحداث، التی تصوّر مواقف عمّ النبی وأبی الوصی، وترسم ألوان سلوكه، إذن لوجد من أفعال الرجل الجليل ما هو ترجمان صدق عملی لتلك الأقوال...

ثمّ يقول:

أمّا ما أثر عنه من شعر... دالاً علی إيمانه، ومؤيداً ابن أخيه، وداعياً لدينه، فإنّه أدنی إلی قرينه منه إلی برهان قاطع، لأنّنا قد لا نعدم أن نجد من بعض النقّاد من يری فيه مجّرد تصوير جمالی... أو من يدّعی انتسابه إلی غير صاحبه، أو وقوعه فی مظنه التحريف والتغيير والإضافه، استناداً إلی مقاييس إن هی اعتبرت قرينه فإنّها لا تسلم من التبانی، وربّما التضارب، نتيجه لاختلاف الأذواق، وكثيراً ما اتّهم شعراء فی قصائد لهم بأنّها منحوله، أو لا ترقی إلی مستواهم، أو لاتوافق سمات عصرهم الشعريه...

ويتنازل عن هذا الدليل فيقول: ودع الشعر فإنّه فی قضيتنا نافله... وكفانا أن نلقی نظره عابره إلی فضائل الشيخ التی تناقلتها الألسن ونفذت إلينا علی الرغم من القهر

السياسى كأنّما من سم الخياط!

فليس منّا من لا يعلم أنّ «السياسه» طوال عهود الإسلام وعلى تعدّد دوله، قد افترست، أو كادت، كلّ كلمه إنصاف قيلت فى حقّ آل البيت النبوىّ الكريم.

لذلك بحسبنا فى «المقولات» كمثال أن بلغنا، عبد مؤخر القهر والنكال، التى ضربت حول شيعه الرسول، كلمه صفى محمّد ووصيه، التى تقول:

«ما مات أبوطالب حتى أعطى رسول الله من نفسه الرضا».

وتلك شهاده من لا يكتم الشهاده، ولا يلبسها ببهتان...

هذا ما ورد على ألسنه الشيعه وأئمتهم نقلًا عن علىّ (ع) فإذا كان لابدّ من الوجه الآخر للعمله! فلنصغ إلى حديث أبى بكر، أوّل الخلفاء، إذ جاء بأبيه: أبى قحافه يقوده، وقد أسن وعمى، ليسلم بين يدى رسول الله (ص) فقال الرسول: ألا تركت الشيخ حتى نأتيه؟!

قال أبوبكر: أردت يا رسول الله أن يأجرنى الله؛ ثمّ أضاف: أما والذى بعثك بالحقّ، لأنا كنت أشد فرحاً بإسلام عمّك أبى طالب منى بإسلام أبى.

ثمّ يختم حديثه بقوله: ثمّ بحسبنا فى المعقولات كمثال أيضاً أنّ أباطالب، بكلّ المعايير، قد نصر الإسلام ونبيّه، كما لم يكن مثله نصير فى العالمين...

فإذا رأى راءٍ تحرّى مواقف الشيخ فداءاً وحمايةً وتعزيزاً تجاه الإسلام ورسول الله، فالمصادر تجلّ عن الحصر، والصحف المنيره فيها كثيره...

ثمّ راح يتساءل: أم ماذا يقال فى رجل يقف وحده فى وجه الشرك وقومه أجمعين، ليدرأ عن ابن أخيه مبعوث الله أن يناله طاغيه منهم بمكروه؟

ما الرأى فيه إذ يحث آله على مسانده محمّد وشدّ أزره، واتباع دينه، ويدفع بولديه: علىّ وجعفر ليكونا جناحيه، اللذين يحلق بهما فى سماء الدعوه؟

بأى معيار نعاير حرصه على سلامه رسول الله (ص) إبان محنه الشِّعب، إذ يغمى على الناس مرقده، ليله بعد ليله، فينأبه عنه، ويأمر ولده علياً فيبيت فيه، ليكون هو المقتول لو

سعی عدوّ إلی اغتیال الرسول؟.(۱)

وأخیراً لا یسعنا إلاّ أن نقول لهم ما قاله یعقوب لبنیه:

(بَلْ سَوَّلَتْ لَکُمْ أَنْفُسُکُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِیلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعانُ عَلی ما تَصِفُونَ). (۲)

۱- روح المعانی، للآلوسی ۵: ۴۰.

۲- سوره یوسف: الآیه ۱۸.

(۱۵) سعد بن معاذ

اشاره

حسن الحاج

حظيت نخبهٌ صالحهٌ من الصحابه، من المهاجرين والأنصار، بمنزله عظيمه

عند الله سبحانه وتعالى، وما دام حديثنا عن صحابى جليل وسيّد من الأنصار،

نكتفى بآيتين كريمتين تبيّنان منزلتهم وعظيم شأنهم، ودورهم البارز فى خدمه رساله السماء ونصره رسولها۹ فهم الذين آووا وهم الذين نصروا، كما تصرّحان بأجرهم الذى ينتظرهم.

(وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهاجَرُوا وَجاهَدُوا فِی سَبِیلِ اللَّهِ وَالَّذِینَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولئِکَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَهٌ وَرِزْقٌ کَرِیمٌ). (۱)

(وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهاجِرِینَ وَالْأَنْصارِ وَالَّذِینَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسانٍ رَضِیَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِی تَحْتَهَا الْأَنْهارُ خالِدِینَ فِیها أَبَداً ذلِکَ الْفَوْزُ الْعَظِیمُ). (۲)

۱- الأنفال: ۷۴.

۲- التوبه: ۱۰۰.

وحظيت (هذه النخبه الصالحه) أيضاً بنصيب وافر من كرم رسول الله (ص) ورعايته وهديه وإرشاده ورضاه، فراحت تستوعب كلّ ما تقدّمه يداه المباركتان من خير عميم وعطاء جسيم، تستوعبه برغبه صادقه، وتتمثّله أسلوب عمل ومنهج حياه، وهدفاً عالياً تسعى إليه، وبذلت من أجله كلّ غال ونفيس، لا تأخذها فى ذلك لومه لائم، ولا طغيان طاغ، ولا عناد متكبر ظالم، ولا تحدّ طموحها، هذا رغبهٌ زائله ومتاع دنيوى فان، فظلّت مواقفها تتّسم بالشجاعه والثبات؛ فلم تنقلب،(۱)

ولم تبدّل،(۲)

ولم تغيّر، فكانت الاستقامه،(۳)

حليفها المنشود، وهدفها السامى، بل ومشروع حياتها بكلّ تفاصيلها راحت تسعى إليه، فنالت بذلك أجرها فى الآخره، وغدت فى الدُّنيا اُمّهً رساليّه حملت أعباء عظيمه، وتجاوزت مخاطر جسيمه، وخلّفت مبادئ وأهدافاً وأمجاداً وذكريات، راحت تتغنّى بها الأجيال المؤمنه المخلصه والمجاهده، وتقتدى بها.

والأنصار هؤلاء الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه والذين آووا ونصروا، والذين (يُحِبُّونَ مَنْ هاجَرَ إِلَيْهِمْ)، والذين قال فيهم رسول الله (ص): «لولا الهجره لكنتُ امرءاً من الأنصار» ؛ كان سعد بن معاذ واحداً منهم، بل كان أعظمهم مكانهً وأفضلهم مواقف، وكيف لا يكون كذلك، وقد شحذت همّته وملأت نفسه وروت قلبه قيم ومبادئ مدرسه صنعتها السماء، وراحت يدا رسول الله (ص) تطيّبها ببركاتها، وعيناه ترقبانها، ونفسه الطاهره تظلّلها، وقلبه يسقيها من مَعِيْنه، الذى لا يعرف النضوب.

إنّه سعد بن معاذ بن النعمان، بن امرئ القيس، بن عبد الأشهل، بن جُشم، بن الحارث، بن الخزرج، بن النَّبيت، بن مالك، بن الأوس الأنصارى الأشهلى، سيّد الأوس. (۴)

وأمّا اُمّه فهى كبشه بنت رافع، ولها صحبه. (۵)

۱- اُنظر آيه الانقلاب: (...انْقَلَبْتُمْ عَلى أَعْقابِكُمْ).
۲- اُنظر آيه التبديل: (...وَ ما بَدَّلُوا تَبْدِيلاً) الأحزاب: ۲۳.
۳- اُنظر آيه الاستقامه: (... فَاسْتَقِمْ كَما أُمِرْتَ).
۴- الإصابه ۳: ۷۲ ؛ والطبقات ۳: ۳ ؛ واُسد الغابه ترجمه رقم ۲۰۴۶ ؛ وتهذيب التهذيب.
۵- المصدر نفسه.

کان سعد هذا یحتلّ مکانهً مرموقه فی قومه الأوس، وکان من کبار أعیانهم بل کان سیّدهم وزعیمهم، ولهذا فقد استمتع بمنزلته الرفیعه، وسمعته الکریمه، بین ذویه وأهله، وکان لها الأثر الواضح فی دعوتهم إلی الإسلام؛ فیما حظی بدرجه عالیه من المودّه والمحبّه فی قلوب المسلمین، وخُصّ بمنزله کریمه عند رسول الله (ص) وکفی بهذا فخراً وعزّاً وکرامهً، فجعلته هذه المکانه عظیم القدر، جلیل الشأن، موضع مشوره رسول الله (ص) وترکت أثراً کبیراً فی مفاصل مسیرته وآرائه، ومواقفه الإیمانیه والجهادیه، شهد له بها عدد من المؤرّخین والمتابعین لحیاه الصحابه قدیماً وحدیثاً.

وقبل أن نتعرّض لبعض ما تیسّر لنا من حیاته المبارکه، نتحدّث عن قصّه إسلامه.

قصّه إسلامه (رجل أسلم فأسلم معه قومه)

الذی یبدو من خلال تتبع قصّه إسلام هذا الصحابی الجلیل، أنّ إسلامه تمَّ علی ید مصعب بن عمیر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار، بعد أن بعث رسول الله (ص) مصعباً هذا إلی جمع من الأنصار الذین بایعوه فی العقبه، وأمره أن یقرئهم القرآن، ویعلّمهم الإسلام وأحکامه.

نزل مصعب بالمدینه علی أسعد بن زراره، فجلسا فی دار بنی ظفر، واجتمع علیهما رجال ممّن أسلم، فسمع به سعد بن معاذ وأسید بن خضیر، وهما سیّدا بنی عبد الأشهل، وکلاهما مشرک، فقال سعد لأسید: انطلق إلی هذین اللذین أتیا دارنا فانههما، فإنّه لولا أسعد بن زراره وهو ابن خالتی کفیتک ذلک، فأخذ أسید حربته ثمّ أقبل علیهما، فقال: ما جاء بکما تسفهان ضعفاءنا، اعتزلا عنّا؟!

فقال مصعب: أوتجلس فتسمع، فإن رضیت أمراً قبلته، وإن کرهته کفّ عنک

ما تکره؟

فقال: أنصفت، ثمّ جلس إلیهما فکلّمه مصعب بالإسلام، فقال: ما أحسن هذا وأجلّه! کیف تصنعون إذا دخلتم فی هذا الدِّین؟!

قالا: تغتسل وتطهّر ثیابک، ثمّ تشهد شهاده الحقّ، ثمّ تصلّی رکعتین.

ففعل ذلک وأسلم، ثمّ قال لهما: إنّ ورائی رجلًا، إن تبعکما لم یتخلّف عنکما أحدٌ من قومه، وسأرسله إلیکما سعد بن معاذ، ثمّ انصرف إلی سعد وقومه، فلمّا نظر إلیه سعد قال: احلف بالله، لقد جاءکم بغیر الوجه الذی ذهب به من عندکم.

فقال له سعد: ما فعلت؟

قال: کلّمت الرجلین، والله ما رأیت بهما بأساً، وقد حدّثت أنّ بنی حارثه قد خرجوا إلی أسعد بن زراره لیقتلوه.

فقام سعد مغضباً مبادراً لخوفه ممّا ذکر له، ثمّ خرج إلیهما، فلمّا رآهما مطمئنّین عرف ما أراد أسید، فوقف علیهما، وقال لأسعد بن زراره: لولا ما بینی وبینک من القرابه ما رمت هذا منّی.

فقال له مصعب: أوتقعد فتسمع، فإن رضیت أمراً قبلته، وإن کرهته عزلنا عنک ما تکره؟!

فجلس، فعرض علیه مصعب الإسلام، وقرأ علیه القرآن، فقال لهما: کیف تصنعون إذا دخلتم فی هذا الدِّین؟

فقالا له ما قالا لأسید، فتطهّر وأسلم، ثمّ عاد إلی نادی قومه، ومعه أسید بن خضیر، فلمّا وقف علیهم قال:

یا بنی عبدالأشهل، کیف تعلمون أمری فیکم؟

قالوا: سیّدنا وأفضلنا.

قال: فإنّ کلام رجالکم ونسائکم علیَّ حرام، حتّی تؤمنوا بالله ورسوله.

قال الراوی: فوالله ما أمسی فی دار عبدالأشهل رجل ولا امرأه، إلّا مسلماً أو

مسلمه. (۱)

۱- اُنظر السیره النبویه بهامش السیره الحلبیه ۱: ۲۹۱ ؛ والکامل فی التاریخ ۱: ۶۱۱.

مناقب و صفات

عن عائشه أنّها قالت: کان فی بنی عبدالأشهل ثلاثه لم یکن أحد أفضل منهم: سعد بن معاذ، وأسید بن خضیر، وعبّاد بن بشر. (۱)

امتلک ابن معاذ مناقب عالیه، وخصائص جمیله، وصفات حسنه ; فقد کان یتحلّی بإیمان راسخ، جعله رزیناً فی أقواله، حکیماً فی أفعاله، متماسکاً فیما یطرحه من آراء... لهذا نراه من أشدّ أصحاب رسول الله (ص) علی أعداء الله، فهو لا یخاف فی الله لومه لائم، فقد بلّغ بقتل أمیّه وهو یمکث بین المشرکین، ولم یخشَ فی هذا أحداً منهم، وراح یبلّغ جهاراً عن رسول الله (ص) قبل فتح مکّه، وهو ما یزال بین ظهرانی مشرکی مکّه، دون خوف ولا وَجَل ولا تردّد.

فهذا البخاری یروی فی کتاب المغازی من صحیحه، عن ابن مسعود عن سعد ابن معاذ، أنّه قال: کان صدیقاً لاُمیّه بن خلف، وکان اُمیّه إذا مرّ بالمدینه، نزل علی سعد، وکان سعد إذا مرّ بمکّه نزل علی اُمیّه، فلمّا قدم رسول الله (ص) المدینه انطلق سعد معتمراً، فنزل علی اُمیّه بمکّه، فقال لاُمیّه: انظر لی ساعه خلوه لعلّی أن أطوف بالبیت، فزجّ به قریباً من نصف النهار، فلقیهما أبوجهل فقال: یا أبا صفوان من هذا الذی معک؟

فقال: هذا سعد.

فقال له أبوجهل: ألا أراک تطوف بمکّه آمناً وقد آویتم الصباه، وزعمتم أنّکم تنصرونهم وتعینونهم، أما والله لولا أنّک مع أبی صفوان ما رجعت إلی أهلک سالماً.

فقال له سعد، ورفع صوته علیه: أما والله لئن منعتنی هذا، لأمنعنّک ما هو أشدّ علیک منه، طریقک إلی المدینه.

فقال له اُمیّه: لا ترفع صوتک یا سعد علی أبی الحکم سیّد أهل الوادی.

فقال سعد: دعنا عنک یا اُمیّه، فوالله لقد سمعت رسول الله (ص) یقول: إنّهم قاتلوک.

۱- اُنظر الإصابه ۳: ۷۲ حرف السین.

قال: بمكّه؟

قال: لا أدرى.

ففزع لذلك أُميّه فزعاً شديداً، فلمّا رجع اُميّه إلى أهله قال: يا اُمّ صفوان، ألم ترى ما قال لى سعد؟

قالت: وما قال لک؟

قال: زعم أنّ محمّداً أخبرهم أنّهم قاتلى، فقلت له: بمكّه؟ قال: لا أدرى.

فقال اُميّه: والله لا أخرج من مكّه.

فلمّا كان يوم بدر استنفر أبوجهل الناس، قال: أدركوا عِيْرَكم. فكره اُميّه أن يخرج، فأتاه أبوجهل فقال: يا أبا صفوان، إنّک متى ما يراك الناس قد تخلّفت وأنت سيّد أهل الوادى، تخلّفوا معک، فلم يزل به أبوجهل حتّى قال: أمّا إذا غلبتنى، فوالله لأشترينّ أجود بعير مكّه، ثمّ قال أميه: يا اُمّ صفوان جهّزينى.

فقالت له: يا أبا صفوان، وقد نسيت ما قال لک أخوک اليثربىّ؟

قال: لا، ما أريد أن أجوز معهم إلاّ قريباً.

فلمّا خرج اُميّه، أخذ لا ينزل منزلاً إلاّ عقل بعيره، فلم يزل بذلک حتّى قتله الله عزّوجلّ ببدر. (۱)

وفى ليله، صعد ابن معاذ على جبل أبى قبيس، وكان برفقته سعد بن عباده سيّد الخزرج ومن أكابر أعيانهم، وراح ابن معاذ يخاطب المشركين الذين توجّهوا إليه يرونه ويسمعونه، فقد شدّهم إليه علوّ صوته وهو ينشد:

فإن يسلم السعدان يصبح محمد

بمكّه لا يخش خلاف المخالف

فظنّ مشركو مكّه أنّهما سعد بن زيد بن تميم وسعد بن هديم من قضاعه، فلمّا كانت الليله الثانيه سمعوا صوتاً على أبى قبيس:

أيا سعد سعد الأوس كن أنت ناصراً

ويا سعد سعد الخزرجين الغطارف

۱- اُنظر صحيح البخارى ۳: ۲.

أجيبا إلى داعى الهدى وتمنّيا

على الله فى الفردوس منيه عارف

فإنّ ثواب الله للطالب الهدى

جنانٌ من الفردوس ذات رفارف

فقالوا: هذان والله سعد بن معاذ وسعد بن عباده. (۱)

ومنقبه أُخرى تحلّى بها ابن معاذ، رواها الزهرى عن ابن المسيّب عن ابن عبّاس أنّه قال: قال سعد بن معاذ: ثلاث أنا فيهنّ رجل، يعنى كما ينبغى، وما سوى ذلك فأنا رجل من الناس:

ما سمعت من رسول الله (ص) حديثاً قَط إلاّ علمت أنّه حقّ من الله تعالى.

ولا كنت فى صلاه قطّ فشغلت نفسى بغيرها حتّى أقضيها.

ولا كنت فى جنازه قطّ فحدّثت نفسى بغير ما تقول ويقال لها حتّى أنصرف عنها.

قال ابن المسيب: فهذه الخصال ما كنت أحسبها إلاّ فى نبىّ. (۲)

سعد وحبّه لأهل البيت:

لقد كان هذا الرجل ذا حظٍّ وفير، وتوفيق عال، أن وفّقه الله تعالى فى حبّ أهل بيت النبوّه والرساله، الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً، وهو نصّ الآيه الكريمه: (إِنَّما يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً). (۳)

فقد كان ذا علاقه ملؤها الودّ والحبّ والاحترام للإمام على (ع) فكانت حقّاً منقبهً عظيمه تشرّف بها ابن معاذ رضوان الله عليه، ففى مرّه قال أصحاب رسول الله (ص): ما أعجب أمر هؤلاء الملائكه حمله العرش فى قوّتهم وعظم خَلْقهم، فقال رسول الله (ص): هؤلاء مع قوّتهم لا يطيقون حمل صحائف تكتب فيها حسنات رجل من أُمّتى؛ قال: ذلك الرجل، رجل كان قاعداً مع أصحاب له فمرّ به رجل من أهل بيتى مغطّى الرأس فلم يعرفه، فلمّا

۱- أُنظر الاستيعاب بهامش الإصابه ۲: ۳۷.

۲- تهذيب التهذيب ۳: ۴۱۸.

۳- الأحزاب: ۳۳.

جاوزه التفت خلفه فعرفه، فوثب إليه قائماً حافیاً حاسراً، وأخذ بیده فقبّلها، وقبّل رأسه وصدره وما بین عینیه، وقال: بأبی أنت وأُمّی یا شقیق رسول الله، لحمک لحمه، ودمک دمه، وعلمک من علمه، وحلمک من حلمه، وعقلک من عقله، أسأل الله أن یسعدنی بمحبّتکم أهل البیت.

فأوجب الله له بهذا الفعل وهذا القول من الثواب، ما لوکُتب تفصیله فی صحائفه لم یطق حملها جمیع هؤلاء الملائکه الطائفین بالعرش، والملائکه الحاملین له.

فقال له أصحابه لمّا رجع إلیهم: أنت فی جلالتک وموضعک من الإسلام ومحلّک عند رسول الله (ص) تفعل بهذا ما تری؟!

فقال لهم: أیّها الجاهلون وهل یُثاب فی الإسلام إلّا بحبّ محمّد وحبّ هذا؟!

فأوجب الله له بهذا القول مثل ما لو کان أوجب له بذلک الفعل والقول أیضاً.

فقال رسول الله (ص): «ولقد صدق فی مقاله، لأنّ رجلًا لو عمّره الله عزّوجلّ مثل عمر الدنیا مأه ألف مرّه، ورزقه مثل أموالها مأه ألف مرّه، فأنفق أمواله کلّها فی سبیل الله، وأفنی عمره صائم نهاره قائم لیله لا یفتر شیئاً منه ولا یسأم، ثمّ لقی الله تعالی منطویاً علی بغض محمّد أو بغض ذلک الرجل الذی قام إلیه هذا الرجل مکرماً إلّا أکبّه الله علی منخریه فی نار جهنّم، ولردّ الله عزّوجلّ أعماله علیه وأحبطها».

قال: فقالوا: ومَنْ هذان الرجلان یارسول الله؟!

قال رسول الله (ص): «أمّا الفاعل ما فعل بذلک المقبّل المغطّی رأسه فهو هذا فتبادر القوم إلیه ینظرونه فإذا هو سعد بن معاذ الأوسی الأنصاری وأمّا المقول له هذا القول فهذا الآخر المقبل المغطّی رأسه فنظروا فإذا هو علی بن أبی طالب... ثمّ قال رسول الله (ص): یا عباد الله إنّما یعرف الفضل أهل الفضل، ثمّ قال رسول الله (ص) لسعد: أبشر، فإنّ الله

یختم لک بالشهاده، ویهلک بک أُمّهً من الکفره، ویهتزّ عرش الرحمن لموتک، ویدخل بشفاعتک الجنّه».(۱)

۱- التفسیر المنسوب للإمام العسکری (ع) فی تفسیر أرکان العرش؛ سفینه البحار ۱: ۶۲۱.

ابن معاذ، موضع مشوره النبیّ (ص)

وممّـا تمتّع به رضوان الله علیه علوّ القـدره والکفـاءه والحکمه العالیه والخبره الواسـعه، وقـد جعلته هـذه الخصائص یحظی بمنزله رفیعه عند رسول الله (ص) وبموضع مشورته، وهو ما حدث فی بدر واُحد والخندق.

ففی وقعه بـدر الکبری، أقبـل رسول الله (ص) علی أصـحابه بعـد أن وصـلته أخبار قریش وقال: هـذه مکّه قـد ألقت إلیکم أفلاذ أکبادها...

ثمّ راح۹ یستشیر أصحابه، فقال أبوبکر فأحسن، ثمّ قال عمر فأحسن، ثمّ قال المقداد بن عمرو فقال کلمته المشهوره:

یـارسول الله امض ِلما أمرک الله، فنحن معک، والله لا نقول کما قالت بنو إسـرائیل لموسـی: (اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّکَ فَقاتِلا إِنَّا هاهُنا قاعِـدُونَ) ولکن اذهب أنت وربّک فقاتلا إنّا معکما مقاتلون، فوالذی بعثک بالحقّ، لو سـرت بنا إلی برک الغماد مدینه الحبشـه لجالدنا معک من دونه حتّی تبلغه.

فـدعا له بخیر، ثمّ قـال رسول الله (ص): أشـیروا علیَّ أیّهـا النـاس، وإنّمـا یریـد (أی رسول الله (ص)) الأنصار؛ لأنّهم کانوا عـدّته للناس، وخاف أن لا تکون الأنصار تری علیها نصرته إلاّ ممّا دهمه بالمدینه، ولیس علیهم أن یسیر بهم.

وهنا انبری سعد بن معاذ قائلاً: لکأنّک تریدنا یارسول الله؟!

فقال (ص): أجل.

قال: قد آمنّا بک وصدّقناک، وأعطیناک عهودنا فامض یارسول الله لما أمرت، فوالذی بعثک بالحقّ إن استعرضت بنا هذا الخبر، فخضته لنخوضنّه معک، وما نکره أن تکون تلقی العدوّ بنا غداً، إنّا لصُبُرٌ عند الحرب، صُدُقٌ عند اللقاء، لعلّ الله یریک منّا ما تقرّ به عینک، فَسِرْ بنا علی برکه الله. (۱)

۱- الکامل فی التاریخ ۲: ۱۷.

فصحیح أنّ خطابه۹ نراه قد توجّه إلی الأنصار، إلاّ أنّ نظره الشریف وکما یبدو بل محطّ نظره کان سعد بن معاذ سیّد الأوس وزعیمهم یومذاک، وأمثاله من المخلصین، وهو ما أدرکه سعد بثاقب بصیرته، فکان جوابه الذی ذکرناه.

وهناک استشاره اُخری، فقد استشاره رسول الله (ص) واستشار سعد بن عباده فی موضوع الخندق، وحول إعطاء ثلث ثمار المدینه لعیینه بن حصن والحرث بن عوف، وهما قائدا بنی غطفان، حتّی یرجعا بقومهما عن حربه، فکان قول سعد: إن کان هذا الأمر لابدّ لنا من العمل به; لأنّ الله أمرک فیه بما صنعت والوحی جاء به، فافعل ما بدا لک، وإن کنت تختار أن تصنعه لنا کان لنا فیه رأی.

فقال (ص): لم یأتنی وحی به، ولکنّی رأیت العرب قد رمتکم عن قوس واحده، وجاؤوکم من کلّ جانب، فأردت أن أکسر عنکم من شوکتهم إلی أمر ما.

فقال سعد بن معاذ: قد کنّا نحن وهؤلاء القوم علی الشرک بالله وعباده الأوثان، لا نعرف الله ولا نعبده، ونحن لا نطعمهم من ثمارنا إلاّ قریً أو بیعاً، والآن حین أکرمنا الله بالإسلام وهدانا وأعزّنا بک، نعطیهم أموالنا، ما بنا إلی هذا من حاجه، والله لا نعطیهم إلاّ السیف حتّی یحکم الله بیننا وبینهم.

فقال رسول الله (ص): الآن قد عرفت ما عندکم، فکونوا علی ما أنتم علیه، فإنّ الله لن یخذل نبیّه ولن یسلمه حتّی یُنْجِز له ما وعده. (۱)

وسعد بن معاذ هو الذی کان قد أشار أو اقترح علی رسول الله (ص) أن یبنی له عریشاً فی معرکه بدر، للدفاع دونه قائلاً:

یارسول الله، نبنی لک عریشاً من جرید، فتکون فیه، ونترک عندک رَکَائِبکَ، ثمّ نلقی عدوّنا، فإن أعزّنا الله وأظهرنا الله علیهم، کان ذلک ممّا أحببناه، وإن کان الاُخری جلست علی رکائبک، فلحقت بمن وراءنا من قومنا، فقد تخلّف عنک أقوام ما نحن بأشدّ حبّاً لک

۱- الکامل فی التاریخ ۲: ۷۲ وفیه: وترک ذلک رسول الله (ص)؛ وانظر أیضاً: الإرشاد للمفید ۲: ۲۰.

منهم، ولو ظنّوا أنّك تلقى حرباً ما تخلّفوا عنك، يمنعك الله بهم، يناصحونك ويحاربون معك؛ فأثنى عليه خيراً، ثمّ بنى لرسول الله (ص) العريش. (١)

موقفه الواعی من أسری بدر

بما أنّ معركه بدر كانت الأولی، والمسلمون كانوا قلّه فيها، فإنّ الإكثار من القتل فی صفوف المشركين ممّا يقلّل عددهم، ويربك وضعهم، ويذلّ كبرياءهم، بل يكسر شوكتهم، ويرتدع غيرهم، ويجعلهم يحسبون ألف حساب إذا ما قرّروا العوده إلی قتال المسلمين.

لهذا نری موقف بعض المسلمين وهم الواعون للموقف وأهدافه رفضوا الإكثار من أسری المشركين، ورفضوا طلب المال. (٢)

وكان سعد بن معاذ من هؤلاء الواعين لخطوره الموقف فی معركه بدر، ومن الكارهين لما فعله بعض المسلمين، وهو الإكثار من الغنائم ومن الأسری، رغبهً فی الفداء.

تقول الروايه عن ابن إسحاق: فلمّا وضع القوم أيديهم يأسرون، ورسول الله (ص) فی العريش، وسعد بن معاذ قائم علی باب العريش الذی فيه رسول الله (ص) متوشّحاً السيف فی نفر من الأنصار يحرسون رسول الله (ص) يخافون عليه كثره العدوّ، ورأی رسول الله (ص) فيما ذكر لی فی وجه سعد الكراهيه لما يصنع الناس، فقال له رسول الله (ص): «والله لكأنّك يا سعد تكره ما يصنع القوم!».

قال: أجل والله يارسول الله، كانت أوّل وقعه أوقعها الله بأهل الشرك، فكان الإثخان أحبّ إلیّ من استبقاء الرجال.

وقد جاء الآيه القرآنيه: (ما كانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرى حَتَّى يُثْخِنَ فِی الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَهَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)، رافضهً للحاله التی انتابت جمعاً من

١- أُنظر الكامل فی التاريخ ٢: ٢٠ ، والاستيعاب بهامش الإصابه ٢: ٣٨.

٢- أُنظر المقاله «موقف رسالی من أسری بدر وبنی قريظه»، فی العدد ١٦ من هذه المجلّه.

المقاتلين المسلمين فی ساحه معرکه بدر، والذین راحوا یتسابقون لأخذ المشرکین أحیاء أسری، لیفادوهم فیما بعد.

سعد و معرکه اُحد

سجّل لنا التأریخ أنّ لسعد بن معاذ آراء ومواقف جلیله فی معرکه اُحد وقبلها، فقد وافق رأیهُ رأیَ رسول الله (ص) ورأی أکابر الصحابه من المهاجرین والأنصار، وهو عدم الخروج لمواجهه عدوّهم من مشرکی قریش، والاکتفاء بالبقاء داخل المدینه، وتثبیت مواقعهم، ورصّ صفوفهم لخوض القتال ضدّ المشرکین القادمین من مکّه، للاقتصاص من المسلمین والانتقام لما حلَّ بهم من هزیمه نکراء فی معرکه بدر الکبری.

فیما خالف جمع آخر من الصحابه، وقالوا لرسول الله (ص) : أخرج بنا إلی أعدائنا، لا یرونا إنّا جبنّا عنهم.

وکان ممّن وافق هذا الجمع الأخیر علی هذا الرأی حمزه بن عبدالمطّلب، وکانوا یلحّون علی موقفهم هذا، ولم یزالوا برسول الله (ص) وبالصحابه الآخرین حتّی وافق علی ذلک، فصلّی بالناس، ثمّ وعظهم وأمرهم بالجدّ والاجتهاد، وأخبرهم أنّ لهم النصره ما صبروا، وأمرهم بالتهیؤ لعدوّهم، ففرح الناس بذلک، ثمّ صلّی بالناس العصر وقد حشدوا، وقد حضر أهل العوالی، ثمّ دخل رسول الله بیته ومعه أبوبکر وعمر فعمّماه ولبّساه، وصفّ الناس ینتظرون خروجه۹ فقال لهم سعد بن معاذ وأسید ابن خضیر: استکرهتم رسول الله (ص) علی الخروج، فردّوا الأمر إلیه، أی فما أمرکم به وما رأیتم له فیه هوی ورأیاً فأطیعوه.

فخرج رسول الله (ص) وقد لبس لامته.

فقالوا له: ما کان لنا أن نخالفک ولا نستکرهک علی الخروج فاصنع ما شئت.

وفی روایه فإن شئت فاقعد، وقال (ص) : «قد دعوتکم إلی القعود فأبیتم، وما ینبغی لنبی إذا لبس لامته أن یضعها حتّی یحکم الله بینه وبین أعدائه..». (۱)

۱- المغازی، للواقدی ۱: ۲۰۸؛ والسیره الحلبیّه ۲: ۲۱۹.

وهنا راح ابن معاذ وصاحبه أسيد بن خضير وزعيم الخزرج سعد بن عباده يحملون سلاحهم ويقفون بباب الرسول (ص) طيله ليلتهم حتّى أصبحوا، ثمّ خرجوا وعلى روايه هو وسعد بن عباده أمام رسول الله (ص) دارعين يعدوان. (۱)

وما إن وقعت معركه أُحد واشتدّت حتّى كان من أولئک النفر الثابتين فيها، فهذا الواقدی فی مغازيه يقول: وثبت رسول الله (ص) كما هو فی عصابه صبروا معه أربعه عشر رجلاً سبعه من المهاجرين وسبعه من الأنصار... ومن الأنصار الحبّاب بن المنذر... وسعد بن معاذ. (۲)

وفی طريق عودتهم كان ابن معاذ آخذاً بلجام فرس رسول الله (ص) وإذ هو فی هذه الحاله جاءت اُمّه تعدو نحو رسول الله (ص) وهو على فرسه، وسعد بن معاذ آخذ بلجامها، فقال له سعد: يا رسول الله اُمّی.

فقال (ص) : مرحباً بها، فوقف لها فدنت حتّى تأمّلت رسول الله (ص) فعزّها رسول الله (ص) بابنها عمرو بن معاذ، فقالت: أمّا إذا رأيتک سالماً، فقد استويت المصيبه، أی استقلّيتها، ودعا رسول الله (ص) لأهل من قتل بأُحد، أی بعد أن قال لاُمّ سعد: أبشری وبشّری أهلهم أنّ قتلاهم ترافقوا فی الجنّه جميعاً، ثمّ شفعوا فی أهلهم جميعاً.

قالت: رضينا يارسول الله، ومن يبكی عليهم بعد هذا، ثمّ قالت: يارسول الله ادع لمن خلفوا، فقال: أللّهم أذهب حزن قلوبهم، واجبر مصيبتهم، وأحسن الخلف على من خلفوا. (۳)

ولمّا سمع بكاء النبیّ الله (ص) على حمزه وقوله: حمزه لا بواكی له، أمر ابن معاذ نساءه ونساء قومه أن يذهبن إلی بيت رسول الله (ص) يبكين حمزه بن عبدالمطّلب بين المغرب والعشاء. (۴)

وفی خبر آخر: وانصرف رسول الله (ص) إلی المدينه حين دفن القتلی، فمرّ بدور بنی الأشهل وبنی ظفر، فسمع بكاء النوائح على قتلاهنّ، فترقرقت عينا رسول الله (ص) وبكی،

۱- اُنظر السيره الحلبيّه ۲: ۲۱۹ ؛ والمغازی ۱: ۲۰۵.

۲- المغازی ۱: ۲۴۰.

۳- المصدر نفسه ۱: ۲۵۴.

۴- اُنظر الكامل فی التاريخ ۲: ۵۶ ؛ والسيره الحلبيّه ۲: ۲۵۴.

ثمّ قال: لكنّ حمزه لا بواكى له اليوم، فلمّا سمعها سعد بن معاذ وأسيد بن خضير، قالوا: لا تبكينّ امرأه حميمها حتّى تأتى فاطمه فتسعدها، فلمّا سمع رسول الله (ص) الواعيه على حمزه وهو عند فاطمه على باب المسجد قال: إرجعن رحمكنّ الله، فقد آسيتنّ بأنفسكنّ. (١)

سعد و الأحزاب

فى السنه السادسه للهجره النبويه، وقعت معركه الأحزاب، فكان لهذا الصحابى الجليل مواقف مشهوده، منها ما ذكرناه سابقاً من استشاره رسول الله (ص) له فى إعطاء ثلث ثمار المدينه إلى عيينه بن حصن، والحرث بن عوف، وما أبداه سعد من رأى.

ومنها أنّه۹ أرسله يرافقه سعد بن عباده، وابن رواحه، وخوات بن جبير إلى بنى قريظه، للاستخبار عن صحّه ما بلغه۹ من خيانتهم، ونقض العهد الذى أبرم بينهم وبين رسول الله (ص) وقال لهم: انطلقوا حتّى تنظروا أحقّ ما بلغنا عن هؤلاء القوم، فإن كان حقّاً فالحنوا لى لحناً أعرفه دون القوم.. وإلاّ فاجهروا بذلك بين الناس... فخرجوا حتّى أتوا بنى قريظه، فوجدوهم قد نقضوا العهد،(٢) ونالوا من رسول الله (ص) وتبرّؤوا من عقده وعهده، وقالوا: لا عهد بيننا وبين محمّد، فشتمهم سعد بن معاذ وهم حلفاؤه.. ثمّ أقبل السعدان ومن معهما إلى رسول الله (ص) فكنّوا له عن نقضهم العهد، أى قالوا عضل والقاره، أى غدروا كغدر عضل والقاره بأصحاب الرجيع. (٣)

وكان سعد بن معاذ ينتظر فى معركه الأحزاب أن يكون له دوره الرسالى البارز، فكان مستعدّاً ومتدرّعاً يحمل حربته كأعظم مجاهد يحمل همّ الرساله والحرص عليها ضدّ

أعداء الله ورسوله، وراح يتمثّل بأبيات كأنّه ينتظر الشهاده فى طريق ذات الشوكه، فهذا ابن إسحاق يقول: وحدّثنى أبو ليلى عبدالله بن سهل ابن عبدالرحمن بن سهل الأنصارى

١- أُنظر إعلام الورى: ۹۴.

٢- أمّا اليعقوبى فيقول: فذكروهم العهد وأساءوا الإجابه ٢: ۵٢.

٣- أُنظر السيره الحلبيّه ٢: ٣١۶.

أخو بنى حارثه: أنّ عائشه اُمّ المؤمنين كانت فى حصن بنى حارثه يوم الخندق، وكان من أحرز حصون المدينه ; قال: وكانت اُمّ سعد بن معاذ معها فى الحصن، فقالت عائشه وذلك قبل أن يضرب علينا الحجاب: فمرّ سعد وعليه درع له مقلّصه(۱) قد خرجت منه ذراعه كلّها وفى يده حربته يرقد بها ويقول:

لبِّث قليلاً يشهد الهيجا جمل

لا بأس بالموت إذا حان الأجل

قال: فقالت له اُمّه: الحق أى النبى، فقد والله أخّرت، قالت عائشه: فقلت لها: يا اُمّ سعد والله لوددت أنّ درع سعد كانت أسبغ،(۲) ممّا هى، قالت: وخفت عليه حيث أصاب السهم منه، فرُمى سعد بن معاذ بسهم فقطع منه الأكحل، رماه كما حدّثنى عاصم بن عمير بن قتاده حِبّان بن قيس بن العَرِقه. (۳)

دعاء مستجاب

فقال له سعد: عرَّق الله وجهك فى النار، أللّهم إن كنت أبقيت من حرب قريش شيئاً فأبقنى لها، فإنّه لا قوم أحبّ إلىّ أن أجاهدهم من قوم آذَوْا رسولك وكذّبوه وأخرجوه، أللّهم إن كنت قد وضعت الحرب بيننا وبينهم فاجعله لى شهاده، ولا تُمتنى حتّى تُقرّ عينى من بنى قريظه، فكان دعاؤه هذا مستجاباً حيث الجزاء التعادل الذى حلّ ببنى قريظه على جنايتهم وقد حكم به سعد ورآه واقعاً.

فيما قال ابن إسحاق: وحدّثنى من لا أتّهم عن عبدالله بن كعب بن مالك أنّه كان يقول:

ما أصاب سعداً يومئذ إلاّ أبواُسامه الجُشمى، حليف بنى مخزوم، وقد قال أبواُسامه فى ذلك شعراً لعكرمه بن أبى جهل:

۱- مقلّصه: قصيره قد ارتفعت، يقال: تقلّص الشىء إذا ارتفع وانقبض.

۲- أسبغ: أكمل.

۳- العرقه: هى قلابه بنت سعد بن سعد بن سهم، وتكنّى اُمّ فاطمه، وسمّيت العرقه لطيب ريحها، وهى جدّه خديجه، اُمّ اُمّها هاله؛ اُنظر الروض.

أعكرمَ هلاّ لُمتنى إذ تقول ليفداك بآطام(١)

المدينه خالد

ألستُ الذى ألزمتُ سعداً مُرِشةً(٢)

لها بين أثناء المرافق عاند(٣)

قضى نحبه منها سعيد فأعولت(۴)

عليه مع الشُّمط(۵) العذارى النواهد(۶)

وأنت الذى دافعت عنه وقد دعا

عُبيده جمعاً منهم إذ يكابد

على حين ما هم جائر عن طريقه

وآخر مرعوب(٧) عن القصد قاصد

فيما قال ابن هشام:

يقال: إنّ الذى رمى سعداً خفاجه بن عاصم بن حِبّان. (٨)

لقد آلمت إصابةُ سعد بجرح بليغ قلبَ رسول الله (ص) وقلوب المؤمنين، ممّا حدا برسول الله (ص) أن يُصدر أمره بنقل سعد إلى مسجده حيث خيمه رُفيده، وهى امرأه من أسلم، وقيل: إنّها أنصاريه،(٩)

وكانت تداوى الجرحى، وتحتسب بنفسها على خدمه من كانت به ضيعه من المسلمين، وكان رسول الله (ص) قد قال لقومه حين أصابه السهم بالخندق: إجعلوه فى خيمه رُفيده، حتى أعوده من قريب. (١٠)

الجزاء العادل

بنو قريظه إحدى طوائف ثلاث (بنو قينقاع، وبنو النضير، وبنو قريظه) كانت

تمثّل الوجود اليهودى فى المدينه المنوّره، وكانوا قد اتّخذوا من أطراف يثرب سكناً

١- الآطام: الحصون والقصور ، الواحد: أطم.

٢- مرشه: رميه أصابته فأطارت رشاش الدم منه، ومريشه.

٣- عاند: العرق الذى لا ينقطع منه الدم.

٤- أعولت: بكت بصوت مرتفع.

٥- الشمط: جمع شمطاء، وهى التى خالط شعرها الشيب.

٦- العذارى: الأبكار، والنواهد: جمع ناهد، وهى التى ظهر نهدها.

٧- المرعوب: المفزع، وقد روى بالغين: أى رغب عن القصد، تركه.

٨- اُنظر السيره النبويّه، لابن هشام ٣: ٢٣٧ ٢٣٨.

٩- اُنظر الإصابه؛ وشرح المواهب.

١٠- اُنظر السيره النبويه، لابن هشام ٣: ٢٥٠.

ومأوى لهم، بعد أن طردهم نبوخذنصر من الشام وشتّت جمعهم، وراح يلاحقهم

حتى لم يجدوا فى الأرض مأمناً إلاّ يثرب، فسكنوا فيها، واتّسعت تجارتهم وقويت فيها شوكتهم، ولكنّ قلوبهم لم تطهر، وكأنّها أورثت التآمر والحقد على غيرهم من طوائف الناس.

وما إن حلّ رسول الله (ص) فى المدينه بعد هجرته إليها من مكّه، حتّى راح يبنى دولته وأُسسها مستعيناً بالله تعالى وبالمؤمنين من المهاجرين والأنصار، وبما أنّه كان مدركاً وعارفاً بتركيبه مجتمع يثرب، التى كان اليهود بطوائفهم (بنو قينقاع، وبنوالنضير، وبنوقريظه) يشكّلون دوراً مهمّاً فيها خاصّه بجانبها الاقتصادى، فقد وادعهم متعهّداً باحترام عقائدهم، وحرّيه عباداتهم وشعائرهم، وترك لهم فرص العمل كغيرهم بأمن وسلام... ما داموا موادعين مسالمين لا يهجمون على مسلم ولا ينصرون عدوّاً للمسلمين، ولا يعكّرون أمناً ولا يسيئون إلى جوار... إلاّ أنّ بغضهم وحقدهم ونفوسهم الأمّاره بالسوء، كلّ هذا وغيره شجّعهم على نقض العهد مع الرسول (ص)، وراحوا يحرّضون على قتال المسلمين ويتعاونون مع المنافقين والمشركين، ويقدّمون إليهم ما يحتاجونه لتقويض الدوله الفتيّه، التى راح نبيّ الله (ص) يبنيها بجهود أصحابه وأتباعه، فما كان من رسول الله (ص) إلاّ أن أجلا بنى النضير وبنى قينقاع عن قراهم، فذهب جمع منهم إلى منطقه أدرعات، فيما ذهب آخرون

منهم إلى خيبر، وقد اكتفى الرسول (ص) بهذا الإجراء; لأنّ خيانتهم لم ترتق ِإلى أكثر من

هذه العقوبه.

أمّا بنو قريظه، فكان لرسول الله (ص) معهم أمر آخر وحكم أشدّ; لعظم خيانتهم التى كلّفتهم حياتهم.

خيانتهم

كانت جريمه بنى قريظه قد بدأت بيحيى بن أخطب، وسلام بن أبى الحقيق، وهما من كبار ومن زعماء بنى النضير، اللذين حرّضا قريشاً ومشركى غطفان على قتال الرسول (ص)

وحرّضا بنی قریظه أیضاً علی نقض عهدهم الذی أُبرم مع الرسول (ص) ثمّ الانضمام إلی عشره آلاف مقاتل من مشرکی قریش وغطفان، الذین راحوا یتمرکزون حول المدینه بقیاده أبی سفیان، والذین منعهم من اجتیاز المدینه حفرُ المسلمین للخندق.

لقد ارتضی کعب بن أسد زعیم بنی قریظه أن یکون طابوراً یقوّض صفّ المسلمین من داخل المدینه، وقطع علی نفسه أن یکون شریکاً للمشرکین فی قتالهم للمسلمین، وبدأ یمدّهم بالعون والمساعده، فکان بهذا قد ارتکب دوراً قذراً وخطیراً یهدّد وحده المسلمین وقدرتهم القتالیه، وأصرّ علی موقفه هذا، وهو ما لمسه وعرفه مبعوثا الرسول (ص) وهما سعد بن معاذ زعیم الأوس وسعد بن عباده زعیم الخزرج، وشخصان آخران کانا برفقه هذین الزعیمین، اللّذان ترأسا وفداً یستطلع الأمر ویتحقّق منه، ویبذل جهده لإقناع بنی قریظه بالعدول عن موقفهم الخیانیّ هذا، وباءت جهود هذا الوفد بالفشل، فما کان من الوفد إلاّ أن أعلن تهدیده بجزاء أشدّ ممّا حلّ ببنی قینقاع وبنی النضیر، خاصّهً بعد أن رأی عنادهم وشدّه إصرارهم علی موقفهم الخیانیّ هذا. (١)

وفی آخر الوقت، وبعد أن أنهکهم حصار رسول الله لهم، نزلت بنو قریظه علی حکم رسول الله (ص) وشفعت لهم الأوس وکانوا حلفاءَهم فی الجاهلیه.

تقول الروایه:... فلمّا أصبحوا نزلوا علی حکم رسول الله (ص) فتواثبت الأوس، فقالوا: یارسول الله، إنّهم کانوا موالینا دون الخزرج، وقد فعلت فی موالی إخواننا بالأمس ما قد علمت وقد کان رسول الله (ص) قبل بنی قریظه قد حاصر بنی قینقاع، وکانوا حلفاء الخزرج، فنزلوا علی حکمه، فسأله إیّاهم عبدالله بن أُبیّ بن سلول، فوهبهم له فلمّا کلّمته الأوس، قال رسول الله (ص):

«ألا ترضون یا معشر الأوس أن یحکم فیهم رجل منکم؟»

قالوا: بلی.

١- أُنظر تفصیل هذا کلّه، وکیف باءت جهود بنی قریظه وغیرهم، بالفشل، وأحبطت، مؤامرتهم، وما حلّ بهم من جزاء، فی العدد: ١٦ من هذه المجلّه، الصفحات ١٧٦ ١٨٦.

قال رسول الله (ص): «فذاک إلی سعد بن معاذ».

فلمّا حکّمه رسول الله (ص) فی بنی قریظه، أتاه قومه فحملوه علی حمار قد وطّئوا له بوساده من أدم، وکان رجلًا جسیماً جمیلًا؛ ثمّ أقبلوا معه إلی رسول الله (ص) وهم یقولون: یـا أبا عمرو، أحسن فی موالیک، فإنّ رسول الله (ص) إنّما ولّاک ذلک لتُحسن فیهم، فلمّا أکثروا علیه قال:

لقد أنی لسعد أن لا تأخذه فی الله لومه لائم!

فرجع بعض من کان معه من قومه إلی دار بنی عبدالأشهل، فنعی لهم رجال بنی قریظه، قبل أن یصل إلیهم سعد، عن کلمته التی سمع منه.

فلمّا انتهی سعد إلی رسول الله (ص) والمسلمین، قال رسول الله (ص): قوموا إلی سیّدکم فأمّا المهاجرون من قریش، فیقولون: قد عمّ رسول الله (ص) فقاموا إلیه، فقالوا: یا أباعمرو، إنّ رسول الله (ص) قد ولّاک أمر موالیک لتحکم فیهم.

فقال سعد بن معاذ: علیکم بذلک عهدُ الله ومیثاقه، أنّ الحکم فیهم لما حکمتُ؟

قالوا: نعم.

قال: وعلی مَن هاهنا؟ فی الناحیه التی فیها رسول الله (ص) وهو مُعرِض عن رسول الله (ص) إجلالاً له.

فقال رسول الله (ص): نعم.

قال سعد: فإنّی أحکم فیهم أن تُقتل الرجال، وتقسّم الأموال، وتسبی الذراری

والنساء.

قال ابن إسحاق:

فحدّثنی عاصمُ بن عمر بن قتاده عن عبدالرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ، عن علقمه بن وقّاص اللیثی، قال: قال رسول الله (ص) لسعد: لقد حکمتَ فیهم بحکم الله من فوق سبعه أرقعه. (۱)

۱- الأرقعه: السماوات، الواحده: رقیع; وانظر السیره النبویّه، لابن هشام ۳: ۲۴۹ ۲۵۱.

رحیله رضوان الله علیه

حقّاً (مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجالٌ صَدَقُوا ما عاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضى نَحْبَهُ وَ مِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَ ما بَدَّلُوا تَبْدِيلًا). (۱)

مات شهیداً، فقد وفی بعهده الذی عاهد الله علیه، وألزم نفسه ألاّ ینکل عن العِدی أو یقتل فی سبیله تعالی.

أُمنیه تحقّقت لأنّها کانت صادقه، وطموح طالما عاش من أجله، لم تبخل به السماء ; لأنّه طموح المخلصین الصّادقین (فاجعله لی شهادهً)، لم یمهله ذلک الجرح طویلًا، فما أن انقضی شأن بنی قریظه بلیال، وبعد شهر من إصابته (ولا تمتنی حتّی تُقرّ عینی من بنی قریظه) حتّی انفجر بسعد بن معاذ جرحه، الذی انقضّ علیه، فاستشهد منه سنه خمس للهجره النبویّه، وقد ختم حیاته المملوءه إیماناً وجهاداً ختمها برحاب ربٍّ کریم، وجنّه عرضها السماوات والأرض أُعدّت للمتّقین، یلاحقه دعاء رسول الله (ص) واستغفاره، ورضاه عنه وشفاعته له.

وما أسرع انتشار خبر استشهاد هذا الصحابی الجلیل، الذی شرح الله سبحانه صدره للإیمان، ومنَّ علیه بالاستقامه وحبّبها إلیه وزیّنها فی قلبه، وتبنّاها سلوکاً له حتّی عُرف بها، فاستحقّ أعظم وسام یزیّن صدره یوم لا ینفع مالٌ ولا بنون، إنّه الشهاده التی منّت بها السماء علیه یوم الخندق.

یقول ابن إسحاق: ولم یستشهد من المسلمین یوم الخندق إلاّ ستّه نفر.

من بنی عبدالأشهل: سعدُ بن معاذ، وأنس بن أوس بن عتیک بن عمرو، وعبدالله بن سهل، ثلاثه نفر.

ومن بنی جُشم بن الخزرج، ثمّ من بنی سلمه: الطفیل بن النّعمان، وثعلبه بن غنمه، رجلان.

۱- الأحزاب: ۲۳.

ومن بنی النجّار، ثمّ من بنی دینار: کعب بن زید، أصابه سهم غَرْب(۱)، فقتله.

فما إن سمع رسول الله (ص) بخبر وفاه سعد حتّی قام سریعاً، یجرّ ثوبه إلی سعد، فوجده قد استشهد.

فما أشدّ وقع هذا الخبر علی قلب رسول الله (ص) وقلوب أصحابه، الذین راحت أصواتهم تعلو، وعیونهم تبکیه بحرقه وألم.

تقول الروایه:

قالت عائشه: سمعت بکاء أبی بکر وعمر وأنا فی حجرتی.

وفی روایه یذکرها صاحب السیره النبویه: أنّ ابن إسحاق قال: حدّثنی من شئت من رجال قومی: أنّ جبرئیل۷ أتی رسول الله (ص) حین قُبض سعد بن معاذ من جوف اللیل معتجراً بعمامه من استبرق، فقال: یا محمّد، مَنْ هذا المیّت الذی فتحت له أبوابُ السماء واهتزّ له العرش؟!

قال: فقام رسول الله (ص) سریعاً یجرّ ثوبه إلی سعد فوجده قد مات. (۲)

وفی خبر آخر:... انفجر جرح سعد بن معاذ وسال الدم، واحتضنه۹ فجعلت الدماء تسیل علی رسول الله (ص) فمات منه. (۳)

وفی السیره الحلبیّه: عن سلمه بن أسلم بن حریش أنّه قال: دخل رسول الله (ص) وما فی البیت أحدٌ إلّا سعد مسجّی، فرأیته یتخطّی، وأومأ إلی قف، فوقفت ورددّت مَنْ ورائی، وجلس۹ ساعه ثمّ خرج، فقلت: یارسول الله، ما رأیت أحداً أو رأیتک تتخطّی.

فقال: ما قدرت علی مجلس حتّی قبض لی ملک من الملائکه أحد جناحیه. (۴)

۱- سهمُ غَرْب، وسهمٌ غربٌ، بإضافه وغیر إضافه، وهو الذی لا یُعرف من أین جاء ولا من رَمی به؛ السیره النبویّه، لابن هشام ۳: ۲۶۴.

۲- اُنظر هامش الصفحه ۲۶۲ من الجزء الثالث لسیره ابن هشام.

۳- اُنظر السیره الحلبیّه ۲: ۳۴۴.

۴- المصدر نفسه ۲: ۳۴۴.

وفی سفینه البحار: أنّه۹ مشی خلف جنازته حافیاً بغیر رداء، یأخذ علی یمین السریر مرّهً وعلی یساره اُخری. (۱)

وفی الاستیعاب: أنّه۹ قال: لقد نزل الملائکه فی جنازه سعد بن معاذ سبعون ألفاً ما وطؤوا الأرض. (۲)

وقد صلّی علیه رسول الله (ص) مع تسعین ألف ملک فیهم جبرئیل کما ورد فی سفینه البحار. (۳)

وفی أمالی الطوسی: أنّ النبیّ الله (ص) صلّی علی سعد بن معاذ، وقال: لقد وافی من الملائکه للصلاه علیه تسعون ألف ملک وفیهم جبرئیل یصلّون علیه.

فقلت: یا جبرئیل بما استحقّ صلاتکم علیه؟!

فقال: بقراءه قل هو الله أحد قائماً وقاعداً وراکباً وماشیاً وذاهباً وجائیاً. (۴)

وحدیث اهتزاز العرش لموت سعد کما یقول محقّقوا السیره النبویّه لابن هشام صحیح، وهو ثابت من طرق متواتره، ورواه عدّه من الرواه.

وعن ابن إسحاق أنّه قال: وحدّثنی عبد الله بن أبی بکر عن عمره بنت عبد الرحمن أنّها قالت:

أقبلت عائشه قافلهً من مکّه، ومعها أسید بن خضیر، فلقیه موت امرأه له، فحزن علیها بعض الحزن، فقالت له عائشه: یغفر الله لک یا أبا یحیی، أتحزن علی امرأه وقد اُصبت بابن عمّک، وقد اهتزّ له العرش؟!

ثمّ قال ابن إسحاق: وحدّثنی من لا أتّهم عن الحسن البصری قال: کان سعد رجلًا بادِناً، فلمّا حمله الناس وجدوا له خِفّه، فقال رجال من المسلمین: والله إن کان لبادناً، وما حملنا من جنازه أخفَّ منه، فبلغ ذلک رسول الله (ص) فقال: إنّ له حملهً غیرکم، والذی نفسی

۱- سفینه البحار ۱: ۶۲۱؛ إعلام الوری: ۱۰۳.

۲- اُنظر الاستیعاب بهامش الإصابه ۲: ۲۹.

۳- سفینه البحار ۱: ۶۲۱.

۴- أمالی الطوسی: ۴۳۷.

بیده، لقد استبشرت الملائکه بروح سعد، واهتزّ له العرش.

وفی الصحیحین وغیرهما من طرق أنّ النبیّ الله (ص) قال: اهتزّ العرش لموت سعد.

وعن جابر بن عبدالله أنّه قال: لمّا دُفن سعد ونحن مع رسول الله (ص) سبّح رسول الله (ص) فسبّح الناس معه، ثمّ کبّر فکبّر الناس معه، فقالوا: یارسول الله، ممّ سبّحت؟

قال: لقد تضایق علی هذا العبد الصالح قبره، حتّی فرّجه الله عنه.

قال ابن هشام: ومجاز هذا الحدیث قول عائشه: قال رسول الله (ص): إنّ للقبر لضمّهً لو کان أحد منها ناجیاً، لکان سعد بن معاذ.

وقال رجل من الأنصار فی سعد:

وما اهتزّ عرش الله من موت هالک

سمعنا به إلّا لسعد أبی عمرو

وأمّا اُمّه، فقد قالت وهی تری نعشه محمولاً علی الأکفّ، والقلوب تودّعه والعیون تبکیه :

ویل اُمٍّ سعد سعداً

صرامهً وحدًّا

وسُؤدداً ومجداً

وفارساً مُعدّا

مُسدّ به مَسَدّا

یَقدُّ هاماً قدًّا

ونختم هذا بقول رسول الله (ص) فیه: کلّ نائحه تکذب، إلّا نائحه سعد ابن معاذ.

دفنه رسول الله (ص) فی البقیع الغرقد، فقد تولّی حفر قبره أبوسعیدالخدری وبعض الصحابه، یقول أبوسعید: کنت ممّن حفر لسعد قبره، فکان یفوح علینا المسک کلّما حفرنا قبره من تراب.

ولمّا أقبر رسول الله علیه فی ملحدوته، قالت اُمّه:

أحتسبك عند الله؛ وكان رسول الله (ص) واقفاً على قبره فبادر وعزّاها، ثمّ دعا له وانصرف٩.

ثمّ لمّا سمع٩ اُمّه تنوح عليه أراد تسليتها فقال: لا تزيدى على هذا، كان والله ما علمت حازماً فى أمر الله قويّاً.

ثمّ راح۹ يخاطب سعداً بقوله: رحمك الله ياسعد، فلقد كنت شجّاً في حلوق الكافرين، لو بقيت لكففت العجل الذي يراد نصبه في بيضه الإسلام كعجل قوم موسى. (١)

ونختم مقالتنا هذه عن الصحابيّ الكبير سعد بن معاذ بمرثيه حسّان بن ثابت، يبكيه فيها ويذكر حكمه في بني قريظه:

لقد سَجَمت(٢)

من دَمع عينيَ عبرهٌ

وحُقّ لعيني أن تفيض على سعد

قتيلٌ ثوى في معركٍ فُجعت به

عيون ذَوارِي الدمع دائمهُ الوجد(٣)

على مِلّهِ الرحمن وارثَ جنّه

مع الشهداء وَفدها أكرم الوفد

فإن تك قد ودّعتنا وتركتنا

وأمسيتَ في غبراء مُظلمه اللَّحد

فأنت الذي يا سعد اُبتَ بمشهدٍ

كريمٍ وأثواب المكارم والحمد

بحكمك في حَيَّي قريظه بالذي

قضى اللهُ فيهم ما قَضَيت على عمد

فوافق حكمَ الله حكمُك فيهم

ولم تعفُ إذ ذُكّرت ما كان من عهد

فإن كان ريبُ الدهر أمضاك في الألى

شروا هذه الدُّنيا بجنّاتها الخلد

فَنِعْم مصير الصّادقين إذا دعوا

إلى الله يوماً للوجاهه والقصد

وفى مقطوعه شعريه اُخرى، راح حسّان يرثى سعداً ورجالاً آخرين من أصحاب رسول الله (ص) استشهدوا، ويذكّرهم بما كان فيهم من فضل وخير وعطاء، كان منها:

صبابه وجد ذكّرتنى أحبّهً

وقتلى مضى فيها طفيل ورافع

وسعد فأضحوا فى الجنان وأوحشت

منازلهم فالأرض منهم بلاقع(۴)

وفوا يوم بدر للرسول وفوقهم

ظلال المنايا والسيوف اللوامع

دعا فأجابوه بحقّ وكلّهم

مطيعٌ له فى كلّ أمر وسامع

فما نكلوا حتّى تولّوا جماعهً

ولا يقطع الآجال إلاّ المصارع

۱- اُنظر سيره ابن هشام؛ والإصابه ۳: ۷۲ وغيرهما.

۲- سجمت: سالت.

۳- ثوى: أقام؛ والمعرك: موضع القتال؛ وذوارى الدمع: تسكبه؛ والوجد: الحزن.

۴- بلاقع: قفار خاليه.

لأنّهم يرجون منه شفاعةً

إذا لم يكن إلاّ النبيّون شافع

فذلك يا خيرَ العباد بلاؤنا

إجابتنا لله والموت ناقع(۱)

لنا القدم الأولى إليك وخلفنا

لأوّلنا فى ملّه الله تابع(۲)

ونعلم أنّ الملك لله وحده

وأنّ قضاء الله لابدّ واقع

فسلامٌ عليك يا سعد فى الخالدين.

۱- بلاؤنا: اختبارنا؛ ناقع: ثابت.

۲- القدم الأولى: السبق إلى الإسلام؛ خلفنا: آخرنا.

(۱۶) جابر بن عبدالله الأنصاری

اشاره

محسن الأسدی

فی أکثر من مقاله، نشرت فی هـذه المجله، تناولت فی خلالها العدید من شخصـیات الحرمین الشـریفین مکه والمدینه، وهم من شخصـیات العصـر الأول لانبثاق رساله السـماء الخالـده، فی ربوع الحجاز وفی المـدینه وما حولها، حتی راحت ترتفع رایتها رایه الحقّ والعـدل والمسـاواه فی کـلّ بلـدان الأرض وفجاجها؛ وتحـدّثت وبشـکل مختصـر واضـح عن ملاکاتهم الـذاتیه التی أحیتها الدعوه الجدیده، وعمّا قدّموه من تضـحیات بالأنفس والأموال لإرساء دعائمها، ولمنع کید الأعداء عنها، وترصّدهم للإطاحه بها، کـلّ ذلـک من أجـل أن تبقی أمانهً سـماویهً خالصهً تتوارثها الأجیال، وتسـتنیر بها وتستضـیء بمفاهیمها وعطائها الـذی لا یعرف النضوب، إلاّ أنّی ما إن أنتهی من واحد منهم حتی أصل إلی آخر لا یقلّ سـموّاً عن الأول، وکأنّهم واحد فی صـفاتهم وعطائهم، أو کأنّهم یتسابقون فی الخیرات، وکیف لا یکونون کـذلک وهم إعـداد مـدرسه ربانیّه واحـده ذات هـدف واحـد ومنهج واحد ومبادیء وقیم واحـده، إرتووا من معین ربانی واحـد، ولا غرابه فی ذلک أیضاً بعد أن أحبوا الله ورسوله، وطلبوا رضوانه، وملئت نفوسهم شوقاً إلی لقائه، لهذا نراهم یطلبون الموت

ويتحاثون عليه.

لقد كانت المدرسه التى انضووا تحت لوائها مدرسةً رائعةً، وعطاؤها التربوى كان عطاءً صادقاً، إنّها مدرسه رسول الله (ص) وإنّها تربيته الإيمانيّه الخالصه، فخلّفت طائفةً طيبه، ونخباً صالحةً، وزمراً نافعةً خالدةً، لهذا كان حبّهم لرسول الله (ص) عظيماً، ووفاؤهم له صادقاً، اضطر ذلك الحبّ وهذا الوفاء أبا سفيان، أكبر أعداء الرساله وأخطرهم وأبغضهم لرسول الله (ص) ولمن تبعه من الأصحاب، اضطره أن يقول قولته المشهوره، وقد أطلقها مرغماً بعد أن لم يجد لها بديلًا، وبعد أن رأى الحقيقه ساطعه، لا تخفى: «ما رأيت من الناس أحداً يحبُّ أحداً كما يحبّ أصحاب محمد محمداً!».

والأنصار هؤلاء (وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا) فاستحقوا أن يصفهم القرآن الكريم بأنهم: (أُولئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا) وهم الذين حسب تعبير القرآن الكريم (يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ).

وقال رسول الله (ص) فيهم: «لولا الهجره لكنتُ امرأً من الأنصار».

والأنصارى هذا كان واحداً منهم؛ بل من القله الذين لم تتفرّق بهم السبل بعد النبى (ص) ولم يستبقوا الصراط بعده، وظلّوا معتصمين متمسّكين به وبآل بيته الطاهرين:.

إنّه جابربن عبدالله بن عمروبن حرام بن ثعلبه بن حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن مسلمه بن سعد بن على بن أسد بن سارده بن تزيد بن جُشم بن الخزرج.

ولد سنه ١٦ قبل الهجره النبويّه المباركه، ويكنى ب (أبوعبدالله) ويقال له: أبوعبدالرحمن، أو أبومحمد الأنصارى الخزرجى السلمى الحرامى المدنى.

كان واحداً من تلك الطائفه المؤمنه والنخبه الصالحه، وخريج تلك المدرسه الربانيه النبويّه، وكان صحابياً ذائع الصيت، متميّزاً فى دينه وإيمانه ومواقفه وولائه لرسول الله (ص) وأهل بيت رسول الله (ص) بيت العصمه والطهاره، وكان معروفاً فى علمه ومعرفته ; فقد كان من كبار الصحابه المفسّرين للقرآن، والراوين للأحاديث النبويّه، ولأخبار أهل البيت: ورواياتهم، بل لقد روى عنه أحد أئمه أهل البيت: وهو الإمام محمد الباقر٧ كما سنرى.

بیعته

ظلّ جابر هذا وهو من أكابر أعيان أهل المدينه ذا منزله كبيره، وسمعه كريمه، وهب كلّ وجوده لخدمه رسول الله (ص) ووضع نفسه وحشاشه قلبه لمواصله مسيره الإسلام الجهاديه، والعلميه، معرفةً وتفسيراً وروايةً، ومواقف رصينه شهدت له بها أكثر مشاهد رسول الله (ص) ومحافل المسلمين حتى وفاته رضوان الله تعالى عليه، بعد أن آمن برسول الله (ص) ورسالته صبياً.

وكان يومها مع أبيه فی تلك الليله التأريخيه المصيريه التی عاهد فيها أهل يثرب (الأوس والخزرج) رسول الله (ص) على الدفاع عنه، ودعم مسيرته الظافره ونصرته، وكانت بيعتهم يومذاك هی البيعه المشهوره المعروفه فی التأريخ الإسلامی ب (بيعه العقبه الثانيه).

ولما دخل رسول الله (ص) المدينه مهاجراً، راح هذا يقضی أكثر وقته فی صحبه رسول الله (ص) وفی خدمته، فشهد معه حروبه وظلّ حارساً أميناً لهذا الدين وللحق الذی يمثله، ولرجاله المخلصين المتمثلين فی أهل بيت النبوّه والطهاره، فلم يدّخر وسعاً فی تبيان منزله الإمام علی (ع) والتنويه بها والتحريض على اتباعها، والتی كانت من رسول الله (ص) كمنزله هارون من موسی، كما عبر عنها نبی الرحمه۹: «يا علی أنت منی بمنزله هارون من موسی إلاّ أنه لا نبی بعدی»، حتى قضی عمره الشريف كلّه مستقيماً، لم تعرف حياته الانحراف على طولها، وقد امتدت لأكثر من تسعين سنه، فكان آخر أصحاب رسول الله (ص) توديعاً لهذه الحياه، ولحوقاً به۹ .

قلنا: إنّه ممّن شهد بيعه العقبه الأخيره والتی تسمی (بيعه الحرب)، فحينما أذن الله لرسوله۹ فی القتال، وبعد أن تمّت البيعه الأولى أی العقبه الأولی، التی كانت كبيعه النساء، فيما كان هو ومن قد بايعوا رسول الله (ص) فی العقبه الأخيره على حرب الأحمر والأسود، وأخذ رسول الله (ص) لنفسه واشترط على القوم لربّه، وجعل لهم الجنه إن وفوا بذلك.

فعن عباده بن الصامت أنه قال:

بايعنا رسول الله (ص) بيعةَ الحرب وكان عباده هذا من الاثنی عشر الذين بايعوه فی

العقبه الأولى على بيعه النساء بايعناه على السمع والطاعه فى عُسرنا ويُسرنا ومُنشطنا ومكرهنا، وأثره علينا، وأن لا ننازع الأمر أهله، وأن نقول بالحق أينما كنا، لا نخاف فى الله لومه لائم.

وكان عدد الذين بايعوا رسول الله (ص) هذه البيعه من الأوس والخزرج ثلاثةً وسبعين رجلًا وامرأتين، كان جابر وأبوه منهم.

فمن شهدها كما تقول الروايه من بنى حرام بن كعب بن غَنم بن كعب بن سلمه، عبدالله بن عمرو بن حرام بن ثعلبه بن حرام، نقيب، شهد بدراً، وقتل يوم أحد شهيداً، وابنه جابر بن عبد الله. (۱)

يقول جابر: كنا مع رسول الله (ص) ليله العقبه، وأخرجنى خالى وأنا لا أستطيع أن أرمى بحجر. (۲)

ويقول فى روايه أُخرى: حملنى خالى جدُّ بن قيس وما أقدر أن أرمى بحجر فى سبعين راكباً من الأنصار الذين وفدوا على النبىّ الله (ص).

قال: فخرج إلينا رسول الله (ص) ومعه العباس بن عبدالمطلب، فقال: يا عم خذ لى على أخوالك.

قالوا: يا محمد سل لربّك ولنفسك ما شئت.

قال: أمّا الذى أسأل لربّى، فتعبدوه، ولا تشركوا به شيئاً، وأما الذى أسأل لنفسى، فتمنعونى ممّا تمنعون منه أموالكم وأنفسكم.

قالوا: فما لنا إذا فعلنا ذلك؟

قال: الجنّه.

لقد كان جابر رضوان الله عليه من المندفعين بإخلاص، ومن المبادرين بصدق للجهاد فى سبيل الله تعالى، وكان يتمنى أن يكون له دور ينال به رضا الله تعالى فى كلّ

۱- السيره النبويّه لابن هشام ۲ : ۴۶۳.

۲- أنظر مختصر تاريخ دمشق ۵: ۳۵۸.

معارک رسول الله (ص) وإن کلّفه حیاته، لهـذا تراه أوّل ملبٍّ لأذان رسول الله (ص) الـذی حصل بعـدما تعرّض له جند الإسـلام من هزیمه فی واقعه أُحد، وکان أبوه واحداً من شـهداء هذه المعرکه، فقد کانت معرکه أُحد یوم السـبت للنصف من شوال، فلما کان الغـد من یوم أُحـد، وذلک یوم الأحد لست عشـره لیله خلت من شوال، أذّن مؤذن رسول الله (ص) فی الناس، یطلب العدو: ألاّ یخرجن معنا أحد إلاّ من حضر یومنا بالأمس، ویقصد۹ به معرکه أُحد.

ومـا إن سـمع جـابر بهـذا وقـد حُرم من المشارکه فی معرکتی بـدر وأُحـد حتی قال: یا رسول الله (ص) إنّ أبی کان خلّفنی علی أخوات سبع، وقال لی: یا بُنی! إنّه لا ینبغی لی ولا لک أن تترک هؤلاء النسوه، لا رجل فیهنّ، ولستَ بالذی أُوثرِک بالجهاد مع رسول الله (ص) علی نفسی، فتخلّف علی أخواتک، فتخلّفت علیهن.

وهنا أذن له رسول الله (ص) وکان جابر بهـذا الإذن مسـتثنی من کلام رسول الله (ص): ألاّ یخرجنّ معنا أحد إلاّ من حضـر یومنا بالأمس، یوم أحد.

وإنّما خرج رسول الله (ص) مُرهباً للعـدو، ولیبلّغهم أنه خرج فی طلبهم، لیظنوا به قوّهً، وأنّ الـذی أصابهم لم یوهنهم عن عدوّهم. (۱)

وفی قول مفصّل لموسـی بن عقبه، أنّ النبی (ص) أمر أصـحابه بعد معرکه أحد مباشـرهً، وبهم أشدّ القرح بطلب العدو ولیسـمعوا بذلک، وقال: لا ینطلقنّ معی إلاّ من شهد القتال، یعنی بأحد.

قال: وأقبل جابر بن عبدالله السلمی إلی رسول الله (ص) فقال: یا رسول الله إن أبی رجعنی، وقد خرجت معک لأشهد القتال.

فقال: ارجع، وناشدنی أن لا أترک نساءنا.

وإنمـا أراد حین أوصـانی بـالرجوع، وجـاء الـذی کـان أصـابه من القتل فاستشـهده الله فأرادنی للبقاء لترکته، ولا أحبّ أن تتوجّه وجهاً إلاّـ کنت معـک، وقـد کرهت أن تطلب معـک إلاّـ من شـهد القتـال، فـأذن لی، فأذن له رسول الله (ص) وأطاع،... وخرج رسول الله (ص) إذ غدا فقال جلّ

۱- أنظر السیره النبویّه ۳: ۱۰۶ ۱۰۷ ، وغیرها من المصادر التاریخیّه.

ثناؤه: (وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقاعِدَ لِلْقِتالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ).

هذا وقد شـهد ثمانی عشـره غزوه مع النبیّ الله (ص) ولم یتخلّف إلاّ کما أسلفنا عن غزوتی بدر الکبری وأُحد، بعد أن خلّفه أبوه علی أخواته، وکنّ تسعاً أو سبعاً علی روایه.

یقول هو عن نفسه: غزوتُ مع رسول الله (ص) تسع عشـره غزوه، وقال: لم أشـهد بدراً ولا أحداً، منعنی أبی، فلما قتل عبدالله یوم أُحد، لم أتخلف عن رسول الله (ص) فی غزوه قط. (۱)

وفی روایه، أنه کان یمیـح الماء یوم بـدر لأهل بدر المسـلمین، والمیح فی الاستسـقاء أن ینزل الرجل إلی قرار البئر إذا قلّ ماؤها، فیملأ الدلو بیده یمیح فیها بیده ویمیح أصحابه.

إلاّ أنّ فی مستدرک الحاکم (أمتح) بالتاء، ومعناه الاستقاء من أعلی البئر.

وفی مـاده (منـح) فی اللسـان: وأمّـا حـدیث جابر: کنت منیـح أصـحابی یوم بـدر، فمعناه: أی لم أکن ممن یضـرب له بسـهم مع المجاهدین لصغری، فکنت بمنزله السهم اللغو الذی لا فوز له ولا خُسر علیه. (۲)

وکانت أولی غزواته مع رسول الله (ص) غزوه حمراء الأسد، واستمرّ معه حتی آخر مغازیه.

معرکه الخندق فی أحادیثه

شاه و مُدٌّ من شعیر

یحدّثنا جابر رضوان الله علیه:

أصاب الناس کُدْیَهً(۳) یوم الخندق، فضربوا فیها بمعاولهم حتی انکسرت.

فدعَوا رسول الله (ص) فدعا بماء علیها فعادت کثیباً.

فرأیتُ والحدیث مازال لجابر رسول الله (ص) یحضر، ورأیته خمیصاً، ورأیت بین

۱- مختصر تاریخ دمشق ۵ : ۳۵۸.

۲- أنظر مستدرک الحاکم ۲ : ۵۶۵ ؛ ولسان العرب ماده (منح) ؛ ومختصر تاریخ دمشق ۵ : ۳۵۸.

۳- الکُدْیَه: الأرض الغلیظه أو الصلبه لا تعمل فیها الفأس؛ (المعجم الوسیط :۷۸۰).

عُكنه،(۱) الغبار، فأتيت امرأتى فأخبرتها ما رأيت من خَمص بطن رسول الله (ص).

فقالت: والله، ما عندنا شيءٌ إلّا هذه الشاه ومُدٌّ من شعير.

قال جابر: فاطحنى وأصلحى.

قالت: فطبخنا بعضها وشوينا بعضها، وخُبز الشعيرُ؛ قال جابر: ثمّ أتيت رسول الله (ص)، فمكثتُ حتى رأيت أنّ الطعام قد بلغ، فقلت: يا رسول الله، قد صنعتُ لك طعاماً، فأتِ أنت ومَن أحببتَ من أصحابك.

فشبّك رسول الله (ص) أصابعه فى أصابعى، ثمّ قال: أجيبوا، جابرٌ يدعوكم!

فأقبلوا معه، فقلت: والله; إنّها الفضيحه! فأتيتُ المرأه فأخبرتها.

فقالت: أنت دعوتهم أو هو دعاهم؟

فقلت: بل هو دعاهم!

قالت: دعهم، هو أعلم.

قال: فأقبل رسول الله (ص) وأمر أصحابه، فكانوا خِرَقاً، عشرةً عشرةً، ثمّ قال لنا: اغرِفوا وغَطّوا البُرمَه، وأخرجوا من التنور الخبز ثمّ غطّوه.

ففعلنا فجعلنا نغرف ونغطّى البُرمه ثمّ نفتحها، فما نراها نقصت شيئاً، ونخرج الخبز من التنور ثمّ نغطيه، فما نراه ينقص شيئاً.

فأكلوا حتى شبعوا، وأكلنا وأهدينا، فعمل الناس يومئذ كلّهم والنبى (ص) وجعلت الأنصار ترتجز وتقول:

نحن الذين بايعوا محمّداً

على الجهادِ ما بقينا أبداً

فقال النبى (ص):

اللهمّ لا خيرَ إلّا خيرُ الآخره

فاغفر للأنصار والمهاجره(۲)

لقد كان جابر رضوان الله عليه، وجمع من إخوته الصحابه، يقومون بحراسه الخندق من

١- العُكن: ما انطوى وتثنى من لحم البطن؛ (القاموس المحيط ۴ : ۲۴۹).

۲- أنظر كتاب المغازى، للواقدى ۲: ۴۵۲.

أن يقتحمه المشركون.

يقول عن ذلك: لقد رأيتنى أحرس الخندق، وخيل المشركين تُطيف بالخندق، وتطلب غِرَّةً ومَضيقاً من الخندق فتقتحم فيه.

وكان عمرو بن العاص، وخالد بن الوليد هما اللذان يفعلان ذلك، يطلبان الغفله من المسلمين.

فلقينا خالد بن الوليد فى مأه فارس، قد جال بخيله يُريد مَضيقاً من الخندق يُريد أن يعبّر فرسانه، فنضحناهم بالنبل حتى انصرف. (۱)

وكان جابر يقول فى وقعه الخندق ويشرح حالهم وقلقهم: كان خوفنا على الذرارى بالمدينه من بنى قريظه أشدّ من خوفنا من قريش! حتى خرج الله ذلك. (۲)

ولما راح عمرو بن عبد ودّ بعد أن عبر الخندق يدعو إلى البراز ويقول:

ولقد بُححتُ من الندا

ءِ لجمعكم هل من مبارز؟!

وعمرو يومئذ ثائر، قد شهد بدراً فارتُثَّ جريحاً فلم يشهد أُحُداً، وحرّم الدُّهنَ حتى يثأر من محمّد وأصحابه، وهو يومئذ كبير، يقال بلغ تسعين سنه، فلما دعا إلى البراز، قال على (ع): أنا أُبارزه يا رسول الله! ثلاثَ مرات ; وإنّ المسلمين يومئذ كأنّ على رؤوسهم الطير لمكان عمرو وشجاعته، فأعطاه رسول الله (ص) سيفه، وعمّمه وقال: اللهم أعنه عليه!

وأقبل عمرو يومئذ وهو فارس وعليٌّ (ع) راجل، فقال له على (ع): إنّك كنت تقول فى الجاهليه: لا يدعونى أحدٌ إلى واحده من ثلاث إلّا قبلتها!

قال: أجل!

قال: عليٌّ (ع) : فإنّى أدعوك أن تشهد أن لا إله إلّا الله وأنّ محمداً رسول الله، وتُسلم لله ربِّ العالمين; قال: يا ابن أخى، أخر هذا عنّى.

قال: فأُخرى، ترجع إلى بلادك، فإن يكن محمد صادقاً كنت أسعد الناس به، وإن غير ذلك كان الذى تريد.

۱- كتاب المغازى ۲: ۴۶۵.

۲- المصدر نفسه ۲: ۴۶۸.

قال: هذا ما تتحدث به نساء قریش أبداً، وقد نذرت وحرّمت الدُّهن.

قال: فالثالثه؟

قال: البراز.

فضحک عمرو ثمّ قال: إنّ هذه الخصله ما کنتُ أظنّ أنّ أحداً من العرب یرومنی علیها! إنی لأکره أن أقتلَ أمثالک، وکان أبوک لی ندیماً، فارجع، فأنت غلام حَدَث، إنما أردتُ شیخی قریش أبابکر وعمر.

فقال علی (ع): فإنی أدعوک إلی المبارزه فأنا أُحبّ أن أقتلک.

فأسف عمرو، و نزل وعقل فرسه.

فکان جابر رضوان الله علیه یحدّث ویقول عن هذا الموقف: فَدَنا أحدهما من صاحبه وثارت بینهما غَبرهٌ فما نراهما، فسمعنا التکبیرَ تحتها، فعرفنا أنّ علیّاً (ع) قتله.

فانکشف أصحابهُ الذین فی الخندق هاربین، وطفرت بهم خیلهم، إلاّ أنّ نوفل بن عبدالله وقع به فرسه فی الخندق، فرمی بالحجاره حتی قتل، ورجعوا هاربین.

ویواصل جابر حدیثه عن هذه المعرکه، فیقول: قاتلونا یومهم، وفرّقوا کتائبهم، ونحوا رسول الله (ص) کتیبهً غلیظهً فیها خالد بن الولید، فقاتلهم یومه ذلک إلی هَویٍّ من اللیل، ما یقدر رسول الله (ص) ولا أحدٌ من المسلمین أن یزیلوا من مواضعهم، حتی کشفهم الله تعالی فرجعوا متفرّقین، فرجعت قریش إلی منزلها، ورجعت غطفان إلی منزلها، وانصرف المسلمون إلی قبّه رسول الله (ص).

وأقام أسید بن حُضیر علی الخندق فی مأتین من المسلمین. (۱)

من دعاء رسول الله (ص) یوم الأحزاب

روی بعضهم أنّ رسول الله (ص) کان یدعو علی الأحزاب فیقول:

«أللهم منزلَ الکتاب، سریع الحساب، اهزم الأحزاب! أللهم اهزمهم!»

۱- کتاب المغازی ۲: ۴۷۲ ۴۷۳.

فکان جابر یقول: دعا رسول الله (ص) علی الأحزاب فی مسجد الأحزاب یوم الإثنین ویوم الثلاثاء ویوم الأربعاء، فاستجیب له بین الظهر والعصر یوم الأربعاء.

قال: فعرفنا السرورَ فی وجهه.

قال جابر: فما نزل بی أمرٌ غائظٌ مهمٌ إلّا تنحَّیتُ تلک الساعه من ذلک الیوم، فأدعو الله، فأعرفُ الإجابه.

وعنه أیضاً أنّه قال: قام رسول الله (ص) علی الجبل الذی علیه المسجد، فدعا فی إزار، ورفع یدیه مدّاً، ثمّ جاءه مرّهً أخری، فصلّی ودعا. (۱)

آیات قرآنیّه

(یُوصِیکُمُ اللَّهُ فِی أَوْلادِکُمْ لِلذَّکَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَیَیْنِ). (۲)

یقول جابر فی سبب نزول هذه الآیه:

عادنی رسول الله (ص) وأبوبکر فی بنی سلمه یمشیان، فوجدنی لا ـ أعقل، فدعا بماء فتوضأ، ثمّ رشّ علیَّ منه فأفقت، فقلت: کیف أصنع فی مالی یا رسول الله؟

فنزلت: (یُوصِیکُمُ اللَّهُ فِی أَوْلادِکُمْ لِلذَّکَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَیَیْنِ). (۳)

(یَسْتَفْتُونَکَ قُلِ اللَّهُ یُفْتِیکُمْ فِی الْکَلالَهِ). (۴)

فعنه أنه قال:

اشتکیت، فدخل علیّ رسول الله (ص) وعندی سبع أخوات، فنفخ فی وجهی فأفقت، فقلت: یا رسول الله، أوصی لأ ـ خواتی بالثلثین؟

قال: اجلس.

۱- کتاب المغازی ۲ : ۴۸۷ ۴۸۸.

۲- النساء: ۱۱.

۳- أنظر أسباب النزول للواحدی؛ مختصر تاریخ دمشق ۵ : ۳۶۲.

۴- النساء: ۱۷۶.

فقلت: الشطر؟

قال: اجلس، ثمّ خرج فترکنی.

ثمّ دخل علیَّ وقال لی: یا جابر إنی لا أراک تموت فی وجعک هذا، إنّ الله قد أنزل، فبین الذی لأخواتک [جعل لأخواتک] الثلثین.

وکان جابر یقول: نزلت هذه الآیه فیَّ:

(یَسْتَفْتُونَکَ قُلِ اللَّهُ یُفْتِیکُمْ فِی الْکَلالَهِ).

وفی روایه أخری أنّه قال: فقلت: یا رسول الله إنّه لایرثنی إلاّ کلاله، فکیف المیراث؟

فنزلت آیه الفرائض.

وفی روایه ثالثه: فلم یقل رسول الله (ص) شیئاً حتی نزلت آیه المیراث یرونها (یَسْتَفْتُونَکَ قُلِ اللَّهُ یُفْتِیکُمْ فِی الْکَلالَهِ).

یقول: فهذه نزلت فیه. (١)

وعنه فی قوله تعالی: (لَقَدْ رَضِیَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِینَ إِذْ یُبایِعُونَکَ تَحْتَ الشَّجَرَهِ). (٢)

قال: بایعنا رسول الله (ص) علی الموت. (٣)

ستُدرِک رجلًا...!

لقد وفق هذا الصحابی الجلیل لعمر قضاه، والإیمان دربه الذی خلی من الشائبه والشطط والانحراف، حتی أدرک خامس أئمه أهل البیت الذین أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهیراً، الإمام الباقر٧ وهم الذین انقطع إلیهم جابر وبقی علی عهدهم وحبّهم.

تقول الروایه عن حمدویه وإبراهیم ابنی نصر، قالا: حدّثنا محمد بن عیسی، عن محمد بن سنان، عن حریز، عن أبان بن تغلب، قال: حدّثنی أبوعبدالله٧ قال: «إنّ جابر بن

١- أُنظر أسباب النزول للواحدی؛ ومختصر تاریخ دمشق ٥ : ٣٦٢.

٢- الفتح: ١٨.

٣- أُنظر مختصر تاریخ دمشق ٥ : ٣٥٩.

عبدالله، كـان آخر من بقى من أصـحاب رسول الله (ص) وكان رجلاً منقطعاً إلينا أهل البيت، وكان يقعـد فى مسـجد رسول الله (ص)، وهو معتمّ بعمـامه سوداء، وكـان ينادى: يا باقر العلم! يا باقر العلم! وكان أهل المـدينه يقولون: جابر يهجر، فكان يقول: لا والله، لا أهجر، ولكنّى سـمعت رسول الله (ص) يقول: إنّك سـتدرك رجلاً من أهل بيتى، اسـمه اسـمى، وشـمائله شـمائلى، يبقر العلم بقراً، فذاك الذى دعانى إلى ما أقول».

قال: فبينا جابر يتردّد ذات يوم فى بعض طرق المدينه، إذ هو بطريق، فى ذلك الطريق كتّاب فيه محمد بن على بن الحسـين: فلما نظر إليه، قال: يا غلام أقبل، فأقبل، ثمّ قال: أدبر فأدبر، فقال: شمائل رسول الله (ص) والذى نفس جابر بيده، يا غلام ما اسمك؟

فقال: اسمى محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب.

فأقبل عليه يقبّل رأسَه، وقال: بأبى أنتَ وأمّى، رسول الله (ص) يقرئك السلام، ويقول لك...

قال: فرجع محمد بن على۸ إلى أبيه وهو ذعر، فأخبره الخبر.

فقال له: يا بنى قد فعلها جابر؟

قال: نعم.

قال: يا بنى، إلزم بيتك.

قال: فكان جابر يأتيه طرفى النهار، وكان أهل المدينه يقولون: واعجباه لجابر يأتى هذا الغلام طرفى النهار، وهو آخر من بقى من أصحاب رسول الله (ص) فلم يلبث أن مضى على بن الحسين۸.

وفى روايه أخرى عن أبى محمـد جعفر بن معروف، أنّه قـال: حـدّثنا الحسن بن على النعمـان، عن أبيه، عن عـاصم الحنّاط، عن محمد بن مسلم، أنّه قال: قال لى أبوعبدالله۷: «إنّ لأبى مناقب، ما هنّ لآبائى، إنّ رسول الله (ص) قال لجابر بن عبدالله الأنصارى: إنك تدرك محمد بن على، فاقرأه منى السلام».

قال: فأتى جابر منزل على بن الحسين۸، فطلب محمد بن على، فقال له على (ع): هو فى الكتّاب، أرسل لك إليه؟ قال: لا، ولكنى أذهب إليه، فذهب فى طلبه.

قال للمعلم: أين محمد بن على؟

قال: هو فى تلك الرفقه، أرسل لك إليه؟

قال: لا، ولكنى أذهب إليه.

قال: فجاء، فالتزمه، وقبّل رأسه، وقال: إنّ رسول الله (ص) أرسلنى إليك برساله أن أقرأك السلام.

قال: عليه وعليك السلام.

ثمّ قال له جابر: بأبى أنت وأمّى، اضمن لى الشفاعه يوم القيامه.

قال: فقد فعلت ذلك يا جابر.

يأتيه يتعلّم منه

وكان محمد بن على (ع) يأتيه على وجه الكرامه، لصحبته لرسول الله (ص) قال: فجلس فحدّثهم عن أبيه۷ فقال أهل المدينه: ما رأينا أحداً قط أجرأ من هذا!

(قال: فلما رأى ما يقولون، حدّثهم عن رسول الله (ص) قال أهل المدينه: ما رأينا أحداً قط أكذب من هذا) يحدّث عمّن لم يره.

قال: فلما رأى ما يقولون حدّثهم عن جابر بن عبدالله فصدّقوه، وكان جابر والله يأتيه يتعلّم منه.

تذكر لنا بعض كتب الروايه أنّ الإمام الباقر۷ روى عن هذا الصحابى الجليل جابر الأنصارى، كما روى عن غيره أيضاً، والذى يظهر أنّ الإمام الباقر۷ إنما كان يروى عن جابر أو عن غيره لنوع مصلحه وإلّا فهو۷ غنى بعلمه وعلوم آبائه عن أن يروى عنهم؛ هذا، وأنّ لجابر مرويات عديده عن الإمام الباقر۷ الذى راح يروى عنه وجوه التابعين وكبار فقهاء المسلمين ومصنفيهم. (۱) وهنا بعض ما رواه عن الإمام الباقر۷ وما رواه الإمام (ع) عنه.

فعن جابر أنّه قال: قلت لأبى جعفر محمد بن على الباقر۸: إذا حدّثتنى فأسنده لى.

۱- أنظر حليه الأولياء، لأبى نعيم؛ وصفوه الصفوه، لأبى الفرج بن الجوزى.

فقال: «حدّثنی أبی عن جدی، عن رسول الله (ص) عن جبرئیل۷، عن الله عزّ وجلّ، وکلُّ ما أحدثک بهذا الإسناد».

وقال۷: «یا جابر لحدیثٌ واحدٌ تأخذه عن صادق، خیر لک من الدنیا وما فیها».

فیما روی عنه الإمام الباقر۷ حیث قال: «حدّثنی جابر بن عبدالله الأنصاری، قال: قال رسول الله (ص): أقربکم منی فی الموقف غداً أصدقکم حدیثاً، وآداکم أمانهً، وأوفاکم بالعهد، وأحسنکم خلقاً، وأقربکم إلی الناس».(۱)

وعن جابر الجعفی، عن أبی جعفر محمد بن علی الباقر۸ عن جابر بن عبدالله الأنصاری، قال: «قال رسول الله (ص): إنّ جبرئیل۷ نزل علیّ وقال: إنّ الله یأمرک أن تقوم بتفضیل علی بن أبی طالب (ع) خطیباً علی أصحابک، لیبلّغوا من بعدهم ذلک عنک، ویأمر جمیع الملائکه أن تسمع ما تذکره، والله یوحی إلیک یا محمد أنّ من خالفک فی أمره فله النار، ومن أطاعک فله الجنه».

فأمر النبی (ص) منادیاً فنادی: الصلاه جامعه، فاجتمع الناس، وخرج حتی علا المنبر، فکان أوّل ما تکلّم به:

أعوذ بالله من الشیطان الرجیم، بسم الله الرحمن الرحیم. ثمّ قال: «یا أیّها الناس! أنا البشیر، وأنا النذیر، وأنا النبیّ الأمی، إنّی مبلّغکم عن الله جلّ اسمُه فی أمر رجل، لحمه من لحمی، ودمه من دمی، وهو عیبه العلم، وهو الذی انتجبه الله من هذه الأمّه، واصطفاه وهداه، وتولّاه، وخلقنی وإیاه (من طینه واحده)، وفضّلنی بالرساله، وفضّله بالتبلیغ عنی، وجعلنی مدینه العلم، وجعله الباب، وجعلنی خازن العلم، والمقتبس منه الأحکام، وخصّه بالوصیه، وأبان أمره، وخوّف من عداوته، وأزلف من والاه، وغفر لشیعته، وأمر الناس جمیعاً بطاعته؛ وأنّه عزّ وجلّ یقول: من عاداه عادانی، ومن والاه والانی، ومن ناصبه ناصبنی، ومن خالفه خالفنی، ومن عصاه عصانی، ومن آذاه آذانی، ومن أبغضه أبغضنی،

۱- أمالی، الشیخ المفید: ۶۶ ح ۱۳.

ومن أحبّه أحبنی، ومن أراده أرادنی، ومن کاده کادنی، ومن نصره نصرنی.

یا أیّها الناس! اسمعوا لما آمرکم به، وأطیعوه، فإنّی أخوّفکم عقاب الله (یَوْمَ تَجِدُ کُلُّ نَفْسٍ ما عَمِلَتْ مِنْ خَیْرٍ مُحْضَراً وَما عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَیْنَها وَبَیْنَهُ أَمَداً بَعِیداً وَیُحَذِّرُکُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ...). (۱)

ثمّ أخذ بید أمیرالمؤمنین۷ فقال: معاشر الناس! هذا مولی المؤمنین، وحجّه الله علی الخلق أجمعین، والمجاهد للکافرین، أللهمّ إنّی قد بلّغت، وهم عبادک، وأنت القادر علی صلاحهم، فأصلحهم برحمتک یا أرحم الراحمین. أستغفر الله تعالی لی ولکم».

ثم نزل عن المنبر، فأتاه جبرئیل۷ فقال: «یا محمد إنّ الله عزّ وجلّ یقرئک السلام، ویقول لک: جزاک الله عن تبلیغک خیراً، فقد بلّغت رسالات ربّک، ونصحتَ لأمتک، وأرضیتَ المؤمنین، وأرغمتَ الکافرین، یا محمد إنّ ابن عمّک مبتلی ومبتلی به، یا محمد! قل فی کلّ أوقاتک: ألحمد لله ربّ العالمین، وسیعلم الذین ظلموا أیّ منقلب ینقلبون».(۲)

وهناک روایات أخری یرویها کلٌّ منهما عن الآخر، ذکرت فی مصادر الحدیث.

جابر و علماء الرجال

کانت لجابر الأنصاری منزله رفیعه، ومکانه متمیّزه فی کتب الحدیث والرجال.

ففی رجال الشیخ: جابر ابن عمرو (عمر) بن حزام (حرام) نزل المدینه، شهد بدراً وثمانی عشره غزوه مع النبی (ص) مات سنه (۷۸) من أصحاب رسول الله (ص).

کما ذکره مع توصیفه بالأنصاری المدنی العربی (العرنی) الخزرجی، فی أصحاب أمیرالمؤمنین۷ وفی أصحاب الحسن۷ وفی أصحاب الحسین (ع) وفی أصحاب السجاد۷ وفی أصحاب الباقر۷ قائلاً: أبوعبدالله الأنصاری صحابی. (۳)

۱- آل عمران: ۳۰.

۲- أنظر أمالی الشیخ المفید: ۳۴۵ ح ۲.

۳- راجع رجال الشیخ الطوسی.

فیما عدّه البرقی فی أصحاب الرسول الأکرم۹ ومن الأصفیاء من أصحاب أمیرالمؤمنین۷ ومن شرطه خمیسه، ومن أصحاب الحسین والسجاد والباقر:.

و عن ولائه لأهل البیت: قال بعض علماء الرجال

ذکر الکشّی فی ترجمته: قال الفضل بن شاذان: إنّه من السابقین الذین رجعوا إلی أمیرالمؤمنین۷.

وإنه من جمله من لم یرتدّوا بعد قتل الحسین (ع).

وقال العلّامه: قال ابن عقده: إنّ جابر بن عبدالله منقطع إلی أهل البیت:. (۱)

ونقل الکشّی هذه الروایه عن حبّه لأهل البیت: وانقطاعه إلیهم:

حمدویه وإبراهیم ابنا نصیر قالا: حدّثنا أیوب بن نوح، عن صفوان بن یحیی، عن عاصم بن حمید، عن معاویه بن عمّار، عن أبی الزبیر المکی، قال: سألت جابر ابن عبدالله، فقلت: أخبرنی أیّ رجل کان علی بن أبی طالب؟

قال: فرفع حاجبه عن عینیه وقد کان سقط علی عینیه قال: فقال: ذلک خیر البشر، أما والله أن کنّا لنعرف المنافقین علی عهد رسول الله (ص) ببغضهم إیاه.

وفی قول آخر له، وهو یتوکأ علی عصاه ویدور فی سکک المدینه ومجالسهم:... یا معاشر الأنصار أدّبوا أولادکم علی حبّ علی (ع).

فی أسباب النزول

عن جابر بن عبدالله أنه قال فی سبب نزول: (وَإِذا رَأَوْا تِجارَهً أَوْ لَهْواً انْفَضُّوا إِلَیْها وَتَرَکُوکَ قائِماً). (۲)

کان رسول الله (ص) یخطب یوم الجمعه، إذ أقبلت عِیرٌ قد قدمت من الشام، فخرجوا إلیها

۱- أنظر العلّامه فی القسم الأول من الباب ۳ من فصل الهمزه.

۲- الجمعه: ۱۱.

حتی لم یبق معه إلّا اثنا عشر رجلًا، فأنزل الله تبارک وتعالی: (وَإِذا رَأَوْا تِجارَةً أَوْ لَهْواً انْفَضُّوا إِلَيْها وَتَرَكُوكَ قائِماً).

وکان هـذا لما أصاب أهل المـدینه جوعٌ وغلاء سعر، فقـدم دحیه بن خلیفه الکلبی فی تجارته من الشام، وضُـرب لها طبلٌ یؤذن النـاس بقـدومه، ورسول الله (ص) یخطب الجمعه، فخرج إلیه النـاس ولم یبق فی المسـجد إلّا اثنا عشـر رجلًا؛ فنزلت هـذه الآیه، وقال رسول الله (ص): والذی نفس محمد بیده! لو تتابعتم حتی لم یبقَ أحدٌ منکم، لسال بکم

الوادی ناراً. (۱)

ونظراً لوجود محکم ومتشابه فی القرآن: لقوله سبحانه وتعالی: (مِنْهُ آیاتٌ مُحْکَماتٌ هُنَّ أُمُّ الْکِتابِ وَأُخَرُ مُتَشابِهاتٌ). (۲)

فقد اختلف فی تعریف کلّ منهما علی أقوال، وکان لجابر رضوان الله علیه قول فی تعریفهما، وهو: المحکم ما یعلم تعیین تأویله، والمتشابه ما لا یعلم تعیین تأویله(۳)

.

وکانت هناک أقوال ثلاثه فی أول ما نزل من القرآن الکریم:

۱ فقول ذهب إلی أنّ أول ما نزل هو سوره العلق.

۲ وقول آخر أنّ أول ما نزل هو سوره الفاتحه.

۳ فیما ذهب جابر بن عبد الله الأنصاری إلی أنّ سوره المدثر هی أول ما نزل من القرآن الکریم.

تقول الروایه عن ابن سلمه أنه قال: سألت جابر بن عبد الله الأنصاری أیّ القرآن أنزل قبل؟

قال: (یا أَیُّهَا الْمُدَّثِّرُ).

قلت: أو (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّکَ)؟

۱- أنظر أسباب النزول للواحدی؛ وغیره من کتب التفسیر للآیه المذکوره.

۲- آل عمران: ۷.

۳- أنظر متشابهات القرآن، لابن شهر آشوب: ۲.

قـال: أحـدّثكم ما حـدّثنا به رسول الله (ص) قال إنى جاورت بحراء، فلما قضـيت جوارى نزلت فاسـتبطت الوادى، فنظرت أمامى وخلفى وعن يمينى وشـمالى ولعلّه سـمع هاتفاً ثمّ نظرت إلى السـماء فـإذا هـو يعنى جبرائيـل فأخـذتنى رجفه، فـأتيت خـديجه، فأمرتهم فدثرونى، فأنزل الله: (يا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنْذِرْ) (۱)

.

ويبـدو أنّ جابراً رضوان الله عليه اجتهـد أنّ هذه السوره هى أول سوره نزلت; لأنّ كلام رسول الله (ص) ليس فيه دلاله على أنّها أوّل سوره.

ويبـدو أيضـاً أنّ حـديث جـابر المـذكور كان بعـد انقطاع الوحى، فظنه جابر بـدء الوحى، وذهب بعض إلى أنّ جابراً سـمع النبى (ص) يذكر قصه بدء الوحى، فسمع آخرها ولم يسمع أوّلها، فتوهم أنّها أوّل ما نزلت.

وفتره انقطاع الوحى يرويها جابر أيضاً حيث يقول:

سمعت رسول الله (ص) يحـدّث عن فتره الوحى، قـال: فبينما أنا أمشـى إذ سـمعتُ هاتفاً من السـماء، فرفعت رأسـى، فإذا الملك الـذى جـاءنى بحراء جالسـاً على كرسـى بيـن السـماء والأـرض، فجُئِثـتُ منـه خرقـاً أى فزعـت فرجعت، فقلت: زملـونى زملـونى فدثرونى، فأنزل الله تبارك وتعالى: (يا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنْذِرْ * وَرَبَّکَ فَکَبِّرْ * وَثِيابَکَ فَطَهِّرْ * وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ) وهى الأوثان.

قال (ص): ثم تتابع الوحى؛ أو فحمى الوحى وتتابع كما هو لفظ البخارى. (۲)

وعن أوّل ما نزل من القرآن الكريم، قال جابر بن عبـدالله الأنصارى لما سأله أبوسـلمه: لا أحـدثك إلّا ما حـدثنا رسول الله (ص) قال: جاورتُ بحراء، فلما قضـيت جوارى، هبطت فسمعت صوتاً، فنظرت عن يمينى فلم أرَ شيئاً، وعن شمالى فلم أرَ شيئاً، ونظرت أمامى فلم أرَ شـيئاً، ونظرتُ خلفى فلم أرَ شيئاً، فرفعت برأسى، فرأيت شيئاً، فأتيت خديجه، فقلت: دثرونى، وصبوا علىّ ماءاً، قال: فدثرونى وصبّوا علىَّ ماءاً بارداً، فنزلت: (يا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ).

۱- صحيح مسلم ۱ : ۹۹.

۲- المصدر نفسه ۱: ۹۸ ؛ البخارى۱ : ۴ ؛ البرهان فى علوم القرآن، للزركشى۱ : ۲۹۳۲۹۴.

وعن ابن شهاب أنّه قال: أخبرنی أبوسلمه بن عبدالرحمن أنّ جابر بن عبدالله الأنصاری قال: قال رسول الله (ص) وهو یحدّث عن فتره الوحی: بینا أنا أمشی سمعتُ صوتاً من السماء، فرفعت رأسی، فإذا الملک الذی جاءنی بحراء جالس علی کرسی بین السماء والأرض، قال رسول الله (ص): فجُئثت منه خرقاً، وجئت فقلت: زمّلونی، زمّلونی، فـدثرونی، فأنزل الله عزّ وجلّ: (یا أَیُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنْذِرْ * وَرَبَّکَ فَکَبِّرْ * وَثِیابَکَ فَطَهِّرْ * وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ)، قال: ثمّ تتابع الوحی. (۱)

وعن ابن جریج أنّ جابر بن عبدالله قال: إنّ النبیّ الله (ص) لما أتی علی الحِجر، حمد الله وأثنی علیه ثمّ قال:

أما بعـد، فلا تسألوا رسولکم الآیات، هؤلاء قوم صالح سألوا رسولهم الآیه، فبعث الله لهم الناقه، فکانت ترد من هذا الفجّ وتصدر من هذا الفجّ، فتشرب ماءهم یوم وردها. (۲)

وفیما اختلف السـلف فی من اتبع رسول الله (ص) وآخی به، وصدّقه علی ما جاء به من عندالله من الحقّ بعد زوجته خدیجه بنت خویلد وصلّی معه.

فعن جماعه عن جابر، قال: بُعث النبیّ الله (ص) یوم الأثنین، وصلّی علیٌّ یوم الثلاثاء. (۳)

ممّا علّمه رسول الله (ص)

تعلّم هـذا الصـحابی الکثیر من صـحبته المتواصـله لرسول الله (ص) وممّا تعلمه کما یقول هو : دخلت علی رسول الله (ص) ذات یوم، فقـال: مرحبـاً بـک یـا جـابر، جزاکم الله معشـر الأنصـار خیراً، آویتمونی إذ طردنی النـاس، ونصـرتمونی إذ خـذلنی النـاس، فجزاکم الله خیراً.

قال: قلت: بل جزاک الله عنّا خیراً، هدانا الله إلی الإسلام، وأنقذنا من شفا حفره النار، فبک نرجو الدرجات العُلا من الجنه.

۱- تاریخ الطبری ۱ : ۵۳۵.

۲- المصدر نفسه ۱ : ۱۴۱.

۳- المصدر نفسه ۱ : ۵۳۷.

ثم قال (ص): يا جابر! هؤلاء الأعنز أحد عشر عنزاً فى الدار أحبّ إليك، أم كلمات علمنيهنَّ جبريل۷ آنفاً، تجمع لك خير الدنيا والآخره؟

قال: فقلت: والله يا رسول الله إنى لمحتاج وهؤلاء الكلمات أحبّ إليّ.

قال (ص): قل: أللهم أنت الخلّاق العظيم، أللهم إنك سميع عليم، أللهم إنك غفور رحيم، أللهم إنك ربّ العرش العظيم، أللهم إنـك أنت الجواد الكريم، فـاغفر لى، وارحمنى، وارزقنى، واسترنى، واجبُرنى، وارفعنى، واهـدنى، ولاـ تضـلّنى، وأدخلنى الجنه، برحمتك يا أرحم الراحمين.

قال: فطفق يردّدهن عليّ، حتى حفظتهُنّ.

ثمّ قال لى: تعلمهنّ، وعلّمهنّ عقبك من بعدك.

ثم قال: استقهنّ معك.

قال: فسقتهنّ معى. (۱)

علمه

عرف هـذا الصـحابى الجليل بأنه إضافه إلى كونه عالماً بالتفسـير وأسـتاذاً معروفاً فى الأحكام راو للحـديث بل من المكثرين فيه، الحافظين للسنه، وكان من المعنيين بتدوين الحديث، حتى راح يملى أحاديثه على تلامذته وهم من التابعين وهم يكتبونها، وكان منهم كلّ من سليمان بن قيس اليشكرى، الذى روى عنه حجّه الوداع،(۲)

ومحمد بن الحنفيه، وعبدالله بن محمد بن عقيل، ووهب بن منبه، وغيرهم. (۳)

وكـلّ هـذا وغيره أثـار حفيظه الحَجّاج، ممّـا جعله يختم فى يـده وفى عنق آخرين معه من الصـحابه والتابعين إذلالاً لهم، وحتى يجتنبهم الآخرون ولا يسمعوا منهم. قال ابن الأثير:

۱- مختصر تاريخ دمشق ۵ : ۳۶۱۳۶۲.

۲- أنظر صحيح مسلم ۲ : ۸۸۶؛ وشرح النووى ۳ : ۳۱۳ ۳۵۶.

۳- أنظر السنه قبل التدوين: ۳۵۳؛ ومعرفه النسخ: ۱۲۵.

كان الحجاج بن يوسف الثقفى والى العراق من قبل الأمويين قد ختم فى يد جابر بن عبدالله (الأنصارى) وفى عنق سهل ابن سعد الساعدى (الأنصارى) وأنس بن مالك (خادم النبى (ص)) يريد إذلالهم، وأن يجتنبهم الناس، ولا يسمعوا منهم. (۱)

وكانت لجابر صحيفه مشهوره قد تكون فى مناسك الحج كما ذهب إلى هذا بعض المحدّثين، فيما ذهب فريق آخر منهم إلى أنّها غير المنسك الصغير، وقد تكون هذه النسخه موجوده فى مكتبه شهيد على باشا فى تركيا.

وفى طبقات ابن سعد والتأريخ الكبير للبخارى، يقول قتاده بن دعامه السدوسى: لأنا بصحيفه جابر أحفظ منى لسوره البقره. (۲)

بعض ماروه

ونحن هنا نتعرّف على اليسير ممّا رواه، فما رواه كثير، وقد روى عن رسول الله (ص) مباشره وبدون واسطه، وروى عنه بواسطه، فيما روى عنه كثير من الصحابه والتابعين.

وكدليل على صدقه وأنه لا يكتم رأياً أو حديثاً نبويّاً لغرض دنيوى أو هوىً يُراوده، ننقل هذا الحديث بحقّ الصحابى الجليل سعد بن معاذ.

فبعد أن توفى هذا الصحابى بعد معركه أحد التى أصيب فيها؛ وبعد أن أعلن حكمه العدل فى يهود بنى قريظه جزاءً للخيانه التى ارتكبوها، والذنب الذى اقترفوه بحق الرساله والرسول (ص) قال جابر الأنصارى:

سمعت رسول الله (ص) يقول: اهتزّ عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ.

فقيل لجابر: إنّ البراء (وهو من الخزرج) يقول: اهتزّ السرير.

فقال جابر، وهو العارف بما جرى وحدث بين الأوس والخزرج والذين سمّوا بعد الإسلام بالأنصار من معارك طاحنه خلّفت بينهم الأحقاد والضغائن: كان بين هذين

۱- أنظر ترجمه سهل الساعدى فى أسد الغابه ۲ : ۴۷۲.

۲- أنظر الطبقات ۷ : ۱۲ ؛ والتأريخ ۴ : ۱/۱۸۶ رقم ۸۲۷.

الحيين: الأوس والخزرج، ضغائن.

وراح يؤكّد ما سمعه من رسول الله (ص): سمعت رسول الله (ص) يقول: «اهتزّ عرش الرحمن».

وجابر وإن كان من الخزرج، وسعد بن معاذ من الأوس، إلاّ أنّ دينه منعه عن قول غير الحق، أو كتمان منقبه قالها رسولُ الله (ص) بحقّ صحابى وإن كان من قوم آخرين، لهذا أكّد الحديث، وتأكيد هذا يتضمن الإنكار على من يريد كتمان هذا الحديث بما يحمله من فضيله لسعد رضوان الله عليه. (١)

وفى الصلاه، روى ابن عساكر بسنده عن جابر أنّه قال: كانت الصلاه مع رسول الله (ص) حين كان الظلّ مثل الشراك، ثمّ صلّى العصر حين كان الظلّ (للشىء) مثله، ثمّ صلى المغرب حين غابت الشمس، ثمّ صلّى العشاء حين غاب الشفق، ثم صلّى بنا الفجر، ثمّ صلّى الظهر حين كلّ شىء مثله، ثمّ صلّى العصر حين كان ظلّ كلّ شىء مثليه قدر ما يسير الراكب إلى ذى الحليفه العنق، ثمّ صلّى المغرب حين غاب الشفق، ثمّ صلّى العشاء حين ذهب ثلث الليل، ثمّ صلّى بنا الفجر فأسفر، فقيل له: كيف نصلّى مع الحجاج وهو يؤخر؟ فقال: ما صلاها للوقت فصلّوا معه، فإذا أخّر فصلوها لوقتها واجعلوها معه نافلةً. (٢)

وعنه أيضاً: قال رسول الله (ص): «سيد الشهداء حمزه، ورجل قام إلى سلطان جائر فأمره ونهاه فقتله».(٣)

أحاديث الشفاعه عند أهل السنّه

وعن جابر: أنّ النبى (ص) قال: «أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلى، نُصرت بالرعب مسيره شهر، وجُعلت لى الأرض مسجداً وطهوراً... وأحلت لى الغنائم ولم تحل لأحد قبلى،

١- أنظر ابن الأثير فى تاريخه.

٢- أنظر تأريخ دمشق ، ترجمته.

٣- رواه الحاكم عن جابر.

وأعطيت الشفاعه».(۱)

وعن أنس وعن جابر: «لكلّ نبی دعوه، وأردت إن شاء الله أن أختبیء دعوتی شفاعةً لأُمّتی یوم القیامه».(۲)

فی المتعه

قدم جابر بن عبدالله معتمراً، فجئناه فی منزله فسأله القوم عن أشیاء، ثمّ ذکروا المتعه، فقال: نعم استمتعنا علی عهد رسول الله (ص) وأبی بکر وعمر. (۳)

وروی أبو نضره قال: کنت عند جابر بن عبدالله فأتاه آت، فقال: ابن عباس وابن الزبیر اختلفا فی المتعتین متعه الحج ومتعه النساء فقال جابر: فعلناهما مع رسول الله (ص) ثمّ نهانا عنهما عمر، فلم نعدلهما. (۴)

وقال ابن حزم: ثبت علی إباحتها أی المتعه بعد رسول الله (ص) ابن مسعود، ومعاویه، وأبوسعید، وابن عباس، وسلمه ومعبد ابنا أمیه بن خلف، وجابر أی جابر بن عبدالله وعمرو بن حریث.

ثم قال ابن حزم: ورواه جابر عن جمیع الصحابه: «مده رسول الله (ص) وأبی بکر، وعمر إلی قرب آخر خلافه عمر».(۵)

و عن حرمه القتال فی الشهر الحرام

روی جابر عن رسول الله (ص): «لا یُقاتل فی الشهر الحرام إلاّ أن یغزی أو یغزو».(۶)

۱- صحیح البخاری، کتاب التیمم، الباب ۱، ۱ : ۸۶ ، البیان: ۴۸۲ للخوئی.

۲- صحیح مسلم ، باب اختباء النبی دعوه الشفاعه لأمته ۱: ۱۳۰ ۱۳۱ ، والبیان: ۵۲۸.

۳- أنظر صحیح مسلم: ۷۷۴ ، نکاح المتعه: ۱۳۱ ، ۳۱۹ التبیان.

۴- صحیح مسلم ، باب نکاح المتعه ۴: ۱۴۱ ، التبیان: ۳۱۸.

۵- هامش المنتقی للفقی ۲ : ۵۲۰.

۶- البیان: ۳۰۵.

و فی قتل الحر والعبد

روی جابر، لا یقتل الحر بعبد. (۱)

وعنه عن النبی (ص) قال: «یجیء یوم القیامه ثلاثه یشکون: المصحف والمسجد والعتره یقول المصحف: یا ربّ حرّفونی، ومزّقونی ; ویقول المسجد: یا ربّ عطلونی ; وتقول العتره: یا ربّ قتلونا، وطردونا، وشردونا».(۲)

ممّا قاله ورواه أیضاً

أجمل شیء للمرء أن یقضی حیاته مؤمناً، وینفق عمره مجاهداً صادقاً، حکیماً فیما یقول، باحثاً عمّا یرضی الله تعالی، محدّثاً عن رسول الله (ص) وعما یزیده ثباتاً فی الدنیا، وثواباً فی الآخره، وهذا هو جابر، الذی ظلّ مواظباً علی هذا کلّه، وظلّت کلماته مضیئهً، کما مواقفه هی الأخری جمیله ملیئه بالمعانی العالیه الرفیعه.

یقول عبدالرحمن بن سعید ; جئت جابر بن عبدالله الأنصاری فی فتیان من قریش، فدخلنا علیه بعد أن کفّ بصرُه، فوجدنا حبلاً معلّقاً فی السقف، وأقراصاً مطروحهً بین یدیه أو خبزاً، فکلّما استطعم مسکین قام جابر إلی قُرص منها وأخذ الحبل حتی یأتی المسکین فیعطیه، ثمّ یرجع بالحبل حتی یقعد، فقلت له: عافاک الله، نحن إذا جاء المسکین أعطیناه، فقال: إنّی أحتسب المشی فی هذا، ثمّ قال: ألا أخبرکم شیئاً سمعته من رسول الله (ص)؟

قالوا: بلی.

قال: سمعته یقول: «إنّ قریشاً أهل أمانه، لا یبغیهم العثرات أحد إلاّ أکبه الله عزّ وجلّ لمنخریه».

وعن جابر أیضاً أنه کان یقول:

تعلّموا العلم، ثمّ تعلّموا الحلم، ثمّ تعلموا العلم، ثمّ تعلّموا العمل بالعلم، ثمّ أبشروا.

۱- سنن البیهقی ۸ : ۳۴ ۳۵ ، التبیان: ۲۹۴.

۲- الخصال للصدوق.

وعنه أيضاً: هلاک بالرجل أن يدخل عليه الرجل من إخوانه، فيحتقر ما فی بيته أن يقدّمه إليه، وهلاک بالقوم أن يحتقروا ما قدّم إليهم.

وحدّث سهل بن سهل الساعدی عن أبيه، قال: كنا بمنی فجعلنا نخبر جابر بن عبدالله ما نری من إظهار قطف الخزّ والوشی يعنی السلطان وما يصنعون فقال: ليت سمعی قد ذهب كما ذهب بصری حتی لا أسمع من حديثهم شيئاً ولا أبصره.

وعنه: استغفر لی رسول الله (ص) خمساً وعشرين استغفاره، كلّ ذلک أعدها بيدی، يقول: أديت عن أبيک دينه، فأقول: نعم، فيقول: غفر الله لک.

من مواقفه

يذكر أنه قدم مرّةً إلی معاويه بدمشق، فلم يأذن له أياماً، فلما أذن له، قال: يا

معاويه أما سمعت رسول الله (ص) يقول: من حجب ذا فاقه وحاجه، حجبه الله يوم فاقته وحاجته.

فغضب معاويه وقال: لقد سمعته يقول لكم: ستلقون بعدی أثرهً، فاصبروا حتی تردوا علیّ الحوض، أفلا صبرت؟

قال: ذكرتنی ما نسيت، وخرج فاستوی علی راحلته ومضی، فوجه إليه معاويه بستمائه دينار، فردّها وكتب إليه:

إنّی لأختار القنوع علی الغنی

وفی الناس من يقضی عليه ولا يقضی

وألبس أثواب الحياء وقد أری

مكان الغنی أن لا أهين له عرضی

وقال لرسوله: قل له: والله يا ابن آكله الأكباد، لا وجد فی صحيفتک حسنه أنا سببها أبداً. (۱)

وهو الذی روی فی معاويه عن رسول الله (ص) قوله: «يموت معاويه علی غير ملتی».(۲)

۱- أنظر مروج الذهب.

۲- أنظر وقعه صفين، لنصر بن مزاحم: ۲۱۷.

ولاؤه لعلیّ و لأهل البیت:

عرف جابر بولائه الواعی الصادق لأهل بیت النبوّه والرساله (علیهم السلام) فقد کان من أولئک المهاجرین والأنصار الذین بایعوا أمیرالمؤمنین علیّاً٧ بالخلافه، ورضوا بإمامته، وبذلوا أنفسهم فی طاعته، فعن أبی الزبیر المکی أنه قال: سألت جابر بن عبدالله، فقلت: أخبرنی أی رجل کان علی بن أبی طالب؟

قال: فرفع حاجبیه عن عینیه، وقد کانا سقطا علی عینیه، قال: فقال: ذلک خیر البشر! أما والله إن کنا لنعرف المنافقین علی عهد رسول الله (ص) ببغضهم إیاه.

وعنه أیضاً: رأیت جابراً یتوکأ علی عصاه، وهو یدور فی سکک المدینه ومجالسهم، ویقول:

علی خیر البشر فمن أبی فقد کفر، معاشر الأنصار أدبّوا أولادکم علی حبّ علی...،

وقد شهد صفین مع علی (ع) وکان منقطعاً إلیه، وقد فضّله علی غیره کما ذکر ذلک ابن عبدالبرّ فی استیعابه، فیما نصّ علی تشیّعه ابن شاذان وابن عقده والکشی.

أوّل زائر

وفق هذا الصحابی أن یکون أوّل زائر لقبر الإمام الحسین (ع) فی کربلاء، فهذا السید الجلیل ابن طاووس یقول فی کتابه الملهوف: ولما رجعت نساء الحسین وعیاله من الشام، وبلغوا إلی العراق، قالوا للدلیل: مر بنا علی طریق کربلاء، فوصلوا إلی موضع المصرع، فوجدوا جابر بن عبدالله الأنصاری وجماعه من بنی هاشم ورجالاً من آل الرسول قد وردوا لزیاره قبر الحسین (ع) فوافوا فی وقت واحد وتلاقوا بالبکاء والحزن واللطم، وأقاموا المآتم المقرحه للأکباد، واجتمع علیهم نساء ذلک السواد، وأقاموا علی ذلک أیاماً.

وعن الأعمش عن عطیه العوفی أنه قال: خرجت مع جابر بن عبدالله الأنصاری زائراً قبر الحسین (ع) فلما وردنا کربلاء، دنا جابر من شاطیء الفرات فاغتسل، ثم اتزر بإزار وارتدی بآخر، ثمّ فتح صره فیها سعد، فنثرها علی بدنه، ثم لم یخط خطوه إلاّ ذکر الله

تعالی، حتی إذا دنا من القبر، قال: ألمسنیه، فألمسته إیاه، فخرّ علی القبر مغشیاً علیه، فرششت علیه شیئاً من الماء، فلما أفاق، قال: یا حسین ثلاثاً، ثمّ قال: حبیب لا یجیب حبیبه، ثم قال: أنّی لک بالجواب وقد شخبت أوداجک علی أثباجک، وفرق بین بدنک ورأسک ; أشهد أنّک ابن خیر النبیین، وابن سید المؤمنین، وابن حلیف التقوی، وسلیل الهدی، وخامس أصحاب الکسا، وابن سید النقبا، وابن فاطمه سیده النساء، ومالک لا ـ تکون هکذا، وقد غذتک کفّ سید المرسلین، وربیت فی حجر المتقین، ورضعت من ثدی الإیمان، وفطمت بالإسلام، فطبت حیّاً وطبت میتاً، غیر أن قلوب المؤمنین غیر طیبه بفراقک، ولا شاکّه فی حیاتک، فعلیک سلام الله ورضوانه، وأشهد أنک مضیت علی ما مضی علیه أخوک یحیی بن زکریا.

ثمّ جال ببصره حول القبر وقال:

ألسلام علیکم أیتها الأرواح التی حلّت بفناء الحسین (ع) وأناخت برحله، أشهد أنکم أقمتم الصلاه، وآتیتم الزکاه، وأمرتم بالمعروف، ونهیتم عن المنکر، وجاهدتم الملحدین، وعبدتم الله حتی أتاکم الیقین، والذی بعث محمداً بالحقّ لقد شارکناکم فیما دخلتم فیه.

قال عطیه: فقلت لجابر: فکیف ولم نهبط وادیاً ولم نعل جبلاً ولم نضرب بسیف، والقوم قد فرق بین رؤوسهم وأبدانهم، وأوتمت أولادهم، وأرملت الأزواج؟

فقال لی: یا عطیه سمعت حبیبی رسول الله (ص) یقول: «من أحبّ قوماً حشر معهم»، «ومن أحبّ عمل قوم أشرک فی عملهم»، والذی بعث محمداً۹ بالحقّ إنّ نیتی ونیه أصحابی علی ما مضی علیه الحسین (ع) وأصحابه.

قال عطیه: فبینما نحن کذلک، وإذا سواد قد طلع من ناحیه الشام، فقلت: یا جابر هذا سواد قد طلع من ناحیه الشام، فقال جابر لعبده: انطلق إلی هذا السواد وائتنا بخبره، فإن کانوا من أصحاب عمر بن سعد، فارجع إلینا لعلنا نلجأ إلی ملجأ، وإن کان زین العابدین فأنت حرّ لوجه الله تعالی.

قال: فمضی العبد، فما کان بأسرع من أن رجع وهو یقول: یا جابر قم واستقبل حرم

رسول الله، هـذا زين العابـدين، قـد جـاء بعمّـاته وأخواته، فقـام جابر يمشـى حافى الأقـدام، مكفوف الرأس، إلى أن دنا من زين العابدين(ع)، فقال الإمام: أنت جابر؟

فقال: نعم، يا ابن رسول الله.

فقال: يا جابر ههنا والله قتلت رجالنا، وذبحت أطفالنا، وسبيت نساؤنا، وحرقت خيامنا. (۱)

(إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقاةً)... (۲)

مبـدأ التقيه، مبـدأ راحت تؤكده آيات قرآنيه، وأحاديث ومواقف نبويّه، لست هنا بصدد التعرّض لها; لهذا اضـطر هذا الصـحابى ومن معه وبتأييد من أمّ المؤمنين الصالحه أم سـلمه، إلى العمل به، ففى سـنه أربعين للهجره، بعث معاويه بسـر بن أرطأه فى ثلاثه آلاف، فسار حتى قدم المدينه... فأرسل إلى بنى سـلمه، فقال: والله ما لكم عندى أمان حتى تأتونى بجابر بن عبدالله، فانطلق جابر إلى أمّ سلمه زوج النبى (ص) فقال لها: ماذا ترين، إنّ هذه بيعه ضلاله، وقد خشيت أن أقتل.

قالت: أرى أن تبايع، فأتاه جابر فبايعه، هذا ما ذكره ابن الأثير.

أما ما ذكره اليعقوبى فى تأريخه فأنه قال لأمّ سلمه: إنى خشيت أن أقتل، وهذه بيعه ضلاله.

فقالت: إذاً فبايع. فإنّ التقيه حملت أصحاب الكهف على أن كانوا يلبسون الصلب، ويحضرون الأعياد مع قومهم.

وفى شـرح نهـج البلاـغه لابن أبى الحديـد، عن إبراهيم بن هلال أنه قال: روى عوانه، عن الكلبى ولوط بن يحيى فى خبر إرسال معـاويه بسـراً إلى الحجـاز واليمن، أنّ بسـراً فقـد جـابر بن عبـدالله، فقال: مالى لا أرى جابراً يا بنى سـلمه، لا أمان لكم عنـدى أو تأتونى بجابر، فعاذ جابر بأمّ سلمه، فأرسلت إلى بسر بن أرطأه، فقال: لا أومنه حتى يبايع.

۱- أنظر بشاره المصطفى وغيره.

۲- آل عمران: ۲۸.

فقالت له أمّ سلمه: إذهب فبايع، وقالت لابنها عمر: إذهب، فبايع، فذهبا وبايعا.

وعن جابر نفسه أنه قال: لما خفت بسراً وتواريت عنه، قال لقومی: لا أمان لکم عندی حتی یحضر جابر، فأتونی وقالوا: ننشدک الله لما انطلقت معنا، فبایعت، فحقنت دمک ودماء قومک، فإنک إن لم تفعل قتلت مقاتلینا، وسبیت ذرارینا، فاستنظرتهم إلی اللیل، فلما أمسیت، دخلت علی أمّ سلمه فأخبرتها الخبر، فقالت: یا بنی انطلق فبایع، أحقن دمک ودماء قومک، فإنی قد أمرت ابن أخی أن یذهب فیبایع، وإنی لأعلم أنّها بیعه ضلاله. (۱)

وفاته رضوان الله علیه

اختلفت الأقوال فی تاریخ وفاته، ففی الاستیعاب أنّه توفی سنه ۷۴ه، وقیل سنه ۷۸ه، وقیل سنه ۷۷ه، وفی الإصابه أنّه توفی سنه ۷۳ه، وفی المستدرک للحاکم أنه توفی سنه ۷۹ه.

أما عن عمره، فهناک من یقول إنّه توفی وهو ابن ۹۴ سنه بعد أن ذهب بصره؛ وکانت وفاته فی المدینه المنوّره أیام عبدالملک، یوم أن کان أبان بن عثمان أمیراً علیها، وقد تولّی الصلاه علیه، هذا ویذکر صاحب الإصابه أنه أوصی أن لا یصلی علیه الحجاج الذی شهد جنازته، إلّا أنّ الذهبی ذهب إلی أنّ جابراً توفی والحجاج علی إمره العراق. (۲)

وفی روایه الکشی أنّه کان آخر من بقی من أصحاب رسول الله (ص) وهو ماقاله أیضاً ابن عساکر وغیره، فیما ذکر فی أسد الغابه أنه آخر من مات بالمدینه ممّن شهد العقبه، ویبدو أنّ هذا هو الصحیح کما علیه بعض المحقّقین. (۳)

فسلام علی جابر فی الصالحین

۱- أنظر ابن الأثیر فی تأریخه، حوادث سنه ۴۰ هجریه ؛ وغیره من المصادر التأریخیه.

۲- مختصر تاریخ دمشق ؛ والاستیعاب ؛ والإصابه ؛ وأسد الغابه ؛ وتاریخ الإسلام.

۳- أنظر أعیان الشیعه، للسید محسن الأمین ، جابر بن عبد الله الأنصاری.

(۱۷) عبدالله بن رواحه

اشاره

(مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجالٌ صَدَقُوا ما عاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ)

محمد سليمان

ظلّت ومازالت الصحبه ومدرستها النبويّه المقدّسه، شجرهً طيبه تؤتی أكلها كلّ حين بإذن ربّها، وظلّ الصحابی الصادق المخلص، ومازال غصناً يانعاً مباركاً، وينبوعاً لا يعرف النضوب، ومادام ملتزماً بمبادیء هذه المدرسه الربانيه وبسيرتها وأخلاقها ومناهجها، ومادام وفيّاً لصاحبها ومؤسسها رسول الرحمه محمد بن عبد الله (ص).

فالصحبه نبع ثرّ وبضاعه لا تبور، تغنی تراثنا وأجيالنا، وموائدنا العلميه والعباديه والأدبيه والأخلاقيه من خزينها، وما ورّثته لنا من خير عميم، وعطاء جزيل، وعلم نافع، وتضحيه كبيره... لا يمكننا الاستغناء عنها وعن تاريخها الحافل بكلّ معنی جميل وقيمه عاليه.

أما روّاد هذه المدرسه فقد اختلفت منازلهم، فشأنهم شأن كل التلاميذ والطلبه، منهم الجاد والمخلص فی استيعاب دروسها ومبادئها، ومنهم دون ذلک، ومنهم المتخلّف عنها حتی

صار عالهً عليها بل ظلّ مسيئاً إليها، فالصحابه ليسوا كلّهم فى الفضل سواء، وإن زعمنا هذا فهو ظلم للمدرسه ولصاحبها ولرّوادها المخلصين، وكيف نزعم هذا لهم وقد فضّل الله تعالى الرسل بعضهم على بعض، وهم الأفضل والأكرم والأقرب إليه تعالى من غيرهم، فقال: (تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنا بَعْضَهُمْ عَلى بَعْضٍ)؟! والتفضيل حاله توافق طبيعه الأشياء، فما من شىء فى الدنيا إلّا والتفاضل جار فيه.

ولا يضرّ هذه المدرسه السماويه بل ولا يفيدها من انحرف عنها، وشطّت به قدماه، بعيداً عن أسسها ومتبنياتها، كما لا يضر ذلک فى سمعه الصحابه الآخرين الذين أجزم أنّ بعضهم كان صناعه خاصه، أعدّتهم السماء، واختارتهم وتفضّلت بهم علينا جميعاً، ليصوغوا لنا تأريخاً مليئاً بكلّ معانى الخير، وحاضراً كلّه عطاء، ومستقبلاً زاهراً بالأمل مشرقاً بالحب، بعيداً عن العداوه والبغضاء.

إنّهم بحقّ جيلٌ قد لا يكون له نظير، فيما مضى من تأريخ الرسالات، وفيما هو آت إلّا عند القلّه القليله النادره.

فهيّئتهم هذه المدرسه، وصاغتهم لتبليغ أعظم رساله سماويه، وأعظم دين خاتم للديانات، فغيّروا أمه جاهليه، بل غيروا أمماً أخرى، فتغيّر وجه التاريخ، فاستحقوا بذلک العظيم فى الدنيا والآخره، وغدوا من ورثه جنه النعيم، يتبوأون فيها غرفاً، وينعمون بها، ويمرحون فى بحبوحه منها.

ولا غرابه فى ذلک، بعد أن أحبوا الله ورسوله، وطلبوا رضوانه تعالى، وملئوا شوقاً إلى لقائه، يطلبون الموت ويتحاثّون عليه.

كم كانت تربيتک يا رسول الله لهذه النخبه الطيبه، نافعه خالده!

وكم كان حبّهم واحتفاؤهم بک يا رسول الله عظيماً صادقاً، حتى شهد به أبوسفيان وهو يعيش العداء كلّه والكراهيه كلّها لرسول الله ودينه وصحبه:

ما رأيت من الناس أحداً يحبّ أحداً كما يحبّ أصحاب محمّدٍ محمداً!

ونحن ما إن ننتهى من تاريخ واحد منهم حتى ندخل تاريخاً آخر يكمل الصوره

المشرقه لهذه المدرسه، ولهذه الصحبه، ولما تتوفر عليه من مبادیء وقیم عالیه.

والصحابی الذی بین أیدینا هو واحد من الذین لم یفتأ سیفهم یطارد فلول الوثنیه المقهوره، وأذیالهم المدحوره، وانجلت فروسیته ومضاؤه فی معارک الإسلام الکبری، فی معرکه بدر، وفی معرکه أحد، وفی الخندق، ویوم الحدیبیه، وخیبر، وهو ینتضی سیفیه الباترین کما یعبر السید الجمیلی سیف فی یده، وآخر فی لسانه، فأخذ یحصد أعداءه، ویضرب الباطل فیهم علی أمّ رأسه فی غیر هواده أو رحمه. (۱)

إنّه الصحابی الجلیل، المؤمن المجاهد، والکاتب الشاعر، الخزرجی: عبدالله بن رواحه بن ثعلبه بن امریء القیس بن عمرو بن امریء القیس الأکبر بن مالک بن ثعلبه بن کعب بن الخزرج بن الحارث، هذا نسبه من أبیه، وقد وقع فیه اختلاف.

أمّا نسبه من أمّه، فهی کبشه بنت واقد بن عمرو بن الإطنابه ابن عامر بن زید مناه.

وأمّا کنیته فهو یکنّی ب (أبو محمد)، ویقال له: أبو رواحه، ویقال له أیضاً: أبو عمرو الأنصاری.

إسلامه

کان من الذین منَّ الله تعالی علیهم، یوم العقبه الأولی، حیث شهدها مبایعاً رسول الله (ص) مع نخبه من الخزرج، وشهدها نقیباً حیث کان من الاثنی عشر نقیباً، ولم یکتف بهذا، بل شهد العقبه الثانیه مع جمع کبیر من الأنصار والذین کانوا ثلاثه وسبعین رجلًا وامرأتین.

وکان واحداً ممّن اعترضوا ناقه رسول الله (ص) حین وازنت دار بنی الحارث بن الخزرج وکان هذا یوم اعتراض القبائل فی یثرب لناقه رسول الله (ص) تبتغی نزولها عندها فاعترضها منهم سعد بن الربیع، وخارجه بن زید، وعبدالله بن رواحه فی رجال من بنی

۱- صحابه النبی (ص) ، للدکتور السید الجمیلی: ۲۶۴.

الحارث بن الخزرج، فقالوا: يا رسول الله هلّم إلينا، إلى العدد والعدّه والمنعه، فقال لهم: خلوا سبيلها، فإنها مأموره، فخلوا سبيلها، فانطلقت... وكان له موقف آخر، يتصف بالقوّه والرغبه العظيمه فى سماع آيات القرآن، وما يبشر به رسول الله (ص) وينذر:

فعن زيد بن حارثه قال: ركب رسول الله (ص) إلى سعد بن عباده، يعوده من شكوٍ أصابه على حمار عليه إكاف، فوقه قطيفه فدكيه، مختطمه بحبل من ليف، وأردفنى رسول الله (ص) خلفه، قال: فمرّ بعبدالله بن أبى، وهو فى ظلّ مُزاحم أطمه (الحصن، وأطام المدينه سطوحها...)، وحوله رجال من قومه، فلما رآه رسول الله (ص) تذمم، أى استنكف واستحيا من أن يجاوزه حتى ينزل، فنزل فسلم، ثمّ جلس قليلاً فتلا القرآن، ودعا إلى الله عزّوجلّ، وذكّر بالله وحذّر، وبشر وأنذر; وهو زامّ لا يتكلم، حتى إذا فرغ رسول الله (ص) من مقالته، قال: يا هذا، إنّه لا ـ أحسن من حديثك هذا، إن كان حقاً فاجلس فى بيتك، فمن جاءك له فحدّثه إياه، ومن لم يأتك فلا تغتَّه به (أى لا تثقل عليه) ولا تأته فى مجلسه بما يكره منه.

وهنا انبرى عبدالله بن رواحه قائلاً فى رجال كانوا عنده من المسلمين: بلى، فأغشنا به، وائتنا فى مجالسنا، ودورنا وبيوتنا.

ثمّ واصل كلامه هذا قائلًا:

فهو والله ممّا نحبّ، وممّا أكرمنا الله به وهدانا له.

فما كان من عبدالله بن أبى حيث رأى بعد مقاله عبدالله بن رواحه من خلاف قومه ما رأى، إلاّ أن أنشد قائلًا:

متى ما يكُن مولاك خصمُك لا تزل

تذ لِّ ويصرعك الذين تصارع!

وهل ينهض البازى بغير جناحه

وإن جُذّ يوماً ريشه فهو واقع(۱)

* * *

وكان عبدالله بن رواحه ممّن شهدوا معركه بدر، وهو من الفتيه من الأنصار وهم: عوف

۱– السيره النبويّه، لابن هشام ۲ : ۵۸۶ ۵۸۷.

ومعوّذ بن الحارث وأمّهما عفراء، وعبدالله بن رواحه، خرجوا لمقاتله عتبه بن ربيعه، وشيبه بن ربيعه، والوليد بن عتبه، من رجال قريش المشركين، الذين دعوا المسلمين إلى المبارزه فى أول وقعه بدر الكبرى، فقالوا: من أنتم؟

فقالوا: رهط من الأنصار.

قالوا: ما لنا بكم من حاجه.

ثم نادى مُناديهم: يا محمد، أخرج إلينا أكفاءنا من قومنا.

وكأنهم لم يروا فى فتيه الأنصار أكفاء لهم.

فقال (ص): قم يا عبيده بن الحارث!

وقم يا حمزه!

وقم يا علىّ!

فلما قاموا ودنوا منهم، قالوا: نعم، أكفاء كرام، فبارز عبيده وكان أسنّ القوم عتبه بن ربيعه، وبارز حمزه شيبه بن ربيعه، وبارز على الوليد بن عتبه; فأما حمزه فلم يمهل شيبه أن قتله، وأمّا على (ع) فلم يمهل الوليد أن قتله، واختلف عبيده وعتبه بينهما ضربتين، كلاهما أثبت صاحبه، وكرّ حمزه وعلى بأسيافهما على عتبه فذفّقا عليه، أى أسرعا قتله، واحتملا صاحبهما فحازاه إلى أصحابه.

وفى روايه أنّ عتبه بن ربيعه قال للفتيه من الأنصار وكان منهم كما قلنا ابن رواحه حين انتسبوا: أكفاء كرام، إنما نريد قومنا; (۱) ثم خاض الجميع معركه بدر وحققوا نصراً عظيماً.

وشهد بعد ذلک معارک الإسلام الأخرى، معركه أحد، ومعركه الخندق، ويوم الحديبيه، وخيبر، مقاتلا عنيداً، وشهد مؤته فى غزوه الأمراء أميراً ثمّ شهيداً.

وكان هذا الصحابى الجليل إضافهً إلى كونه شاعراً بارزاً كان كاتباً، فهو من القلّه

۱- أنظر السيره النبويه ۲ : ۶۲۵.

الذین یجیدون الکتابه فی الجاهلیه، حیث کانت الکتابه فی العرب قلیلاً.

وقد کلّفه رسول الله (ص) بمسؤولیات عدیده، منها أنّه قدّمه فی بدر یبشّر أهل العالیه بما فتح الله علیه، والعالیه: بنو عمرو بن عوف، وخطمه، ووائل.

واستخلفه رسول الله (ص) علی المدینه، حین خرج إلی غزوه بدر الوعد.

وبعثه رسول الله (ص) سریّه فی ثلاثین راکباً إلی أسیر بن زارم الیهودی بخیبر فقتله، ثمّ بعثه إلی خیبر خارصاً کما یأتینا.

و ممّاقاله رسول الله (ص) فیه

«رحم الله ابن رواحه، کان أینما أدرکته الصلاه أناخ».

إنّه سیلقی حجّته، فعن أنس أنّه قال:

کنا مع رسول الله (ص) فی سفر فأصابنا مطر ور ِداغ (والردغ والرَدَغه والردّغه: الماء والطین والوحل الکثیر الشدید، والجمع، ر ِداغ وردغ؛ أنظر اللسان: ردغ).

فأمرنا رسول الله (ص) أن نصلی علی ظهور رواحلنا.

قال: ففعلنا، ونزل ابن رواحه، فصلی فی الأرض.

قال: فسعی به رجل من القوم فقال: یا رسول الله أمرت الناس یصلّون علی ظهور رواحلهم ففعلوا، ونزل ابن رواحه فصلی فی الأرض.

قال: فبعث إلیه فقال: لیأتینکم وقد لقی حجّته.

قال: فأتاه، فقال رسول الله (ص): یابن رواحه، أمرتُ الناس أن یصلّوا علی ظهور رواحلهم، نزلت وصلیت فی الأرض!

قال: فقال: یا رسول الله; لأنّک تسعی فی رقبه قد فکّها الله، وإنما أنا نزلت لأسعی فی رقبه لم تفکّ.

فقال رسول الله (ص): ألم أقل لکم إنّه سیلقی حجّته؟!

وفی روایه أخری أنّ رسول الله (ص) خرج فی سریّه، فأدرکته الصلاه وهو علی ظهر،

فصلّی رسول الله (ص) علی ظهر، ونزل ابن رواحه فصلّی بالأرض، ثمّ أتی النبیّ الله (ص)، فقال النبیّ الله (ص): «یابن رواحه، أرغبت عن صلاتی»؟!

قال: لستُ مثلک، إنّک تسعی فی عِتق، ونحن نسعی فی رقّ، فلم یَعِبْ علیه ما صنع.

وقد فرّق أو میّز رسول الله (ص) فی هذا بین ابن رواحه ورجل آخر، حین خرج رسول الله (ص) فی سریه فصلّی بأصحابه علی ظهر، فاقتحم رجل من الناس فصلی علی الأرض، فقال: خالف خالف الله به، فما مات حتی خرج من الإسلام.

وفرق کبیر بین هذا وذاک، فذاک رجل اختبر رسول الله (ص) کما یبدو إیمانه وإخلاصه... فیما ظهر نفاق هذا وبعده عن الإیمان.

ابن رواحه و آیات قرآنیه

فی روایه: لما نزلت الآیه: (وَالشُّعَراءُ یَتَّبِعُهُمُ الْغاوُونَ) (۱)

قال عبدالله بن رواحه: قد علم الله أنّی منهم، فأنزل الله عزّوجلّ: (إِلَّا الَّذِینَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ)؛ حتی ختم الآیه. (۲)

وعن ابن عباس أنّ الآیه المبارکه: (إِلَّا الَّذِینَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ وَذَکَرُوا اللَّهَ کَثِیراً وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ ما ظُلِمُوا). (۳)

نزلت فی جماعه کان منهم عبدالله بن رواحه.

لقد انقبضت أساریر وجهه حیث نزول الآیه الأولی، واغتمّ غمّاً عظیماً وذهبت

به الظنون کلّ مذهب حتی نزلت الآیه الاُخری، التی أزالت عن صدره هذه الظنون وذلک الغم.

وفی قوله تعالی: (یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ ما لا تَفْعَلُونَ * کَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا ما لا تَفْعَلُونَ * إِنَّ اللَّهَ یُحِبُّ الَّذِینَ یُقاتِلُونَ فِی سَبِیلِهِ صَفًّا کَأَنَّهُمْ بُنْیانٌ مَرْصُوصٌ). (۴)

۱- الشعراء: ۲۲۴.

۲- المصدر نفسه: ۲۲۷.

۳- المصدر نفسه.

۴- الصف: ۲۴.

فی نفر من الأنصار منهم عبدالله بن رواحه; قالوا فی مجلس: لو نعلم أی الأعمال أحبّ إلی الله عزّوجلّ لعملنا به حتی نموت، فلما نزلت فیهم، قال ابن رواحه: ولا أزال حبیساً فی سبیل الله عزّوجلّ حتی أموت، فقتل شهیداً رحمه الله علیه.

وفی روایه أنّ رسول الله (ص) دفع إلی نفر من أصحابه فیهم عبدالله بن رواحه یذکرهم الله، فلما رأی رسول الله (ص) سکت، فقال رسول الله (ص) : «ذکّر أصحابک» فقال: یا رسول الله، أنت أحقّ منی.

قال: «أما إنکم الذین أمرنی الله أن أصبر نفسی معهم، ثمّ تلا علیهم: (وَ اصْبِرْ نَفْسَکَ مَعَ الَّذِینَ یَدْعُونَ رَبَّهُمْ) الآیه إلی آخرها. (۱)

قال: وما قعد عِدتکم قط یذکرون الله إلاّ قعد معهم عددهم من الملائکه، فإن حمدوا الله حمدوه، وإن استغفروا الله أمّنوا، ثمّ عرجوا إلی ربّهم، فسألهم وهو أعلم منهم، فقال: أین ومن أین؟

قالوا: ربّنا، عبید لک من أهل الأرض ذکروک فذکرناک.

قال: ویقولون: ماذا؟

قالوا: ربنا حمدوک، فقال: أولُ من عُبد وآخر من حُمد.

قالوا: وسبّحوک.

قال: مدحی لا ینبغی لأحد غیری.

قالوا: کبّروک.

قال: لی الکبریاء فی السموات والأرض، وأنا العزیز الحکیم.

قالوا: ربّنا استغفروک.

قال: إنی أشهدکم أنی قد غفرت لهم.

قالوا: ربنا فیهم فلان وفلان؟!

قال: هم القوم لا یشقی بهم جلیسهم.

۱- الکهف: ۲۸.

وفی الآیه (وَلَأَمَهٌ مُؤْمِنَهٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَهٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ). (۱)

عن ابن عباس أنّها نزلت فی عبدالله بن رواحه، وکانت له أمَه سوداء، وإنّه غضب علیها فلطمها، ثم إنه فزع فأتی النبیّ الله (ص) فأخبره خبرها.

فقال له النبیّ الله (ص): ما هی یا عبدالله؟

قال: هی تصوم، وتصلی، وتحسن الوضوء، وتشهد أن لا إله إلاّ الله وأنک رسوله.

فقال: یا عبدالله هذه مؤمنه.

فقال عبدالله: فوالذی بعثک بالحق لأعتقنّها ولأتزوجنّها، ففعل.

فطعن علیه ناسٌ من المسلمین وقالوا: نکح أَمَه، وکانوا یریدون أن یُنکحوا إلی المشرکین ویُنکحوهم رغبهً فی أحسابهم.

فأنزل الله تعالی فیهم: (وَلَأَمَهٌ مُؤْمِنَهٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَهٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ).

ابن رواحه ثالث ثلاثه شعراء

کان ابن رواحه شاعراً مجیداً، وقد نقل لنا الرواه مقاطع من شعره، و عَدّوه واحداً من ثلاثه شعراء عرفتهم الصحبه النبویه المبارکه، ونالوا منها حظاً وافراً، وموقعاً إعلامیاً ضروریاً، لا تستغنی عنه أی حرکه تغییریه خاصه فی بیئه کتلک التی احتلّ فیها الأدب والشعر بالذات مکانهً مرموقهً، بل دخل کلّ معالم ومفاصل حیاتهم ونواحیها المتعدده، حتی غدا وسیلتهم الإعلامیه الأولی والمحببه، التی یتجاوبون ویتفاعلون معها، فهی التی تخاطب عقولهم وقلوبهم ومشاعرهم، کما أنهما، أی الشعر والنثر إضافه الی أنهما وسیلتان إعلامیتان مهمتان مدرستان تثقیفیتان متنقلتان، تربیان النفوس، بما تحملانه من معان حسنه أو سیئه; لهذا ولغیره راحت المدرسه النبویّه تستثمرهما بعد تهذیبهما من شوائب الجاهلیه فی خدمه الإسلام ودعوته الخالده، وبأیامها ومواقعها المشهوده.

۱- البقره: ۲۲۱.

فكـان عبـدالله بن رواحه، وهو الـذى عرف فى أوسـاطهم بكونه شـاعراً من الطراز الأول، راحت كتب التأريـخ والأدب تـذكر لنا شعره وأراجيزه وهو يقاتل، وهو يطوف، وهو يدعو إلى الله تعالى، وهو يهاجم أعداء الله ورسوله... واحداً من ثلاثه شعراء عرفتهم الصحبه النبويه، وعرفهم العصـر الأول للإسـلام ودعوته، وهم: حسان بن ثابت، وكعب بن مالك، وثالثهم الصـحابى الجليل ابن رواحه.

وفى جوابه عن سؤال يقال: إنّ رسول الله (ص) وجهه له يوماً:

ما الشعر؟

قال: شيء يختلج فى صدر الرجل، فيخرجه على لسانه شعراً.

قال: فهل تستطيع أن تقول شيئاً الآن؟

فنظر فى وجه رسول الله (ص) فقال: نعم، فأنشد من البسيط ثمانيه أبيات منها:

إنّى توسمت فيك الخير نافلهً

والله يعلم إنى ثابت البصر

فثبت الله ما آتاك من حسن

تثبيت موسى ونصراً كالذى نصروا

وعنه رحمه الله أنّه قال: مررت ب النبيّ الله (ص) وهو جالس فى نفر من أصحابه، فأضب القوم (أى تكلموا متتابعاً): يا عبدالله بن رواحه، يا عبدالله بن رواحه، فعرفت أنّ رسول الله (ص) دعانى، فانطلقت إليهم مسرعاً، فسلّمت.

فقال: ها هنا، فجلست بين يديه.

فقال كأنه يتعجب من شعرى : كيف تقول الشعر إذا قلت؟

قلت: أنظر فى ذلك ثمّ أقول.

فقال: فعليك بالمشركين.

قال: ولم أكن أعددت شيئاً، فأنشدته، فلما قلت:

فخيّرونى أثمان العَباءِ متى

كنتم بطاريق أو دانت لكم مضرُ

قال: فكأنى عرفت فى وجه رسول الله (ص) الكراهيه أن جعلت قومه أثمان العباء، فقلت:

نُجالد الناس عن عُرض فنأسِرُهم

فينا النبى وفينا تُنزل السور

وقد علمتهم بأنّا ليس يغلبنا

حيّ من الناس إن عَزّوا وإن كثروا

يا هاشم الخير إنّ الله فضّلكم

على البريّه فضلاً ماله غيرُ

إنى تفرّست فيك الخير أعرفه

فراسةً خالفتهم فى الذى نظروا

ولو سألت او استنصرت بعضهم

فى جلّ أمرك ما آوَوا ولا نُصروا

فثّبت الله ما آتاك من حسن

تثبيت موسى ونصراً كالذى نصروا

فأقبل علىّ بوجهه متبسّماً ثم قال (ص) : «وإيّاك فثبت الله».

وتصدى ثلاثه من كفار قريش وهم: أبوسفيان بن الحارث، وعمرو بن العاص، وابن الزبيرى، ليهجوا رسول الله (ص) وأصحابه.

فقال قائل لعلىّ: أُهج عنا هؤلاء القوم الذين قد هجونا.

فقال على: «إن أذن لى رسول الله (ص) فعلت».

فقال الرجل: يا رسول الله، أتأذن لعلى كيما يهجو عنا هؤلاء القوم الذين قد هجونا؟

فقال: ليس هناك... ثم قال للأنصار: ما يمنع القوم الذين قد نصروا رسول الله (ص) بسلاحهم وأنفسهم أن ينصروه بألسنتهم؟

فقال حسان بن ثابت: أنا لها يا رسول الله وأخذ بطرف لسانه، فقال: والله ما يسرنى به مقولاً بين بصرى وصنعاء.

فقال له رسول الله (ص): وكيف تهجوهم وأنا منهم؟

فقال: إنى أسلُّك منهم كما تُسلّ الشعره من العجين.

فكان يهجوهم ثلاثه من الأنصار يجيبونهم: حسان بن ثابت، وكعب بن مالك، وعبدالله بن رواحه.

فكان حسان بن ثابت وكعب بن مالك يعارضانهم بمثل قولهم بالوقائع والأيام والمآثر ويعيّرانهم بالمثالب.

وكان عبدالله بن رواحه يعيّرهم بالكفر وينسبهم إلى الكفر، ويعلم أنّه ليس فيهم شرّ من الكفر.

وکـانوا فی ذلـک الزمـان أشـدّ القـول علیهم قول حسـان بن ثـابت وکعب بن مالـک، وأهون القول قول عبـدالله بن رواحه؛ فلما أسلموا وفقهوا الإسلام کان أشدَّ القول علیهم قول عبدالله بن رواحه.

وفی یوم الخنـدق، حیث کان رسول الله (ص) ینقل التراب حتّی واری التراب شـعر صـدره المبارک، راح عبـدالله بن رواحه هذا الصحابی الجلیل یرتجز قائلًا:

أللهم لولا أنت ما اهتدینا

ولا تصدقنا ولا صلینا

فأنزلنْ سکینهً علینا

وثبّت الأقدام إن لاقینا

إنّ الأولی قد بغوا علینا

وإن أرادوا فتنهً أبینا

وکان ارتجازه هذا تلبیه لأمر رسول الله (ص) حینما قال له: أنزل فحرک بنا التراب.

وبعد أن أنشد أرجوزته المذکوره دعا رسول الله (ص) له قائلًا: «أللهم ارحمه».

وفی شعره وهو یمدح رسول الله (ص) حین یقول:

وفینا رسول الله یتلو کتابَهُ

إذا انشقّ معروف من الفجر ساطع

یبیتُ یجافی جنبه عن فراشه

إذا استثقلت بالمشرکین المضاجع

أرانا الهدی بعد العمی فقلوبنا

به موقنات أنّ ما قال واقع

هذا لعمری من معاریض الکلام...

ونسب لهذا الصحابى لطائف أضحكت رسول الله (ص):

فقـد كانت لعبـدالله بن رواحه جاريه يستسـرّها سـرّاً عن أهله، فبصـرت به امرأته يوماً قد خلا بها، فقالت: لقد اخترتَ أَمَتک على حُرّتک، فجاحدها ذلک.

قالت: فإن كنت صادقاً فاقرأ آيه من القرآن، وفى روايه: وقد عهدته لايقرأ القرآن وهو جنب.

فقال من الوافر:

شهدتُ بأنّ وعدَ الله حقٌّ

وأنّ النار مثوى الكافرينا

قالت: فزدنى آيه أخرى، فقال:

وأنّ العرشَ فوقَ الماء طاف

وفوق العرشِ ربُّ العالمینا

فقالت: زدنی آیه أخری، فقال:

وتحملُهُ ملائکهٌ کرامٌ

ملائکهُ الإلهِ مقرَّبینا

وفی دیوانه... شدادٌ... مؤمنینا

فقالت: آمنت بالله وکذبت بصری.

فأتی ابن رواحه رسول الله (ص) فحدّثه، فضحک رسول الله (ص) ولم یغیّر علیه.

وزاد فی روایه بمعناه، فقالت له: أما إذا قرأت القرآن، فإنّی قد عرفت أنه مکذوب علیک.

فافتقدته ذات لیله، فلم تجده علی فراشها، فحبست نفسها، فلم تزل تطلبه حتی قدرت علیه فی ناحیه الدار، فقالت: الآن صدقت فیما بلغنی، فجحدها، فقالت: اقرأ الآیات من القرآن إن کنت صادقاً، فإنک إن کنت جنباً لم تقرأ، فقال من الطویل:

وفینا رسول الله یتلو کتابه

إذا انشقّ معروف من الصبح ساطعُ

لبیت یجافی جنبه عن فراشه

إذا استثقلت بالکافرین المضاجعُ

أتی بالهدی بعد العمی فقلوبنا

له موقنات أن ما قال واقعُ

وأعلم علماً لیس بالظنّ أننی

إلی الله محشورٌ هناک وراجعُ

فحدث رسول الله (ص) بذلک، فاستضحک حتی ردّ یده علی فیه، وقال:

«هذا لعمری من معاریض الکلام، یغفر الله لک یابن رواحه، إن خیارکم خیرکم لنسائکم».

فأخبرنی ماالذی ردّت علیک، حیث قلت ما قلت؟

قال: قالت لی: الله بینی وبینک، أما إذ قرأت القرآن فإنی أتهم ظنی وأصدقک.

فقال رسول الله (ص) : «لقد وجدتها ذات فقه فی الدین».(۱)

۱- أنظر مختصر تاریخ دمشق ۱۲: ۱۵۸۱۵۹.

ابن رواحه فی عمره القضاء

بعد رجوعه۹ إلی المدینه من خیبر منتصراً، أقام فی المدینه شهری ربیع وجُمادَیین ورجباً وشعبان ورمضان وشوالاً، ثمانیه أشهر، وکان یبعث فیما بین ذلک من غزوه وسرایاه۹.

بعدها خرج۹ من المدینه فی شهر ذی القعده من سنه سبع للهجره النبویه، قاصداً مکه معتمراً عمره القضاء، بعد أن صدّه مشرکو مکه عنها عام الفتح فی شهر ذی القعده سنه ستّ، وسمّی شهر الصدّ، وهو من الأشهر الأربعه الحرم، ثلاثه سردٌ أی متتابعه (ذوالقعده وذوالحجّه والمحرم، وواحد فرد وهو رجب).

فیما سمّیت عمره شهر ذی القعده من العام السابع بعمره القِصاص، لأنّ المشرکین صدّوا رسول الله (ص) فی شهر ذی القعده فی الشهر الحرام من سنه ستّ، فاقتص رسول الله (ص) منهم، فدخل مکه فی الشهر نفسه الذی صدّوه فیه من سنه سبع، وقد أنزل الله تعالی فی ذلک: (وَالْحُرُماتُ قِصاصٌ). (۱)

وقد خرج مع رسول الله (ص) المسلمون ممّن کان صدّ معه فی عمرته، وعدّتهم کانت ألفین سوی النساء والصبیان.

وحین دخل رسول الله (ص) مکه فی عُمره القضاء هذه دخلها وکان الصحابی الجلیل عبدالله بن رواحه آخذاً بخطام ناقه رسول الله وهو یرتجز قائلاً:

خلّوا بنی الکفار عن سبیله

خلّوا فکلّ الخیر فی رسوله

یا ربّ إنّی مؤمن بقیله(۲)

أعرف حقّ الله فی قبوله

نحن قتلناکم علی تأویله

کما قتلناکم علی تنزیله(۳)

ضرباً یزیل الهام عن مقیله

ویُذهل الخلیل عن خلیله

۱- البقره: ۱۹۴.

٢- بقيله: أى قوله.

٣- أى نحن نقاتلكم على إنكار تأويله، كما قتلناكم على إنكار تنزيله.

والـذی یبـدو أنّ (نحن قتلناکم علی تأویله... ویـذهل الخلیل عن خلیله) کانت للصـحابی الجلیل عمار بن یاسـر رضوان الله علیه، ارتجز بهمـا فی غیر هـذا الیوم أی یوم معرکه صـفین التی دارت رحاها بین جیش الإمام علی (ع)، وجیش البغاه بقیاده معاویه بن أبی سفیان، وقد استشهد فیها عمار بن یاسر رحمه الله تعالی.

والـدلیل علی هـذا، وهو مـا ذکره ابن هشـام صاحب السیره، أنّ ابن رواحه إنما أراد المشـرکین، والمشـرکون لم یقرّوا بالتنزیل، وإنّما یُقتل علی التأویل من أقرّ بالتنزیل. (۱)

ویقال: إن عمر بن الخطاب قال: یا بن رواحه، فی حرم الله وبین یدی رسول الله (ص) تقول هذا الشعر؟

فقال رسول الله (ص): خلّ عنه یا عمر، فوالذی نفسی بیده لکلامه أشدّ علیهم من وقع النبل. (۲)

وبینمـا کـان رسول الله (ص) یطوف بـالبیت فی عمره القضـاء علی بعیر له، یسـتلم الرکن بمحجن، کان عبـدالله بن رواحه آخـذاً بغرزه، وینشد بین یدیه من أرجازه:

یارب لولا أنت ما اهتدینا

ولا تصدّقنا ولا صلینا

فأنزلن سکینهً علینا

وثبت الأقدام إن لاقینا

إنّ الذین قد بغوا علینا

وإن أرادوا فتنهً أبینا

هـذا ما ذکره السـید الجمیلی فی کتابه صـحابه النبی (ص)، دون أن یـذکر مصـدر هـذا الشعر، فیما ذکر صاحب مختصـر تاریخ دمشق وقال: إنّ هذه الأبیات کانت لابن رواحه یوم الخندق.

کما ذکرناها فی حفر الخندق.

إذن فعبدالله بن رواحه کان حاضـراً عمره القضاء، ولم یحضـر فتح مکه فی شـهر رمضان سـنه ثمان من الهجره، لأنّه استشـهد فی جمادی الأولی من السنه نفسها فی معرکه مؤته، فما

۱- أنظر السیره النبویه، لابن هشام ۴ : ۱۳.

٢- أنظر مختصر تاريخ دمشق ١٢ : ١٥٥.

نسب إليه من أشعار كان خطأً، والـذى يبـدو أن كعب بن مالك هو الـذى كان يرتجز بين يـدى رسول الله (ص) فى فتـح مكه، وليس عبدالله بن رواحه. (۱)

من حكمه رضوان الله عليه

اتّسـمت مواقفه وأحاديثه بالحكمه والموعظه الحسـنه، وطالما كان يذكر إخوانه وأصـحابه بما يرضى الله تعالى، وبما يشدّهم إلى ذكره سبحانه، فعن أبى الدرداء أنّه قال:

أعوذ بالله أن يأتى علىّ يوم، لا أذكر فيه عبدالله بن رواحه.

وراح أبو الدرداء يواصل حديثه عن إيمان ابن رواحه وحبّه لمجالس التفكر والذكر قائلًا:

كان إذا لقينى مقبلًا، ضـرب بين ثـديىّ، وإذا لقينى مدبراً ضـرب بين كتفىّ، ثمّ يقول: يا عويمر، اجلس بنا فلنؤمن ساعه، فنجلس فنذكر الله ما شاء، ثمّ يقول: يا عُويمر، هذه مجالس الإيمان، إن مثل الإيمان مثل قميصك، بينا أنت قد نزعته إذ لبسـته، وبينا أنت قد لبسته إذ نزعته، يا عُويمر، للقلب أسرع تقلّباً من القدر إذا استجمعت غلياً. (۲)

ويقـال: إنّ عبـدالله بن رواحه وقبـل غزوه مؤته كـان قـد مرض مرضـاً شديـداً، حتى أغمى عليه، فكـانت أخته عمره تعـدّد مـآثره وتبكيه، فلما أفاق، قال لأخته: ما قلتِ فىّ شيئاً إلاّ أنبونى ووبخونى، أى فلا تنبغى النياحه.

ونقل أنّه فى مرضه هذا، عاده النبىّ الله (ص) وهو مغمى عليه، فقال (ص) : «أللّهم إن كان أجله قد حضر، فيسر عليه وإلاّ فاشفه».

فوجد خفّهً وأفاق.

فقال: كأنّ ملكاً قد رفع مرزبه من حديد، (وكأنّه ردّ على نياحه أخته وتعدادها لمناقبه ومآثره)، ويقول: أأنت كذا؟

۱- أنظر مختصر تاريخ دمشق ۱۲ : ۱۵۵.

۲- المصدر نفسه ۱۲ : ۱۵۷ ۱۵۸.

فلو قلتُ: نعم، لقمعنی بها.

کلّ هذا کان دلیلاً ـ علی عدم رضاه عن ذکر مناقبه، وکان دلیلاً علی تواضعه وزهده فی شأن الدنیا ومراتبها، حتی وإن کان جدیراً بها وأنّه ینالها بحقّ.

موقفان لابن رواحه مع یهود خیبر

الموقف الأول: غزا عبدالله بن رواحه یهود خیبر بأمر من رسول الله (ص)، وقد أصاب فیها یُسیر بن رزام، الذی کان یبذل جهوداً کبیره فی تجمیع قبائل غطفان، استعداداً لغزو رسول الله (ص) فما کان من رسول الله (ص) إلّا أن بعث إلیه عبدالله بن رواحه فی نفر من أصحابه، منهم عبدالله بن أنیس حلیف بنی سلمه، فلما قدموا علیه کلّموه، وواعدوه، وقرّبوا له، وقالوا له: إنک إن قدمت علی رسول الله (ص) استعملک وأکرمک.

فلم یزالوا به حتی خرج معهم فی نفر من یهود، فحمله عبدالله بن أنیس علی بعیره وردفه، حتی إذا کان بالقرقره من خیبر، علی سته أمیال، ندم الیسیر بن رزام علی مسیره إلی رسول الله (ص). ففطن له عبدالله بن أنیس وهو یرید السیف، فاقتحم به، ثمّ ضربه بالسیف فقطع رجله، وضربه الیسیر بمخرش فی یده من شوقط، فأمّه فی رأسه، وقتل الله یُسیراً، ومال کل رجل من أصحاب رسول الله (ص) علی صاحبه من یهود فقتله، إلاّ ـ رجلاً ـ واحداً أفلت علی رجلیه أو علی راحلته، فلما قدم عبدالله بن أنیس علی رسول الله (ص) تفل أی بصق بصاقاً خفیفاً علی شجّته، فلم تقح ولم تؤذه.

الموقف الثانی: فکما کان ابن رواحه عظیماً فی إیمانه، شجاعاً فی جهاده، کان عظیماً فی عفّته، شجاعاً فی عدله وزهده.

ففی روایه، أنّ رسول الله (ص) قاتل أهل خیبر حتی ألجأهم إلی قصرهم،... وکان عبدالله بن رواحه یأتیهم بأمر من رسول الله (ص) فی کلّ عام فیُخرصها(۱)علیهم، ثمّ یضمنهم الشطر،

۱- الخرص: خرص الشیء فهو خارص: أی حزر الشیء وقدره بالظن، یقال: خرص النخل والکرم: حَزرَ ما علیه من الرطب تمراً، ومن العنب زبیباً، وفی الحدیث: «أنّه (ص) أمر بالخَرص فی النخل والکرم خاصه». اُنظر مصادر اللغه.

فشكوا إلى رسول الله (ص) شدّه خرصه، وأرادوا أن يرشوه، فقال: يا أعداء الله، تطعمونى السُّحت، والله لقد جئتكم من عند أحبّ الناس إلى، وأنتم أبغض إلى من عدَّتكم من القرده والخنازير، ولا ـ يحملنى بغضى إياكم وحبّى إياه على أن لا ـ أعدل عليكم.

فكان جوابهم أن قالوا له: بهذا قامت السماوات والأرض.

فيما هناك روايه أخرى بهذا الخصوص تقول:

إنّهم جمعوا حُليّاً من حُليّ نسائهم، فقالوا:

هذا لك، وخفّف عنا وتجاوز فى القسم.

فما كان جواب بن رواحه، الذى اتّسم موقفه هذا، كما مواقفه الأخرى بالشدّه المتصفه بالعدل والحق، إلّا أن أجابهم بقوله: يا معشر يهود، والله إنكم لمن أبغض خلق الله إلىّ، وما ذلك بحاملى على أن أحيف عليكم، وأمّا الذى عرضتم علىَّ من الرشوه، فإنها سُحتٌ وإنّا لا نأكلها.

قالوا: بهذا قامت السماوات والأرض. (۱)

ابن رواحه ثالث ثلاثه أمراء!

«هى إن شاء الله الشهاده!»

فى جمادى الأولى سنه ثمان للهجره النبويه، وفى قريه من أرض البلقاء من الشام، وقعت معارك طاحنه اتّسمت بالضراوه والشدّه بين جيش المسلمين وتعداده ثلاثه آلاف تحت إمرهِ ثلاثه من الأمراء المسلمين، حتى سميت هذه الغزوه بغزوه جيش الأمراء، حيث خاضوا معركه لم يخض المسلمون معركه مثلها كما وصفت، وكان أعداء المسلمين من المشركين الروم، قد ادّرعوا بالعتاد والأعداء، ما يملأ السهل والجبل، وما لا طاقه للمسلمين به.

وكان الصحابى عبدالله بن رواحه أحد أمراء هذا الجيش المسلم الثلاثه، الذين عينهم

۱- السيره النبويه، لابن هشام ۴ : ۲۶۶ ؛ تاريخ الطبرى ۲ : ۲۰۸ ؛ ومختصر تاريخ دمشق ۱۲: ۱۵۷.

رسول الله (ص).

تقول الروايه:

بعث رسول الله (ص) بعثه إلى مؤته فى جمادى الأولى سنه ثمان، واستعمل عليهم زيدَ بن حارثه وقال:

«إن أُصيب زيد فجعفر بن أبى طالب على الناس، فإن أُصيب جعفر فعبدالله بن

رواحه على الناس، وزاد الزرقانى: فإن قتل فليتربص المسلمون برجل من بينهم يجعلونه عليهم».

فتجّهز النـاس ثمّ تهيئوا للخروج، وهم ثلاـثه آلاـف، فلما حضـر خروجهم ودّع الناسُ أمراء رسول الله (ص)، وسـلّموا عليهم، فلما ودّع عبدالله بن رواحه مع من ودع من أمراء رسول الله (ص) بكى؛ فقالوا:

ما يبكيك يابن رواحه؟ أو أنهم زعموا أنّ ابن رواحه بكى حين أراد الخروج إلى مؤته، فبكى أهله حين رأوه يبكى.

فقال: أمَا والله ما بى حبُّ الدنيا ولا صبابه بكم، أو والله ما بكيت جزعاً من الموت ولاصبابه لكم، ولكنى سمعت رسول الله (ص) يقرأ آيهً من كتاب الله عزّ وجلّ، يذكر فيها النار: {وَإِنْ مِنْكُمْ إِلاَّ وارِدُها كانَ عَلى رَبِّکَ حَتْماً مَقْضِيًّا} أو أنىّ بكيت من قول الله: (الآيه) فقـد علمتُ أنى وارد النار، ولا أدرى أو فلستُ أدرى كيف لى بالصَّدر بعـد الورود، أو فأيقنت أنّى واردها ولم أدرِ أنجو منها أو لا؟!

فقال المسلمون: صحبكم الله ودفع عنكم، وردّكم إلينا صالحين.

وهنا أنشد عبدالله بن رواحه:

لكننى أسأل الرحمن مغفرهً

وضربه ذات فرغ تقذف الزبدا(۱)

أو طعنهً بيدى حرّان مُجهزهً

بحربه تُنفذ الأحشاءَ والكبدا(۲)

۱- ذات فرغ: ذات سعه؛ والزبد هنا: رغوه الدم.

۲- مجهزه سريعه القتل؛ تنفذ الأحشاء: تخترقها.

حتی یُقال إذا مرّوا علی جَدَثی

أرشده الله من غاز وقد رشدا(۱)

ثمّ إن القوم تهیّئوا للخروج، فأتی عبدالله بن رواحه رسول الله (ص) فودعه، ثمّ قال:

فثبت الله ما آتاک من حَسَن

تثبیت موسی ونصراً کالذی نُصروا

إنی تفرّست فیک الخیرَ نافلةً

اللهُ یعلم أنی ثابت البصر

أنت الرسول فمن یُحرم نوافله

والوجهَ منه فقد أزری به القدر

وفی روایه:

أنت الرسول فمن یحرم نوافله

والوجهَ منه فقد أزری به القدر

فثبت الله ما آتاک من حسن

فی المرسلین ونصراً کالذی نُصروا

إنی تفرّست فیک الخیرَ نافلةً

فراسةً خالفت فیک الذی نظروا

یعنی المشرکین، وهذه الأبیات فی قصیده له.

قال ابن إسحاق: ثمّ خرج القوم، وخرج رسول الله (ص) حتی إذا ودّعهم وانصرف عنهم، قال عبدالله بن رواحه:

خلَفَ السلامُ علی امریء ودّعته

فی النخل خیرَ مُشیّع وخلیل

لمّا ودع رسول الله (ص) عبدالله بن رواحه، قال ابن رواحه: یا رسول الله، مرنی بشیء أحفظه عنک.

قال: «إنک قادم غداً بلداً، السجود فیه قلیل، فأکثر السجود»؛ قال عبدالله بن رواحه: زدنی یا رسول الله.

قال: «أذکر الله فإنه عون لک علی ما تطالب».

فقام من عنده، حتی إذا مضی ذاهباً، رجع إلیه فقال: یا رسول الله، إنّ الله وتر یحب الوتر.

قال: یابن رواحه، ما عجزت فلا تعجزن إن أسأت عشراً أن تحسن واحده.

فقال ابن رواحه: لا أسألک عن شیء بعدها.

۱- الجدث والجدف: القبر.

ویقول زید بن أرقم، وکان یتیماً فی حجر عبدالله بن رواحه:

فلم أرَ والی یتیم خیراً منه.

وقد خرج معه فحمله علی حقیبه رحله، وخرج به غازیاً إلی مؤته، فسمعه زید وهو یتمثل أبیاته التی قال فیها مخاطباً ناقته:

إذا أدنیتنی وحملت رحلی

مسیره أربع بعد الحِساء(۱)

فشأنک فانعمی وخلاکِ ذمٌّ

ولا أرجع إلی أهلی ورائی

وجاء المؤمنون وغادرونی

بأرض الشام مشتهی الثواء

وردّک کلّ ذی نسب قریب

إلی الرحمن وانقطع الإخاء

هنالک لا أبالی طلع نخل

ولا بعل أسافلها رِداء(۲)

(أی إذا استشهدت لم أبال ِما ترکت من عِذْی النخل وسقیه). (۳)

فلما سمعه زید بکی فخفقه بالدره، وقال: ما علیک یا لکع أن یرزقنی الله الشهاده، وترجع بین شعبتی الرحل.

وراح ابن رواحه یرتجز لزید قائلًا:

یا زیدُ زیدَ الیعملات الذبلِ

تطاولَ اللیلُ هُدیتَ فانزلِ

أی انزل فسُق القوم.

وفى حـديث آخر بهذا المعنى: ثمّ نزل من الليل فصـلّى ركعتين، ثمّ دعا فيهما دعاءً طويلًا ثمّ قال لى: يا غلام، فقلت: لبيك قال: هى إن شاء الله الشهاده.

ثمّ مضوا حتى نزلوا معـان من أرض الشـام، فبلغ النـاسُ أن هرقـل قـد نزل مـآب من أرض البلقـاء فى مأه ألف من الروم، وانضـم إليهم من لحم وجُذام والقين وبهداء وبلى مأه ألف منهم، عليهم رجل من بلى ثمّ أحد إراشه يقال له: مالك بن زافله.

١- الحساء: موضع، معجم البلدان، وأنظر لسان العرب: حسا.

٢- البعل: ما شرب بعروقه من الأرض، أنظر اللسان، بعل.

٣- عذا: والعذى من النبات: البعل.

فلما بلغ ذلک المسلمین أقاموا علی معان لیلتین یفکرون فی أمرهم، وقالوا: نکتب إلی رسول الله (ص) فنخبره بعدد عدونا، فإما أن یُمدنا بالرجال، وإما أن یأمرنا بأمره، فنمضی له.

فشجّع الناسَ عبدُالله بن رواحه، وقال:

یا قوم، والله إن التی تکرهون للّتی خرجتم تطلبون الشهاده، وما نقاتل الناس بعدد ولا قوه ولا کثره، ما نقابلهم إلاّ بهذا الدین الذی أکرمنا الله به، فانطلقوا فإنما هی إحدی الحسنیین:

إما ظهور

وإما شهاده

وفی روایه أنهم فی سیرهم إلی تبوک إذ هم بناحیه معان، بضمّ المیم أو فتحها، وهی مدینه فی طریق بادیه الشام تلقاء الحجاز من نواحی البلقاء، وهی من أرض الشَّراه، والشراه: صقع بالشام بین دمشق ومدینه الرسول (ص). (۱)

وهم بهذه الناحیه مُعان، أخبروا أنّ الروم قد نُذروا أی علموا، وجمعوا لهم جموعاً

کثیره من الروم وقضاعه وغیرهم من نصاری العرب، فاستشار زید بن حارثه أصحابه فقالوا:

قد وطئت البلاد وأخفت أهلها، فانصرف، فإنّه لا یعدل العافیه شیء.

وعبدالله ساکت، فسأله زید بن حارثه فقال: إنّا لم نسر إلی هذه البلاد، ونحن نرید الغنائم، ولکنا خرجنا نرید لقاءَهم، ولسنا نقاتلهم بعدد ولا عدّه، فالرأی المسیر إلیهم.

فقبل زید رأیهُ وسار إلیهم. (۲)

فقال الناس: قد والله صدق ابنُ رواحه ; فمضی الناس، فقال عبدالله بن رواحه فی مَحبسهم ذلک:

۱- أنظر معجم البلدان.

۲- أنظر مختصر تاریخ دمشق ۱۲: ۱۶۲۱۶۳.

جلبنا الخيل من أجاء وفرع

تُغَرُّ من الحشيش لها العُكومُ(۱)

حَذَوناها من الصَّوّان سِبْتاً

أزلَّ كأن صَفحتَه أد ِيم(۲)

أقامت ليلتين على مَعان

فأعقِبَ بعد فترتها جُمُوم(۳)

فرُحنا والجيادُ مسوّمات

تنفَّس فی منافرها السموم(۴)

فلا وأبی مآب لنأتينها

وإن كانت بها عربٌ وروم(۵)

فعبأنا أعنتها فجاءت

عوابسَ والغبارُ لها بريم(۶)

بذی لجب كأنّ البيض فيه

إذا برزت قوانسُها النجوم(۷)

فراضيهُ المعيشه طلّقتْها

أسنَّتُها فتَنكحُ أو تئيم(۸)

حتى إذا كان جيش المسلمين بتخوم البلقاء، لقيتهم جموع هرقل من الروم والعرب بقريه من قرى البلقاء يقال لها مشارف، ثمّ دنا العدوّ، وانحاز المسلمون إلى قريه يقال لها مؤته، فالتقى

۱- أجأ: أحد جبلی طیء، والآخر سلمی؛ وفرع (بالفتح): اسم موضع من وراء الفرك؛ وقال ياقوت: الفرع: أطول جبل بأجأ

وأوسطه؛ والظاهر أن هـذا هو المراد هنا؛ وتغر بالغين المعجمه: تطعم شـيئاً بعد شـيء. يقال: غر الفرج غرا وغراراً: زفه؛ والعكوم: جمع عكم بالفتح وهو الجنب؛ ويروى: جلبتا الخيل من أجام قُرح، وقرح: سوق وادى القرى، كما عنـد ياقوت وقـد ذكره منسوباً إلى ابن رواحه.

٢- حـذوناها: جعلنـا لهـا حـذاء وهـو النعـل؛ والصـوان: حجـاره ملس واحـدتها: صوانه؛ والسـبت: النعـال الـتى تصـنع من الجلود المـدبوغه؛ وأزل أى أملس صـفحته ظاهره؛ والأديم: الجلـد، هـذا ما قاله أبوذر، فيما قال السـهيلى: أى حـذوناها نعالاً من حديد، جعله سبتاً لها مجازاً، وصوان: من الصون، يصون حوافرها أو أحقافها، إن أراد الأبل فقد كانوا يجذونها السريح، وهو جلد يصون أخفافها؛ وأظهر من هذا أن يكون أراد بالصوان يبيس الأرض، أى لا سبت لها إلاّ ذلك.

٣- الفتره: الضعف والسكون، والجموم: اجتماع القوّه والنشاط بعد الراحه.

٤- مسومات: مرسلات؛ والسموم: الريح الحاره.

٥- مآب: اسم مدينه فى طرف الشام من نواحى البلقاء؛ قال السهيلى: يجوز نصبه بفعل مقدر، أو مرفوع على الابتداء.

٦- البريم فى الأصـل: خيطـان مختلطـان أحمر وأبيض، تشـدّهما المرأه على وسـطها أو عضـدها؛ وكل ما فيه لونان مختلطان فهو بريم أيضاً؛ يريـد ما علاها من الغبار، فخالط لونه لونها؛ والـدمع المختلط بالإثمـد؛ وهـذا أقرب لمعنى البيت: أى أن دموع الخيل اختلطت بالتراب فصارت كالبريم.

٧- ذى لجـب: أى جيش؛ واللجـب: اختلاـط الأـصوات وكثرتهـا والـبيض: مـا يوضـع على الرأس من الحديـد؛ والقـوانس: جمع قونس، وهو أعلى البيضه.

٨- وتئيم: تبقى دون زوج، يقال: آمت المرأه إذا لم تتزوج.

الناس عندها، فتعبأ لهم المسلمون، فجعلوا على ميمنتهم رجلاً من بنى عُـذره يقال له: قطبه بن قتاده، وعلى ميسرتهم رجلاً من الأنصار يقال له: عُبابه بن مالك، أو عباده بن مالك.

ثمّ التقى الناسُ واقتتلوا، فقاتل زيد بن حارثه برايه رسول الله (ص)، حتى شاط (أى سال دمه فهلك) فى رماح القوم.

ثمّ أخذها جعفر فقاتل بها، حتى إذا ألحمه القتال اقتحم عن فرس له شقراء (أى رمى بنفسه عنها) فعقرها، ثم قاتل حتى قُتل، فكان جعفر رضوان الله عليه أول رجل من المسلمين عَقَر فى الإسلام؛ (وعلى فرض صحّه هذا الخبر، فقد يكون المبرر لعقرها هو خوفه من أن يأخذها العدو فيقاتل عليها المسلمين) وقاتل حتى استشهد، وهو ابن ثلاث وثلاثين سنه، فأثابه الله بذلك جناحين فى الجنه يطير بهما حيث شاء، بعد أن قطعن يداه فى المعركه.

فلما استشهد جعفر أخذ عبدالله بن رواحه الرايه، ثمّ تقدم بها على فرسه، فجعل يستنزل نفسه، ويتردد بعض التردد، ثمّ قال:

أقسمت يا نفس لتنزلنَّهْ

لَتنزلِنَّ أو لَتُكرَهِنَّهْ

إن أجْلَب الناسُ وشدّوا الرَّنَّهْ

مالى أراک ِ تكرهين الجنَّهْ(۱)

قد طال ما قد كنت ِ مطمئنهْ

هل أنت ِ إلاّ نُطفه فى شَنّهْ

وقال أيضاً:

يا نفسُ إلا تُقتلى تموتى

هذا حِمام الموت قد صَليت ِ

وما تمنّيت فقد اُعطيت ِ

إن تفعلى فِعلهما هديت ِ

وإن تأخرت ِ فقد شقيت ِ

يريـد بهـذا صـاحبيه اللـذين استشـهدا قبله: زيـداً وجعفراً، وتقول الروايه: ثمّ نزل، فلمـا نزل أتاه ابن عم له بعَرق ٍلحم (عظم عليه بعض لحم) فقال: شدّ بهذا صُلبک، فإنک قد لقيت فی أيامک هذه مالقيت، فأخذه من يده ثمّ انتهس منه نهسه. (٢)

١- أجلب القوم: صاحوا واجتمعوا؛ والرنه: صوت فيه ترجيع شبه البکاء.

٢- نهس اللحم: أخذه بمقدّم الأسنان، والنهش: الأخذ بجميعها؛ أنظر لسان العرب: نهس.

ثمّ سمع الحطمه،(۱)

فی ناحیه الناس، فقال: وأنت فی الدنیا! ثمّ ألقاه من یده، ثمّ أخذ سیفه فتقدّم.

وروی أنّ الرایه لما انتهت إلی عبدالله بن رواحه، جاءه الشیطان فرغبه فی الحیاه وکرّه إلیه الموت، ثمّ تذکر فصاح بأولئک النفر الذین حضروا ذلک المجلس، الذی بعث إلیهم رسول الله (ص) فتلا علیهم: (إِنَّ اللَّهَ یُحِبُّ الَّذِینَ یُقاتِلُونَ فِی سَبِیلِهِ صَفًّا کَأَنَّهُمْ بُنْیانٌ مَرْصُوصٌ). (۲) أین ما کنتم عاهدتم الله علیه، قد جاء مصداقه، اصدقوا الله بصدقکم.

فجاؤوه یَخبون کأنهم بقر نزعت من تحتها أولادها، فتقدموا بین یدیه، وأُتی ابن رواحه بلوح من ضلع وقد التاث،(۳) جوعاً فردّه، وقال: هذا أدعه فیما أدعه من الدنیا، فشدّ علیهم وشدّوا حتی شُدِخوا جمیعاً.

إذن، ما إن قتل جعفر بن أبی طالب حتی دعا الناس: یا عبدالله بن رواحه، یا عبدالله بن رواحه.

وکان فی جانب العسکر، ومعه ضلع حمل ینهسه، ولم یکن ذاق طعاماً قبل ذلک بثلاث، فرمی بالضلع ثمّ قال:

وأنت مع الدنیا!

ثمّ تقدم، فقاتل، فأصیبت إصبعه، فارتجز قائلاً:

هل أنت ِإلّا اصبعٌ دُمیت ِ

وفی سبیل الله ما لَقیت ِ

یا نفسُ إلّا تُقتلی تموتی...

وواصل أرجوزته هذه وقد ذکرنا شیئاً منها هنا وشیئاً هناک.

ثم قال: یا نفس، إلی أیّ شیء تتوقین؟!

إلی فلانه؟!

۱- الحطمه: زحام الناس، وحطم بعضهم بعضاً؛ اللسان: حطم.

۲- الصف: ۴.

۳- التاث فلان فی عمله: أبطأ، والمراد هنا: ضعف؛ أنظر اللسان: لوث.

فهی طالق بالثلاثه، وإلی فلان وفلان، غلمان له، وإلی معجف: حائط له، فهو لله ولرسوله، ثمّ ارتجز:

یا نفسُ مالکِ تکرهین الجنه

اُقسمُ بالله لتنزلنّه

طائعهً أو لا لتُکرَهنّه

فطالما قد کنت ِ مطمئنه

هل أنت إلاّ نطفهٌ فی شنّه

قد أجلبَ الناسُ وشدّوا الرّنّه

وفی خبر أنّ ابن رواحه لما نزل للقتال طعن، فاستقبل الدم بیده فدلک به وجهه، ثمّ صرع بین الصفین، فجعل یقول: یا معشر المسلمین، ذبّوا عن لحم أخیکم، فجعل المسلمون یحملون حتی یحوزوه، فلم یزالوا کذلک حتی مات مکانه.

ویصف الدکتور الجمیلی ما دار فی غزوه مؤته بقوله: وفی غزوه مؤته یواجه المسلمون فرسان الروم بأعداد کثیره لا تحصی تملأ السهل والجبل، ویستشرف المسلمون عدوهم المدجج بالسلاح، مسلحین بالیقین والتقوی، وتقابل الجمعان والتحم الفریقان، وسقط «زید بن حارثه» أمیر جیش المسلمین، فاستلم مکانه «جعفر بن أبی طالب» وسرعان ما سعت إلیه الشهاده وعوجل إلی ربّه، فکان عبدالله بن رواحه ثالث الأمراء الذین تولوا إمره جیش المسلمین، فضربوا أجناد هرقل من الروم، وأخذ یصول ویجول فی أحشائهم حتی أدرکته الشهاده، وما هی إلاّ ـ لحظات حتی یتناهی خبر الشهداء الثلاثه إلی رسول الله (ص) وما قدّموه من بطولات وفدائیه، فترحم علیهم واستغفر لهم ثمّ أطرق قلیلا ثمّ قال:

«لقد رفعوا إلیَّ فی الجنّه»

وفی خبر عن أنس: أنّ رسول الله (ص) نعی إلی الناس أو إلینا جعفراً وابن رواحه وزیداً وعیناه تذرفان; ولما قتل جعفر بمؤته أخذ الرایه بعده عبدالله بن رواحه، فاستُشهد.

قال: ثمّ دخل الجنه معترضاً، فشقّ ذلک علی الأنصار فقالوا: یا رسول الله، ما اعتراضه؟

قال: لما أصابته الجراح نکل فعاتب نفسه فَشَجُع فاستشهد فدخل الجنه، فسُرّیَ عن قومه.

وفی خبر آخر عن ابن إسحاق أنه قال: ولما أصیب القوم، قال رسول الله (ص) فیما بلغنی: أخذ الرایه زید بن حارثه، فقاتل بها حتی قُتل شهیداً، ثمّ أخذها جعفر، فقاتل بها حتی قتل شهیداً.

قال: ثمّ صمت رسول الله (ص) حتی تغیّرت وجوه الأنصار، وظنوا أنّه قد کان فی عبدالله بن رواحه بعض ما یکرهون، ثم قال: ثمّ أخذها عبدالله بن رواحه، فقاتل بها حتی قُتل شهیداً; ثم قال: لقد رفعوا إلیّ فی الجنه، فیما یری النائمُ، علی سرر من ذهب، فرأیت فی سریر عبدالله بن رواحه ازوراراً (أی میلاً وعوجاً) عن سریری صاحبیه، فقیل: عمّ هذا؟ فقیل لی: مضیا وتردّد عبدالله بعض التردّد، ثمّ مضی.

وفی خبر أنّ رسول الله (ص) صعد المنبر، وأمر فنودی: الصلاه جامعه! فاجتمع الناس إلی رسول الله (ص) فقال: باب خیر، باب خیر، باب خیر! أخبرکم عن جیشکم هذا الغازی، إنهم انطلقوا فلقوا العدو، فقتل زید شهیداً واستغفر له، ثمّ أخذ اللواء جعفر، فشدّ علی القوم حتی قتل شهیداً، فشهد له بالشهاده واستغفر له، ثم أخذ اللواء عبدالله بن رواحه، فأثبت قدمیه حتی قتل شهیداً، فاستغفر له.

وفی روایه قال النبیّ الله (ص): «مثلوا لی فی الجنه فی خیمه من درّه کلّ واحد منهم علی سریر، فرأیت زیداً وابن رواحه فی أعناقهما صدوداً، وأما جعفر فهو مستقیم لیس فیه صدود، قال: فسألت أو قال: قیل لی: إنهما حین یخشیهما الموت کأنهما أعرضا أو کأنهما صدّا بوجوههما، وأما جعفر فإنه لم یفعل».

قال ابن عیینه: فذلک حین یقول ابن رواحه:

أقسمت یا نفس لتنزلنه

بطاعه منک أو لتکرهنه

فطالما قد کنت مطمئنه

جعفر ما أطیب ریح الجنّه(۱)

ووقف حسان بن ثابت یوم مؤته یبکی ویرثی جعفراً، ولما انثنی من رثائه راح یرثی ویبکی زید بن حارثه وعبدالله بن رواحه; وممّا قاله فی عبدالله بن رواحه:

ثمّ جُودی للخزرجیّ یدمع

سیداً کان ثمّ غیر نزور

قد أتانا من قتلهم ما کفانا

فبحزن نبیت غیر سرور

۱- حلیه الأولیاء، للاصفهانی ۱: ۱۲۱.

وله أیضاً:

فلا یبعدن الله قتلی تتابعوا

بمؤته منهم ذو الجناحین جعفر

وزید وعبدالله حین تتابعوا

جمیعاً وأسباب المنیه تخطر

فیما هناک مرثیه بحقهم ألقاها کعب بن مالک یوم وصول خبر استشهادهم رضوان الله علیهم.

نام العیون ودمعُ عینک یهمل

سحّاً کما وکفَ الطبابُ المخضلُ(۱)

فی لیله وردت علیَّ همومها

طوراً أحنّ وتارهً أتململ

واعتادنی حزن فبت کأننی

ببنات نعش والسّماک موکّل

وکأنما بین الجوانح والحشی

ممّا تأوبنی شهاب مُدخل

وجدا علی النفر الذین تتابعوا

یوماً بمؤته أسندوا لم ینقلوا

صلّی الإله علیهم من فتیه

وسقی عظامهم الغمام المسبل

صبروا بمؤته للإله نفوسهم

حذر الردى ومخافةً أن ينكلوا

فمضوا أمام المسلمين كأنهم

فُنقُ عليهن الحديد المرفل(۲)

ثم يواصل رثاءه لجعفر بن أبى طالب رحمه الله تعالى.

وقال شاعر آخر ممّن كان حاضراً غزوه مؤته:

كفى حزناً أنّى رجعت وجعفر

وزيد وعبدالله فى رمس أقبُرِ

قضوا نحبهم لما مضوا لسبيلهم

وخُلفتُ للبلوى مع المتغيّر

ثلاثه رهط قُدّموا فتقدّموا

إلى ورد مكروه من الموت أحمر

فسلام عليك يابن رواحه

قرير العين بين الأبرار

الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه. (۳)

۱- الطبابه: وهى سير بين خرزتين فى المزاده، فإذا كان غير محكم ولف منه الماء وقيل الضباب، والمخضل: السائل الندى.
۲- الفنق: الفحول من الإبل، الواحد: فنيق؛ المرفل: الذى تنجر أطرانه على الأرض، يريد أن دروعهم سابقه.
۳- أنظر ترجمه حياه هذا الصحابى الجليل فيما تيسّر لى من مصادر، السيره النبويه، لابن هشام؛ وتاريخ الطبرى؛ ومختصر تاريخ دمشق، لابن منظور؛ والتاج الجامع للأصول، للشيخ منصور على ناصيف؛ وصحابه النبى (ص) للدكتور الجميلى...

(۱۸) خزیمه بن ثابت الأنصاری، ذو الشهادتین

اشاره

حسن الحاج

قیض الله سبحانه وتعالی نفوساً طیبه من أصحاب رسول الله (ص) ومن رواد مدرسته الربانیه المبارکه, وقد ملئت قلوبهم إیماناً وصلابه ووعیاً وبصیره ثاقبه, وهیأها لکی تجنی ثمار إیمانها الواعی و سعیها الحثیث, وکدحها الدؤوب, وجهادها المتواصل, وتسابقها فی الخیرات, و لصدقها وإخلاصها فی جمیع ذلک, فقد حباها نبی الرحمه۹ بدوره أوسمه رفیعه, ومناقب جلیله, وشمائل عالیه, وصفات جمیله, صارت من أجلّ الألقاب التی یحبونها, وراحت تتزین بها أکتاف أصحابها بحق, ویتفاخرون بها دون تعال وتکبر, وحفظتها لهم الأجیال والتاریخ ومصادره, فیما اشرأبّت إلیها أعناق آخرین دون جدوی.

فبعضهم حظی بها بعد استشهاده أو وفاته؛ فحمزه بن عبدالمطلب کان یلقب أسدالله فی حیاته و سیدالشهداء بعد وفاته.

وجعفر بن أبی طالب وصف بأنه جعفر الطیار ذو الجناحین یطیر بهما فی الجنه حیث یشاء.

وحنظله بن أبی عامر الراهب غسیل الملائکه.

وسعد بن معاذ اهتز لموته عرش الرحمن...

وبعض حظی بها فی حیاته: خزیمه بن ثابت هـذا الصـحابی الکبیر الـذی نحن بذکره, کان واحداً من القله الذین منحتهم السـماء وساماً رائعاً ألبسه رسول الرحمه (ص) له (خزیمه ذو الشـهادتین) أی عدت شـهادته بشـهاده رجلین، لصدقه وعدله ونفاذ بصیرته ووعیه وعمق, إیمـانه, فظـل محتفظاً به حریصاً علیه, لم یفرط فیه طیله حیاته الإیمانیه والجهادیه, حتی اقترن بوسام آخر أجل منه وأعظم, إنه وسـام الشـهاده المبارکه, لیختم به عمره, ویختصـر به الطریق إلی حیث الفردوس الأعلی فی جنه عرضـها السـماوات والأرض {... مَعَ الَّذِینَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَیْهِمْ مِنَ النَّبِیِّینَ وَالصِّدِّیقِینَ وَالشُّهَداءِ وَالصَّالِحِینَ وَحَسُنَ أُولئِکَ رَفِیقاً}.(۱)

وهکـذا ظل وما زال هذا الأنصاری الأوسـی الخطمی المدنی یعرف بذی الشـهادتین, وإذا ما ذکر اسـمه عقّب بعده مباشـره بهذا الوسام, الذی لم یناقش أو یشکک فی نسبته إلیه أحد أبداً، بل ولم یذکر اسمه إلا وهو مقترن بهذا اللقب إلا قلیلاً.

نسبه

هو خزیمه بن ثـابت بن الفـاکه بن ثعلبه بن ساعـده بن عـامر بن غیـان ویقال: عنان بن عامر بن خطمه، وقیل: حنظله، وقـد صوّبوا الأول.

واسمه عبدالله بن جشم بن مالک بن أوس بن حارثه بن ثعلبه بن عمرو بن عامر.

هذا نسبه من أبیه؛ وأما من أمه، فهی کبشه بنت أوس بن عدی بن أمیه بن عامر بن ثعلبه.

وفی نسـبه اختلاـف، وقیـل: حنظله بـدل خطمه، والصواب خطمه بغیر شـک.. وهو عـامر بن خطمه الوارد فی نسـبه من أبیه, وهو الذی ورد فی طبقات ابن سعد فی ترجمه کبشه. (۲)

۱– النساء: ۶۹.

۲– طبقات ابن سعد ۸ : ۳۵۴.

وربما یکون المقصود بثعلبه هذا هو جده ثعلبه بن عمرو بن عامر, وقد اکتفی

بذکره اختصاراً.

وختاماً فخزیمه بن ثابت هـذا هو ذو الشـهادتین, وهو: أبوعماره الأنصاری الأوسـی الخطمی المـدنی، من أشـراف قبیله الأوس؛ أحسن الصـحبه لرسول الله (ص) ولأهل بیته الطاهرین (علیهم السـلام) وإن لم یتیسر لی معرفه أول إسلامه: فابن هشام فی السیره النبویه لم یورد اسـمه فی الـذین بـایعوا رسول الله (ص) فی العقبتین الأـولی والثـانیه ولاـ حتی الأخیره، إلاّ أنه وبعـد أن شـرح الله سبحـانه وتعـالی صـدره للإیمـان عاش الإیمان بروحه وشـعوره ووجـدانه, وأحب الله تعالی ورسوله (ص) وأهل بیته صـلوات الله علیهم بصدق وإخلاص واسـتقامه، لا یشوبها شک ولا یخالطها تردد، هدفه الأول والأخیر رضا الله تعالی وجنه عرضها السماوات والأـرض, فکـان بحق من مصـادیق هـذه الآـیه المبـارکه: {وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهـاجِرِینَ وَالْأَنْصارِ وَالَّذِینَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسانٍ رَضِیَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِی تَحْتَهَا الْأَنْهارُ خالِدِینَ فِیها أَبَداً ذلِکَ الْفَوْزُ الْعَظِیمُ}.(۱)

وقد راح هو وصاحبه عمیر بن عدی یکسران أصنام بنی خطمه قومهم بلاخوف من عقاب. (۲)

شهد مشاهد وغزوات رسول الله (ص) ومنها معرکتا أحد والخندق، وما بعدهما من المعارک والغزوات.

أما معرکه بـدر الکبری فلم یـذکره ابن هشام فی عـداد المشارکین فیها؛ ویبـدو أن هـذا وقد یکون هناک غیره هو السـبب الذی أوجـد الخلاف بین المؤرّخین فی مسأله حضوره بـدراً أو عدمه, إلاّ أنهم اتفقوا علی حضوره ما بعدها من المشاهد مع رسول الله (ص). کـان خزیمه من المشـارکین فی غزوه مؤته بناحیه الکرک بالبلقاء فی جمادی الأولی لسـنه ثمان من الهجره, حیث خاض هناک هو ومن معه معرکهً لم یخض المسلمون معرکهً مثلها, فقد

۱- التوبه: ۱۰۰.

۲- مختصر تاریخ دمشق ۸ : ۴۵.

تـدرّع المشـركون الروم بالعتاد والجنـد ما يملأ السـهل والجبل وما لا طاقه للمسلمين به، كما وصف ذلک عـدد من المؤرخين, فاستشـهد الکثير ممن کتبت له الشـهاده بمن فيهم أمراء جيش المسـلمين الثلاثه الـذين اسـتعملهم رسول الله (ص) وهم: زيـد بن حارثه، فجعفر بن أبی طالب، فعبدالله بن رواحه رضوان الله عليهم جميعاً. (۱)

فيما عاد المقاتلون الذين کتبت لهم السلامه إلی المدينه، و الألم يعتصر قلوبهم مما جری.

ومن الطبيعی أن تبقی أشياء کثيره من ذکريات تلک المعرکه الشرسه عالقه فی أذهان المشارکين بها, فراح العديد من المقاتلين يتحدثون بها بين الفتره والأخری.

فهـذا عماره بن خزيمه يحـدث عن أبيه أنه قال: حضـرت مؤته، فبارزت رجلًا يومئذ فأصـبته وعليه بيضه له, فيها ياقوته, فلم يکن همّی إلاّ اليـاقوته فأخـذتها, فلما انکشـفنا وانهزمنا رجعت بها إلی المـدينه فأتيت بها رسول الله (ص) فنفلنيها, فبعتها زمن عمربن الخطاب بمائه دينار, فاشتريت حديقه نخل بنی خطمه. (۲)

ويوم فتح مکه فی شـهر رمضان عام ۸ هجريه کـانت کـل قبيله من قبائل المسـلمين تحمل رايتها, فيما کانت مع خزيمه بن ثابت رايه قومه بنی خطمه. (۳)

ذو الشهادتين!

تواترت فی قصه هذا الوسام الرائع والصفه الحميده عده روايات من أنّ رسول الله (ص) اشتری فرساً من سواء بن قيس المحاربی فجحد, فشهد له خزيمه بن ثابت.

فقال رسول الله (ص) : ما حملک علی الشهاده ولم تکن معنا حاضراً؟!

قال: صدقتک بما جئت به, وعلمت أنک لا تقول إلاّ حقاً.

وفی خبر آخر: صدقناک بخبر السماء ولا نصدقک بخبر اشتراء ناقه؛ فقال رسول الله (ص):

۱- مقاتل الطالبيين : ۳۰ ؛ والمصادر التاريخيه الأخری.

۲- المغازی للواقدی ۲ : ۷۶۹ ؛ مختصر تاريخ دمشق ۸ : ۴۵.

۳- المصدر نفسه.

«من شهد له خزيمه أو شهد عليه فحسبه».

وفی روايه أخری: أنّ النبی (ص) ابتاع فرساً من أعرابی, فاستتبعه النبی (ص) ليقضيه ثمن فرسه, فأسرع النبی (ص) المشی وأبطأ الأعرابی, فطفق رجال يعترضون الأعرابی فيساومونه بالفرس, لا يشعرون أنّ النبی (ص) ابتاعه, حتی زاد بعضهم الأعرابی فی السوم علی ثمن الفرس الذی ابتاعه به النبی (ص) فنادی الأعرابی النبی (ص) فقال: إن كنت مبتاعاً هذا الفرس فابتعه وإلا بعته.

فقال النبی (ص) حين سمع نداء الأعرابی: أوليس قد ابتعته منك؟ قال الأعرابی: لا والله ما بعتك.

فقال النبی (ص) : بلی، قد ابتعته منك.

فطفق الناس يلوذون بالنبی (ص) والأعرابی وهما يتراجعان, فطفق الأعرابی يقول: هلم شهيداً يشهد أنی بايعتك, فمن جاء من المسلمين قال للأعرابی: ويلك! إنّ النبی (ص) لم يكن ليقول إلّا حقاً, حتی جاء خزيمه فاستمع لمراجعه النبی (ص) ومراجعه الأعرابی, وطفق الأعرابی يقول: هلم شهيداً يشهد أنی بايعتك.

فقال خزيمه: أنا أشهد أنك قد بايعته.

فأقبل النبی (ص) علی خزيمه فقال: بم تشهد؟ أو كما فی روايه ثانيه كيف تشهد ولم تحضره ولم تعلمه؟ فقال: بتصديقك يا رسول الله! أو أنه قال حسب روايه أخری : يا رسول الله نحن نصدقك علی وحی من السماء، فكيف لا نصدقك علی أنك قضيته؟! فأنفذ (ص) شهادته وسمّاه «ذا الشهادتين» لأنه صيّر شهادته شهاده رجلين، وصارت شهادته بهذا الوصف له من قبل رسول الله (ص) فی أی قضيه يدعی لها تغنی عن طلب شاهد آخر.

أو لأن خزيمه كما فی خبر آخر شهد للنبی (ص) علی يهودی فی دين قضاه (ع).

أنه الأيمان الوثيق واليقين العميق والبصيره الواعيه! فهيأه كل هذا لاستحقاق ذلك اللقب العظيم والوصف الجليل.

وقد احتلت هذه الروایه مکاناً لها فی المناقشات الفقهیه عند الفریقین فی باب حجیه علم القاضی وفی باب الشهادات. (۱)

وافتخر الأنصار!

یعد هـذا الشعار کرامهً أخری تضاف إلی سجلّ الأنصار, الـذین نالوا حظاً وافراً فی آیات قرآنیه مبارکه وأحادیث وأقوال نبویه شریفه، راحت تضفی علیهم صفات عالیه, وتذکر لهم مواقف شامخه، حتی غدوا أهلًا لثناء السماء ومدحها.

فقد وصفهم الله تعالی بأنهم مؤمنون، وبأنّ المغفره والرزق الکریم نصیبهم، بسبب ما قدموه لرسول الله وللمؤمنین المهاجرین من إیواء ونصره, فقال فی کتابه العزیز: {وَالَّذِینَ آمَنُوا وَهاجَرُوا وَجاهَـدُوا فِی سَبِیلِ اللَّهِ وَالَّذِینَ آوَوْا وَنَصَـرُوا أُولئِکَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَهٌ وَرِزْقٌ کَرِیمٌ}.(۲)

وانظر الآیه ۷۲ من سوره الأنفال، حیث فیها تکریم لهم لإیوائهم المهاجرین وعلی رأسهم نبی الرحمه، ونصرتهم لهم أیضاً.

وهم الذین قال فیهم رسول الله (ص): «لولا الهجره لکنت امرءاً من الأنصار».

إلی غیر هذا من الإطراء علیهم وعلی ما قدّموه من أعمال حمیده وخدمات جلیله وفقهم الله تعالی لها, فاستحقوا علیها کل ذلک الثناء والذکر الطیب.

* فقد افتخر الأوس وکان حقاً لهم أن یفتخروا بثلّه مؤمنه منهم، تتضمن أربعهً من أصحاب رسول الله (ص) تشرفوا بالصحبه النبویه المبارکه، وحظوا بمناقب عالیه وأوسمه رفیعه.

فقالوا: منا غسیل الملائکه، حنظله بن راهب؛ ومنا من اهتز له عرش الرحمن، سعد بن عباده؛ ومنا من حمته الدبر أی النحل والزنابیر، عاصم بن ثابت بن أبی الأقلح، فقد أصیب یوم أحد, فمنعت النحل الکفار منه, وذلک أنّ المشرکین لما قتلوه أرادوا أن یمثلوا به, فسلط

۱- أنظر فی هذا کله وسائل الشیعه ۱۸ : الباب ۱۸من أبواب کیفیه الحکم، ح۳؛ مختصر تاریخ دمشق ۸ : ۴۶۴۷ ؛ وأحکام القرطبی ۳ : ۴۰۵ ؛ والإصابه فی معرفه الصحابه : ۲۳۴۷ وغیرها من المصادر التاریخیه والروائیه والفقهیه.

۲- الأنفال: ۷۴.

الله عزّوجل عليهم الزنابير الكبار تأبر الدارع، فارتدعوا عنه حتى أخذه المسلمون فدفنوه. (۱)

ومنا من أجيزت شهادته بشهاده رجلين: خزيمه بن ثابت.

* فيما راحت الخزرج هى الأخرى تعدد مناقب أربعه من أبنائها، وكأنه جاء رداً على ما تفاخرت به الأوس.

فقال الخزرجيون: منا أربعه جمعوا القرآن على عهد رسول الله (ص) إذ لم يجمعه غيرهم, وهم: زيد بن ثابت, وأبو زيد, وأبى بن كعب, ومعاذ بن جبل. (۲)

إلا أنّ افتخارهم بهذه المناقب وبتلك الأوسمه وهى ألقاب كانوا يحبونها بصدق كاد أن يكون سبباً لإثاره ما دفن من أحقاد وضغائن ونزاعات قديمه بينهم دامت قرابه مائه عام, وذلك قبل أن يوحّدهم الإسلام ونبى الرحمه محمد (ص) ولولا تدخّل السماء وحكمه رسول الله (ص) لهمّوا أن يقتتلوا.

فقد ذكر جمع من المفسرين أنّ سبب نزول آيتى: {يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ * وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْداءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْواناً وَكُنْتُمْ عَلى شَفا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْها كَذلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آياتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ}.(۳)

هو ما وقع من افتخار بين أوسىّ وخزرجى حول ما يتمتع به بعضهم من مناقب وفضائل.

فقد قال مقاتل: افتخر رجلان من الأوس والخزرج، ثعلبه بن غنم من الأوس، وأسعد بن زراره من الخزرج.

فقال الأوسى: منّا ابن ثابت ذو الشهادتين، ومنا حنظله غسيل الملائكه، ومنا عاصم بن ثابت حمى الدين، ومنا سعد بن معاذ الذى اهتز عرش الرحمن له ورضى بحكمه فى بنى قريظه.

۱- لسان العرب، ماده: «دبر».

۲- أحكام القرآن، للقرطبى ۱: ۵۶؛ مختصر تاريخ دمشق ۸ : ۴۷.

۳- آل عمران : ۱۰۲ ۱۰۳.

وقال الخزرجی: منا أربعه أحکموا القرآن، أبی بن کعب، ومعاذ بن جبل، وزید بن ثابت، وأبو زید، ومنا سعد بن عباده خطیب الأنصار ورئیسهم.

فجری الحدیث بینهما، فغضبا وتفاخرا ونادیا، فجاء الأوس إلی الأوسی والخزرج إلی الخزرجی، ومعهم السلاح.

فبلغ ذلک النبی (ص) فرکب حماراً وأتاهم, فأنزل الله هذه الآیات، فقرأها علیهم فاصطلحوا. (۱)

وهذه لیست الوحیده والأخیره بینهم، فانظر أسباب النزول للواحدی فی خصوص الآیه: {إِنَّ الَّذِینَ جاؤُ بِالْإِفْکِ عُصْبَهٌ مِنْکُمْ...}. (۲) تجد ما دار بین سعد بن معاذ زعیم الأوس؛(۳) وسعد بن عباده زعیم الخزرج, فثار الحیّان الأوس والخزرج، حتی هموا أن یقتتلوا ورسول الله (ص) قائم علی المنبر، فلم یزل یخفضهم حتی سکتوا وسکت.

هذا إضافه إلی ما کان یذکیه یهود المدینه ویغذونه من نعرات قدیمه بین الحیّین الأوس والخزرج.

رؤیا خزیمه!

عن عماره بن خزیمه بن ثابت عن أبیه: أنه رأی فی المنام کأنه سجد علی جبین رسول الله (ص) فذکر ذلک لرسول الله (ص).

فقال رسول الله (ص) : «إنّ الروح لا ـ تلقی الروح» ؛ فأقنع رسول الله (ص)، ثم أمره فسجد من خلفه علی جبینه، جبین رسول الله (ص).

۱- مجمع البیان، للطبرسی ۲ : ۸۰۴ فی تفسیر الآیتین المذکورتین؛ وراجع غیره من التفاسیر.

۲- النور : ۱۱.

۳- وفی هذا کلام، لأنّ سعد بن معاذ توفی بعد حکمه المشهور فی بنی قریظه، وهو أمر وقع قبل حادثه الإفک بفتره تجاوزت أشهراً عدیده، أللهم إلا أخذنا بما ذکره الواقدی من أنّ غزوه بنی المصطلق التی وقعت فیها حادثه الإفک کانت قبل غزوه بنی قریظه، بل وقبل غزوه الخندق، فکانتا بعد المریسیع لحرب بنی المصطلق من خزاعه، فوقعت فی شعبان سنه خمس من الهجره، وهو کما یبدو خلاف مشهور المؤرخین الذی یذهب إلی أنّ رسول الله (ص) غزا بنی المصطلق من خزاعه فی شعبان سنه ست من الهجره؛ أنظر تاریخ الطبری ۲ : ۱۰۴.

جمع القرآن

أكدت كثير من المصادر التاريخيه والروائيه أنه كان لخزيمه بن ثابت «ذو الشهادتين» دور واضح في مهمه جمع آيات كتاب الله تعالى, فقد راح العديد من الصحابه يستعينون به في هذا المشروع، خاصه حين فقدانهم لبعض الآيات القرآنيه المباركه.

فعن زيد بن ثابت أنه قال: لما كتبنا المصاحف فقدت آيه كنت أسمعها من رسول الله (ص): {مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجالٌ صَدَقُوا ما عاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَما بَدَّلُوا تَبْدِيلاً}.(۱)

فوجدتها عند خزيمه بن ثابت، وكان يدعى ذا الشهادتين، فألحقتها في سورتها.

وفي روايه أخرى: أنّ عمربن الخطاب أراد أن يجمع القرآن, فقام في الناس فقال: من كان تلقى من رسول الله (ص) شيئاً من القرآن فليأتنا به.

وكانوا كتبوا ذلك في الصحف والألواح والعسب جمع عسيب، وهو جريده النخل مما لا ينبت عليه الخوص كما في لسان العرب وكان لا يقبل من أحد شيئاً حتى يشهد شهيدان, فقتل وهو يجمع ذلك.

فقام عثمان بن عفان فقال: من كان عنده من كتاب الله عزّوجل شيء فليأتنا به, وكان لا يقبل من ذلك شيئاً حتى يشهد عليه شهيدان.

فجاء خزيمه بن ثابت فقال: إني قد رأيتكم قد تركتم آيتين لم تكتبوهما.

قال: وما هما؟ قال: تلقيت من رسول الله (ص) : {لَقَدْ جاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ ما عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُفٌ رَحِيمٌ * فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لا إِلهَ إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ). (۲)

قال عثمان: وأنا أشهد أنهما من عندالله, فأين تريد أن تجعلهما؟ قال: اختم بهما آخر

۱- الأحزاب: ۲۳.

۲- التوبه: ۱۲۸ ۱۲۹.

ما نزل من القرآن؛ فختمت بهما براءه. (۱)

ووجدوا عند خزیمه بن ثابت وفی روایه عند أبی خزیمه آیه : {فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِیَ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَیْهِ تَوَکَّلْتُ وَ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِیمِ).

مما رواه

کان خزیمه رضوان الله علیه ملازماً لمدرسه القرآن والنبوه، لآیاتها، ومواقفها، وآثارها، وثمارها, حریصاً علیها, حافظاً لها, مستفیداً منها، أمیناً فی نقل ما تیسر له مما توفر علیه من علم ومعرفه، وآیات قرآنیه مبارکه، وأحادیث نبویه شریفه, وکان منها : عنه عن رسول الله (ص) أنه قال: «عمار تقتله الفئه الباغیه».

* وروی عنه وعن جمع آخر أنّ رسول الله (ص) جمع بین المغرب والعشاء بجُمع، صلی المغرب ثلاثاً والعشاء رکعتین بإقامه واحده. (۲)

* وعنه: نهانا رسول الله (ص) أن نستنجی بأقل من ثلاثه أحجار، وأن نستنجی برجیع أو عظم.

* وعنه عن رسول الله (ص) أنه قال: «من استطاب بثلاثه أحجار لیس فیهن رجیع کان له طهوراً».

* وعنه: کان (ص) إذا فرغ من تلبیته سأل الله رضوانه ومغفرته، واستعاذ برحمته من النار.

* وعنه أنّ النبی (ص) : «من أصاب ذنباً فأقیم علیه حد ذلک الذنب فهو کفارته».

* وعنه عن النبی (ص) أنه قال: «إنی رأیت الملائکه تغسل حنظله بن أبی عامر بین السماء والأرض بماء المزن فی صحاف الفضه».(۳)

۱- مختصر تاریخ دمشق۸ : ۴۶ ؛ البیان، للسید الخوئی: ۲۴۲۲۴۳ ؛ أحکام القرآن، للقرطبی۱ : ۵۰.
۲- أحکام القرآن، للقرطبی ۲ : ۴۲۴.
۳- استشهد بأحد جنباً، فلذلک رأی النبی (ص) الملائکه تغسله.

* ومن غرائب حديثه كما ورد في مختصر تاريخ دمشق ما حدث أنهم كانوا عند رسول الله (ص) في المسجد، وهو مسند ظهرَه إلى بعض حجرات نسائه, فدخل رجل من أهل العاليه فجلس يسأل رسول الله (ص) فشم منه رسول الله (ص) ريحاً تأذى هو وأصحابه.

فقال: «من أكل من هذه الشجره فلا يؤذينا بها».

وهناك أحاديث أخرى إضافه إلى ما توفرت عليه هذه المقاله من رواياته رضوان الله تعالى عليه.

ولاؤه للإمام على (ع) ولأهل البيت (عليهم السلام)

كان خزيمه بن ثابت ذوالشهادتين من أتباع مدرسه أهل بيت النبوه والعصمه والطهاره سلام الله عليهم, وهو ما عرف به وعرفت به مواقفه، دفاعاً عن حقانيه العتره الطاهره المتمثله في زمنه بالإمام على بن أبي طالب سلام الله عليه, وظل هذا الرجل على استقامته هذه لم يغيّر ولم يبدل، حتى فاضت روحه شهيداً بين يدى أميرالمؤمنين على سلام الله عليه في يوم صفين.

روايته لحديث الثقلين

وقد تشرف بأن يكون واحداً من رواه حديث الثقلين المعروف, وهو الحديث الذى يبين منزله أهل البيت سلام الله تعالى عليهم، وأنهم الثقل الثانى بعد القرآن, وأنّ التمسك بهما معاً هو الذى ينجى من الضلاله والتيه والانحراف.

فعن أبي الطفيل: أنّ علياً (ع) قام فحمد الله و أثنى عليه, ثم قال: أنشد الله من شهد يوم غدير خم إلا قام, ولا يقوم رجل يقول: ثبت أو بلغنى إلا رجل سمعت أذناه ووعاه قلبه, فقام سبعه عشر رجلاً، منهم خزيمه بن ثابت و...

فقال على (ع): «هاتوا ما سمعتم».

فقالوا: نشهد أنا أقبلنا مع رسول الله (ص) من حجه الوداع ونزلنا بغدير خم، ثم نادى

بالصلاه جامعه، فصلينا معه, ثم قام فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

«أيها الناس ما أنتم قائلون؟».

قالوا: قد بلغت.

قال: أللهم اشهد ثلاث مرات، ثم قال: إنى أوشك أن أدعى فأجيب، وإنى مسؤول وأنتم مسؤولون، ثم قال: أيها الناس إنى تارك فيكم الثقلين، كتاب الله وعترتى أهل بيتى، إذا تمسكتم بهما لن تضلوا, فانظروا كيف تخلفونى فيهما, وإنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض, بذلك نبأنى اللطيف الخبير, ثم قال: إنّ الله مولاى وأنا مولى المؤمنين, ألستم تعلمون أنى أولى بكم من أنفسكم؟

قالوا: بلى.

قال ذلك ثلاثاً؛ ثم أخذ بيدك يا أميرالمؤمنين فرفعها وقال: من كنت مولاه فهذا على مولاه, أللهم وال من والاه وعاد من عاداه.

فقال على: صدقتكم وأنا على ذلك من الشاهدين. (۱)

هم الأئمه

وكان رضوان الله عليه من كبار أصحاب أميرالمؤمنين على (ص) ومن قاده جنده المعروفين بالصلابه والفداء, ومن جلسائه المقرّبين إليه, ومن أوائل الذين دافعوا عن منزله أهل البيت (عليهم السلام) وأنهم أئمه الحق الذين يقتدى بهم، كما جاء فى روايه الاحتجاج للطبرسى بسنده عن ابن تغلب عن الإمام جعفر الصادق (ع).

ووقع هذا يوم أنكر جمع من المهاجرين: خالد بن سعيد بن العاص وكان من بنى أميه، وسلمان الفارسى، وأبوذر الغفارى و...

ومن الأنصار: أبو الهيثم بن التيهان، وسهل وعثمان ابنا حنيف، وخزيمه بن ثابت ذو الشهادتين و... واحدقوا بالمنبر بمحضر من الخليفه الأول وجمع كبير من المسلمين... ثم راح

۱- أنظر حديث الثقلين، لنجم الدين العسكرى : ۸۴ .

كل واحد منهم يدلی بحجته حتی وصل الأمر إلی خزیمه بن ثابت فقال:

أیها الناس، ألستم تعلمون أنّ رسول الله (ص) قبل شهادتی وحدی ولم یرد معی غیری؟

قالوا: بلی.

قال: فاشهد أنی سمعت رسول الله (ص) یقول:

«أهل بیتی یفرقون بین الحق والباطل، وهم الأئمه الذین یقتدی بهم».

وقد قلت ما علمت وما علی الرسول إلا البلاغ المبین. (۱)

أذكر علیاً وآله

فی الأیام الأولی لخلافه أبی بكر اعتزل جمع من الأنصار عنه, فغضبت قریش من

موقف الأنصار هذا... فقالت لعمرو بن العاص: قم، فتكلم بكلام تنال فیه من الأنصار، ففعل ذلک.

فقام الفضل بن العباس فرد علیهم، ثم صار إلی علی (ع) فأخبره، وأنشده شعراً قاله.

فخرج علی (ع) مغضباً حتی دخل المسجد، فذكر الأنصار بخیر، ورد علی عمرو بن العاص قوله.

فلما علمت الأنصار ذلک سرها وقالت: ما نبالی بقول من قال مع حسن قول علی.

واجتمعت إلی حسان بن ثابت فقالوا: أجب الفضل.

فقال: إن عارضته بغیر قوافیه فضحنی.

فقالوا: فاذكر علیاً فقط.

أما خزیمه بن ثابت ذو الشهادتین فقال:

أذكر علیاً وآله یكفیک عن كل شیء.

فانشد حسان أبیاتاً تسعاً كان منها:

۱- راجع الاحتجاج، للطبرسی.

جزی الله خیراً والجزاء بکفه

أبا حسن عنا ومن کأبی حسن؟!

غضبت لنا إذ قال عمرو بخصله

أمات بها التقوی وأحیا بها الإحن

ألست أخاه فی الهدی ووصیه

وأعلم فهر بالکتاب وبالسنن؟(۱)

من أوائل المبایعین

وکان أیضاً من أوائل الـذین بایعوا الإمام علیاً سـلام الله علیه بالخلافه من الأنصار الـذین ذکرهم الشـیخ المفیـد رحمه الله تعالی, وعدد منهم تسعه وعشرین احتل ذو الشهادتین الرتبه الثانیه بینهم, ثم عقب الشیخ فی نهایه هذه السلسله مشیداً بالأنصار قائلًا:

فی أمثالهم من الأنصار الـذین بایعوا البیعتین، وصـلوا القبلتین، واختصوا من مدائـح القرآن والثناء علیهم من نبی الهدی علیه وآله السلام بما لم یختلف فیه من أهل العلم اثنان, وممن لو أثبتنا أسماءهم لطال بها الکتاب, ولم یحتمل استیفاء العدد الذی حددناه. (۲)

وقد ذکر السـید محسن الأمین فی کتابه«فی رحاب أئمه أهل البیت» أنّ الحاکم روی فی المسـتدرک بسنده أنه لما بویع علی بن أبی طالب علی منبر رسول الله (ص) قال خزیمه بن ثابت, وهو واقف بین یدی المنبر:

إذا نحن بایعنا علیاً فحسبنا

أبو حسن مما نخاف من الفتن

رجوناه أولی الناس بالناس إنه

أطب قریش بالکتاب وبالسنن

وإن قریشاً ما تشق غباره

إذا ما جری یوماً علی الضمر البدن

وفیه الذی فیهم من الخیر کله

وما فيهم كل الذى فيه من حسن

هذا، وقد انضم ذو الشهادتين إلى الإمام (ع) وشارك معه فى المعارك التى خاضها أثناء خلافته، كمعركه الجمل ضد الناكثين، ومعركه صفين ضد القاسطين معاويه وجنده؛ وأبلى فيهما بلاءً حسناً.

١- الغدير، للشيخ الأمينى ٢ : ۴٢ ۴٣.

٢- المفيد، الجمل: ١٠۵ ١٠۶.

فی معرکه الجمل

فی منتصف جمادی الآخره وقعت حرب الجمل بین جیش الزبیر وطلحه ومعهم أم المؤمنین عائشه من جهه, وجیش الإمام علی (ع) من جهه أخری.

ذو الشهادتین وابن الحنفیه

کانت رایه الإمام علی (ع) مع ابنه محمد بن الحنفیه فنخس قفاه، وقال له: احمل فتقدم، حتی لم یجد متقدماً إلا علی سنان رمح؛ فقال: تقدم لا أمّ لک، فتلکأ، فتناول الرایه من یده وقال: یابنی بین یدی.

وفی روایه ابن أبی الحدید: أنه دفع إلیه الرایه یوم الجمل وقد استوت الصفوف.

وقال له: احمل فتوقف قلیلاً فقال له: احمل.

فقال یا أمیرالمؤمنین، أما تری السهام کأنها شآبیب المطر فدفع فی صدره وقال: أدرکک عرْق من أمک؛ ثم أخذ الرایه فهزها ثم قال:

اطعن فها طعن أبیک تحمد

لا خیر فی الحرب إذا لم توقد

بالمشرقی والقنا المسدد

ثم حمل وحمل الناس خلفه، فطحن عسکر البصره.

قیل لمحمد: لم یغرر بک أبوک فی الحرب ولا یغرّر بالحسن والحسین؟

فقال: إنهما عیناه وأنا یمینه، فهو یدفع عن عینیه بیمینه.

ثم دفع الرایه إلی محمد وقال: امح الأولی بالأخری وهذه الأنصار معک، وضم إلیه خزیمه بن ثابت ذا الشهادتین فی جمع من الأنصار کثیر من أهل بدر، وحمل حملات کثیره أزال بها القوم عن مواقفهم وأبلی بلاءً حسناً.

فقال خزیمه بن ثابت لعلی (ع) : أما أنه لو کان غیر محمد الیوم لافتضح، ولئن کنت خفت علیه الجبن وهو بینک وبین حمزه وجعفر لما خفناه علیه؛ وإن کنت أردت أن تعلمه الطعان فطالما علمته الرجال.

وقالت الأنصار: یا أمیرالمؤمنین لولا ما جعل الله تعالی للحسن والحسین ما قدمنا علی محمد أحداً من العرب.

فقال علی (ع): أین النجم من الشمس والقمر؟! أما أنه قد أغنی وأبلی وله الفضل.

فقال خزیمه بن ثابت فیه:

محمد ما فی عودک الیوم وصمه

ولا کنت فی الحرب الضروس معوداً

أبوک الذی لم یرکب الخیل مثله

علی وسماک النبی محمداً

فلو کان حقاً من أبیک خلیفه

لکنت ولکن ذاک ما لا یری أبدا

وأنت بحمد الله أطول غالب

لساناً وأنداها بما ملکت یداً

وأطعنهم صدر الکمی برمحه

وأکساهم للهام عضباً مهنداً

سوی أخویک السیدین کلاهما

إمام الوری والداعیان إلی الهدی

أبی الله أن یعطی عدوک مقعداً

من الأرض أو فی اللوح مرقی ومصعداً(۱)

شعره یوم الجمل

ذکر ابن أبی الحدید فی شرح نهج البلاغه: قال خزیمه بن ثابت ذو الشهادتین وکان بدریاً فی یوم الجمل:

ليس بين الأنصار فى جحمه الحر

ب وبين العداه إلا الطعان

وقراع الكماه بالقضب

البيض فإذا ما تحطم المران

فادعها تستجب فليس من الخز

رج والأوس يا على جبان

يا وصى النبى قد أجلت الحر

ب الأعادى وسارت الأظعان

واستقامت لك الأمور سوى

الشام وفى الشام يظهر الأذعان

حسبهم ما رأوا وحسبك منا

هكذا نحن حيث كنا وكانوا

۱- محسن الأمين، فى رحاب أئمه أهل البيت ۲ : ۴۲۴۳.

ذو الشهادتين وأم المؤمنين

ولم يكتف ذو الشهادتين بذلك, بل راح يخاطب أم المؤمنين عائشه طالباً منها التخلّی عن موقفها التحريضی، والمناوئ لعلی (ع) , فيذكرها بأنه وصی رسول الله (ص) كما يذكر ابن ابی الحديد ذلك حيث يقول:

وقال خزيمه أيضاً يوم الجمل:

أعائش خلّی عن علی وعيبه

بما ليس فيه إنما أنت والده

وصی رسول الله من دون أهله

وأنت على ما كان من ذاك شاهده

وحسبك منه بعض ما تعلمينه

ويكفيك لو لم تعلمی غير واحده

إذا قيل ماذا عبت منه رميته

بخذل ابن عفان وما تلك آبده

وليس سماء الله قاطره دماً

لذاك وما الأرض الفضاء بمائده(۱)

فی معركه صفين

وكان خزيمه رضوان الله تعالى عليه ممن شهد معركه الجمل كما ذكرنا, و فی سنه ۳۷ هجريه شهد معركه صفين بجانب جيش الإمام علی (ع) وكان فيها من المقاتلين الأشداء المعروفين ببسالتهم.

فقد كان واحداً من أشياخ الأنصار الذين توجه إليهم الإمام طالباً منهم المشوره.

فقد ورد فی الخبر: أنّ الإمام علياً (ع) لما أراد المسير إلى أهل الشام دعا إليه من كان معه من المهاجرين والأنصار, فحمد الله وأثنى عليه وقال:

«أما بعد، فإنكم ميامين الرأى, مراجيح الحلم, مقاويل بالحق, مباركو الفعل والأمر، وقد أردنا المسير إلى عدونا وعدوكم, فأشيروا علينا برأيكم».

فكان خزيمه واحداً من أولئك الذين استحقوا المنزله التى اختارها أميرالمؤمنين (ع) لهم,

---

۱- ابن أبى الحديد، شرح نهج البلاغه ۱ : ۱۴۵ ۱۴۶.

وقـد حظى هو ومن معه بهـذه الصـفات العظيمه التى لم تصـدر من الإمام (ع) إذا لم يكونوا أهلاً لها أبـداً؛ وقـد سـبقهم قيس بن سعـد بن عبـاده بالكلام، فحمـد الله وأثنى عليه وقال: يا أميرالمؤمنين, انكمش بنا إلى عـدونا ولا تعرد،(۱) فوالله لجهادهم أحب إلىّ من جهـاد الترك والروم, لادهـانهم فى دين الله واسـتذلالهم أوليـاء الله من أصـحاب محمـد (ص) من المهـاجرين والأنصار والتابعين بإحسان، إذا غضـبوا على رجل حبسوه أو ضـربوه أو حرموه أو سـيروه. وفيئنا لهم بإحسان، إذا غضبوا على رجل حبسوه أو ضربوه أو حرموه أو سيروه؛ وفيئنا لهم فى أنفسهم حلال، ونحن لهم فيما يزعمون قطين. (۲)

وما إن انتهى من كلامه حتى بادر أشياخ الأنصار وذكر منهم خزيمه بن ثابت وأبوأيوب الأنصارى وغيرهما فقالوا لقيس:

لم تقدمت أشياخ قومك وبدأتهم يا قيس بالكلام؟

فقال: أما أنى عارف بفضلكم, معظم لشأنكم, ولكنى وجدت فى نفسى الضغن الذى جاش فى صدوركم حين ذكرت الأحزاب.

فقال بعضهم لبعض: ليقم رجل منكم فليجب أميرالمؤمنين عن جماعتكم.

وهنا وقع اختيارهم على سهل بن حنيف.

فقالوا: قم يا سهل بن حنيف.

فقام سـهل، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: يا أميرالمؤمنين, نحن سلم لمن سالمت وحرب لمن حاربت, ورأينا رأيك ونحن كف يمينـك، وقـد رأينـا أن تقوم بهـذا الأـمر فى أهل الكوفه, فتأمرهم بالشـخوص, وتخبرهم بما صـنع الله لهم فى ذلك من الفضل, فإنهم هم أهل البلد وهم الناس، فإن استقاموا لك استقام لك الذى تريد وتطلب..

وأما نحن فليس عليك منا خلاف, متى دعوتنا أجبناك, ومتى أمرتنا أطعناك. (۳)

۱- الانكماش: الإسراع والجد؛ والتعريد: الفرار والإحجام والانهزام.

۲- القطين: الرقيق أو الخدم والأتباع والمماليك.

۳- أنظر فى هذا وقعه صـفين، لنصـر بن مزاحم المتوفى سنه ۲۱۲، بتحقيق عبدالسـلام محمد هارون: ۹۳۹۴، منشورات مكتبه آيه الله العظمى المرعشى النجفى قدس السره .

إذن فهم وكما فی الخبر كانوا راغبین فی الموافقه وتلبیه طلب أمیرالمؤمنین علی (ع) دون تردد من أحد بمن فی ذلک الصحابی الجلیل موضوع مقالتنا؛ وإن وردت روایه عن عماره بن خزیمه أن خزیمه شهد الجمل وهو لا یسلّ سیفاً, وشهد صفین وقال: أنا لا أقتل أحداً حتی یقتل عمار, فأنظر من یقتله, فإنی سمعت رسول الله (ص) یقول: «تقتله الفئه الباغیه».

قال: فلما قتل عمار بن یاسر قال خزیمه: قد بانت لی الضلاله, ثم اقترب، فقاتل حتی قتل.

وكان الذی قتل عمار بن یاسر أبوالغادیه المزنی, طعنه برمح فسقط, وكان یومئذ یقاتل فی محفه،(۱) فقتل یومئذ وهو ابن أربع وتسعین سنه، فلما وقع أكب علیه رجل آخر فاحتز رأسه, فاقبلا یختصمان فیه, وكلاهما یقول: أنا قتلته.

فقال عمرو بن العاص: والله, إن تختصمان إلا فی النار؛ فسمعها معاویه، فلما انصرف الرجلان قال معاویه لعمرو بن العاص: ما رأیت مثلما صنعت! قوم بذلوا أنفسهم دوننا تقول لهما: إنكما تختصمان فی النار؟!

فقال عمرو: وهو والله ذلک, والله إنک لتعلمه, ولوددت أنی مت قبل هذا بعشرین سنه!

فعلی فرض صحّه هذه الروایه وسلامتها، مع أنها مخالفه لتفاصیل مواقفه المذكوره أعلاه فی معركتی الجمل وصفین، والتی تدل بشكل واضح علی یقینه وسلامه اختیاره، فلا ضیر فیها علی خزیمه, وهو المعروف بنفاذ بصیرته وسلامتها, وعمق ولائه لأمیرالمؤمنین علی (ع) وقد خرج إلی معركه صفین ومن قبلها معركه الجمل بكامل وعیه للحق الذی لا یفارق علیاً (ع) وللباطل الذی لاذ به خصوم علی (ع) .

ولكن مع كل هذا، فقد یحدث للإنسان فی لحظه ما تردد أو توقف وهو فی أمر خطیر جداً یحدد مصیره، أو وهو یخطرعلی باله قول رسول الله (ص) لا ینطق عن الهوی إن هو إلا

۱- المحفه: المركب كالهودج، إلا أنّ الهودج یقبّب، والمحفه لاتقبب؛ راجع لسان العرب.

وحی یوحی بحقّ عمار بن یاسر:

«أن أبشر عمار، تقتلك الفئه الباغیه، آخر زادک من الدنیا ضیاح لبن».

فیجعله الرمز ورایته رایه الحق, یستعین بها من تصیبه غفله أو ضلاله أو حیره، إما إلی الجنه وإما إلی النار, فینتظر برهه ثم یحسم أمره لیکون علی بصیره من أمره لا یشوبها ریب أو نقصان أبداً، أو أنه من باب لیطمئن قلبی لا غیر.

فإن دلّت هذه العلامه المنحصره بعمار رضوان الله تعالی علیه «تقتلک الفئه الباغیه...» علی شیء عظیم, فإنما تدل علی رحمه الله تعالی بعباده, وحرص النبی (ص) علی محبیه وأتباعه فی أن لا- تستبدّ بهم الضلاله والحیره, وأن لا- تبقی الغشاوه علی أعینهم طویلًا, و أن لا ینزغ الشیطان بینهم وبین الحق الذی یریدون, فیصوّر الحق ضلالهً والضلاله حقاً, فتختلط علیهم الأوراق و قد یقع المحذور وسوء الاختیار, مع ضیق الوقت وخطوره الموقف وحراجته، مما لا یدع مجالاً لإعاده النظر واختیار الأصح والأصوب، فکان عمار ورایته الدلیل الناصع علی حقانیه الطائفه التی یقاتل عمار دفاعاً عنها, وضلاله الطائفه التی یقاتلها, وهذا لمن کان له قلب أو ألقی السمع وهو شهید, فمن لم تذکره هذه الرایه التی قدرت السماء أن یحملها عمار, والتی زینها رسول الله (ص) بقول آخر لعلی (ع) عندما ذکر عماراً:

«أما إنه سیشهد معک مشاهد أجرها عظیم, وذکرها کثیر, وثناؤها حسن».

فمن لم یذکره کل هذا بمکان الحق والهدی, فهو الذی مات قلبه, أو لم یکن عنده قلب علی الإطلاق, ولم یکن قد هیأ سمعه وأنصت بوعی لنداء الهدی، فاستبد به العناد، فکانت عاقبته الخزی فی الدنیا، والعذاب فی الأخری, وذلک هو الخسران المبین.

وخزیمه وغیره من الأصحاب الذین نوّر الله تعالی قلوبهم بنور الحق، یعرفون جمیع هذا وغیره بحکم ملازمتهم لرسول الله (ص) ووعیهم لأقواله وبحکم بصیرتهم النافذه فی معرفه منزله علی (ع) من رسول الله (ص) لهذا نراهم قد استبسلوا فی الدفاع عن علی (ع) ومواقفه طیله حیاتهم.

وخزيمه هو الذى دعا أن يغتسل غسل الشهاده حينما آوى إلى فسطاطه.

تقول الروايه: عن الفضيل بن دكين قال: حدثنا عبدالجبار بن العباس الشامى عن أبى إسحاق قال: لما قتل عمار، دخل خزيمه بن ثابت فسطاطه وطرح عنه سلاحه، ثم شن عليه الماء فاغتسل، ثم قاتل حتى قتل.

ليرد معركه الشهاده التى تيقنها كأنه يراها أمام عينيه وهويرى عماراً على ترابها صريعاً شهيداً, وخزيمه يردد: لقد سمعتها من رسول الله (ص) : «عمار تقتله الفئه الباغيه».

وفى روايه: أنّ عبدالرحمن بن أبى ليلى قال: كنت بصفين فرأيت رجلاً ـ ملثماً يقاتل الناس قتالاً شديداً يميناً وشمالاً, فقلت: يا شيخ، أتقاتل الناس يميناً وشمالاً؟!

فحسر رضوان الله عليه عن عمامته ثم قال:

سمعت رسول الله (ص) يقول: «قاتل مع على جميع من يقاتله».

وأنا خزيمه بن ثابت الأنصارى.

ثم راح يواجه الموت بقلب متلهّف للشهاده، متيقن لأجرها وثوابها، وهو يرتجز قائلًا:

قد مرّ يومان وهذا الثالث

هذا الذى يلهث فيه اللاهث

هذا الذى يبحث فيه الباحث

كم ذا يرجى أن يعيش الماكث

الناس موروث ومنهم وارث

هذا على من عصاه ناكث

وظل خزيمه يقاتل حتى استشهد بجوار الصحابى الجليل عمار بن ياسر رضوان الله تعالى عليهما؛ ووقع هذا سنه سبع وثلاثين هجريه.

ثم راحت ضبيعه بنت خزيمه بن ثابت التى عرفت بإيمانها وولائها للإمام على سلام الله عليه ترثى أباها صاحب الشهادتين:

عين جودى على خزيمه بالدمع

قتيل الأحزاب يوم الفرات

قتلوا ذا الشهادتين عتواً

أدرك الله منهم بالتراب

قتلوه فى فتيه غير عزل

يسرعون الركوب للدعوات

نصروا السيد الموفق ذا العد

ل ودانوا بذاك حتى الممات

لعن الله معشراً قتلوه

ورماهم بالخزی والآفات

وانطلق عبدالله یزید بن عاصم الأنصاری یرثی من قتل من أصحابه، وخزیمه رضوان الله علیه کان واحداً منهم, قائلًا:

یا عین جودی علی قتلی بصفیناً

أضحوا رفاتاً وقد کانوا عرانیناً

أنی لهم صرف دهر قد أضرّ بنا

تباً لقاتلهم فی الیوم مدفوناً

کانوا أعزه قومی قد عرفتهم

مأوی الضعاف وهم یعطون ماعوناً

أعزز بمصرعهم تباً لقاتلهم

علی النبی وطوبی للمصابینا(۱)

هـذا، وهنـاك قول بـأنّ ذا الشـهادتین توفی فی زمن الخلیفه الثـالث عثمـان بن عفان، وأنّ الـذی استشـهد مع الإمام علی (ع) فی صفین هو صـحابی آخر یحمل الإسم نفسه، أی خزیمه بن ثابت، إلا أنه لیس المعروف بذی الشهادتین؛ وهو قول شاذ، لأنه أولاً: مخالف لما أجمع علیه علماء السیر من أنّ الذی استشـهد فی معرکه صـفین هو خزیمه بن ثابت ذو الشـهادتین, وأنه لم یمت فی عهد عثمان.

وثانیاً: لعدم وجود صحابی بهذا الإسم، أی خزیمه بن ثابت غیر المتصف بذی الشهادتین.

الإمام علی (ع) یندب إخوانه ویطری علیهم ومنهم ذو الشهادتین

وقد راح الإمام علی (ع) یذکر إخوانه کما کان یسـمیهم, الذین استشـهدوا فی معرکه صفین ویشید بهم ویتمنی وجودهم, وکان الحزن یعتصـر قلبه علی مصـرعهم, وهو یری تخـاذل جنـده وأتباعه وتباطئهم فی الاسـتجابه له حینما یسـتحثهم لمواصـله المرحله الثانیه من القتال ضد معاویه وجنده, ومما قاله سلام الله علیه:

«...ما ضرّ إخواننا الذین سفکت دماؤهم وهم بصفین إلا یکونوا الیوم أحیاء؟

يسيغون الغصص ويشربون النق! قد والله لقوا الله فوفاهم أجورهم, وأحلهم دار الأمن

١- وقعه صفين، لنصر بن مزاحم: ٣٦۴٣٦۶.

بعد خوفهم».

ثم راح يندبهم ويصفهم بالأخوه، ويعدد نماذج منهم قائلاً:

أين إخوانى الذين ركبوا الطريق, ومضوا على الحق؟!» أى: استقاموا فيه لم ينحرفوا إلى هنا وهناك، لا يبتغون عنه بدلاً.

أين عمار؟!

وأين ابن التيهان؟!

وأين ذوالشـهادتين؟! وهو خزيمه بن ثابت, والإمام سـلام الله عليه راح يناديه بلقبه الذى جعله رسول الله (ص) له، أن عدّ شهادته منفردةً قائمه مقام شهاده رجلين.

وأين نظراؤهم من إخوانهم الذين تعاقدوا على المنيّه, وأبرد بروؤسهم إلى الفجره؟!

ثم ضرب بيده على لحيته الشريفه الكريمه, فأطال البكاء ثم قال (ع):

«أوه على أخوانى الـذين تلوا القرآن فأحكموه, وتدبروا الفرض فأقاموه, أحيوا السـنه وأماتوا البدعه، دعوا للجهاد فأجابوا, ووثقوا بالقائد فاتبعوه».

وبعد إطرائه عليهم رضوان الله عليهم نادى بأعلى صوته:

«الجهاد الجهاد عباد الله».(۱)

ذو الشهادتين فى كتب علماء الرجال

كان طبيعياً أن يحتل خزيمه بن ثابت مكانةً قيمةً عند علماء الرجال والحديث من الفريقين, لما تمتّع به هذا الصـحابى الجليل من إيمان وثيق، وصدق حديث وروايه، اسـتحق بها اللقب العظيم «ذو الشـهادتين» الذى أضفاه عليه النبى الكريم (ص) ، تضاف إلى سجله الحافل بالمواقف الجهاديه طوال حياته الإيمانيه المباركه.

ففى رجال الشيخ الطوسى قدس السره:

۱- نهج البلاغه، صبحى الصالح: ۲۶۴.

خزیمه بن ثابت من أصحاب رسول الله. وعده مع توصیفه بذی الشهادتین فی أصحاب علی (ع) . (۱)

فیما قال عنه البرقی فی آخر رجاله:

هو من الإثنی عشر الذین أنکروا علی أبی بکر حیث قال: ألست تعلم یا أبابکر أنّ رسول الله (ص) قبل شهادتی وحدی.

قال: بلی.

قال: فإنی أشهد بما سمعته منه وهو قوله: «إمامکم بعدی علی (ع) لأنه الأنصح لأمتی والعالم فیهم».

أما فی العیون فقد ذکره: إنه من الذین مضوا علی منهاج نبیهم، ولم یغیروا

ولم یبدلوا. (۲)

وأما الکشی، فقد ذکر أکثر من روایه تبین مواقفه دفاعاً عن الإمامه الحقه المتمثله بأمیرالمؤمنین علی (ع) منها:

الروایه الأولی: روایه اغتساله قبل قتاله فی صفین التی ذکرناها.

الروایه الثانیه: روایه أنه سل سیفه فی صفین قائلًا: سمعت رسول الله (ص) یقول: «عمار تقتله الفئه الباغیه» التی ذکرناها.

الروایه الثالثه: جعفر بن معروف قال: حدثنی محمد بن الحسن عن جعفر بن بشیر عن حسین بن أبی حمزه عن أبیه حمزه قال: والله، إنی علی ظهر بعیری فی البقیع إذ جاءنی رسول فقال: أجب یا أبا حمزه فجئت وأبوعبد الله (ع) جالس، فقال: «إنی لأستریح إذا رأیتک».

ثم قال: «إن أقواماً یزعمون أنّ علیاً (ع) لم یکن إماماً حتی شهر سیفه، خاب إذن عمار وخزیمه بن ثابت وصاحبک أبو عمره، وقد خرج یومئذ صائماً بین الفئتین بأسهم فرماها

۱- رجال الشیخ الطوسی: ۵.

۲- راجع أسماءهم فی ترجمه جندب بن جناده فی رجال الحدیث للخوئی.

قرباً يتقرب بها إلى الله تعالى حتى قتل، يعنى عماراً».(۱)

وذكر السيد الخوئى قدس السره فى رجال الحديث سبب تسميته أو توصيفه بذى الشهادتين عن كتاب الكافى، كتاب الشهادات ۵ باب النوادر ۲۳، ح۱ فى المجلد:۸ ونقل السيد الخوئى أيضاً أقوال جمع من علماء الرجال ذكرنا بعضها أعلاه، فانظر ترجمته هناك مفصله.

وهكذا تحدث عنه علماء آخرون كالذهبى فى كتاب سير أعلام النبلاء، فقد قال عنه: خزيمه بن ثابت الفقيه أبو عماره الأنصارى الخطمى المدنى ذو الشهادتين، قيل: إنه بدرى، والصواب إنه شهد أحداً وما بعدها؛ وله أحاديث.

وكان من كبار جيش على (ع) فاستشهد معه يوم صفين.

حدث عنه ابنه عماره، وأبو عبدالله الجدلى، وعمرو بن ميمون الأودى، وإبراهيم بن سعد بن أبى وقاص وجماعه.

قتل رضى الله عنه سنه ۳۷ه ، وكان حامل رايه بنى خطمه؛ وشهد مؤته. (۲)

وذكره ابن حبان فى كتاب الثقات وطبقات المحدثين وغيره مع بعض ما رواه عن النبى (ص) .

وختاماً

لقد حظى هذا الصحابى الجليل رضوان الله تعالى عليه بما تمنّاه، ألا وهو الشهاده فى سبيل الله تعالى، التى ختم بها عمره البالغ سبعين سنه، إذا ما أخذنا بما ذكره بعض من كتب عن خزيمه بن ثابت ذى الشهادتين، وإن لم أعثر على دليل تاريخى يثبته فيما تيسّر لى من مصادر تاريخيه، من أنه ولد قبل البعثه النبويه المباركه بعشرين سنه، فيكون عمره حين استشهاده رضوان الله تعالى عليه سبعين سنه؛ فهو شيخ كبير, ويعد من مشايخ المسلمين الذين نالوا وسام الشهاده فى معركه صفين بعد عمار بن ياسر رضوان الله تعالى عليه.

فسلام عليك نفساً مطمئنةً آمنت بربها، فرحلت إليه راضيه مرضيه

۱- راجع: ترجمه عمار: ۳.

۲- سير أعلام النبلاء ۲۰ : ۴۸۵.

(۱۹) حذیفه بن الیمان

اشاره

محسن الأسدی

صحبه مبارکه، فاز فیها قوم، وخسرها آخرون! آمنت بها طائفه فأحسنت، وضلت عنها أخری فأساءت! ضمت أبراراً آمنوا بالله وأحبّوا رسوله وصدقوه، وشدوا أزره ودافعوا عنه، فاستحقوا أن یدافع الله عنهم، وهو ما نصت علیه الآیه الکریمه: (إِنَّ اللَّهَ یُدافِعُ عَنِ الَّذِینَ آمَنُوا).

وحذیفه بن الیمان واحد من أولئک الصحابه، وممن نالوا تلک الصحبه المبارکه، ورعوها حق رعایتها، بل وتفوقوا من بین طلاب مدرستها الربانیه بدرجات کانت محل رضا الله تعالی، وقبول رسوله۹.

لقد حظی هذا الصحابی الجلیل بصحبه رسول الله (ص) حتی أنه ولشده قربه من الرسول (ص) و ثقته به، وعلو منزلته لدیه عرف بین الصحابه بأنه صاحب سرّ رسول الله (ص) من المهاجرین.

نسبه

وحذیفه هذا هو ابن حسیل.

ویقال: حسیل بن جابر بن أسید بن عمرو بن مالک; و کان یقال لحسیل هذا: الیمان.

ویقال: الیمان بن جابر بن عمرو بن ربیعه بن جروه بن الحارث بن مالک بن ربیعه بن قطیعه بن عبس بن بغیض بن ریث.

وفی نسبه اختلاف.

وقیل فیه: جروه وهو الیمان، من ولده حذیفه.

وکنیته أبو عبدالله العبسی.

وکان حلیفاً لبنی عبد الأشهل.

الیمان

وفی سبب تسمیه حذیفه بالیمان:

قال ابن منظور: وإنما قیل الیمان، لأنّ جروه أصاب دماً فی قومه، فهرب إلی المدینه، فحالف بنی عبد الأشهل وتزوج منهم، فسماه قومه: الیمان، لمحالفته الیمانیه.

هذا فیما یخص نسبه من أبیه.

وأما أمّه ونسبها، فهی الرباب، بنت کعب بن عدی، بن کعب بن عبدالأشهل.

إسلام حذیفه

ما أن راح الإسلام، ونوره یعم الأطراف البعیده عن مکه، بعد أن قضی رسول الله (ص) ثلاث عشره سنه، یدعو فیها قومه وما حولهم إلی نبذ عباده الأصنام والأوثان، وعباده الله الواحد القهار، حتی اضطروه أخیراً للهجره إلی حیث یثرب التی فتحت أذرعها لاستقبال رسول الرحمه ودعوته المبارکه، ثم قیض الله سبحانه وتعالی له أناساً آخرین غیر الذین آمنوا به وکانوا من السابقین، أناساً أبوا إلاّ الالتحاق برکبه، رکب الإیمان، حیث ما نأی به الزمن وبَعُد به المکان، فکل ذلک لایمنع الذین وفقهم الله لأن یکونوا جزءاً من دینه، یحملوا لواءه، ویبلغوا رسالته، ویشدوا أزر نبیه، بقوه الیقین، وصلابه الإیمان، والحق الذی یحملون.

فكانوا بهـذا حجه على غيرهم من الـذين عاشوا فى مـدرسه الصـحبه المباركه، إلاّ أنهم لا يـدركون منزلتها، ولا يتدبرون معانيها، ولا يعون منهجها وأهدافها، فكانوا كمن يقرأ القرآن بلا تدبر ولا إمعان نظر، وبالتالى لا ينتفعون بما يقرؤون.

فقـد وفق كـل من حـذيفه وأبيه (وفى روايه كان أخوه صـفوان ثالثهم) لاعتناق الإسـلام، ولكن بعـد أن هاجر الرسول (ص) إلى المدينه؛ فقدما إليها ليسلما على يدى رسول الرحمه۹ وبينا هم فى طريقهما إلى المدينه، إذ بمشركى مكه يمنعونهما من المسير، وقالوا لهما: إنكما تريدان محمداً!

قالا: ما نريد إلاّ المدينه، فعاهدوهما ألا يقاتلا مع النبى (ص).

ودخل حذيفه وأبوه المدينه قبيل بدر، فعرضا أمرهما على النبى (ص) وقالا: إن شئت قاتلنا معك.

فقال: بل نفى لهم بعهدهم، ونستعين الله عليهم، ولذا لم يشهد حذيفه وأبوه بدراً.

المؤاخاه الواعيه

وقد آخى رسول الله (ص) بين أصـحابه من المهاجرين والأنصار، فقال (ص) كما ذكرابن هشام فى السـيره النبويه : تآخوا فى الله أخوين أخوين، ثم أخذ بيد على بن أبى طالب (ع) فقال: هذا أخى.

فكان رسول الله الذى ليس له خطير ولا نظير من العباد، وعلى بن أبى طالب (ع) أخوين....

وعمار بن ياسر حليف بنى مخزوم، وحذيفه بن اليمان أخو بنى عبد عبس، حليف بنى عبد الأشهل أخوين، رضوان الله عليهما.

وتركت هذه الأخوه الواعيه الواعده، أثرها الكبير فى قلوب المهاجرين والأنصار، وقربت كثيراً بينهم.

وهذان الصحابيان كانا قمهً فى الإيمان والجهاد ونفوذ البصيره، حتى أن حذيفه كان يرى

ويوصى من حوله بالتزام المنهج الذى ينتهجه الصحابى الجليل عمار، وأنّ به خلاصهم من الفتن جميعاً مهما أظلمت عليهم، ولم يكن هذا الموقف من حذيفه منطلقاً من هوى، أو عاطفه الحب التى تجمعه بأخيه فى الدين عمار، وإنما مبنيه على ما سمعه ووعاه من رسول الله (ص) بحق هذا الصحابى الكبير، وأنه لا يقف إلّا مع الحق وأهله.

فهذا محمد بن عباد بن موسى قال: حدثنا محمد بن فضيل قال: حدثنا مسلم ابن الأعور عن حبه بن جوين العرنى، أنه قال: انطلقت أنا وأبو مسعود إلى حذيفه بالمدائن، فدخلنا عليه فقال: مرحباً بكما ما خلفتما من قبائل العرب أحداً أحبّ إلىّ منكما; فأسندته إلى أبى مسعود فقلنا: يا أبا عبد الله! حدثنا فإنا نخاف الفتن!

فقال: عليكما بالفئه التى فيها ابن سميه، إنى سمعت رسول الله (ص) يقول:

«تقتله الفئه الباغيه الناكبه عن الطريق، وأنّ آخر رزقه ضياح من لبن».

قال حبه: فشهدته يوم صفين وهو يقول: ائتونى بآخر رزق لى من الدنيا.

فأتى بضياح من لبن فى قدح أروح له حلقه حمراء، فما أخطأ حذيفه مقياس شعره، فقال:

اليوم ألقى الأحبه

محمداً وحزبه

والله لو ضربونا حتى يبلغوا بنا سعفات هجر، لعلمنا أنا على الحق وأنهم على الباطل، وجعل يقول:

الموت تحت الاسل والجنه تحت البارقه.

وجاءه على روايه نعى أخيه عمار بن ياسر فى معركه صفين، وهو بالمدائن، والياً عليها، ففقد بفقده أخاً مؤمناً عظيماً مجاهداً كريماً، رضوان الله عليه(۱).

جهاد ومواقف واعيه

عرف هذا الصحابى بمواقفه الجهاديه العديده، سواء تلك التى كانت فى عهد رسول الله (ص) أو التى وقعت بعده فى عهد الخلفاء; وها نحن نشير إلى ما تيسر لنا منها:

۱- أنظر تاريخ الطبرى ۳: ۹۸ ; السيره النبويه لابن هشام ۲:۵۰۴ ۵۰۶ ; مختصر تاريخ دمشق: ۶.

لم يشهد بدراً!

نعم غاب حذيفه وأبوه عن معركه بدر الكبرى، وكان هذا منهما رعايةً للعهد الذى قطعاه مع المشركين.

وها هو يذكر لنا سبب عدم اشتراكه فى المعركه المذكوره حيث يقول: ما منعنى أن أشهد بدراً إلاّـ أنى خرجت أنا وأبى الحسيل، فأخذنا كفار قريش فقالوا: إنكم تريدون محمداً فقلنا: ما نريد إلاّ المدينه، فأخذوا علينا عهد الله وميثاقه لننصرفن إلى المدينه ولا نقاتل معه.

فأتينا النبى (ص) فأخبرناه الخبر.

فقال: نفى لهم بعهدهم، ونستعين الله عليهم.

شهد معركه أحد

وقد ترک لنا فيها موقفاً يدل على عظمه الرجل، وصلابه إيمانه ويقينه بالقضاء

والقدر، وهو صاحب الكلمه المعروفه التى راح لسانه يرددها فى سماء المعركه بصدق وإخلاص

يغفر الله لكم...!

فقد شهد هو وأبوه معركه أحد، وأبليا فيها بلاءً حسناً، وفى أثناء القتال أخطأ بعض المسلمين فحملوا على حسيل والد حذيفه فقتلوه اشتباهاً، وكان ذلک على مرأى من حذيفه، الذى راح يصيح بهم، ولكنهم لم يسمعوه حتى نفذ قضاء الله فى أبيه رضوان الله عليه، حين قضى نحبه فى ساحه المعركه لاـ بسيوف أعداء الله ورسوله من مشركى مكه وحلفائها، بل بسيوف إخوانه المسلمين.

ففى ميدان هذه المعركه حانت من حذيفه نظره، فإذا به يرى أباه وسيوف إخوانه من المجاهدين المسلمين تنهال عليه اشتباهاً، يظنونه واحداً من المشركين... فما كان من حذيفه إلاّ أن راح يصرخ بهم بقوه، فلعله بهذا ينقذ أباه: أبى أبى!

ويكرر صياحه: إنه أبى إنه أبى!

ولكن القضاء الذى لامردّ له نزل بأبيه المؤمن المجاهد الصابر!

حزن المقاتلون المسلمون على أبى حذيفه، ووجموا حين عرفوا أنهم يقتلون رجلًا منهم، وراحت نظراتهم تتسابق حائرةً مدهوشةً تتجه هنا وهناك تاره نحو حذيفه وأخرى نحو أبيه الذى أردوه قتيلًا، يلاحقها الألم والندم على ما فعلوه.

نظر حذيفه إليهم نظرات طويله يوزعها عليهم، وهو يرى أباه صريعاً بسيوفهم، ومع ما تحمله نظراته تلك من ألم وحرقه وحزن، راحت تحمل معها العفو والرحمه والمغفره والشفقه عليهم، ويمكننا أن نجد هذا مجسداً فى ملامح وجهه، ونحن نقرأ ما كانت شفاهه تردده:

"يغفر الله لكم، وهو أرحم الراحمين"..!!

ونجد كل هذا أيضاً حينما تصدق بديه أبيه التى أعطيت له، أو أعطاها له النبى (ص) فما إن استلمها حتى تصدّق بها على فقراء المسلمين، وهنا دعا له رسول الله (ص) بخير.

إنه ذو إيمان وثيق وولاء عميق، جعله محباً لمن حوله متسامحاً يحسن الظن بإخوانه!

وإنه لموقف عظيم وكريم، زاده حباً فى قلب رسول الله (ص) وقلوب المسلمين، وظل ذكراً طيباً له!

وهذا نص الروايه التى تحكى لنا ذلك:

فى معركه أحد قتل المسلمون أباه "حسيل بن جابر" اشتباهاً، حيث كانوا لا يعرفونه مما جعلهم ذلك يدفعون ديته إلى ابنه حذيفه، الذى قام بدوره بالتصدق بها على المسلمين.

وفى روايه: إنّ أبا حذيفه قتل مع النبى (ص) يوم أحد، أخطأ به المسلمون، فجعل حذيفه يقول لهم: أبى، أبى، فلم يفهموا حتى قتلوه.

فقال حذيفه: يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين.

فزادت حذيفه عند رسول الله (ص) خيراً، وأمر به فأورى، أو قال: فأودى. (۱)

۱- أنظر تاريخ الطبرى ۲: ۷۳ ; و مختصر تاريخ دمشق ۶: ۲۴۹ ، وغيرهما من المصادر.

و شهد حذیفه معرکه الأحزاب

کان حذیفه واحداً ممن شارک فی حفر الخندق، بل کان واحداً من عشره علی رأسهم سلمان الفارسی، وثلاثه من المهاجرین، وسته من الأنصار، وحصتهم أربعون ذراعاً، یحفرونها من الخندق، وهو خط خطه لهم رسول الله (ص) حیث إنّ رسول الله (ص) وزع الخندق حصصاً بین المشارکین لإنجاز حفره.

وقد فازت هذه الثله من الصحابه بأن یکون سلمان فیها، بعد أن تمنی کل من المهاجرین والأنصار و کل جماعه من المسلمین أن یکون سلمان فیهم، فقالت الأنصار: «سلمان منا»، فیما قال المهاجرون: « سلمان منا»، وحسم رسول الله (ص) هذا بقوله المعروف: «سلمان منا أهل البیت».

وهذه الفضیله حظیت بها جماعه حذیفه بن الیمان بانضمام سلمان إلیها، لیکون واحداً منها فی مهمه حفر الخندق، فاستبشروا بوجوده المبارک بینهم خیراً.

وهناک فضیله أخری حظی بها هذا الفریق دون الآخرین، وهو قصه الصخره التی أخرجها الله تعالی من بطن الخندق، وکسرت حدیدهم، وشقت علیهم، فتسارعوا إلی سلمان رضوان الله تعالی علیه قائلین: ارق إلی رسول الله (ص) فأخبره خبر هذه الصخره، فإما أن نعدل عنها، فإنّ المعدل قریب، وإما أن یأمرنا فیها بأمره، فإنا لا نحب أن نجاوز خطه.

فرقی سلمان حتی أتی رسول الله (ص) وهو ضارب علیه قبه ترکیه فقال:

یا رسول الله! بأبینا أنت وأمّنا! خرجت صخره بیضاء من الخندق مروه، فکسرت حدیدنا، وشقت علینا حتی ما نحیک فیها قلیلاً ولا کثیراً، فمرنا فیها بأمرک فإنا لا نحب أن نجاوز خطک.

فهبط رسول الله (ص) مع سلمان ورقی التسعه الذین مع سلمان علی شقه الخندق، فأخذ رسول الله (ص) المعول من سلمان فضربها ضربه فصدعها، وضربه ثانیه فصدعها، وضربه ثالثه فکسرها، وفی کل ضربه یخرج منها برق یضیء لابتی المدینه، ویکبر رسول الله (ص)

ويكبر معه المسلمون.... وكلها كانت تحمل بشائر نصر كما بيّنها وفصلها لهم رسول الله (ص). (۱)

وقد بعث النبى (ص) حذيفه يوم الخندق لينظر ما صنعت قريش، فعاد إليه بخبر رحيلهم؛ كان هذا فى ملاحقه واعيه للموقف، حين أراد رسول الله (ص) وبعد أن دب الذل والعار والفشل فى صفوف المشركين من قريش، ومن حالفهم من اليهود وغيرهم أن يطلع على موقفهم وما حل بهم.

فراح رسول الله (ص) يفكر فيمن ينتدبه ويختاره، ليتولّى هذه المهمه الخطيره، فيدخل معسكر المشركين ويقتحمه، ليبلو أمرهم ويعرف أخبارهم.

وفى ليله مظلمه ورياح عاصفه صاخبه، وقد أضنى التعب والجوع والحصار الذى دام شهراً أو يزيد أصحاب رسول الله (ص) ، وقع اختيار الرسول (ص) على هذا الصحابى الجليل، فدعاه إليه وأوكل له هذا الأمر، فلبى حذيفه ما طلبه منه رسول الله (ص) وها نحن ندعه يفصل لنا هذه المهمه:

قال رجل لحذيفه: أشكو إلى الله صحبتكم رسول الله (ص) فإنكم أدركتموه ولم ندركه، ورأيتموه ولم نره.

وفى روايه أخرى: لو أدركت رسول الله (ص) لقاتلت معه وأبليت معه!

وفى روايه ثالثه: إن فتى من أهل الكوفه قال لحذيفه بن اليمان: يا أبا عبدالله، رأيتم رسول الله وصحبتموه؟!

قال: نعم يا ابن أخى.

قال: فكيف كنتم تصنعون؟

قال: والله لقد كنا نجهد.

فقال الفتى: والله لو أدركناه ما تركناه يمشى على الأرض، ولحملناه على أعناقنا...

قال حذيفه: ونحن نشكو إلى الله إيمانكم به ولم تروه، والله ما ندرى لو أنك أدركته كيف

۱- أنظر لتفصيل هذا الأمر تاريخ الطبرى ۲: ۹۱ ۹۲ ، وغيره من المصادر.

کنت تکون! لقد رئینا مع رسول الله (ص) لیله الخندق، لیله بارده مطیره أو أخذتنا ریح شدیده وقر، إذ قال رسول الله (ص):

«هل من رجل یذهب فیعلم لنا علم القوم، جعله الله رفیق إبراهیم۷ یوم القیامه؟».

فما قام منا أحد; أو فسکتنا فلم یجبه أحد.

ثم قال: «هل من رجل یذهب، فیعلم لنا علم القوم أدخله الله الجنه؟».

قال: فوالله ما قام منا أحد.

قال: «هل من رجل یذهب فیعلم لنا علم القوم، جعله الله رفیقی فی الجنه؟».

فما قام منا أحد.

فقال أبو بکر: یارسول الله ابعث حذیفه.

قال حذیفه: فقلت: دونک، فوالله ما قال رسول الله (ص) : یا حذیفه حتی قلت:

یا رسول الله بأبی وأمی أنت، والله ما بی أن أقتل، ولکنی أخشی أن أؤسر.

وفی روایه: لم أجد بداً إذ دعانی باسمی أن أقوم.

فقال رسول الله (ص) : «إنک لن تؤسر».

فقلت: یارسول الله، مرنی بما شئت.

فقال: «اذهب حتی تدخل فی القوم فتأتی قریشاً فتقول:

یا معشر قریش، إنما یرید الناس أن یقولوا غداً: أین قریش؟ أین قاده الناس؟ أین رؤوس الناس؟ تقدموا، فتقدموا، فتضلوا بالقتال، فیکون القتل بکم.

ثم ائت کنانه فقل: یا معشر کنانه إنما یرید الناس غداً أن یقولوا: أین کنانه؟ أین رماه الحدق؟ تقدموا، فتقدموا فتضلوا بالقتال، فیکون القتل بکم.

ثم ائت قیساً فقل: یا معشر قیس، إنما یرید الناس غداً أن یقولوا: أین قیس؟ أین أحلاس الخیل؟ أین فرسان الناس؟ تقدموا، فتقدموا فتضلوا بالقتال، ویکون القتل بکم».

ثم قال لی: «ولا تحدث فی سلاحک شیئاً».

ویواصل حذیفه حدیثه حول هذه المهمه التی لم یفز بها إلّا هو حیث یقول:

فذهبت فكنت بين ظهرانى القوم، أصطلى معهم على نيرانهم، وأذكر لهم القول الذى قال لى رسول الله (ص) :

أين قريش؟ أين كنانه؟ أين قيس؟

حتى إذا كان وجه السحر قام أبوسفيان يدعو باللات والعزى ويشرك.

ثم قال: نظر رجل من جليسه؟ قال: و معى رجل يصطلى، قال: فوثبت عليه مخافه أن يأخذنى فقلت: من أنت؟ قال: أنا فلان ; قلت: أولى.

فلما رأى أبو سفيان الصبح، قال أبوسفيان: نادوا: أين قريش؟ أين رؤوس الناس؟ أين قاده الناس؟ تقدموا.

قالوا هذه المقاله التى أتينا بها البارحه; ثم قال: أين كنانه؟ أين رماه الحدق؟ تقدموا; فقالوا هذه المقاله التى أتينا بها البارحه; ثم قال: أين قيس: أين فرسان الناس؟ أين أحلاس الخيل؟ تقدموا.

فقالوا هـذه المقاله التى أتينا بها البارحه; قال فخافوا فتخاذلوا، و بعث الله عليهم الريح، فما تركت لهم بناء إلاّ هدمته، و لا إناء إلاّ أكفته، و تنادوا بالرحيل.

قال حذيفه: حتى رأيت أبا سفيان وثب على جمل له معقول، فجعل يستحثه للقيام، ولا يستطيع القيام لعقاله.

وفى خبر آخر عن حذيفه نفسه يقول فيه:

وخشى أبوسفيان قائد قريش، أن يفجأهم الظلام بمتسللين من المسلمين، فقام يحذر جيشه، وسمعته يقول بصوته المرتفع:

«يا معشر قريش! لينظر كل منكم جليسه، وليأخذ بيده، وليعرف اسمه».

وهنا يقول حذيفه:

فسارعت إلى يد الرجل الذى بجوارى، وقلت له: من أنت..؟ قال: فلان بن فلان.

وبهذا العمل أمّن حذيفه وجوده بسلام بين جنود مشركى قريش.

ثم واصل حذيفه كلامه حول ما قاله أبو سفيان لجيشه المهزوم قائلاً:

واستأنف أبو سفيان نداءه إلى الجيش قائلًا:

يـا معشـر قريش... إنكم والله مـا أصـبحتم بـدار مقـام.. لقـد هلكت الكراع أى الخيل والخف أى الإبل وأخلفتنا بنو قريظه، وبلغنا عنهم الذى نكره، ولقينا من شدّه الريح ما لا تطمئن لنا قدر، ولا تقوم لنا نار، ولا يستمسک لنا بناء، فارتحلوا فإنى مرتحل...

ثم نهض فوق جمله، وبدأ المسير فتبعه المحاربون...

و قـال حـذيفه: فوالله لولا ـ ما قال لى رسول الله (ص): و لا تحـدث فى سـلاحک شـيئاً لرميته من قريب؛ وفى روايه أنّ رسول الله (ص) قال له: ولا تذعرهم على.

وعن رعـايته وحرصه الشديـد على الالـتزام بأمر رسول الله (ص) وعـدم مخالفته، يقول حـذيفه: فلما وليت من عنـده أى من عند رسول الله (ص) جعلت كأنما أمشـى فى حمام، حتى آتيهم فرأيت أبا سـفيان يصـلى ظهره بالنار، فوضـعت سهماً فى كبد القوس فأردت أن أرميه، فذكرت قول رسول الله (ص): لا تذعرهم على ولو رميته لأصبته، فرجعت وأنا أمشى فى مثل الحمام.

قال: و سار القوم، و جئت رسول الله (ص) فأخبرته، فضحک حتى رأيت أنيابه.

وفى روايه: فلمـا أتيته فأخبرته قررت، فألبسـنى رسول الله (ص) فضل عباءه كانت عليه يصـلى فيها، فلم أزل نائماً حتى أصبحت، فلما أصبحت قال: قم يا نومان.

وفى حديث آخر يقول حذيفه:

ثم إنى شـجعت نفسـى حتى دخلت المعسـكر، فـإذا أدنى النـاس منى بنو عامر يقولون: يا آل عامر، الرحيل الرحيل لا مقام لكم، وإذا الريح فى عسكرهم ما تجاوز عسكرهم شبراً، فوالله إنى لأسمع صوت الحجاره فى رحالهم وفرشهم، الريح تضربهم بها.

ثم خرجت نحو النـبى (ص) فلمـا انتصف الطريق أو نحو ذلـک إذا بنحو من عشـرين فارسـاً أو نحو ذلـک معتمّين فقـالوا: أخـبر صاحبک أنّ الله تعالى كفاه القوم، فرجعت إلى رسول الله (ص) وهو مشـتمل فى شـمله يصـلى، فوالله ما غـدا أن رجعت راجعتى القر وجعلت أقرقف «يرعد من البرد»، فأوحى إلىّ رسول الله (ص) بيده وهو يصلى، فدنوت منه فأسبل

على شملته، وكان رسول الله (ص) إذا حزبه أمر صلى؛ فأخبرته خبر القوم وأخبرته أنى تركتهم يترحلون فأنزل الله عزّوجل:

{يـا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنا عَلَيْهِمْ رِيحاً وَجُنُوداً لَمْ تَرَوْها وَكانَ اللَّهُ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيراً}.(۱)

ولذا نرى هذا الصحابى الجليل يوصى ويؤكد، لا فقط لمن معه من المؤمنين بل للآتين من بعدهم حيث يقول:

تعودوا الصبر وفى روايه: تعودوا البلاء فيوشك أن ينزل بكم البلاء مع أنه لا يصيبكم أشد مما أصابنا ونحن مع رسول الله (ص).

وشهد غير ذلك من المشاهد مع النبى (ص) ولم يتخلّف عنه قط.

معركه نهاوند وفتوحاته الأخرى

كما عرف حذيفه بفروسيته فى اقتناص المنافقين، الذين يظهرون الإيمان والتوحيد والحب، ويبطنون الكفر والشرك والحقد على دين الله تعالى، والكره لكل من اعتنقه، عرف أيضاً بشجاعته وبفروسيته فى ميادين الجهاد، وترى ذلك بوضوح فى معركه نهاوند، بعد أن اختاره الخليفه الثانى عمر بن الخطاب معاوناً لقائد جيش المسلمين يومذاك النعمان بن مقرن، وقام كل منهما بتجهيز جيشه ليقابل مائه وخمسين ألفاً من فرسان بلاد فارس المدرعين، وما إن اشتدت المعركه بين الفريقين واستشهد النعمان، حتى بادر حذيفه، والتقط رايه جيش المسلمين بعد أن كتم هو ومن معه مصاب أميرهم النعمان، حتى ينظروا ما يصنع الله تعالى فيهم وفى عدوهم لكيلا يهن الناس؛ وراح يحصد الأعداء ويديم أوار المعركه، وفتحت كل من همدان والرى والدينور على يديه؛ وعندما انتهت المعركه أخبر أخا النعمان وهو نعيم بن مقرن بوفاه أخيه النعمان، وجعله قائداً للجند تكريماً له ولأخيه.

۱- أنظر تاريخ الطبرى ۲: ۹۷ ۹۸ ؛ و مختصر تاريخ دمشق ۶: ۲۵۴ ۲۵۶ ؛ ومجمع البيان فى تفسير القرآن، للشيخ الطبرسى ؛ سوره الأحزاب:۹.

وفی قول من أقوال أخر: أنّ حذیفه مضی سنه إحدی وعشرین بعد نهاوند إلی مدینه نهاوند، فصالح أهل ماه دینار، وأعطاهم الأمان علی أنفسهم وأموالهم وأراضیهم، لا- یغیرون عن مله ولا یحال بینهم وبین شرائعهم، ولهم المنعه ما أدّوا الجزیه فی کلّ سنه إلی من ولیهم من المسلمین من مر بهم فأوی إلیهم یوماً ولیله ونصحوا، فإن غشوا وبدلوا فذمتنا منهم بریئه...

وأیضاً صالح أهل آذربیجان سنه اثنتین وعشرین بعد وقعه نهاوند بسنه علی أن یدفعوا ثمانمائه ألف درهم...

وأنه غزا ما سبذان، فافتتحها عنوه، وقد کانت فتحت من قبله فانتقضت.

ثم غزا همدان علی قول فافتتحها عنوه، ولم تکن فتحت قبل ذلک، ثم غزا الری فافتتحها عنوه، ولم تکن فتحت قبل ذلک، وإلیها انتهت فتوحه رضوان الله علیه.

وشارک هو وجمع من أصحاب رسول الله (ص) حیث کان معه الحسن والحسین وعبدالله بن عباس وآخرون، وبقیاده سعید بن العاص فی فتح آذربیجان.

وقد اشتد القتال فی منطقه طمیسه من تخوم جرجان، وقاتلهم أهلها بضراوه، حتی أن سعیداً صلّی بجنوده صلاه الخوف بعد أن سأل حذیفه عن الصلاه: کیف صلی رسول الله (ص)؟ فأخبره فصلی بهم سعید صلاه الخوف وهم یقتتلون. (۱)

فراسته

عرف هذا الصحابی الجلیل بأنه ذو فراسه وقدره علی استقراء الوجوه من حوله; لهذا فقد کان یستخدم فراسته وقدرته الفائقه هذه فی معرفه المنافقین الذین کانوا یخفون أنفسهم بین المسلمین ویکیدون لهم; یضاف إلی هذا أنّ النبی (ص) کان یطلع حذیفه علی أسماء المنافقین، وأسرّ إلیه بذلک، فکان یسمی: کاتم سرّ الرسول، صاحب سرّ الرسول؛ وفی هذا جاءت روایات:

۱- أنظر تاریخ الطبری ۲ ، حوادث سنه: ۲۱ ۲۲ وغیره.

ففی روایه عن نافع بن جبیربن مطعم أنه قال:

لم یخبر رسول الله (ص) بأسماء المنافقین الذین بخسوا به لیله العقبه بتبوک غیر حذیفه، وهم: اثنا عشر رجلًا لیس فیهم قرشی، وکلهم من الأنصار أو من حلفائهم.

وسیأتینا عن الإمام علی (ع) فی مناقب حذیفه، أنه کان أعلم الناس بالمنافقین، وأنه علم المعضلات والمفصلات.

وقد ورد أنّ الخلیفه الثانی عمر بن الخطاب کان لا یصلی علی جنازه حتی ینظر أحضرها حذیفه أم غاب عنها، فإن حضرها حذیفه صلی علیها وإلا فلا.

وفی روایه: إذا مات میت سأل هل سیصلی علیه حذیفه؟ فإن أجیب علیه بنعم، صلی علیه عمر، وإلّا فلا، حذراً من أن یصلی علی منافق.

حذیفه ودرس الصدقات

أبکت الصدقات حذیفه طویلًا وکانت درساً کبیراً له وامتحاناً عظیماً لإیمانه وصدقه ونزاهته; فقد ورد أنّ النبی (ص) استعمله علی بعض الصدقه.

فلما قدم قال: «یا حذیفه! هل رزئ من الصدقه شیء؟».

قال: لا یا رسول الله، أنفقنا بقدر، إلّا أنّ ابنه لی أخذت جدیاً من الصدقه.

قال: «کیف بک یا حذیفه إذا ألقی فی النار وقیل لک: ائتنا به؟!».

قال الراوی: فبکی حذیفه، ثم بعث الیها فجیء بها، فألقاها فی الصدقه.

ولاؤه و حبه لأهل البیت:

کان واحداً من أصحاب الإمام علی (ع) ومن أحبائه المخلصین:

و لطالما کان الإمام علی (ع) یذکر أصحابه بخیر ویثنی علیهم، حتی ورد أنه سئل (ع) عن بعض أصحابه ومنهم ابن مسعود وعمار وسلمان وأبوذر وکان یجیب بذکر مناقب کل واحد منهم.

فعن قیس بن حازم أنه قال: سئل علی بن أبی طالب (ع) عن... وسئل عن حذیفه فقال: «أعلم الناس بالمنافقین».

وفی حدیث عن النزال بن سبره الهلالی أنه قال:

وافقنا من علی بن أبی طالب (ع) ذات یوم طیب نفس ومراح، فقلنا: یا أمیرالمؤمنین، حدثنا عن أصحابک؛ وذکر الحدیث وفیه قلنا: فحدثنا عن حذیفه.

قال: «ذاک امرؤ علم المعضلات والمفصلات، وعلم أسماء المنافقین، إن تسألوه عنها تجدوه بها عالماً».

وقبل وفاته رضوان الله تعالی علیه بایع علیاً۷ وراح یوصی الناس بطاعته، کما أمر أولاده بالقتال تحت رایه الإمام أمیرالمؤمنین علی (ع) وفعلاً قاتلا تحت رایته، حتی قتلا بمعرکه صفین. (۱)

و قد عرفت أمّ حذیفه أنها کانت من الصحابیات الفاضلات، وقد عرفت أیضاً بحبها لأهل بیت النبوه والطهاره حتی ورد أنّ حذیفه قال:

سألتنی أمی: منذ متی عهدک بالنبی (ص)؟

قال: فقلت لها: دعینی حتی آتی النبی (ص) فأصلی معه المغرب، ثم لا أدعه حتی یستغفر لی ولک.

قال: فأتیت النبی (ص) فصلیت معه المغرب، فصلی النبی (ص) العشاء، ثم انفتل فتبعه، فعرض له عارض فناجاه، ثم ذهب فاتبعته، فسمع صوتی فقال: من هذا؟

فقلت: حذیفه.

فقال: مالک؟

فحدثته بالأمر.

فقال: غفر الله لک ولأمک; ثم قال: أما رأیت العارض الذی عرض لی قبیل؟ وفی روایه أخری: «یا حذیفه هل التفتّ إلی الحاله التی کنت علیها؟

۱- أنظر الکامل ۳: ۱۴۷ ; والحاکم فی مستدرکه ۳: ۳۸۰ ; ومروج الذهب ۲: ۳۹۴.

قال: قلت: بلی.

قال: فهو ملک من الملائکه، لم یهبط إلی الأرض قط قبل هذه اللیله، استأذن ربه أن یسلم علی، ویبشرنی أنّ الحسن والحسین سیدا شباب أهل الجنه، وأنّ فاطمه سیده نساء أهل الجنه. (۱)

ممارواه

احتل هذا الصحابی الجلیل والعبد الصالح منزلهً کبیره ومقاماً محموداً فی کتب الرجال من الفریقین.

وقال عنه علماء رجال الإمامیه: إنه سکن الکوفه، ومات بالمدائن بعد بیعه أمیرالمؤمنین۷ بأربعین یوماً، وهو من أصحاب رسول الله (ص) ومن أصحاب علی (ع) وهو من الذین مضوا علی منهاج نبیهم، ولم یغیروا ولم یبدلوا، وجلاله حذیفه وولاؤه لأمیرالمؤمنین واضحه. (۲)

و لحذیفه روایات عدیده عن النبی (ص) و أکثر من الروایه، حتی ذکروا أنه روی له الشیخان مسلم والبخاری فی صحیحیهما۲۲۵ حدیثاً متفقاً علیها، وقد روی عن حذیفه کثیر من الصحابه والتابعین، ذکر هذا فی کتب الحدیث للفریقین.

ومما رواه حذیفه أنه قال:

۱ صلیت لیلهً مع النبی (ص) فی رمضان، فقام یغتسل ففضلت منه فضله فی الإناء، فقال: إن شئت فأرقه، وإن شئت فصبّ علیه.

قال: قلت: یارسول الله، هذه الفضله أحب إلی مما أصب علیه.

قال: فاغتسلت به وسترنی.

قال: قلت: لا تسترنی.

۱- ذکر هذا الشیخ ذبیح الله المحلاتی فی ریاحین الشریعه ، نقلاً عن ابن منده وأبی نعیم ۳: ۳۷۶.

۲- فانظر فیها کتب علماء الشیعه.

قال: لأسترنك كما سترتنی.

۲ لقد حدثنی رسول الله (ص) ما كان ومایكون حتی تقوم الساعه.

۳ كان الناس یسألون رسول الله (ص) عن الخیر، وكنت أسأله عن الشر مخافه أن یدركنی...

قلت: یا رسول الله فهل بعد هذا الخیر من شر؟

قال: نعم..

قلت: فهل بعد هذا الشر من خیر؟

قال: نعم، وفیه دخن..

قلت: وما طخنه..؟

قال: قوم یستنّون بغیر سنتی.. ویهتدون یغیر هدیی، وتعرف منهم وتنكر..

قلت: وهل بعد ذلك الخیر من شر..؟

قال: نعم! دعاه علی أبواب جهنم، من أجابهم إلیها قذفوه فیها...

قلت: یا رسول الله، فما تأمرنی إن أدركنی ذلك...؟

قال: تلزم جماعه المسلمین وإمامهم...

قلت: فإن لم یكن لهم جماعه ولا إمام...؟

قال: تعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعض علی أصل شجره حتی یدركك الموت وأنت علی ذلك..!!

أرأیتم قوله: «كان الناس یسألون رسول الله (ص) عن الخیر، وكنت أسأله عن الشر مخافه أن یدركنی»...؟

وعنه أیضاً أنه قال: كنتم تسألون عن الرخاء، وكنت أسال عن الشده لأتقیها، ولقد رأیتنی وما من یوم أحب إلی من یوم یشكو إلی فیه أهل الحاجه، إن الله إذا أحب عبداً ابتلاه، یا موت! غظ غیظك وشد شدك، أبی قلبی إلا حبك.

۵ خیّرنی رسول الله (ص) بین الهجره والنصره، فاخترت النصره.

۶ سألت النبی (ص) عن کل شیء حتی عن مسح الحصا فقال: واحده أو دع.

۷ لقد حدثنی رسول الله (ص) بما یکون حتی تقوم الساعه، غیر أنی لم أساله ما یخرج أهل المدینه منها.

۸ قام فینا رسول الله (ص) مقاماً، ما ترک شیئاً یکون فی مقامه ذلک إلی قیام الساعه إلاّ حدث به، حفظه من حفظه، ونسیه من نسیه، قد علمه أصحابی هؤلاء، وإنه لیکون منه الشیء قد نسیته فأراه فأذکره; وفی روایه: فأذکر کما یذکر الرجل وجه الرجل إذا غاب عنه، ثم إذا رآه عرفه.

۹ وقال أیضاً: أنا أعلم بکل فتنه هی کائنه فیما بینی وبین الساعه، وما بی أن یکون رسول الله (ص) أسرّ لی شیئاً لم یحدث به غیری، وکان ذکر الفتن فی مجلس أنا فیه، فذکر ثلاثاً لا یذرن شیئاً، فما بقی من أهل ذلک المجلس غیری.

۱۰ وبیت الله کما علَّمنا الإسلام یحتاج فی زیارته إلی طهاره المظهر والمخبر، وقد روی القرطبی عن حذیفه أنّ النبی (ص) قال: «إن الله أوحی إلیّ یا أخا المنذرین، یا أخا المرسلین، أنذر قومک ألا یدخلوا بیتاً من بیوتی إلاّ بقلوب سلیمه، وألسنه صادقه، وأیدٍ نقیه، وفروج طاهره، وألا یدخلوا بیتاً من بیوتی مادام لأحد عندهم مظلمه، فإنی ألعنه ما دام قائماً بین یدیّ، حتی یردّ تلک الظلامه إلی أهلها، فأکون سمعَه الذی یسمع به، وبصره الذی یبصر به، ویکون من أولیائی وأصفیائی، ویکون جاری مع النبیّین والصدیقین، والشهداء والصالحین».

۱۱ وحدّث قائلاً: کان رسول الله (ص) إذا قام من اللیل، قال: «أللهم لک الحمد کله، ولک الملک کله...».

۱۲ وعن أبی هریره: أنّ حذیفه قال: لأقومن اللیله، فلأمجدن ربی عزوجل.

قال: فسمعت صوتاً ورائی لم أسمع صوتاً قط أحسن منه؛ الأمر کله، علانیته وسره، اغفر لی ما سلف منی، واعصمنی فیما بقی من أجلی.

۱۳ وعنه أنه قال: إن أقر أیامی لعینی یوم أرجع فیه إلی أهلی، فیشکون إلی الحاجه،

والذی نفسی بیده لقد سمعت رسول الله (ص) یقول: «إنّ الله لیتعاهد عبده بالبلاء، کما یتعاهد الوالد ولده بالخیر، وإنّ الله تعالی لیحمی عبده المؤمن الدنیا، کما یحمی المریض أهله الطعام».

۱۴ بحسب المرء من العلم أن یخشی الله عزّوجل، وبحسبه من الکذب أن یقول: استغفر الله وأتوب إلیه، ثم یعود.

۱۵ لو حدثتکم بحدیث لکذبنی ثلاثه أثلاثکم؛ أبو البختری، وهو راوی هذا الحدیث، ففطن له شاب فقال: من یصدقک إذا کذبک ثلاثه أثلاثنا! فقال: إن أصحاب محمد۹ کانوا یسألون رسول الله (ص) عن الخیر، وکنت أسأله عن الشر؛ قال: فقیل له: ما حملک علی ذلک؟ فقال: إنه من اعترف بالشر وقع فی الخیر.

۱۶ وعنه أنه سأل عن میت الأحیاء فأجاب: هو الذی لا ینکر المنکر بیده، ولا بلسانه ولا بقلبه.

۱۷ وعنه أنه قال من الخفیف:

لیس من مات فاستراح بمیت

إنما المیت میت الأحیاء

فقیل له: یا أبا عبدالله، وما میت الأحیاء؟

قال: الذی لا یعرف المعروف بقلبه، ولا ینکر المنکر بقلبه.

۱۸ وعنه أنه قال: خذوا عنا فإنا لکم ثقه، ثم خذوا عن الذین یأخذون عنا، فإنهم لکم ثقه، ولا تأخذوا عن الذین یلونهم؛ قالوا: لم؟ قال: لأنهم یأخذون حلو الحدیث، ویدعون مرّه ولا یصلح حلوه إلاّ بمرّه.

۱۹ لو کنت علی شاطئ نهر، وقد مددت یدی لأغرف فحدثتکم بکل ما أعلم ما وصلت یدی إلی فمی حتی أقتل.

۲۰ إنّ الحق ثقیل، وهو مع ثقله مریء، وإنّ الباطل خفیف وهو مع خفته وبیء، وترک الخطیئه خیر من طلب التوبه، ورب شهوه ساعه أورثت حزناً طویلاً.

۲۱ إنا حملنا هذا العلم وإنا نؤدیه إلیکم وإن کنّا لا نعمل به.

وهنـا يقول البيهقى عن قول حـذيفه: "وإن كنـا لا نعمل به"، يريـد والله أعلم فيما يكون نـدباً واسـتحباباً فلا يظن بهم أنهم كانوا يتركون الواجب عليهم ولا يعملون به، إذ كانوا أعمل الناس بما وجب عليهم، ويحتمل أن يكون ذهب مذهب التواضع فى ترك التزكيه.

۲۲ قيل له: مالك لا تتكلم؟ قال: إنّ لسانى سبع أتخوّف إن تركته يأكلنى.

۲۳ ليس خياركم من ترك الدنيا للآخره، ولا خياركم من ترك الآخره للدنيا، ولكن خياركم من أخذ من كل.

ومما قاله

الخير فى رأى حـذيفه واضـح، لا غبار عليه لمن أراده وابتغاه، أما الشـر فهو الذى يتنكر، ويتستر، ويختفى، ويتلون، لهذا تفرد هذا الرجل الأريب بـدراسه الشـر ومنابعه، والنفاق ومصادره، حتى يتجنبها؛ وليس هذا وحسب، بل راح أيضاً يهتم بالسؤال عن الشده لا عن الرخاء، ليتقى الشده وأبوابها، ويبعد الآخرين عن كل ذلك، حقاً إنه صاحب بصيره! وهذه بعض أقواله:

سئل حذيفه: أى الفتن أشد؟ قال: أن يعرض عليك الخير والشر، فلا تدرى أيهما تركب.

قال حذيفه: لا تقوم الساعه حتى يسود كل قبيله منافقوها.

قال حذيفه: إنّ الرجل ليدخل المدخل الذى يجب أن يتكلم فيه لله، و لايتكلم، فلا يعود قلبه إلى ما كان أبداً.

قال حذيفه: إياكم ومواقف الفتن!

قيل: وما مواقف الفتن يا أبا عبدالله؟

قال: أبواب الأمراء، يدخل أحدكم على الأمير، فيصدقه بالكذب، ويقول ما ليس فيه.

وعن أم سـلمه رضوان الله تعـالى عليهـا أنهـا قـالت: قال حـذيفه: والله لوددت أنّ لى إنساناً يكون فى مالى، ثم أغلق على باباً، فلا يدخل على أحد، حتى ألحق بالله عزّ وجل.

و له أنه قال:

إنّ الله تعالی بعث محمداً۹ فدعا الإنس من الضـلاله إلی الهدی، ومن الکفر إلی الإیمان، فاستجاب له من استجاب، فحیی بالحق من کان میتاً ومات بالباطل من کان حیاً، ثم ذهبت النبوه، وجاءت الخلافه علی مناهجها، ثم یکون ملکاً عضوضاً...!!

فمن الإنس من ینکر بقلبه، ویـده ولسانه.. أولئک استجابوا للحق، ومنهم من ینکر بقلبه ولسانه، کافاً یـده، فهـذا ترک شـعبه من الحق، ومنهم من ینکر بقلبه، کافاً یـده ولسانه، فهـذا ترک شـعبتین من الحق، ومنهم من لا ینکر بقلبه ولا بیـده ولا بلسانه، فذلک میّت الأحیاء.

والقلوب عند حذیفه أربعه، حیث یقول:

القلوب أربعه:

قلب أغلف، فذلک قلب الکافر.

مصفح، فذلک قلب المنافق.

وقلب أجرد، فیه سراج یزهر، فذلک قلب المؤمن.

وقلب فیه نفاق وإیمان، فمثل الإیمان کمثل شجره یمدّها ماء طیب.. ومثل النفاق کقرحه یمدّها قیح ودم، فأیهما غلب، غلب!

وله أیضاً: جئت النبی (ص) فقلت یا رسول الله!

... إنّ لی لساناً ذرباً علی أهلی، وأخشـی أن یـدخلنی النار، فقال النبی (ص) لی: فأین أنت من الاسـتغفار؟ إنی لأسـتغفر الله فی الیوم مائه مره!

اختیاره الکوفه!

کان بحق موفقاً فی کل مهمه انتـدب الیها أو مشوره تطلب منه، فهو العابـد وهو المقاتل الخبیر العارف الناصـح، لم تمنعه عبادته الکثیره عن أن یکون مقاتلاً جسوراً، ولم یمنعه کل ذلک عن أن یکون مهندساً ومخططاً لمشاریع أخری یحتاجها المسلمون، إن فی المعارک التی خاضوها ضد أعداء الله وإن فی بناء دولتهم.

فحينما انتقل سعد بن أبى وقاص والمسلمون معه من المدائن إلى الكوفه واستوطنوها، وذلك بعد أن أنزل مناخ المدائن بالعرب المسلمين أذى بليغاً.

مما جعل عمر يكتب إلى سعد كى يغادرها فوراً، بعد أن يبحث عن أكثرالبقاع ملاءمةً فينتقل بالمسلمين إليها.

فمن الذى وكل إليه أمر اختيار البقعه والمكان...؟

كان حذيفه بن اليمان هو صاحب هذه المهمه، فقد ذهب ومعه سلمان بن زياد، يختاران المنطقه، والمكان الملائم حتى بلغا أرض الكوفه، وكانت حصباء جرداء مرمله.

شمّ حذيفه عليها أنسام العافيه، فقال لصاحبه: هنا المنزل إن شاء الله، وهكذا خططت الكوفه، وأحالتها أيدى المسلمين إلى مدينه طيبه عامره.

وما كاد المسلمون ينتقلون إليها، حتى شفى سقيمهم، وقوى ضعيفهم، ونبضت بالعافيه عروقهم..!!

لقد كان حذيفه واسع الذكاء، متنوّع الخبره، وكان يقول للمسلمين دائماً:

«ليس خياركم الذين يتركون الدنيا للآخره.. ولا الذين يتركون الآخره للدنيا.. ولكن الذين يأخذون من هذه ومن هذه»...

ولايته على المدائن

لقد ضرب حذيفه أمثله رائعه فى كل مواقفه، وهو يصحب رسول الله (ص) ويلازمه ويأتمر بأوامره، ويتعلم منه الكثير الكثير، وقد ترك ذلك أثره فى عباداته وفى جهاده وصلحه وفى زهده وتواضعه، وهو يتولى شؤون المسلمين وإدارتهم؛ ونرى هذا واضحاً حينما ولاه الخليفه الثانى عمر بن الخطاب على المدائن.

وما إن وصل خبر ذلك إلى أهل المدائن، وقد اقترن بمناقبه التى سمعوها عنه بما فيها من ورعه وصدقه وبلائه العظيم فيما خاضه من معارك، خصوصاً فى فتح العراق، حتى خرجت أفواجهم التى يحدوها الأمل الكبير لرؤيته والشوق الأكبر لاستقباله.

و هم على حالتهم هـذه، إذ بهم يفاجئون بشـىء لم يكونوا ألفوه، من بذخ ولاه أمورهم، وما عهدته بلادهم بلاد فارس، من أبهه الولاه والسـلاطين، فوجئوا بشـخص على حمار على ظهره أكاف قـديم، يمسک بيـديه زاده، كان رغيفاً وقليلاً من الملح، يضـمه موكب متواضع، وما أن عرفوا أنه الوالى الجديد حتى راحوا يحتشدون حوله، ويحفون به، وعلامات الاسـتغراب تلاحق وجوههم مما يرونه:

إنه أنمـوذج يلقى بغرابته عليهم، ويزيـدهم تعجباً مـاعليه الرجـل من تواضـع وبسـاطه فى مـأكله وملبسه ومـوكبه ومركبه، وظلـوا يشخصون بأبصارهم إليه، فحانت منه نظره إليهم، وعرف أنهم يتمنون أن يسمعوا منه شيئاً، إنه إنذار لهم وتحذير:

«إياكم ومواقف الفتن!

وما مواقف الفتن يا أبا عبدالله؟!

فأجابهم:

أبواب الأمراء!

يدخل أحدكم على الوالى أو الأمير، فيصدّقه بالكذب، ويمتدحه بما ليس فيه»..!

إنها صرخه قويه ضد النفاق تمقته وتحتقره!! إنها صرخه وال جديد، جديد عليهم فى كل شىء.

إذن، هو لايريـدهم بكلمـاته هـذه بـل بصـرخته هـذه إلا ـ حراساً أمنـاء ومراقبين أشـداء، وأعين لخطواته وناصـحين صـادقين له، يسددونه فى القول والعمل.

وبالتالى، هو لايريـد أن ينفرد فى الحكم، ولايريـد منهم أن يطيعوه إلا بالحق، وأن لا يمتدحوه بما ليس فيه، أو يتزلفوه و يتملقوه بالثناء عليه...

إنه منهج حكم واع وواعد، راح حذيفه يربيهم عليه، ويدربهم على تحمله! لايريد منهم التواء، ولا مراء، ولا خداعاً ولا خيانه، ولا كذباً ولا نفاقاً، ولا طاعه فى معصيه، إنه يريدهم أن يقفوا مع الحق، وللحق، وأن لا يخافوا فى الله لومه لائم.

إنه أسلوب آخر لم يكونوا عرفوه من قبل!

أمـا هـو فقـد تعلمه من الـدين الجديـد والرسول المربى (ص) منـذ أن آمن برسـاله السـماء، وانضم إلى مـدرسه النبوه والصـحبه المباركه، حينما وفق هو وأخوه صفوان وأبوهما لترديد شهاده أن لا إله إلا الله، وأنّ محمداً رسول الله بصدق وإخلاص.

وكان الخليفه الثانى إذا ولى والياً على قوم كتب إليهم: «إنى وليت عليكم فلاناً وأمرته بكذا وكذا، فاسمعوا له وأطيعوا».

فلما ولى حذيفه كان ذلك سنه اثنتين وعشرين كتب لأهل المدائن:

«إنى قد وليت عليكم فلاناً فأطيعوه أو اسمعوا له وأطيعوه وأعطوه ما سألكم».

فقـالوا: هـذا رجـل له شـأن كبير، فخرجوا لاسـتقباله، أو فركبوا ليتلقوه فلقوه على بغـل تحته أكاف، وهو معترض عليه رجلاه من جانب واحد، فلم يعرفوه فأجازوه فلقيهم الناس فقالوا:

أين الأمير؟

قالوا: هو الذى لقيتم.

فركضوا فى إثره فأدركوه وهو يركب حماره، وفى يده رغيف وفى الأخرى عرق، وهو يأكل منهما فسلموا عليه.

وقالوا: سلنا ما شئت.

فقال: أسألكم طعامًا آكله وعلفاً لحمارى هذا ما دمت فيكم.

أو فنظر إلى عظيم منهم، فناوله العرق والرغيف... وأعطاه خادمه.

فأقام حذيفه فيهم ما أقام.

ثم بعث إليه عمر يستدعيه إلى المدينه، فلما بلغه مقدم حذيفه، كمن له عمر فى الطريق، فلما رآه على الحال التى خرج من عنده عليها أتاه فالتزمه أو فأكرمه وقال: أنت أخى وأنا أخوك.

كلمات من نور

مرض حـذيفه مرضه الذى توفى فيه، وهو فى المدائن، حيث ولاه عمر بن الخطاب ولايتها، فأقام بها إلى حين وفاته، والتى كانت سنه ست وثلاثين هجريه. وقيل: سنه خمس

وثلاثين، وقيل: توفى بعد عثمان بأربعين يوماً، وقيل: قبل عثمان بأربعين ليله.

وقـد أبى حـذيفه أن لا يودع هـذه الـدنيا إلا بمواقف أخرى لا تقلّ عظمه عن مواقفه، وهو يعلن إسـلامه وهو يجاهد، وهو يلازم النبى (ص) بصدق وإخلاص ووعى... أبى إلا أن يقدم لمن حوله بل للأجيال من بعدهم كل ما ينفعهم فى حياتهم الدنيا، ويبقى ذخيره طيبه لهم فى حيـاتهم الأـخرى، كلمـات كلها نور، وكيف لاتكون كـذلك وهى تنبع من قلب ملىء بالإيمان، وأى إيمان! إنه إيمـان ربـانى عارف بالله بكل ما تحمله من معان كبيره عظيمه، تراه قـد جسـدها فى سلوكه، فى سـكناته وحركاته فى أقواله وأفعاله ; وهذه طاقه حكيمه طيبه منها وهو يصارع مرضه الذى توفى فيه:

تقول الروايه:

لما مرض حذيفه مرضه الذى مات فيه قيل له: ما تشتهى؟

قال: اشتهى الجنه.

قالوا: فما تشتكى؟

قال: الذنوب.

قالوا: أفلا ندعو لك الطبيب؟

قال: الطبيب أمرضنى.

لقد عشت فيكم على خلال ثلاث: الفقر فيكم أحب إلى من الغنى، والضـعه فيكم أحب إلى من الشـرف، وإن من حمدنى منكم ولامنى فى الحق سواء.

ثم قال: أصبحنا؟ أصبحنا؟

قالوا: نعم.

قال: أللهم، إنى أعوذ بك من صباح النار، حبيب جاء على فاقه، فلا أفلح من ندم.

وقد حدث جعفر بن محمد عن أبيه قال:

قال حذيفه حين حضره الموت:

مرحباً بالموت وأهلاً، مرحباً بحبيب جاء على فاقه، لا أفلح من ندم، أللهم إنى لم أحب

الـدنيا لحفر الأنهـار، ولاـ لغرس الأشـجار، ولكن لسـهر الليـل وظمأ الهواجر، وكثره الركوع والسـجود، والـذكر لله عزّوجل كثيراً، والجهاد فى سبيله، ومزاحمه العلماء بالركب.

وعن زياد مولى ابن عياش عن بعض أصحاب النبى (ص) أنه قال:

دخلت على حذيفه فى مرضه الذى مات فيه فقال:

أللهم، إنـك تعلم لولا أنى أرى أنّ هـذا اليوم أول يوم من أيام الآخره، وآخر يوم من أيام الـدنيا، لم أتكلم بما أتكلم به، أللهم، إنك تعلم أنى كنت أختار الفقر على الغنى، وأختار الـذله على العز، وأختار الموت على الحياه، حبيب جاء على فاقه، لاأفلـح من ندم، ثم مات.

وفى دعاء له: أللهم إنى أعوذ بك من صباح النار ومن مسائها.

هـذه آخر سـاعه من الـدنيا، أللهم، إنك تعلم أنى أحبك، فبارك لى فى لقائك. ركب أبو مسـعود الأنصارى فى نفر كانوا معه لزياره حذيفه، وهو فى المدائن، وقد ألمّ به مرض الموت، ووصلوا إليه فى بعض الليل، فقال:

أى الليل ساعه هذه؟

قالوا: بعض الليل، لوجود الليل.

قال لهم: هل جئتم بأكفانى؟

قالوا: نعم.

وهنا بادرهم بقوله:

فلا تغالوا بكفنى، فإن يكن لصاحبكم عند الله خير يبدل خيراً من كسوتكم، وإلا تسلب سلباً سريعاً.

وفى قول:

أجئتم معكم بأكفان..؟

قالوا: نعم..

قال: أرونيها..

فلما رآها، وجدها جديده فارهه..

فارتسمت على شفتيه آخر بسماته الساخره، وقال لهم:

«ما هذا لی بکفن.. إنما یکفینی لفافتان بیضاوتان، لیس معهما قمیص..

فانی لن أترک فی القبر إلا قلیلاً، حتی أبدّل خیراً منهما... أو شرّاً منهما».!

وتمتم بکلمات، ألقی الجالسون أسماعهم فسمعوها:

«مرحبا بالموت. . حبیب جاء علی شوق. . لا أفلح من ندم».

ثم صعدت إلی الله روحُه راضیه مرضیه!

فکانت هذه آخر کلماتک، وآخر ما نطق به لسانک، إنها حقاً کلمات من نور!

رضوان الله تعالی علیک

(۲۰) سلمان الفارسی

اشاره

هادی القبیسی

تشرق علی صفحاتنا هذه شمس الحقیقه، التی جسّدت جوهر الوفاء والمحبه والتفانی; من أجل خط ونهج کان ولا یزال یعیش فی هاجس شخصیه عظیمه، رسمت لنفسها طریقاً شائکاً نهایته السعاده الأبدیه.

هذا الطریق لایسلکه إلا من رأی الحقیقه بقلبه قبل عینیه، فقرر أن یستمر به وإن أدی إلی ترک الأهل والأوطان، فعزف عن الحیاه الرغیده التی لم تدم لأحد، واستبدلها بما هو أعظم منها.

فمن اللحظه الأولی التی وصل بها هذا الباحث إلی أنشودته، وعثر فیها علی ضالته، أخلص لها بکل ما اُوتی من قوّه، وبقی یقدّم ویضحی ویتفانی من أجلها، غیر متأثر بالعوائق والموانع التی توضع فی طریقه، لأنه کان موطناً نفسه علی کلّ المصاعب والمتاعب من أجل هذا الهدف، وقد وصل إلیه، وبعد هذا فلا یثنیه عنه أحد، فهو کالجبل الراسخ لا تهزه الریاح العواتی.

تُری من هو ذلک الشخص الذی یتحلی بهذه الصفات؟ لابدّ أنّه من عظماء الأمّه

الإسلاميه، ورمز من رموزها وعلماً من أعلامها.

نعم، إنّه صحابی من بين آلاف الصحابه الذين عاشوا مع رسول الله (ص) وصاحبوه، لكنّه استطاع بإيمانه وإخلاصه ووفائه وثباته وتفانيه فی خدمه الإسلام ونبيّه الأكرم (ص) أن يحتل الصداره فی صف الصحابه عامه والتابعين له بإحسان خاصه، ليكون رائدهم ورمزهم وقدوتهم بعد أميرالمؤمنين (ع) والذی صار جزءاً وفرداً من أفراد بيت النّبوه، ومعدن الرساله، ومهبط الوحی والتنزيل، وذلك حين قال فی حقه النبی (ص): «سلمان منّا أهل البيت».

هذا واحد من الصفوه، ومثال متكامل برز بين مجموعه صُنِّفت من الرعيل الأول، والطبقه المتميزه من الصحابه أمثال أبی ذر وعمّار والمقداد و... وغيرهم.

وهناك نوع آخر أيضاً، كان يُعدّ من صحابه النّبی (ص) لكن كان من صنف آخر، ونوع لا يحمل من الصحبه إلّا اسمها، وهم الذين قال (ص) فيهم: «إنّ من أصحابی اثنی عشر منافقاً منهم ثمانيه لا يدخلون الجنّه».(۱)

وقال (ص) أيضاً: «ليردنّ علیّ الحوض رجال ممّن صحبنی ورآنی حتی إذا اُرفعوا إلیّ اختلجوا دونی، فلأقولنّ: ربّ أصحابی، فليقالنّ: إنك لا تدری ما أحدثوا بعدك».(۲)

وفی سند آخر بزياده: «إنّهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم».(۳)

من هنا نعلم أنّه ليس كلّ من صاحب النّبی الأكرم (ص) كان ذا مقام ومكانه، بل هو مقام من ثقلت موازينه، قال عزّوجلّ: (فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوازِينُهُ * فَهُوَ فِی عِيشَهٍ راضِيَهٍ). (۴) وقال أيضاً: (فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّهٍ خَيْراً يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّهٍ شَرًّا يَرَهُ). (۵)

إذن، ليس من العدل والإنصاف أن نصنّف الصحابه كلّهم فی مرتبه واحده، وحق القول

۱- كنز العمّال ۱: ۱۶۹.

۲- المصنف ۷: ۴۱۵.

۳- المصدر نفسه ۸ : ۱۳۹.

۴- القارعه: ۶ ۷.

۵- الزلزله: ۷.

ما قاله عزّوجلّ: (إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقاكُمْ). (۱)

من هنا، رأينا ضروره تصفح التأريخ، والنظر فى حياه كلّ صحابى، حتى نصنّفه من أى الطائفتين هو، وليُعلم كلّ على حقيقته، ويعطى كلّ ذى حق حقه، حتى لانتولى من ليس أهلاً، أو نتبرأ ممن هو أهل، فنكون قد أجحفناهم، فرفعنا من كان أهلاً للضعه، ووضعنا من كان أهلاً للرفعه.

وقد سعيت جاهداً تبيان الحقائق ونفض الغبار عنها، وإيقاف القارئ الكريم على الموارد التى حاول بعضهم أن ينال فيها من شخصيه سلمان وأمثاله من الصحابه الأجلّه ويشوّه سمعته، ومنه تعالى نستمد التوفيق.

اسمه ونسبه

كان اسمه قبل الإسلام روزبه بن خشنودان، نشأ فى بلده تدعى رامهرمز من توابع بهبهان، وكانت من توابع شيراز سابقاً، ومن توابع خوزستان حالياً،(۲) خلافاً لما يدعيه بعض المؤرخين أنّه من إصفهان من بلده جى، فهو من أبناء وأشراف قومه، سمّاه رسول الله (ص) سلمان بعد أن أعتقه.

كنيته: أبو عبدالله، أبوالحسن، أبو إسحاق، أبو البيّنات، أبو المرشد، واشتهر بالكنيه الأولى.

لقبه: المحمّدى كما سنقرأ ذلك فيما بعد، الخير.

قصّه إسلامه

هناك قصه طويله تنقل عنه يذكرها جمع من مؤرخى أهل السنّه تتضمن: أنّه كان يسجد للشمس ويعبد النار، ثمّ صار نصرانياً، ثمّ أسلم بعد مجيئه إلى المدينه المنوره; إلاّ أنّ

۱- الحجرات: ۱۳.

۲- إكمال الدين: ۱۵۹ ۱۶۴.

هـذه القصه بخصوصـياتها لـم تثبت من المصـادر المعتبره، مضافاً إلى وجود جمع من النصوص المعتبره التى تثبت خلاف ذلك، خصوصاً وأنّ البعض حاول أن يسـتنتج من هـذه القصه من دون تفحص أنّ سـلمان= كان إنساناً متقلّباً كلما رأى ديناً أخلص له، وتمسک به من دون تثبت وتعقل.

لكننـا إذا لاحظنا كيفيه تعرفه على النبى الأكرم (ص) ومتابعه العلامات التى أعطيت له من قبل آخر راهب لازمه إلى حين وفاته، وبشّره بخروج النّبى (ص) من أنّه يأكـل الهـديه ولاـ يأكل الصـدقه، وبين كتفيه خاتم النّبوه، نعلم أنه لم يسـلّم له إلا بعـد التثبت والتيقن.

منهـا: مـا يـذكر أنّه حينما سـمع بمقـدم النبى (ص) إلى المـدينه، ذهب إليه آخـذاً معه طبقاً من التمر أو اللحم، وقـدمه إلى النّبى (ص) وقال له: هـذا صـدقه، فقال النبى (ص) لأصـحابه: كلوا وأمسک هو (ص)؛ يقول سـلمان: فقلت فى نفسـى هـذه علامه، ثمّ ذهب وجـاء مرّه أخرى، وقـدّم طبقـاً فيه تمر، وقال للنّبى (ص) : هـذه هـديه، فمـدّ النّبى (ص) يـده، وقال: «بسم الله كلوا»; يقول: فقلت فى نفسـى هـذه علاـمه أخرى، ثمّ حـاول التعرف على العلاـمه الثـالثه فصار يـدور خلف النّبى (ص) فأحس به النّبى (ص) فألقى بثوبه عن كتفيه فظهرت العلامه، يقول: فسقطت على قدمى رسول الله (ص) أقبلهما وأسلمت على يديه.

وقال الصدوق: ما سجد قط لمطلع الشمس، وإنّما كان يسجد لله عزّ وجلّ، وكانت القبله التى أمر بالصلاه إليها شرقيه، وكان أبواه يظنّان أنّه إنّما يسجد لمطلع الشمس كهيئتهم، وكان وصى وصى عيسى.... (۱)

وأما ما ينقل عنه أنّه قال: «كنت ضالاً فهدانى الله بمحمّد (ص) وكنت مملوكاً فأعتقنى الله بمحمّد (ص)».

فيمكن الإجابه عليه بعده أمور:

۱ إذا ثبت صدورها عنه فلا شك أنّه كان ممّن يكتم إيمانه آنذاک، كما تشـهد النصوص بذلک; خوفاً من أهله، كما أنّه ترک الأهل والأوطان لأجل هذا.

۱- إكمال الدين ۱: ۱۶۵.

۲ لعلّه كان يتماشا مع مرتكزات القوم، إذ كانوا يعتقدون أنّه مجوسى، لكونه قادماً من بلاد المجوسيّه، ومن أسره مجوسيه أيضاً، فهو لم يؤخذ بحرب ولا ـ غزو، بل آجرهم نفسه فانقلبوا عليه، وباعوه على أنّه عبد وبقرينه قوله: كنت مملوكاً، مع أنا نعلم كما ينقل المؤرخون،(۱) أنّه أجبر على العبوديه ظلماً، لقاء مبلغ من المال، ومع هذا نراه يتكلّم بحسب المرتكز والظاهر، فإنّه كان فى الظاهر عبداً وكافراً، لأنّه لايستطيع أن ينفى هذا الشىء عن نفسه. (۲)

۳ روى الكشى بإسناده عن أبى جعفر (ع) قال: «جلس عدّه من أصحاب رسول الله (ص) ينتسبون، وفيهم سلمان الفارسى، وأنّ عمر سأله عن نسبه وأصله؟ فقال: أنا سلمان بن عبدالله، كنت ضالاً فهدانى الله بمحمّد، وكنت عائلًا فأغنانى الله بمحمّد، وكنت مملوكاً فأعتقنى الله بمحمّد، فهذا حسبى ونسبى... إلى أن قال، فقال النّبى (ص): يا سلمان ليس لأحد من هؤلاء عليك فضل إلا بتقوى الله، وإن كان التقوى لك عليهم فأنت أفضل».(۳)

إذن، هذه العباره صدرت من سلمان فى هذا الموقف الحرج من بعض الصحابه، وقد غضب النبى (ص) لهذا النوع من التعامل، فكأنّ سلمان يريد أن يبيّن لهم بأنّ العبره فى من حسن إسلامه، وثبتت عقيدته، وكان مؤمناً عن صدق، وليس ممّن دخل فى الإسلام لأغراض مختلفه، كما هو الحال فى بعض الصحابه الذين كشف النقاب عنهم القرآن المجيد: (يُخادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَما يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنْفُسَهُمْ). (۴) وكان الميزان الصحيح هو قوله تعالى: (إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقاكُمْ). (۵) فلا يبعد أن يكون سلمان قد قال هذه الكلمات من باب التنزل: لو سلمنا أنّى كنت ضالاً فقد اهتديت، أو كنت عائلًا فقد استغنيت، أو

۱- الأخبار الطوال: ۳۱; والمعجم الكبير للطبرانى ۶: ۲۲۸; ومناقب آل أبى طالب ۱: ۱۹.

۲- قال ابن أثير فى أسدالغابه۲: ۳۲۹ : ...فمرّ بى ركب من العرب من كلب فقلت: أصحبكم وأعطيكم بقراتى وغنمى هذه وتحملونى إلى بلادكم؟ فحملونى إلى وادى القرى، فباعونى من رجل من اليهود؛ أنظر بحار الأنوار: ۱۹: ۱۰۵.

۳- اختيار معرفه الرجال ۱: ۵۹.

۴- البقره: ۹.

۵- الحجرات: ۱۳.

كنت مملوكاً فقد أعتقت، ولا فضل لأحد منكم عليّ، بل كل الفضل يرجع لنبى الرحمه محمّد (ص).

وممّا يدلّ على أنّ إسلامه كان عن تتبع واعتقاد، وأنّه كان مؤمناً من ذى قبل وموحّداً على المسيحيه الصحيحه:

۱ أنّه حين أسلم عاد كما ولدته اُمّه، فلم يكن متأثراً بشيء من عادات المجوس والنصارى، بل كان أكثر الصحابه بعد على (ع) تأثراً بالنّبى الأكرم (ص) واتباعاً لأوامره ونواهيه، على العكس من بعض الصحابه الذين كانوا يتعمدون مخالفته، بل لم يتخلّوا عن كثير من عادات الجاهليه، كتقديم القوميه على الدين.

۲ أنّه لم يترك دين آبائه طمعاً فى شيء، بل ترك آباءه وأهله الذين هم من سلاله الملوك الدهاقين وفى رفاهيه العيش، وابتعد عن الأوطان وتحمّل مشاق السفر والفقر، ووقع فى ظلم العبوديه بحثاً عن معالم الدين، البعيده عن الشرك وعباده الأوثان، ولا يتحمل هذا العناء والشقاء إلاّ من يسعى وراء أمر مهم وهدف مقدّس، دفعه إليه صرخه العقل والوجدان، إلى أن حظى بسعاده الإسلام، وصحبه النّبى (ص).

۳ ورد فى كتاب الاستيعاب: «وكان سلمان يطلب دين الله، ويتّبع من يرجو ذلك عنده فَدانَ بالنصرانيه [الصحيحه] وقرأ الكتب، وصبر فى ذلك على مشقات».(۱)

۴ وورد فى كتاب الإصابه:... وكان يسمع بأنّ النّبى (ص) سيبعث، فخرج فى طلب ذلك، فأسر وبيع بالمدينه. (۲)

۵ وما ورد فى إكمال الدين وإتمام النعمه، وقد ذكرناه قبل قليل.

۶ ما قاله فى خطبه له سنذكرها فيما بعد نذكر منها موضع الحاجه:... حتى أتيت محمّداً (ص) فعرفت من العرفان ما كنت أعلمه، ورأيت من العلامه ما أخبرت بها; وهذا دليل على أنّه كان يتلقى العلم من أهل المعرفه، وكان يترقب هذه العلامات.

۱- الاستيعاب، عنه الأعيان ۷ : ۲۸۴; إعلام الورى ۱ : ۱۵۱; بحارالأنوار ۱۹ : ۱۰۵.

۲- الإصابه ۳: ۱۱۹.

وهذا القدر كاف لإثبات إسلامه، ولإدحاض حجه من يريد النيل من هذه الشخصيه الفذّه.

ونحن نذكر هنا قصه إسلامه المرويه من طريق علمائنا الأبرار على أشهر الروايات، وهو ما رواه الشيخ الصدوق فى إكمال الدين وإتمام النعمه، بإسناده إلى الإمام موسى بن جعفر (ع) قال: «حدّثنى أبى صلوات الله عليه أنّ أميرالمؤمنين على بن أبى طالب (ع) وسلمان وأباذر وجماعه من قريش، كانوا مجتمعين عند قبر النّبى (ص) فقال أميرالمؤمنين (ع): يا أباعبدالله ألا تخبرنا بمبدء أمرك، فقال سلمان: والله يا أميرالمؤمنين، لو أنّ غيرك سألنى ما أخبرته، أنا كنت رجلاً ـ من أبناء أهل شيراز من الدهاقين، وكنت عزيزاً على والدى، فبينا أنا سائر مع والدى فى عيد لهم، إذ أنا بصومعه وإذا فيها رجل ينادى: أشهد أن لا إله إلّا الله وأن عيسى روح الله، وأنّ محمّداً حبيب الله، فرصف حبّ محمّد (ص) فى لحمى ودمى، فلم يهنئنى طعام ولا شراب، فقالت لى اُمّى: مالك اليوم لم تسجد لمطلع الشمس قال: فكابرتها حتى سكتت، فلمّا انصرفت إلى منزلى، إذ أنا بكتاب معلق من السقف، فقلت لاُمّى: ما هذا الكتاب فقالت: روزبه إنّ هذا الكتاب لما رجعنا من عيدنا رأيناه معلقاً، فلا تقرب ذلك المكان فإنّك إن قريته قتلك أبوك، قال: فجاهدتها حتى جنّ الليل ونام أبى واُمّى، فقمت فأخذت الكتاب، فإذا فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم، هذا عهد من الله إلى آدم (ع)، وأنّه خلق من صلبه نبياً يقال له: محمّد، يأمر بمكارم الأخلاق وينهى عن عباده الأوثان، يا روزبه أنت وصى عيسى، فآمن واترك المجوسيه، قال: فصعقت صعقه وزادنى شده قال: فعلم أبى واُمّى بذلك، فأخذونى وجعلونى فى بئر عميقه وقالا لى: إن رجعت وإلا قتلناك، فقلت لهما: إفعلا بى ما شئتما، فإنّ حبّ محمّد لا يذهب من صدرى، قال سلمان: ما كنت أعرف العربيه قبل قراءتى ذلك الكتاب، ولقد فهمنى الله العربيه من ذلك اليوم، قال: فبقيت فى البئر، فجعلوا ينزلون إلىّ أقراصاً صغاراً، قال: فلمّا طال أمرى رفعت يدى إلى السماء، فقلت: يا ربّ إنك حبّبت محمداً (ص) ووصيّه إلىّ، فبحق وسيلته عجل فرجى وأرحنى ممّا أنا فيه، فأتانى آت عليه

ثیاب بیض، فقال: قم یا روزبه، فأخذ بیدی، وأتی بی إلی الصومعه، فأنشأت أقول: أشهد أن لاإله إلاّ الله، وأنّ عیسی روح الله، وأنّ محمّداً حبیب الله، فأشرف علیّ الدیرانی فقال: أنت روزبه؟ فقلت: نعم، فقال: اصعد، فأصعدنی إلیه، فخدمته حولین کاملین.

فلمّا حضرته الوفاه قال: إنّی میت، فقلت: علی من تخلفنی؟ قال: لا أعرف أحداً یقول بمقالتی إلا راهباً بأنطاکیه، فإذا لقیته فاقرأه منی السلام، وادفع إلیه هذا اللوح، وناولنی لوحاً، فلمّا مات غسلته وکفنته ودفنته، وأخذت اللوح وصرت به إلی أنطاکیه، وأتیت الصومعه، وأنشأت أقول: أشهد أن لا إله إلاّ الله، وأنّ عیسی روح الله، وأنّ محمّداً حبیب الله، فأشرف علیّ الدیرانی فقال لی: أنت روزبه؟ فقلت: نعم، فقال: اصعد، فصعدت وخدمته حولین کاملین، فلمّا حضرته الوفاه قال: إنّی میت، فقلت: علی من تخلفنی؟ فقال: لا أعرف أحداً یقول بمقالتی هذه إلا راهباً بالإسکندریه، فإذا لقیته فاقرأه منی السلام، وادفع إلیه هذا اللوح، فلمّا توفی غسلته وکفنته ودفنته، وأخذت اللوح وأتیت الصومعه، فأنشأت أقول: أشهد أن لا إله إلاّ الله، وأنّ عیسی روح الله، وأنّ محمّداً حبیب الله، فأشرف علیّ الدیرانی فقال لی: أنت روزبه؟ فقلت: نعم، فقال: اصعد، فصعدت إلیه فخدمته حولین کاملین.

فلمّا حضرته الوفاه قال لی: إنّی میت، فقلت: علی من تخلفنی؟ قال: لا أعرف أحداً یقول فی الدّنیا بمقالتی هذه، وأنّ محمّد بن عبدالله بن عبدالمطلب قد حانت ولادته، فإذا أتیته فاقرأه عنّی السلام، وادفع إلیه هذا اللوح، قال: فلمّا توفی غسلته وکفنته ودفنته، وأخذت اللوح وخرجت، وصحبت قوماً فقلت لهم: یا قوم اکفونی الطعام والشراب أکفکم الخدمه، قالوا: نعم، قال: فلمّا أرادوا أن یأکلوا شدّوا علی شاه فقتلوها بالضرب، ثمّ جعلوا بعضها کباباً وبعضا شویاً، فامتنعت من الأکل، فقالوا: کُل، فقلت: إنّی غلام دیرانی، وأنّ الدیرانیین لا یأکلون اللحم، فضربونی فکادوا یقتلوننی.

فقال بعضهم: أمسکوا عنه حتی یأتیکم شرابکم، فإنّه لا یشرب، فلمّا أتوا بالشراب قالوا: اشرب، فقلت: إنّی غلام دیرانی، وإنّ الدیرانیین لا یشربون الخمر، فشدّوا علیّ وأرادوا قتلی، فقلت لهم: یا قوم لا تضربونی ولا تقتلونی، فإنّی أُقرّ لکم بالعبودیه، فأقررت

لواحـد منهم، فـأخرجنی وبـاعنی بثلاثمـائه درهم من رجل یهودی: قال: فسألنی عن قصتی فأخبرته، وقلت: لیس لی ذنب إلّا أنی أحببت محمّـداً ووصـیه، فقـال الیهودی: وإنّی لأبغضـک وأبغض محمّـداً، ثمّ أخرجنی إلی خارج داره، وإذا رمل کثیر علی بابه، فقال: والله یا روزبه لإن أصـبحت ولم تنقل هـذا الرمل کلّه من هذا الموضع لأقتلنّک، قال: فجعلت أحمل طول لیلی فلمّا جهدنی التعب، رفعت یدی إلی السّماء فقلت: یا ربّ حببت محمّداً (ص) ووصیه إلیّ فبحق وسیلته عجل فرجی وأرحنی ممّا أنه فیه.

فبعث الله عزّوجـلّ ریحـاً فقلعت ذلـک الرمـل من مکانه إلی المکان الـذی قال الیهودی، فلمّا أصـبح نظر إلی الرمل قـد نقل کلّه فقال: یا روزبه! أنت ساحر، وأنا لاأعلم، فلأخرجنّک من هذه القریه کی لاتهلکنا قال: فأخرجنی وباعنی من امرأه سلیمیه فأحبتنی حبّاً شدیـداً، وکان لها حائط، فقالت: هـذا الحائط لک کل منه ماشـئت وهب وتصـدّق، قال: فبقیت فی ذلک الحائط ما شاء الله، فبینا أنا ذات یوم فی الحائط، وإذا أنا بسبعه رهط قد أقبلوا تظلّهم غمامه، فقلت فی نفسی: والله ما هؤلاء کلّهم بأنبیاء وأنّ فیهم نبیاً قـال: فأقبلوا حتی دخلوا الحائط والغمامه تسـیر معهم، فلمّا وصـلوا، إذا فیهم رسول الله (ص) وأمیرالمؤمنین (ع) وأبوذر والمقـداد وعقیـل بن أبی طـالب وحمزه بن عبـدالمطلب وزیـد بن حـارثه، فـدخلوا الحائـط فجعلوا یتنـاولون من حشف النخل، ورسول الله (ص) یقول: کلوا الحشف، ولا تفسدوا علی القوم شیئاً.

فـدخلت علی مولاـتی وقلت لها: یا مولاتی هبی لی طبقاً من رطب، فقالت: لک سـته أطباق، قال: فجئت فحملت طبقاً من رطب، فقلت فی نفسـی: إن کـان فیهم نبی فـإنّه لاـ یأکل الصـدقه، فوضـعته بین یـدیه وقلت: هـذه صـدقه، فقال رسول الله (ص): کلوا، وأمسک رسول الله (ص) وأمیرالمؤمنین (ع) وحمزه بن عبـدالمطلب وعقیل بن أبی طالب، وقال لزید: مدّ یدک وکُل، فقلت فی نفسـی: هـذه علاـمه، فـدخلت علی مولاـتی وقلت لهـا: هبی لی طبقاً آخر، فقالت: لک سـته أطباق، قال: فجئت فحملت طبقاً من رطب فوضـعته بین یـدیه، وقلت: هذه هدیه فمد یده وقال: بسم الله، کلوا، فمدّ القوم جمیعاً أیدیهم، فأکلوا فقلت فی نفسـی: هذه أیضاً علامه.

قـال: فبينـا أدور خلفه إذ حـانت من النّبی التفـاته فقـال: يا روزبه تطلب خاتم النّبوه فقلت: نعم، فكشف عن كتفيه، فإذا أنا بخاتم النّبوه معجون بين كتفيه عليه شـعرات، قال: فسـقطت على قـدم رسول الله (ص) أقبّلها، فقال لی: يا روزبه! أدخل على هذه المرأه وقل لها: يقول لک محمّـد بن عبـدالله: تبيعنا هذا الغلام. فقالت: قل له لا أبيعک إلّا بأربعمائه نخله مائتا نخله منها صـفراء، ومائتا نخله منها حمراء، قال: فجئت إلى النّبی (ص) فأخبرته، فقال: ما أهون ما سألت، ثمّ قال: قم يا علی، إجمع هـذا النوى كله وأخذه فغرسه، ثمّ قال: اسقه فسقاه أميرالمؤمنين (ع) فما بلغ آخره حتى خرج النخل ولحق بعضه بعضاً.

فقـال لی: أدخـل إليهـا، وقل لها: يقول لک محمّـد بن عبـدالله: خـذی شـيئک وادفعی إلينا شـيئناً، قال: فـدخلت عليها، وقلت لها ذلک، فخرجت ونظرت إلى النخل فقالت: والله لا أبيعكم إلّا بأربعمائه نخله كلّها صفراء، فهبط جبرائيل فمسح جناحه على النّخل فصار كلّه أصـفر، قال ثمّ قال لی: قل لها: إنّ محمّداً يقول لک خذی شـيئک وادفعی إلينا شـيئنا، فقلت لها فقالت: والله لنخله من هذه أحب إلیّ من محمد ومنک، فقلت لها: والله ليوم مع محمّد أحب إلیّ منکِ، ومن كلّ شیء أنت فيه.

فأعتقنی رسول الله (ص) وسمانی سلمان». (۱)

وأما زمان إسـلامه: فالمشـهور أنّه أسـلم فی المـدينه المنوره، بعـد هجره النبی (ص) وقيل: إنّه أسـلم فی مكه المكرمه، إلّا أنّه لم يتحرر من العبوديه إلّا فی المدينه وبعد مدّه، اختلف فيها المؤرّخون. (۲)

زوجته

المشهور أنه تزوج وله ذريه، ويشهد له ما نقله الشهيد الثانی عن ابن الجوزی، وما رواه ابن عساكر أن أميرالمؤمنين علياً (ع) عزّاه بوفاه زوجته قائلاً: ماتت فی المدائن فحزن عليها،

۱- إكمال الدين وإتمام النعمه ؛ وانظر: الدرجات الرفيعه: ۲۰۱.

۲- عنه طرائف المقال ۲ : ۶۰۱.

فبلغ أميرالمؤمنين (ع) فكتب إليه: «...بلغنى يا أباعبدالله سلمان مصيبتك بأهلك، وأوجعنى بعض ما أوجعك، ولعمرى مصيبه تقدم أجرها خير من نعمه تسأل عن شكرها، ولعلك لا تقوم بها والسلام عليك».(۱)

مضافاً إلى ما ذكره علماء الرجال من الفريقين من وجود رواه للحديث من ذريته. (۲)

وهذا القدر كاف فى إثبات أنه كان متزوجاً، وعندها لايعتنى بقول من نفى ذلك، أو اتهمه بأنه كان مجبوباً، وهذا من تخرص الجهله الحاقدين.

نعم يوجد تضارب فى زمان وفاتها، فتاره تقول: إنها توفيت فى حياته، كما ذكرنا قبل قليل وعزّاه أميرالمؤمنين (ع) بها، وأخرى أنها كانت معه حين توفى، كما رواه الكشى وغيره أنه حين حضرته الوفاه قال لامرأته: قومى أجيفى الباب... (۳)

فنقول: لا يبعد أن يكون قد تزوج ثانيةً بعد وفاه زوجته الأولى فتكون الثانيه هى التى بقيت معه، وحضرت وفاته؛ جمعاً بين الأقوال، ويشهد له ما فى إكمال الكمال.

إسمها: بقيره: (۴) قال ابن ماكولا فى إكمال الكمال: وأما بقيره، وهى آخر من تزوج من أزواجه، وشهدت موته. (۵) مضافاً إلى ما ذكره بعض المؤرخون أن التى كانت حين وفاته هى بقيره.

أولاده:

۱ عبدالله، وهو المشهور.

۲ محمد، قول منتجب الدين. (۶)

۱- تاريخ دمشق۲۱ : ۴۲۹.

۲- تاريخ بغداد۱ :۱۸۱ ؛ تهذيب الكمال۱۱ :۲۴۹ ؛ تاريخ دمشق۵ : ۲۲۷ ؛ الفهرست:۵۲ ؛ جامع الرواه ۱ : ۲۱۲.

۳- اختيار معرفه الرجال ۱ : ۶۸ ؛ الطبقات الكبرى ۴ : ۹۲ ؛ تاريخ دمشق ۲۱ : ۴۵۷ ، قريباً من عباره الاختيار.

۴- الطبقات الكبرى ۴ : ۹۲ ؛ التاريخ الصغير ۶ : ۹۷ ؛ تهذيب الكمال ۵ : ۴۵.

۵- الطبقات الكبرى ۴ : ۹۲ ، تاريخ دمشق ۲۱ : ۴۵۷.

۶- الفهرست: ۵۲ ، جامع الرواه ۲۱ : ۲۱۲.

۳ عبدالرحمان، قول ابن الأثیر. (۱)

۴ یحیی، قول بن عساکر. (۲)

۵ وفی نفس الرحمن: إنّ له حفیداً من علماء خجنده اسمه ضیاء الدین. (۳)

سیرته وفضائله

آخی رسول الله (ص) بینه وبین أبی ذر الغفاری، وما نقل من أنه أبا الدرداء فهو ضعیف، لأن رسول الله (ص) کان یراعی الکفاءه فی الإیمان بین الأخوین، وکان أبوذر أکفأ من أبی الدرداء، لعده وجوه:

۱ کانت فی أبی الدرداء بقایا الجاهلیه، وقد ذمه رسول الله (ص) علیها قائلًا: فیک جاهلیه، قال: أیّ جاهلیه یا رسول الله؟ قال: جاهلیه کفر، وهذه لم تکن فی سلمان.

۲ ثبت أبوذر مع أمیرالمؤمنین (ع) بعد وفاه رسول الله (ع) حین مال الجمیع عنه، ولم یکن منهم أبو الدرداء. (۴)

۳ أبو الدرداء صار من وعاظ السلاطین، حتی أنّ معاویه وولده یزید مدحاه وأثنیا علیه.

فکان سلمان من شرطه الخمیس. (۵)

وهو الذی أشار علی رسول الله (ص) بحفر الخندق فی السنه السادسه للهجره، وأشار بالمنجنیق وعمله بیده. (۶)

کان أحد الثلاثه الذین لم یرتدّوا بعد رسول الله (ص)، والمقداد وأبوذر. (۷)

۱- أسد الغابه ۵ : ۴۴۰.

۲- تاریخ دمشق ۵ : ۲۲۷.

۳- نفس الرحمن: ۱۴۴ ۱۴۵.

۴- الفوائد الرجالیه ۳ : ۷۹.

۵- المصدر نفسه.

۶- البدایه والنهایه ۴ : ۳۹۹.

۷- شرح نهج البلاغه ۴ : ۲۲۵؛ الاختصاص: ۱۰؛ الدرجات الرفیعه: ۲۱۳.

وكان أحد السبعه الذين صلّوا على الصديقه فاطمه الزهراء(عليها السلام) بنت رسول الله (ص) بعد أن أوصت علياً (ع) أن لا يصلى عليها أحد ممن ظلمها. (۱)

وكان وصى وصى عيسى (ع) فى أداء ما حمل، إلى من انتهت إليه الوصيه من الأوصياء المعصومين. (۲)

وجّه أميراً إلى المدائن من قبل الخليفه عمر فلم يفعل إلاّ بعد أن استأذن أمير المؤمنين۷ فحضه. (۳)

وقال ابن شهرآشوب فى المناقب: كان عمر وجّه سلمان أميراً إلى المدائن، وإنما أراد

له الختله فلم يفعل إلاّ بعد أن استأذن أميرالمؤمنين علياً (ع) فمضى فأقام بها إلى أن

توفى. (۴)

كان الأوحدى فى أصحاب رسول الله (ص) وأميرالمؤمنين (ع)، وأكثرهم تأسّياً بأخلاقهما وسيرتهما، فكان يحطب فى عباءته، يفترش نصفها ويلبس نصفها، وقع حريق فى المدائن وكان أميرها، فلم يكن فى بيته إلا مصحف وسيف، فرفع المصحف فى يده وحمل السيف فى عنقه وخرج قائلاً: هكذا ينجو المخفون.

وقد دخل عليه رجل فلم يجد فى بيته إلا سيفاً ومصحفاً، فقال له: ما فى بيتك إلا ما أرى، قال: إن أمامنا منزل كؤود،(۵) وإنّا قد قدّمنا متاعنا إلى المنزل.

كان عطاؤه خمسه آلاف، وكان أميراً على زهاء ثلاثين ألفاً من المسلمين، فإذا خرج عطاؤه تصدق به. (۶)

وكان يسفّ الخوص ويبيعه ويأكل منه، ويقول: لا أحب أن آكل، إلا من عمل يدى،

۱- بحارالانوار ۲۲ : ۳۴۵، عن فرات الكوفى.

۲- التحرير الطاووسى: ۲۸۳، وقيل: إنه كان وصياً لعيسى (ع) ؛ الدرجات الرفيعه: ۲۰۱.

۳- الاحتجاج ۱ : ۱۸۸.

۴- مناقب آل أبى طالب ، الدرجات الرفيعه: ۲۱۵.

۵- أى شاقه المصعد.

۶- الإصابه ۳ : ۱۲۰.

وكان قد تعلّم سفّ الخوص فى المدينه. (۱)

وعن أبى وائل قال: ذهبت أنا وصاحب لى إلى سلمان، فلمّا جلسنا عنده قال: لولا أنّ رسول الله (ص) نهى عن الكلف لتكلّفت لكم، ثم جاء بخبز وملح ساذج أبزار(۲) عليه، فقال صاحبنا: لو كان فى ملحنا صعتر، فبعث سلمان بمطهرته فرهنها على الصعتر، فلما أكلنا قال صاحبى: الحمد لله الذى أقنعنا بما رزقنا، فقال سلمان: لو قنعت بما رزقك الله لم تكن مطهرتى مرهونه. (۳)

ودخل رجلان على سلمان فسلّما عليه وحيّياه ثم قالا: أنت سلمان الفارسى؟ قال: نعم. قالا: أنت صاحب رسول الله (ص)؟ قال: لا أدرى، فارتابا وقالا: لعله ليس الذى نريد، فقال لهما: أنا صاحبكما الذى تريدان، وقد رأيت رسول الله (ص) وجالسته، وإنما صاحبه من دخل معه الجنه، فما حاجتكما؟

قالا: جئناك من عند أخ لك بالشام، قال: من هو؟ قالا: أبو الدرداء، قال: فأين هديته التى أرسل بها معكما؟ قالا: ما أرسل معنا بهديه؛ قال: اتقيا الله وأدّيا الأمانه، ما جاءنى أحد من عنده إلاجاء معه بهديه، قالا: لا ترفع علينا هذا، إن لنا أموالاً فاحتكم فيها، قال: ما أريد أموالكما ولكن أريد الهديه التى بعث بها معكما، قالا: والله ما بعث معنا شىء إلّا أنه قال: إن فيكم رجل كان رسول الله (ص) إذا خلا به لم يبغ أحداً غيره، فإذا أتيتماه فأقرئاه منى السلام; قال: فأى هديه كنت أريد معكما غير هذا، وأى هديه أفضل من السلام تحيه من عندالله مباركه طيبه. (۴)

ومرّ سلمان على الحدادين بالكوفه، وإذا بشاب قد صرع، والناس قد اجتمعوا حوله، فقالوا: يا أبا عبدالله هذا الشاب قد صرع، فلو جئت فقرأت فى أذنه، قال: فجاء سلمان، فلما دنا منه رفع الشاب رأسه فنظر إليه فقال: يا أبا عبدالله لست فى شىء مما يقول هؤلاء،

۱- شرح نهج البلاغه ۱۸: ۳۵.

۲- الأبزار: التوابل.

۳- شرح نهج البلاغه ۳ : ۱۵۵.

۴- المعجم الكبير، للطبرانى ۶ : ۲۱۹.

لکنی مررت بهؤلاء الحدادین وهم یضربون بالمرزاب،(۱) فذکرت قول الله تعالی: (وَلَهُمْ مَقامِعُ مِنْ حَدِيدٍ). (۲)

فدخلت فی سلمان من الشاب محبه فاتخذه أخاً، فلم یزل معه حتی مرض الشاب، فجاءه سلمان فجلس عند رأسه وهو فی الموت، فقال: یا ملک الموت ارفق بأخی، فقال: یا أبا عبدالله إنی بکل مؤمن رفیق. (۳)

وعن دوره فی یوم السقیفه، یحدثنا الإمام الباقر (ع) قال: «جاء المهاجرون والأنصار وغیرهم بعد ذلک إلی أمیرالمؤمنین علی (ع) فقالوا له: أنت والله أمیرالمؤمنین، وأنت والله أحق الناس وأولاهم بالنبی (ص) هلمّ یدک نبایعک، فو الله لنموتن قدامک، فقال علی (ع): إن کنتم صادقین فاغدوا غداً علیّ محلقین، فحلّق أمیرالمؤمنین (ع) وحلّق سلمان، وحلّق أبوذر، ولم یحلّق غیرهم...». (۴)

وقال له أمیرالمؤمنین علی (ع): «یا سلمان! اذهب إلی فاطمه فقل لها تتحفک من تحف الجنه، فذهب إلیها سلمان، فإذا بین یدیها ثلاث سلال، فقال: یا بنت رسول الله! أتحفینی، قالت: هذه سلال جائتنی بها ثلاث وصائف، فسألتهن عن أسمائهن، فقالت واحده: أنا سلمی لسلمان، وقالت الأخری: أنا ذره لأبی ذر، وقالت الأخری: أنا مقدوده للمقداد، ثم قبضت فناولتنی، فما مررت بملاء إلاّ ملئوا طیباً لریحها».(۵)

قال الإمام الصادق (ع):... «هو منّا أهل البیت، بلغ من علمه أنه مرّ برجل فی رهط فقال له: یا عبدالله! تب إلی الله فی الذی عملت فی بطن بیتک البارحه واتق الله، فقال الرجل: استغفر الله وأتوب إلیه، قال: ثم مضی، وقال له القوم: لقد رماک بأمر وما دفعته عن

۱- الأرزبه التی یکسر بها المدر]أی المطرقه[؛ الصحاح ۱ : ۱۳۵. المرزاب.

۲- الحج: ۲۱.

۳- اختیار معرفه الرجال ۱ : ۷۲.

۴- بحارالأنوار ۲۲ : ۳۴۱.

۵- اختیار معرفه الرجال ۱ : ۳۹.

نفسک، قال: إنه أخبرنی بأمر ما اطلع علیه أحد إلاّ الله رب العالمین وأنا».(۱)

وروی أنه کان سلمان یطبخ قدراً فدخل علیه أبوذر، فانکبّت القدر فسقطت علی وجهها ولم یذهب منها شیء، فردّها علی الأثافی، ثم انکبت الثانیه فلم یذهب منها شیء، فردّها علی الأثافی، فمرّ أبوذر إلی أمیرالمؤمنین (ع) مسرعاً قد ضاق صدره ممارأی، وسلمان یقفو أثره حتی انتهی إلی أمیرالمؤمنین (ع) فنظر أمیرالمؤمنین إلی سلمان، قال له: «یا أباعبدالله ارفق بأخیک».(۲)

قال رسول الله (ص) لأصحابه: أیکم یصوم الدهر؟ فقال سلمان: أنا یا رسول الله، فقال أیکم یحیی اللیل؟ فقال سلمان: أنا یا رسول الله; فقال أیکم یختم القرآن کلّ یوم؟ فقال سلمان: أنا یا رسول الله؛ فغضب بعض الأصحاب، فقال: یا رسول الله، إنّ سلمان من الفرس یرید أن یفتخر علینا معاشر قریش...

... فقال (ص): مه یا فلان، أنّی لک بمثل لقمان الحکیم!! سله فإنه ینبئک... فقال سلمان:... لیس حیث تذهب.

إنی أصوم الثلاثه فی الشهر، وقد قال الله عزّوجل: (مَنْ جاءَ بِالْحَسَنَهِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثالِها)، (۳) وأصل شعبان بشهر رمضان فذلک الدهر، وأما إحیاء اللیل:...فسمعت حبیبی رسول الله (ص) یقول: من بات علی فراشه علی طهر فکأنما أحیا اللیل کلّه، فأنا أبیت علی طهر.

وأما ختم القرآن:...فسمعت حبیبی رسول الله (ص) یقول لعلی (ع): یا أبا الحسن مَثَلُک فی اُمتی مَثَلُ (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) فمن قرأها مره فقد قرأ ثلث القرآن، ومن قرأها مرتین فقد قرأ ثلثی القرآن، ومن قرأها ثلاث مرات فقد ختم القرآن، فمن أحبک بلسانه فقد کُمل ثلث إیمانه، ومن أحبک بلسانه وقلبه فقد کُمل له ثلثا الإیمان، ومن أحبک بلسانه وقلبه ونصرک بیده فقد استکمل الإیمان.

۱- اختیار معرفه الرجال ۱ : ۵۲.

۲- الاختصاص: ۱۲; اختیار معرفه الرجال ۱ : ۶۰ باختلاف.

۳- الأنعام: ۱۶۰

والذی بعثنی بالحق نبیاً یا علی! لو أحبک أهل الأرض کمحبه أهل السماء لک لما عذّب الله أحداً بالنار.

وأنا أقرأ: (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) فی کل یوم ثلاث مرات، فقام الرجل کأنه اُلقم

حجراً. (۱)

تقول عائشه: کان لسلمان مجلس من رسول الله (ص) ینفرد به باللیل، حتی کاد یغلبنا علی رسول الله (ص).(۲)

وفی الحدیث أنّ أبا سفیان مرّ علی سلمان وصهیب وبلال فی نفر من المسلمین، وقالوا: ما أخذت السیوف من عدوّ الله مأخذها وأبوسفیان یسمع قولهم، فقال لهم أبوبکر: أتقولون هذا لشیخ قریش وسیّدها؟! وأتی النبی (ص) وأخبره، فقال: یا أبابکر لعلک أغضبتهم، لئن کنت أغضبتهم لقد أغضبت الله، فأتاهم أبوبکر فقال: یا إخوتاه لعلیّ أغضبتکم؟ قالوا: لا یا أبابکر، یغفر الله لک. (۳)

وقال أمیرالمؤمنین علی بن أبی طالب (ع): السبّاق خمسه، فأنا سابق العرب، وسلمان سابق الفرس، وصهیب سابق الروم، وبلال سابق الحبش، وخباب سابق النبط. (۴)

عن الإمام الصادق (ع) قال: مرض رجل من أصحاب سلمان(رحمه الله) فافتقده، فقال: أین صاحبکم؟ قالوا: مریض، قال: امشوا بنا نعوده، فقاموا معه، فلما دخلوا علیه فإذا هو یجود بنفسه، فقال سلمان: یا ملک الموت ارفق بولیّ الله، فقال ملک الموت بکلام یسمعه من حضر: یا أبا عبدالله إنی أرفق بالمؤمنین، ولو ظهرت لأحد لظهرت لک. (۵)

وعن الإمام الصادق (ع) قال: عاد رسول الله (ص) سلمان الفارسی، فقال: یا سلمان لک فی علتک ثلاث خصال، أنت من الله عزّوجل بذکر، ودعاؤک فیه مستجاب، ولا تدع العلّه

۱- الدرجات الرفیعه: ۲۱۲.

۲- شرح نهج البلاغه ۱۸ : ۳۶؛ بحارالأنوار ۲۲ : ۳۹۱.

۳- شرح نهج البلاغه ۱۸ : ۳۷.

۴- الخصال ۱ : ۱۵۰؛ بحارالأنوار ۲۲ : ۳۲۵.

۵- بحارالأنوار ۲۲ : ۳۶۰ ح ۳؛ أمالی الطوسی: ۸۰.

علیک ذنباً إلّا حطته، متعک الله بالعافیه إلی منتهی أجلک. (۱)

وقال سلمان (رحمه الله): بایعنا الله علی النصح للمسلمین والائتمام بعلی بن أبی طالب، والموالاه له. (۲)

وقال الإمام الصادق (ع): آخی رسول الله بین سلمان وأبی ذر، واشترط علی أبی ذر أن لا یعصی سلمان. (۳)

قال ابن عباس: رأیت سلمان الفارسی= فی منامی فقلت له: سلمان فقال: سلمان، فقلت: ألست مولی النبی (ص)؟ قال: بلی، وإذا علیه تاج من یاقوت وعلیه حلیّ وحلل، فقلت: یا سلمان هذه منزله حسنه أعطاکها الله عزّوجل، فقال: نعم، فقلت: فماذا رأیت فی الجنه أفضل بعد الإیمان بالله ورسوله؟ فقال: لیس فی الجنه بعد الإیمان بالله ورسوله شیء هو أفضل من حبّ علی بن أبی طالب (ع) والاقتداء به... (۴)

وعن الإمام الصادق (ع) قال: ذکرت التقیه یوماً عند علی بن الحسین (ع) فقال: والله لو علم أبوذر ما فی قلب سلمان لقتله، ولقد آخی رسول الله بینهما، فما ظنکم بسائر الخلق، إنّ علم العلماء صعب مستصعب، لا یحتمله إلا نبی مرسل أو ملک مقرّب، أو عبد مؤمن امتحن الله قلبه للإیمان، فقال: وإنما صار سلمان من العلماء؛ لأنه امرؤ منا أهل البیت، فلذلک نسبته إلی العلماء. (۵)

أخلاقه

کان مثالاً للأخلاق والتواضع والمساواه للضعفاء، کیف لا وقد تربی علی عظیمین من عظماء الإسلام: النبی الأکرم (ص) وأمیرالمؤمنین علی بن أبی طالب (ع).

۱- الدرجات الرفیعه: ۲۱۱.

۲- المصدر نفسه: ۲۱۳.

۳- بحارالأنوار ۲۲ : ۳۴۵، ح ۵۵.

۴- المصدر نفسه ۲۲ : ۳۴۱، ح ۵۲.

۵- شرح نهج البلاغه ۱۸ : ۳۷.

کان یطحن مع الخادمه ویعجن عنها إذا أرسلها فی حاجه، یقول: لا تجمع علیها عملین. (۱)

واشتری رجل بیتاً فی المدائن، فمرّ بسلمان وهو أمیر فحسب سلمان علجاً،(۲) فقال: یا فلان تعال، فجاء سلمان، فقال: احمل، فحمله فمضی به، فجعل یتلقاه الناس: أصلح الله الأمیر، نحمل عنک أبا عبدالله نحمل عنک، فقال الرجل: ثکلتنی أمی وعدمتنی، لم أر أحداً اُسخّره إلّا الأمیر، قال: فجعل یعتذر إلیه ویقول: أبا عبدالله لم أعرفک رحمک الله.

قال: انطلق فانطلق، به حتی بلغ به منزله ثم دعاه، فقال: لا تسخّر بعدُ أحداً أبداً. (۳)

مواعظه وحکمه

إنه مضافاً إلی ما جسّده من خلق سامیه، وآداب رفیعه فی سیرته الذاتیه، لم یأل جهداً فی وعظ الناس وإرشادهم، فعن الإمام الباقر (ع) قال: إن رجلاً أتی سلمان الفارسی فقال: حدثنی فسکت عنه، ثم عاد فسکت، فأدبر الرجل، وهو یقول ویتلو هذه الآیه: (إِنَّ الَّذِینَ یَکْتُمُونَ ما أَنْزَلْنا مِنَ الْبَیِّناتِ وَالْهُدی مِنْ بَعْدِ ما بَیَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِی الْکِتابِ)، (۴) فقال له: أقبل إنّا لو وجدنا أمیناً لحدّثناه، ولکن أعدّ لمنکر ونکیر إذا أتیاک فی القبر فسألاک عن رسول الله (ص) فإن شککت أو التویت ضرباک علی رأسک بمطرفه معهما تصیر منه رماداً، فقلت: ثم مه؟ قال: تعود ثم تُعذب، قلت: وما منکر ونکیر؟ قال: هما قعیدا القبر، قلت: أملکان یعذبان الناس فی قبورهم!؟ قال: نعم. (۵)

وفی التوحید: أنه أتاه رجل فقال: یا أبا عبدالله! إنی لا أقوی علی الصلاه باللیل، فقال: لا تعص الله بالنهار، وجاء رجل إلی أمیرالمؤمنین (ع) فقال: یا أمیرالمؤمنین! إنی قد حرمت

۱- الدرجات الرفیعه: ۲۱۶.

۲- العلج: الرجل من کفار العجم.

۳- تاریخ دمشق ۲۱ : ۴۳۳ ; الطبقات الکبری ۴ : ۸۸ .

۴- البقره: ۱۵۹.

۵- البرهان فی علوم القرآن: ۱۷۰.

الصلاه بالليل، فقال له أميرالمؤمنين (ع): أنت رجل قد قيّدتک ذنوبک. (۱)

وفی معدن الجواهر عن سلمان أنه قال: ابکتنی ثلاث وأضحکتنی ثلاث:

فأما المبکیات: ففراق رسول الله (ص) والهول عند غمرات الموت، والوقوف بین یدی الله عزّوجل.

وأما المضحکات: فغافل بمغفول عنه، وطالب دنیاه والموت یطلبه، وضاحک ملء لا یدری ضحکه رضی الله عزّوجل أم سخط. (۲)

وفی الغارات أنه مرّ علی بن أبی طالب (ع) علی بغله رسول الله (ص) وسلمان فی ملأ، فقال سلمان: ألا تقومون تأخذون بحجزته تسألونه، فوالله الذی فلق الحبه وبرأ النسمه لایخبرکم سر نبیّکم أحد غیره، وإنه لعالم الأرض وربانیّها، وإلیه تسکن، ولو فقدتموه لفقدتم العلم وأنکرتم الناس. (۳)

وفی البحار أنّ سلمان قام وقال: یا معاشر المسلمین! نشدتکم بالله وبحق رسول الله (ص) ألستم تشهدون أنّ النبی (ص) قال: سلمان منّا أهل البیت؟ فقالوا: بلی والله نشهد بذلک، قال: فأنا أشهد بأنی سمعت رسول الله (ص) یقول: علی إمام المتقین، وقائد الغرّ المحجّلین، وهو الأمیر من بعدی. (۴)

ولما حضر سلمان ونزل به الموت بکی، فقیل له: ما یُبکیک؟ قال: أما والله ما أبکی جزعاً من الموت ولاحرصاً علی الرجعه، ولکن إنّما أبکی لأمر عهده إلینا رسول الله (ص) أخشی أن لانکون حفظنا وصیّه نبینا (ص) إنّه قال لنا: لیکن بلاغ أحدکم من الدنیا کزاد الراکب. (۵)

وکتب أبو الدرداء إلی سلمان من الشام: أقدم یا أخی إلی بیت المقدس، فلعلک تموت فیه، فکتب إلیه سلمان: أما بعد، فإنّ الأرض لاتقدس أحداً، وإنّما یقدِّس کلّ إنسان

۱- التوحید: ۶۷.

۲- معدن الجواهر: ۳۵.

۳- الغارات ۱ : ۲۱.

۴- بحار الأنوار ۳۷ : ۳۳۱.

۵- الطبقات الکبری ۴ : ۹۱.

عملُه، والسلام. (۱)

وقال جرير بن عبدالله: انتهيت مره إلی ظلّ شجره وتحتها رجل نائم قد استظل بنطع له، وقد جاوزت الشمس النطع فسوّيته عليه، ثم إنّ الرجل استيقظ، فإذا هو سلمان الفارسی، فذكرت له ما صنعت، فقال: يا جرير! تواضع لله فی الدنيا، فإنّه من تواضع لله فی الدنيا رفعه الله يوم القيامه، أتدری ما ظلمه النار يوم القيامه؟! قلت: لا، قال: فإنه ظلم الناس بعضهم بعضاً فی الدنيا. (۲)

شعره

عن ابن شهر آشوب قال: كان الناس يحفرون الخندق وينشدون سوی سلمان، فقال النبی (ص): أللّهم أطلق لسان سلمان، ولو علی بيت من الشعر، فأنشأ سلمان يقول:

ما لی لسان فأقول الشعرا

أسأل ربی قوّه ونصراً

علی عدوّی وعدوّ الطهرا

محمّد المختار حاز الفخرا

حتی أنال فی الجنان قصرا

مع كل حوراء تحاكی البدرا

فضجّ المسلمون وجعلت كل قبيله تقول: سلمان منّا، فقال النبی (ص): سلمان منّا أهل البيت. (۳)

ولا يخفی أنّ هذه الكلمات قالها رسول الله (ص) فی أكثر من موطن، وعمدتها كانت فی مقام الانتقاص من شخصيّته الدينيه والاجتماعيّه.

خطبه

عثرنا له علی خطبه واحده، نذكر منها موضع الحاجه لطولها، قال: الحمدلله الذی هدانی لدينه بعد جحودی له، وأنا مذّكٍ لنار الكفر، أهلّ لها نصيباً، وأثبت لها رزقاً، حتی ألقی الله

۱- الدرجات الرفيعه: ۲۱۹; تاريخ دمشق ۲۱ : ۴۴۳. باختلاف يسير.

۲- الدرجات الرفيعه: ۲۱۸.

٣- مناقب آل أبى طالب ١ : ٧٥ ؛ الدرجات الرفيعه: ٢١٨.

عزوجلّ فی قلبی حبّ تهامه، فخرجت جائعاً ظمآناً قد طردنی قومی، وأخرجت من مالی ولاتحملنی حموله، ولامتاع یجهزنی ولا مال یقوتنی، وکان من شأنی ما قد کان، حتی أتیت محمداً (ص) فعرفت من العرفان ما کنت أعلمه، ورأیت من العلامه ما أخبرت بها، فأنقذنی من النار، فثبتّ علی المعرفه التی دخلت بها الإسلام.

ألاـ أیها الناس اسمعوا من حدیثی ثم انقلوه عنی، فقد أُتیت العلم کثیراً، ولو أخبرتکم بکل ما أعلم لقالت طائفه: إنه لمجنون، وقالت طائفه أُخری: أللهم اغفر لقاتل سلمان.

ألا إنّ لکم منایا تتبعها بلایا، وإنّ عند علی (ع) علم المنایا وعلم الوصایا، وفصل الخطاب علی منهاج هارون بن عمران، ولکنکم أصبتم سنه الأولین،(۱) وأخطأتم سبیلکم، والذی نفس سلمان بیده لترکبن طبقاً عن طبق، سنّه بنی إسرائیل، القذه بالقذه.

أما والله لو ولیتموها علیاً لأـکلتم من فوقکم ومن تحت أرجلکم، فأبشروا بالبلاء، واقنطوا من الرخاء، ونابذتکم علی سواء، وانقطعت العصمه فیما بینی وبینکم من الولاء.

أما والله لو أنی أدفع ضیماً أو أعز لله دیناً لوضعت سیفی علی عاتقی، ثم لضربت قدماً قدماً.

إلی أن یقول: فإذا رأیتم أیها الناس الفتن کقطع اللیل المظلم، یهلک فیها الراکب الموضع، والخطیب المصقع، والرأس المتبوع، فعلیکم بآل محمد، فإنهم القاده إلی الجنه، والدعاه إلیها یوم القیامه، وعلیکم بعلی، فوالله لقد سلمنا علیه بالولاء مع نبینا، فما بال القوم؟ أحسد؟ قد حسد قابیل هابیل، أو کفر؟ فقد ارتد قوم موسی عن الأسباط ویوشع وشمعون وابنی هارون شبّر وشبیر.

إلی أن یقول: أنزلوا آل محمد منکم منزله الرأس من الجسد، بل منزله العین من الرأس... ألاـ إنی أظهرت أمری وآمنت بربی، وأسلمت بنبیی، واتبعت مولای ومولی کل مسلم... (۲)

۱- أی: أصبتم سنه من خالف موسی فی وصیّه هارون.

۲- اختیار معرفه الرجال ۱ : ۷۶ ; معجم رجال الحدیث ۹ : ۲۰۵ ; ووردت هذه الخطبه فی مقام الاحتجاج علی القوم، حین بایعوا أبابکر.

ما قيل فيه:

قال النبى محمد (ص) : ألا إنّ الجنه اشتاقت إلى أربعه من أصحابى، فأمرنى ربى أن أحبهم... فأولهم على بن أبى طالب، والثانى المقداد بن الأسود الكندى، والثالث سلمان الفارسى، والرابع أبوذر الغفارى. (۱)

وقال أيضاً:.. من أراد أن ينظر إلى رجل نوّر قلبه فلينظر إلى سلمان. (۲)

وقال الإمام على (ع) حينما سئل عن سلمان: ذاك امرؤ منّا وإلينا أهل البيت، من لكم بمثل لقمان الحكيم، علّم العلم الأول والعلم الآخر، وقد قرأ الكتاب الأوّل وقرأ الكتاب الآخر، وكان بحراً لا ينزف. (۳)

وقال الإمام الباقر (ع) للفضيل بن يسار...: هل تدرى ما عنى بالعلم الأول والعلم الآخر قال قلت: يعنى علم بنى إسرائيل وعلم النبى (ص) فقال (ع): ليس هذا يعنى، ولكن علم النبى وعلم على، وأمر النبى وأمر على صلوات الله عليهم. (۴)

وقال الإمام على (ع): ضاقت الأرض بسبعه، بهم ترزقون، وبهم تنصرون، وبهم تمطرون... سلمان الفارسى...

وقال أيضاً لأبى ذر: يا أبا ذر! إنّ سلمان باب الله فى الأرض، من عرفه كان مؤمناً، ومن أنكره كان كافراً، وإنّ سلمان منّا أهل البيت. (۵)

وقال الإمام الباقر (ع) لمن ذكره بسوء: مه! لا تقولوا سلمان الفارسى، بل قولوا سلمان المحمدى، وذلك رجل منّا أهل البيت. (۶)

۱- تاريخ دمشق ۶۰ : ۱۷۷.

۲- المصدر نفسه ۲۱ : ۴۰۷.

۳- الطبقات الكبرى ۴ : ۸۶ .

۴- الدرجات الرفيعه: ۲۰۹.

۵- معجم رجال الحديث۹ : ۲۰۱.

۶- اختيار معرفه الرجال ۱ : ۵۴.

وقال أبوهريره: صاحب العلم الأوّل والآخر سلمان الفارسی. (۱)

وقال أبو عمر روی عن رسول الله (ص) من وجوه أنه قال: لو کان الـدین فی الثریا لناله سـلمان، وفی روایه أخری: لناله رجل من فارس. (۲)

وقال الإمام الباقر (ع): کان سلمان من المتوسمین،(۳) أی المتفرسین.

وعن الإمام الصادق (ع) أنه قال: المؤمن هاشمی، لأنه هشم الضلال والکفر والنفاق، والمؤمن قرشی لأنه أقرّ للشیء ونحن الشیء وأنکر اللاشیء الـدلام وأتبـاعه... والمؤمن عربی لأـنه أعرب عنّا أهـل البیت... والمؤمن فارسـی لأنه یفرس فی الإیمان، لو کان الإیمان منوطاً بالثریا لتناوله أبناء فارسـی، یعنی به المتفرس، فاختار منها أفضـلها واعتصم بأشرفها، وقد قال رسول الله (ص): اتقوا فراسه المؤمن فإنه ینظر بنور الله. (۴)

وقال الإمام الصادق (ع): إنّ سلمان بحر لاینزف. (۵)

وسُئل۷ عن کثره ذکره لسلمان؟ قال: إنّ الباعث علی کثره ذکره ثلاثه، فضیله عظیمه له.

الأول: إنه اختار هوی أمیر المؤمنین علی (ع) علی هوی نفسه.

الثانی: حبه للفقراء واختیارهم علی الأغنیاء وذوی الثروه والأموال.

الثالث: محبته للعلم والعلماء، وإنّ سـلمان کان عبـداً صالحاً حنیفاً مسـلماً وماکان من المشـرکین،(۶) وقال أیضاً: إنّ سـلمان علّم الاسم الأعظم. (۷)

وفی کتاب الإمام الرضا (ع) إلی المأمون فی حدیث طویل:... والمقتولین من الصحابه

۱- تاریخ دمشق ۲۱ : ۴۲۴.

۲- شرح نهج البلاغه ۱۸ : ۳۶.

۳- معجم رجال الحدیث ۹ : ۲۰۲.

۴- الاختصاص: ۱۴۳.

۵- الفوائد الرجالیه ۳ : ۲۰.

۶- معجم رجال الحدیث ۹ : ۲۰۱ ؛ طرائف المقال ۲ : ۶۰۰.

۷- الاختصاص: ۱۱.

الذين مضوا على منهاج نبيهم (ص) ولم يغيّروا ولم يبدلوا مثل سلمان الفارسى وأبى ذر.... (۱)

وقال الفضل بن شاذان:... ويقال: انتهى علم الأئمه إلى أربعه نفر: أولهم سلمان الفارسى،(۲) وحكى عنه أنه قال: مانشأ فى الإسلام رجل من كافه الناس كان أفقه من سلمان الفارسى،(۳) وقال أبوهريره:... ومما زيّن الله به إصبهان(۴) وأهلها أن جعل سلمان الفارسى منها، ورزقه صحبه نبينا (ص) حتى قال فيه: سلمان منّا أهل البيت. (۵)

وقال كعب الأحبار: سلمان حشى علماً وحكمه. (۶)

وقال النبى (ص): إنّ الجنّه لأشوق إلى سلمان من سلمان إلى الجنّه، وإنّ الجنّه لأعشق لسلمان من سلمان إلى الجنه. (۷)

وقال أبوعبدالله (ع): الإيمان عشر درجات، فالمقداد فى الثامنه، وأبوذر فى التاسعه، وسلمان فى العاشره.

مانزل فيه من القرآن

نقتصر هنا على ذكر الآيه النازله فى حقه، مع الإعراض عن ذكر القصه والسبب الذى لأجله نزلت مراعاةً للاختصار.

۱ (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصارى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صالِحاً فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ). (۸)

۱- بحار الأنوار ۱۰ : ۳۵۸.

۲- اختيار معرفه الرجال ۲ : ۷۸۰.

۳- المصدر نفسه ۱ : ۶۸.

۴- لا يخفى أنّ قوله هذا مبنى على الرأى الشاذ أنه من إصبهان، والمحقق أنه من رامهرمز من توابع خوزستان حالياً كما بيّناه.

۵- طبقات المحدثين ۱ : ۴۰۳.

۶- شرح نهج البلاغه ۱۸ : ۳۶؛ بحار الأنوار ۲۲ : ۳۹۱.

۷- الدرجات الرفيعه: ۲۰۸.

۸- المائده : ۶۹.

نزلت هذه الآیه فی سلمان الفارسی وأصحابه. (۱)

۲ (وَاصْبِرْ نَفْسَکَ مَعَ الَّذِینَ یَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَداهِ وَالْعَشِیِّ یُرِیدُونَ وَجْهَهُ وَلا تَعْدُ عَیْناکَ عَنْهُمْ تُرِیدُ زِینَهَ الْحَیاهِ الدُّنْیا وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنا قَلْبَهُ عَنْ ذِکْرِنا وَاتَّبَعَ هَواهُ وَکانَ أَمْرُهُ فُرُطاً). (۲)

نزلت هذه الآیه فی سلمان الفارسی وجماعه. (۳)

۳ (وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ یَقُولُونَ إِنَّما یُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسانُ الَّذِی یُلْحِدُونَ إِلَیْهِ أَعْجَمِیٌّ وَهذا لِسانٌ عَرَبِیٌّ مُبِینٌ). (۴)

۴ (أَ یُحِبُّ أَحَدُکُمْ أَنْ یَأْکُلَ لَحْمَ أَخِیهِ مَیْتاً فَکَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِیمٌ). (۵)

نزلت فی رجلین استغابا سلمان یوم کان فی سفر معهما. (۶)

۵ (وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهاجِرِینَ وَالْأَنْصارِ). (۷)

نزلت فی سلمان والمقداد وأبی ذر. (۸)

۶ (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِینَ إِذا ذُکِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ... لَهُمْ دَرَجاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَهٌ وَرِزْقٌ کَرِیمٌ). (۹)

نزلت فی أمیرالمؤمنین (ع) وسلمان وأبی ذر والمقداد. (۱۰)

۱- تاریخ دمشق ۲۱ : ۴۱۹ ; الدرّ المنثور ۱ : ۷۳.

۲- الکهف :۲۸.

۳- تفسیر القرطبی ۱۰ : ۳۹۰ ; البرهان فی علوم القرآن ۱ : ۲۰۱ ; تفسیر نور الثقلین۳ : ۲۵۷.

۴- النحل : ۱۰۳.

۵- الحجرات : ۱۲.

۶- الدرّ المنثور ۶ : ۹۴ ; تفسیر الصافی ۵ : ۵۴.

۷- التوبه : ۱۰۰.

۸- شواهد التنزیل ۱ : ۳۳۰; بحار الأنوار ۲۲ : ۳۲۷.

۹- الأنفال : ۲.

۱۰- تفسیر القمی ۱ : ۲۵۵ ; بحار الأنوار ۲۲ : ۳۲۲.

۷ (إِنَّ الَّذِینَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ کانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً). (۱)

نزلت فی سلمان وأبی ذر وجماعه. (۲)

۸ (وَهُدُوا إِلَی الطَّیِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلی صِراطِ الْحَمِیدِ). (۳)

نزلت فی سلمان وجماعه. (۴)

۹ (وَالَّذِینَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ وَآمَنُوا بِما نُزِّلَ عَلی مُحَمَّدٍ...). (۵)

نزلت فی سلمان وجماعه. (۶)

۱۰ (فَالَّذِینَ هاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِیارِهِمْ وَأُوذُوا فِی سَبِیلِی). (۷)

۱۱ (وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسانَ لَفِی خُسْرٍ * إِلاَّ الَّذِینَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ). (۸)

نزلت فی أمیرالمؤمنین علی (ع) وسلمان. (۹)

۱۲ (إِلاَّ الَّذِینَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَیْرُ مَمْنُونٍ). (۱۰)

هم سلمان والمقداد وعمار وأبوذر، وأمیرالمؤمنین علی بن أبی طالب (ع) لهم أجر غیر ممنون. (۱۱)

مالقیه من أذی الآخرین

قد یتصور القارىء الکریم أن الأذی الذی لقیه سلمان کان من أبناء الدیانات الأخری التی اعتادت علی منع أبنائها من اعتناق دین الإسلام، وإن کان ماعاناه من ترک دین آبائه

۱- الکهف : ۱۰۷.
۲- تفسیر الصافی ۳ : ۲۶۸ ; بحار الأنوار ۲۲ : ۳۲۳.
۳- الحج : ۲۴.
۴- مناقب آل أبی طالب ۲ : ۲۹۲.
۵- محمد : ۲.
۶- تفسیر القمی ۲ : ۳۰۱ ; بحار الأنوار ۲۲ : ۳۴۹.
۷- آل عمران : ۱۹۵؛ نور الثقلین ۱ : ۴۲۵.
۸- العصر : ۱۳.

٩- شواهد التنزيل ٢ : ٤٨٢.

١٠- التين : ۶.

١١- بحار الأنوار ٢٢ : ٣۴٥، ح٥۶ ; وانظر تفسير فرات الكوفي.

وأجـداده ليس بالقليـل، إلاـ أنـه مُنى بحرب ضـروس اسـتمرت إلى حيـن وفـاته، لكن هـذه المرّه كـانت من أبنـاء ملته ودينه من أصـحاب الصف الواحد ومن جمع من الصحابه المحيطين بنبىّ الإسلام (ص) إنه تيار كان يحمل أفكاراً جاهليه يعتبر أنّ الاسلام ونبيّه حِكر على العرب، بـل على أبناء الجزيره أيضاً، حمل هـذا التيار فكراً منحرفاً زرع سـمومه فى صـفوف المسـلمين إلى يومنا هـذا، أرادوا جعله ديناً مختصـاً بـأمّه معينه، مع أنه جاء لجميع الاُمم، كرّسوا بأفكارهم المنحرفه عـدّه مفاهيم باطله، طالما حاربها النبى (ص) منهـا الطبقيه، فُضّل فيها العربى على غيره، فى الاحترام والإيمان والحـدود والعطاء و... فيما نرى القرآن الكريم يقول: (إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقاكُمْ).

والنبى (ص) يقول: «لا فضل لعربى على أعجمى... إلا بالتقوى».(۱)

فكان سـلمان أوّل ضـحيه لهـذا الفكر الزائف الذى شوّه سـمعه الدّين الحنيف، ولكن فى كلّ هذه الظروف الصـعبه كان الرسول (ص) وأميرالمؤمنين على أبن أبى طالب (ع) إلى جنبه، فصبر وتحمّل حتّى أظهر الله تعالى فضـله ومقامه لجميع المسلمين، كيف لا، وقد بلغ المرتبه العاشره من الإيمان، كما قال أميرالمؤمنين على (ص).

وكان قد تخطى سـلمان حلقه قريش وهم عند رسول الله (ص) فى مجلسه، فالتفت إليه رجل منهم فقال: ما حسـبك وبما نسبك وما اجترأت أن تخطّى حلقه قريش؟!

قال: فنظر إليه سـلمان، فأرسل عينيه وبكى وقال: سألتنى عن حسبى ونسبى، خلقت من نطفه قـذره، فأما اليوم ففكره وعبره، وغـداً جيفه منتنه، فـإذا نشـرت الـدواوين ونصـبت الموازين، ودعى النـاس لفصل القضاء، فوضـعت فى الميزان، فإن اُرجـح الميزان فأنا شريف كريم، وإن أنقص الميزان فأنا اللئيم الذليل، فهذا حسبى وحسب الجميع.

فقال النبى (ص): صدق سلمان، صدق سلمان، صدق سلمان، من أراد أن ينظر إلى رجل نوّر قلبه فلينظر إلى سلمان. (۲)

۱- المعجم الأوسط، للطبرانى ۵ : ۸۶ .

۲- تاريخ دمشق ۲۱ : ۴۰۷.

وعن الإمام الباقر (ع) قال: جلس عدّه من أصحاب رسول الله (ص) ينتسبون وفيهم سلمان الفارسی، وأنّ عمر سأله عن نسبه وأصله؟

فقال: أنا سلمان بن عبدالله، كنت ضالاً فهدانی الله بمحمد، وكنت عائلاً فأغنانی الله بمحمد، وكنت مملوكاً فأعتقنی الله بمحمد، هذا حسبی ونسبی، ثم خرج رسول الله (ص) فحدّثه سلمان وشكی إليه مالقی من القوم وما قال لهم، فقال النبی (ص): يا معشر قريش! إنّ حسب الرجل دينه، ومعرفه خُلُقه، وأصله عقله، قال الله تعالی: (إِنَّا خَلَقْناكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثی وَجَعَلْناكُمْ شُعُوباً وَقَبائِلَ لِتَعارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقاكُمْ). (۱)

يا سلمان ليس لأحد من هؤلاء عليك فضل إلا بالتقوی، وإن كان التقوی لك عليهم فأنت أفضل. (۲)

وفاته ومدفنه

توفی سنه أربع وثلاثين للهجره علی المشهور، فی عهد عمربن الخطاب، فی المدائن، جهّزه وصلی عليه أميرالمؤمنين (ع) وكان آنذاك فی المدينه المنوره، وبعد صلاه الصبح أقبل علی الناس فقال (ع): معاشر الناس أعظم الله أجركم فی أخيكم سلمان، فقالوا فی ذلك: فلبس عمامه رسول الله (ص) وأخذ قضيبه وسيفه، وركب علی العضباء، وقال لقنبر: عدّ عشراً، قال: فقلت، فإذا نحن علی باب سلمان.

قال زاذان: فلما أدرك سلمان الوفاه قلت له: من المغسّل لك؟ قال: من غسل رسول الله (ص) فقلت: إنك بالمدائن وهو بالمدينه؟ فقال: يا زاذان إذا شددت لحيی تسمع الوجبه، فلما شددت لحيه سمعت الوجبه وأدركت الباب، فإذا أنا بأمير المؤمنين (ع).

فقال: يا زاذان قضی أبو عبدالله سلمان؟

قلت: نعم يا سيدی؛ فدخل وكشف الرداء عن وجهه، فتبسم سلمان إلی

۱- الحجرات : ۱۳.

۲- أمالی الطوسی: ۱۴۷.

أميرالمؤمنين (ع) فقال له: مرحباً يا أبا عبد الله، وإذا لقيت رسول (ص) فقل له: ما مرّ على أخيك من قومك، ثم أخذ في تجهيزه.

وقال أبوالفضل التميمي:

سمعت يسيراً من عجائبه

وكان أمر علي لم يزل عجبا

دريت عن ليله سار الوصي بها

إلى المدائن لما أن لها طلبا

فألحد الطهر سلماناً وعاد إلى

عراص يثرب والإصباح ما قربا

كآصف قبل رد الطرف من سبأ

بعرش بلقيس وافى يخرق الحجبا

فكيف في آصف لم تغل أنت؟ بلى

بحيدر أنا غال أورد الكذبا

إن كان أحمد خير المرسلين؟ فذا

خير الوصيين أو كل الحديث هبا(۱)

وهناك أقوال أُخر تقول: إنه توفي في عهد عثمان، وأُخرى في عهد أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب (ع) وبعضها ينكر مجيئه (ع) من المدينه إلى المدائن، لكن المشهور ما ذكرناه، والنصوص الآنقه الذكر أكبر شاهد على ذلك.

۱- مناقب آل أبي طالب ۲ : ۱۳۱ ; والأبيات فقط في الغدير ۵ : ۱۵.

(۲۱) أسماء بنت عميس

اشاره

داعيه تحتذى

حسن محمد

إنّ للنساء المؤمنات الصالحات تاريخاً رائعاً لم تنسه أقلامه ومصادره، وكيف ينسى، وقد غدا تاريخاً مثمراً متواصلًا جعل منهنّ أمثلةً تحتذى، ونماذج تقتدى؟!

ومن تلك النساء، مؤمنه صابره حصلت على أوسمه متعدده من رسول الله (ص) منها وسام الإيمان حيث قال:

«الأخوات الأربع مؤمنات: ميمونه، وأمّ الفضل، وسلمى، وأسماء».

صحابيه جليله، بعد أن عرفت بصبرها، وثباتها، ووعيها، وعبادتها، وبصيرتها، ومعرفتها فى تأويل الرؤيا، وحفظها لكثير من الأحاديث النبويه وروايتها، وتسجيلها للعديد من المواقف النبيله، نالت لقباً كبيراً ووساماً رفيعاً، طالما اشرأبت له الأعناق، إنه (لقب الهجرتين) وهو من رسول الله (ص) أيضاً، حيث إنها عرفت بأنها صاحبه الهجرتين، فهى أول النساء المهاجرات إلى ديار الحبشه، حيث ملكها العادل، ثم يثرب مدينه رسول الرحمه محمد (ص).

غـدت هذه المرأه أنموذجاً يقتدى، ومثالاً يحتذى، كما قلنا بحق وجداره، فهى زوجه وفيه صالحه، عرفت بصبرها ووفائها، لبيوت حلّت فيها زوجه وأمّاً...

وهى أمّ مـدرسه نقـاله أينمـا كـانت، وحلّت فى مكه، وفى الحبشه، وفى يثرب، بكـل ما تحمله هـذه المـدرسه، من دروس قيمه، ومفاهيم صادقه، ومبادئ عاليه...

وهى داعيه مخلصه، هنـا وهناك، حفلت حياتها بمفاصل قيمه، وألوان زاهيه، وأغصان مؤرقه، راحت تثمر دروساً فى بناء المؤمنه الداعيه، والأسره المسلمه الصادقه، والأبناء الصالحين، الذين أحاطتهم ببيئه نظيفه، وتربيه سليمه...

وإنّ قراءه حياتهـا، كمـا حياه الأخريات من الصالحات المربيات، يؤكـد ضـروره وأهميه التواصل الإيجابى بينهنّ ومجتمعهن، بل ومجتمعات أجيال أخرى جاءت بعـدهن، وإن دل هذا فإنه يدل على عظم الرساله السـماويه، التى صـنعتهنّ بعد أن وفقن للإيمان بهـا، وصـرن أعضـاء عاملاـت فى مـدرسه النبوه المقـدسه، والصـحبه المبـاركه، ومـا أعظمها من صـحبه خرّجت نخباً صالحه من الرجال والنساء.

نسبها

هى أسـماء بنت عميس بن معد بن تيم بن الحارث أو معد بن الحارث بن تيم بن كعب بن مالك بن قحافه بن عامر بن ربيعه بن عامر بن سعد بن مالك بن نسر أو بشير بن وهب الله بن شهران بن عفرس بن خلف بن أفتل وهو خثعم. (۱)

هذا نسبها من أبيها.

وأمّهـا: هنـد بنت عوف بن زهير بن الحارث الكنانيه، أو هى هنـد بنت عوف بن الحارث، وهو حماطه بن ربيعه بن ذى جليل بن جرش، واسـمه منبه بن أسـلم بن زيـد بن الغوث بن سـعد بن عوف بن عـدى بن مالـك بن زيـد بن سـهل بن عمرو بن قيس بن معاويه بن جشم بن عبد شمس بن وائل بن الغوث بن قطن بن غريب بن زهير بن أيمن بن

۱- تاريخ الطبرى ۲ : ۳۵۱، أحداث سنه:۱۳ ; مقاتل الطالبيين، لأبى الفرج الإصفهانى: ۳۵، ترجمه محمد بن جعفر.

الهميسع بن حمير، وهو العرنجج بن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان، كما فى مقاتل الطالبيين، أو هى بنت عوف بن زهير بن الحارث ابن حماطه... كما فى الطبقات.

وهند هذه التى هى أم أسماء بنت عميس التى قيل فيها:

الجرشيه أكرم الناس أحماء، و جرش من اليمن.

وابنتها أسماء بنت عميس، تزوجها جعفر بن أبى طالب، ثم أبوبكر، ثم أميرالمؤمنين على بن أبى طالب (ع).

وابنتها الأخرى، ميمونه أمّ المؤمنين، زوجه النبى (ص) وهى آخر امرأه تزوجها (ص) .

وابنتها الأخرى، لبابه أمّ الفضل أخت ميمونه، أم ولد العباس بن عبدالمطلب.

وابنتها الأخرى، سلمى بنت أم ولد، حمزه بن عبدالمطلب، وقد ولدت له ابنته عماره.

إذن، فأحماؤها، أى أحماء هـذه الجرشيه هم: رسول الله (ص) وأميرالمؤمنين على بن أبى طالب (ع) والحمزه، والعباس، وجعفر، وأبوبكر، ومن أحمائها أيضاً الوليد بن المغيره المخزومى، فأمّ خالد بن الوليد، أمّ الفضل الكبرى بنت الحارث أخت أسماء لأمها.

وميمونه أمّ المؤمنين، أبوهـا الحارث بن الجون بن بجير بن الهرم بن رويبه بن عبـد الله بن هلال بن عامر، وأم المؤمنين هـذه هى أخت أسماء من أمّها.

وأخوات ميمونه لأمها، هنّ عشر أخوات، وست أخواتها لأبيها. (۱)

زواجها

وقع اختلاف بينها وأختها سلمى، حيث قيل: إن أسماء بنت عميس كانت قبل الإسلام تحت حمزه بن عبدالمطلب ابن عمّ رسول الله (ص) أنجبت له ابنه «أمه الله»، ثم من بعده كانت تحت شداد بن الهادى الليثى، وأنجبت له «عبدالله وعبدالرحمن» ولكن ردّت هذه الدعوى بأنّ المرأه التى كانت تحت حمزه وشداد هى سلمى بنت عميس أختها، وليس أسماء.

۱- مقاتل الطالبيين:۳۶۳۵، ترجمه محمد بن جعفر; ابن سعد فى الطبقات ۸ : ۹۴،۲۰۵، ۶ : ۸۶ ; الإصابه ۸ : ۲۰۲ ۱۹۱، ۱۸ : ۷۸ ؛ وفى غيرها من المصادر التاريخيه.

والشـیء المتیقن أنهـا تزوجت ابن عمّ رسول الله (ص) جعفر الطیـار بن أبی طـالب، والـذی کـان شبیهاً به (ص) فقـد کان (ص) یقول لجعفر: «أنت أشبه الناس بخلقی وخلقی».(۱)

فکـان ذلـک یسرّ أسـماء، ویسـعدها عنـدما تری زوجهـا شبیهـاً بأحسن الخلق وأفضـلهم وأحبهم إلیها، فکان یحرّک فیها مشاعر الشوق لرؤیه النبی الکریم (ص) .

وقـد أسـلمت مع زوجها جعفر الـذی ظلّ طیله حیاته معها یبادلها المحبه والوفاء والرفقه الصالحه حتی فی مسـیرتهما الإیمانیه فی وقت واحد ومبکر من عمر الدعوه، حتی یقال: إنّ إسلامهما کان قبل دخول رسول الله (ص) دار الأرقم بمکه.

أسماء ، فی بلاد الهجره الأولی

ما إن قرّر زعماء ومشـرکو قریش معاقبه المؤمنین، حتی أذن رسول الله (ص) لأصحابه بالهجره إلی الحبشه، فکانت أسماء وبرفقه زوجهـا جعفر، وبعـد فتره قلیله من زواجهما، واحـدهً ممن شـدّ الرحال هجرهً فی سبیل الله تعالی، و تنفیـذاً لطلب الرسول (ص) و فراراً بـدینهم وأنفسـهم، فـوثقت هجرتهمـا الحیـاه بینهمـا، وملأـت علیهمـا أجواء إیمـانیه، جعلت منهمـا نعم الزوجین، المؤمنین، المهاجرین، المجاهدین، الصابرین، الصادقین، بعد أن أدرکا أنّ الآخره خیر من الأولی.

إذن، ما إن وصل المهاجرون إلی بلاد الحبشه، حتی کانت أسـماء وزوجها جعفر، وهو أمیر المهاجرین، وابنهما عبدالله علی قول، فی مقـدمه ذلک الرکب العظیم، وکانت واحده من ست عشـره امرأه مهاجره... لیقیموا فی بیت بسـیط تکتنفه آلام الغربه، والبعد عن الرسـول (ص) وصـحبته المبـارکه، وعن الـوطن والأـحبه، وتملؤه الموده، والمحبه، والاـحترام، لتجعـل منهمـا مثالاًـ للزوجین الصالحین.

حقـاً لقـد ملأـ هـذا الصـحابی الجلیـل، حیـاه زوجته أسـماء بکـل معـانی الخیر، مما حـداها أن تکون شـریکته الصالحه فی حمل مسؤولیه هذا الدین الحنیف، ونشر دعوته فی مهجرهما

۱- مختصر تاریخ دمشق ۶ : ۶۹ ترجمه جعفر بن أبی طالب.

الجدیـد; إضافهً إلی تحملها تربیه أولادها الثلاثه الـذین منّ الله تعالی علیهما بهم، فقـد أنجبت لجعفرفی بلاد الحبشه: عبـدالله، و محمـداً، وعوفاً، وکان ولـدها عبدالله أکثر شـبهاً بأبیه الذی کان شبیهاً بالنبی الکریم (ص) فکانا کلما اشـتاقا لرؤیه رسول الرحمه (ص) ملئآ عیونهما منه.

بقیت هذه الصـحابیه المؤمنه الصابره وزوجها فی الحبشه خمس عشـره سـنه أو أقلّ من هذا بقلیل، وقعت فیها أمور عدیده واصل فیها رسول الله (ص) دعمه لهم، عبر موفده عمرو بن أمیه الضمری یتفقدهم، ویستوضح ما عندهم، ویعلمهم أحکام الله، وما ینزل من آیات قرآنیه.

وفی المقابـل کانت قریش هی الأخری، ترسل وفودها إلی ملک الحبشه، لتحثه علی تسـلیمهم وإعادتهم إلیه، فقـد جاء وفـد من قریش إلی ملک الحبشه (النجاشی) یطالبونه بإعاده المسلمین إلی مکه، وکان یضم عمرو بن العاص، وکانوا یقولون له:

«قـد ضوی إلی بلـدک منّا غلمان سـفهاء، فارقوا دین قومهم، ولم یـدخلوا فی دینک، وجاؤوا بـدین ٍ ابتـدعوه، لا نعرفه نحن ولا أنت، وقد بعثنا إلیک فیهم أشراف قومهم من آبائهم وأعمامهم وعشائرهم لتردّهم إلیهم».

فما کان من النجاشی إلّا أن أرسل بطلب وفد المسلمین، یسألهم بشأن هذا الأمر، فتقدم جعفر بن أبی طالب، زوج أسماء، فقال:

«أیها الملک کنا قوماً أهل جاهلیه، نعبـد الأصـنام، حتی بعث الله إلینا رسولاً منا، فـدعانا إلی الله لنوحّـِده ونعبـده، ونخلع الأوثان، وأمرنا أن نعبدالله وحده، لانشرک به شیئاً، وأمرنا بالصلاه والزکاه والصیام...».

فتشوّق النجاشی لسماع المزید; فسأله عما جاء به النبی (ص) من عندالله، فما کان من جعفر إلّا أن أسمعه من سوره مریم...

فبکی النجاشی حتی أخضلّت لحیته، وبکت معه أساقفته، فقال النجاشی:

«إنّ هذا والذی جاء به عیسی لیخرج من مشکاه واحده، إنطلقا، فلا والله لا أسلمهم إلیکما ولا یکیدهم أحد».

فکان ذلک سبباً فی إسلام النجاشی، وکان النجاشی سبباً فی إسلام وفد قریش، والذی کان من بینهم عمرو بن العاص.

وقد سمّی النجاشی ولده (عبد الله) علی اسم ابن جعفر وهو عبد الله، ولیس هذا فقط، بل إنّ أسماء قد أرضعته مع ولدها عبد الله بن جعفر، وبالتالی فهما أخوان بالرضاعه، وهذا دلیل علی عمق العلاقه بین العائلتین: عائله النجاشی وعائله جعفر.

إنّ ذلک کان اختباراً عظیماً لهذه الفئه المؤمنه، وأسماء منها تؤدی رسالتها کأفضل داعیه قولاً وعملاً وسلوکاً...

هجرتها الثانیه

کم کـان سـرور رسول الله (ص) عظیماً حین عادت أسـماء وجعفر من الحبشه إلی المـدینه المنوره، وهو یعیش فرحه فتـح خیبر، وقد عبّر عن فرحتیه، فقال (ص) بعد أن قبّل بین عینی جعفر:

«ما أدری بأیّهما أنا أسرّ: بفتح خیبر أم بقدوم جعفر؟!!».(۱)

هی و الخلیفه الثانی

مـا إن عـادت من هجرتها إلی الحبشه، التی تأخرت فیها، حتی وفقت وزوجها وأولادها إلی هجره أخری، وهـذه المره إلی حیث رسول الله (ص) إلی المـدینه، ومـا إن التقت بحفصه زوج النبی (ص) حتی دخل علیهما عمر بن الخطاب قائلا:- «لقـد سـبقناکم بالهجره فنحن أحقّ برسول الله (ص) منکم أو: یا حبشیه، سبقناکم بالهجره!

فغضبت وقالت:

«أی لعمری لقـد صدقت! کنتم مع رسول الله (ص) یطعم جائعکم، ویعلّم جاهلکم، وکنّا البعداء الطرداء، أما والله لآتین رسول الله (ص) فلأذکرن ذلک له، و لاأنقص ولا أزید فی ذلک»

۱- السیره النبویه، لابن هشام ۳ : ۴.

فذكرت ذلك له، فقال (ص):

«لكم الهجره مرتين، هاجرتم إلى النجاشي! وهاجرتم إلّى»، أو «للناس هجره واحده، ولكم هجرتان».

وعن البخارى فى صحيحه عن أبى موسى، أنه قال:

بلغنا مخرج النبى (ص) ونحن باليمن، فخرجنا مهاجرين إليه، فركبنا فالقتنا سفينتنا إلى النجاشى بالحبشه، فوافقنا جعفر بن أبى طالب، فأقمنا معه، حتى قدمنا جميعاً، فوافقنا النبى (ص) حين افتتح خيبر، وكان أناسٌ من الناس يقولون لنا يعنى أهل السفينه :

سبقناكم بالهجره!

ودخلت أسماء بنت عميس وهى ممّن قدم معنا على حفصه زوج النبى (ص) زائره، وقد كانت هاجرت إلى النجاشى فيمن هاجر، فدخل عمر على حفصه وأسماء عندها، فقال عمر: الحبشيه هذه، البحريه هذه؟

قالت أسماء: نعم.

قال: سبقناكم بالهجره، فنحن أحقّ برسول الله (ص) منكم!

فغضبت وقالت: كلّا والله، كنتم مع رسول الله (ص) يطعم جائعكم، ويعظ جاهلكم، وكنا فى الدار أو فى أرض البعداء البغضاء بالحبشه، وذلك فى الله وفى رسوله (ص) وأيم الله، لا أطعم طعاماً، ولا أشرب شراباً، حتى أذكر ما قلت لرسول الله (ص) وأسأله، والله لا أكذب ولا أزيغ ولا أزيد عليه.

قال: «فما قلت له؟».

قَالَت: قلت له: كذا وكذا.

قَال (ص) : «ليس بأحق بى منكم، وله ولأصحابه هجره واحده، ولكم أنتم أهل السفينه هجرتان».

قَالَت: فَلَقَد رأيت أبا موسى، وأصحاب السفينه، يأتونى أرسالاً يسألونى عن هذا الحديث، ما من الدنيا شىء هم به أفرح، ولا أعظم فى أنفسهم، مما قال لهم النبى (ص).

فقـد قضـى رسول الله (ص) لهـا رضوان الله تعـالى عليها ولمن كان معها فى الهجره بالسـبْق على عمر وهجرته، وهكـذا جاهـدت أسماء لتثبت حقها الشرعى وحقّ إخوانها الذين صحبوها فى المشوار الطويل هجرةً ودعوه، وها هى تبشِّر وتَنْشُر هذا الأمر بين من كانوا، يأتونها جماعات للسؤال عن حديث رسول الله (ص) وقضائه لهم بالسبْق فى الهجره والجهاد.

فسرّت بقول رسول الله (ص) هـذا وأثلـج صدرها، ولم يكن ذلك من رسول الله (ص) تطييباً لخاطرها، وإراحةً لنفسـها فقط، بل كان منه (ص) توضـيحاً للحقيقه، وتبييناً للواقع العظيم الـذى عاشوه، والهـدف الكبير الـذى حملوه، وقطعاً لدابر الفتنه، فهم تركوا مكه فارّين بدينهم إلى الحبشه، فكانت هجره، وهم كذلك انتقلوا من بلاد الحبشه إلى المدينه المنوره، فهذه هجره أخرى!!!

الامتحان الكبير

حلّت أسـماء فى بيت النبوه مع زوجات النبى (ص) وبناته، فيما راح جعفر يشـهد مع رسول الله (ص) مواقفه الجهاديه... إنه ابتلاء آخر لإيمـان أسـماء، وصبرهـا، وصـمودها، وثباتهـا، إنه يوم مؤته ووقعتها، يوم الشـهاده، شـهاده من؟! شـهاده زوجها جعفر، وهو يقارع أعداء الإسلام ونبيه...

حزن رسول الله (ص) حزنـاً شديـداً حين وصـله خبر استشـهاد عزيزه وحبيبه جعفر، الـذى كان يحظى بمعزه خاصه، ومنزله رفيعه عنده (ص) فهو شبيهه وداعيته الثابت الواعى والمجاهد الواعد، فكان يسـتحق منه ذلك الألم والحزن...، جاء۹أسماء، وهو يحمل إليها نبأ استشهاد حبيبها، ورفيق إيمانها وهجرتها، وها نحن نقرأ ما قالته رضوان الله تعالى عليها.

«أصـبحتُ فى اليـوم الـذى أصـيب فيـه جعفر وأصـحابه، فأتـانى رسـول الله (ص) ولقـد هنـأت (أى دبغت أربعين إهابـاً من أدم) وعجنت عجينى، وأخذت بنىّ فغسلت وجوههم ودهنتهم، فدخل علىّ رسول الله (ص) فقال:

«يا أسماء: أين بنو جعفر؟» فجاءت بهم، فقبّلهم رسول الله (ص) وبكى، فأحست أسماء

بحدوث شیء لزوجها، فسألت النبی (ص) فقال لها:

«قتل جعفر الیوم».

فقامت تصیح وتنحب، حتی اجتمع علیها الناس یهدؤنها من روعها.

فقال (ص) : "یا أسماء! لا تقولی هجراً ولا تضربی صدراً "، فکان حزنها عظیماً وبکاؤها مریراً...

وفی خبر آخر، إنه لما نعی رسول الله (ص) جعفراً إلی زوجه أسماء بنت عمیس، قامت وصاحت وجمعت الناس، فدخلت علیها فاطمه بنت النبی (ص) وهی تبکی وتقول: وا عمّاه!

فقال رسول الله (ص) : علی مثل جعفر فلتبک البواکی!!!

فکان رسول الله (ص) یطمئنها قائلًا:

«یا أسماء! هذا جعفر بن أبی طالب، قد مرّ مع جبریل ومیکائیل»، فرد (ع)، ثم قال صلوات الله علیه: فعوّضه الله عن یدیه جناحین یطیر بهما حیث شاء.

وورد إنه (ص) توجه بالدعاء قائلًا: أللهم اخلف جعفراً فی أهله وبارک لعبدالله.

ثم رجّع بتشدید الجیم وقال: إصنعوا لآل جعفر طعاماً، فقد شغلوا عن أنفسهم.

وقد نقل الصدوق عن الإمام الصادق (ع) : إنّ النبی (ص) أمر فاطمه أن تأتی أسماء بنت عمیس، ونساؤها وأن تصنع لهم طعاماً ثلاثه أیام، فجرت بذلک السنّه.

وما إن ذکرت أسماء یتم أولادها حتی قال (ص) لها:

«العیله تخافین علیهم، وأنا ولیهم فی الدنیا والآخره». رواه أحمد.

ثم رثته رضوان الله علیه ببیتین من الشعر، وهو ما عثرت علیهما:

فآلیت لا تنفک عینی حزینه

علیک و لاینفک جلدی أغبرا

فلله عیناً من رأی مثله فتی

أكر وأحمى في الهياج وأصبرا

وهى القائله: ما رأيت شاباً من العرب، كان خيراً من جعفر.

ظلّت أسماء صابره وفيه لذكرى زوجها، وحبيبها، ورفيق دربها، يظهر كل هذا وغيره من خلال انكبابها على رعايه أولادها، وتنشئتهم تقرؤهم القرآن، وتعلّمهم مبادئه،

ومفاهیمه، وأحکامه، ولم یشغلها أولادها عن الدعوه إلی الله تعالی بین أخواتها المؤمنات... وبقیت مجالسها عامره بذکرالله تعالی.

وفاؤها لفاطمه الزهراء (علیها السلام)

کانت تتوفر علی حبّ کبیر، وموده عالیه لسیده نساء العالمین، فاطمه الزهراء(علیها السلام) ونورد هنا بعض ما روی فی حبّها وتعلقها المتواصل بسیده نساء العالمین، فاطمه الزهراء(علیها السلام) :

فقد روی فی تزویج فاطمه(علیها السلام) : أنّ رسول الله (ص) أمر النساء بالخروج، فخرجن مسرعات إلاّ أسماء فقد تأخرت، فدخل النبی (ص).

وهنا تقول أسماء: فلما خرج رأی سوادی، فقال: مَن أنتِ؟

فقلت: أسماء بنت عمیس.

قال: ألم آمرک أن تخرجی؟!!

فقالت: بلی یا رسول الله، وما قصدت خلافک، ولکن کنتُ قد حضرت وفاه خدیجه، فبکتْ عند وفاتها، فقلتُ لها: تبکین وأنت سیده نساء العالمین، وزوجه رسول الله (ص) ومبشّره علی لسانه بالجنه؟!

فقالت: ما لهذا بکیتُ.. ولکنّ المرأه لیله زفافها لابدّ لها من امرأه، وفاطمه حدیثه عهد بصبا، وأخاف أن لا یکون لها مَن یتولّی أمرها.

فقلت لها: یا مولاتی، لک عهد الله علیّ إن بقیت إلی ذلک الوقت، أن أقوم مقامک فی ذلک الأمر.

فبکی رسول الله (ص) وقال:

" أسأل الله أن یحرسک یا أسماء من فوقک، ومن تحتک، ومن بین یدیک، ومن خلفک، وعن یمینک، وعن شمالک، من الشیطان الرجیم".

وروی أیضاً أنها کانت حاضره عند سیده نساء العالمین فاطمه، فی ولاده الإمام الحسن (ع) کما فی الروایه التالیه...

تذكير مهم

وهنا لابدّ لى من تسجيل هذا التذكير حول حضور كلّ من أسماء بنت عميس وزوجها جعفر، زفاف سيده نساء العالمين لعلىّ (ع) وهى أنّ أسماء هاجرت إلى الحبشه مع رفاق دربها، وعلى رأسهم زوجها جعفر الطيار، بعد البعثه النبويه، وقبل الهجره النبويه إلى المدينه، فى السنه الخامسه، وكانوا آخر العائدين هى وزوجها وصحبه إلى المدينه دار هجرتهم الثانيه، سنه ۷ هجريه، فيما كانت سنه زواج سيده نساء العالمين من الإمام علىّ (ع) سنه ۲ أو ۳ هجريه، أو فى السنه الأولى للهجره، كما عليه بعض الروايات

والمفروض أنّ أسماء وأيضاً جعفر، كانا فى هذا الوقت فى الحبشه! فكلّ هذا وغيره من الأخبار وقع فيه اشتباه، انتبه إليه بعضهم: كمحمد بن يوسف الكنجى الشافعى فى كتابه «كفايه الطالب» حيث قال:

إنّ ذكر أسماء بنت عميس فى خبر تزويج فاطمه(عليها السلام) غير صحيح، لأنّ أسماء التى حضرت فى عرس فاطمه إنما هى بنت يزيد بن السكن الأنصاريه، ولها أحاديث عن النبى (ص) وأسماء بنت عميس كانت مع جعفر بن أبى طالب بالحبشه، وقدم بها يوم فتح خيبر سنه سبع، وكان زواج فاطمه(عليها السلام) بعد بدر بأيام يسيره.

أما فى كشف الغمه، فقد احتمل أن تكون سلمى بنت عميس هى التى حضرت زفاف فاطمه الزهراء(عليها السلام).

وهنا لا بد لى من القول:

۱ إنّ هذه الأنصاريه كانت من أهل يثرب وتسكن فيها.

۲ لم تكن مسلمةً حين وفاه أم المؤمنين خديجه فى مكه، وقد توفيت قبل هجره رسول الله (ص) إلى المدينه.

والروايه تذكر أنّ أسماء حضرت وفاه خديجه، وراحت هذه الأخيره تبكى وتشكو لها خوفها على ابنتها السيده فاطمه، فيما تعهدت أسماء إن بقيت إلى ذلك الوقت، أن تقوم مقامها، أى مقام السيده خديجه، فى رعايه ابنتها... فكيف لهذه الأنصاريه أسماء بنت يزيد

بن السكن وهی فی المدینه، وهی لم تكن بعدُ مسلمه تأتی إلی مكه لتحضر وفاه أم المؤمنین خدیجه، وتعطی ذلك العهد؟!

والنتیجه التی یبدو لی أنها قد تكون الأقرب إلی الصحه، ما احتمله صاحب كشف الغمه، من أنّ الحاضره ذلك الزفاف، هی سلمی أخت أسماء بنت عمیس، وكانت سلمی زوجةً لحمزه بن عبد المطلب رضوان الله علیه.

وماوقع هو اشتباه من الرواه فی أسماء بنت عمیس، وفی وجود جعفر أیضاً. (۱)

وعلی أیّه حال، فقد كانت العلاقه وطیدةً بین سیده نساء العالمین وأسماء، فهی التی تشرّفت بتمریضها أیضاً حتی نفسها الأخیر، وقد أوصتها بوصایاها فی تكفینها وتشییعها، وهی التی نعتها إلی الإمام علیّ (ع) وشاركته فی تغسیلها، وتكفینها، وترحیلها، إلی مثواها الأخیر.... (۲)

فلما رأت(علیها السلام) دنوّ أجلها، وأنها تسرع الخطی للّحاق بأبیها(علیها السلام) طلبت من أسماء بنت عمیس أن تحضر لها ماءاً لتغتسل به، فاغتسلت، و لبست أحسن ثیابها... و طلبت من أسماء أن تضع لها فراشاً وسط البیت، فاضطجعت فی فراشها، و هی مستقبله القبله، ثم دعت أسماء و أم أیمن، وطلبت إحضار علی بن أبی طالب (ع) فحضر علیّ (ع) وراحت(علیها السلام) توصیه بوصایاها...

«یا ابن العم! إنه قد نعیت إلی نفسی، و إننی لا أری ما بی إلاّ أننی لاحقه بأبی ساعه بعد ساعه، و أنا أوصیك بأشیاء فی قلبی».

قال لها علی (ع): «أوصینی بما أحببت یا بنت رسول الله».

فجلس عند رأسها، و أخرج من كان فی البیت، ثم قالت: «یا ابن العم! ماعهدتنی كاذبه، ولا خائنه، ولا خالفتك منذ عاشرتنی».

۱- أنظر: تاریخ هجرتهم وعودتهم فی المصادر التاریخیه ، ومنها مختصر تاریخ دمشق ، ترجمه جعفر بن أبی طالب ۶ : ۷۴ ۶۲.
۲- تاریخ الطبری ۲ : ۲۵۳، سنه ۱۱ وغیره من المصادر.

فقال: «معاذ الله، أنت أعلم، وأبرّ، وأتقى، وأكرم، وأشدّ خوفاً من الله، من أن أوبخك بمخالفتى، وقد عزّ علىَّ مفارقتك وفقدك، إلّا أنه أمر لابدّ منه، والله لقد جددت علىَّ مصيبه رسول الله (ص) وقد عظمت وفاتك و فقدك، فإنّا لله و إنّا إليه راجعون، من مصيبه ما أفجعها وآلمها وأحزنها، هذه والله مصيبه لا عزاء عنها، ورزيه لا خلف لها».

ومن ضمن ما قالته(عليها السلام) فى وصيتها للإمام (ع) مما له علاقه بمقالتها هذه:

... أوصيك يا ابن عم أن تتخذ لى نعشاً... (۱)

وفعلاً فقد قام الإمام علىّ (ع) بتغسيلها، ولم يشاركه أحد من النساء إلّا أسماء بنت عميس، وكان الحسنان يحملان الماء، ويدخلانه إلى المغتسل، ولم يشارك فى الغسل، ولم يحضرها غيره، وغير الحسنين، وزينب وأم كلثوم، وفضه جاريتها، وأسماء بنت عميس، ثم صلّى عليها علىّ (ع)...

ثم وضعها على نعش، صنعته أسماء بنت عميس لفاطمه(عليها السلام)...

وقد ذكر المؤرخون، أنّ أول من حُمل على نعش، هى فاطمه(عليها السلام) صنعته لها أسماء بنت عميس، على النحو الذى شاهدته فى الحبشه، أيام هجرتها. (۲)

وقد روى عن أبى عبد الله الصادق (ع) قال:

«أول نعش أحدث فى الإسلام نعش فاطمه، إنها اشتكت شكوتها التى قبضت فيها، و قالت لأسماء: إنى نحلت، وذهب لحمى، ألا تجعلين لى شيئاً يسترنى؟ قالت أسماء: إنى إذ كنت بأرض الحبشه، رأيتهم يصنعون شيئاً أفلا أصنع لك؟ فإن أعجبك أصنع لك.

قالت: نعم.

فدعت بسرير، فأكبته لوجهه، ثم دعت بجرائد فشددته على قوائمه، ثم جلّلته ثوباً، فقالت: هكذا رأيتهم يصنعون.

۱- المجالس السنّيه، للسيد الأمين ۲ : ۱۲۳ ; فاطمه الزهراء من المهد إلى اللحد: ۶۰۹ من روضه الواعظين ; بحارالأنوار ۷۸ : ۲۵۶.

۲- أنظر مثلاً تاريخ المدينه المنوره، لعمر بن شبه ۱ : ۱۰۸ ; والاستيعاب، لابن عبد البر.

فقالت فاطمه: إصنعی لی مثله، أسترینی سترک الله من النار».

کما ظلّت وفیه لبیوت أخری، شاءت السماء أن تحلّ فیها زوجه، بعد أن راح یتمنی الاقتران بها رجال رأوا فیها صدق الإیمان، وعمق الوعی، ونفاذ البصیره والعقل والحکمه، فکان الخلیفه الأول أوّل المتقدمین إلیها، بعد استشهاد جعفر بن أبی طالب، ورزقها الله منه محمداً، نعم العبد الصالح، المطیع لله ورسوله وأهل بیته، والمتفانین فی سبیلهم...

تعهّدت مسؤولیه تربیه أبنائها من جعفر، ضمّت إلیهم ابنها محمد من أبی بکر، وهی تدعو الله أن یصلح بالهم، وأن یجعلهم علی الصراط المستقیم...

مع الإمامه

وقدّر لهذه المرأه الصالحه، أن تحل فی بیت ارتضاه الله تعالی أن یکون من بیوته، بیت إیمان وطهر، بیت إمامه وصدق، فتشرفت بأن تقترن بمن عرف بقرابته القریبه، من رسول الله (ص) وبقدمه فی الإسلام، ونصرته، وجهاده، و بمن وصفه رسول الله (ص) بصفات عظیمه، لم تتوفر لغیره کالأخوه، والوصیه، والخلافه، والولایه...، وقد عصت علی الجمیع وأبت إلّا أن تکون لعلیّ وعلیّ فقط، وهو رفیق رسول الله (ص) وصهره لابنته الراحله فاطمه الزهراء سیده نساء العالمین، وهو شقیق جعفر الطیار زوجها الشهید، وهو عمّ أولادها الثلاثه، وهو فوق کل هذا وغیره، أروع شخصیه صنعتها السماء بعد رسول الله (ص) وبدخولها هذا المنزل المبارک تکون قد دخلت أفضل وأعظم مصداق لمدرسه النبوه والإمامه، ومن أوسع أبوابها، لتکون أنموذجاً حیاً لأخلاق القرآن والإسلام...

لقد تزوج أمیرالمؤمنین علیّ بن أبی طالب (ع) بأسماء بنت عمیس، وانتقلت إلیه برفقه أولادها الأربعه، لیتذوقوا مفاهیم وقیم النبوه والإمامه، من أصدق منابعها; وعاشت معه، فکانت صورهً رائعه للمرأه المسلمه، والداعیه المؤمنه، وقد أولدها یحیی و عوناً، فکانت مثالاً حیاً للزوجه الصالحه، والأم المربیّه، فجعلت الإمام (ع) معجباً برجاحه عقلها، وهو ما تنطق به سیرتها، وما تجده واضحاً حینما اختلف کل من ولدیها:

" محمـد بن جعفر ومحمـد بن أبى بكر" وراح كـل منهمـا يتفـاخر بأبيه، فقال كلّ منهما للآخر: " أنا أكرم منك، وأبى خير من أبيك".

وأحال الإمام علىّ هذا الأمر إليها رضوان الله تعالى عليها لتقضى بينهما، إذن، كيف استطاعت أن ترضيهما؟!

وقفت أسـماء بينهمـا، و قـالت غير مترددة ولاـ منتظره طويلاًـ: "ما رأيت شاباً من العرب خيراً من جعفر، ولا رأيت كهلًا خيراً من أبى بكر". فسكت الولدان، وتصالحا.

فقال علىّ مداعباً: فما أبقيت لنا أو ما تركت لنا شيئاً، ولو قلت غير الذى قلت لمقتك!

قالت: إن ثلاثه أنت أحسنهم خياراً!!!. (۱)

لقد كبرت فى عين علىّ، حتى أصبح يردد فى كل مكان:

«كذبتكم من النساء الخارقه، فما ثبتت منهنّ امرأه إلّا أسماء بنت عميس».

و أخيراً رحلت رضوان الله تعـالى عليها، وأحـداث جسام تعاقبت عليها، كتمت آلامها، وتعالت على جراحها، حين جاءها مصـرع ولدها محمد بن أبى بكر، فراحت تتلوى مما تركه نبأ استشهاده من أثر مؤلم على قلبها، فحبست دمعها، وكتمت حزنها، وعكفت فى مصـلّاها، حتى شـخب ثـديها ونزفت، ثم فجعت بمقتل زوجها أميرالمؤمنين على بن أبى طالب (ع) فلم تعد بَعْدَ مصابه قادرةً على تحمّـل الألـم الـذى يعتصـر بقيه قلبهـا الـذى انهكه المرض، حتى فـاضت روحها إلى العلىّ العظيم، فى سـنه أربعين للهجره، رضوان الله تعالى عليها.

۱- أنظر ما رواه زكريا بن أبى زائده، عما سمعه عن عامر.

(۲۲) مصعب بن عمیر

اشاره

محمد سلیمان

أبوه: عمیر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصی البدری القرشی العبدری..

أمه: خناس بنت مالک بن المضرب العامریه، وهی من نساء بنی مالک.. له أخ اسمه أبوعزیز، ولمصعب موقف منه فی معرکه بدر الکبری، وهناک شخص من بنی عبد الدار بن قصی، اسمه أبو الروم بن عمیر بن هاشم بن عبد مناف بن عبدالدار، کان مع الوجبه الثانیه من المهاجرین التی التحقت بالوجبه الأولی التی هاجر فیها مصعب إلی الحبشه، ولم أجد من أشار إلی هذه العلاقه، أو أنه عاقبته أمه کما عاقبت مصعباً..، ولا أدری قد یکون أخاً لمصعب من أبیه.. لهذا لم تستطع خناس أن تنال منه.. وله أخت تدعی هند بنت عمیر، وهند هی أم شیبه بن عثمان حاجب الکعبه، جد بنی شیبه...

کنیته: کان مصعب یکنی «أبوعبد الله».

لقبه: «مصعب الخیر» وهو ما أراده له المسلمون، وأحبوا أن یلقبوه به.

مصعب واحد من فضلاء الصحابه وخیارهم، بعد أن منّ الله تعالی علیه أن یکون من السابقین إلی الإسلام، ثم من منتسبی مدرسه الصحبه الواعیه المبارکه لرسولالله (ص) امتلأ

إيمانـاً ورسـاليه ووعيـاً فريـداً، وحلمـاً كـبيراً.. جعله ذلـك يتـدفق حيويه، وحركه دؤوبه، ونشاطـاً كـبيراً فى كـل مواقفه الإيمـانيه والتبليغيه والجهاديه..

لقـد تمثلت فى شخصـيته رجوله وشـجاعه وإباء، وتجسـد فى قلبه يقين ثابت، وفى نفسه إراده مبدعه، وفى سـلوكه سـيره حسـنه، وأخلاق فاضـله .. فغدا يسـتقبل المسؤوليات العظيمه بكل ما فيها من مصاعب ومتاعب ومخاطر، دون أن يتطرق الخور إلى نفسه، أو يحـلّ الإعيـاء فى عزيمته، بفضـل مـا يتحلى به من الحكمه التى افتقـدها الكثيرون، حتى الكبار ممن هم حوله.. وبفضل إيمانه الواعى، وعشقه لرساله الدين الجديد، الذى حمله رسولالله (ص) إليهم، وتعلقه بالرساله والرسول (ص) وعمق صدقه وإخلاصه.. فقـدم مـا قـد يعجز عنه الآخرون، وهم مجتمعون، فنال ذكراً طيباً فى الـدنيا، وخلوداً فى جنه عرضـها السـماوات والأرض أعـدت للمتقين.

يقولون عنه

إنه كـان فتى قريش، وقـد أوتى من الجمـال والأناقه ما جعله شاباً يافعاً، وضـىء الطلعه، مليـح الهيئه، فريـداً بين أقرانه، وأوتى من المال ما جعله مترفاً متنعماً مدللًا محبباً إلى والديه الثريين اللذين راحا يغدقان عليه بما يشاء، ويحققان له كل ما يريد من أسباب الحياه الفارهه.

كـانت أمه تكسوه من الثيـاب أحسـنها وأرقهـا، وتطيبه بـأطيب العطور لتجعله كمـا تتمنى أعطر شـباب أهل مكه، بل أعطر أهلها، وخير دليل على هذا ما كان يقوله رسولالله (ص) حين يذكره:

«ما رأيت بمكه أحسن لمه، ولا أرق حله، ولا أنعم نعمه من مصـعب بن عمير» و «لقـد رأيت مُصـعباً هذا وما بمكه فتى أنعم عند أبويه منه».

واللمه بتشديد اللام وكسرها: شعر الرأس الذى يتجاوز شحمه الأذن.

الحله بضم الحاء: الثوب الجديد وقد تكون ثوبين أو ثلاثه أثواب قميصاً وإزاراً ورداء.

حقاً لقد كان من أنعم أهل مكه وأجمل فتيانها، وأكثرهم شباباً.

ولكن لم يمنع مصعباً كل تلك الفتوه الفائقه، وذاك النعيم، وهذا الترف، من الانضمام إلى قافله المؤمنين، حين طرق سمعه دين السماء الجديد الذى يحمله رسول الرحمه محمد بن عبدالله (ص).

لم يمنعه كل ذلك ولا حتى غيره من أن يسلم ويصدق فى إسلامه، ويؤمن ويخلص فى إيمانه.

سمع عن الإسلام والمسلمين فى مكه، وأنهم يجتمعون برسولالله (ص) فى دار الأرقم بن أبى الأرقم، فلم يتأخر طويلاً بل أطلق ساقيه ليسجل سبقاً عظيماً، وهو يعلم جيداً بحكم ذكائه ومعرفته بوالديه، وبالذات أمه صاحبه الكلمه والسطوه، أنه سيسلب النعيم الذى هو فيه، وسيتبدل حاله من السعه إلى الضيق، ومن الراحه إلى التعب، ومن الغنى إلى الفقر، ومن الترف إلى الحرمان إن هو آمن.

ولكنه وكما يصفه المسلمون مصعب الخير، آثر الحياه الآخره ونعيمها الخالد على الدنيا ونعيمها الزائل، بعيداً عن الزهو والدلال وما يتركانه من تعال وكبرياء وطغيان.

{تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَهُ نَجْعَلُها لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى الْأَرْضِ وَلا فَساداً}.

لقد انطلق مسرعاً فى ذلك الصباح إلى حيث دين الله، وآياته التى تتلى ورسوله الكريم إلى الصفا، إلى دارالأرقم، حيث كان له اللقاء المبارك مع الإسلام.

فما أن وقع نظره على رسولالله (ص) حتى بسط يده مبايعاً، وما إن لامست يده بل يداه يد رسول الرحمه والبركه، حتى تهلل وجهه، وأشرق جبينه، ووضح البشر بين عينيه، وهو يعلن الشهادتين لينضم إلى إخوانه، فينال وسام السابقين الأولين إلى الإسلام، حتى نزلت السكينه عليه والحكمه، وحتى غدت العيون لتزداد له هيبه وتمتلأ القلوب إعجاباً به، وإكباراً له كلما رأته، واطلعت على سيرته العطره الواعيه الواعده.

آمن بالله تعالى وصدق دينه ونبيه متحدياً بذلك قريشاً بعتادها وقوتها وجبروتها وعنادها، وهو يرى تعذيبها لمن آمن من قبله من المستضعفين فى رمضاء مكه.

مصعب وأمه

كانت أم مصعب تتمتع بقوه وصلابه ومهابه، لهذا حين أسلم مصعب اتخذ قراراً أن يكتم إسلامه حتى يقضى الله أمراً، إلا أنها علمت بعد حين بإسلامه فقد أبصره عثمان بن طلحه مره، وهو يدخل إلى دارالأرقم، ورآه أخرى وهو يؤدى الصلاه، فأسرع إليها ينقل لها نبأ إسلام مصعب الذى كانت تحبه حباً شديداً، وتحرص عليه حرصاً كبيراً، وقد أفقدها هذا الخبر صوابها، فحاولت أن تثنيه عن الإسلام، إلاـ أنها لم تجد عنده ضعفاً أو تنازلاً أو ميلاً لما تريده منه، بل لم تحدثه نفسه بخيار يكون بديلاً لإيمانه، فراحت تشتد فى معاملتها له، وتقسو عليه وتضيق فى عيشته وحركته أكثر فأكثر، ومنعته من كل نعيم كانت تقدّمه له.

نعم، لقد ضيقت عليه وحبسته وبذلت كل ما تستطيعه من جهد لترده عن دينه، لكنها واجهت من ابنها مصعب إصراراً أكبر على الإيمان؛ فلما آيست منه طردته من بيتها، ثم حرمته من المال كثيره وقليله.

أما مصعب فقد واجه أمه وعشيرته وأشراف مكه المجتمعين يتلو عليهم آيات من القرآن الكريم، فهمّت أمه أن تسكته بلطمه، ولكنها لم تفعل، وإنما حبسته فى زاويه من زوايا دارها وأحكمت عليه الغلق، حتى علم أنّ هناك من المسلمين من يخرج إلى الحبشه، فاحتال على أمه ومضى إلى الحبشه وعاد إلى مكه، ثم هاجر الهجره الثانيه إلى الحبشه، ولقد منعته أمه حين يئست من استجابته لها كل ما كانت تفيض عليه من النعم، وحاولت حبسه مرات بعد رجوعه من الحبشه، فآلى على نفسه لئن فعلت ليقتلن كل من تستعين به على حبسه، وإنها لتعلم صدق عزمه، فودعته باكيه مصرّه على الكفر، وودعها باكياً مصراً على الإيمان، فقالت له وهى تخرجه من بيتها:

إذهب لشأنك، لم أعد لك أماً.

فاقترب منها وقال:

يا أمه إنى لك ناصح، وعليك شفوق، فاشهدى بأنه لا إله إلا الله، وأنّ محمداً عبده ورسوله.

أجابته غاضبه

قسماً بالثواقب، لا أدخل فی دینک، فیزری برأیی، ویضعف عقلی.

ثم قررت سجنه وهو مع هذا کله کلما ازدادت علیه أمه ضیقاً وشده ازداد ثباتاً ورسوخاً علی دینه، وحرصاً علی آخرته، ولقد عانی معاناه شدیده، وشعر بالأذی یتضاعف علیه یومیاً، وهو یحرم مما تعود علیه من نعیم، وأخیراً لم یکن أمامه إلا أن ترک النعمه الوارفه التی کان یعیش فیها مؤثراً الشظف والفاقه، وأصبح الفتی المتأنق المعطر، لا یُری إلا مرتدیاً أخشن الثیاب، یأکل یوماً، ویجوع أیاماً؛ ومع هذا الألم المضاعف علیه صبر وصابر، وهو یری نفسه یعذب ویحجر علیه، وآلامه تتضاعف، لأنه عاش حیاه الرفاهیه والراحه، بعیداً عن أسباب الألم والتعب، وهو الشاب الترف الناعم الطری، الذی نشأ فی أحضان النعمه والعیش الرغید، قبل أن تبدأ مرحله أخری تغیر فیها الحال، وکان أمراً غریباً علیه، لما تعرض له بعد إیمانه، لأنه لم یعش حیاه الخشونه والأذی، لکنه لم یثنه شیء من ذلک عن دینه.

یقول عنه سعد بن أبی وقاص:

«وأما مصعب بن عمیر، فإنه کان أترف غلام بمکه بین أبویه فیما بیننا، فلما أصابه ما أصابنا من شظف العیش، لم یقو علی ذلک، فلقد رأیته وإن جلده لیتطایر عنه تطایر جلد الحیّه، ولقد رأیته ینقطع به، فما یستطیع أن یمشی، فنعرض له القسی ثم نحمله علی عواتقنا».

ترک نعیم الدنیا، وخرج مصعب من النعمه الوارفه التی کان یعیش فیها مؤثراً الفاقه، وأصبح الفتی المعطر المتأنق لا یری إلا مرتدیاً أخشن الثیاب، یأکل یوماً ویجوع أیاماً، وقد بصره بعض الصحابه یرتدی جلباباً مرقعاً بالیاً، فحنوا رؤوسهم وذرفت عیونهم دمعاً شجیاً.

ورآه الرسول (ص) وتألقت علی شفتیه ابتسامه جلیله وقال:

«لقد رأیت مصعباً هذا، وما بمکه فتی أنعم عند أبویه منه، ثم ترک ذلک کله حباً لله

ورسوله».

وحين نظر رسولالله (ص) إلى مصعب وقد جاء مقبلاً وعليه إهاب كبش قال:

«أنظروا إلى هذا الرجل الذى قد نوّر الله قلبه، لقد رأيته بين أبوين يغدوان بأطيب الطعام والشراب، فدعاه حب الله ورسوله إلى ما ترون».

لقد ظلّ مصعب محتسباً كل آلامه عندالله العلى القدير ينتظر منه الفرج والنجاه والأجر والثواب.

هجرته

ولما اشتد أذى المشركين لمصعب ولإخوته المسلمين، وضاق بهم أسياد مكه ذرعاً، أذن لهم رسولالله (ص) بالهجره إلى الحبشه، وهى الهجره الأولى لهم بعد إسلامهم.

يقول ابن إسحاق: فلما رأى رسولالله (ص) ما يصيب أصحابه من البلاء، وما هو فيه من العافيه بمكانه من الله ومن عمه أبى طالب، وأنه لا يقدر على أن يمنعهم مما هم فيه من البلاء، قال لهم:

«لو خرجتم إلى أرض الحبشه، فإنّ بها ملكاً لا يظلم عنده أحد، وهى أرض صدق، حتى يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم فيه».

فخرج عند ذلك جمع من المسلمين من أصحاب رسولالله (ص) إلى أرض الحبشه، مخافه الفتنه، وفراراً إلى الله بدينهم، فكانت أول هجره كانت فى الإسلام، ثم ذكر أسماء من هاجروا ونسب كل واحد منهم إلى قبيلته حتى وصل إلى: ومن بنى عبد الدار بن قصى: مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار، ثم واصل ذكر غيره، فكان عدد الرجال عشره ومعهم أربعه نساء، ومصعب كان سادسهم.

وقد خرجوا متسللين سراً حتى انتهوا إلى الشعيبه، منهم الراكب والماشى، ووفق الله المسلمين ساعه جاؤوا سفينتين للتجار، حملوهم فيهما إلى أرض الحبشه بنصف دينار، وكان مخرجهم فى رجب فى السنه الخامسه من حين نبئ رسولالله (ص) وخرجت قريش فى

آثارهم حتی جاؤوا البحر فلم یدرکوا منهم أحداً. (۱)

وفی قول: إنهم أمروا علیهم عثمان بن مظعون بن حبیب بن وهب بن حذافه بن جمح.. ثم تواصلت هجرتهم فالتحق من قبیله مصعب عدد آخر، وهم سویبط بن سعد، وجهم بن قیس، ومعه امرأته أم حرمله من خزاعه، وابناه عمرو وخزیمه، وأبو الروم بن عمیر وهو أخ لمصعب کما یبدو لی وفراس بن النضیر، فکانوا کلهم سبعه رجال من قبیله عبد الدار، قبیله مصعب بن عمیر. (۲)

فهاجر مصعب الهجره الأولی إلی الحبشه مع من هاجر، وکان عددهم اثنی عشر رجلًا وأربع نسوه، ثم تکاثر عدد المهاجرین الذین تعاقبوا علی الحبشه، حتی وصل جمیع من لحق بأرض الحبشه، وهاجر إلیها من المسلمین، سوی أبنائهم الذین خرجوا معهم صغاراً وولدوا بها، ثلاثه وثمانین رجلًا.

وکان مما قیل من شعر فی الحبشه وهو یصور معاناتهم، وما تعرضوا من عذاب وهوان کانت السبب فی هجرتهم وترک بلادهم:

کل امرئ من عباد الله مضطهد

ببطن مکه مقهور ومفتون

إنا وجدنا بلاد الله واسعه

تنجی من الذل والمخزاه والهون

فلا تقیموا علی ذل الحیاه وخز

ی فی الممات وعیب غیرمأمون

إنا تبعنا رسولالله واطرحوا

قول النبی وعالوا فی الموازین(۳)

لکن مصعب لم یبق طویلًا فی هجرته إلی الحبشه، إذ رجع بعد هجرته بعده أشهر عندما أشیع فی الحبشه أن قریشاً قد أسلمت، وکان الأمر غیر ذلک.

قال ابن إسحاق: وبلغ أصحاب رسولالله (ص) الذین خرجوا إلی أرض الحبشه إسلام أهل مکه، فأقبلوا لما بلغهم من ذلک حتی إذا دنوا من مکه بلغهم أن ما کانوا تحدثوا به من

۱- السیره النبویه، الهجره إلی الحبشه ؛ تاریخ الطبری ۱ : ۵۴۶.

٢- السيره النبويه، لابن هشام ١ : ٣٢٢ ٣٢٥ ؛ تاريخ الطبرى.

٣- المصدر نفسه ١ : ٣٣٠ ٣٣١.

إسلام أهل مكه كان باطلًا، فلم يدخل منهم أحد إلا بجوار أو مستخفياً.. وسجل ابن هشام فی سیرته العائدين من المهاجرين، حتى وصل إلى من عاد من بنی عبد الدار: ومن بنی عبد الدار بن قصی: مصعب بن عمير بن هشام بن عبد مناف، وسويبط بن سعد بن حرمله. (۱)

وتمر الأيام العصيبه على المسلمين فی مكه، ويأتی عام الحزن العام الذی توفيت فيه خديجه أم المؤمنين زوجه رسولالله (ص) وكانت له وزير صدق على الإسلام يشكو إليها، ووفاه عمه أبی طالب، وكان له عضداً وحرزاً فی أمره، ومنعه وناصراً على قومه، وذلك قبل مهاجره إلى المدينه بثلاث سنين، وينتهی عام الحزن هذا. (۲)

ولما أراد الله عزّوجل إظهار دينه وإعزاز نبيه (ص) راح رسولالله (ص) يعرض نفسه على قبائل العرب، تأتی منهم فی موسم الحج طلائع، وقد جاء من أهل يثرب سنه ۱۱ من البعثه النبويه رهط، والتقوا بالرسول (ص) عند العقبه سته نفر من الخزرج، وأسلموا على يديه، وواعدوا رسولالله (ص) إبلاغ رسالته إلى قومهم؛ وفعلًا ما إن عادوا إلى يثرب إلى قومهم حتى أفشوا الأمر، وكان من جراء ذلك أن جاء فی الموسم التالی اثنا عشر رجلًا، اجتمع هؤلاء مع النبی (ص) عند العقبه بمنى، فبايعوه بيعه العقبه الأولى، وكانت بيعتهم كبيعه النساء خاليه من البيعه على القتال.

يقول ابن هشام: فبايعوا رسولالله (ص) على بيعه النساء [وقد ذكر الله تعالى بيعه النساء فی القرآن، قال: {يُبايِعْنَكَ عَلى أَنْ لا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئاً} فأراد ببيعه النساء أنهم لم يبايعوه على القتال، وكانت مبايعه النساء أنه يأخذ عليهن العهد والميثاق فإذا أقررن بألسنتهن، قال: قد بايعتكن].

عن عباده بن الصلت قال: كنت فيمن حضر العقبه الأولى، وكنا اثنی عشر رجلًا، فبايعنا رسولالله (ص) على بيعه النساء، وذلك قبل أن تفترض الحرب، على أن لا نشرك

۱- أنظر السيره النبويه ۱ : ۳۶۵.

۲- المصدر نفسه ۲ : ۴۱۶.

بالله شـيئاً، ولا نسرق، ولا نزنی، ولا نقتل أولادنا، ولا نأتی ببهتان نفتريه من بين أيدينا وأرجلنا، ولا نعصيه فی معروف، فإن وفيتم فلكم الجنه، وإن غشيتم من ذلک شيئاً فأمركم إلی الله عزّوجل إن شاء عذب وإن شاء غفر. (۱)

سفير الرسول والرساله

لقـد شاءت له السـماء أن يكون من أولئک الـذين شـيّدوا أساس الإسـلام ومجـده وعزته ومنزلته فی المدينه المنوره، بلد الهجره والنور والعطـاء، بين أهليهـا من الأـوس والخزرج، وليجعـل منهم دعـاه إلی دين الله وأنصـاراً لرسوله (ص) وأن يكون فی إيمـانه وحركته وجهـاده واستشـهاده قـدوه صـالحه، لأنه من {أُولئِکَ الَّذِينَ هَـدَی اللَّهُ فَبِهُـداهُمُ اقْتَـدِهْ} وحقاً كان كما لقبه المسـلمون «مصعب الخير».

يأتی دور الصـحابی الشاب مصـعب بن عمير بعـد أن تمت البيعه، وقد عرف بنودها وحفظها وانتهی الموسم، بعثه النبی (ص) مع هؤلاـء المبايعين أول سـفير فی الإسـلام، ليعلّمهم والمسـلمين فی يثرب مفاهيم الإسـلام وأحكامه، ويقرئهم القرآن، ويفقههم فی الـدين، وليقوم بنشـر الإسـلام بين الـذين لم يزالوا علی الشـرک، لقـد اختار رسولالله (ص) لهـذه المهمه الشاقه مصـعب بن عمير رضوان الله تعالی عليه، وهو فتی من شباب الإسلام، من السابقين الأولين الصادقين المخلصين المتحمسين بوعی وحيويه وقدره.

قال ابن إسـحاق فی السـيره النبويه: فلما انصرف عنه القوم، بعث رسولالله (ص) معهم مصعب بن عمير، وأمره أن يقرئهم القرآن، ويعلّمهم الإسلام، ويفقّههم فی الدين، فكان يسمی المقرئ فی المدينه: مصعب، وكان منزله علی أسعد بن زراره بن عدس، أبی أمامه.

ثم يواصـل ابن إسـحاق كلامـه قائلاًـ: فحـدثنی عـاصم بن عمر بن قتـاده: أنه كـان يصـلی بهم، وذلک أنّ الأوس والخزرج كره بعضهم أن يؤمه بعض.

وقال البراء بن عازب: أول من قدم علينا المدينه من المهاجرين مصعب بن عمير، فهو

۱– أنظر السيره النبويه، لابن هشام ۲ : ۴۳۱.

أول مهاجر إلى المدينه حرسها الله.

إذن قبل أن يهم المبايعون من سادات الأوس والخزرج ونقبائهم بالرجوع إلى مدينتهم يثرب، طلبوا من الرسول (ص) أن يبعث معهم معلّماً يعلّمهم الإسلام وأحكامه، ويدرّسهم القرآن ويفقّههم فى الدين، وهذا دليل وعيهم وشوقهم لمعرفه هذا الدين الذى آمنوا به، وتمسّكهم والتزامهم بما عاهدوا الله تعالى عليه، وبايعوا عليه رسوله (ص).

وكانوا يتوقعون أن يرسل (ص) معهم ما هم بحاجته من أصحابه المعلّمين إلا أنه (ص) اكتفى بواحد منهم، ولم ينتدب لهذه الوظيفه إلا مصعباً المتدفق حيويه ونشاطاً وذكاء، المشع وجهه جمالاً وبهاء، ليضطلع بمسؤوليه كبيره وجديده.

اختاره الرسول أن يكون سفيره إلى يثرب، يفقه الأنصار الذين آمنوا وبايعوا الرسول عند العقبه، ويدخل غيرهم فى دين الله، ويعدّ يثرب ويهيؤها ليوم هجره النبى (ص) إليها.

إن رجاحه عقل مصعب، وكريم خلقه وصبره ونشاطه وزهده، جعله موضع تشريف رسولالله (ص) له، ليسجل بذلك أول مبعوث للنبوه والرساله وأول سفير للإسلام.

وكم كانت فرحه مصعب عظيمه وهو يتلقى أمر الرسول (ص): اذهب يا مصعب على بركه الله.

فراح يردد كلمات الشكر لله تعالى ويتمتم بها، وهو يرى ما أولاه الرسول (ص) من الثقه العاليه به، ومن فوره راح يغذ السير مع من أسلم من يثرب، لينطلق بأشرف الأعمال وأحسنها: {وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صالِحاً وَقالَ إِنَّنِى مِنَ الْمُسْلِمِينَ} ولسانه يردد:

{قالَ رَبِّ اشْرَحْ لِى صَدْرِى * وَيَسِّرْ لِى أَمْرِى * وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسانِى * يَفْقَهُوا قَوْلِى}.

وحتى نعرف عظم المسؤوليه الملقاه على عاتقه وخطورتها، أنه دخلها ولا يوجد فى يثرب إلّا اثنا عشر مسلماً.. وأجواؤها كانت مشحونه بالعداوه التأريخيه المريره بين قبيلتى الأوس والخزرج اللتين خاضتا معارك داميه مليئه بالأحقاد والثارات، وخصوصاً إذا عرفنا أنّ فى يثرب عدواً متربصاً بهم، ويسوؤه وفاقهما ووحدتهما، ويؤلمه اجتماعهما واتفاقهما،

وهو يواصل إذكاء تلك العداوات بكل ما أوتى من قوه ومال وخبث، إنهم يهود بنى قريظه وبنى النضير.

لقد كان هذا الشاب رضوان الله تعالى عليه، يقدر المسؤوليه التى أنيطت به، ويعلم أنه يجب عليه أن ينهى مهامه خلال سنه حتى يوافى رسولالله (ص) فى الموسم القادم، ومعه الكثير من الأوس والخزرج، لكى تبايعه على نصره الإسلام، فعليه إذاً أن يجتهد فى الدعوه، وأن لا يهنأ بطعام، ولا يغمض له جفن، حتى يدخل الناس فى دين الله أفواجاً.

وأما أسعد بن زراره الذى نزل عنده مصعب، فقد كان من أوائل من أسلم من الأنصار، ولأنه توفى بعد هجره الرسول (ص) بقليل، فإننا لا نجد له ذكراً كثيراً فى كتب السيره، وأخذ كل من مصعب وأسعد بن زراره يبثان الإسلام بين الأوس والخزرج بجد وحماس، حتى صار يدعى مصعباً بالقارئ والمقرئ.

وهو ما حصل بالفعل؛ فقد طفق هذا الصحابى الشاب منذ أن وطأت قدماه تراب يثرب يوصل ليله بنهاره، ولا يعرف الهدوء والاستقرار حتى استطاع بتسديد من الله تعالى ودعم من رسوله (ص) وخلال سنه أن يجعل شبابها ورجالها ونساءها ينعمون بأجواء إسلاميه قرآنيه، وحقاً ما ذكروه عنه أنه:

«لم يزل يدعو للإسلام حتى لم يبق دار من دور الأنصار الأوس والخزرج إلا وفيها رجال ونساء مسلمون»، إلا ما كان من دار بنى أميه بن زيد وخطمه ووائل وواقف، وتلك أوس الله وهم من أوس بن حارثه، وذلك أنه كان فيهم أبوقيس بن الأسلت وهو صيفى، وكان شاعراً لهم، وقائداً يسمعون منه ويطيعونه، فوقف بهم عن الإسلام، فلم يزل على ذلك حتى هاجر رسولالله (ص) إلى المدينه ومضى بدر وأحد والخندق.

وفى روايه: إنّ هناك رجلًا واحداً، وهو الأصيرم، تأخر إسلامه إلى يوم أحد. (۱)

لقد أثبت الشاب الصالح مصعب بن عمير، أنه خير سفير للإسلام، اعتمده الرسول الكريم (ص) لأهل يثرب، فقد قام بما عهد إليه من مهمه ومسؤوليه خير قيام، إذ استطاع

۱- الكامل فى التاريخ ۱ : ۵۱۲؛ تاريخ الطبرى ۱ : ۵۶۱.

بـدماثه خلقه وصـفاء نفسه أن يجمع كـثيراً من أهـل يـثرب على الإسـلام، حتى أن قبيله من أكبر قبائـل يثرب وهى قبيله بنى عبد الأشـهل، قـد أسـلمت جميعهـا على يـده بقيـاده رئيسـها سـعد بن معاذ رضوان الله تعالى عليه، ومن أروع ما يروى من نجاحه فى الدعوه هذه القصه، التى جاء فيها:

إنّ أسعد بن زراره خرج بمصعب بن عمير، يريد به دار بنى عبد الأشهل، ودار بنى ظفر، وكان سعد بن معاذ بن النعمان بن امرئ القيس ابن خـاله أسـعد بن زراره، فـدخلا فى حائط من حوائط بنى ظفر، وجلسا على بئر يقال لها: بئر مرق، واجتمع إليهما رجال ممن أسـلم؛ وسعد بن معاذ وأسيد بن خضير يومئذ سيدا قومهما من بنى عبد الأشهل، وكلاهما مشرك على دين قومه فلما سمعا بذلك قال سـعد بن معاذ لأسـيد بن خضـير: لا أبا لك! انطلق إلى هذين اللذين قد أتيا دارنا، ليسـفها ضعفاءنا فازجرهما وانههما أن يأتيا دارنا، فإنه لولا أن أسعد بن زراره منى حيث قد علمت، كفيتك ذلك، هو ابن خالى ولا أجد عليه مقدماً.

فأخذ أسيد بن خضير حربته ثم أقبل إليهما، فلما رآه أسعد بن زراره قال لمصعب: هذا سيد قومه قد جاءك فاصدق الله فيه.

قـال مصـعب: إن يجلس أكلمه، قـال: وجـاء أسـيد فوقف عليهما متشـتماً، فقال: ما جاء بكما إلينا؟ تسـفهان ضـعفاءنا! اعتزلانا إن كانت لكما فى أنفسكما حاجه.

فقال له مصعب: أو تجلس فتسمع، فإن رضيت أمراً قبلته، وإن كرهته كفّ عنك ما تكره؟

قال: أنصفت.

ثم ركز حربته وجلس إليهما فكلمه مصعب عن الإسلام، وقرأ عليه القرآن.

فقالا فيما يذكر عنهما: والله لعرفنا فى وجهه الإسـلام قبل أن يتكلم، فى إشـراقه وتسهله أو وتهلله، ثم قال: ما أحسن هذا وأجمله! كيف تصنعون إذا أردتم أن تدخلوا فى هذا الدين؟ قالا له: تغتسل فتطهر ثوبك، ثم تشهد شهاده الحق، ثم تصلى ركعتين.

فقام فاغتسل، وطهر ثوبيه، وشهد شهاده الحق، ثم قام فركع ركعتين، ثم قال لهما: إنّ ورائى رجلًا إن اتبعكما لم يتخلف عنه أحد من قومه، وسأرسله إليكما الآن سعد بن معاذ، ثم أخذ حربته وانصرف إلى سعد وقومه، وهم جلوس فى ناديهم، فلما نظر إليه سعد بن معاذ مقبلًا قال: أحلف بالله لقد جاءكم أسيد بن خضير بغير الوجه الذى ذهب به من عندكم.

فلما وقف على النادى قال له سعد: ما فعلت؟ قال: كلمت الرجلين فوالله ما رأيت بهما بأساً، وقد نهيتهما فقالا: نفعل ما أحببت، وقد حدثت أن بنى حارثه قد خرجوا إلى أسعد بن زراره ليقتلوه، وذلك أنهم عرفوا أنه ابن خالتك ليخفروك، قال: فقام سعد مغضباً مبادراً تخوفاً للذى ذكر له من بنى حارثه، فأخذ الحربه من يده، ثم قال: والله ما أراك أغنيت شيئاً ثم خرج إليهما فلما رآهما سعد مطمئنين، عرف أن أسيداً إنما أراد أن يسمع منهما فوقف عليهما متشتماً، ثم قال لأسعد بن زراره: يا أبا أمامه لولا ما بينى وبينك من القرابه ما رمت هذا منى، تغشانا فى دارنا بما نكره! وقد قال أسعد لمصعب: أى مصعب! جاءك والله سيد من وراءه من قومه إن يتبعك لم يخالف عليك منهم اثنان فقال له مصعب: أو تقعد فتسمع فإن رضيت أمراً ورغبت فيه قبلته، وإن كرهته عزلنا عنك ما تكره؟ قال سعد: أنصفت ثم ركز الحربه فجلس فعرض عليه الإسلام، وقرأ القرآن، قالا: فعرفنا والله فى وجهه الإسلام قبل أن يتكلم به فى إشراقه وتسهله.

ثم قال لهما: كيف تصنعون إذا أنتم أسلمتم، ودخلتم فى هذا الدين؟

قالا: تغتسل فتطهر ثوبيك، ثم تشهد شهاده الحق، ثم تصلى ركعتين.

فقام فاغتسل، وطهر ثوبيه، وشهد شهاده الحق، وركع ركعتين، ثم أخذ حربته فأقبل عامداً إلى نادى قومه، ومعه أسيد بن خضير، فلما رآه قومه مقبلًا قالوا: نحلف بالله لقد رجع سعد إليكم بغير الوجه الذى ذهب به من عندكم، فلما وقف عليهم قال:

يا بنى عبدالأشهل، كيف تعلمون أمرى فيكم؟ قالوا: سيدنا وأفضلنا رأياً، وأيمننا نقيبه، قال: فإنّ كلام رجالكم ونسائكم على حرام حتى تؤمنوا بالله ورسوله.

يقول الراوى: فوالله ما أمسى فى دار عبدالأشهل رجل ولا امرأه إلا مسلماً أو مسلمه.

والذى يبدو لى أنّ مصعباً حينما عرض الإسلام على سعد، وقرأ عليه القرآن، انشرح صدر سعد، لأن سعداً كان صاحب ضاله، أو كـان من الـذين يبحثون عن الحقيقه بجـد، وما أن وجـدها فى هـذا الـدين، حتى تمسك بها، وأخلص لها أيما إخلاص، وهو ما تشهد به سيرته ومواقفه فيما بعد.

وأقام مصعب يدعو إلى الله، حتى أنه لم يترك بيتاً للأوس والخزرج إلا وقد دخله صوت لا إله إلا الله.

إمامه مصعب لصلاه الجمعه

هناك من يذهب إلى أنّ صلاه الجمعه أول ما عقدت فى يثرب، بعد أن وصلها الصحابى مصعب بن عمير مبلّغاًلله ولرسوله (ص) وحين كتب (ص) إليه، وهو أول من أوفده من مكه مع المسلمين من الأنصار ليعلمهم، ثم قدم بعده عبدالله بن أم مكتوم:

«أما بعـد، فانظر اليوم الذى تجهر فيه اليهود بالزبور لسـبتهم، فاجمعوا نساءكم وأبناءكم، فإذا مال النهار عن شـطره عند الزوال من يوم الجمعه، فتقربوا إلى الله بركعتين».

وعلى هذا يكون مصعب أول من صلى بهم الجمعه فى المدينه، وكان عددهم اثنى عشر رجلاً.

وفى خبر عن أبى مسعود الأنصارى، بأن أول من جمع بهم، هو أبو أمامه أسعد بن زراره الذى نزل عليه مصعب بن عمير.

يقول عبـدالرحمن بن كعب بن مالـك الـذى كـان يقود أبـاه كعبـاً إلى المسـجد : كنت أقود أبى، كعب بن مالـك، حين ذهب بصره، فكنت إذا خرجت به إلى الجمعه، فسمع الأذان بها صلى على أبى أمامه، أسعد بن زراره، ومكث حيناً على ذلك لا يسمع الأذان للجمعه إلا صلى عليه واستغفر له، فقلت فى نفسى: والله إنّ هذا بى لعجز، ألا أسأله ما له إذا سمع الأذان للجمعه صلى على أبى أمامه أسعد بن زراره؟

فخرجت به فی یوم جمعه کما کنت أخرج، فلما سمع الأذان للجمعه صلی واستغفر له، فقلت له: یا أبت، مالک إذا سمعت الأذان للجمعه صلیت علی أبی أمامه؟

فقال: أی بنی، کان أول من جمع بنا بالمدینه فی هزم النبیت من حره بنی بیاضه، یقال له: نقیع الخضمات؛ قلت: وکم أنتم یومئذ؟ قال: أربعون رجلًا. [هزم النبیت: جبل علی برید من المدینه، أو أنه فی قول آخر: المکان المطمئن من الأرض.. والنبیت أبو حی من الیمن اسمه عمرو بن مالک، وحره بنی بیاضه قریه علی میل من المدینه، وبنو بیاضه بطن من الأنصار والنقیع بطن من الأرض، یستنقع فیه الماء مُده فإذا نضب نبت الکلأ]. (۱)

ویبدو أنّ الجمعه نسبت إلی أسعد لأنه أمیر القوم، ومصعب کان فی ضیافته، وأنه أطعم المُصلین غذاء وعشاء، فنسب الأمر إلیه.

وهناک من یقول: إنّ اجتماع المسلمین فی یوم من أیام الأسبوع کان باجتهادهم قبل أن تفرض علیهم صلاه الجمعه، فقد جاء فی حدیث مرسل عن ابن سیرین قال: جمع أهل المدینه قبل أن یقدم النبی (ص) المدینه، وقبل أن تنزل الجمعه، قالت الأنصار: للیهود یوم یجمعون فیه کل أسبوع وللنصاری مثل ذلک، فهلمّ فلنجعل یوماً نجمع فیه فنذکر الله تعالی ونصلی ونشکره، فجعلوه یوم العروبه، واجتمعوا إلی أسعد بن زراره، فصلّی بهم یومئذ رکعتین وذکرهم، فسموا الجمعه حین اجتمعوا إلیه، فذبح لهم شاه فتغدوا وتعشوا منها، وذلک لقلتهم.

الموسم التالی

فی موسم الحج التالی عاد هذا الصحابی المؤمن، والداعیه الواعی، والشاب القرآنی، وکان معه سبعون رجلًا من القبیلتین الأوس والخزرج، وهم مستخفون لا یشعر بهم أحد، ومعهم امرأتان: نسیبه بنت کعب «أم عماره» المرأه التی عرفت بثباتها یوم أحد، حینما فرّ الرجال، ولم یبق معه إلا قلیل؛ وأسماء بنت عمرو بن عدی.

۱- أنظر: السیره النبویه لابن هشام ۲ : ۴۳۵ ؛ والطبرانی؛ وأبو داود؛ وابن حِبان؛ وابن ماجه، والبیهقی وابن حجر.

وما أن وقعت عينا رسول الله (ص) عليه حتى راح يقبله ويضمّه إلى صدره الحبيب:

كيف تركت يثرب يا مصعب؟

تركتها إسلاماً والحمد لله، يا رسولالله!

وأخذت الدهشه بعض الحضور!!!

وراح يبين لهم دوره، وما بذله من الجهود الكبيره ليسلم عدد على يديه، كأسيد بن خضير سيد بنى عبد الأشهل بالمدينه، الذى جاء شاهراً حربته، ويتوهج غضباً وحنقاً على هذا الذى جاء يفتن قومه عن دينهم، فلما أقنعه أن يجلس ويستمع، فأصغى لمصعب واقتنع وأسلم، وجاء سعد بن معاذ فأصغى لمصعب واقتنع، وأسلم ثم تلاه سعد بن عباده، وأسلم كثيراً من أهل المدينه، فقد نجح أول سفراء الرسول (ص) نجاحاً منقطع النظير.

حقاً هذا هو مصعب فقد قام بمهمته خير قيام وقبل حلول موسم الحج عاد إلى مكه يحمل إلى رسول الله (ص) بشائر النصر والفوز ويقص عليه خبر قبائل يثرب، وما فيها من مواهب الخير، وما لها من قوه ومنعه لنصره هذا الدين، فسر النبى (ص) وبايع الأنصار فى هذا الموسم فى السنه الثالثه عشره من النبوه، وكانوا ثلاثه وسبعين رجلاً وامرأتين، وبايعوه على أن يمنعوه مما يمنعون منه أنفسهم وأموالهم وأولادهم، وعلى النفقه فى العسر واليسر، وعلى السمع والطاعه فى النشاط والكسل، وعلى نصره رسول الله (ص) النصره التامه، وعلى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، فقال قائل منهم:

فما لنا يا رسولالله؟

قال: «لكم الجنه».

قالوا: رضينا، ثم انتهت البيعه.

وأذن الرسول (ص) لأصحابه الذين بقوا فى مكه بالهجره إلى يثرب، وسماها بعد ذلك المدينه النبويه.

وفى تعداد منازل المهاجرين على الأنصار بعد هجره المسلمين من مكه إلى يثرب، ذكر ابن هشام فى سيرته: ونزل مصعب بن عمير بن هاشم أخو بنى عبد الدار، على سعد بن

معاذ بن النعمان، أخى بنى عبد الأشهل فى دار بنى الأشهل.

وكان مصعب أول المهاجرين إلى يثرب، كما سيكون أول مبعوث لنبى الله (ص) إليها، ليبشر أهلها بالإسلام، وقد تعرض لمخاطر كادت أن تطيح به أثناء مهمته الرساليه التبليغيه التعليميه، لولا فطنته وذكاؤه وحكمته.

قال عنه البراء بن عازب: «أول المهاجرين مصعب بن عمير».

المؤاخاه

راح رسول الله (ص) حين وصوله يثرب التى غيّر اسمها إلى المدينه المنوره يؤاخى بين المهاجرين والأنصار.

قال ابن إسحاق: وآخى رسول الله (ص) بين أصحابه من المهاجرين والأنصار فقال فيما بلغنا، ونعوذ بالله أن نقول عليه ما لم يقل: تآخوا فى الله أخوين أخوين، ثم أخذ بيد على بن أبى طالب فقال: هذا أخى، فكان رسول الله (ص) سيد المرسلين، وإمام المتقين، ورسول رب العالمين، الذى ليس له خطير ولا نظير من العباد، وعلى بن أبى طالب، أخوين. (۱)

وبعد هذه المؤخاه التى ابتدأها رسول الله (ص) بنفسه وعلى (ع) راح يؤاخى بين المهاجرين والأنصار حتى وصل إلى الصحابى:

«مصعب بن عمير بن هاشم وأبو أيوب خالد بن زيد أخو بنى النجار: أخوين».

معركه بدر

وبعد هجره الرسول (ص) وصحبه إلى المدينه، وكان هذا بعد بيعه العقبه الثانيه، وقعت أولى معارك الإسلام الكبرى معركه بدر، وقد حمل مصعب بن عمير فيها رايه المسلمين، وللرايه فى أى معركه كما هو معروف دور عظيم وخطير فما دامت مرفوعه تدل على صلابه وثبات وقوه من ينضوون تحتها، ولهذا تكون هدفاً أساسياً لكلا المتحاربين.

۱- أنظر السيره النبويه لابن هشام ۲ : ۵۰۵ ۵۰۶.

لقد دفع رسول الله (ص) اللواء إلى مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار وكان أبيض؛ فيما كانت أمام رسول الله (ص) رايتان سوداوان: إحداهما مع على بن أبى طالب يقال لها: العقاب، والأخرى مع بعض الأنصار. (۱)

ودافع مصعب عنها وقاتل قتال الأبطال حتى انتصر المسلمون فى هذه المعركه انتصاراً ساحقاً.

موقفه من أخيه

وبعد انتهاء المعركه سمع مصعب بن عمير بأنّ أخاه عزيز بن عمير، وكان هذا يحمل رايه المشركين وقع أسيراً بيد أنصارى.

تقول الروايه:

لما جاءوا بالمشركين الذين وقعوا أسرى بيد المسلمين فى معركه بدر الكبرى، فرقهم رسول الله (ص) بين أصحابه وقال:

«استوصوا بالأسارى خيراً».

يقول أحد أولئك الأسارى وهو أبو عزيز بن عمير بن هاشم أخو مصعب بن عمير لأبيه وأمه:

مرّ بى أخى مصعب بن عمير ورجل من الأنصار يأسرنى، فقال: شدّ يديك به، فإنّ أمه ذات متاع، لعلها تفديه منك؛ قال: وكنت فى رهط من الأنصار حين أقبلوا بى من بدر، فكانوا إذا قدموا غداءهم وعشاءهم خصّونى بالخبز، وأكلوا التمر، لوصيه رسول الله (ص) إياهم بنا، ما تقع فى يد رجل منهم كسره خبز إلا نفحنى بها، فأستحى فأردها على أحدهم فيردها على ما يمسها.

وكان أبو عزيز صاحب لواء المشركين ببدر بعد النضر بن الحارث، فلما قال أخوه

۱- أنظر السيره النبويه ۲ : ۶۱۲.

مصعب بن عمير لأبى اليسر، وهو الذى أسره، ما قال، قال له أبو العزيز: يا أخى، هذه وصاتك بى، فقال مصعب: إنه أخى دونك، فسألت أمه عن أغلى ما فدى به قرشى، فقيل لها: أربعه آلاف درهم، فبعثت بأربعه آلاف درهم ففدته بها، وقد أسلم أبو عزيز هذا الذى كان إسمه زراره. (۱)

غزوه أحد

وبعد معركه بدرالكبرى وقد أبلى فيها مصعب بلاءً حسناً.. تلتها معركه أحد، وقد حمل رايتها مصعب بأمر من رسول الله (ص) كما حمل رايه بدر من قبل... ويحتدم القتال بين الفريقين المتحاربين المسلمين بقياده رسول الله (ص) ومشركى مكه، وراح المسلمون يجولون فى ميدان المعركه، وكلما ازدادت المعركه شده ازداد مصعب ثباتاً وصموداً وبيده اللواء رغم استهدافه من الأعداء؛ وفى ساعه اشتداد التلاحم هذا وكاد النصر أن يكون حليف المؤمنين إذ بالرماه الذين أمرهم رسول الله (ص) بعدم مغادره مواقعهم فى أعلى الجبل مهما كانت نتيجه المعركه.

قال ابن اسحاق «... وتعبى رسول الله (ص) للقتال، وهو فى سبعمائه رجل، أمر على الرماه عبد الله بن جبير، أخا بنى عمرو بن عوف، وهو معلم يومئذ بثياب بيض، والرماه خمسون رجلاً، فقال: انضح الخيل عنا بالنبل، لا يأتونا من خلفنا، إن كانت لنا أو علينا، فاثبت مكانك، لا نؤتين من قبلك، وظاهر رسول الله (ص) بين درعين، ودفع اللواء إلى مصعب بن عمير، أخى بنى عبد الدار».

وإذا بأكثرهم يخالف أمر الرسول (ص) ويترك مواقعه فيما استشهد من ثبت منهم وهم قلّه، وكان من بين الشهداء عبدالله بن جبير أمير الرماه، بعد أن انسحب أكثر الرماه ظناً منهم أنّ المعركه حسمت لصالح المسلمين، وشاهدوا المشركين يجرّون أذيال الهزيمه، وأنّ عليهم المبادره للحصول على الغنائم، وإلا أفلسوا منها، ولم يدركوا أنّ عملهم هذا حوّل

۱- أنظر: السيره النبويه ۲: ۶۴۵ ؛ وتاريخ الطبرى، معركه بدر ؛ والروض.

النصـر إلى هزيمه، وكـاد أن يروح فيهـا رسول الله (ص) وفعلًا فوجئ المسـلمون بفرسان قريش تغشاهـم من أعلى الجبل، وحلت الفوضى بين صفوف المسلمين وراح الذعر يشتتهم، وكان تركيز المشركين على رسول الله (ص) لينالوا منه.

وختمت فتوته بالشهاده

لقـد أدرك مصـعب بن عمير ذلـك كله، فحمـل اللواء عالياً، وكبر ومضـى يصول ويجول، وكان همه أن يشـغل المشـركين عن رسول الله (ص) فأقبل ابن قميئه وهو فارس فى جيش المشركين، فضرب مصعباً على يده اليمنى فقطعها، ومصعب يردد:

{وَما مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ}.

وأخذ اللواء بيده اليسرى وحنا عليه، فضرب يده اليسرى فقطعها، فحنا على اللواء وضمّه بعضديه إلى صدره وهو يقول:

{وَما مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ}.

ثم حمل عليه الثالثه بالرمح فأنفذه وأندق الرمح، ووقع مصـعب، وسـقط اللواء واستشـهد مصعب الخير كما يلقبه المسلمون، وهو يتمتم:

{وَما مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ}.

وقد نزل هذا المقطع فيما بعد ضمن آيه كريمه:

{وَما مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَ فَإِنْ ماتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلى أَعْقابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِى اللَّهُ الشَّاكِرِينَ}.(۱)

وهو ما ذكره أيضاً ابن سعد عن إبراهيم بن محمد بن شرحبيل العبدرى، عن أبيه.

ولما قتله كان يظن كما فى خبر أنه قتل رسول الله (ص) حتى أنه لما رجع إلى قريش قال لهم: قتلت محمداً. (۲)

۱- آل عمران : ۱۴۴.

۲- تاريخ الطبرى ۲ : ۶۶.

قال ابن إسحاق: فلما قتل مصعب بن عمير أعطى رسول الله (ص) اللواء على بن أبى طالب (ع) وقاتل على بن أبى طالب ورجال من المسلمين.

وفيما ذكرته الصحابيه الجليله أم عماره، وهى تروى معركه أحد: «... فلما انهزم المسلمون انحزت إلى رسولاللهّٰ (ص) فقمت أباشر القتال وأذب عنه بالسيف، وأرمى عن القوس حتى خلصت الجراح إلى..

ولما سألتها أم سعد بنت سعد بن الربيع الناقله لهذا الخبر، وقد رأت على عاتقها جرحاً أجوف له غور عمّن أصابها بهذا..

قالت: ابن قمئه، قمأه الله! لما ولى الناس عن رسولالله (ص) أقبل يقول: دلونى على محمد، فلا نجوت إن نجى، فاعترضت له أنا ومصعب بن عمير، وأناس ممن ثبت مع رسولالله (ص) فضربنى هذه الضربه، ولكن فلقد ضربته على ذلك ضربات، ولكن عدو الله كانت عليه درعان».(۱)

وبعد انتهاء المعركه جاء الرسول وأصحابه يتفقدون أرض المعركه ويودعون شهداءهم، ووجدوا جثمان مصعب، وقد مثل به المشركون تمثيلاً أفاض دموع رسولالله (ص) وأوجع فؤاده، وقال وهو يقف عنده:

{مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجالٌ صَدَقُوا ما عاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ...}

ثم ألقى بأسى نظرةً على برده كفن فيها مصعب وقال:

«لقد رأيت بمكه وما بها أرق حلّه ولا أحسن لمه منك، ثم ها أنت ذا شعث الرأس فى برده..».

وقد وسعت نظرات رسولالله (ص) الحانيه أرض المعركه بكل من عليها من رفاق مصعب الشهداء وقال مؤبّناً:

«إن رسولالله يشهد أنكم الشهداء عندالله يوم القيامه».

ثم أقبل على أصحابه الأحياء حوله وقال:

۱- أنظر: السيره النبويه لابن هشام ۳ : ۸۷ .

«أيها الناس! زوروهم، وأتوهم وسلموا عليهم، فوالذى نفسى بيده لا يسلم عليهم مُسَلِّم إلى يوم القيامه، إلا ردّوا (ع)».

يقول خباب بن الأرت:

هاجرنا مع رسول‌الله (ص) فى سبيل الله، نبتغى وجه الله، فوجب أجرنا على الله.. فمنا من مضى، ولم يأكل من أجره فى دنياه شيئاً، منهم مصعب بن عمير، قتل يوم أحد، فلم يوجد له شىء يكفن فيه إلا نمره، فكنا إذا وضعناها على رأسه تعرت رجلاه، وإذا وضعناها على رجليه برز رأسه، فقال لنا رسول‌الله (ص):

«اجعلوها مما يلى رأسه، واجعلوا على رجليه من نبات الأذخر» وهو نبات معروف طيب الريح.

وقال عنه أبوهريره: «رجل لم أرَ مثله كأنه من رجال الجنه».

ولما تم دفن الشهداء، انصرف رسول‌الله (ص) راجعاً إلى المدينه، فلقيته حمنه بنت جحش؛ فلما لقيت الناس نعى إليها أخوها عبدالله بن جحش، فاسترجعت واستغفرت له، ثم نعى لها خالها حمزه بن عبدالمطلب فاسترجعت واستغفرت له، ثم نعى لها زوجها مصعب بن عمير، فصاحت وولولت!

فقال رسول‌الله (ص): «إنّ زوج المرأه منها لبمكان»!

لما رأى من تثبتها عند أخيها وخالها، وصياحها على زوجها. (۱)

لقد صارت قصه مصعب بن عمير فى تاريخنا الإسلامى درساً بليغاً من دروس المؤمنين الصادقين، التى تعلّمنا حياه الرجال الصادقين وولاءهم لمبادئهم واستعلاءهم على الدنيا بما فيها من متاع مبهر أخّاذ، إنه لنموذج رائع من أولئك الذين تركوا كل ما توفر عندهم، ولهم من غال ونفيس وراحه فى سبيل الله، والإيمان بدينه، فصدقوا ما عاهدوا الله عليه، فكان لهم من الله الرضا والفوز بجنات عدن تجرى من تحتها الأنهار مع النبيين والصديقين

۱- أنظر السيره النبويه ۳ : ۱۰۵.

والشـهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً... لقد أبى هذا المؤمن الشاب إلاّ أن يعيش للإسلام وحده، وأن يموت لا كما يموت الآخرون، بل وأن ينال وسام الشـهاده، ويختم بها حياته ونشاطه الدؤوب، فمضـى كبيراً، عزيزاً، مسـروراً، قد أعذر إلى الله بإيمانه وجهاده وأعماله، فكانت فرحته عند الله تعالى كبيره، وكان ابتهاجه عظيماً حينما قال فيه وفى إخوانه الذين استشهدوا معه:

{وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِى سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتاً بَلْ أَحْياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ}.

(۲۳) أبوسعيد الخدرى

اشاره

محمد سليمان

مازال حديثنا عن مدرسه الصحبه المباركه لرسولالله (ص) من خلال الترجمه لرموزها، الذين خلد ذكرهم بعد أن صدقوا ما عاهدوا الله عليه، فما أن ننتهى من رمز حتى ندخل مع رمز آخر، ونموذج رائع لها؛ مع صحابى وابن صحابى، إنه هذه المره الصحابى الجليل الخدرى الخزرجى الأنصارى، المولود فى السنه العاشره قبل الهجره النبويه الشريفه، والمعروف بكنيته أبوسعيد الخدرى، ولشهرته بها طغت على اسمه، وهو سعد بن مالك بن سنان بن ثعلبه بن عبيد بن الأبجر، وهو خدره بن عوف بن الحارث بن الخزرج الأنصارى.

وعن ابن هشام اسمه سنان، وخدره وخداره بطنان من الأنصار، وهما ابنا عوف بن الحارث بن الخزرج، وزعم بعض الناس أنّ خدره هى أم الأبجر.

أما أمه، فهى أنيسه بنت أبى حارثه من بنى عدى بن النجار.

وأخوه لأمه قتاده بن النعمان. (۱)

۱- مختصر تاريخ دمشق۹ : ۲۷۲؛ أسد الغابه؛ السيره لابن هشام۳ : ۱۳۲؛ تهذيب الأسماء ۲: ۵۱۸ ؛ الاستيعاب فى تمييز الأصحاب.

لقـد كان هـذا الصـحابى وجهاً بارزاً مشـهوراً من الأنصار ومن أفاضـلهم، وكان من المحدِثين الكبار، وكان ذا علم ومعرفه وفقه، وله من الروايـات الكثيره مسـتقلاً فى روايتهـا أو مشاركـاً مع غيره، و روايـاته وأقواله تميزت بأنهـا جـاءت فى أمهات الأمور التى شكلت أساساً عظيماً، وصرحاً كبيراً فى البناء العقائدى والتشريعى فى الإسلام، وتاريخه ومبادئه وقيمه.

ممن شهد بيعه الرضوان

{لَقَدْ رَضِىَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبايِعُونَکَ تَحْتَ الشَّجَرَهِ فَعَلِمَ ما فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّکِينَهَ عَلَيْهِمْ وَأَثابَهُمْ فَتْحاً قَرِيباً}.(۱)

فى السنه الثامنه للهجره النبويه وقعت البيعه المعروفه ببيعه الرضوان انطلاقاً من الآيه المباركه، وما تحمله من رضاء الله تعالى عمن بايع رسوله (ص) فى الحـديبيه تحت الشـجره، وهى شـجره السـمره، ولهـذا تسـمى بيعه الحـديبيه وبيعه الشـجره، وقلوبهم مملوءه بصـدق النيه، واليقين، والصبر، والوفاء بما عقـدوا البيعه عليه، فكان هـذا الصـحابى الجليل أبوسـعيد الخـدرى واحـداً من أولئك الصادقين، حين شـهد بيعه الرضوان، حين جاء رسولالله (ص) إلى الشـجره، فاسـتند إليها، وبايع الناس على أن يقاتلوا المشـركين ولا يفروا؛ وكان قد أرسل رسولالله (ص) عثمان بن عفان إلى أبى سـفيان وأشراف قريش يخبرهم أنه لم يأت لحرب، وإنما جاء زائراً البيت معظماً لحرمته، فاحتبسـته قريش عندها، فبلغ رسول الله (ص) والمسلمين أنّ عثمان قد قتل، فأطلق رسولالله (ص) قوله: «لا نبرح حتى نناجز القوم».

وهذا سـبب البيعه ونصـها، كما قال ابن اسحاق فى السيره: فحدثنى عبدالله بن أبى بكر أنّ رسولالله (ص) قال حين بلغه أنّ عثمان قـد قتـل: «لاـ نبرح حتى ننـاجز القوم»، فـدعا رسولاـلله (ص) النـاس إلى البيعه، فكـانت بيعه الرضوان تحت الشـجره، فكان الناس يقولون، بـايعهم رسولاـلله (ص) على الموت، وكـان جابر بن عبـدالله يقول: إنّ رسولالله (ص) لم يبايعنا على الموت، ولكنا بايعنا على أن لا نفرّ.

۱- الفتح: ۱۸ ۲۱.

لقـد كان أبوسـعيد ممن بايعوا رسولالله (ص) على أن لا تأخذهم فى الله لومه لائم، كما يحدثنا سـهل بن سـعد عن أبيه عن جده قال: بايعت النبى (ص) أنا، وأبوذر، وعباده بن الصامت، ومحمـد بن مسـلمه، وأبوسـعيد الخدرى، وسادس على أن لا تأخذنا فى الله لومه لائم، فاستقال السادس فأقاله. (۱)

يوم أحد

رغبته فى أن يكون مقاتلاً فى معركه أحد حال دونها رفض رسولالله (ص) لأنه استصـغره، يقول أبوسعيد: عرضت يوم أُحد على النبى (ص) وأنا ابن ثلاث عشـره، فجعل أبى يأخذ بيدى ويقول: يا رسولالله! إنّه عبل ضـخم العظام، و جعل نبى الله (ص) يصـعِّد فى النظر ويصوِّبه، ثم قال (ص): رُدَّهُ، فردَّنى. (۲)

وإن حرمه صـغر سـنّه عن وسام المشاركه فى هذه المعركه، فقد نال أبوه وسام الشـهاده الكبير، وأنه بعيد عن النار، ففى خبر كما فى السـيره النبويه لابن هشام أنّ رسول الله (ص) يوم أحد وقع فى حفره من الحفر التى عمل أبوعامر ليقع فيها المسـلمون وهم لا يعلمون، فأخـذ على بن أبى طـالب (ع) بيـد رسولالـله (ع) ورفعه طلحه بن عبيـدالله، حـتى اسـتوى قائمـاً، ومص مالـك بن سـنان أبوسعيد الخدرى الدم عن وجه رسولالله (ص) ثم ازدرده أى ابتلعه، فقال رسولالله (ص): «من مس دمى دمه لم تصبه النار»، وقد استشهد مالك بن سنان فى هذه الواقعه.

ابن الشهيد!

وإن لم يمنحه سـنه فرصه قتـال المشـركين فى معركه أحـد إلا أنه وتكريماً لمالك بن سـنان ولابنه أبى سـعيد أيضاً كان يـدعوه رسولالله (ص) وبعض الصحابه: «ابن الشهيد»، كما ورد

۱- كتاب السيره النبويه ۴: ۲۸۳؛ مختصر تاريخ دمشق ۹: ۲۷۵؛ الإصابه فى تمييز الصحابه ۲: ۳۵.

۲- سير أعلام النبلاء ۳: ۱۶۹.

فی روایه طویله یتحدث فیها أبوسعید عن صحبته لعلی (ع) إلی الیمن، ورفض علی (ع) استعمال إبل الصدقه من قبل أبی سعید ومن معه، ممن کان فی رفقه الإمام علی (ع) قائلًا لهم:

«إنما لکم منها سهم کما للمسلمین».

إنه الحق والعدل والمساواه التی تمیزت بها شخصیه علی (ع) ولم یدرکها، ویقدرها هؤلاء الأصحاب؛ مما جعل أبا سعید یشکو ما یسمّونه غلظه علی (ع) وتضییقه علیهم إلی رسول‌الله (ص) وهو ما تضمنه قوله: یا رسول‌الله (ص) ما لقینا من علی (ع) من الغلظه، وسوء الصحبه، والتضییق؛ وهنا یقول سعید: فانتبذ أی اعتزل ناحیه رسول‌الله (ص) وجعلت أنا أعدد ما لقینا منه حتی إذا کنت فی وسط کلامی ضرب رسول‌الله (ص) علی فخذی، وکنت منه قریباً، وقال:

«سعد بن مالک ابن الشهید، مه بعض قولک لأخیک علی، فوالله، لقد علمت أنه أخشن فی سبیل‌الله».

قال: فقلت فی نفسی: ثکلتک أمک، سعد بن مالک، ألا أرانی کنت فیما یکره منذ الیوم وما أدری؟ لا جرم، والله لا أذکره بسوء أبداً سرّاً وعلانیهً. (۱)

وإن استصغر أبوسعید الخدری یوم أحد فرد، إلا أنه شارک بعد ذلک مع رسول‌الله (ص) فی اثنتی عشره غزوه، بدءاً بمعرکه الخندق التی کانت أول مشاهده وبیعه الرضوان. (۲)

وعن الخدری کما جاء فی أمالی الطوسی: أخبرنا الشیخ أبوجعفر الطوسی، عن أبی عبد الله مُحَمَّد بن مُحَمَّد [النعمان] عن أبی الحسن مُحَمَّد بن المظفر البزاز، عن أحمد بن عبید العطاردی، عن أبی بشر بن بکیر، عن زیاد بن المنذر، عن أبی عبد الله مولی بنی هاشم، عن أبی سعید الخدری، قال:... لما کان یوم أحد شجَّ النبیُّ (ص) فی وجهه وکُسِرت رباعیته، فقام (ص) رافعاً یدیه یقول:

۱- مختصر تاریخ دمشق ۱۷: ۳۵۱.

۲- السیره النبویه ۳ : ۸۵ .

إنَّ الله اشتدَّ غضبه على اليهود أن قالوا: عزيرٌ ابن الله، واشتدَّ غضبه على النصارى أنْ قالوا: المسيح ابنالله، واشتدَّ غضبه على من أراق دمی، وآذانی فی عترتی. (۱)

ومما رواه أبو سعيد عن مجريات معركه أحد، كما فی مختصر تاريخ دمشق تفاصيل إصابه رسولالله (ص) كما فی الخبر عنه:

كان أبو سعيد الخدری يحدث أنّ رسولالله (ص) أصيب وجهه يوم أحد، فدخلت الحلقتان من المغفر فی وجنته، فلما نزعتا جعل الدم يسرب كما يسرب الشن، فجعل أبی مالك بن سنان يملج الدم بفيه، ثم ازدرده، فقال رسولالله (ص): من أحب أن ينظر إلی من خالط دمه دمی فلينظر إلی مالك بن سنان، فقيل لمالك: تشرب الدم؟ فقال: نعم أشرب دم رسولالله (ص) فقال رسولالله (ص): من مس دمه دمی لم تصبه النار، قال أبوسعيد: فكنا ممن رد من الشيخين لم نجز مع المقاتله، فلما كان من النهار، وبلغنا مصاب رسولالله (ص) وننظر إلی سلامته، فنرجع بذلك إلی أهلينا، فلقينا الناس منصرفين ببطن قناه، فلم يكن همه إلا النبی (ص) ننظر إليه، فلما نظر إلی قال: سعد بن مالك؟ قلت: نعم بأبی وأمی، فدنوت منه فقبلت ركبته، وهو علی فرسه، ثم قال: آجرك الله فی أبيك، ثم نظرت إلی وجهه فإذا فی وجنتيه مثل موضع الدرهم فی كل وجنه، وإذا شجه فی جبهته عند أصول الشعر، وإذا شفته السفلی تدمی، وإذا رباعيته اليمنی شظيه، وإذا علی جرحه شیء أسود؛ فسألت: ما هذا علی وجهه؟ فقالوا: حصير محرق، وسألت: من دمی وجنتيه؟ فقيل: ابن قميئه. فقلت: من شجّه فی جبهته؟ فقيل: ابن شهاب. فقلت: من أصاب شفته؟ فقيل: عتبه؛ فجعت أعدو بين يديه حتی نزل ببابه، فما نزل إلا حملاً، وأری ركبتيه مجحوشتين، يتكئ علی السعدين: سعد بن عباده، وسعد بن معاذ، حتی دخل بيته.

فلما غربت الشمس وأذن بلال بالصلاه، خرج رسولالله (ص) علی مثل تلك الحال، يتوكأ علی السعدين، ثم انصرف إلی بيته، والناس فی المسجد يوقدون النيران، يتكمدون بها

۱- بحار الأنوار ۲۰: ۷۱؛ وذكر هذه الروايه أيضاً صاحب كنز العمال، غزوه أحد:۳۰۰۵۰.

من الجراح،ثم أذن بلال بالعشاء حين غاب الشفق، فلم يخرج رسولالله (ص) وجلس بلال عند بابه حتى ذهب ثلث الليل، ثم ناداه: الصلاه يا رسولالله، فخرج رسولالله (ص) وقد كان نائماً، قال: فرمقته فإذا هو أخف في مشيته منه حين دخل بيته، فصليت معه العشاء، ثم رجع إلى بيته، وقد صف له الرجال ما بين بيته إلى مصلاه يمشي وحده حتى دخل، ورجعت إلى أهلي فخبرتهم بسلامه رسول الله (ص) فحمدوا الله على ذلك وناموا، وكانت وجوه الخزرج والأوس في المسجد على باب النبي (ص) يحرسونه فرقاً من قريش أن تكر. (۱)

عفته وطاعته!!

عرف هذا الصحابي بعفه النفس، وشده الامتثال لأمر رسولالله (ص) والأخذ بنصحه، وإرشاده، ولثقته المطلقه بوعد الله ورسوله (ص) لما سمع رسولالله (ص) يعد المتعففين عن المسأله بأنّ الله تعالى سيغنيهم من فضله وإحسانه، وقد جاء يسأل الرسول (ص) وقد بلغت به الحاجه مبلغاً عظيماً، حتى أنه ربط على بطنه الحجر من شده الجوع، إلا أنه آثر الصبر والاحتمال، رجاء ما عندالله تعالى، وقد تحقق له ما وعد به رسولالله (ص) فأغناه الله من فضله.

ومما قاله أبوسعيد نفسه بعد استشهاد أبيه، وبعد ما ألم بأهله العوز: استشهد أبي يوم أحد، وتركنا بغير مال، فأصابتنا حاجه شديده، قال: فقالت لي أمي: أي بني! ائت النبي (ص) فاسأله لنا شيئاً، فجئته فسلمت وجلست، وهو في أصحابه جالس فقال واستقبلني: إنه من استغنى أغناه الله، ومن استعف أعفه الله، ومن استكف أكفه الله، قال: قلت: ما يريد غيري، فانصرفت ولم أكلمه في شيء، فقالت لي أمي: ما فعلت؟ فأخبرتها الخبر، قال: فصبّرنا الله عزّوجل ورزقنا شيئاً؛ فبلغنا، حتى ألحت علينا حاجه شديده أشدّ منها، فقالت لي أمي: ائت النبي (ص) فاسأله لنا شيئاً، قال: فجئته وهو في أصحابه جالس، فسلمت وجلست، فاستقبلني وعاد بالقول الأول وزاد فيه: ومن سأل وله قيمه أوقيه فهو ملحف، قال: قلت:

۱- أنظر: مختصر تاريخ دمشق ۹: ۲۷۵-۲۷۶.

الیاقوته ناقتی خیر من أوقیه، فرجعت ولم أسأله، فرزق الله تعالی حتی ما أعلم أهل بیت من الأنصار أکثر أموالاً منا. (۱)

وعن هلال بن حصن قال: نزلت علی أبی سعید الخدری فضمنی وإیاه المجلس؛ قال: فحدث أنه أصبح ذات یوم وقد عصب علی بطنه حجراً من الجوع، فقالت له إمرأته أو أمه: ائت النبی (ص) فاسأله، فقد أتاه فلان فسأله فأعطاه، وأتاه فلان فسأله فأعطاه، فقال: قلت: حتی ألتمس شیئاً، قال: فالتمست فأتیته، قال حجاج: فلم أجد شیئاً فأتیته، وهو یخطب فأدرکت من قوله وهو یقول:

«مَن ِاسْتَعَفَّ یُعِفَّهُ اللهُ وَمَن ِاسْتَغْنَی یُغْنِهِ اللهُ وَمَنْ سَأَلَنَا إمَّا أنْ نَبْذُلَ لَهُ وَ إمَّا أنْ نُوَاسِیَهُ... وَمَنْ یَسْتَعِفُّ عَنَّا أوْ یَسْتَغْنِی أحَبُّ إلَیْنَا مِمَّنْ یَسْأَلُنَا».

قال: فرجعت فما سألته شیئاً، فما زال الله تعالی یرزقنا، حتی ما أعلم فی الأنصار أهل بیت أکثر أموالاً منا. (۲)

جرأته فی الحق!!

عمَّار والفئه الباغیه: الخدری یعرف جیداً أنّ معاویه وجنده وأتباعه هم أهل الباطل، کیف لا وهو الذی روی ما ذکره رسولالله (ص) بحق عمار بن یاسر، أنه هو الذی تقتله الفئه الباغیه، وهو ما حدث بالفعل فی معرکه صفین، حینما کان عمار یحمل رایه الحق التی یمثلها أمیرالمؤمنین علی (ع) ویخوض غمار معرکه ضاریه ضد جند الشام، ومعاویه یقدمهم، فعن أبی سعید الخدری قال:... کنا نعمر المسجد، وکنا نحمل لبنه لبنه وعمار لبنتین لبنتین، فرآه النبی (ص) فجعل ینفض التراب عنه [عن رأس عمار خ ل] ویقول: [یا عمار] ألا تحمل کما یحمل أصحابک؟

۱- مختصر تاریخ دمشق ۹ : ۲۷۶-۲۷۷.

۲- صحیح البخاری، کتاب الزکاه، باب الاستعفاف عن المسأله ۲ : ۱۵۱-۱۵۲ ؛ صحیح مسلم بشرح النووی، کتاب الزکاه، باب التحذیر من الاغترار بزینه الدنیا ۷ : ۱۴۴-۱۴۵.

قال: إنی أرید الأجر من الله تعالی.

قال: فجعل ینفض التراب عنه ویقول: ویحک تقتلک الفئه الباغیه، تدعوهم إلی الجنه، ویدعونک إلیالنار.

قال عمار: أعوذ بالرحمن أظنه قال : من الفتن. (۱)

ولأن أبا سعید الخدری کان قوالاً بالحق، لا یخاف فی الله لومه لائم، کان لا یضنّ بکلمه نصح حتی للظالمین، أو کلمه حق یقولها فی ساحتهم وفی بلاطهم، ومن مواقفه وأقواله التی هی مصداق لهذا:

موقفه من معاویه زعیم الفئه الباغیه التی قتلت الصحابی الکبیر عمار بن یاسر رضوانالله تعالی علیه، فقد ذهب إلی معاویه بن أبی سفیان لیوصل إلیه صوت الحق، ولا یخاف لومه لائم، قال شعبه عن أبی سلمه: سمعت أبا نضره عن أبی سعید رفعه: لا یمنعن أحدکم مخافه الناس أن یتکلم بالحق إذا رآه؛ وفی روایه: إذا شهده أو علمه؛ وقال أبو سعید: فحملنی ذلک علی أن رکبت إلی معاویه فملأت أذنیه ثم رجعت؛ وفی روایه أخری: دخل أبوسعید الخدری علی معاویه فسلم ثم جلس فقال: الحمد لله الذی أجلسنی منک هذا المجلس، سمعت رسولالله (ص) یقول: «لا یمنعن أحدکم، إذا رأی الحق أن یقول به»، وإنه بلغنی عنک یا معاویه کذا وکذا، وفعلت کذا وکذا. فعدد علیه أشیاء من فعاله ومما بلغه عنه.

فقال له معاویه: أفرغت؟ قال: نعم؛ قال: فانصرف؛ فخرج أبوسعید من عنده وهو یقول: الحمدلله، الحمد لله.

موقفه من مروان بن الحکم: کان له موقف من الرجل الذی أنکر علی مروان بن الحکم تقدیم خطبه العید علی الصلاه، یشهد بذلک، فلم یکتف أبوسعید الخدری بتعضیده، بل أنکر بیده حیث جذب مروان محاولاً منعه من صعود المنبر، لأداء الخطبه قبل الصلاه، غیر أنّ مروان تغلب علیه، وصعد المنبر وخطب قبل الصلاه، کما جاء ذلک فی صحیح مسلم.

۱- کشف الغمه ۱ : ۳۵۸.

ولم یکتف أبوسعید الخدری بتعضید الذی أنکر علی مروان، بل أنکر أبو سعید الخدری علی مروان بن الحکم تقدیم الخطبه علی الصلاه، ولم یکتف أبو سعید بالإنکار باللسان، بل أنکر بیده؛ حیث جذب مروان محاولاً منعه من صعود المنبر لأداء الخطبه قبل الصلاه، وکانا قد جاءا معاً، غیر أنّ مروان تغلب علیه وصعد المنبر، وخطب قبل الصلاه، کما جاء ذلک فی الصحیحین. (۱)

ما حدث له فی واقعه الحره

فی مدینه رسول‌الله (ص) وبعد أن أباحها مسلم بن عقبه ثلاثاً یقتلون الناس، ویأخذون الأموال، فأفزع ذلک من کان بها من الصحابه، فخرج أبوسعید الخدری حتی دخل فی کهف فی الجبل، فبصر به رجل من أهل الشام، فجاء حتی اقتحم علیه الغار.

قال أبو مخنف: فحدثنی الحسن بن عطیه العوفی عن أبی سعید الخدری، قال: دخل إلیّ الشامی یمشی بسیفه، قال: فانتضیت سیفی فمشیت إلیه لأرعبه لعلّه ینصرف عنی، فأبی إلا الإقدام علی، فلما رأیت أن قد جد شمت سیفی ثم قلت له:

{لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَیَّ یَدَکَ لِتَقْتُلَنِی ما أَنَا بِباسِطٍ یَدِیَ إِلَیْکَ لِأَقْتُلَکَ إِنِّی أَخافُ اللَّهَ رَبَّ الْعالَمِینَ}.(۲)

فقال لی: من أنت لله أبوک! فقلت: أنا أبوسعید الخدری، قال: صاحب رسول الله (ص)؟ قلت: نعم، فانصرف عنی. (۳)

ومن طریق یزید بن عبد الله بن الشخیر، قال: خرج أبوسعید یوم الحره، فدخل غاراً فدخل علیه شامی فقال: أخرج، فقال: لا أخرج وإن تدخل علی أقتلک، فدخل علیه فوضع أبوسعید السیف وقال: بؤ بإثمک قال: أنت أبوسعید الخدری؟ قال: نعم، قال: فأستغفر لی.

۱- مختصر تاریخ دمشق ۹ : ۲۷۴ ؛ الإصابه فی تمییز الصحابه ۲ : ۳۵ ؛ وغیرهما.

۲- المائده : ۲۸.

۳- تاریخ الطبری ۳ : ۳۵۷، أحداث سنه ۶۳.

وتعرض للضرب والاعتداء على يد جيش يزيد بن معاويه بعد واقعه الحره.. يقول عن ذلك: لزمت بيتى ليالى الحره فلم أخرج، فدخل علىّ نفر من أهل الشام فقالوا: أيها الشيخ! أخرج ما عندك، فقلت: ما عندى مال، قال: فنتفوا لحيتى وضربونى ضربات، ثم عمدوا إلى بيتى، فجعلوا ينقلون ما خفّ لهم من المتاع، حتى أنهم عمدوا إلى الوساده والفراش، فينفضون صوفهما، ويأخذون الظرف، حتى لقد رأيت بعضهم أخذ زوج حمام كان فى البيت، ثم خرجوا. (۱)

مما قاله علماء الرجال فى توثيقه وعلمه واستقامته

الخدرى والذى كان أحد الثابتين فكرياً على معرفه الحق، وأحد الراسخين فى دعم الحقيقه، له فى كتب الرجال مكانه مرموقه، واحتل منزله كبيره فى أقوالهم، ونحن هنا نتطرق باختصار إلى ما تيسر لنا من كل ذلك.

و قبل أن نذكر أقوال العلماء فيه نذكر ما قاله الإمام الصادق (ع) عنه حيث ذكره بتبجيل وتكريم، ونصّ على استقامته فى طريق الحق: «كان من أصحاب رسولالله (ص) وكان مستقيماً».

من أصحاب رسولالله (ص) رجال الشيخ؛ وعدّه فى أصحاب أميرالمؤمنين (ع) قائلاً: سعد بن مالك الخزرجى، يكنى أبا سعيد الخدرى الأنصارى العربى المدنى؛ وعده البرقى فى أصحاب رسول الله (ص) قائلاً: «وأبوسعيد الخدرى الأنصارى: عربى مدنى، واسمه سعد بن مالك، خزرجى».

وفى الأصفياء من أصحاب أميرالمؤمنين (ع) قائلاً: «أبوسعيد الخدرى عربى أنصارى».

وقال الكشى فى ترجمه أبى أيوب الأنصارى: «قال الفضل بن شاذان: هو من السابقين الذين رجعوا إلى أميرالمؤمنين (ع)».

وتقدم فى ترجمه جندب بن جندب الغفارى فى روايه العيون عن الرضا (ع) عدّه من

۱- مختصر تاريخ دمشق ۹ : ۲۷۸.

الذين مضوا على منهاج نبيهم (ع) ولم يغيروا ولم يبدلوا؛ وقال الكشى فى ترجمته: أبوسعيد الخدرى: حمدويه، قال: حدثنا أيوب عن عبدالله بن المغيره، قال: حدثنى ذريح عن أبى عبدالله (ع) قال: ذكر أبوسعيد الخدرى فقال: كان من أصحاب رسولالله (ص) وكان مستقيماً، فقال: فنزع ثلاثه أيام، فغسله أهله ثم حملوه إلى مصلاه، فمات فيه.

محمد بن مسعود، قال: حدثنى الحسين بن أشكيب، قال: أخبرنا محسن بن أحمد، عن أبان بن عثمان، عن ليث المرادى، عن أبى عبدالله (ع) قال: «إنّ أبا سعيد الخدرى كان قد رزق هذا الأمر، وإنه اشتدّ نزعه فأمر أهله أن يحملوه إلى مصلاه الذى كان يصلى فيه، ففعلوا فما لبث أن هلك».

حمدويه قال: حدثنا يعقوب بن يزيد، عن ابن أبى عمير، عن الحسين بن عثمان، عن ذريح، قال: سمعت أبا عبدالله (ع) يقول: كان على بن الحسين يقول: «إنى لأكره للرجل أن يعافى فى الدنيا ولا يصيبه شيء من المصائب»؛ ثم ذكر أنّ أبا سعيد الخدرى وكان مستقيماً نزع ثلاثه أيام فغسله أهله ثم (حملوه) حمل إلى مصلاه فمات فيه.

وطريق الصدوق إليه فى وصيهالنبى (ص) إلى على (ع) التى أولها: «يا على إذا دخلت العروس بيتك»: محمد بن إبراهيم بن إسحاق الطالقانى عن أبى سعد الحسن بن على العدوى، عن يوسف بن يحيى الإصبهانى أبى يعقوب، عن أبى على إسماعيل ابن حاتم، قال: حدثنا أبوجعفر أحمد بن زكريا بن سعيد المكى، قال: حدثنا عمر بن حفص عن إسحاق بن نجيح عن حصيف، عن مجاهد، عن أبى سعيد الخدرى. (۱)

كما شهد بمناقبه الفريق الآخر وأنه كان من فقهاء الصحابه وفضلائهم البارعين، فعن حنظله بن أبى سفيان الجمحى، عن أشياخه أنهم قالوا: لم يكن من أحداث الصحابه أفقه من أبى سعيد الخدرى، وفى روايه: أعلم. (۲)

۱- النهايه۲: ۴۰۷؛ رجال الحديث، للسيد الخوئى؛ رجال النجاشى۱: ۶؛ أمالي الطوسى۵۹ ،۸۶؛ تاريخ بغداد۱۹، ۱:۱۸۰؛ سير أعلام النبلاء۲۸، ۳:۱۷۰؛ تاريخ دمشق۲۰: ۳۹۳ ؛ الوافى بالوفيات۱۵: ۱۴۸.

۲- أسد الغابه فى معرفه الصحابه ؛ الإصابه فى تمييز الصحابه.

وقال ابن كثير: كان من نجباء الصحابه، وفضلائهم، وعلمائهم.

وقال الخطيب البغدادى: وكان أبوسعيد من أفاضل الأنصار، وحفظ عن رسولالله (ص) حديثاً كثيراً.

قال الإمام الذهبى: الإمام المجاهد مفتى المدينه حدث عن النبى (ص) فأكثر وأطاب.

وهو من المكثرين من الحديث وكان من أفقه أحداث الصحابه.

وقالوا عنه: إنه روى عن النبى (ص) الكثير.

وروى عن الخلفاء الأربعه، وغيرهم.

روى عنه من الصحابه: ابن عباس وابن عمر، وجابر، وغيرهم.

روى عنه من كبار التابعين: سعيد بن المسيب، وأبو عثمان النهدى، وطارق بن شهاب، ومن بعدهم عطاء، ومجاهد، وغيرهم.

وقالوا: إنه روى أبوسعيد الخدرى ألفاً ومائه وسبعين حديثاً بالمكرر، اتفق البخارى ومسلم على ثلاثه وأربعين حديثاً، وانفرد البخارى بسته عشر حديثاً، وانفرد مسلم باثنين وخمسين حديثاً. (۱)

ملاحظه مهمه

كان أبو سعيد الخدرى رضوانالله تعالى عليه مكثراً للروايه كما ذكرنا، ولهذا الأمر أسبابه التى منها:

إنّ أبا سعيد أعلن إسلامه وهو ما زال صغيراً، فكان له عند قدوم النبى (ص) المدينه إحدى عشره سنه، وهو سن صفاء الذهن والقدره على الحفظ والتحصيل؛ وكان لملازمته الطويله للنبى (ص) والتى دامت عشر سنوات وهى المده التى قضاها (ص) بالمدينه المنوره لم يفارقه أبوسعيد فيها؛ وكان لتأخر وفاته، دور كبير فى منحه وقتاً كافياً لتبليغ ما تحتفظ به

۱- أنظر فى هذا كله من ترجم له، كسير أعلام النبلاء ۳: ۱۶۸؛ الإصابه فى تمييز الصحابه ۲: ۳۵؛ ومختصر تاريخ دمشق ۹: ۲۷۸-۲۷۹؛ تهذيب التهذيب ۳: ۴۱۶؛ و المعارف: ۱۵۳؛ الاستيعاب ۴: ۴۸۹؛ أسد الغابه ۲: ۲۸۹.

ذاكرته من أحاديث، وما يتوفر عليه من علوم، فقد عاش بعد وفاه النبى (ص) فتره زمنيه طويله، نحو خمس وستين سنه، وفى هذه الفتره احتاج الكثيرون إلى علمه، فتكاثر عليه طلاب العلم ينهلون من علمه ويحفظون عنه ما سمع من رسولالله (ص) وحدّث عنه خلق كثير من الصحابه والتابعين، ويشهد بهذا أسناد رواياته، وقام هؤلاء بتبليغ ما سمعوا منه.

هذا، ولتعدد مصادر التحمل بالنسبه لأبى سعيد أهميته فى كثره رواياته، فكما تحمل الحديث عن الرسول (ص) فلقد تحمل الحديث عن كبار الصحابه؛ وأيضاً لتفرغه للتحديث والفقه، مما جعله أن يكون أحد الفقهاء المحدثين.

هذا، وأنّ هناك قواسم مشتركه جامعه بين الصحابه المكثرين لروايه الأحاديث عن رسولالله (ص) يتمثل بطول ملازمتهم لرسولالله (ص) وإن اختلفوا فى مدتها، وبتأخر وفاتهم، فلقد مكثوا بعد وفاه الرسول (ص) فتره زمنيه كان فيها متسع لأن يحدثوا الناس ويستفيد هؤلاء من علمهم؛ كما أنّ مصادر تحملهم تعددت، فنراهم قد تحملوا عن رسولالله (ص) وتحملوا عن كبار الصحابه، وإن كانوا فى الأعم الأغلب يحذفون الواسطه بينهم وبين الرسول (ص) لثقتهم بمن حدثوهم، ولم ينفردوا بما حدثوا به عن رسولالله (ص) بل شاركهم غيرهم من الصحابه فى روايه كثير مما رووا، فروايات أبى سعيد الخدرى لحديث الغدير، ولحديث الثقلين ولغيرهما لم ينفرد بروايتها وحده، بل هناك العديد من الصحابه رووا هذه الأحاديث.

ولهذا نجدهم يروى أحدهم عن عدد، وعدد يروى عنهم، كما هو الحال مع أبى سعيد الخدرى؛ فقد روى عن النبى (ص) مباشره وعن أبيه وأخيه لأمه قتاده بن النعمان، وأبى بكر، وعمر، وعثمان، وعلى (ع)، وزيدبن ثابت، وأبى قتاده الأنصارى، وعبدالله بن سلام، وأسيد بن حضير، وابن عباس، وأبى موسى الأشعرى، ومعاويه، وجابربن عبدالله.

وعنه ابنه عبد الرحمن وزوجته زينب بنت كعب بن عجره، وابن عباس، وابن عمر، وجابر، وزيد بن ثابت، وأبو أمامه بن سهل، ومحمود بن لبيد، وابن المسيب، وطارق بن شهاب، وأبوالطفيل، وعطاء بن أبى رباح، وعطاء بن يسار، وعطاء بن يزيد، وعياض بن

عبدالله بن أبی سرح، والأغر بن مسلم، وبشر بن سعید، وأبوالوداک، وحفص بن عاصم، وحمیدبن عبدالرحمن بن عوف، وأخوه أبو سلمه بن عبدالرحمن، ورجاء بن ربیعه، والضحاک المشرقی، وعامر بن سعد بن أبی وقاص، وعبدالله بن خباب، وسعید بن الحارث الأنصاری، وعبدالله بن محیریز، وعبدالله بن أبی عتبه مولی أنس، وعبدالرحمن بن أبی نعم، وعبید بن حنین، وعبدالله بن عبدالرحمن بن أبی صعصعه، وعبدالرحمن بن بشر بن مسعود، وعبید بن عمیر، وعقبه بن عبدالغافر، وعکرمه، وعمرو بن سلیم، وقزعه بن یحیی، ومعبد بن سیرین، ونافع مولی بن عمر، ویحیی بن عماره بن أبی حسن، ومجاهد، وأبوجعفر الباقر (ع)، وأبوسعید المقبری، وأبوعبدالرحمن الحبلی، وأبوعثمان النهدی، وأبوسفیان مولی بن أبی أحمد، وأبوصالح السمان، وأبوالمتوکل الناجی، وأبونضره العبدی، وأبوعلقمه الهاشمی، وأبوهارون العبدی، وغیرهم.

قال حنظله بن أبی سفیان عن أشیاخه: وروی عن خلائق غیرهم.

حبه وولاؤه لأئمه أهل البیت النبوی:

لقد عاصر هذا الصحابی الجلیل من المعصومین الرسول الأعظم (ص) فنال بذلک وسام الصحبه المبارکه، فکان ممن حمل معه الأمانه؛ وممن بذل کل غال ونفیس من أجل إعلاء کلمه الحق، وکان ممن حفظ عن رسولالله (ص) سنناً کثیره وروی عنه علماً جماً، وکان من نجباء الأنصار وعلمائهم وفضلائهم.

وقد عاصر أربعه من أئمه أهل البیت (علیهم السلام) بدءاً بالإمام علی، ثم الإمام الحسن، والإمام الحسین، والإمام علی بن الحسین: وکان واعیاً صادقاً فی ولائه لهم، ویعدّ من أجلاء الصحابه الذین کانت لهم مواقف مشرفه مع أئمه أهل البیت (علیهم السلام)، انطلاقاً من صدق حبه ومودته لهم، وتحمل الأذی فی سبیله هذا.

فهو إضافه إلی أنه لم یترک مرافقه أمیرالمؤمنین علی (ع) وکان إلی جانبه فی معرکه النهروان، ظل ولاؤه مستمراً مدافعاً عنه حتی بعد انتقال الإمام علی (ع) إلی جوار ربه.

وهذه واحده من رواياته رضواناللهٔ تعالی علیه فی حب أئمه أهلالبیت (علیهم السلام).

تقول الروایه: حـدَّثنا مُحَمَّد بن الفضل بن زیـدویه الجلاب الهمدانی، قال: حدَّثنا إبراهیم بن عمرو الهمدانی، قال: حدَّثنا الحسـن بن إسـماعیل، عن سـعید بن الحکم، عن أبیه، عن الأوزاعی، عن یحیی بن أبی کثیر، عن أبی سلمه، عن أبی سعید الخدری، قال رسولالله (ص) :

«من رزقه الله حبَّ الأـئمه من أهـل بیتی فقـد أصـاب خیر الـدنیا والآـخره، فلا یشـکَّنَّ أحـد أنَّه فی الجنه، فإنَّ فی حب أهل بیتی عشـرین خصـله، عشر منها فی الدنیا وعشر منها فی الآخره؛ أما التی فی الدنیا فی الزهد، والحرص علی العمل، والورع فی الدین، والرغبه فی العبـاده، والتوبه قبـل الموت، والنشـاط فی قیـام اللیـل، والیـأس مما فی أیـدی الناس، والحفظ لأمر الله ونهیه عزَّوجلَّ، والتاسعه بغض الدنیا، والعاشره السخاء.

وأمـا الـتی فی الآـخره، فلاـ ینشـر له دیوان، ولاـ ینصب له میزان، ویعطی کتـابه بیمینه، ویکتب له براءه من النـار، ویـبیض وجهه، ویکسـی من حلل الجنه، ویشـفع فی مائه من أهل بیته، وینظر الله عزَّوجلَّ إلیه بالرحمه، ویتوج من تیجان الجنه، والعاشـره یـدخل الجنه بغیر حساب، فطوبی لمحبی أهل بیتی».(۱)

ونحن هنا نکتفی بما رواه أبوسعید فی أمهات المسائل التی ابتنی علیها المذهب الإمامی:

وکان فی عداد رواه حدیث الثقلین وحدیث الغدیر، وحدیث المنزله... وهی التی شـکلت أسـس المذهب الإمامی، الذی یسـتقی علومه وأحکامه وأصول اعتقاده من مدرسه أهل البیت (علیهم السـلام) وهم العدل الثانی فی حدیث الثقلین المشهور.. وکان من الذین شهدوا لعلی (ع) بالولایه یوم الغدیر:

روی أنّ علیاً (ع) قـام فحمـد الله وأثنی علیه، ثمّ قـال: أنشِـدُ الله من شـهد یوم غـدیر خُمٍّ إلاَّـ قـام.. فقام سـبعه عشـر رجلًا، وکان أبوسعید الخدری واحداً منهم.

وقد ذکره الشیخ المفید فی کتاب الجمل فی عداد من بایع أمیرالمؤمنین علیاً (ع) قائلًا فی

۱- أنظر: الخصال ۲ : ۵۱۵ ، ح ۱.

مقدمه ذلک: ونحن نذکر الآن من جمله مبایعی أمیرالمؤمنین (ع) الراضین بإمامته الباذلین أنفسهم فی طاعته... إلی أن قال: فممن بایع أمیرالمؤمنین (ع) بغیر ارتیاب، ودان بإمامته علی الإجماع والاتفاق، واعتقد فرض طاعته، والتحریم لخلافه ومعصیته، الحاضرون معه فی حرب البصره وهو ألف وخمسمائه رجل من وجوه المهاجرین الأولین السابقین إلی الإسلام، والأنصار البدریین العقبیین وأهل بیعه الرضوان، من جملتهم سبعمائه من المهاجرین وثمانمائه من الأنصار سوی أبنائهم وحلفائهم وموالیهم وغیرهم من بطون العرب والتابعین بإحسان.

وعد من الأنصار «أبوسعید الخدری» واحتل فی قائمه الشیخ المفید الرقم الرابع. (۱)

فأین هذا الکلام مما أورده السید الأمین دون رد فی کتابه فی رحاب أئمه أهل البیت الجزء الثانی الصفحه ۴ تحت عنوان (المتخلفون عن بیعته) وبعد أن ذکر ما قالته بعض المصادر عن القاعدین عن بیعته (ع) قال:

ونحن نذکر أسماء المتخلفین مأخوذه من مجموع ما ذکره هؤلاء وهم:... أبوسعید الخدری...

ولم أجد فی مروج الذهب ولا فی أسد الغابه هذا، إلا أنّ الطبری ذکر ذلک بسنده عن عبد الله بن الحسن قال: لما قتل عثمان بایعت الأنصار علیاً (ع) إلا نفیراً یسیراً منهم حسان بن ثابت، وکعب بن مالک، ومسلمه بن مخلد، وأبو سعید الخدری و... کانوا عثمانیه. (۲)

وهو خبر واحد مضادّ بغیره ومخالف لسیره الرجل ومواقفه وروایاته وشهادته للإمام (ع) بحدیث الغدیر.

إلّا أنی لم أجد فی کتاب وقعه صفین لنصر بن مزاحم المنقری المتوفی سنه ۲۱۲ هجریه اسمه فیمن شارک إلی جانب الإمام علی (ع) فی معرکه صفین، ولم أجد لغیابه عن هذه المعرکه تفسیراً؛ وقد شارک فی معرکه النهروان، وله فیها حدیث رواه عن رسولالله (ص)

۱- أنظر الصفحه: ۱۰۵ من کتاب الجمل.

۲- تاریخ الطبری ۲ : ۶۹۸، دار الکتب العلمیه، بیروت.

حیث قال: سمعت رسولالله (ص) یقول:

«إنَّ قَوماً یخرُجُون، یَمرُقون مِن الدِّین ِ مروق السَّهم مِن الرمیه..».

وفی الخرائج والجرائح،(۱) روی عن أبی سعید الخدری... أنَّ النبیَّ (ص) قسَّم یوماً قسماً، فقال رجل من تمیم: اعدلْ، فقال: ویحک ومن یعدل إذا لم اعدل؟!

قیل: نضرب عنقه؟

قال: لا، إنَّ له أصحاباً یحقِّر أحدکم صلاته وصیامه مع صلاتهم وصیامهم، یمرقون من الدین مروق السهم من الرمیه، رئیسهم رجل أدعج إحدی ثدییه مثل ثدی المرأه.

قال أبوسعید: إنی کنت مع علی (ع) حین قتلهم، فالتمس فی القتلی [بالنهروان] فأتی به علی النعت الذی نعته رسولالله (ص).

وقد امتاز العدید من روایاته الکثیره بنقل مآثر و مناقب رسولالله (ص) و آل البیت (علیهم السلام) ونحن نکتفی بشیء منها.

وبدایه نذکر روایته هذه التی توضح رأیه ووصفه الذی لم یحد عنه، وهو یجیب حین سئل عن علی (ع): عن مالک المازنی، قال: أتی تسعه نفر إلی أبی سعید الخدری، فقالوا:

یا أباسعید! هذا الرجل الذی یکثر الناس فیه ما تقول فیه؟

فقال: عمَّن تسألونی؟

قالوا: نسأل عن علیّ بن أبی طالب (ع).

قال: أما إنکم تسألونی عن رجل أمرّ من الدفلی، وأحلی من العسل، وأخف من الریشه، وأثقل من الجبال، أما والله ما حلا إلا علی ألسنه المؤمنین، وما خفَّ إلا علی قلوب المتقین، ولا أحبه أحد قط لله ولرسوله إلّا حشره الله من الآمنین، وإنه لمن حزب الله، وحزب الله هم الغالبون.

والله ما أمرَّ إلا علی لسان کافر، ولا أثقل إلا علی قلب منافق، وما زوی عنه أحد قط

۱- الخرائج والجرائح ۱ : ۶۸، ح۱۲۷.

ولا لوی ولا تحزب ولا عبس ولا بسر ولا عسر ولا مضر ولا التفت ولا نظر ولا تبسم ولا تجرَّی ولا ضحک إلی صاحبه ولا قال أعجب لهذا الأمر، إلّا حشره الله منافقاً مع المنافقین.

{وَسَیَعْلَمُ الَّذِینَ ظَلَمُوا أَیَّ مُنْقَلَبٍ یَنْقَلِبُونَ}.(۱)

نأتی الآن إلی أحادیث أخری

حدیث الثقلین

وقد جاء هذا الحدیث بصیغ متعدده وبطرق عدیده عن مجموعه من الصحابه والتابعین، حتی قال ابن حجر فی صواعقه: ولهذا الحدیث طرق کثیره عن بضعه وعشرین صحابیاً، وأبو سعید الخدری کان واحداً من الصحابه الذین قال السمهودی علی ما روی عنه المناوی فی فیض القدیر: وفی الباب ما یزید علی عشرین من الصحابه.

عن أبی سعید قال: قال رسولالله (ص): «إنّی تَارِکٌ فِیکُمْ الثَّقَلیْنِ، أحَدُهُمَا أکْبَرُ مِنْ الآخَرِ: کِتَابُ اللهِ حَبْلٌ مَمْدُودٌ مِنَ السَّمَاءِ إلی الأَرْضِ وَعِتْرَتِی أهْلُ بَیْتِی، وَإنَّهُمَا لنْ یَفْتَرِقَا حَتَّی یَرِدَا عَلیَّ الحَوْضَ».

عن أبی سعید الخدری عن النبی (ص) قال: «إنّی اُوشکُ أنْ اُدْعَی فَاُجِیبَ وَإنّی تَارِکٌ فِیکُمْ الثَّقَلیْنِ کِتَابَ اللهِ عَزَّوَجَل وَعِتْرَتِی، کِتَابُاللهِ حَبْلٌ مَمْدُودٌ مِنَ السَّمَاءِ إلی الأَرْضِ وَعِتْرَتِی أهْل بَیْتِی، وَإنَّ اللطِیفَ الخَبِیرَ أخْبَرَنِی أنَّهُمَا لنْ یَفْتَرِقَا حَتَّی یَرِدَا عَلیَّ الحَوْضَ فَانْظُرُونِی بِمَ تَخْلُفُونِی فِیهِمَا».

عن أبی سعید الخدری قال: قال رسولالله (ص): «إنّی قَدْ تَرَکْتُ فِیکُمْ الثَّقَلیْنِ أَحَدُهُمَا أکْبَرُ مِنْ الآخَرِ؛ کِتَابُ اللهِ عَزَّوَجَل حَبْلٌ مَمْدُودٌ مِنَ السَّمَاءِ إلی الأَرْضِ، وَعِتْرَتِی أَهْلُ بَیْتِی، ألا إنَّهُمَا لنْ یَفْتَرِقَا حَتَّی یَرِدَا عَلیَّ الحَوْضَ».

۱- الشعراء: ۲۲۷.

عن أبی سعید الخدری قال: قال رسولالله (ص): «إنِّی قَدْ تَرَکْتُ فِیکُمْ مَا إنْ أخَذْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدِی، الثَّقَلیْن ِ أحَدُهُمَا أکْبَرُ مِنْ الآخَرِ ؛ کِتَابُ اللهِ حَبْلٌ مَمْدُودٌ مِنَ السَّمَاءِ إلی الأرْض ِ، وَعِتْرَتِی أهْلُ بَیْتِی، ألاَ وَإنَّهُمَا لنْ یَفْتَرِقَا حَتَّی یَرِدَا عَلیَّ الحَوْضَ».(۱)

آیه التطهیر و حدیث الکساء

عن أبی سعید الخدری عن النبی قال حین نزلت: {وَ أْمُرْ أَهْلَکَ بِالصَّلاهِ} قال: «کان نبی الله یجیئ إلی باب علی (ع) الغداه ثمانیه أشهر» فیقول: «الصلاه یرحمکم الله {إِنَّما یُرِیدُ اللَّهُ لِیُذْهِبَ عَنْکُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَیْتِ وَیُطَهِّرَکُمْ تَطْهِیراً}.

عن أبی سعید الخدری قال: إنّ رسولالله جاء إلی باب علی (ع) أربعین صباحاً بعد ما دخل علی فاطمه الزهراء(علیها السلام) فقال: «السلام علیکم أهل البیت! ورحمه الله وبرکاته، الصلاه یرحمکم الله، {إِنَّما یُرِیدُ اللَّهُ لِیُذْهِبَ عَنْکُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَیْتِ وَیُطَهِّرَکُمْ تَطْهِیراً}.

عن أبی سعید الخدری عن النبی قال حین نزلت: {وَأْمُرْ أَهْلَکَ بِالصَّلاهِ وَاصْطَبِرْ عَلَیْها}،(۲) کان یجیئ نبی الله (ص) إلی باب علی (ع) صلاه الغداه ثمانیه أشهر یقول: الصلاه، رحمکم الله {إِنَّما یُرِیدُ اللَّهُ لِیُذْهِبَ عَنْکُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَیْتِ وَیُطَهِّرَکُمْ تَطْهِیراً}.

عن أبی سعید الخدری فی قوله تعالی: { إِنَّما یُرِیدُ اللَّهُ لِیُذْهِبَ عَنْکُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَیْتِ وَیُطَهِّرَکُمْ تَطْهِیراً}. قال: «نزلت فی خمسه: رسولالله وعلی وفاطمه والحسن والحسین».(۳)

۱- راجع: صحیح الترمذی ۲: ۳۰۸؛ وابن حجر فی صواعقه؛ والمتقی فی کنز العمال؛ والطبرانی فی الکبیر؛ وراجع: فضائل الخمسه فی الصحاح السته وغیرها من کتب أهل السنه ۲: ۵۲ -۶۰؛ سنن الترمذی، کتاب المناقب عن الرسول، باب مناقب أهل بیت النبی، رقم: ۳۷۱۸؛ و مسند أحمد بن حنبل، کتاب باقی مسند المکثرین، باب مسند أبی سعید الخدری، رقم: ۱۰۶۸۱، ۱۰۷۰۷، ۱۰۷۷۹، ۱۱۱۳۵.

۲- طه: ۱۳۲.

۳- أنظر: مختصر تاریخ دمشق ۹: ۳۴۲؛ طبقات المحدثین ۴: ۱۴۹ ، ح ۹۱۵؛ أخرجه الطبرانی فی المعجم الأوسط ۸: ۱۵۲، ح ۸۱۲۷؛ الدارقطنی فی المؤتلف والمختلف ۴: ۲۱۲۱؛ الخطیب فی المتفق والمفترق ۲: ۱۱۵۸، ح۷۲۳.

وفی أمالی الشیخ الطوسی: أخبرنا أبو عمر، قال: أخبرنا أبوالعباس، عن یعقوب بن یوسف بن زیاد، عن مُحَمَّد بن إسحاق بن عمار، عن هلال بن أیوب الصیرفی... عن عطیه قال: سألت أبا سعید الخدری عن قوله تعالی: {إِنَّما یُرِیدُ اللَّهُ لِیُذْهِبَ عَنْکُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَیْتِ وَیُطَهِّرَکُمْ تَطْهِیراً}.

قال: نزلت فی رسولالله (ص) وعلی وفاطمه والحسن والحسین (علیهم السلام).(۱)

حدیث المنزله

رواه هذا الحدیث من الصحابه أکثر من ثلاثین، وربّما یبلغون الأربعین بین رجل وامرأه.

یقول ابن عبد البر فی الإستیعاب عن هذا الحدیث: هو من أثبت الأخبار وأصحّها.

وأبو سعید واحد منهم:

قال رسولالله (ص) لعلی بن أبی طالب (ع) فی غزوه تبوک: «اخلفنی فی أهلی.

فقال علی (ع): یا رسولالله! إنی أکره أنْ یقول العرب: خذل ابن عمه وتخلف عنه.

فقال: أما ترضی أن تکون منی بمنزله هارون من موسی؟

قال: بلی.

قال (ص): فاخلفنی».

وفی روایه قوله (ص) لعلی (ع): «أنت منی بمنزله هارون من موسی إلاّ أنه لا نبی بعدی».

سفینه نوح

وفی کفایه الأثر: حدَّثنا علی بن الحسین [الحسن خ ل] بن مُحَمَّد بن مبده [منده خ ل] قال: حدَّثنا أبو مُحَمَّد هارون بن موسی قال: حدَّثنا أحمد بن مُحَمَّد بن [سعید] قال: حدَّثنا مُحَمَّد بن غیاث الکوفی، قال: حدَّثنا حماد بن أبی حازم المدنی قال: حدَّثنا عمران بن

۱- أمالی الطوسی ۱: ۲۵۴، ح۲۸.

مُحَمَّد بن سعيد بن المسيب، عن أبيه عن جده، عن أبى سعيد الخدرى، قال: صلى بنا رسول‌الله (ص) الصلاه الأولى، ثُمَّ أقبل بوجهه الكريم علينا فقال: «معاشر أصحابى! إنَّ مثَلَ أهل بيتى فيكم كمثل سفينه نوح وباب حطَّه فى بنى إسرائيل، فتمسَّكوا بأهل بيتى بعدى والأئمه الراشدين من ذريتى فإنكم لن تضلوا أبداً.

فقيل: يا رسول‌الله! كم الأئمه بعدك؟

فقال: اثنا عشر من أهل بيتى، أو قال: من عترتى».(۱)

معرفه المنافقين

حدثنا قتيبه، حدثنا جعفر بن سليمان، عن أبى هارون، عن أبى سعيد الخدرى، قال: «إنّا كنّا لنعرف المنافقين نحن معشر الأنصار لبغضهم عليَّ بن أبى طالب».(۲)

خاصف النعل

وفى بحار الأنوار عن أمالى الشيخ الطوسى: أبو عمر، عن ابن عقده، عن يعقوب بن يوسف، عن أحمد بن حماد، عن فطر بن خليفه وبريد بن معاويه العجلى، عن إسماعيل بن رجاء، عن أبيه، عن أبى سعيد الخدرى، قال: خرج إلينا رسول‌الله (ص) وقد انقطع شسع نعله فدفعها إلى على (ع) يصلحها، ثُمَّ جلس وجلسنا حوله كأنما على رؤوسنا الطير.

فقال: إنَّ منكم لمن يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت الناس على تنزيله.

فقال أبو بكر: أنا هو يا رسول‌الله؟

قال: لا.

فقال عمر: أنا يا رسول‌الله؟

فقال: لا، ولكنه خاصف النعل.

۱- كفايه الأثر: ۳۳-۳۴.

۲- أنظر: الترمذى، المناقب عن الرسول، ح ۳۶۵۰.

قال أبو سعید: فأتینا علیاً (ع) نبشره بذلک فکأنه لم یرفع به رأساً فکأنه قد سمعه

قبل. (۱)

یوم الغدیر

حدیث الغدیر، هذا الحدیث الذی بلغ حد التواتر عند جمیع المسلمین وحفظته أمهات المصادر، من الأحادیث التاریخیه الهامه و المصیریه التی أدلی بها رسول‌الله (ص) فی السنه الأخیره من حیاته المبارکه، وهی من الأحادیث التی تثبت إمامه الإمام أمیرالمؤمنین علی بن أبی طالب (ع) وتوجب ولایته علی جمیع المؤمنین بعد ولایه‌الله تعالی، وولایه رسوله المصطفی (ص) بکل صراحه ووضوح.

ثم إنّ حدیث الغدیر حدیث متواتر رواه المحدثون عن أصحاب النبی (ص) وعن التابعین بصیغ ٍ مختلفه، تؤکد جمیعها علی إمامه الإمام أمیرالمؤمنین (ع) مراده الأصلی واحد و إن اختلفت بعض عبارات الحدیث.

الخوارزمی عن أبی سعید الخدری قال: إنّ النبی (ص) لما دعا الناس إلی غدیر خم، أمر بما کان تحت الشجره من شوک، فقم، وذلک یوم الخمیس، ثم دعا الناس إلی علی (ع) فأخذ بضبعه فرفعها، حتی نظر الناس إلی بیاض إبطیه، ثم لم یتفرقا حتی نزلت هذه الآیه:

{الْیَوْمَ أَکْمَلْتُ لَکُمْ دِینَکُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَیْکُمْ نِعْمَتِی وَرَضِیتُ لَکُمُ الْإِسْلامَ دِیناً}.(۲)

فقال رسول الله (ص): «الله أکبر علی إکمال الدین، وإتمام النعمه ورضی الرب برسالتی والولایه لعلی؛ ثم قال:

«أللّهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله».

فقال حسان بن ثابت: یا رسول‌الله! أتأذن لی أن أقول أبیاتاً؟

فقال: «قل ببرکه الله تعالی»، فقال:

۱- بحارالأنوار ۳۲ : ۲۹۶، ح۲۵۶.

۲- المائده: ۴.

ینادیهم یوم الغدیر نبیهم

بخم وأسمع بالرسول منادیا

بأنی مولاکم نعم وولیکم

فقالوا ولم یبدوا هناک التعامیا

إلهک مولانا وأنت ولینا

ولاتجدن فی الخلق للأمر عاصیا

فقال له: قم یا علی فإننی

رضیتک من بعدی إماماً وهادیا

فمن کنت مولاه فهذا ولیه

فکونوا له أنصار صدق موالیا

هناک دعا اللهم وال ولیه

وکن للذی عادی علیاً معادیا

وفی مختصر تاریخ دمشق عن أبی سعید الخدری:

أما نصب رسولالله (ص) علیاً بغدیر خم، فنادی له بالولایه، هبط جبریل (ع)

بهذه الآیه: {الْیَوْمَ أَکْمَلْتُ لَکُمْ دِینَکُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَیْکُمْ نِعْمَتِی وَرَضِیتُ لَکُمُ الْإِسْلامَ دِیناً}.(۱)

وقال أیضاً: نزلت هذه الآیه: {یا أَیُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَیْکَ مِنْ رَبِّکَ}.(۲) علی رسولالله (ص) یوم غدیر خم فی علی بن أبی طالب. (۳)

الرایه

وعن أبی سعید قال: أخذ رسولالله (ص) الرایه فهزها، ثم قال: من یأخذها بحقها؟ فجاء الزبیر فقال: أنا، فقال: أمطَ أی «تنح»؛ ثم قام رجل فقال: أنا، فقال: أمط؛ ثم قام آخر فقال: أنا، فقال: أمط، فقال رسولالله (ص): والذی أکرم وجه محمد، لأعطینها رجلاً

لا يفر بها؛ هاك يا على، فقبضها، ثم انطلق حتى فتح الله عليه فدك وخيبر، وجاء بعجوتها وقديدها. (۴)

۱– المائده: ۴.

۲– المائده:۶۷.

۳– أنظر: مختصر تاريخ دمشق ۱۷: ۲۵۹؛ ينابيع الموده: ۱۱۵؛ ومصادر أخرى.

۴– مختصر تاريخ دمشق ۹: ۳۳۰.

ولایه علی (ع)

وفی أمالی الشیخ المفید: حدَّثنا الشیخ الجلیل المفید، قال: أخبرنی أبوالحسن علی بن بلال المهلّبی، قال: حدَّثنا عبدالله بن راشد الأصفهانی، قال: حدَّثنا إبراهیم بن مُحَمَّد الثقفی، قال: أخبرنا إسماعیل بن صبیح، قال: حدَّثنا سالم بن أبی سالم البصیر، عن أبی هارون العبدی، قال: کنت أری [رأی] الخوارج لا رأی لی غیره حتَّی جلست إلی أبی سعید الخدری رحمه الله فسمعته یقول:

أمر الناس بخمس، فعملوا بأربع وترکوا واحده.

فقال له رجل: یا أبا سعید! ما هذه الأربع التی عملوا بها؟

قال: الصلاه، والزکاه، والحج، وصوم شهر رمضان.

قال: فما الواحده التی ترکوها؟

قال: ولایه علی بن أبی طالب (ع).

قال الرجل: وإنَّها لمفترضه؟

قال أبو سعید: نعم، ورب الکعبه.

قال الرجل: فقد کفر الناس إذن!

قال أبو سعید: فما ذنبی؟(۱)

وهذه متفرقات ممّا رواه أبو سعید الخدری:

حمل الحدیث

وفی حثه علی حمل الأحادیث عبر التحدث بها، وتذاکرها، فإنّ إحیاء الحدیث بتذاکره والعمل به، وبذلک یتم حفظ أحادیث رسولالله (ص) والمعرفه بها والتوسع فی فهمها خصوصاً بین أهله وترویجها وتبلیغها وعدم نسیانها، لأنه وکما ورد فی الحدیث الشریف: «آفه العلم

۱- أمالی الشیخ المفید: ۹۰، مجلس۱۷، ح۳.

النسيان، وإضاعته أن تحدث به غير أهله».

وهو ما ورد عن الإمام على (ع) حدثنا وكيع، قال حدثنا كهمس بن الحسن عن عبدالله بن بريده أنه قال: قال على: «تزاوروا وتذاكروا الحديث فإنكم إن لم تفعلوا يدرس».

لهذا جاءت العباره التى أصبحت شعاراً للمذاكره، وهى قولهم: «إحياء الحديث مذاكرته»؛ ومنها انطلق هذا الصحابى فى حثه الناس على التحدث لما فى ذلك من فوائد كبيره؛ ومن فوائد التحدث والمذاكره فى الحديث أنه سبب كبير و داع عظيم للتنافس المحمود بين طلبه العلم.

فعن على بن الجعد أنه قال: حدثنا شعبه عن سعيد بن يزيد سمع أبا نضره يحدث عن أبى سعيد قال: تحدثوا فإنّ الحديث يهيج الحديث. (۱)

ثواب صلاه الجماعه

وفى بحار الأنوار: روى الشهيد الثانى۱ فى شرحه على الإرشاد من كتاب الإمام والمأموم للشيخ أبى محمد جعفر بن القمى بإسناده المتصل إلى أبى سعيد الخدرى، قال: قال رسولالله (ص): «أتانى جبرئيل مع سبعين ألف ملک بعد صلاه الظهر، فقال: يا مُحَمَّد! إنَّ ربک يقرئک السلام وأهدى إليک هديتين لم يهدهما إلى نبيٍّ قبلک، قلت: وما تلک الهديتان؟

قال: الوتر ثلاث ركعات، والصلاه الخمس فى جماعه.

قلت: يا جبرئيل! وما لأمتى فى الجماعه؟

قال: يا مُحَمَّد! إذا كانا اثنين كتب الله لكل واحد بكل ركعه مأه وخمسين صلاه، وإذا كانوا ثلاثه كتب لكل واحد بكل ركعه ست مأه صلاه، وإذا كانوا أربعه كتب الله لكل واحد بكل ركعه ألفاً ومأتى صلاه، وإذا كانوا خمسه كتب الله لكل واحد بكل ركعه ألفين وأربع مأه، وإذا كانوا سته كتب الله لكل واحد بكل ركعه أربعه آلاف وثمان مأه صلاه، وإذا

۱- أنظر أحمد بن حنبل فى مسنده؛ ومختصر تاريخ دمشق؛ وكنز العمال؛ وغيرها.

کانوا سبعه کتب الله لکل واحد بکل رکعه تسعه آلاف وست مأه صلاه، وإذا کانوا ثمانیه کتبالله لکل واحد منهم بکل رکعه تسعه عشر ألفاً ومأتی صلاه، وإذا کانوا تسعه کتب الله لکل واحد منهم بکل رکعه سته وثلاثین ألفاً وأربع مأه صلاه، وإذا کانوا عشره کتب الله لکل واحد بکل رکعه سبعین ألفاً وألفین وثمان مأه صلاه، فإنْ زادوا علی العشره فلو صارت السماوات کلها مداداً والأشجار أقلاماً، والثقلان مع الملائکه کُتّاباً لم یقدروا أن یکتبوا ثواب رکعه واحده.

یا مُحَمَّد! تکبیره یدرکها المؤمن مع الإمام خیر من ستین ألف حجه وعمره، وخیر من الدنیا وما فیها سبعین ألف مره، ورکعه یصلیها المؤمن مع الإمام خیر من مأه ألف دینار یتصدق بها علی المساکین، وسجده یسجدها المؤمن مع الإمام فی جماعه خیر من عتق مأه رقبه. (۱)

وعن طول یوم القیامه: {تَعْرُجُ الْمَلائِکَهُ وَالرُّوحُ إِلَیْهِ فِی یَوْمٍ کانَ مِقْدارُهُ خَمْسِینَ أَلْفَ سَنَهٍ}.(۲)

نسب إلی أبی سعید أنه قال: قیل: یا رسولالله! ما أطول هذا الیوم؟!

فقال: والذی نفس محمد بیده إنه لیخف علی المؤمن حتی یکون أخف علیه من صلاه مکتوبه یصلیها فی الدنیا.

وأبو سعید الخدری من رواه حدیث اهتزاز العرش لموت سعد بن معاذ کما فی سیره ابن هشام. (۳)

والحدیث: أنّ جبریل (ع) أتی رسولالله (ص) حین قبض سعد بن معاذ من جوف اللیل معتجراً بعمامه من إستبرق، فقال: یا محمد! من هذا المیت الذی فتحت له أبواب السماء، واهتز له العرش؟

فقام رسولالله (ص) سریعاً یجر ثوبه إلی سعد، فوجده قد مات.

۱- بحارالأنوار ۸۸ : ۱۴ ۱۵، ح۲۶.

۲- المعارج : ۴.

۳- سیره ابن هشام ۳ : ۲۶۲.

«إنّ أهـل الجنه ليتراءون أهل الغرف من فوقهم كما يتراءون الكوكب الـدرى الغابر من الأفق من المشـرق أو المغرب لتفاضل ما بينهم، قالوا: يا رسول‌الله تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم؟ قال: بلى، والذى نفسى بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين».

رواه الشيخان البخارى ومسلم.

وعن أبى سعيد الخدرى عن النبى (ص) قال:

«إنّ فى الجنه مأه درجه، ولو أنّ العالمين اجتمعوا فى إحداهن وسعتهم».

وقـال سـعيد بن منصور: حـدثنا خلف بن خليفه عن العلاـء بن المسـيب عن أبيه عن أبى سـعيد قلنـا له: هنيئـاً لک برؤيه رسول‌الله (ص) وصحبته قال: إنک لا تدرى ما أحدثنا بعده.

قال ابن أبى سلمه: قلت لأبى سعيد الخدرى: ما ترى فى ما أحدث الناس من الملبس والمشرب والمركب والمطعم؟ فقال:

يا ابن أخى كُل لله، واشرب لله، وكلّ شيء من ذلک دخله زهو، أو مباهاه، أو رياء، أو سمعه، فهو معصيه وسرف.

المرأه تسأل

هنـاک اهتمـام أكيـد من قبـل الإسـلام بالمرأه المسـلمه، واهتمام متميز من قبل الرسول (ص) واحترام واضـح لما تريـده مادام لا يخـالف شـريعه ولاـ منهجـاً دينيـاً وأخلاقيـاً واجتماعيـاً، وكـانت المرأه فى ذلک الوقت لها رأيها وهى ذات مكانه عظيمه راحت تسـخرها لخدمه المشـروع الإسـلامى، حتى برزت طائفه من النساء العالمات المبلغات، فقد روى البخارى ومسـلم عن أبى سـعيد الخدرى قال: جاءت امرأه إلى رسول‌الله (ص) فقالت: يا رسول‌الله! ذهب الرجال بحديثک، فاجعل لنا من نفسک يوماً نأتيک فيه، تعلمنـا مما علمک الله، قال: اجتمعن يوم كـذا وكـذا، فاجتمعن، فأتاهنّ النبى (ص) فعلمهن مما علمه الله، وقـد تبادرن النساء إلى مجـالس الرسول الخـاصه بهن، وقـد أثنى رسولاـلله (ص) عليهن ودعـا لهن فقـال: «رحـم الله نسـاء الأنصار لا يمنعهن حياؤهن أن يسألن عن أمور دينهن».

وفاته

وحتی قبیل وفاته لم یترک الروایه عن رسول‌الله (ص) وقد ضمن وصایاه العدیده قولاً لرسول‌الله (ص).

فعن ابنه عبدالرحمن أنّ أباه قال له: یا بنی! إنی قد کبرت سنی وحان منی، خذ بیدی، فاتکأ علی حتی جاء البقیع مکاناً لا یدفن فیه فقال: إذا أنا هلکت فادفنی هاهنا، ولا تضربن علی فسطاطاً ولا تمشین معی بنار، ولا تبک علی باکیه، ولا تؤذنن أحداً، ولیکن مشیک بی خبباً، فجعل الناس یأتونی فیقولون: متی تخرج به؟ فأکره أن أخبرهم وقد نهانی، فقلت: إذا فرغت من جهازه، فخرجت به من صدر یوم الجمعه، فوجده البقیع قد ملئ علی ناساً.

ولما حضرته الوفاه تقول ابنته: لما حضر أبوسعید بعث إلی نفر من أصحاب رسول‌الله (ص) فیهم: ابن عباس وابن عمر وأنس بن مالک وجابر بن عبدالله فقال: لا یغلبنکم ولد أبی سعید، إذا أنا مت فکفنونی فی ثیابی التی کنت أصلی فیها وأذکرالله فیها.

وعن أبی سلمه بن عبدالرحمن قال: دخلت علی أبی سعید الخدری عند موته، فدعا بثیاب جدد فلبسها، ثم قال: سمعت رسول‌الله (ص) یقول: إنّ المیت یبعث فی ثیابه التی یموت فیها، فإذا مت فلا تتبعونی بنار ولا تجعلوا علی قطیفه حمراء ولا تبک علی باکیه.

ومن وصایاه أیضاً عند احتضاره: إذا حملتم فأسرعوا، أی أسرعوا بی.

توفی هذا الصحابی الجلیل رضوان‌الله علیه فی خلافه عبد الملک بن مروان، وحین استولی الحجاج علی الکعبه، بعد قتله عبدالله بن الزبیر، وکان عمر أبی سعید الخدری ۷۴ سنه، بالمدینه یوم الجمعه، وقال أبوالحسن المدائنی: مات سنه ۶۳، وقال العسکری: مات سنه ۶۵.

ویقال: قبره یقع فی خارج البقیع فی الجهه الشرقیه الشمالیه منه علی قارعه الطریق المؤدی للحره الشرقیه، وقد اختار أبوسعید هذا المکان لیدفن فیه فی حیاته، فیما یقال: إنه دفن بالبقیع نفسه، إلی جوار قبر فاطمه بنت أسد رضوان الله تعالی علیها.

(۲۴) اُبیّ بن کعب

اشاره

محسن الأسدی

«لیُهْنِکَ العِلْمُ أبا المنذر» حدیث شریف

أبی بن کعب بن قیس بن عبید بن زید بن معاویه بن عمرو بن مالک بن النجار وهو تیم الله بن ثعلبه بن عمرو بن الخزرج، من بنی النجار، من الخزرج، فهو النجاری الخزرجی المدنی، وهو الصحابی الأنصاری، وهو البدری العقبی.

أمه صهیله بنت الأسود بن حرام بن عمرو بن مالک بن النجار، تجتمع هی وأبوه فی عمرو بن مالک بن النجار، وهی عمه أبی طلحه زید بن سهل بن الأسود بن حرام الأنصاری، زوج أم سلیم.

وکان لأبی بن کعب من الولد: الطفیل ومحمد، وأمهما أم الطفیل بنت الطفیل بن عمرو بن المنذر بن سبیع بن عبد نهم من دوس، وأم عمرو بنت أبی.

کنیته: أبو المنذر، وأبو الطفیل؛ ویدل علیها أنّ رسول الله (ص) کان حین یرید أن یقول له شیئاً، ینادیه: یا أبا المنذر؛ وکان أبی حین یخاطب عمر بن الخطاب یقول له: یا ابن الخطاب؛ فیقول له عمر: یا أبا الطفیل.

صفته: كان ربعه نحيفاً أو رجلًا دحداحاً، وقالوا: ليس بالقصير ولا بالطويل، أبيض الرأس واللحيه، لا يغير شيبه. (۱)

لقد كان من المتفوقين فى مدرسه الصحبه المباركه، إيماناً وعلماً وجهاداً؛ وكيف لا يكون كذلك، وقد حظى بمنزله عاليه ومرتبه فاضله؛ أن يذكر فى الملأ الأعلى ذلك كونه مرجعاً أميناً فى القرآن الكريم؛ حتى خص بامتيازات جليله منها أن تقرأ عليه سوره البينه، والآمر بهذا هو رب العالمين، والمأمور بالقراءه هو رسول الله (ص) .

نعم، لقد خص صاحب هذه الترجمه بأنه أول من يقرأ عليه رسول الله (ص) بأمر من قبله تعالى سوره البينه، وكان أول من ذكر اسمه فى الملإ الأعلى، فكان أقرأ هذه الأمه للقرآن، وكان أحد الأربعه الذين أمر النبى (ص) أن يؤخذ منهم القرآن، وكان من أبرز المفسرين للقرآن من الصحابه، وكان صاحب منهج أو مدرسه فى التفسير؛ وكان سيد الأنصار كما أحب رسول الله (ص) أن ينادوا أبياً به، فعن عمرو بن العاص كما فى مختصر دمشق قال: كنت جالساً عند رسول الله (ص) فى يوم عيد، فقال: «ادع لى سيد الأنصار» فدعوا أبى بن كعب.

إسلامه

أعلن إسلامه، وتوثقت أركان إيمانه، وصار رجلًا معروفاً فى مدرسه القرآن الكريم ومدرسه الصحبه النبويه الشريفه، وخلد ذكره على مر الأجيال كمجاهد وصاحب منهج قرآنى، وراويه للسنه النبويه الشريفه؛ توفر على كل هذه المناقب، بعد أن نشأ أبو المنذر رضوان الله تعالى عليه فى ديار يثرب غاضباً على حياه قومه، معترضاً على دينها، متأملاً ـ فى الكون من حوله، وعلى الرغم من وجود اليهود فى المدينه آنذاك، إلا أن ما وقع فى يده من وريقاتها لم يشف غليله، ولم يرو عطشه، ولم تهد حيرته، ولم تشبع نهمه.

وكان أبى يتأمل فى الكون من حوله ليلًا ونهاراً، وفى إحدى الليالى خرج يطوف بديار

۱- مختصر تاريخ دمشق ۴ : ۱۹۷ ۱۹۸؛ والاستيعاب؛ والإصابه؛ والحاكم فى المستدرك.

المدینه، فسمع حواراً فی دار سعد بن الربیع، فسمع بأذنه کلاماً عن الإسلام و نبی الإسلام (ص) وعلم أن مصعب بن عمیر أتی سفیراً، وکأول سفیر للإسلام؛ لیعلم الناس الإسلام أحکاماً وآداباً ومفاهیم، فما أن سمع الحوار حتی طرق الباب علی سعد، وأعلن إسلامه؛ لیحظی بالسفر إلی مکه؛ ثم لیشهد بیعه العقبه مع السبعین من الأنصار کما فی مختصر دمشق.

وهذا یعنی أنّ المقصود العقبه الثانیه، ولکنی وللأسف لم أجد له إسماً فی السیره النبویه لابن هشام، وهو یذکر أسماء أهل البیعتین الأولی والثانیه من الأوس والخزرج.

وکان أبی بن کعب من الأنصار الذین نصروا رسول الله، واستقبلوه فی یثرب، وقد شهد کل الغزوات مع النبی (ص) وبقیه المشاهد، وجمع القرآن فی حیاه الرسول (ص) وکان رأساً فی العلم وبلغ فی المسلمین الأوائل منزله رفیعه، حتی قال عنه رسول الله (ص): أبی سید الأنصار؛ ونسب إلی الخلیفه الثانی عمر بن الخطاب أنه قال عنه مادحاً: أبی سید المسلمین.

وهکذا توالت علیه هذه المناقب، وعظم حب المسلمین له، واشتد ودّهم له، ولاذوا به فی معرفه ما یشکل علیهم من علم ومعرفه، حتی جاء فی الخبر عن قیس بن عباد أنه قال: کنت آتی المدینه فألقی أصحاب النبی (ص) وکان أحبهم إلیّ أبی بن کعب؛ وقال: ثم قعد یحدث، فما رأیت الرجال مدت أعناقها إلی رجل مثلما مدت أعناقها متوجههً إلی أبی بن کعب.

المؤاخاه

مشروع المؤاخاه بین المسلمین، الذی أسسه رسول الله (ص) فی المدینه، کان من أروع المشاریع، وأعظمها نفعاً علی کل المستویات الإیمانیه والاجتماعیه والسیاسیه، وکان الأساس المتین والصلب لبناء قاعده إیمانیه تمهیداً لبناء مجتمع آمن متکافل، فدوله قائمه علی الحب والموده والتضامن الفاعل، حتی غدا مجتمع المدینه ودولته فی عهد رسول الله (ص) مثالاً لنموذج فذّ نادر، یحلم به الشرفاء والأحرار.

قال السهیلی: آخی رسول الله (ص) بین أصحابه حین نزلوا بالمدینه؛ لیذهب عنهم وحشه

الغربه، ويؤنسهم من مفارقه الأهل والعشيره، ويشدّ أزر بعضهم ببعض، فلما عز الإسلام، واجتمع الشمل، وذهبت الوحشه، أنزل الله سبحانه: {أُولُوا الْأَرْحامِ بَعْضُهُمْ أَوْلى بِبَعْضٍ فِی کِتابِ اللَّهِ} أعنی فی المیراث؛ ثم جعل المؤمنین کلهم إخوه، فقال: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَهٌ} یعنی فی التوادد، وشمول الدعوه.

فقد راح رسول الله (ص) یؤاخی بین المهاجرین والأنصار، وآخی بین سعد بن زید بن عمرو بن نفیل وأبی بن کعب، وهو أخو بنی النجار أخوین. (۱)

أبی مجاهداً

ما أن هاجر النبی (ص) إلی المدینه حتی کان أبیّ ملازماً لرسول الله (ص) فاشترک فی بناء المسجد، ثم فی معرکه بدرٍ الکبری، فکان واحداً من أهلها، ولم یتخلف عن مشاهد رسول الله (ص) قط، بل حضرها کلها.

اُبَیّ قرآنیاً

کان المسلمون ینظرون إلی اُبی بن کعب نظرتهم إلی ذلک الرجل القرآنی الرشید المستقیم السیره، الطیب العنصر، العظیم فی الإسلام، وجاء فی الخبر أنّ رسول الله (ص) قال فی یوم عید: أدعو لی سید الأنصار؛ فدعو اُبی بن کعب.

وإنه کذلک فقد نال أبیّ شرفاً ربما لم ینله غیره من أصحاب رسول الله (ص) ومن ذلک کما ذکرنا أمر الله لنبیه (ص) أن یقرأ علیه سوره البینه، فقد ذکر کل من البخاری ومسلم فی صحیحیهما: أنّ رسول الله (ص) قال لأبی: إنّ الله عزّوجل أمرنی أن أقرأ علیک: {لَمْ یَکُنِ الَّذِینَ کَفَرُوا}.(۲)

قال: وسمانی لک؟ قال نعم؛ فبکی.

۱- السیره النبویه ۲ : ۵۰۶۵۰۵ ، والهامش.

۲- البینه: ۱.

وكان فى حفظه القرآن وترتيله وفهم آياته من المتفوقين، قال له رسول الله (ص): «يا أبى بن كعب، إنى أمرت أن أعرض عليك القرآن».

وأبى يعلم أنّ رسول الله (ص) انما يتلقى أوامره من الوحى، هنالك سأل الرسول الكريم فى نشوه غامره: «يا رسول الله! بأبى أنت وأمى، وهل ذكرت لك باسمى؟».

فأجاب الرسول (ص): نعم، باسمک ونسبک فى الملإ الأعلى.

وكان حرياً أن يؤمر الرسول (ص) بعرض القرآن عليه، وفى هذا يقول أبى: قال رسول الله (ص): إنى أمرت أن أعرض عليك القرآن.

فقال أبى: بالله آمنت وعلى يديك أسلمت ومنك تعلمت.

قال: فرد الرسول (ص) القول.

فقال: يا رسول الله وذكرت هناک؟

قال: نعم، بإسمک ونسبک فى الملإ الأعلى.

قال: اقرأ إذًا يا رسول الله. (۱)

ولما سئل: فرحت بذلک؟

قال: وما يمنعنى وهو تعالى يقول:

{قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذلِکَ فَلْيَفْرَحُوا}.(۲)

ولقد كان فقه أبى بالقرآن يظهر على لسانه، ومن ذلک أنّ رسول الله (ص) سأله يوماً عن أى آيه فى القرآن أعظم؟

فقال أبى: {اللَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ}.(۳)

فضرب النبى (ص) على صدره، وقال: ليهنک العلم أبا المنْذر. (۴)

۱- رواه الترمذى.

۲- يونس : ۵۸ ؛ رواه أحمد.

۳- البقره : ۲۵۵.

۴- رواه مسلم.

ولم یکن بالمستغرب کذلک أن یأمر النبی (ص) بأخذ القرآن عنه فإنه جدیر بهذه المنزله، ولم لا؟ وهو من أمر النبی (ص) أن یقرأ علیه القرآن وفی الحدیث: «خذوا القرآن من أربعه: من عبدالله بن مسعود، وسالم، ومعاذ، وأبی بن کعب».(۱)

وکیف لا یکون الأمر کذلک؟ وهو أقرأ هذه الأمه بالقرآن بنص حدیث رسول الله (ص) حیث نسب إلیه (ص) أنه قال:... وأقرؤهم أبی بن کعب؛ کما رواه الترمذی، فقد کان هذا الصحابی الجلیل أقرأ الناس إلی جانب کونه طیب الصوت حسن الأداء.

أبیّ کاتباً

کان أبی بن کعب فی مقدمه الذین یکتبون الوحی ویکتبون الرسائل.

کان هناک عدد من الصحابه ممن وفقوا لأن یکونوا ممن یکتبون لرسول الله (ص) ما ینزل إلیه من السماء عن طریق الوحی، ویکتبون رسائله إلی من یرید، وما یملیه من أجوبه عن رسائل ترد إلیه، وما یبرمه من عهود ومواثیق؛ وکان من هؤلاء أبی بن کعب، بل هو فی مقدمه الذین یکتبون الوحی ویکتبون الرسائل.

تقول الروایه: وکان أبی بن کعب یکتب فی الجاهلیه قبل الإسلام؛ وکانت الکتابه فی العرب قلیله، وکان یکتب فی الإسلام الوحی لرسول الله (ص).

قال ابن أبی خیثمه: هو أول من کتب الوحی بین یدی رسول الله (ص) کان سیداً جلیل القدر، ورأساً فی العلم والعمل.

وقیل أول من کتب لرسول الله (ص) أبی بن کعب، وکان إذا غاب أبی کتب له زید بن ثابت. (۲)

قال الواقدی: وهو أول من کتب للنبی (ص) وأول من کتب فی آخر الکتاب: وکتب فلان بن فلان.

۱- رواه البخاری.

۲- تاریخ الطبری ۲ : ۲۱۸.

وفی أسماء من کتب للنبی (ص) علی بن أبی طالب، وعثمان بن عفان، کانا یکتبان الوحی، فإن غابا کتبه أبی بن کعب وزید بن ثابت. (۱)

أبیّ جامعاً للقرآن

وکـان فی حفظه القرآن وترتیله وفهم آیاته من المتفوقین، قال له رسول الله (ص): یا أبی بن کعب، إنی أمرت أن أعرض علیک القرآن؛ وأبی یعلم أنّ رسول الله (ص) إنمـا یتلقی أوامره من الوحی؛ هنالـک سأل الرسول الکریم فی نشوه غامره: یا رسو ل الله! بـأبی أنت وأمی، وهـل ذکرت لـک باسـمی؟ فأجاب الرسول (ص) «نعم، باسـمک ونسـبک فی الملإ الأعلی»؛ کما قال الرسول (ص): «أقرأ أمتی أبَیّ».

قام أبی بن کعب بجمع القرآن الکریم فی حیاه النبی (ص) وعرض علی النبی (ص) وحفظ منه علماً مبارکاً.

قـال أنس بن مالـک: جمع القرآن علی عهـد رسول الله (ص) أربعه کلهم من الأنصـار: أبی بن مالک، ومعاذ بن جبل، وزیـد بن ثابت، وأبو زید أحد عمومتی.

وروی الطبرانی وابن عساکر عن الشـعبی، قال: جمع القرآن علی عهـد رسول الله (ص) سـته من الأنصار: أبی بن کعب، وزید بن ثابت، ومعاذ بن جبل، وأبو الدرداء، وسعد بن عبید، وأبو زید.

قال محمّد بن سیرین: إنّ عثمان بن عفان جمع اثنی عشر رجلًا من قریش والأنصار، فیهم اُبی بن کعب، وزید بن ثابت، فی جمع القرآن.

وعده ابن الندیم فی فهرسته من الذین جمعوا القرآن علی عهد النبی (ص) فقال

ما صورته: الجمّاع للقرآن علی عهد النبی (ص) وعدّ جماعه ثم قال: أبی بن کعب وساق نسبه.

۱- تاریخ الطبری ۳: ۵۳۳.

أبیّ قارئاً

منّ الله تعالی علیه بحفظه للقرآن الکریم، وبصوت طیب، ومنهج فی القراءه متمیز

وقد اشتهر به، وأعجب به من حوله، حتی عد من أعظم قرّاء القرآن، وفی الطبقه الأولی

من صحابه النبی الأکرم (ص) وقد وفق لأن یکون کما قال عنه رسول الله (ص): «أقرأ

أمتی أبَیّ».

عن أنس بن مالک أنّ رسول الله (ص) قال لأُبی بن کعب: إنّ الله أمرنی أن أقرأ علیک القرآن، قال: الله سمّانی لک؟ قال: نعم سماک لی، قال: فجعل اُبی یبکی؛ وفی روایه: فذرفت عیناه.

وفی روایه قال اُبی فی نشوه غامره: یا رسول الله! بأبی أنت وأمی، آلله سمَّانی لک؟ فقال الرسول: «نعم»، فجعل أبی یبکی من شده الفرح. (۱)

عن أنس قال: قال رسول الله (ص): أقرأ أمتی أبی.

وجاءت الروایه عن أبی عبدالله الصادق (ع): نحن نقرأ بقراءه اُبی بن کعب.

وفی خصوص المتعه، قال القرطبی: قال الجمهور المراد نکاح المتعه، الذی کان فی صدر الإسلام، وقرأ ابن عباس، وأبی، وابن جبیر: {فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ إِلَی أَجَلٍ مَسَمًّی فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ}؛ وقال ابن کثیر فی تفسیره: وکان ابن عباس وأبی بن کعب، وسعید بن جبیر، والسدی، یقرأون: {فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ إِلَی أَجَلٍ مَسَمًّی فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِیضَهً}.(۲)

أبیّ مفسراً

یعدّ هذا الصحابی من جمله من اشتهر من الصحابه بالتفسیر؛ وقد عده السیوطی من جمله العشره الذین اشتهروا بالتفسیر من الصحابه من الطبقه الأولی من المفسرین، وهو أول

۱- رواه مسلم.

۲- تفسیر القرطبی و ابن کثیر: الآیه.

من ألف فی فضائل القرآن، قال ابن الندیم فی الفهرست: (الکتب المؤلفه فی فضائل القرآن) وعدّها أحد عشر کتاباً لأحد عشر مؤلفاً وهم... ۷ أبیّ بن کعب الأنصاری.

ثم یقول: ولیس فی العشره الباقیه أحد إلاّ وزمانه متأخر عن أبی، فعلم من ذلک أنّ أبیاً أول من ألف فی فضائل القرآن؛ وعده ابن الندیم فی فهرسته من الذین جمعوا القرآن علی عهد النبی (ص) فقال ما صورته: الجمّاع للقرآن علی عهد النبی (ص) وعد جماعه ثم قال: أبی بن کعب وساق نسبه. (۱)

وقد وردت عنه نسخه کبیره فی التفسیر رواها أبو جعفر الرازی بسنده عنه. (۲)

ویرجع ذلک کما یبدو إلی أسباب منها:

أ ما حظی به من دعاء النبی (ص) الخاص حین قال له: لیهنک العلم أبا المنذر. (۳)

ب لکونه قریباً من مصدر الرساله والوحی، فهو من کتّاب الوحی، مما جعله عالماً بعلوم القرآن والتفسیر ومنها: أسباب النزول، والناسخ والمنسوخ، والمطلق والمقید والعام والخاص، وأجواء الآیات.. وکیف لا یکون کذلک؟ وهو القائل للخلیفه الثانی: «یا أمیرالمؤمنین إنی تلقیتُ القرآن ممن تلقّاه من جبریل وهو رطب».

ج وعلی القول بأنه کان قبل إسلامه حبراً من أحبار الیهود العارفین بأسرار الکتب السماویه، مما جعله علی مبلغ کبیر من العلم ومعرفه آیات الکتاب المجید.

وهنا لا بد لی من وقفه تحت عنوان:

هل کان أبیّ حبراً؟

إنّ کونه مطلعاً علی الکتب القدیمه، وما ورد فیها، و ترکت عنده ثقافه واسعه، وحباً للقرآن الکریم، خصوصاً وقد وجد فیه فرقاً کبیراً، وامتیازات کبیره، ومناقب عالیه تفوق

۱- الاتقان للسیوطی؛ أعیان الشیعه لمحسن الأمین ۱: ۳۶۱، و۶: ۲۰۶؛تفسیر القرطبی وابن کثیر: الآیه.

۲- التفسیر والمفسرون للذهبی ۱: ۹۲.

۳- رواه مسلم وغیره.

كثيراً عما وجده فيما سبقه من كتب، هذا شيء، وكونه حبراً من أحبار اليهود، وبالتالى كان يهودياً شيء آخر، وإن كان هذا لا ضير فيه، ولا يقدح بإيمان الرجل، إلّا أننى لم أجد فيما تيسر لى من مصادر من يذكر هذا الأمر، سوى صاحب كتاب الأعلام خير الدين الزركلى (۱۹۷۶م) حيث قال: «كان قبل الإسلام حبراً من أحبار اليهود، مطلعاً على الكتب القديمه، يكتب ويقرأ على قله العارفين بالكتابه فى عصره، ولما أسلم كان من كتاب الوحى».

ورده الدكتور محمد حسين الذهبى (۱۳۹۸ه) صاحب كتاب: التفسير والمفسرون، والقيسى فى تاريخ التفسير؛ ويبدو أنّ ما ذكروه كان إمّا وهماً واشتباهاً، أو أنه وقع خطأً نتيجه التقارب بين الاسمين: «كعب الأحبار وأبى بن كعب».

منهجه فى التفسير

كان له منهج متميز وله خصائصه، فقد عرف بتمسكه بما ورد عن رسول الله (ص) واستفاد منه فى تفسيره للآيات القرآنيه الكريمه، ولهذا جاء أكثر تفسيره بهذه الطريقه؛ وأنّ رواياته جاءت موصوله السند برسول الله (ص) ويدلل اهتمامه الكبير بهذه الروايات فى تفسيره على منهجه الأهم وأسلوبه الأمثل فى تفسير القرآن الكريم؛ وإن لم يجد من المأثور ما يفسر به، ينتقل إلى أساليب أخرى، كتفسير القرآن بالقرآن واجتهاده.

هذا، وكان لتلاميذه مع أصحاب زيد بن أسلم مشاركه فى إنشاء مدرسه التفسير فى المدينه المنوره، والتى كان من أقطابها ثلاثه من أئمه أهل البيت، وهم: الإمام على بن الحسين، وولده الإمام الباقر، وحفيده الإمام الصادق:، وقد امتازت هذه المدرسه بفضل وجود الأئمه الثلاثه (عليهم السلام) بالعمق والموضوعيه، فيما أثر عنها من روايات تفسيريه نجدها فى أمهات التفسير. (۱)

۱- أنظر: التفسير والمفسرون للذهبى ۱ : ۹۲.

نماذج من تفسيره:

تفسير القرآن بالقرآن

كـان أُبيّ يعتمـد روايات عن رسول الله (ص) لتفسـير آيه من القرآن الكريم؛ ففى تفسـير التبيان للشـيخ الطوسـى (۴۶۰ ه) ولدى تفسير «الظلم» من قوله تعالى: {الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ}.(۱)

وبعد أن يذكرالشـيخ الطوسـى أنّ الظلم المذكور فى الآيه هو الشـرك عند أكثر المفسرين: ابن عباس وسعيد بن المسيب وقتاده ومجاهد وحماد بن زيد وأبيٌّ بن كعب وسلمان (رحمه الله عليه). يقول:

قال أبيٌّ: ألم تسمع قوله:

{إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ}.(۲)

وهو ما جاء فيما روى عن عبدالله بن مسـعود أنه قال: لما نزلت هذه الآيه شق على الناس، وقالوا: يا رسول الله! وأيّنا لا يظلم نفسه، فقال: إنه ليس الذى تعنون، ألم تسمعوا إلى ما قال العبد الصالح:

{يا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ}.

آيات ذات موضوع واحد

ولقد وجد فى تفسـير أبى بن كعب محاوله لجمع الآيات ذات الموضوع الواحد، ومن أمثلته ما جاء عنه فى تفسـير الآيه الكريمه: {وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْـهَدَهُمْ عَلى أَنْفُسِـهِمْ أَ لَسْتُ بِرَبِّكُمْ قالُوا بَلى شَـهِدْنا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيامَهِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هذا غافِلِينَ}.

۱- الأنعام: ۸۲.

۲- لقمان: ۳۱.

قال: «جمعهم يومئذ جميعاً ما هو كائن إلى يوم القيامه، ثم استنطقهم، وأخذ عليهم الميثاق، ثم قال: وفيهم الأنبياء (عليهم السلام) يومئذ مثل السرج، وخص الأنبياء بميثاق آخر، قال الله:

{وَإِذْ أَخَذْنا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْراهِيمَ وَمُوسى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنا مِنْهُمْ مِيثاقاً غَلِيظاً}.(١)

وهو الذى يقول تعالى ذكره: {فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِى فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْها لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ}.(٢)

وفى ذلك قال: {هذا نَذِيرٌ مِنَ النُّذُرِ الْأُولى}.(٣) يقول: أخذنا ميثاقه مع النذر الأولى.

ومن ذلك قوله: {وَما وَجَدْنا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِنْ وَجَدْنا أَكْثَرَهُمْ لَفاسِقِينَ}.(٤) {ثُمَّ بَعَثْنا مِنْ بَعْدِهِ رُسُلًا إِلى قَوْمِهِمْ فَجاؤُهُمْ بِالْبَيِّناتِ فَما كانُوا لِيُؤْمِنُوا بِما كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ كَذلِكَ نَطْبَعُ عَلى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ}.(٥) قال: كان فى علمه يوم أقروا به من يصدق ومن يكذب».(٦)

التفسير بالمأثور

كثيراً مما روى عن أبى بن كعب هو من التفسير بالمأثور، فقد راح يفسّر الآيات بما روى عن رسول الله (ص) ومن أمثله هذا النوع من التفسير، ما رواه فى تفسير قوله تعالى: {...لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوى...}.(٧)

عن رسول الله (ص) أنه سئل عن المسجد الذى أسس على التقوى. فقال: «مسجدى هذا».(٨)

١- الأحزاب : ٧.

٢- الروم: ٣٠.

٣- النجم:٥٦.

٤- الأعراف: ١٠٢.

٥- يونس: ٧٤.

٦- جامع البيان، للطبرى ٩ : ١٥.

٧- التوبه: ١٠٨.

٨- جامع البيان، للطبرى ١١ : ٢٨.

التفسير بالاجتهاد

هنـاك روايـات تفسـيريه عن أبى بن كعب وموقوفه عليه، وهى قليله جـداً، ولأنهـا لم ترفع إلى رسول الله (ص) يمكن عـدها من اجتهـاده، ومن أمثلتهـا ما جاء فى قوله تعالى: {إِنَّا عَرَضْـنَا الْأَمانَهَ عَلَى السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَها وَأَشْـفَقْنَ مِنْها وَحَمَلَهَا الْإِنْسانُ إِنَّهُ كانَ ظَلُوماً جَهُولاً}.(۱)

فقد روى الطبرى بسنده عن أبى بن كعب أنه قال: «من الأمانه أن المرأه أئتمنت على فرجها».(۲)

معرفه أبىّ بالقراءات

لطالما أثبت حجيه قراءته وصـحتها بالقرآن الكريم، فقد ورد عنه أنه قرأ قوله تعالى: {وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهاجِرِينَ وَالْأَنْصارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ}.(۳)

وقـد كـان عمر بن الخطـاب يقرأ: {وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهاجِرِينَ وَالْأَنْصارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسانٍ} بضم الأنصار، وحـذف حرف الواو من (الذين) حتى أنه أنكر على رجل قرأها بقراءه أُبىّ، ولما حضـر أبى بن كعب، وسأله عمر، اسـتدل أُبىّ بعده آيات على صحه قراءته قائلاً:

«وتصـديق ذلـك فى أول الآيه التى فى أول الجمعه، وأوسط الحشـر، وآخر الأنفال، أما أول الجمعه: {وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ}، وأوسـط الحشـر: {وَالَّذِينَ جـاؤُ مِنْ بَعْـدِهِمْ يَقُولُـونَ رَبَّنَـا اغْفِرْ لَنـا وَلِإِخْوانِنَـا الَّذِينَ سَـبَقُونا بِالْإِيمـانِ}، وأمـا آخر الأنفـال: {وَالَّذِينَ آمَنُوا

۱- الأحزاب: ۷۲.

۲- جامع البيان، للطبرى ۲۲: ۵.

۳- التوبه: ۱۰۰.

مِنْ بَعْدُ وَهاجَرُوا وَجاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولئِكَ مِنْكُمْ}.(۱)

فقال عمر: إذن نتابع أبياً. (۲)

معرفه أبيّ بأسباب النزول

كـان كثير الاهتمـام بأسـباب النزول، ومن اهتمامه كان لا يتأخر إذا ما فاته شـيء منها، ولا يتوقف عن السؤال عنها أبـداً، حتى أنه سـأل أنس بن مالـک (۹۳ ه) وکـان خـادم رسـول الله (ص) عـن سـبب نزول الآـيه: {وَإِذا سَـأَلْتُمُوهُنَّ مَتاعـاً فَسْـئَلُوهُنَّ مِـنْ وَراءِ حِجابٍ... إِنَّ ذلِكُمْ كانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيماً}.(۳)

فقد روى الطبرى بسنده، عن أنس بن مالک أنه قال: «سألنى أبيّ بن کعب عن الحجاب، فقلت: أنا أعلم الناس به، نزلت فى شأن زينب، أولم النبى (ص) عليهـا بتمر وسويق، فنزلت: {يـا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَـدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلى طَعامٍ غَيْرَ ناظِرِينَ إِناهُ وَلكِنْ إِذا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلا مُسْتَأْنِسِـينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذلِكُمْ كانَ يُؤْذِى النَّبِيَّ فَيَسْـتَحْيِى مِنْكُمْ وَاللَّهُ لا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتاعاً فَسْئَلُوهُنَّ مِنْ وَراءِ حِجابٍ ذلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ}».(۴)

ولأبيّ بن كعب أيضاً

فى قوله تعالى: {وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلى عَذابِ النَّارِ}.(۵)

قال أبي: هو قول الرب تعالى ذكره.

وفى قوله تعالى: {كانَ النَّاسُ أُمَّةً واحِدَةً}.(۶)

۱– الأنفال: ۷۵.

۲– جامع البيان، للطبرى ۱۱: ۸ .

۳– الأحزاب: ۵۳.

۴– المصدر نفسه؛ وانظر: جامع البيان ۲۲: ۳۷.

۵– البقره: ۱۲۶.

۶– المصدر نفسه: ۲۱۳.

قال أبی: کانوا أمه واحـده حیث عرضوا علی آدم ففطرهم یومئـذ علی الإسـلام، وأقروا له بالعبودیه، وکانوا أمه واحـده مسـلمین کلهم، ثم اختلفوا من بعـد آدم، فکـان أبی یقرأ: {کانَ النَّاسُ أُمَّهً واحِـدَهً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِیِّینَ مُبَشِّرِینَ وَمُنْذِرِینَ} إلی {فِیمَا اخْتَلَفُوا فِیهِ} وإنّ الله إنما بعث الرسل وأنزل الکتب عند الاختلاف.

وفی قوله تعالی: {قُلْ ما یَعْبَؤُا بِکُمْ رَبِّی لَوْ لا دُعاؤُکُمْ فَقَدْ کَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ یَکُونُ لِزاماً}.(۱)

قال أبی: هو القتل یوم بدر. (۲)

أبیّ عالماً

کان فی حفظه القرآن وترتیله وفهم آیاته من المتفوقین؛ لهذا تجده وقد سـجل أبیّ بن کعب حضوراً متمیزاً فی التفسیر والقراءه، وفی الفقه حتی عـدّ أبرز فقهاء الصـحابه وقرّائهم؛ وکان صاحب همه عالیه فی خدمه الناس، ولا یبخل علیهم بعلمه؛ فمع أنه کثیر العبـاده، لکنه طالمـا فرغ نفسه لتعلیم الآـخرین؛ فعن أبی العـالیه: کـان أُبیّ بن کعب صـاحب عباده، فلما احتاج إلیه الناس، ترک العباده، وجلس للقوم.

سأله النبی (ص) یوماً: یا أبا المنذر، أی آیه من کتاب الله أعظم؟

فأجاب قائلًا: الله ورسوله أعلم.

وأعاد النبی (ص) سؤاله: یا أبا المنذر، أی آیه من کتاب الله أعظم؟

وأجاب أبی: {اللَّهُ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ الْحَیُّ الْقَیُّومُ}.

فضرب الرسول (ص) صدره بیده، ودعا له بخیر، وقال له والغبطه تتألق علی محیاه: لیُهْنِکَ العلم أبا منذر! (أی هنیئًا لک العلم).

وعن أبی بن کعب أنّ رسول الله (ص) صلّی بالناس، فترک آیه فقال: أیُّکم أخذ علیّ شیئاً

۱- الفرقان: ۷۷.

۲- أنظر: جامع البیان، للطبری فی تفسیره للآیات المذکوره.

من قراءتی؟

فقال أُبیُّ: أنا یا رسول الله، ترکتَ آیه کذا وکذا.

فقال النبی (ص): قد علمتُ إنْ کان أحدٌ أخذها علیّ فإنّکَ أنت هو.

وأخرج الأئمه أحادیثه فی صحاحهم، وعدّه مسروق فی السته من أصحاب الفتیا، وممن روی عنه من الصحابه عمر، وکان یسأله عن النوازل ویتحاکم إلیه فی المعضلات؛ ولما مات فی خلافه عمر بن الخطاب علی روایه قال عمر: الیوم مات سید المسلمین.

وکان واحداً من السته أصحاب الفُتْیا کما روی الذین أذن لهم رسول الله (ص) بالحکم فی حوائج الناس، وفض المنازعات التی تحدث بینهم، وردِّ المظالم إلی أهلها، وکان منهم الإمام علی بن أبی طالب (ع)، وعبد الله بن مسعود، وأبی بن کعب، وزید بن حارثه... ومما قاله (ص) فیه: «وأقرؤهم لکتاب الله أبی بن کعب».(۱)

قصه الخضر وموسی

ومن معرفته العالیه فی کتاب الله تعالی، والروایه عن رسول الله (ص) وفی التاریخ، من ذلک قصه الخضر وموسی: فقد روی أبیّ بن کعب فی ذلک عنه (ص) ما حدثنا أبو کریب، قال: حدثنا یحیی بن آدم، قال: حدثنا سفیان بن عیینه، عن عمرو بن دینار، عن سعید، قال: قلت لابن عباس: إنّ نوفاً یزعم أنّ الخضر لیس بصاحب موسی، فقال: کذبَ عدو الله، حدثنا أبیّ بن کعب عن رسول الله (ص) قال: إنّ موسی قام فی بنی إسرائیل خطیباً فقیل: أیّ الناس أعلم؛ فقال: أنا، فعتب الله علیه حین لم یردّ العلم إلیه، فقال: بل عبدٌ لی عند مجمع البحرین، فقال: یا ربّ! کیف به? قال: تأخذ حوتاً فتجعله فی مکْتل فحیث تفقده فهو هناک.

قال: فأخذ حوتاً فجعله فی مکتل، ثم قال لفتاه: إذا فقدتَ هذا الحوت فأخبرنی؛ فانطلقا یمشیان علی ساحل البحر حتی أتیا صخره، فرقّد موسی فاضطرب الحوت فی المکتل، فخرج فوقع فی البحر، فأمسک الله عنه جَرْیه الماء فصار مثل الطاق، فصار للحوت

۱- أنظر: الترمذی وابن ماجه.

سرَباً، وكان لهما عجباً.

ثم انطلقا، فلما كان حين الغذاء قال موسى لفتاه: {آتِنا غَداءَنا لَقَدْ لَقِينا مِنْ سَفَرِنا هذا نَصَباً} قال: ولم يجد موسى النصَب حتى جاوز حيث أمَره الله، قال: فقال: {أَ رَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَما أَنْسانِيهُ إِلَّا الشَّيْطانُ أَنْ أَذْكُرَهُ}.

{وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَباً} قال: فقال: {ذلِكَ ما كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلى آثارِهِما قَصَصاً}، قال: يقّصان آثارهما.

قال: فأتيا الصخره فإذا رجل نائم مسجًّى بثوبه، فسلّم عليه موسى فقال: وأنّى بأرضنا السلام! قال: أنا موسى، قال: موسى بنى إسرائيل؟ قال: نعم، قال: يا موسى، إنى على علْم من علم الله، علَّمنيه الله لا- تعلمه، وأنت على علم من علم الله علّمكه الله لا أعلمه، قال: فإنى أتبعك على أن تعلمنى ممَّا عُلمْتَ رُشْداً.

{قالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلا تَسْئَلْنِي عَنْ شَيْ ءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْراً}. فانطلقا يمشيان على الساحل، فإذا بملاح فى سفينه، فعرف الخضر، فحمله بغير نَوْل، فجاء عصفور فوقع على حرفها فنقر أو فنقد فى الماء، فقال الخضر لموسى: ما ينقص علمى وعلمك من علم الله إلا مقدار ما نقر أو نقد هذا العصفور من البحر.

قال أبو جعفر: أنا أشكُّ، وهو فى كتابى هذا "نقر" قال: فبينما هم فى السفينه لم يُفجأ موسى إلا وهو يتد وتداً أو ينزع تخْتاً منها، فقال له يا موسى: حمَلنا بغير نَوْل وتخرقها لتُغْرقَ أهْلها! {لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً إِمْراً * قالَ أَ لَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً * قالَ لا تُؤاخِذْنِي بِما نَسِيتُ}.

قال: فكانت الأولى من موسى نسياناً، قال: ثم خرجا فانطلقا يمشيان، فأبصرا غلاماً يلعب مع الغلمان، فأخذ برأسه فقتله، فقال له موسى: {أَ قَتَلْتَ نَفْساً زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً نُكْراً * قالَ أَ لَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً * قالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْ ءٍ بَعْدَها فَلا تُصاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْراً}.

فانطلقا حتى أتيا أهلَ قريه استطعما أهلها، فلم يجدا أحداً يطعمهم ولايسقيهم، فوجدا

فیها جداراً یرید أن ینقضّ فأقامه بیده قال: مسحه بیده فقال له موسی: لم یُضیفونا ولم ینزلونا، {لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْراً * قالَ هذا فِراقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ} قال: فقال رسول الله (ص): «لوددت أنه کان صبَر حتی یقصّ علینا قصصهم».

وعن العباس بن الولید، قال: أخبرنی أبی قال: حدثنا الأوزاعی، قال: حدثنی الزهریّ، عن عبیدالله بن عبدالله بن عتبه بن مسعود، عن ابن عباس: أنه تماری هو والحُرّ بن قیس بن حصن الفزاریّ فی صاحب موسی، فقال ابن عباس: هو الخضر، فمر بهما أبیّ بن کعب، فدعاه ابن عباس فقال: إنی تماریت أنا وصاحبی هذا فی صاحب موسی (ع) الذی سأل السبیلَ إلی لقائه، فهل سمعت رسول الله یذکر شأنه؟ قال: نعم إنی سمعت رسول الله (ص) یقول: «بینا موسی (ع) فی ملأٍ من بنی إسرائیل، إذ جاءه رجل فقال: تعلم مکان أحد أعلم منک؟ قال موسی: لا، فأوحی إلی موسی: بَلی عبدنا الخضر، فسأل موسی السبیلَ إلی لقائه، فجعل الله الحوت آیه، وقال له: إذا افتقدت الحوت فارجع فإنک ستلقاه، فکان موسی یتبع أثر الحوت، فی البحر فقال فتی موسی لموسی: {أَ رَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ} وقال موسی: {ذلِكَ ما كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلى آثارِهِما قَصَصاً}، فوجدا الخضر، فکان من شأنهما ما قصّ الله فی کتابه».(۱)

أبیّ فی کتب الرجال

سجل أبی بن کعب مکاناً متمیزاً فی کتب الرجال، کما هو فی کتب التاریخ والتراجم.

رجال الطوسی

(أبی) بن کعب بن قیس بن عبید بن زید بن معاویه بن عمرو بن مالک بن النجار، یکنی أبا المنذر، شهد العقبه مع السبعین، وکان یکتب الوحی، آخی رسول الله بینه وبین سعید بن زید بن عمرو بن نفیل، شهد بدراً والعقبه الثانیه وبایع لرسول الله (ص).

۱- تاریخ الطبری۱ : ۲۲۱ ۲۲۲ ؛ فی قصه الخضر وموسی وفتاه یوشع ؛ فتح الباری ۱۰: ۲۴.

معجم رجال الحديث

قال الشيخ: «أبى بن كعب بن قيس بن عبيد بن زيد بن معاويه بن عمرو بن مالك بن النجار، من أصحاب رسول الله (ص) يكنى أبا المنذر، شهد العقبه مع السبعين، وكان يكتب الوحى، آخى رسول الله (ص) بينه وبين سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، شهد بدراً والعقبه الثانيه، وبايع لرسول الله (ص).

وذكره البرقى وقال: «عربى مدنى من بنى الخزرج».

وعده فى آخر رجاله من الإثنى عشر الذين أنكروا على أبى بكر.

وذكره كذلك الصدوق فى الخصال فى أبواب الإثنى عشر. (۱)

وفى سير أعلام النبلاء للحافظ شمس الدين الذهبى (۷۴۸ه) وأيضاً فى أسد الغابه وفى الإصابه والاستيعاب ومستدرك الحاكم كما فى غيرها:

أبى بن كعب بن قيس بن زيد بن معاويه بن عمر بن مالك بن النجار، سيد القراء، أبو المنذر الأنصارى شهد العقبه الثانيه وبدراً، جمع القرآن فى حياه النبى (ص) وعرض على النبى (ص) وكان رأساً فى العلم والعمل؛ وكان أحد فقهاء الصحابه وأقرأهم لكتاب الله عزّوجل.

وقال عنه الرسول (ص): (اقرأ أمتى أبى). (۲)

وقال الألباني: صحيح. (۳)

قال الواقدى: هو أول من كتب للنبى (ص) وأول من كتب فى آخر الكتاب وكتب فلان بن فلان، توفى فى سنه ۲۲ه بالمدينه، وقيل: فى خلافه عثمان سنه ۳۰ه. (۴)

۱- معجم رجال الحديث، للسيد الخوئى ۱: ۳۷۵.

۲- الترمذى وابن ماجه.

۳- أنظر: مشكاه المصابيح (۶۰۶۵).

۴- أنظر: سير أعلام النبلاء ۱: ۳۸۹۴۰۲. وفى أسد الغابه ۱: ۶۱ ۶۲. وفى الإصابه ۱: ۲۶۲۷. والاستيعاب، والمستدرك للحاكم وغيرها.

ولاؤه لأهل البيت:

مما كتب عنه يظهر أنه كان محباً لأهل بيت النبوه والرساله، ومن أوائل الصحابه الذين تابعوا مدرسه أهل البيت (عليهم السلام) وناصروهم بالحجه والدليل، وصدحوا بحقهم أمام الآخرين.

ففى تعليقه البهبهانى على منهج المقال: فى المجالس ما يظهر منه جلالته وإخلاصه لأهل البيت (عليهم السلام).

والظاهر أنّ مراده بالمجالس مجالس المؤمنين ففيها ما تعريبه: فى الكامل البهائى أنّ أبى بن كعب قال: مررت عشيه يوم السقيفه بحلقه الأنصار، فسألونى من أين أتيت؟ قلت: من عند أهل بيت رسول الله (ص)؛ فقالوا: على أى حال تركتهم؟ قلت: ما يكون حال قوم لم يزل بيتهم محط قدم جبرائيل ومنزل رسول الله (ص) إلى اليوم، وقد زال ذلك عنهم اليوم، وخرج حكمهم من أيديهم، ثم بكى أبىّ وبكى الحاضرون.

وفى الدرجات الرفيعه للسيد على خان الشيرازى: وروى عن اُبىّ، وذكر مثله، وفى زيارته لأهل البيت فى ذلك الوقت، واجتماعه معهم، وعدم اجتماعه مع الناس، وتوجعه لهم، أكبر دليل على إخلاصه فى حبهم. وذكره فى كتابه الدرجات الرفيعه فى طبقات الشيعه، وقال: من فضلاء الصحابه، شهد العقبه... إلى آخر عباره الشيخ الطوسى فى رجاله؛ ثم قال: كان يسمى سيد القراء.

والسيد المرتضى عدّه من الشيعه، وكذا المحقق السيد محسن الأعرجى فى العده.

وفى احتجاج الطبرسى عن أبان بن تغلب أنه قال لأبى عبدالله جعفر بن محمد الصادق (ع): جعلت فداك، هل كان أحد فى أصحاب رسول الله (ص) أنكر على الخليفه الأول فعله وجاوسه مجلس رسول الله (ص)؟

قال: نعم، كان الذى أنكر عليه اثنا عشر رجلًا من المهاجرين... ومن الأنصار... وأبى بن كعب.. فلما صعد المنبر تشاوروا بينهم، فقال بعضهم: والله لنأتينه ولننزلنه عن منبر رسول الله (ص)؛ وقال آخرون منهم: والله لئن فعلتم ذلك فقد أعنتم على أنفسكم، قال الله عزّوجل: {وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَهِ}.

فذهبوا إلى أميرالمؤمنين (ع) واستشاروه، فقال لهم فى كلام طويل: وأيم الله، لو فعلتم ذلك لما كنتم لهم إلا حرباً، ولكنكم كالملح فى الزاد، وكالكحل فى العين، إلى أن قال: فانطلقوا بأجمعكم إلى الرجل، فعرفوه ما سمعتم من قول نبيكم؛ ليكون ذلك أوكد للحجه، وأبلغ للعذر، فساروا حتى أحدقوا بالمنبر يوم الجمعه.

فلما صعد المنبر، قال المهاجرون للأنصار: تقدموا وتكلموا، فقال الأنصار: بل تقدموا وتكلموا أنتم، فإنّ الله قدمكم فى الكتاب، فأول من تكلم خالد بن سعيد بن العاص، ثم باقى المهاجرين من الأنصار. وروى أنهم كانوا غيّباً عن وفاه رسول الله (ص)... ثم قام أبى بن كعب فقال: يا فلان! لا تجحد حقاً جعله الله لغيرك، ولا تكن أول من عصى رسول الله (ص) فى وصيه، وصدف عن أمره، وأردد الحق إلى أهله تسلم، ولا تتماد فى غيك فتندم، وبادر الإنابه يخف وزرك، ولا تخص نفسك بهذا الأمر الذى لم يجعله الله لك، فتلقى وبال عملك، فعن قليل تفارق ما أنت فيه، وتصير إلى ربك، فيسألك عما جنيت، وما ربك بظلام للعبيد.

وروى له فى الاحتجاج أيضاً خطبه طويله يحتج بها على القوم، ويذكر فضائل أميرالمؤمنين (ع) وأنه أحق بالخلافه. (۱)

من روى عنه

بعد أن رَوى أبى بن كعب أحاديث عن رسول الله (ص) راح يروى عنه الجماعه من الصحابه والتابعين؛ ومن الذين رووا عنه:

أبو أيوب الأنصارى، وابن عباس، وجندب بن عبد الله البجلى، وعبدالله بن الحارث بن نوفل، وعبدالرحمن بن أبى ليلى، وعبدالرحمن بن أبزى، وسعيد بن المسيب، وعمر بن الخطاب، ومسروق بن الأجدع، وزر بن حبيش الأسدى، وأنس بن مالك، وعبدالله بن عمرو

۱– أنظر: ما كتبه السيد محسن الأمين فى أعيان الشيعه، الجزء الأول: وعده فى طبقات المفسرين من الشيعه، وفى الجزء السادس: ۲۰۱ ۲۱۰.

بن العاص، وسهل بن سعد، وعباده بن الصامت، و أبو موسى، وسليمان بن صرد الخزاعى، وعطاء بن يسار، والمغيره بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب، وأبو الأسود الدؤلى، وأبو هريره، وسهل بن سعد، كما روى عنه أولاده: الطفيل بن أُبىّ بن كعب، ومحمد، وعبدالله.

من مروياته

له العديد من الروايات، يروى بعضها بنفسه، وبعضها الآخر يشترك معه آخرون، ومنها:

عن عثمان وابن مسعود وأبى: أنّ رسول الله (ص) كان يقرئهم العشر فلا يجاوزونها إلى عشر أخرى حتى يتعلموا ما فيها من العمل، فيعلمهم القرآن والعمل جميعاً.

وعن أبى نفسه قال: قال لى رسول الله (ص): إنى أمرت أن أقرأ عليك القرآن.

قال: قلت: يا رسول الله (ص) وسميت لك؟ قال: نعم.

وعنه: كان رسول الله (ص) إذا ذهب ربع الليل قام فقال: أيها الناس! أذكروا الله، اذكروا الله، جاءت الراجفه، تتبعها الرادفه، جاء الموت بما فيه، جاء الموت بما فيه، جاء الموت بما فيه.

وعنه: قال لى رسول الله (ص): ألا أعلمك مما علمنى جبريل (ع)؟ قال: قلت: نعم، يا رسول الله! قال: قل أللهم اغفر لى خطاياى، وعمدى، وهزلى، وجدى، ولاتحرمنى بركه ما أعطيتنى، ولا تفتنّى فيما حرمتنى.

وعنه، قال: قال رسول الله (ص): بشر هذه الأمه بالسناء والنصر والتمكين، ومن عمل منهم عمل الآخره للدنيا فلم يكن له فى الآخره من نصيب. (۱)

زهده و ورعه و تقواه

عرف هذا الصحابى العالم الجليل بزهده وورعه وتقواه، فقد ورد عن جُندب بن عبد الله البجلى قال: أتيت المدينه ابتغاء العلم، فدخلت مسجد رسول الله (ص) فإذا الناس فيه حَلَقٌ

۱- أنظر: مختصر تاريخ دمشق: ۴ : ۱۹۷ ۲۰۵ ؛ حليه الأولياء ۱ : ۲۵۰ ۲۵۶.

يتحدّثون، فجعلت أمضى الحَلَقَ حتى أتيتُ حلقةً فيها رجل شاحبٌ عليه ثوبان كأنّما قدم من سفر. فسمعته يقول: «هلكك أصحاب العُقده ورب الكعبه، ولا آسى عليهم»... أحسبه قال: مراراً... فجلست إليه فتحدّث بما قُضىَ له ثم قام، فسألت عنه بعدما قام قلت: من هذا؟.

قالوا: هذا سيد المسلمين أبى بن كعب.

فتبعته حتى أتى منزله، فإذا هو رثُّ المنزل رثُّ الهيئه، فإذا هو رجل زاهد منقطعٌ يشبه أمره بعضه بعضاً...هذا فى زهده.

قال أبى بن كعب: يا رسول الله (ص) إنى أكثر الصلاه عليك، فكم أجعل لك فى

صلاتى؟

قال: ما شئت، وإن زدت فهو خيرٌ... قال: الرُّبع؟..... قال: ما شئت، وإن زدت فهو خيرٌ.. قال: أجعلُ النصف؟.

قال: ما شئت، وإن زدت فهو خيرٌ.

قال: الثلثين؟

قال: ما شئت، وإن زدت فهو خيرٌ.

قال: اجعل لك صلاتى كلّها؟

قال: إذاً تُكفى همَّك ويُغفَر ذنبُك.

وبعد انتقال الرسول (ص) إلى الرفيق الأعلى، ظل أبىّ على عهده فى عبادته وقوه دينه، وكان دوماً يذكر المسلمين بأيام الرسول (ص) ويقول: لقد كنا مع الرسول (ص) ووجوهنا واحده، فلما فارقنا اختلفت وجوهنا يميناً وشمالاً.

وعن الدنيا يتحدث ويقول: إنّ طعام ابن آدم، قد ضرب للدنيا مثلاً، فإن ملحه وقزحه فانظر إلى ماذا يصير؟

وحين اتسعت الدوله الإسلاميه ورأى المسلمين يجاملون ولاتهم، أرسل كلماته المنذره: هلكوا ورب الكعبه، هلكوا وأهلكوا، أما إنى لا آسى عليهم، ولكن آسى على من يهلكون

من المسلمين.. وكان أكثر ما يخشاه هو أن يأتى على المسلمين يوم يصير بأس أبنائهم بينهم شديد.

وكان أبى بن كعب من ورعه وتقواه يبكى إذا ذكر الله تعالى، ويهتز كيانه حين يرتل آيات القرآن أو يسمعها، وكان إذا تلا أو سمع قوله تعالى: {قُلْ هُوَ الْقادِرُ عَلى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذاباً مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعاً وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآياتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ}،(۱) يغشاه الهم والأسى.

وقد روى أنّ رجلًا من المسلمين، قال: يا رسول الله! أرأيت هذه الأمراض التى تصيبنا وما نلاقيها؟ قال: (كفارات)، فقال أبى ابن كعب: يا رسول الله! وإن قَلَّتْ؟ قال: «وإن شوكه فما فوقها».

فدعا أبى أن لا يفارقه الوَعْك حتى يموت، وأن لا يشغله عن حج، ولا عمره ولا جهاد، ولا صلاه مكتوبه فى جماعه، فقال أبو سعيد الخدرى: فما مس إنسان جسده إلا وجد حرّه حتى مات. (۲)

وقد كان أُبىّ مستجاب الدعوه، فيحكى ابن عباس أنّ عمر بن الخطاب قال لجمع من الصحابه: اخرجوا بنا إلى أرض قومنا؛ فكان ابن عباس مع أبى بن كعب فى مؤخره الناس، فهاجت سحابه، فدعا أبى قائلاً: أللهم اصرف عنا أذاها، فلحق ابن عباس وأبى الناس، فوجدوا أنّ رحالهم ابتلت: فقال عمر: ما أصابكم؟ (أى: كيف لم تبل رحالكما؟) فقال ابن عباس: إن أبيًّا قال: أللهم اصرف عنا أذاها، فقال عمر: فهلا دعوتم لنا معكم.

وقعه الجابيه

شهد أبى بن كعب مع عمر بن الخطاب وقعه الجابيه، وقد خطب عمر بالجابيه فقال: أيها الناس من كان يريد أن يسأل عن القرآن فليأتِ أُبيَّ بن كعب.

۱- الأنعام: ۶۵.

۲- رواه أحمد وابن حبان.

وأبی هو الـذی کتب کتاب الصـلح لأهل بیت المقـدس، حیث جاء عن أبی الحویرث، قال: کان یهود من بیت المقـدس، وکانوا عشرین رأسهم یوسف بن نون، فأخذ لهم کتاب أمان، وصالح عمر بالجابیه، وکتب کتاباً، ووضع علیهم الجزیه، وکتب: «بسم الله الرحمن الرحیم، أنتم آمنون علی دمائکم وأموالکم وکنائسکم ما لم تحـدثوا أو تؤوا محـدثاً، فمن أحدث منهم أو آوی محدثاً، فقد برئت منه ذمه الله، وإنی بریء من معره الجیش؛ شهد معاذ بن جبل، وأبو عبیده بن جراح، وکتب أبیّ بن کعب».(۱)

أقواله و وصایاه

وکان لا یخاف فی الله لومه لائم، وکان من الـذین لا یطلبون من الـدنیا عرضاً، فلیس لها نصـیب فی قلوبهم، فعندما اتسـعت بلاد المسلمین ورأی الناس یجاملون ولاتهم فی غیر حق قال:

هلکوا وربِّ الکعبه، هلکوا وأهلکوا، أما إنی لا آسی (أحزن علیهم) ولکن آسی علی من یهلکون من المسلمین.

وقـال: مـا ترک أحـد منکم لله شـیئاً إلا آتاه الله ما هو خیر له منه من حیث لا یحتسب، ولا تهاون به وأخـذه من حیث لا یعلم إلا آتاه ما هو أشـد علیه من حیث لا یحتسب. وقال له رجل ذات یوم : أوصـنی فقال له اُبیُّ: اتخـذ کتاب الله إماماً، وارض به قاضـیاً وحکمـاً، فـإنه الـذی استخلف فیکـم رسـولکم، شـفیع، مطـاع، وشاهـد لا-یتهم، فیـه ذکرکم وذکر من قبلکم، وحکم مـا بینکم، وخبرکم وخبر ما بعدکم.

قـال رجـل لأـبی بن کعب: أوصـنی یـا أبا المنـذر، قال: لا تعترض فیما لا یعنیک، واعتزل عـدوک، واحترس من صـدیقک، ولا تغبطن حیاً إلا بما تغبطه به میتاً، ولا تطلب حاجه إلی من لا یبالی ألا یقضیها لک.

وجاء رجل إلی أبیّ فقال: یا أبا المنذر! آیه فی کتاب الله قد غمتنی؛ قال: أی آیه؟ قال:

۱- مختصر تاریخ دمشق ۴ : ۱۹۷.

{مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ} قال: ذاک العبد المؤمن ما أصابته من نکبه مصیبه فیصبر، فیلقی الله تعالی، فلا ذنب له.

وعنه أنه قال: المؤمن بین أربع؛ إن ابتلی صبر، وإن أعطی شکر، وإن قال صدق، وإن حکم عدل. فهو یتقلب فی خمسه من النور، وهو الذی یقول الله: {نُورٌ عَلی نُورٍ}.(۱) کلامه نور، وعلمه نور، ومدخله نور، ومخرجه نور، ومصیره إلی نور یوم القیامه.

والکافر یتقلب فی خمسه من الظلم؛ فکلامه ظلمه، وعمله ظلمه، ومدخله ظلمه، ومخرجه فی ظلمه، ومصیره إلی الظلمات یوم القیامه. (۲)

رافقته الحمی!

عاش أبو المنذر رضوان الله تعالی علیه حیاته مریضاً بالحمی، وقد لازمته، لکنها لم تثنه عما یرید، فقد واصل حیاته بعزم وهمه عالیه قل نظیرها مجاهداً فی میادین النزاع دفاعاً عن الدین الذی آمن به بصدق وإخلاص؛ و متعلماً وعالماً ومعلماً فی مدرسه القرآن الکریم، والصحبه النبویه المبارکه.

کیف لا یکون کذلک، وقد أبکاه ما سمعه من رسول الله (ص) حین قال (ص) له: أمرت أن أقرئک القرآن.

فقال أبی له: أو ذکرت هناک؟

قال: نعم.

فبکی أبی، فلا أدری أشوق أم خوف.

وقال أبی: انطلقت إلی رسول الله (ص) فضرب بیده صدری.

ثم قال: أعیذک بالله من الشک والتکذیب.

قال: ففضت عرقاً، وکأنی أنظر إلی ربی فرقاً!

۱- النور: ۳۵.

۲- أنظر: حلیه الأولیاء، لأبی نعیم الأصفهانی ۱ : ۲۵۲ ۲۵۳.

كل هـذا وغيره جعل أبيّاً متعالياً على مرضه وآلامه وأوجاعه، وأعظم ثباتاً فى كدحه وجهاده، وجعله أكثرعزماً فى خدمته للقرآن الكريم، الذى تميزت به حياته المباركه.

سأل أبىّ الرسول (ص) جزاء الحمَّى؟

قال: تجرى الحسنات على صاحبها ما اختلج عليه قدم أو ضرب عليه عرق.

فقال أبى: أللهم إنى أسألك حمّى لا تمنعنى خروجاً فى سبيلك، ولا خروجاً إلى بيتك، ولا مسجد نبيك، فلم يمس أبى إلا وبه حمّى.

وعن عبدالله بن أبى نصير قال: عُدْنا أبى بن كعب فى مرضه، فسمع المنادى

بالأذان فقال: (الإقامه هذه أو الأذان؟)... قلنا: (الإقامه)... فقال: (ما تنتظرون؟ ألا تنهضون إلى الصلاه؟)... فقلنا: (ما بنا إلا مكانك)... قال: (فلا تفعلوا قوموا، إنّ

رسول الله (ص) صلى بنا صلاه الفجر، فلمّا سلّم أقبل على القوم بوجهه فقال: (أشاهدٌ فلان؟ أشاهدٌ فلان؟).

حتى دعا بثلاثه كلهم فى منازلهم لم يحضروا الصلاه فقال: إن أثقل الصلاه على المنافقين صلاه الفجر والعشاء، ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حَبْواً، واعلم أنّ صلاتك مع رجل ٍ أفضل من صلاتك وحدك، وإن صلاتك مع رجلين أفضل من صلاتك مع رجل، وما أكثرتم فهو أحب إلى الله، وإن الصفّ المقدم على مثل صف الملائكه، ولو يعلمون فضيلته لابتدروه، ألا وإن صلاه الجماعه تفضل على صلاه الرجل وحدَه أربعاً وعشرين أو خمساً وعشرين.

قال الرسول (ص): «ما مِنْ شىءٍ يصيب المؤمن فى جسده إلا كفَّر الله عنه به من الذنوب..». فقال أبى بن كعب: أللهم إنّى أسألك أن لا تزال الحُمّى مُضارِعهً لجسدِ أبى بن كعب حتى يلقاك، لا يمنعه من صيام، ولا صلاه، ولا حجّ، ولا عُمره، ولا جهاد فى سبيلك، فارتكبته الحمى، فلما تفارقه حتى مات، وكان فى ذلك يشهد الصلوات، ويصوم، ويحج، ويعتمر، ويغزو.

وفاته رضوان الله تعالی علیه

اختلف فی سنه وفاته فقیل: فی السنه التاسعه عشره للهجره النبویه الشریفه، وقیل: فی سنه عشرین منها، وقیل: بعد ثلاث وعشرین سنه من الهجره، وقیل: فی سنه ثلاثین، وقیل: فی سنه اثنتین وثلاثین، وقیل: قبل مقتل الخلیفه الثالث عثمان؛ وقیل: فی زمن الخلیفه عمر، وقیل: فی زمن عثمان، ولعل الثانی هو الأصحّ، أی فی سنه ثلاثین، وقد ارتضاه کل من الواقدی وابن سعد، وهو أثبت الأقاویل کما عبرا عنه.

ومن الدلائل علیه: خبر محمّد بن سیرین:

قال محمّد بن سیرین: إنّ عثمان بن عفان، جمع إثنی عشر رجلًا من قریش والأنصار، فیهم اُبی بن کعب، وزید بن ثابت فی جمع القرآن.

وقبله ابن الأثیر صاحب أسد الغابه فی معرفه الصحابه حیث قال: وقیل: سنه ثلاثین فی خلافه عثمان، قال: وهو الصحیح؛ لأن زر بن حبیش لقیه فی خلافه عثمان.

ولما مات قال ابن ضمره: رأیت أهل المدینه یموجون فی سککهم، فقلت: ما شأن هؤلاء؟

فقال بعضهم: ما أنت بأهل البلد؟

قلت: لا.

قال: فإنه قد مات الیوم سید المسلمین، أبی بن کعب.

ویقول آخر وهو عُتیّ السعدیّ: قدمت المدینه فی یوم ریحٍ وغُبْرهٍ، وإذا الناس یموج بعضهم فی بعض.

فقلت: ما لی أری الناس یموج بعضهم فی بعض؟

فقالوا: أما أنت من أهل هذا البلد؟

قلت: لا.

قالوا: مات الیوم سید المسلمین، أبیّ بن کعب.

حقاً لقد کنت من أولئک الذین صدقوا ما عاهدوا الله علیه!

فسلام علیک أبا المنذر فی الخالدین مع الأبرار والصالحین!

(۲۵) أبو رافع، مولى رسول الله۹

اشاره

محمد سليمان

تمهيد

إنّ هـذا الصـحابى الجليـل سـجل وجوداً متميزاً فى مـدرسه الصـحبه المباركه لرسولالله (ص) وراح يسـتفيد منها بجـد وإخلاص وتفان, إيماناً، و جهاداً، و علماً، ومعرفه وصـدقاً, حتى غـدا موضع رضا عند المسـلمين, يتضح هذا من خلال اتفاق مذاهبهم على أنه من الثقـات الـذين تسـمع رواياتهم وأقوالهم وعلومهم, وهـذا لايعنى أنّ المشتركات معـدومه بين مـذاهب المسـلمين, وأنّ ما ذكرناه هو المشترك الوحيـد بل هناك العديـد من المشتركات, وهى كثيره مما يسـهم فى تثبيت أواصـر العلاقه الطيبه, وبالتالى إرساء الوحده الإسلاميّه, ودعائم التقريب بينهم.

إنّ أبـا رافـع كمـا غيره مـن الصـحابه كجـابر الأنصـارى, وأبى سـعيد الخـدرى, وأبى بـن كعب... يشـكلون قـواسم مشـتركه بين المسـلمين، فهـم شخصـيات حظى كـل واحـد منهـم بصـحبه مبـاركه فى مـدرسه رسـول الله (ص) ورواه وثقـوا من قبـل مختلف الأطراف، وراح يعتمدهم علماء الرجال, والحديث, والفقهاء الأعلام من المسلمين جميعاً.

إنّ هـذا الصـحابى أبا رافع مع أنه اختلف فى اسـمه, أهوأسـلم, وهوالأشـهر, أم إبراهيم, وقيل: هرمز, أو ثابت, أو سـنان, أويسار, أوقرمـان, أوعبـدالرحمن, أويزيـد, فالأقوال فى أسـمائه عديـده كماوردت فى كتب التاريـخ والرجال, إلا أنّ كنيته <أبو رافع> يبدو أنها موضع اتفاق, وقد غلبت عليه فى حياته, وفيما كتب عنه, أو فيما نقل عنه من آراء, وأقوال, وروايات, وأحاديث... علماً أنه كان من السابقين إلى الروايه, والتأليف, والتدوين, والعلم.

وقدآمن برسول الله (ص) وأسـلم فى مكه المكرمه, وقد كان من الصحابه المميزين لرسول الرحمه محمد (ص) ثم راح أبو رافع يشـهد حروب النبى (ص) كلهـا إلاـ بـدراً, لأنه كما فى الخبر أنه آمن وأسـلم قبل معركه بـدر, وكتم إسـلامه مع عم النبى (ص) العباس بن عبدالمطلب.

وفى خـبر آخر أنه قـدم بكتـاب قريش إلى المـدينه على رسول الله (ص) وأظهر إسـلامه ليقيم بهـا, فرده رسول الله (ص) و قـال: <إنا لا نحبس البرد ولا نخيس العهد>.(۱)

فيما كان حاضراً فى معركه أحد, وفى معركه الخندق, وما بعدهما من المشاهد.

قال رسول الله (ص) فيه:

خرج رسول الله (ص) إلى النـاس فقـال: يا أيها الناس من أحب أن ينظر إلى أمينى على نفسـى وأهلى, فهـذا أبو رافع أمينى على نفسى وأهلى.

وفيه قول القائل من قصيده:

وحسبک من قوم ٍ کرام ٍ أصادق ٍ

أبو رافع القبطى منهم أسلم

وكان ممن أخبره النبى (ص) أنه يصيبه بعده فقر, ونهاه أن يكنز فضول المال, وأعلمه عقوبه من يحوز المال ويكثره.

عن الزهرى، عن سليم مولى أبى رافع، عن أبى رافع مولى النبى (ص) قال النبى (ص): كيف بک يا أبا رافع! إذا افتقرت؟

قلت: أفلا أتقدم فى ذلک؟

قال: بلى ما مالک؟

۱- أنظر: حليه الأولياء ۱ : ۱۸۳۱۸۴.

قلت: أربعون ألفاً وهی لله عزّوجل.

قال: لا, أعط بعضاً وأمسک بعضاً, وأصلح إلی ولدک.

قال: قلت: أولهم علینا یا رسول الله حق کما لنا علیهم؟ قال: نعم, حق الولد علی الوالد أن یعلّمه الکتاب.

وقال عثمان بن عبدالرحمن: کتاب الله عزّوجل, والرمی, والسباحه, زاد یزید: وأن یورثه طیباً.

قال: ومتی یکون فقری؟

قال: بعدی.

قال أبوسلیم: فلقد رأیته افتقر بعده، حتی کان یقعد فیقعد فیقول: من یتصدق علی الشیخ الکبیر الأعمی, من یتصدق علی رجل أعلمه رسول الله (ص) أنه سیفتقر بعده، من یتصدق فإنّ ید الله هی العلیا، وید المعطی الوسطی، وید السائل السفلی؟ ومن سأل عن ظهر غنی کان له شیه یعرف بها یوم القیامه، ولا تحل الصدقه لغنی، ولا لذی مره سوی.

قال: فلقد رأیت رجلاً أعطاه أربعه دراهم، فرد منها درهماً، فقال: یا عبدالله لا ترد علی صدقتی.

فقال: إنّ رسول الله (ص) نهانی أن أکنز فضول المال.

قال أبو سلیم: فلقد رأیته بعد استغنی، حتی أتی له عاشر عشره؛ وکان یقول: لیت أبارافع مات فی فقره أو وهو فقیر قال: ولم یکن یکاتب مملوکه إلا بثمنه الذی اشتراه به. (۱)

حبه وولاؤه للإمام علی (ع)

لقد کان أبو رافع من الرواد الاوائل الذین وقفوا إلی جانب الإمام أمیرالمؤمنین علی بن أبی طالب (ع) وهو ثابت العقیده، ولم یفارقه، وظلّ من الذین لم یغیروا، ولم یبدلوا موقفهم

۱- حلیه الأولیاء ۱ : ۱۸۴ ۱۸۵.

القوی الواعی من إمامه علی (ع)، وحقه المشروع فی إمامه الأمه علی الأصعده کافه.

وما أن بویع الإمام علی (ع) بالخلافه سنه ۳۵ هجریه، وخرج من المدینه المنوره إلی العراق، توجه معه أبو رافع، وکان ملازماً إیاه ملازمه الظل لصاحبه، وشهد مع الإمام (ع) أیضاً جمیع مواقفه وحروبه، وعدّ من أبرار الشیعه وصالحیهم، وکان عمره یوم توجه إلی العراق خمساً وثمانین سنه؛ وعینه الإمام کاتباً له بالکوفه، کما کان صاحب بیت مال المسلمین بالکوفه والمسؤول عنه.

وکان ولداه علی وعبید الله من أصفیاء علی (ع) وکانا کاتبین أیضاً عنده.

وبعد استشهاد الإمام أمیرالمؤمنین (ع) ذهب أبورافع مع الإمام الحسن (ع) إلی المدینه، ووضع الإمام الحسن المجتبی (ع) نصف بیت أبیه تحت تصرفه.

حقاً لقد کان أحد الصحابه الأبرار لرسول الله (ص) ومن موالیه المخلصین، وکان أیضاً من الوجوه البارزه فی دائره التابعین للإمام أمیرالمؤمنین علی بن أبی طالب (ع) فحظی من خلال ذلک بهاتین الصحبتین، مماجعله ذا منزله کبیره ومکانه عالیه، وذکرطیّب واستقامه یمدح علیها الرجل.

لقد کان أبورافع قبطیاً من مصر وکان فی سنی حیاته الأولی غلاماً للعباس، عمّ النبی (ص).

وقیل وکما فی تاریخ الطبری عند ذکره موالی رسول الله (ص) ویسمیه رویفع، وهو أبورافع مولی رسول الله (ص) اسمه أسلم، وقال بعضهم: اسمه إبراهیم، واختلفوا فی أمره، فقال بعضهم: کان للعباس بن عبدالمطلب، فوهبه لرسول الله (ص) فأعتقه رسول الله (ص).

وقال بعضهم: کان أبورافع لأبی أحیحه سعید بن العاص الأکبر، فورثه بنوه، فأعتق ثلاثه منهم أنصباءهم منه، وقتلوا یوم بدر جمیعاً، وشهد أبورافع معهم بدراً، و وهب خالد بن سعید نصیبه منه لرسول الله (ص) فأعتقه رسول الله (ص).

والمشهور أنّ العباس هو الذی وهبه للنبی (ص) ولمّا أسلم العباس، وبلغ أبورافع رسول الله (ص) وبشره بإسلام عمه العباس، أعتقه، وکان إسلام أبی رافع بمکه مع إسلام

أم الفضل، فكتموا إسلامهم فتره، وكان على ثقل النبى (ص) أى على متاعه، والثقل هو متاع المسافر كما فى لسان العرب.

وزوجه مولاته سلمى، وشهدت سلمى خيبر، وولدت له عبيد الله بن أبى رافع.

وفى تاريخ الطبرى: له ابنـان وهمـا من موالى رسول الله (ص) وابنه البهى اسـمه رافع، و أخو البهى عبيـده الله بن أبى رافع وكان يكتب لعلى بن أبى طالب (ع) فلما ولى عمرو بن سـعيد المـدينه دعا البهى، فقال: من مولاك؟فقال: رسول الله (ص) فضـربه مأه سوط، وقـال: مولى من أنت؟ قـال: مولى رسول الله (ص) فضـربه مـأه سوط، فلم يزل يفعـل به ذلـك كلما سأله: مولى من أنت؟ قـال: مولى رسول الله (ص) حتى ضـربه خمسـمأه سوط، ثم قـال: مولى من أنت؟ قـال: مولاـكم؛ فلما قتل عبـد الملك عمرو بن سعيد، قال البهى بن أبى رافع:

صحت ولا شلت وضرت عدوها

يمين هراقت مهجه ابن سعيد

هوابن أبيالعاص مراراً وينتمى

إلى أسره طابت له و جدود. (۱)

وقد يكون له أولاد آخرون، كما عليه بعض المصادر فى ذكر من روى عن أبى رافع.

هاجر الهجرتين

الأولى: مع جعفر بن أبى طالب إلى الحبشه، كما ذكر ذلك بعض علماء الرجال، إلا أنى لم أجـد فيما لدى من مصادر، كالسـيره النبويه لابن هشام، الذى ذكر أسماء المهاجرين إلى الحبشه، وكذا تاريخ الطبرى.

والهجره الثانيه له: مع رسول الله (ص) إلى يثرب، المدينه المنوره فيما بعد.

وضحک النبى (ص)

ونحن نذكر سلمى، نشير إلى لطيفه أضحكت النبى (ص) كما جاء فى روايه فى صحيح مسلم: فعن عائشه قالت: أتت سلمه امرأه أبى رافع مولى رسول الله (ص) إلى رسول الله (ص)

۱- تاريخ الطبرى ۲ : ۲۱۶.

تستأذنه على أبى رافع قد ضربها، قالت: قال رسول الله (ص) لأبى رافع: مالك و لها يا أبا رافع؟ قال: تؤذينى يا رسول الله!

فقال رسول الله (ص):

لم آذيته يا سلمى؟

قالت: يا رسول الله ما آذيته بشىء، ولكنه أحدث وهو يصلى، فقلت له: يا أبا رافع إنّ رسول الله (ص) قد أمر المسلمين إذا أخرج من أحدهم الريح أن يتوضأ، فقام فضربنى، فجعل رسول الله (ص) يضحك ويقول: «يا أبا رافع إنها لم تأمرك إلّا بخير».(۱)

نعم، قد يظن بعض الناس بمن يأمرهم بالخير، أنه شر يستوجب رده فعل منهم.

معاناته

ومما ورد عن معاناته ونقلته كتب التاريخ وعلماء الرجال ما حدث له، ونحن نكتفى باللفظ الذى نقلته سيره ابن هشام، عن ابن إسحاق:

وحدثنى حسين بن عبدالله بن عبيدالله بن عباس، عن عكرمه مولى ابن عباس، قال: قال أبورافع، مولى رسول الله (ص): كنت غلاماً للعباس بن عبدالمطلب، وكان الإسلام قد دخلنا أهل البيت، فأسلم العباس وأسلمت أم الفضل، و أسلمت و كان العباس يهاب قومه و يكره خلافهم و كان يكتم إسلامه، و كان ذا مال كثير متفرق فى قومه، وكان أبولهب قد تخلف عن بدر، فبعث مكانه العاصى بن هشام بن المغيره، وكذلك كانوا صنعوا، لم يتخلف رجل إلا بعث مكانه رجلًا، فلما جاءه الخبر عن مصاب أصحاب بدر من قريش، كبته الله وأخزاه، و وجدنا فى أنفسنا قوه وعزاً.

قال: و كنت رجلاً ـ ضعيفاً، و كنت أعمل الأقداح، أنحتها فى حجره زمزم، فوالله إنى لجالس فيها أنحت أقداحى، و عندى أم الفضل جالسه، و قد سرنا ما جاءنا من الخبر، إذ أقبل أبولهب يجر رجليه بشرٍّ حتى جلس على طنب الحجره، فكان ظهره إلى ظهرى،

۱- مسند أحمد بن حنبل ۶ : ۲۷۲.

فبينما هو جالس إذ قال الناس هـذا أبوسـفيان ابن الحارث بن عبـد المطلب قال ابن هشام: واسم أبى سـفيان المغيره قد قدم، قال: فقـال أبولهب: هلم إلى فعنـدك لعمرى الخبر، قـال: فجلس إليه والنـاس قيـام عليه، فقـال: يـا ابن أخى! أخبرنى كيف كـان أمر النـاس؟ قـال: والله مـا هو إلّا أن لقينا القوم، فمنحناهم أكتافنا يقودوننا كيف شاءوا، ويأسـروننا كيف شاءوا، وأيم الله مع ذلك ما لمت الناس، لقينا رجالاً بيضاً، على خيل بلق بين السماء والأرض، والله ما تليق شيئاً، ولا يقوم لها شيء.

قال أبورافع: فرفعت طنب الحجره بيـدى، ثم قلت: تلك والله الملائكه، قال: فرفع أبولهب يـده فضـرب بها وجهى ضـربه شديده؛ قال: و شاورته فاحتملنى، فضـرب بى الأرض، ثم برك على يضـربنى، وكنت رجلًا ضعيفاً، فقامت أمّ الفضل إلى عمود من عمد الحجره، فأخـذته فضـربته به ضـربه فعلت فى رأسه شـجه منكره، وقالت: استضـعفته أن غاب عنه سيده، فقام مولياً ذليلًا، فوالله ما عاش إلّا سبع ليال، حتى رماه الله بالعدسه فقتلته. (۱)

أبو رافع وعلماء الرجال

أثنى عليه كثيراً علماء الرجال، و مـدحوه، و ذكروا سـيرته، وسـيره أبنائه، وما نقل عنه من أقوال رائعه، تـدل على ولائه لرسول الله (ص) و لأهـل البيت (عليهم السـلام) وأنّ أبـارافع بـايع البيعتين، وصـلى القبلتين، و هاجر ثلاث هجرات، و ما قاله رسولالله (ص) عنه.

وهنـا أنـا أكتفى بمـا ذكره السـيد الخوئى؛ وهو يترجم لأبى رافع رضوان الله تعالى عليه، وينقل أقوال بعض علماء الرجال، فهـذا النجاشـى العـالم الرجالى بعـد أن عـدّه من السـلف الصالـح قال:... أبورافع مولى رسول الله (ص) واسـمه أسـلم، كان للعباس بن عبدالمطلب، رحمه الله، فوهبه للنبى (ص) فلما بشر النبى بإسلام العباس أعتقه.

أخبرنا أبوالحسن أحمد بن محمد الجندى، قال: حدثنا أحمد بن معروف، قال: حدثنا الحرث الوراق والحسين (الحسن) بن فهم، عن محمد بن سعد كاتب الواقدى، قال أبورافع: ألحمد لله

۱- سيره ابن هشام ۲ : ۶۴۶.

الذی أكمل لعلی منیته، و هنیئاً لعلی بتفضیل الله إیاه، ثم التفت.. و ذكر هذا الحدیث.

وأخبرنا محمد بن جعفر الأدیب، قال: أخبرنا أحمد بن محمد بن سعید فی تاریخه، أنه یقال: إنّ اسم أبی رافع إبراهیم، وأسلم أبو رافع قدیماً بمكه، وهاجر إلی المدینه، وشهد مع النبی (ص) مشاهده، ولزم أمیرالمؤمنین (ع) من بعده، وكان من خیار الشیعه، وشهد معه حروبه، وكان صاحب بیت ماله بالكوفه، وابناه عبدالله وعلی، كاتبا أمیرالمؤمنین (ع).

أخبرنا محمد بن جعفر، قال: حدثنا أحمد بن محمد بن سعید، قال: حدثنا أبوالحسین أحمد بن یوسف الجعفی، قال: حدثنا علی بن الحسین (الحسن) بن الحسین بن علی بن الحسین بن علی بن أبی طالب (علیهم السلام) قال: حدثنا إسماعیل بن محمد بن عبدالله بن علی بن الحسین، قال: حدثنا إسماعیل بن الحكم الرافعی، عن عبدالله بن عبیدالله بن أبی رافع، عن أبیه عن أبی رافع، قال: دخلت علی رسول الله (ص) وهو نائم أو یوحی الیه، وإذا حیه فی جانب البیت، فكرهت أن أقتلها فأوقظه، فاضطجعت بینه وبین الحیه، حتی إذا كان منها سوء یكون إلی دونه، فاستیقظ وهو یتلو هذه الآیه:

(إِنَّما وَلِیُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِینَ آمَنُوا الَّذِینَ یُقِیمُونَ الصَّلاهَ وَیُؤْتُونَ الزَّكاهَ وَهُمْ راكِعُونَ).

ثم فرآنی إلی جانبه، فقال: ما أضجعك هاهنا یا أبا رافع؟ فأخبرته خبر الحیه.

فقال: قم إلیها فاقتلها، فقتلتها، ثم أخذ رسول الله (ص) بیدی، فقال: یا أبا رافع كیف أنت وقوماً (قوم) یقاتلون علیاً، هو علی الحق، و هم علی الباطل، یكون فی حق الله جهادهم، فمن لمیستطع جهادهم فبقلبه، فمن لم یستطع فلیس وراء ذلك شیء، فقلت: أدع لی إن أدركتهم أن یعیننی الله، ویقوینی علی قتالهم، فقال: أللهم إن أدركهم فقوّه، وأعنه؛ ثم خرج إلی الناس، فقال: یا أیها الناس من أحب أن ینظر إلی أمینی علی نفسی وأهلی، فهذا أبورافع أمینی علی نفسی.

قال عون بن عبد (عبید) الله بن أبی رافع: فلما بویع علی، وخالفه معاویه بالشام، وسار طلحه والزبیر إلی البصره، قال أبورافع: هذا قول رسول الله (ص) سیقاتل علیاً قوم یكون

حقاً فی الله جهادهم، فباع أرضه بخیبر وداره، ثم خرج مع علی (ع) وهو شیخ کبیر له خمس وثمانون سنه، وقال: الحمد لله لقد أصبحت لا أجد بمنزلتی، لقد بایعت البیعتین: بیعه العقبه، وبیعه الرضوان، وصلّیت القبلتین، وهاجرت الهجر الثلاث.

قلت: وما الهجر الثلاث؟ قال: هاجرت مع جعفر بن أبی طالب رحمه الله إلی أرض الحبشه، وهاجرت مع رسول الله (ص) إلی المدینه، وهذه الهجره مع علی بن أبی طالب (ع) إلی الکوفه، فلم یزل مع علی حتی استشهد علی (ع).

فرجع أبورافع إلی المدینه مع الحسن (ع) ولا دار له بها ولا أرض، فقسم له الحسن (ع) دار علی (ع) بنصفین، وأعطاه سنح أرض أقطعه إیاها، فباعها عبیدالله بن أبی رافع، من معاویه بمأه ألف وسبعین ألفاً.

وبهذا الإسناد عن عبیدالله بن أبی رافع فی حدیث أم کلثوم بنت أمیرالمؤمنین (ع) إنها استعارت من أبی رافع حلیاً من بیت المال بالکوفه.

ولأبی رافع کتاب السنن والأحکام والقضایا؛ أخبرنا محمد بن جعفر النحوی، قال: حدثنا أحمد بن محمد بن سعید، قال: حدثنا حفص بن محمد بن سعید الأحمسی، قال: حدثنا الحسن بن الحسین الأنصاری، قال: حدثنا علی بن القاسم الکندی، عن محمد بن عبیدالله بن أبیرافع، عن أبیه عن جده أبی رافع، عن علی بن أبی طالب (ع) إنه کان إذا صلی قال فی أول الصلاه:... وذکر الکتاب إلی آخره باباً باباً، الصلاه، والصیام، والحج، والزکاه، والقضایا.

وروی هذه النسخه من الکوفیین أیضاً، زید بن محمد بن جعفر بن المبارک، یعرف بابن أبی إلیاس، عن الحسین بن حکم الحبری، قال: حدثنا حسن بن حسین بإسناده، وذکر شیوخنا أنّ بین النسختین اختلافاً قلیلاً، وروایه أبی العباس أتم.

ولابن أبی رافع کتاب آخر، وهو علی بن أبی رافع تابعی من خیار الشیعه، کانت له صحبه من أمیرالمؤمنین (ع) وکان کاتباً له، وحفظ کثیراً، وجمع کتاباً فی فنون من الفقه: الوضوء، والصلاه، وسائر الأبواب.

أخبرنی أبوالحسن التمیمی، قال: حدثنا أحمد بن محمد بن سعید، قال: حدثنا علی بن القاسم البجلی قراءه علیه، قال: حدثنی أبوالحسن علی بن إبراهیم بن المعلی البزاز، قال: حدثنا عمر بن محمد بن عمر بن علی بن الحسین، قال: حدثنی أبو محمد عبدالرحمن بن محمد بن عبیدالله بن أبی رافع، وکان کاتب أمیرالمؤمنین (ع) أنه کان یقول: إذا توضأ أحدکم للصلاه فلیبدأ بالیمین قبل الشمال من جسده، وذکر الکتاب.

قال عمر بن محمد: وأخبرنی موسی بن عبدالله بن الحسن، عن أبیه، أنه کتب هذا الکتاب عن عبیدالله (عبدالله) بن علی بن أبی رافع، وکان یعظمونه ویعلمونه.

قال أبو العباس بن سعید: حدثنا عبدالله بن أحمد بن مستورد، قال: حدثنا مخول بن إبراهیم النهدی، قال: سمعت موسی بن عبدالله بن الحسن، یقول: سأل أبی رجل عن التشهد، فقال: هات کتاب ابن أبی رافع، فأخرجه فأملاه علینا، وقد طرق عمر بن محمد هذا الکتاب إلی أمیرالمؤمنین (ع).

أخبرنا أبوالحسن التمیمی، قال: حدثنا أحمد بن محمد بن سعید، قال: حدثنا الحسن بنالقاسم، قال: حدثنا معلی، عن عمر بن محمد بن عمر، قال: حدثنا علی بن عبیدالله بن محمد بن عمر بن علی، قال: حدثنی أبی، عن أبیه محمد، عن جده عمر بن علی بن أبی طالب عن أمیرالمؤمنین (ع)؛ وذکر أبواب الکتاب.

قال ابن سعید: حدثنا الحسن، عن معلی، عن أبی زکریا یحیی بن السالم (سالم)، عن أبی مریم، عن أبی إسحاق، عن الحرث، عن علی أمیرالمؤمنین من ابتداء باب الصلاه فی الکتاب، و ذکر خلافاً بین النسختین.

وقال العلامه: ثقه، شهد مع رسول الله (ص) ولزم أمیرالمؤمنین بعده، وکان من خیار الشیعه.

وعده الشیخ فی رجاله فی أصحاب رسول الله (ص).(۱)

۱- أنظر: معجم رجال الحدیث للسید الخوئی ۱ :۵۲؛ وانظر رجال النجاشی وغیرهما.

آثاره العلميه ومروياته

تميز هـذا الصـحابى الجليل بعلميته وفضـله، فقـد حقق أسـلم أبو إبراهيم القبطى مكاناً رائداً، وموقعاً علمياً كبيراً، واحتراماً واسـعاً، حتى عدّ من خيار أصـحاب رسول الله (ص) على مسـتوى العلم، فهو من أول من ألف كتاباً فى الفقه الإسلامى، وهو كتاب كبير عنوانه: السُّنن والقضايا والأحكام، يشتمل على الفقه، فى أبوابه المختلفه، رواه جمع من المحدّثين الكبار، وفيهم ولده.

وله كتب اُخرى، منهـا: كتـاب أقضـيه أميرالمؤمنين (ع) وكتـاب الـديات، وغيرهما، ويعتقـد بعض العلماء أنها قاطبه أبواب ذلك الكتاب الكبير، وفصوله، وهو أول من جمع الحديث النبوى الشريف.

وعن عبيد الله بن على، عن جدته سـلمى، قالت: رأيت عبد الله بن عباس معه ألواح يكتب عليها عن أبى رافع شيئاً من فعل رسول الله (ص).

حقاً، إنّ صـحابياً يكتب عنه حبر الأمه ابن عباس شـيئاً من فعل رسول الله (ع) ولاسـيما أنّ معه ألواحاً، قـد أعدها للكتابه عنه، لهو رجل ذو نصيب وافر من المعرفه، والعلم، والفقه، والصدق، والأمانه.

ولقد روى أبورافع عن رسول الله (ع) وعلى (ع) وعبدالله بن مسعود، وروى عنه أولاده الحسن، ورافع، عبيد الله، والمعتمر، ويقال: المغيره، وسـلمى، وأحفاده، كالفضل بن عبيـدالله، والحسن، وصالـح، وعبيدالله، كما روى عنه على بن الحسـين (ع) وسـليمان بن يسار، وعمر بن الشديد الثقفى، وأبو غطفان بن ظريف المرى، وشرحبيل بن سعد، وأبوسعيد المقبرى، وجماعه كثيره، وروى عنه على بن الحسين (ع) وكأنه شافهه.

و من مروياته

كان أبورافع ممن حظى بمقام كريم فى عالم الروايه، وقد أخذ عنه العديد من الروايات، وكان منها:

۱ حديث المنزله، وهو قول النبى (ص) لعلى (ع): «أما ترضى أن تكون منى بمنزله هارون من موسى».

۲ حديث الغدير، وهو قول رسول الله (ص): «ألستم تعلمون أنى أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟».

قالوا: بلى.

قال (ص): «ألستم تعلمون أنى أولى بكل مؤمن من نفسه؟».

قالوا: بلى.

فأخذ بيد على (ع) فقال: «من كنت مولاه فعليّ مولاه، أللهم وال ِ من والاه و عادِ من عاداه»؛ وله ألفاظ أخرى، لكنها متقاربه.

أبورافع القبطى مولى رسول الله (ص) روى حديثه ابن عقده فى حديث الولايه، وأبوبكر الجعابى فى نخبه، وعدّه الخوارزمى فى مقتله ممن روى حديث الغدير من الصحابه. (۱)

وعده الجزرى الشافعى من رواه هذا الحديث. (۲)

۳ حديث الثقلين؛ عدّ أبورافع من رواه هذه الأحاديث، وهى تحدد للأمه طريق نجاتها، ونجاحها، وفوزها، وسلامه طريقها إلى الله تعالى ورسوله (ص) وقد روى هذه الأحاديث العديد من الرواه، ونحن هنا نقتصر على روايه أبى رافع، وحديث الثقلين.

فعنه رضوان الله عليه، إنّ رسول الله (ص) قال: أيها الناس! إنى تركت فيكم الثقلين: الثقل الأكبر، والثقل الأصغر، فأما الأكبر، هو حبل فبيد الله طرفه، والطرف الآخر بأيديكم، وهو كتاب الله، إن تمسكتم به لن تضلوا، ولن تذلوا أبداً، وأما الأصغر، فعترتى أهل بيتى، إنّ الله اللطيف الخبير أخبرنى أنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض، وسألت ذلك لهما فأعطانى، والله سائلكم كيف خلفتمونى فى كتاب الله وأهل بيتى.

وفى روايه أخرى عن أبى رافع مولى رسول الله (ص) قال: لما نزل رسول الله (ص)

۱- أنظر: رواه حديث الغدير من الصحابه ، كتاب الغدير.

۲- أسنى المطالب: ۴.

غـدير خم، مصـدره عن حجه الوداع، قـام خطيباً بالناس بالهاجره، فقال: أيها الناس إنى تركت فيكم الثقلين: الثقل الأكبر، والثقل الأصـغر، فأما الثقل الأكبر فبيد الله طرفه، والطرف الآخر بأيديكم، وهو كتاب الله إن تمسكتم به لن تضلوا أبداً، وأما الثقل الأصغر فعترتى أهل بيتى، إنّ الله هو الخبير أخبرنى أنهما لن يتفرقا حتى يردا علىّ الحوض. (أخرجه ابن عقده).

قـال أبورافع مولى رسول الله (ص): خرجنا مع على (ع) حين بعثه رسول الله (ص) برايته إلى خيبر، فلما دنا من الحصن خرج إليه أهله، فقـاتلهم فضـربه يهودى فطرح ترسه من يـده فتناول على باباً كان عنـد الحصن فترَّس به عن نفسه، فلم يزل فى يـده، و هو يقاتل حتى فتـح الله على يـديه، ثم ألقاه من يده؛ فلقد رأيتنى فى نفر سـبعه أنا ثامنهم نجهد على أن نقلب ذلك الباب فما نقلبه؛ وكان فتحها فى صفر. (۱)

ومن روايـاته الأـخرى: أنّ رسول الله (ص) بعث رجلاًـ من بنى مخزوم على صـدقه، فقال لأبى رافع: اصـحبنى كيما تصـيب منها، فقال: لا حتى آتى رسول الله (ص) فأسأله، فانطلق إلى النبى (ص) فسأله، فقال: الصدقه لا تحل لنا، وإنّ مولى القوم من أنفسهم.

قـدم النـبى (ص) خيـبر، فأصـاب النـاس برد شديـد، فقـال النبى (ص): من كـان له لحـاف فليلحف من لاـ لحـاف له؛ فطلبت من يلحفنى فلم أجـد أحـداً، فأتيت النبى (ص) فأخبرته، فألقى على من لحافه، فبتنا حتى أصـبحنا، فوجد النبى (ص) عند رجليه على فراشه حيه، قد تطوقت، فرماها النبى (ص) برجله، و قال: يا أبارافع، أقتلها، أقتلها.

وعن السـريه التى أمر بإرسالهـا رسولاـلله (ص) إلى اليمن، وكـانت بإمره الإمامعلى (ع) يقول أبورافع: لما وجهه رسول الله (ص) قال: إمض و لا تلتفت! فقال على (ع): يا رسول الله! كيف أصـنع؟ قال (ص): «إذا نزلت بساحتهم فلا تقاتلهم حتى يقاتلوك، فإن قـاتلوك فلاتقـاتلوهم حتى يقتلوا منكم قتيلاًـ فـإن قتلوا منكم قتيلًا فلا تقاتلوهم، تلومهم حتى تراهم أناه؛ ثم تقول لهم: هل إلى أن تقولوا لا إله إلا الله؟ فإن قالوا: نعم، فقل: هل لكم أن

۱– أنظر: سيره ابن هشام، فتح خيبر؛ البدايه و النهايه، لابن كثير ۵ : ۳۱۸؛ الكامل فى التاريخ، ابن الأثير ۲ : ۱۵.

تصلوا؟ فـإن قـالوا: نعم، فقـل: هـل لكم أن تخرجوا من أموالكم صـدقه تردونهـا على فقرائكم؟ فإن قالوا: نعم، فلا تبغ منهم غير ذلك؛ و الله لئن يهدى الله على يدك رجلًا واحداً، خير لك مما طلعت عليه الشمس، أو غربت. (۱)

وعن بيع عقيل بن أبى طالب لمنزل رسول الله (ص) فى مكه، يقول أبورافع: قيل للنبى (ص): ألا تنزل منزلك من الشعب؟

قال: فهل ترك لنا عقيل منزلاً؟

وكـان عقيل قـد باع منزل رسولالله (ص) ومنزل إخوته من الرجال والنساء بمكه، فقيل لرسولالله (ص) فأنزل فى بعض بيوت مكه فى غير منازلك، فأبى رسول الله (ص) قال: لا أدخل البيوت، فلم يزل مضـطرباً بالحجون، لم يدخل بيتاً، وكان يأتى إلى المسجد من الحجون. (۲)

وفى رجال النجاشى عن أبى رافع: دخلت على رسول الله (ص) و هو نائم، أو يوحى إليه، و إذا حيه فى جانب البيت، فكرهت أن أقتلها فأوقظه، فاضطجعت بينه و بين الحيه، حتى إن كان منها سوء يكون إلىّ دونه، فاستيقظ و هو يتلو هذه الآيه:

{إِنَّما وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاهَ وَيُؤْتُونَ الزَّكاهَ وَهُمْ راكِعُونَ}.(۳)

ثمّ قـال (ص): «ألحمـد لله الـذى أكمـل لعلى مُنيته، و هنيئاً لعلى بتفضـيل الله إيّاه»؛ ثمّ التفت، فرآنى إلى جـانبه، فقـال (ص): ما أضجَعَكَ هَاهُنا يا أبا رافع؟

فـأخبرته خبر الحيّه، فقـال (ص): قم إليهـا فاقتلهـا، فقتلتهـا، ثم أخـذ رسول الله (ص) (بيـدى فقـال:) يـا أبا رافع، كيف أنت وقوم يقـاتلون عليّاً، هو على الحق، وهم على الباطل، يكون فى حقِّ الله جهادهم، فمن لم يسـتطِع جهادهم فبقلبه، فمن لم يسـتطع فليس وراء ذلك شى ء؟ فقلت: أُدعُ لى إن أدركتهم أن يُعيننى الله، ويُقوِّينى على قتالهم؛ فقال (ص): «أللَّهُم إن أدركهم

۱- المغازى، للواقدى ۳: ۱۰۷۹ و ما بعدها.

۲- المصدر نفسه ۲ : ۸۲۹ .

۳- المائده: ۵۵ .

فقوِّه وأعِنْه»؛ ثمَّ خرج إلى الناس، فقال (ص): «يَا أيُّها الناس، مَن أحبَّ أن ينظر إلى أمينى على نَفسى وأهلى، فهذا أبورافع أمينى على نفسى».

أمّ الفضل و أبيلهب

وكانت لأم الفضل وقعه شهيره يوم بدر، يرويها أبورافع مولى رسولالله (ص) يقول: كنت غلاماً للعباس بن عبدالمطلب، وكان الإسلام قد دخلنا أهل البيت وأسلمت أم الفضل وأسلمت، وكان أبولهب عدو الله قد تخلف عن بدر، فلما جاء الخبر عن مصاب أصحاب بدر من قريش، أذله الله وأخزاه، ووجدنا فى أنفسنا قوه وعزاً.

وكنت رجلاً ـ ضعيفاً أعمل القداح، أنحتها فى حجره زمزم، وعندى أم الفضل جالسه، وقد سرنا ما جاء من أنباء نصر الله للمسلمين، فجاء أبولهب ولم يصدق أنباء النصر، وجاء أبوسفيان بن الحارث بن عبدالمطلب، فقال أبولهب: إلىّ يا بن أخى ما خبر الناس؟

فقال: ما هو إلا لقينا رجال، حتى منحناهم أكتافنا، ولقينا رجال على خيل بلق بين السماء والأرض.

فقلت: تلك الملائكه فلطمنى أبولهب لطمه شديده، وطفق يضربنى، فقامت أم الفضل إلى عمود من عمد الحجره، فأخذته فضربته به ضربه فشجت رأسه شجه منكره، وقالت: تستضعفه أن غاب عنه سيده، فقام مولياً ذليلًا، فوالله ما عاش إلّا سبع ليال، حتى رماه الله بالعدسه فقتله.

أبولهب يموت كمداً!

وفى حديث أبى رافع مولى العباس بن عبدالمطلب، لما جاء الخبر عن مصاب أصحاب بدر، كبت الله أبا لهب و أخزاه، فقام يجرّ رجليه بشرٍّ حتى جلس، فبينما هو جالس، إذ قال الناس: هذا أبوسفيان بن الحارث بن عبد المطلب، قد قدم.

قال: فقال أبولهب: هلم إلىَّ فعندك لعمرى الخبر، قال: فجلس إليه والناس قيام، فقال:

يا ابن أخى، أخبرنى كيف كان أمر الناس؟

قال: والله ما هو إلا ـ أن لقينا القوم فمنحناهم أكتافنا، يقتلوننا كيف شاءوا، ويأسروننا كيف شاءوا، وأيم الله مع ذلك ما لمت الناس، لقينا رجالاً بيضًا يلبسون البياض على خيل بلق بين السماء والأرض، لايقوم لها شيء، قال أبورافع: و كان الإسلام دخلنا و سرنا ذلك تلك والله الملائكه، فرفع أبولهب يده فضربنى فى وجهى ضربه شديده، فقامت أم الفضل زوج العباس إلى عمود، فضربت به فى رأس أبى لهب فشجته، وقالت: أستضعفته أن غاب سيده؟! فوالله ما عاش إلا سبع ليال، حتى رماه الله بالعدسه و هى قرحه تتشاءم منها العرب .

أخبرنا أبوالفرج يحيى بن محمود بن سعد الأصفهانى الثقفى إجازه، بإسناده عن أبى بكر أحمد بن عمرو بن أبى عاصم الضحاك بن مخلد، حدثنا هدبه، حدثنا حماد بن سلمه، عن عبدالرحمن بن أبى رافع، عن عمته سلمى، عن أبى رافع، أنّ رسول الله (ص) طاف على نسائه جمع، فاغتسل عند كل واحده منهنّ غسلاً، فقلت: يا رسول الله (ص) لو جعلته غسلاً واحداً، قال: هذا أزكى وأطيب.

قال بكير بن الأشج: أخبرت أنه كان قبطياً؛ شعبه، عن الحكم، عن ابن أبى رافع، عن أبيه: أنّ النبى (ص) بعث رجلاً ـ على الصدقه، فقال لأبى رافع: انطلق معى فنصيب منها، قلت: حتى أستأذن رسول الله (ص) فاستأذنته، فقال: يا أبا رافع، إنّ مولى القوم من أنفسهم، وإنا لا تحل لنا الصدقه.

قال سليمان بن يسار: قال أبورافع: لم يأمرنى رسول الله (ص) أن أنزل الأبْطَحَ حين خرج من منى، ولكنى جئت فنزلت، فجاء فنزل.

الذراع

قال الحافظ أبو يعلى: ثنا أبو بكر بن أبى شيبه، ثنا زيد بن الحباب، حدثنى قائد مولى عبيدالله بن أبى رافع قال: أتيت رسول الله (ص) يوم الخندق بشاه فى مكتل، فقال: يا أبا رافع

نـاولنی الـذراع فناولته، ثم قال: یا أبا رافع! ناولنی الـذراع فناولته، ثم قال: یا أبا رافع! ناولنی الـذراع، فقلت: یا رسول الله ألشاه إلا ذراعان؟ فقال: لو سکت ساعه ناولتنیه ما سألتک فیه انقطاع من هذا الوجه.

وقال أبو یعلی أیضاً: ثنا محمـد بن أبی بکر المقـدمی، ثنا فضـیل بن سـلیمان، ثنا قایـد مولی عبیـدالله، حـدثنی عبیدالله، أنّ جدته سلمی أخبرته أنّ النبی (ص) بعث إلی أبی رافع بشـاه، وذلـک یوم الخنـدق فیما أعلم، فصـلاها أبو رافع لیس معها خبز ثم انطلق بها، فلقیه النبی (ص) راجعاً من الخندق، فقال: یا أبا رافع! ضع الذی معک فوضـعه، ثم قال: یا أبا رافع! ناولنی الذراع فناولته، ثم قـال: یـا أبـا رافع! نـاولنی الـذراع فنـاولته، ثم قال: یا أبا رافع! ناولنی الـذراع، فقلت: یا رسول الله! هل للشاه غیر ذراعین، فقال: لو سکت لناولتنی ما سألتک.

وقـد روی من طریق أبی هریره، قـال الإمـام أحمـد: ثنـا الضـحاک، ثنـا ابن عجلان عن أبیه، عن أبی هریره أن شاه طبخت، فقال رسول الله (ص): «أعطنی الـذراع فناولته إیاه، فقال: أعطنی الـذراع فناولته إیاه، ثم قال: أعطنی الذراع فناولته إیاه، ثم قال: أعطنی الذراع، فقال: یا رسول الله! إنما للشاه ذراعان قال: أما إنک لو التمستها لوجدتها».(۱)

أبـو عبیـده، عن جـابر، عن ابن عبـاس، عن أبی رافـع مـولی رسـول الله (ص) [قـال]: استسـلف رسول الله (ص) بکراً فجـاءته إبل الصدقه، فأمرنی أن أقضی الرجل بکره، فقلت: لم أجد فی الإبل إلا جملاً رباعیاً خیاراً، فقال: اقضه.

أنت أول من

وقال أبو رافع: «أتیت أبا ذر بالربذه أودعه، فلما أردت الانصـراف قال لی ولأناس معی: سـتکون فتنه، فاتقوا الله، وعلیکم بالشـیخ علی بن أبی طـالب فاتبعوه، فإنی سـمعت رسول الله (ص) یقول له: أنت أول من آمن بی، وأول من یصافحنی یوم القیامه، وأنت الصدیق

۱- البدایه والنهایه ۶ : ۱۲۲.

الأـكبر، وأنت الفـاروق الـذى يفرق بين الحق والباطـل، وأنت يعسوب المؤمنين، والمال يعسوب الكافرين، وأنت أخى ووزيرى، وخير من أترك بعدى، تقضى دينى، وتنجز موعدى».

وهو المناسب لأحاديث أخر، مثل ما عن ابن عباس، قال: لما نزلت:

{إِنَّما أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هادٍ }

وضع (ص) يـده على صـدره فقال: «أنا المنـذر، ولكل قوم هاد، وأومأ بيـده إلى منكب على (ع) فقال: أنت الهادى يا على، بك يهتدى المهتدون بعدى»، وغيره.

عن خيبر

وعن أبى رافع كمـا أخرج ابن إسـحاق فى المغـازى وابن عسـاكر: أنّ علياً (ع) تنـاول باباً عن الحصن حصن خيبر فتترس به عن نفسه، فلم يزل فى يده وهو يقاتل، حتى فتح الله علينا، ثم ألقاه، فلقد رأيتنا ثمانيه نفر نجهد أن نقلب ذلك الباب، فما استطعنا أن نقلبه.

وعن المقريزى: أنّ ابن إسـحاق أخرج فى سـيرته، وابن عساكر فى تاريخه، عن أبى رافع مولى سيدنا رسول الله (ص): وأن سبعه لم يقلبوه.

وقـال ابن هشـام فى السـيره: وألقى على البـاب وراء ظهره ثمـانين شبراً، وفى روايه أنّ علياً لمـا انتهى إلى الحصن، اجتـذب باب الحصن فألقاه بالأرض، فاجتمع عليه بعده سبعون رجلًا، حتى أعادوه إلى مكانه.

ولعل من الأهميه بمكان الإشاره إلى أن الإمام علياً (ع) نفسه، إنما يقول عن هـذا الحادث: «والله ما قلعت باب خيبر بقوه جسديه، ولكن بقوه ربانيه».(۱)

إلا كان له من أمته

وفى المحلى عن أبى رافع مولى رسول الله (ص) أنّ عبدالله بن مسـعود حدثه أنّ رسول الله (ص) قال: «ما من نبى بعثه الله فى أمه قبلى إلا كان له من أمته حواريون

۱- تاريخ الخلفاء : ۱۶۷؛ سيره ابن هشام ۳ : ۲۵۱ ؛ ونهج البلاغه.

وأصحاب، يأخذون بسنته، ويقتدون بأمره، ثم يحدث من بعدهم خلوف يقولون ما لا ـ يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، ليس وراء ذلك من الأيمان حبه خردل».(۱)

استحباب التأذين

فعن أبی رافع أنه قال: رأیت رسول الله (ص) أذن فی أذن الحسن بن علی حین ولدته فاطمه.

رواه أبوداود والترمذی وقال حدیث صحیح؛ وذکره الحاکم فی مستدرکه.

وفاته

وتوفی أبورافع رضوان الله علیه فی خلافه عثمان ودفن فی البقیع، وقیل: فی خلافه علی (ع) وقیل: توفی بالکوفه سنه أربعین هجریه.

وقیل: إنه أوصی إلی الإمام علی (ع) فکان الإمام علی (ع) یزکی أموال بنی أبی رافع وهم أیتام.

لقد توفی هذا الصحابی الجلیل رضوان الله تعالی علیه بعد أن سجل اسمه مع {رِجالٌ صَدَقُوا ما عاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ } فرحمه الله تعالی علیه.

وهو {مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَداءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولئِكَ رَفِيقاً }.(۲)

۱– المحلی ۹ : ۳۶۱.

۲– النساء : ۶۹.

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم

هَلْ يَسْتَوِى الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

الزمر: ۹

المقدمة:

تأسّس مركز القائمية للدراسات الكمبيوترية فى أصفهان بإشراف آية الله الحاج السيد حسن فقيه الإمامى عام ۱۴۲۶ الهجرى فى المجالات الدينية والثقافية والعلمية معتمداً على النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائيين والمثقفين فى الجامعات والحوزات العلمية.

إجراءات المؤسسة:

نظراً لقلة المراكز القائمة بتوفير المصادر فى العلوم الإسلامية وتبعثرها فى أنحاء البلاد وصعوبة الحصول على مصادرها أحياناً، تهدف مؤسسة القائمية للدراسات الكمبيوترية فى أصفهان إلى التوفير الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلى الباحثين فى العلوم الإسلامية وتقدم المؤسسة مجاناً مجموعة الكترونية من الكتب والمقالات العلمية والدراسات المفيدة وهى منظمة فى برامج إلكترونية وجاهزة فى مختلف اللغات عرضاً للباحثين والمثقفين والراغبين فيها.

وتحاول المؤسسة تقديم الخدمة معتمدة على النظرة العلمية البحتة البعيدة من التعصبات الشخصية والاجتماعية والسياسية والقومية وعلى أساس خطة تنوى تنظيم الأعمال والمنشورات الصادرة من جميع مراكز الشيعة.

الأهداف:

نشر الثقافة الإسلامية وتعاليم القرآن وآل بيت النبىّ عليهم السلام

تحفيز الناس خصوصا الشباب على دراسة أدقّ فى المسائل الدينية

تنزيل البرامج المفيدة فى الهواتف والحاسوبات واللابتوب

الخدمة للباحثين والمحققين فى الحوازت العلمية والجامعات

توسيع عام لفكرة المطالعة

تهميد الأرضية لتحريض المنشورات والكتّاب على تقديم آثارهم لتنظيمها فى ملفات الكترونية

السياسات:

مراعاة القوانين والعمل حسب المعايير القانونية

إنشاء العلاقات المترابطة مع المراكز المرتبطة

الاجتنباب عن الروتينية وتكرار المحاولات السابقة

العرض العلمى البحت للمصادر والمعلومات

الالتزام بذكر المصادر والمآخذ فی نشر المعلومات

من الواضح أن یتحمل المؤلف مسؤولیة العمل.

نشاطات المؤسسة:

طبع الکتب والملزمات والدوریات

إقامة المسابقات فی مطالعة الکتب

إقامة المعارض الالکترونیة: المعارض الثلاثیة الأبعاد، أفلام بانوراما فی الأمکنة الدینیة والسیاحیة

إنتاج الأفلام الکرتونیة والألعاب الکمبیوتریة

افتتاح موقع القائمیة الانترنتی بعنوان : www.ghaemiyeh.com

إنتاج الأفلام الثقافیة وأقراص المحاضرات و...

الإطلاق والدعم العلمی لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدینیة والأخلاقیة والاعتقادیة والردّ علیها

تصمیم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ویب کیوسک kiosk، الرسالة القصیرة ((sms

إقامة الدورات التعلیمیة الالکترونیة لعموم الناس

إقامة الدورات الالکترونیة لتدریب المعلمین

إنتاج آلاف برامج فی البحث والدراسة وتطبیقها فی أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ویمکن تحمیلها علی ٨ أنظمة؛

١.JAVA

٢.ANDROID

٣.EPUB

۴.CHM

۵.PDF

۶.HTML

٧.CHM

٨.GHB

إعداد ۴ الأسواق الإلکترونیة للکتاب علی موقع القائمیة ویمکن تحمیلها علی الأنظمة التالیة

١.ANDROID

٢.IOS

٣.WINDOWS PHONE

۴.WINDOWS

وتقدّم مجاناً فی الموقع بثلاث اللغات منها العربیة والانجلیزیة والفارسیة

الکلمة الأخیرة

نتقـدم بكلمـة الشـكر والتقـدير إلى مكاتب مراجع التقليـد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسـسات، الكتّاب وكل من قدّم لنا المساعدة فى تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.
عنوان المكتب المركزى
أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده اى، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلى، الرقم ۱۲۹، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir
البريد الالكترونى : Info@ghbook.ir
هاتف المكتب المركزى ۰۳۱۳۴۴۹۰۱۲۵
هاتف المكتب فى طهران ۸۸۳۱۸۷۲۲ ـ ۰۲۱
قسم البيع ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹شؤون المستخدمين ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹.


مركز القائمية اصفهان
للبحوث والتحريات الكمبيوترية
www
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹